

قيادة الحركة الإسلامية في العراق ١٩٨٠ - ٢٠٠٣

عنوان الكتاب : تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٨٠ - ٢٠٠٣

تأليف : عباس الزبيدي، عبد الهادي الزبيدي

الناشر : مؤسسة البديل للدراسات والنشر

الطبعة الأولى : سنة ٢٠١١

لا يجوز إعادة طباعة الكتاب إلا بإذن خطي من مؤسسة البديل للدراسات والنشر

مؤسسة البديل للدراسات والنشر

بيروت - لبنان، شارع المطار.....

العراق - النجف الأشرف - بغداد

هاتف :

E-mail: albadeel1430@yahoo.com

قيادة الحركة الإسلامية في العراق

١٩٨٠ - ٢٠٠٣

عبد الهادي الزبيدي

عباس الزبيدي

مؤسسة البديل للدراسات والنشر

(الحقيقة لا تخفي نفسها)

محمد باقر الصدر

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اتصفت فترة العقدين الاخيرين من القرن الماضي ١٩٨٠ - ٢٠٠٠ بغموض والتباسات واختلافات جمّة سواء في الشخصيات الرئيسية للحركة الإسلامية في العراق أو لنفس الأحداث، إذ من الصعب أن تجد اتفاقاً بين المؤرخين أو المراقبين في تقييم القيادات أو توثيق الحدث، وهذا لم يأت من فراغ، إذ من الواضح أن العراق كان بلداً مغلقاً تماماً، ولم تكن هناك وسائل إعلام ذات مصداقية يمكن أن تنقل الصورة بوضوح الى العالم الخارجي، كما أن التفاوت بين المؤرخين من حيث الميول الفئوية أو الحزبية أو السياسية حالت دون ذلك، إلا أننا مع ذلك نجد محاولات طيبة موضوعية كانت أكثر إنصافاً من غيرها، ونعزي ذلك إما الى استقلالية أصحابها أو لردة فعل على تراكمات من الانحرافات والفساد في جملة من المؤسسات والأحزاب الإسلامية.

إلا أن نقطة الضعف في كل هذه المحاولات أنها كانت بعيدة عن الحدث، بالرغم من إصابتها للحقيقة في معظم التقييمات والتحليلات، بالتالي كان ينقصها القرب والمتابعة القريبة التي لا تيسر إلا لمن كان ضمن الحدث نفسه، وهذا ما نحاول أن نتكفل به، فالشيخ عباس الزيدي كان من المواكبين لحركة

الشهيد الصدر الى آخر يوم من حياته الشريفة، وهو تلميذ لسماحة الشيخ
اليعقوبي منذ أيامه الأولى في حوزة النجف الأشرف، وكانت له محاولة سابقة
(السفير الخامس) الذي هو من أشهر ما كتب كتوثيق قريب من الحدث، إلا أن
الاشكالات الكثيرة التي أثّرت حول هذا الكتاب كونه لم يأت على ذكر
الوثائق أو المصادر (في معظم الأحيان) واقتصر على ذكر الحوادث مجردة عن
التحليل، أعطت مبرراً للبعض للتقليل من أهميته، إلا أن هذا ليس متاحاً
لهؤلاء أو لغيرهم خاصة أن المؤلف لم يستطع أن يذكر مصادره لأنه كُتب في
وقت كان النظام البعثي لا زال قائماً فحرص على تحاشي ذكر مصادره
(بطلب منهم أو لرؤيته الخاصة) خشية على سلامتهم وسلامة أسرهم، وهم لا
زالوا أحياء على أية حال، وقد جاء المؤلف على ذكرهم في لقاء مسجل في
جامعة الصدر الدينية عام ٢٠٠٤. مع ذلك ليس لأحد خارج الحدث أن يعطي
لنفسه الحق في نسف الكتاب لسبب أو آخر. لهذا وجدنا أن تلك الفترة المهمة
لا بد أن توثق بلغة أخرى في هذا الكتاب لا يمكن التشكيك بها تحاشياً
للإشكاليات السابقة.

وقد تكفل الشيخ عباس الزيدي بكتابة القسم الأول من هذه الفترة التي تمتد
من عام ١٩٨٠ - ١٩٩٩م أي الى فصل استشهاد السيد الصدر الثاني، فهو قد
هاجر الى إيران بعد مطاردة من قبل النظام البعثي، أُلقي القبض فيها على
عدد من رفاقه، ومنهم من حكم عليه بالإعدام، وقد دخل الى الاراضي

الإيرانية بتاريخ ٤ / ١٢ / ١٩٩٩ بعد فترة اختفاء في جزيرة السيد أحمد الرفاعي.

بينما تكفل الشيخ عبد الهادي الزيدي بكتابة القسم الآخر الذي يمتد الى سقوط النظام عام ٢٠٠٣م، فهو قد عاصر تلك الفترة وكان من متابعيها وقد اعتقل لفترة عام ٢٠٠٠م لنشاطه خلالها، وكان متواجداً في العراق الى آخر يوم من عهد النظام البعثي.

وقد اعتمدنا التوثيق والتحليل المنصف والموضوعية في كل ثنايا الكتاب. ونلاحظ أن من أهم الأسباب الداعية الى التأليف، إضافة الى حفظ هذه المرحلة المغيبة من تاريخ العراق الحديث، هي كثرة الكتابات غير المنصفة المتحيزة التي تغترف من هنا ومن هناك من دون تورع أو تمحيص، بدوافع شخصية أو مصلحة.

كما أن مرحلة ما بعد استشهاد الصدر الثاني التي نتج عنها صراع لا زال قائماً سواء بين اتباع السيد الصدر أو مع غيرهم، لا زالت غامضة وكثرت فيها الاقاويل، لذلك حاولنا وضع الأمور في نصابها، مع أن الكتاب تحاشي ذكر أسماء وموارد وأحداث ووثائق رغبة في الحفاظ على الأواصر وطمعاً في تصحيح المسار سواء داخل الحركة الإسلامية الواعية المجاهدة أو خارجها.

وفي هذه المرحلة ظهرت القيادة الإسلامية الجديدة متمثلة بسماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي الذي يعد بحق (كما سنرى) الوحيد الذي استطاع أن يقود الحركة الإسلامية بعد استشهاد السيد الصدر الثاني من الداخل بوعي وصبر وحكمة.

وأخيراً نرجو أن نكون ممن وفى للتأريخ وللحركة الإسلامية في العراق جزءاً يسيراً من حقها، كما نرجو أن نفي قيادات هذه الحركة بعض ما قدّموه لها ولنا من جهود وتضحيات ودماء.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله الطيبين الطاهرين الكرام.

عباس الزيدي / عبد الهادي الزيدي

النجف الأشرف / ١٣ شوال ١٤٣٢

٢٠١١ / ٩ / ١٢

حروب و انتكاسات

ما إن وصل حزب البعث الى السلطة عام ١٩٦٨ حتى جعل نصب عينية هدفاً أساسياً وهو القضاء على الحركة الإسلامية في العراق، واستهل حكمه في بداية السبعينات بإعدام مجموعة من الحركيين وهم القيادي في حزب الدعوة (عبد الصاحب دخیل) وخمسة آخرون ممن سموا بعد ذلك بـ(قبضة الهدى)^(١)، وأنهى المرحلة الأولى من حملته بإعدام قائد الحركة الإسلامية في العراق السيد محمد باقر الصدر عام ١٩٨٠، ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فقد شهدت السنوات اللاحقة عمليات إبادة جماعية منظمة ومقابر جماعية لعشرات الالوف من المنتسبين وغير المنتسبين لتنظيمات سياسية إسلامية.

لم يكتف النظام بالقضاء على القيادة الإسلامية والمرتبطين بها، بل اتخذ منهجية لإبادة الأكثرية من أبناء الشعب العراقي، من خلال إقحام هذه الأكثرية في حرب لا تُبقي من الجيل المرتبط بالقيادة المصفاة حديثاً أي أثر، وبالفعل شهد العراق حرب الثمان سنوات ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لتحقيق هدفين :

الأول : هو ما ذكرناه من جعل وقود هذه الحرب جيل كامل من الشيعة ليتسنى له صناعة جيل جديد ليست له أية صلة تربطه مع حركة وتأثير وأفكار السيد محمد باقر الصدر، وهذا ما فشل النظام في تحقيقه بعد أن أثبت الشعب العراقي تشبثه بجذوره، وقد اتضح هذا جلياً في انتفاضة عام ١٩٩١، وبعدها مباشرة في النهضة الكبيرة التي

(١) وهم كل من الشيخ عارف البصري والسيد عماد الدين الطباطبائي والسيد عز الدين القبنجي ونوري محمد حسين طعمة وحسين كاظم جلوخان، الذين أعدموا في ١٣ / ١١ / ١٩٧٤. صلاح الخرسان، حزب الدعوة حقائق ووثائق، ص ١٨٩. وقبل ذلك أقدم النظام على إعدام القيادي في الحزب عبد الصاحب دخیل.

قادها السيد محمد الصدر والتي لم تنته باستشهاده عام ١٩٩٩ بل امتدت الى ما بعد إسقاط نظام البعث عام ٢٠٠٣ حيث أصبح واضحاً أن الصدر ليس ظاهرة عابرة أو نزوة من نزوات التاريخ، وإنما حركة إصلاحية متأصلة، لن تزول أو تتوقف حتى تتحقق أهدافها الظاهرة والباطنة.

الثاني : إيقاف تطلعات الثورة الإسلامية في إيران تجاه العراق والمنطقة، وحسب المعطيات في تلك الحقبة فقد كان العراق مهيباً لاحتضان ثورة وجمهورية إسلامية قبل إيران بكثير، ولكن إجهاض الحركة الإسلامية في العراق جاء بقرار دولي نظراً لموقعه الجغرافي وسيطرته على منابع الثروات في المنطقة، وكذلك لتحسس إسرائيل وعقدتها الأزلية من العراق، حالت كل هذه الأسباب دون إطلاق يد الحركة الإسلامية ووأدها، أما إيران فقد تعامل الغرب معها بمنظار مختلف (برغماتي هو الآخر) فقد كان الشاه يضعف الى حد باتت معه الأمور مقلقة جداً على مصالح الغرب، خاصة إذا وصل الى السلطة الشيوعيون الذين يقف من وراءهم الإتحاد السوفييتي بالتالي تمتد يد الإمبراطورية الحديدية الى الخليج الذي هو بالفعل (حاضر ومستقبل الغرب)، أو يصل متطرفون (وفق منظار أمريكا وأوروبا طبعاً) وكان هؤلاء ذوي سمعة ونفوذ كبيرين، وكانت لأمريكا معهم تجربة مؤلمة حيث كان امتدادهم (موسى الصدر) الرجل الذي صنع بمفرده ترسانة بشرية مزعجة جداً، فتعاملوا مع الثورة وقياداتها أخيراً بشيء من التساهل، حتى تفاجأوا أخيراً بتطلعات قادتها التي لم يخفوها بـ(تصدير الثورة) التي لاقت حماساً عربياً وإسلامياً جماهيرياً واسعاً. فكان لا بد من الحرب التي تكفل شيوخ الخليج بدفع ثمن الدماء التي سيقدمها النظام العراقي في تلك الحرب الوضيعة.

يضاف الى ذلك الحدة التي تعاملت بها القيادات الإسلامية خارج العراق والتي قد لا نتجاوز الحدود إذا ما أسمىناه (تطرفاً) أو (سوء فهم للثورة الإصلاحية في المنهج القرآني)، فمن المعروف عن معظم التوجهات الإسلامية، خصوصاً الثورية منها

والسياسية، أنها ترى نفسها الحق المطلق وغيرها الكفر والباطل المطلق، فمن يتواجد على جبهة القتال ضد إيران تحت أي ظرف كان فهو مستباح الدم وخارج عن ملة الإسلام، ولم تنفع كل التوسلات والوساطات لثني قيادات الثورة أو المؤثرين منهم في إيقاف النزيف، أو قبول الدعوات الشريفة أو الدنيئة منها؛ وفي نفس الوقت استمر النزيف داخل العراق فلم يدع صغيراً أو كبيراً رجلاً أو امرأة، فكل من يشتبه به فهو مدان بلا محاكمة، ولم تنتهي الحرب إلا وقد قضت على قرابة المليون نفساً ومثلها أو قريب منها في زنانات سلطة البعث في العراق.

ونطل بنظرة على تلك الحروب الداخلية والخارجية ونحاول أن لا نكرر ما تداوله التأريخ واشتهر إلا بما لم يشر الى جوانب مهمة واقعية تمّ إغفالها.

الحروب والانتكاسات الداخلية

قام صدام منذ تسلمه السلطة بعد تنحية مذلة لأحمد حسن البكر^(١) وبمباركة غربية بحملة إعدامات، لم يكن إعدام السيد محمد باقر الصدر أولها ولا آخرها، ولكي يكون الردع فعالاً ومخيفاً اعتقل شقيقة الصدر العلوية بنت الهدى التي ألفت خطبة في حرم المؤمنين (عليه السلام) بعد إعتقال السيد الصدر، ولم يعرف مصير بنت الهدى حتى الساعة، إذ لم يتم تسليم جثمانها مع جثمان أخيها، حسب المنقول عن السيد محمد الصدر الذي كان والده السيد محمد صادق الصدر هو الذي تسلم جثمان ابن عمه السيد محمد باقر الصدر ودفنه بنفسه برقابة صارمة من قبل أمن السلطة، والمظنون أن مصير العلوية بنت الهدى كان كمصير أخيها إلا أن النظام لم يسلمها كي لا تتأزم الأمور أكثر، لما للشهيدة بنت الهدى من مكانة دينية واجتماعية، وما قد يسببه من إثارة المجتمع العشائري العراقي الذي كان صدام يحاول بكل جهوده إبقائه على الحياد قدر الإمكان، والعشائر لا تستسيغ التعدي على امرأة فضلاً عن تعذيبها وقتلها، إضافة إلى كون هذه المرأة تنتمي إلى أسرة لها مكانتها الدينية والعلمية والاجتماعية ولم يكن نظام صدام يمتلك القوة الكافية تلك الفترة ليسيطر على انتفاضة جماهيرية كالتى حصلت بعد ذلك بأحد عشر سنة أي انتفاضة ١٩٩١.

(١) فقد بات واضحاً لدى الأمريكان والبريطانيين أن البكر لا يلبي طموحاتهم وأوامرهم، خاصة أن التسابق كان على أشده بينهم وبين الاتحاد السوفييتي للإستيلاء على منابع النفط، ناهيك عن الخطر الذي تشكله الحركة الإسلامية القوية في العراق، فقد رفض البكر التوقيع على أحكام الإعدام التي صدرت بحق القياديين الخمسة (قبضة الهدى) فقام صدام بالمصادقة على الحكم بصفته نائب الرئيس عام ١٩٧٤، وختم الأمر بعد رفض البكر الموافقة على إعدام ٣٠٠ شخصية من بينهم السيد محمد باقر الصدر وذلك باجتماع في ٩ تموز ١٩٧٩، فقام صدام وعناصره بتنحية البكر بانقلاب في ١٦ تموز ١٩٧٩، وتسلم السلطة رسمياً. للتفصيل مراجعة علي المؤمن، ص ١٤٩ و ٢٣١ و ٢٣٢.

لم تكن الإعدامات تطال المنظمين في حزب الدعوة وغيره من التنظيمات السياسية فحسب، بل إن الذين أُعدموا كانت غالبيتهم من غير ذوي الصلة بأي تنظيم سياسي كحزب الدعوة أو غيره من التنظيمات التي لم تكن تؤمن بالحركة الشمولية التي تستوعب كل طبقات المجتمع، وإنما اقتصرَت على النخبة الممتازة التي تقوم بمهمة الإرشاد والهيمنة الفكرية والتوعية للآخرين، ولعل العذر في ذلك كون المجتمع العراقي الذي حاول صدام أن يبقيه تحت سطوة الجهل كانت نسبة الأمية فيه كبيرة، ناهيك عن المستوى الفكري الذي كانت تطمح إليه القيادة الإسلامية آنذاك، والحقيقة أن ذلك ليس تاماً فعلى الرغم من كثرة الأمية فقد كانت نسبة المتعلمين الواعين كبيرة أيضاً ويدل عليه بوضوح إيقاف زحف الشيوعية بعد صدور الكتابين الرائدين (فلسفتنا) و (إقتصادنا)، ومع ذلك فإن الطبقة التي كانت ولا زالت قادرة على قلب الموازين هي الطبقة الشعبية التي تستجيب للتأثير العاطفي بنفس الدرجة التي تستجيب بها الطبقة الواعية المتعلمة للفكر والعقيدة، والحل هو بالنزول الى مستوى هذه الطبقة وإيصال الفكر الاسلامي المتنور بطرق مبسطة. والحق أن السيد محمد باقر الصدر سعى الى ذلك وأرسل وكلاءه لكافة مناطق العراق حتى أقصى الريف العراقي، ولكن المشكلة كانت في نفس النخبة التي رأت في نفسها يوماً (ولا زالت) أن لها الاستقلالية ونفس المكانة للقيادة الإسلامية، واجتهدت فيما أدّى الى إحراج القيادة الإسلامية، وقد لا نبالغ إذا قلنا إن بعض ما قام به حزب الدعوة كان من أسباب إستشهاد السيد محمد باقر الصدر، كالبیعة عام ١٩٧٩ التي لم يكن السيد الصدر قد أمر بها حسب بعض المصادر القريبة منه، ويلقي البعض مسئولية دعوة وفود البيعة التي توافدت الى النجف على السيد محمود الهاشمي الشاهرودي، بينما يؤكد محمد رضا النعماني أن البيعة خرجت بعد موافقة السيد الصدر بعد اجتماع ضم مساعديه وخواص طلابه^(١). وبالطبع ليس من السهل التأكد من دقة هذا الكلام

(١) النعماني، محمد رضا، سنوات المحنة وأيام الحصار، ص ٢٦٧.

بعد مرور كل هذه الفترة. ولكن ذكر السيد فاضل النوري الذي كان أحد وكلاء السيد الصدر آنذاك : ((بعد أن ساهمتُ مع مجموعة كريمة من أهل العمارة في عملية البيعة التي تَمَّت للشهيد الصدر الأول (رض) من كثير من الوفود المؤمنة الرسالية التي أقبلت من كل بلاد الرافدين الى ساحة المبايعة، حيث شعرتُ كغيري من المبايعين بالأنس الذي لا يوصف لهذا العمل الاستثنائي في تاريخ انجذاب الأمة الى زعيمها الفذ، وقبل عودتي الى العمارة التي كنتُ فيها وكيلاً لذلك القائد العظيم، وجدتُ من واجبي الأدبي والذوقي أن أسلّم على أستاذه السيد محمد الصدر، وأُثلج صدره بما حصل من أمر البيعة... وحينما سمع كلامي في هذا الصدد واجهني بعدم ارتياحه لذلك، معلناً عدم ثقته بجذواه في هدف استراتيجي ضخم هو إعادة الأمور الى نصابها في رحاب الإسلام، وذكر أن عملاً يتم فيه إظهار الكوادر المؤمنة التي ربيناها بعد لأيٍ وعناء، ووضعها أمام شاشة الرقابة الظالمة التي تبحث جهد سعيها عن وسيلة للتعرف عليها وتصفيتها - هو عمل غير سليم - وليس فيه إلا الضرر على حركة الوعي الإسلامي صوب الغاية المرجوة، وأن العمل الوحيد الذي نستطيع به الوصول الى تلك الغاية هو التحرك نحو الأمة بالسبل المدروسة، لتحقيق إتقانها حولنا، واسنادها الشامل لنا، وعند ذلك يمكننا أن نسعى بها الى غاية المرام من أوثق الأسباب^(١))).

وينقل بكثرة عن السيد محمد الصدر أن من أهم الأسباب التي أدت الى إعدام السيد الشهيد هي هذه البيعة وبرقية السيد الخميني والبيانات التي كانت تصدر من الإذاعة الإيرانية الناطقة باللغة العربية، التي يعتبرها البعض الضربة القاضية التي توجهت الى الصدر الأول.

(١) السيد الشهيد محمد الصدر، بحوث في فكره ومنهجه وانجازاته العلمي، تأليف نخبة من الباحثين والمفكرين،

فالبينة التي حُشدت من المحافظات كانت مفاجئة له ولم تكن عن أمره وعلمه حسب بعض المصادر المعاصرة له^(١). وأما البرقية فهي بمثابة إعلان الحرب الرسمية ضد نظام صدام الذي دق ناقوس الخطر عنده، وهناك من يقول إنها أرسلت الى الإذاعة الإيرانية من دون علم السيد الخميني، بل وحاول البعض أن يتهم بها أحد التنظيمات الإسلامية العراقية التي كانت تسيطر على الإذاعة والتلفزيون بعد الثورة الإسلامية (منظمة العمل الإسلامي)، وهو أمر مستبعد الحدوث أن تقوم جهة ما بهذه الخطوة الخطيرة واضحة الهدف أو غير محسوبة العواقب من دون سند قوي؟!، وبين هؤلاء وهؤلاء ضاعت الحقيقة وانتهى الأمر بإعدام واحد من أكبر القيادات والعقليات الإسلامية في القرن العشرين بتهمة صلته بإيران.

هناك مصادر أخرى قريبة تؤكد : ((أن البرقية صدرت وأذيعت بموافقة السيد الخميني، وتذكر هذه المصادر نقلاً عن السيد أحمد الخميني أن الوضع سيكون مربكاً في حال مجيء السيد محمد باقر الصدر الى إيران، لأن الخميني الذي كان كبيراً في العمر ويعاني من عدة أمراض منها سرطان في المعدة والسكري، ولم تكن خلافته محسومة أول الأمر لصالح الشيخ المنتظري، وبمجرد مجيء السيد الصدر ستكون هناك أزمة، لأن المنتظري لا يمكنه أن ينافس السيد الصدر على زعامة الثورة، وليست هناك مقارنة بينهما على الصعيد العلمي والفكري، وكان هناك شدة سابقة بين أطراف من ضمن قيادات الثورة وأهمها طرفان الأول يتمثل بالسيد كاظم شريعة مداري والسيد رضا الصدر وأخيه السيد موسى الصدر، والطرف الثاني حاشية السيد الخميني. ويرى السيد موسى الصدر أن خير من يصلح لقيادة الثورة بعد وفاة السيد الخميني هو السيد محمد باقر، بينما هناك الطرف الآخر الذي يحمل ضغينة قديمة ضد السيد الصدر حتى أنهم اتهموه بالعمالة للإمبريالية^(٢)، ومنهم محتشمي ومحمد

(١) كالسيد عبد الهادي الشوكي والسيد فاضل النوري وبعض الدعاة في مدينة قم.

(٢) ((إثر إعلان السيد الصدر عن أعلمية السيد الخوئي، اتخذ بعض عناصر جهاز السيد الخميني موقفاً A

=سلبياً منه، بينما بقي آخرون على وضعهم، خاصة السيد أحمد الخميني الذي كان يوافق السيد الصدر على موقفه نظراً الى الظروف، بينما يبدو الانطباع سلبياً عند السيد علي أكبر محتشمي حين تناول موضوع دعم علماء النجف مرجعية السيد الخوئي وتعرض الى موقف السيد الصدر، والسيد عباس خاتم يزدي الذي اعتبر السيد الصدر (استبصر) في الفترة الأخيرة، والسيد حميد روحاني. وكذلك اتسمت العلاقة تجاه السيد موسى الصدر : فبعد أن كانت العلاقة بين السيدين مصطفى الخميني وموسى الصدر علاقة طيبة وحسنة، مالت نحو الفتور إثر إعلان السيد موسى الصدر عن أعلمية السيد الخوئي. وقد كلف السيد موسى الصدر في إحدى المرات الدكتور إبراهيم اليزدي بالسفر الى النجف من أجل محاولة التقريب بين طرفي السيد الصدر والسيد الخميني، وكان السيد الصدر قد شدد على طلابه بعدم الرد بالمثل، كما أن السيد الخميني كان كثير التشدد إزاء الموضوع... ومن أمثلة هذا الانعكاس على العلاقة مع السيد الصدر أن الدكتور صادق الطباطبائي - ابن اخت السيد موسى الصدر - كان في زيارة الى النجف الأشرف قادماً من أوروبا، وقد جمعه بالسيد حميد زيارتي (روحاني) مجلس في منزل الشيخ الكروي - أخي رئيس البرلمان السابق - ضم السيد علي أكبر محتشمي وآخرين، وقد جرى في المجلس حديث عن السيد الصدر، فحمل عليه السيد حميد روحاني وعلى ابن عمه السيد موسى الصدر، واتهمهما بالعمالة للإمبريالية والصهيونية، وقد استدل على ذلك بأمر : ١ - أنهما لم يطرحا مرجعية السيد الخميني ولم يدعموها، والسيد الصدر يريد طرح مرجعيته. ٢ - أنهما ضغطا سابقاً على السيد محسن الحكيم للإفتاء بطهارة أهل الكتاب، وهذا ما يفعله حالياً مع السيد الخوئي، وهذه الفتوى عبارة عن مطلب إمبريالي. ٣ - أن السيد الخميني عندما شرع في بحث الحكومة الإسلامية لم يبادر السيد الصدر الى بحث الموضوع، وإنما استمر في درسه الاعتيادي.

وبعد أن انفض المجلس، ذهب الدكتور الطباطبائي الى منزل السيد الصدر، ولما اجتمع به قال له : "لقد علمت للتو أنك إمبريالي"، فقال : "وماذا هناك؟"، فسر له ماذا جرى معه، فتبسم السيد الصدر وقال له : "أما أننا ضغطنا على السيد الحكيم والسيد الخوئي ليفتيا بطهارة أهل الكتاب، فلا أدري هل هذا ذم لنا أم للمراجع الذين يمكن أن يفتوا تحت ضغوطات تمارس عليهم؟! وأما درس الحكومة الإسلامية فإنهم عندما طبعوا الكراسات ووزعوها على الدروس التي تقام في النجف الأشرف كل الدروس رفضتها وطردهم إلا درسي، فقد استقبلتهم وشجعتهم ووزعت الكراسات، وقلت لطلابي إنه عندما ينتهي بحثنا فإننا سنبحث الحكومة الإسلامية. وأما أنني لم أطرح مرجعية السيد الخميني، فذلك لا يعني أنني لا أؤيد مرجعيته، بل لأن السيد الخوئي أكثر شهرة في العالم الإسلامي والعربي، وأنا أرى الآن أن من واجبي الدعوة الى مرجعيته، وإلا فلا شك بأن السيد الخميني مرجع)). العامل، أحمد عبد الله أبو زيد، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، ج ٣ ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

منتظري وخوئينها^(١)، ولم يستسيغوا وجود السيد الصدر أساساً فضلاً عن قيادته للثورة، ولا يخفي البعض تعصبه لقوميته الفارسية وتفوقها على باقي البشرية خصوصاً العرب، فكانت هذه البرقية بمثابة إشعار لنظام صدام بعدم السماح للسيد الصدر بمغادرة العراق، ويبدو أن الإيرانيين فهموا من كلمة السيد الصدر (إني أتشرف أن أكون وكيلاً للإمام الخميني في قرية من قرى إيران)، التي وصلت عن طريق زوجته العلوية أم جعفر، أن هناك رغبة للسيد الصدر في القدوم إلى إيران^(٢)، وهو ما نفاه السيد محمد باقر الصدر تماماً، بل واستغرب من هذه البرقية، وذلك كما يقول أحد مؤرخي حزب الدعوة :

(١) فقد اتهمه مهدي الهاشمي ((بالعمالة لأمريكا، وإلى جانب مهدي الهاشمي وقف الشيخ محمد منتظري الذي كان في أول أمره متأثراً بهاشمي، وقد دفع به ذلك إلى نشر مقال يتهم فيه السيد الصدر بالعمالة لأمريكا، وأنه إنما ألف (فلسفتنا) و (اقتصادنا) بإيعاز من أمريكا في سبيل تقويض النظام الشيوعي المناوئ لها يومذاك. وقد استند إلى النقد التفصيلي الذي يوجهه السيد الصدر إلى النظامين الماركسي والشيوعي، بينما يكتفي في نقاشه للنظام الرأسمالي بالقليل)). المصدر السابق، ج٤ ص١٠١. يبدو أن الشيخ محمد منتظري لم يطلع بشكل تام على كتابي السيد الصدر (فلسفتنا واقتصادنا)، فهو لم يعط الرأسمالية نفس حيز الماركسية والشيوعية، لأن الرأسمالية ليست لديها فلسفة تناقض من خلالها كما أسهب في ذلك السيد الصدر (قدس سره الشريف)، كما أن الرأسمالية لا تتعرض للجانب الروحي والديني للفرد أو المجتمع، بينما الإلحاد هو الصفة الرسمية للشيوعية، وما عشت أراك الدهر عجباً.

كما يؤكد السيد كاظم الحائري أن الشهادة كانت رحمة من الله بالسيد محمد باقر الصدر وإلا فإن الإيرانيين كانوا سيسقطونه. وعندما سُئل عن هوية هؤلاء الإيرانيين أجاب : (هم جماعة ١٥ خرداد). في لقاء مع السيد الحائري جمع كل من الشيخ عامر المنشداوي، والشيخ محمود الجياشي، والسيد عبد الجبار البعاج، والسيد فلاح العلوي، والشيخ عباس الزيدي، وذلك في منزله في مدينة قم بمناسبة عودته من الحج لسنة ١٤٢٠ الموافق عام ٢٠٠٠.

(٢) في حديث للسيد عمار أبو رغيف (أحد طلبة السيد محمد باقر الصدر من الجيل المتأخر الجديد) في منزله في مدينة قم عام ٢٠٠٠، بحضور عدد من الفضلاء منهم السيد هاشم السيد علاوي الهاشمي، والشيخ عزيز الساعدي، والشيخ محمود الجياشي، والسيد رضا الموسوي، والشيخ عباس الزيدي.

((سرت في أوساط القادة الإيرانيين شائعة قوية مفادها أن آية الله السيد محمد باقر الصدر ينوي الهجرة خارج العراق، مما حمل الإمام الخميني على الإبراق للسيد الصدر طالباً إليه البقاء في النجف الأشرف :

((علمنا أن سماحتكم تعتزمون مغادرة العراق بسبب بعض الحوادث. إنني لا أرى من الصالح مغادرتكم مدينة النجف الأشرف مركز العلوم الإسلامية، وإنني قلق من هذا الأمر .. أمل إن شاء الله إزالة قلق سماحتكم)).

فأبرق إليه السيد الصدر مجيئاً :

((تلقيت برقيتكم الكريمة التي جسدت أبوتكم ورعايتكم الروحية للنجف الأشرف الذي لا يزال منذ فارقكم يعيش انتصاراتكم العظيمة، وإنني استمد من توجيهكم الشريف نفحة روحية، كما أشعر بعمق المسؤولية في الحفاظ على الكيان العلمي للنجف الأشرف)).

وحقيقة أن الإمام الصدر لم يكن ينوي ترك العراق مطلقاً، ولو كان في نيته ذلك لصرح لتلاميذه والمقربين إليه. وينقل الشيخ محيي الدين الفقيه قول أستاذه السيد الصدر في هذا الشأن : لقد ((سمعت إذاعة طهران تذيع برقية من الإمام الخميني موجهة لي يطلب فيها مني عدم مغادرة العراق، وأنا متى أردت مغادرة العراق؟! ومتى فكرتُ بذلك؟! ومن أين علم الإمام بهذا؟! .. إنا لله وإنا إليه راجعون)).، ويتضح ذلك أيضاً من جواب السيد الصدر، والذي لم يتطرق فيه لقضية الهجرة أصلاً^(١))).

(١) المؤمن، سنوات الجمر، ص ٢٠٩ - ٢١٠. مع ملاحظ أن علي المؤمن أغفل صيغة الخطاب التي توجه بها الخميني إلى السيد الصدر حيث خاطبه بلقب (حجة الإسلام والمسلمين) وهو في عرف الحوزة لقبٌ لصاحب المرتبة العلمية الذي لم يبلغ الاجتهاد أو من هو دون مرتبة المرجعية. بينما لقبه الخميني بـ(آية الله العظمى) A

ولكن للسيد محمود الهاشمي كلام آخر مغاير لما سبق، مع أنه كان خارج العراق وقتها، ويبدو من خلال حديث السيد الهاشمي الآتي أن العلاقة كانت متكررة أو باردة بين السيد الشهيد والسيد الخميني لأسباب تاريخية، وهي تأييد السيد الشهيد لمرجعية السيد الخوئي بعد وفاة السيد الحكيم، ونفس الموقف اتخذهُ السيد موسى الصدر في لبنان، مما أثار حفيظة كادر السيد الخميني الذين كانوا ينتظرون الإشارة بأعلميته أو مرجعيته، وبعد أن خاب أمل السيد الشهيد بمرجعية السيد الخوئي لم يشر أيضاً إلى السيد الخميني بل تصدى هو بنفسه للمرجعية. يقول الهاشمي :

((إن الحوادث التي أعقبت وفاة السيد الحكيم وإرجاع السيد الصدر إلى السيد الخوئي قلبت الأمور رأساً على عقب، وقد فاقم الأمور ما جرى في لبنان من تصنيف السيد موسى الصدر للإمام الخميني بعد السيد الخوئي. وقد أثارت هاتان الخطوتان من السيدين الصدرين حفيظة الكثيرين، والحق معهم في عدم تقبل ذلك؛ لأن السيدين انطلقا من منطلق علاقة التلميذ بأستاذه ورفاقه^(١). وما ساعد على إبهام

=في خطاب التعزية الذي وجهه بعد استشهاده، وهو لقب يطلق على المرجع. أنظر النعماني، (سنوات المحنة وأيام الحصار).

(١) إن تبرير السيد الهاشمي بإرجاع السيدين الصدرين لمرجعية السيد الخوئي لمجرد كونه أستاذهما ليس صحيحاً، فلم يكن منطلقهما مجاملة لأستاذهما وإنما لأسباب واقعية، يضاف إليه أن السيد الصدر كان يرى نفسه الأعمى سواء من السيد الخوئي أو السيد الخميني، كما هو واقع الحال، ولكن عوامل داخلية وخارجية سبق أن مر بعضها أدت إلى تأييده مرجعية السيد الخوئي، بعد ذلك وعندما لم ير فيها ما كان ينشده تصدى بنفسه للمرجعية، في تلك الفترة التي كان طلبته وطبقة معتد بها في العراق وغيره ترجع إليه في التقليد، ومن هؤلاء بلا شك سماحة السيد محمود الهاشمي، وهنا يدور في الذهن سؤال وهو: لماذا هذا التركيز على السيد الصدر دون غيره من المرجعيات والكيانات الأخرى، التي لم تكن ملتفتة على الإطلاق للسيد الخميني وحركته؟، ومعظم هؤلاء من الإيرانيين، سواء في حوزة النجف أو حوزة قم، إذ لم يسأل أحد منهم ما سأل السيد الصدر، ولم يتحاملوا على أحد كما تحاملوا على السيد الصدر، ولم يطلب من أحد منهم تأييد أو إعلان مرجعية السيد الخميني؟، فيا حبذا لو تكرم علينا السيد الهاشمي بتوضيح.

الأمر الانطباع الذي كان يحمله السيد الصدر حول السيد الخوئي وكونه منفتحاً من الناحية الفكرية، فقد سبق أن ذكرت أن من يجالس يستهويه كلامه حول لزوم تشكيل الحكومة الإسلامية وإقامة الحدود، حتى أنه أفتى بعدم اختصاص إقامة الحدود بزمان المعصوم وحضوره، وأن المسألة من بديهيات الإسلام التي ينبغي إقامتها في كل زمان.

إن هذا الفكر المنفتح كان يجعل السامع يعتقد بأنه وبمجرد أن تدعن المرجعية له رقبته فسيعمل على إقامة الحكومة الإسلامية. ومما عزز هذه القناعة أنه كان قد أفتى بكفر الشاه وعدم شرعية الحكومات الفعلية التي اعتبر أموالها مجهولة المالك وأن ملكيتها لها فاقدة للشرعية. والذي يعلن وبكل شفافية فتاوى من هذا القبيل من الطبيعي أن تعقد عليه الآمال بأنه وبمجرد أن يستلم زمام المرجعية فسيعمل على إقامة الحكومة الإسلامية، والحال أن الذي حصل خلاف ذلك تماماً، فتلقى السيد الصدر ضربة قاصمة حيث أسقط بيده وخابت آماله، خاصة وأن السيد الخوئي لم يملأ حتى الفراغ الذي خلفه السيد الحكيم على صعيد التصدي الاجتماعي.

ومما زاد في الطين بلة ما تعرض له الإيرانيون من حملات تسفير شنها النظام البعثي، حيث كان أكثر طلاب السيد الصدر منهم فتلقى ضربة موجعة، ولم يعد ترميم الوضع بالأمر الهين على الإطلاق. ثم توالى الأحداث وتراكمت القضايا التي فاقمت الأمور وراحت تزيدها تعقيداً يوماً بعد آخر. أذكر على سبيل المثال حملات التسفير التي شنها النظام البعثي ضد الإيرانيين، والتي تزامنت مع سفر السيد الخوئي الى بريطانيا [لندن]، الأمر الذي أزعج السيد الصدر كثيراً، وعندما زاره في بغداد [قبل سفره الى لندن] طالبه بمبرر سفره في هذا الظرف، وذكر له أن مكتبه في النجف قد أعلن أن من أراد السفر فليسافر، وأن نتيجة هذا التدبير ستكون زوال الحوزة. فطلب منه السيد الخوئي أن يرجع أدراجه الى النجف وينقل عنه عدم رضاه بسفر أي من الطلاب، فرجع السيد الصدر الى النجف معلناً عن موقف السيد

الخوئي، ولم يطلع صباح اليوم التالي حتى كذب مكتب السيد الخوئي ذلك، حتى قال السيد جمال الخوئي : إن هذا الكلام لم يصدر من والده.

والنتيجة أن السيد الخوئي سافر الى بريطانيا [لندن]، ولولا وقوف الإمام الخميني والمرحوم السيد محمود الشاهرودي وثبات موقفهما لزال الحوزة، ولكن مع ذلك فقد هاجر الكثيرون الى قم، وكان فضلاء الحوزة العلمية في النجف من الإيرانيين، وقلما تجد فيها فاضلاً عربياً، أما اللبنانيون فقد كان عددهم محدوداً.^(١)

((يذكر هنا أنه في بداية الأمر كان السيد مصطفى الخميني يكنُ للسيد الصدر معزة خاصة، ولكن إرجاع الأخير الى السيد الخوئي بعد وفاة السيد الحكيم قد عكّر صفو هذه العلاقة الى حد ما، وكذلك الأمر بالنسبة الى علاقة السيد مصطفى الخميني بالسيد موسى الصدر.^(٢))).

ثم تحدث السيد محمود الهاشمي أنه قال للسيد الصدر بعد هروب الشاه من إيران : ((إن المنطقة ستشهد تحولاً ومنعطفاً مصيرياً بسبب الأوضاع الأخيرة، ومن المؤكد أن صدام حسين لن يدعمك تفتيؤون ظلال الراحة وتقلبون بين أعطاف الدعة، بعد أن شاهد بأم عينيه سقوط نظام الشاه وعدم نجاحه في الحفاظ على ملكه، ولذا فلا بد أن تخرجوا من العراق بأي شكل من الأشكال، فكان رأيه أن أذهب أنا في الوقت الراهن.

فقد أخذتُ من النجف الى بغداد حيث تواريت عن الأنظار، وبسبب معرفتي بحقيقة البعثيين ومدى وحشيتهم وكونهم جرثومة الفساد قلت للسيد الصدر بأنهم سينغصون عليه عيشه؛ لأنهم كانوا يستهدفون القضاء على من كان خلف الأحداث

(١) الاجتهاد والتجديد، العدد السادس ربيع ٢٠٠٧م. ١٤٢٨هـ، ص ٦١ - ٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٤.

الأخيرة التي جرت في العراق، الذي هو السيد الصدر. ولهذا السبب سارعت بالرحيل بمجرد أن اشتعل فتيل الأمور، كما أن السيد الصدر نفسه أوعز لي بذلك، وقال لي بأننا سنبحث لاحقاً من خلال تواصلنا كيف يمكن أن يخرج هو من العراق. فالسيد الصدر لم يكن في الواقع يرفض فكرة الخروج؛ لأن الأوضاع كانت في غاية الخطورة^(١).

ثم يذكر الهاشمي لقاءه بالخميني في قم في آذار ١٩٧٩ وحديثه معه :

((استعرضت أمام الإمام الخميني أوضاع العراق وما آلت إليه الأمور، وذكرت له أن الخطر محقق بالسيد الصدر، وأن البعثيين سيقتلونهم، ولكنه كان يرى أنهم لا يتورطون في إعدام مرجع، والحرب العراقية الإيرانية لم تكن قد بدأت بعد، فلم يكن واضحاً لدى الإمام مدى إجرام صدام حسين، ولذلك قال : إن من البعيد أن يقدموا على هذه الخطوة.

ثم يقول : يبدو أن وكالة الأنباء الإيرانية (فارس) كانت أول من أعلن الخبر وطُيرت ذكره في الآفاق، ثم تناقلته بعض الصحف، وقد أدى ذلك الى شيوع الخبر وانتشاره.^(٢))).

ويختتم الهاشمي توثيقه المهم هذا :

((في العراق كان النظام يحمل السيد الصدر مسؤولية كل ما يجري، ولم يكن السيد الصدر في المقابل مكتوف اليدين، فمن دعمه الثورة الإسلامية في إيران مروراً بتطير الرسائل الرسمية - من قبيل رسالته الى الشيخ الخاقاني - وصولاً الى إقامة الفاتحة للشهيد مرتضى المطهري، الى غير ذلك من الأعمال... لقد كان الوحيد الذي أقام

(١) المصدر السابق، ص ٦٥.

(٢) المصدر السابق ص ٦٦.

للشيخ المطهري مجلساً في النجف، كما أنه وقف بنفسه ليتقبل التعازي. وقد اعتبرت السلطة هذه الأعمال بمثابة التحدي لها، وقد حاول بعض أصدقائه ومريديه أن يزيلوه عن خوض المعركة ويشنوه عنها، وكنتُ منهم، وكان هذا رأي الخواص. ولست أدري كيف شاع أمر خروجه عبر وكالة الأنباء والصحف، وقد اطلع الإمام على ذلك وكتب في ذلك [رسالته المعروفة] ^(١)، معتقداً أن البعثيين لن يقدموا على قتله. ^(٢).

تتضح لنا من حديث السيد محمود الهاشمي عدة نتائج :

- أن العلاقة كانت سيئة ومتوترة بين كادر السيد الخميني وبين السيد الصدر قبل الثورة بكثير بسبب إشارته بالرجوع الى السيد الخوئي بعد وفاة السيد الحكيم عام ١٩٧٠م. وهذا يؤكد كلام السيد كاظم الحائري السابق، بل إن سوء العلاقة لا بد أنه اشتد عند تصدي السيد الصدر للمرجعية بعد خيبة أمله بمرجعية السيد الخوئي، ولم يشر مرة أخرى الى مرجعية السيد الخميني، وهذا زاد الأمور تعقيداً.

- إن إعلان خبر خروج السيد الصدر من العراق خرج بشكل رسمي من السيد الهاشمي وليس من غيره، وانتشر الخبر من الأشخاص حوالي السيد الخميني لأن الكلام كان محصوراً بين الهاشمي والخميني لا غير، إضافة الى خواص السيد الخميني بالطبع. ولكن نلاحظ الغموض في كلام السيد الهاشمي، إذ لم يأت في طيات حديثه مع السيد الصدر أي رغبة ابتدائية بالخروج من قبل الأخير، وإنما كان الأمر بمثابة عرض من الهاشمي ولم يوافق السيد الصدر أو يقطع بالأمر وإنما جُلُّ ما

(١) نلاحظ الإرتباك في حديث السيد الهاشمي ففي الوقت الذي ذكر فيه أنه كان الوحيد الذي يعلم بالأمر وأطلع عليه السيد الخميني، ها هو يعود مستغرباً عن كيفية معرفة وسائل الإعلام بالأمر، ويناقض ما قاله سابقاً بقوله : إن الخميني إطلع على الأمر عن طريق وسائل الإعلام؟.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٦ - ٦٧.

يُفهم من الحديث أنه وعد بأن يفكر بالعرض، وأن السيد الهاشمي هو رأس الأمر في عرض الفكرة على السيد الصدر ومن ثم عرضها على الإيرانيين ومن هناك انتشرت.

- من الواضح أن السيد الهاشمي ممن يذهبون الى نظرية (تفوق العنصر الفارسي) بنفيه وجود فضلاء عرب معتد بهم في حوزة النجف، ولا بد أن نتسامح مع السيد الهاشمي في رؤيته هذه بعد أن تخلى عن درسه باللغة العربية واتجه الى إلقاء بحثه باللغة الفارسية حتى هذه الساعة، وكونه أحد أركان السلطة في إيران كما هو واضح!!، وهذا الاتجاه كان ولا زال راسخاً في العقلية الإيرانية، بينما كان السيد الهاشمي الى ساعة استشهاد السيد الصدر يعتبره الأعلام من بين كافة العلماء حتى من السيد الخميني، فمن الغريب أنه يستهجن عدم إشارة الصدر الى مرجعية الخميني، وسنرى أن الهاشمي يذهب الى أبعد من ذلك عندما اعتبر كل الموجودين في النجف بعد استشهاد السيد الصدر عام ١٩٨٠ من البعثيين ولم يستثن منهم أحداً، وهو تطرف جداً لصالح الإيرانيين في زعمه هذا المجانب للحق.

- من الغريب اللهجة التي أنهى بها الهاشمي حديثه حول أنه كان ممن يذهبون الى عدم صحة دخول السيد محمد باقر الصدر في معركة مع النظام، بينما يعتبر في نفس الوقت كل من لم يدخل في هذه المعركة من البعثيين!!؟؟.

ونختتم الحديث عن هذه المسألة بما نُقل عن السيد محمد الصدر، أنه دار بينه وبين أستاذه السيد محمد باقر الصدر حديث الخروج من العراق، فكانت وجهة نظر السيد محمد الصدر أنه : ((إن كان يفكر بالخروج فليخرج الى لبنان، وإلا فإن الإيرانيين لن يستقبلوه)).

ونلاحظ دقة السيد محمد الصدر في هذا الأمر من ناحيتين، الأولى تشخيصه للنظرة العدائية لأستاذه من بعض الإيرانيين، والثانية أن لبنان التي لا زالت تعيش أمجاد

السيد موسى الصدر وتغييبه، ومقدار القوة التي تتمتع بها حركة أمل التي تعتبر السيد موسى الصدر والسيد محمد باقر الصدر رمزيهما الأولين بلا منازع، يضاف الى أن أعضاء حزب الدعوة هم المؤسسون الأوائل لحركة أمل، التي كانت ستحتضن السيد محمد باقر الصدر وما كانت لتتخلى عنه تحت أي ظرف، وقد اتضح بعد ذلك من خلال ردة الفعل من قبل إيران تجاه إعدام السيد محمد باقر الصدر، التي اكتفت بمقدار من الإعلام وإقامة مجالس تعزية هنا وهناك لا أكثر، وردة الفعل الشرسة من قبل حركة أمل على نفس الحدث صحة نظرة السيد محمد الصدر.

وهنا لا بد من معرفة حقيقة صلة الحركة الإسلامية في العراق مع إيران قبل أو بعد الثورة الإسلامية، أما قبل الثورة فمن السذاجة وطمس لحقائق التاريخ نسبة الحركة الإسلامية في العراق الى تأثيرات إيرانية إسلامية أو غيرها، بل كان النظر الى العراق على أنه المؤهل الأول في العالم الإسلامي لاحتضان الدولة الإسلامية لما يمتلك من قيادات دينية وفكرية لها أكبر الأثر على العالم الإسلامي، فمنه انطلقت كل شرارات ومبادئ التغيير على كافة الأصعدة، فلم يذهب عن صفحات التاريخ دور المجدد الشيرازي الذي أوقف مخططات الشاه والبريطانيين، والحركة العلمية الوحدوية التي تزعمها تلميذه جمال الدين الأفغاني، والنهضة الفكرية التي تجسدت في الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، وتأسيس النظرية السياسية للشيخ النائيني في كتابه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة)، ناهيك عن حركة المشروطة التي تفتخر بها إيران الى هذا اليوم، وهي لم تنطلق إلا من النجف.

أما في وقت وصول السيد الخميني الى النجف فلم تكن الحوزة فيه عاجزة أو متخلفة عن الركب، خاصة وجود المرجعية القوية متمثلة بالسيد محسن الحكيم الذي يكاد أن يكون صاحب الكلمة الأولى في العراق في ذلك الوقت، ومن بعده السيد محمد باقر الصدر الذي تصدى للمرجعية رسمياً بعد وفاة الحكيم، نضيف الى ذلك العدد الكبير من العلماء والمفكرين الإسلاميين والتعاطف أو التجاوب الشعبي الكبير

معهم، وكانت النجف الأشرف هي المصدر الأول لكل القيادات الإسلامية منذ أكثر من خمسين عاماً، فحركة السيد موسى الصدر تبلورت في النجف، ومن بعده من القيادات الإسلامية في لبنان كقيادات المقاومة الإسلامية وغيرها حتى الساعة إنما هم تلامذة درسوا وتربوا وتخرجوا من مدرسة النجف، وحتى الأفكار السياسية الرئيسية للسيد الخميني حول الحكومة الإسلامية إنما صُقلت وظهرت في النجف الأشرف بعد سنة ١٩٧٠، وهي ما عرف بـ(ولاية الفقيه) أو (الحكومة الإسلامية) وهي محاولة بدائية صغيرة، ولم يسبقها للسيد الخميني أي تنظير للدولة، وأما في النجف فقد سبقه في هذا المضمار السيد محمد باقر الصدر الذي نظر للدستور الإسلامي أو الدولة الإسلامية قبل مجيء الخميني إلى النجف، فقد كتب ("أسس الدولة الإسلامية" عام ١٩٥٧، وتأتي أهمية هذه الأسس من ناحية فقهية، وكذلك من ناحية قانونية، من أنها أول مجموعة أصول للدستور الإسلامي، إذ لم يعهد قبلها أن وُضعت أصول للدستور الإسلامي.^(١)). وكتب في شباط ١٩٧٩ بحث بعنوان "لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع الجمهورية الإسلامية في إيران" وهذا البحث في حقيقته مسودة لدستور الجمهورية الإسلامية، ولقد كتبه لكي تستفيد منه القيادة الإسلامية التي أرادت تدوين دستور لمشروع الجمهورية الإسلامية التي نادى بها الخميني في نهاية عام ١٩٧٨، وقد أرسله إلى الخميني بواسطة أحد طلابه وهو محمود الهاشمي^(٢).. وكذلك كتاب تلميذه السيد محمد الصدر المهم (نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان) الذي كتبه عام ١٩٦٢، وفيه مناقشات لللائحة حقوق الإنسان الذي لا يمكن

(١) الفضلي، عبد الهادي، الأسس الإسلامية ص ٣٢٨، نقلاً عن أحمد مجيد، التيارات والأحزاب السياسية المؤثرة في نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد.

(٢) محمد حسين جمشيد، دور فكر الشهيد الصدر في الثورة الإسلامية في إيران، ترجمة علاء رضائي، قضايا إسلامية، العدد "٣"، ١٩٩٦، ص ٢٧٤، نقلاً عن أحمد مجيد، مصدر سابق.

أن ينفصل عن أي دستور عالمي، وقد أشار في هذا الكتاب الى مبدأ ولاية الفقيه كحاكم للدولة الإسلامية، الذي رَدَّ فيه على مبدأ الشورى الذي تبناه أستاذه الصدر الأول، كما سنرى لاحقاً إن شاء الله تعالى؛ ومحاولته (القانون الإسلامي وجوده، صعوباته، منهجه) عام ١٩٦٠، وتوسع في الحديث عن شكل الدولة الإسلامية في كتابه (اليوم الموعود بين الفكر والديني والمادي) الذي صدر منتصف السبعينات. بينما نجد أن أول حركة سياسية ملفتة للسيد الخميني ضد الشاه كانت عام ١٩٦٣، ولم يسبقها أي دور سياسي مهم له على الصعيد النظري أو العملي، ولا يخفى لمن اطلع على أهم كتاب للسيد محمد باقر الصدر (اقتصادنا) يجد أنه نواة لاقتصاد دولة إسلامية وهي محاولة غير مسبقة بهذا المستوى.

لذلك نجد من الظلم أن تنسب كل إنجازات وتاريخ الحركة الإسلامية في العراق الى فضل الثورة الإسلامية في إيران سنة ١٩٧٩، مع أن لها أثرها البالغ بعد ذلك في محاولات شيعة العراق المتكررة للخروج من النفق المعتم، لأنهم شعروا بإمكانية تحقيق أملهم الذي انتظروه منذ قرون طويلة قاسية.

ويذكر أحد المؤرخين :

((ويبدو أن قرار إعدام الدعاة جاء تنويجاً للخطة الخمسية للقيادة القومية لحزب البعث، والتي عمّمها عام ١٩٧٦ على الكوادر المتقدمة في الحزب الحاكم، وتهدف الى إنهاء الحركة الإسلامية في العراق خلال خمس سنوات، أي أن السلطة خططت في أواسط السبعينات لتحصل في عام ١٩٨٠ على وثيقة دفن الحركة الإسلامية. وهذا ما يدحض الاعتقاد السائد لدى البعض بأن هجوم النظام العراقي على الإسلاميين هو من إفرازات الانتصار الإسلامي في إيران. ^(١))).

والغريب في الأمر أن الصدر الأول أعدم ولم يجد حوله أحداً يذكر من طلابه ومن كان يعول عليهم، باستثناء ابن عمه السيد محمد صادق الصدر وابنه السيد محمد

(١) المؤمن، مصدر سابق، ص ٢٥٠.

الصدر الذي نجى من المقصلة لبعده عن حزب الدعوة ورفضه الانتماء إليه منذ التأسيس^(١)، وكانت وجهة نظره واضحة بهذا الصدد، بل نجد في كلماته ما يؤكد أن الذي نصحه بعدم الخوض في السياسة والدخول في معتركها هو الصدر الأول، نسمعه يقول :

((لم أشارك في عمل معين سوى إتباع السيد (أي أستاذه الصدر الأول) في كل ما يفعل ويقول، وكان هو (قدس سره) ينصحنى باتخاذ مسلك العلماء دون مسلك آخر، وبقيت أفكر في نفس الاتجاه العام، وصدرت مؤلفاتي على غرار ما إلى أن التفتُ إلى عيوب نفسي وقلبي وضرورة التكامل من هذه الناحية، وقد كان الالتفات في زمن السيد نفسه، وقد احتج عليّ في حينه الكثيرون من الفضلاء الواعين، حتى أن أحدهم طلب مني المباهلة فأبيت بطبيعة الحال، ولعل الوحيد الذي كان يحترم مسلكي ويفهمه إلى حدٍ محترم هو السيد نفسه، فجزاه الله خير جزاء المحسنين. (٢)).

وسوف نفصل أسباب هذا التوجُّه عند الحديث عن الصدر الثاني إن شاء الله تعالى.

ولعلنا نجد من الغريب أن حزب الدعوة طيلة هذه المدة التي تجاوزت العقدين من الزمن لا يمتلك جناحاً عسكرياً، وجاء التحرك بهذا الاتجاه بعد فوات الأوان، أو هو موجود سابقاً ولكنه لم يفعل في الوقت المناسب.

ولم ينته الأمر بالقضاء على قائد الحركة الإسلامية بل أن حمام الدم كان أشد وأوسع بعد استشهادهِ، حتى أن حزب الدعوة عندما عاد إلى العراق سنة ٢٠٠٣

(١) لم يغفر أقران السيد محمد الصدر له نجاته من جبل المشنقة، فشنوا عليه أكبر حرب في تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية كما سنرى.

(٢) العقبوي، محمد، الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه، ص ٣٤ - ٣٥.

بصحبة العدو القديم (أمريكا) لم يجد أمامه في العراق من يتذكره أو يرتبط به؟! ليس فقط لأن هذا الحزب خرج من الساحة الاجتماعية والدينية العراقية خلال هذه الفترة نتيجة الحملة الدموية التي استهدفت قياداته وكوادره، بل لأن هذا الحزب الذي كان يمثل خيرة شباب العراق ومثقفيه تحول الى منظمة براغماتية لا تختلف عن أي حزب ومنظمة سياسية أخرى، فها نحن نراه اليوم يتقاتل من أجل الوصول الى أية مغانم مهما كان الثمن، وقد أظهر من الفساد الذي تعاب عليه باقي الفئات ما لا يقل عن غيره إن لم يكن قد زاد على ذلك، لذلك نجد من الضروري أن نضع أمام أعيننا الفارق الجوهرى بين حزب الدعوة ما قبل استشهاد السيد محمد باقر الصدر، وبين حزب الدعوة اليوم، وهذا الفارق أساسى لكي لا نكون ممن ضيع تلك الدماء الزكية التي وضعت نصب أعينها مصلحة الإسلام قبل مصلحتها الحزبية الضيقة.

كانت المحاكمات الصورية تجري في كل يوم، وكانت الأحكام تشمل جماعة تلو الأخرى وقد ((بلغت أعداد المدومين ٣٠٠ - ٤٠٠ شاب يومياً كما ذكرت الصحافية المصرية صافيناز كاظم^(١))).

وكان كل من يصلي في مسجد أو حسينية، وكل من يطلق لحيته، وكل من يشارك في زيارة للمراقد المقدسة، وكل من يشتري كتاباً شيعياً، وكل من يلتقي بمتهم بالانتماء لحزب الدعوة، وأفراد أسرته، ومن له درجة قريبة من صلة القرابة، فهو متهم بالانتماء الى حزب الدعوة وقد يعدم بهذه التهمة، والحقيقة أن معظم المتهمين والمعدومين لم تكن لهم صلة مباشرة بحزب الدعوة، والنظام كان على علم بذلك، ولكن هدفه كان أوسع من ذلك كما قلنا سابقاً، وهو القضاء على جيل كامل تأثر واستلهم من السيد محمد باقر الصدر.

(١) المؤمن، مصدر سابق، ص ٢٤٢. للاطلاع على تفاصيل المجازر التي طالت أتباع حزب الدعوة وغيرهم من أبناء الحركة الإسلامية راجع هذا الكتاب، وكتاب صلاح الخرسان (حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق).

ولا شك أن عملية التصفية الشاملة هذه أكبر من حجم رجل واحد مثل صدام أو حزه الذي كان يفتقر لأبسط قدرات التخطيط، ولا شك أن الأمر تقف وراءه عقول وأيدي إقليمية ودولية كما يلاحظ علي المؤمن :

((وأخذت معالم التغيير في بنية الحزب الحاكم والدولة بالبروز بعد زيارة وزير الخارجية البريطانية اللورد "كانغتون" الى العراق في ١٩٧٩/٧/٢ واجتماعه بصدام حسين فقط، مؤكداً على ضرورة تسلمه مهام قيادة السلطة الأولى في البلاد بدلاً من أحمد حسن البكر، كحل يفرضه الوضع الراهن. وتذكر بعض المصادر الإسلامية أن الوزير البريطاني أشار الى الخطوط العريضة لأساليب مواجهة الحركة الإسلامية.^(١))).

وبصرف النظر عن مدى دقة هذه المعلومة إلا أن المتيقن أن الغرب كان وراء الحرب مع إيران بصورة مباشرة أو غير مباشرة، كما أن عدااء الحكومات الغربية للإسلام لا يحتاج الى دليل، فكيف ببلد كالعراق يربض على أكبر مخزون نفطي في العالم، الذي كان مؤهلاً لاحتضان حكومة مستقلة عن الهيمنة الغربية. وكان واضحاً الأثر الذي تركه السيد موسى الصدر في لبنان وتأسيسه المقاومة الإسلامية التي أزعجت الكيان الصهيوني لقيط بريطانيا المدلل، فكيف سيكون الحال فيما لو تمكن السيد محمد باقر الصدر من قيادة البلد، والغرب لا تخفى عليه بالتأكيد الصلة والعلاقة بين موسى الصدر وابن عمه محمد باقر الصدر، إضافة الى انتصار الثورة الإسلامية في إيران، فيكون الوضع لا يحتمل بالنسبة للغرب بل وحتى الدول العربية القريبة والبعيدة.

ولم يُقدم صدام على إعدام الصدر الأول إلا بعد أن قام بتصفية أو اعتقال أو تشريد كل الرؤوس التي كانت تحيط به :

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٩.

((فحين اعتقل السيد الصدر كانت جماهير النجف وكربلاء والكاظمية وبغداد ومعظم مدن الجنوب مشغولة بنفسها، فبين معتقل ومهجر وملاحق، أو مدعو لاستلام جثة أحد ذويه، كما أن ٩٠٪ من تلامذة الصدر والمقربين منه وقادة التحرك الإسلامي كانوا هم أيضاً بين معتقل أو معدوم أو متخفٍ أو مهاجر خارج البلاد، وذلك يعني أن العملية ليست بالهينة، بل باتت الأحداث يكمل أحدها الآخر بشكل لم يحدث معه ردُّ فعل كبير يتلاءم وحجم القضية. ^(١))).

وعلى الرغم من الحكم بتحريم الانتماء الى حزب الدعوة على طلبة العلوم الدينية الذي أصدره السيد محمد باقر الصدر أوائل سنة ١٩٧٤، ونصه : ((لا يجوز انتماء طلاب العلوم الدينية إلى الأحزاب الإسلامية لأن وظيفة طالب العلم هي التبليغ والإرشاد على الطريقة المألوفة بين العلماء. ١٠ شعبان ١٣٩٤. ^(٢))).

إلا أن ذلك لم يشفع في عدم محاولة تصفية الحوزة في النجف الأشرف، وللتأريخ فإن معظم رجال الدين الذين ارتبطوا بحزب الدعوة لم يفارقوه، ولم يرضخوا لهذا الحكم، وحاول البعض أن يبرر ذلك بأن الحكم صدر تقيّةً حتى لا تتعرض الحوزة للإبادة، ولم يكن هذا الحكم ملزماً لهم حسب رأيهم، ولكن مع صحة هذا الفرض، إلا أن عدم الانصياع سيؤدي الى المحذور المفترض وهو ما حصل، ولكن من الدلائل على أن السيد محمد باقر الصدر كان جدياً في حكمه هذه تكليفه أهم طلبته بالتبليغ عنه ومنهم السيد محمد الصدر الذي اتخذ من غرفته في مدرسة (اليزدي الصغرى) مقراً لتبليغ طلبة الحوزة وأساتذتها بهذا الحكم كما ذكر تلميذه السيد فاضل النوري ^(٣)، و ((كلّف السيد محمد باقر الحكيم بتبليغ بعض قيادات حزب

(١) المصدر السابق، ص ٢٥٣.

(٢) الخرسان، مصدر سابق، ص ٢٠١.

(٣) السيد الشهيد محمد الصدر، بحوث في فكره ومنهجه وإنجازاته العلمي، مصدر سابق، ج ١ ص ٧٢.

الدعوة^(١)))، وكذلك يدل بوضوح على جديته وصرامته فيه حين رفض السيد كاظم الحائري الإلتزام بهذا الحكم، مما أدى الى قطيعة بينه وبين أستاذه الصدر. وعلى أثر ذلك رحل السيد كاظم الحائري الى إيران ولم يعد مرة أخرى الى النجف، ولكن عاد التواصل مع أستاذه بالمراسلة^(٢). وسيأتي الكلام في هذه المشكلة لاحقاً.

نتج من عدم الإنصياح لهذه الفتوى أن وجد صدام المبرر والعتذر على استمرار رجال الدين هؤلاء بالتنظيم، وإن كانت حملة صدام قد طالت كل رموز الحوزة تقريباً حتى المنتسبين لمدرسة السيد الخوئي، الذي لم تكن له أية صلة تذكر بالعمل السياسي، فسياسة التهيب طالت الجميع سواء كانوا على علاقة بالعمل السياسي أو لم يكونوا كذلك.

((وفي عام ١٩٧٩ تعرض الابن الأكبر للسيد الخوئي ومدير شؤونه العامة السيد جمال الدين الى الإعتداء المباشر والضرب المبرح من قبل أزام النظام في داره، اضطر على أثره الى ترك العراق والإقامة في سوريا، وفي عام ١٩٨٢ أعدم السكرتير الشخصي للسيد الخوئي السيد محمد تقي الجلالى بتهمة الخيانة، وتعرضت سيارة السيد الخوئي لحادثة تفجير سنة ١٩٨٣، وفي عام ١٩٨٥ اغتال رجال الأمن السيد نصر الله المستببط صهر السيد الخوئي ومرشحه للمرجعية من بعده عن طريق زرق إبرة قاتلة، واعتقال عدد من المقربين من السيد الخوئي، والذين لم يعرف مصيرهم حتى الساعة منهم الشيخ محمد تقي الجواهري عضو لجنة الإستفتاء، والشيخ هاشميان محرر التأليفات، والشيخ أحمد الأنصاري، والشيخ محمود الدماوندي، والشيخ نثار الكشميري، كما أقدمت السلطات في أواخر عام ١٩٨٦ على اعتقال الأخوين محسن وحسين الميلاني وهما أخوة السيد محمود الميلاني صهر السيد

(١) الخرسان، مصدر سابق، ص ٢٠٠.

(٢) للإطلاع على تفصيل هذه القضية راجع الخرسان، حزب الدعوة حقائق ووثائق ص ١٩٧-٢٠٦.

الخنوي، واستخدمتهما السلطة في محاولة انتزاع بيان من السيد الخنوي ضد الجمهورية الإسلامية في إيران فرفض ذلك، فأعدمتهما السلطة في اليوم التالي^(١))).

وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقاً أن الهدف كان أكبر من مجرد إيقاف تنظيم سياسي يهدد النظام، وإنما تغيير خارطة جغرافية وسكانية لأكثرية أبناء العراق. فبالإضافة الى هذه التصفية المنظمة قام النظام بتهجير سكاني للمناطق المحيطة ببغداد وفرض طوق حولها مبتدئاً بالأنبار الى جنوب بغداد ليلتف شمال شرق بغداد بمحافظة ديالى، وكان السكان الجدد من أبناء الطائفة السنية، وبنى مدينة جديدة في بركة محافظة ديالى في النهروان وأسكن فيها عشرات الآلاف من الشيعة بعد تهجيرهم من قلب بغداد وضواحيها، وكان من ضمن مخططاته بناء مدينة أخرى بعيدة عن التجمعات الرئيسية وتهجير سكان حي الثورة (مدينة الصدر حالياً) إليها، وهو حي تسكنه غالبية شيعية عرفت بعداءها للنظام وتواصلها مع القيادات الإسلامية، حتى يُنقل أن السيد محمد باقر الصدر كان يقول : (الثورة تنطلق من الثورة). فتعرضت لشتى أنواع الضغوط الاقتصادية والأمنية والاجتماعية، وقد حاول النظام طيلة عقد الثمانينات مسخ وتشويه الأخلاق في هذا الحي الذي يعد من أكبر التجمعات السكانية في العراق، فانتشرت فيه مظاهر الانحلال للشباب، وكثرت فيه ظاهرة (الشقاوات)^(٢)، ولا يكاد يخلو قطاع أو شارع منهم، وكانوا يفرضون وجودهم على الناس ويسببون الكثير من المشاكل، حتى أصبحوا يشكلون خطراً على الوضع العام في الحي، ولكنهم في نفس الوقت يشاركون المجتمع في كراهيتهم للنظام وحزب البعث، فتخوف منهم النظام لأن جذور صدام ورفاقه القدماء (كما ينقل بكثرة) تعود الى هذه الفئة سابقاً في أحياء بغداد القديمة كحي الفضل والشيخ عمر، وكانت خشيته من أن يتحولوا الى

(١) الشهيد محمد تقي الخنوي، ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) أي الفتوات.

عصابات كبيرة قد تهدد سيطرته على الحي، فبطش بهم آخر المطاف ونظف حي الثورة منهم تقريباً.

ومن أساليب النظام في مواجهة الحركة الإسلامية نشر الرذيلة في مختلف أنحاء البلاد، فكانت بيوت الرذيلة تمارس عملها علانية في أماكن متفرقة من بغداد، وكان النظام يسعى الى إيجادها قرب المناطق التي تعد مركزاً تسويقياً كالتى في ساحة الميدان وحي البتاوين وشارع أبي نؤاس وسط بغداد، أو في مناطق تسكنها أغلبية شيعية ذات توجهات دينية تقليدية عموماً كحي الكمالية الذي هو عبارة عن مدينة كبيرة، فكان سكنى الغجر عند مدخل الحي، ولكن أهالي الحي رفضوا بشكل تام أي شكل من أشكال التعامل معهم واحتقروهم اجتماعياً، فكان الغجر يشترى حاجياتهم الضرورية وغيرها من خارج الحي، وبعد أن يأس أهالي الحي من أية بادرة لغلق هذه الأماكن تربصوا أقرب فرصة للانقضاض عليها، ونتج عن ذلك أن حدثت إنتفاضة من قبل الأهالي في حزيران / يونيو سنة ١٩٨٦، شارك فيها عدة مئات من الشباب هناك، هاجموا فيها مقرات الرذيلة وحطموا محتويات منازلهم، وسادت الفوضى، وكادت الأوضاع أن تخرج عن السيطرة تقريباً لولا أن النظام سارع الى إدخال قواته وحاصر الحي بأكمله، واعتقل بعض المنظمين لهذه الحركة والمشاركين فيها، بعدها قام النظام بغلق هذه الأماكن ولكنها أعادها بالتدريج، مما نتج عنه انتفاضة ثانية عام ١٩٩١ في نفس أيام الإنتفاضة الشعبانية، مما أدى الى غلق هذه الأماكن تقريباً، وغدوا يمارسون عملهم خلسة وليس كما في السابق. الى أن تمّ ترحيلهم من قبل الأهالي وبصورة نهائية بعد يوم واحد من سقوط النظام عام ٢٠٠٣. وكانت هناك أماكن أخرى في الجنوب كقرية الغجر في نواحي الفجر في الناصرية، وشارع بشار في مركز محافظة البصرة، وقرية الغجر في ناحية كنعان في محافظة ديالى، وأوجد في كل محافظة أوكاراً مهمتها نشر الرذيلة ومحلات لشرب الخمر حتى في المحافظات التي تعتبر محرمة ومقدسة.

اتخذ النظام سياسات متنوعة لمسح الهوية في العراق، ومن الواضح أنه استفاد من التجربة السوفييتية التي استخدمها قادة الاتحاد السوفييتي ضد الجمهوريات التي ضمها الى الاتحاد، فإن التغيير طال كل شيء، فالدين رجعية وتراث، بل كل المعاني الروحية مجرد انعكاسات لتغيرات وإفرازات هرمونية، أما في العراق فكما قلنا لم يكن عند صدام الكادر المتخصص الذي بإمكانه وضع خطة كاملة مع وجود أدوات تنفيذ فعالة، ولكنه بذل كل ما يستطيع ففي مدارس الابتدائية التي هي نواة المستقبل يجب أن يجتمع الطلاب في ساحة المدرسة قبل الشروع بالدروس بإجراء سُمي (رفع العلم)، وفي أثناءه لا بد من ترديد شعارات وأهداف حزب البعث، فيقف أحد الطلبة بعد رفع العلم على سارية وسط الساحة، ثم ينادي أحدهم : (شعارنا؟)، فيجيب الطلاب بصوت مرتفع : (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة)، فينادي مرة أخرى : (أهدافنا؟)، فيجيبون : (وحدة حرية اشتراكية)، ثم ينسحب الطلاب بعد كلمة قصيرة للمدير أو من دونها أحياناً، ولا يمكن التخلف عن وقفة رفع العلم، فيقوم كل معلم بإحصاء طلاب الصف المسؤول عنهم، ومن يتأخر أو لا يحضر فإنه يعاقب، وبعد ذلك ينسحب الطلاب على شكل طابور عسكري الى الصفوف، وعندما يدخل المعلم الى قاعة الدرس يقول مراقب الصف : (قيام) فيجب أن يرد الطلاب الصغار : (عاش القائد صدام)، فيقول المراقب : (جلوس) فيجيبون : (يسقط الفرس المجوس)^(١).

تمَّ زجُّ طلبة الابتدائية من الجنسين في تنظيم شبه عسكري يسمى (الطلائع)، وطلبة المتوسطة بتنظيم يسمى (الفتوة)، وبدأ هذا التنظيم قبل الحرب العراقية الايرانية

(١) بعد خروج الأطفال من المدارس كانوا يتندرون على هذه الشعارات فيقول أحدهم : (قيام)، فيجيبون : (ما عدنه (ما عندنا) أقلام)، فيقول مرة أخرى : (جلوس)، فيجيبون : (ما عدنه فلوس). وهذا كله لا يعني أكثر من السخرية بالنظام ولكن بصورته الساذجة عند الأطفال، وهو يعبر بكل تأكيد عن رفض الشعب للنظام، بحيث لا تترك صغيرة أو كبيرة إلا وتجد بازاءها سخرية.

بستين أو ثلاث سنوات، وكانت مراكزها مقرات تسمى (المنظمة) بمعدل منظمة واحدة في كل حي من الأحياء، وكان يفرض تدريب عسكري على الجميع، ويؤثر الحضور أو عدمه في هذه النشاطات على الطالب في المدرسة من خلال رفع التقارير الى مدير المدرسة في الابتدائية أو الى إتحاد الطلبة في المتوسطة والإعدادية، وأصبح وجود المعلمين والمدرسين المنظمين في حزب البعث أمراً أساسياً، وكان لزاماً على طلاب المتوسطة الحضور في اجتماعات حزب البعث المسائية مرة واحدة في الأسبوع على أقل تقدير في مساء الخميس أو الجمعة، ونفس الحال بالنسبة لطلبة الجامعات والمعاهد.

اتخذ النظام خطوات مع استمرار زمن الحرب أكثر من المتوقع لرصد جبهات القتال بالجنود، إذ أصبح التدريس في المدارس الحكومية دون المستوى المطلوب والامتحانات صعبة نسبياً، للحصول على أكثر عدد من الراسبين الذين لا بد من أن يلتحقوا بالجيش بعد رسوبهم ستين في الثالث المتوسط فيما إذا كانوا ضمن السن المطلوبة قانونياً للتجنيد الإجباري، وكانت الظروف الاقتصادية آخذة في التدهور إضافة الى الحالة النفسية العامة المتردية، فإن كل بيت في العراق تقريباً فُجع بضحية له في الحرب، يضاف الى ذلك أن الكثير من الذين يتجاوزون امتحان البكالوريا في الثالث المتوسط بمعدلات منخفضة يكون نصيبهم الالتحاق في أحد مراكز التدريب المهني العسكرية ك(الطبابة العسكرية، القوة الجوية) وغيرهما، مما يوفر كوادراً أساسية يحتاجها النظام في جبهات القتال أو مؤسساته العسكرية، وقد نتج عن ذلك كثرة العاطلين عن العمل بعد سقوط النظام لأن هذه الأصناف لم يعد لهم عمل، ونتيجة لسحب أعداد كبيرة من المعلمين والمدرسين الى جبهات القتال اضطر النظام الى الإستعاضة عنهم بالكادر النسوي ليسد النقص، وكذلك استعان بأساتذة من جنسيات عربية أخرى (مصريين وفلسطينيين).

أما قوات الحرس الجمهوري التي كانت في البداية لا تستقبل إلا من هم من قرابة النظام أو من محافظاته المقربة كصلاح الدين والموصل وتكريت وديالى والأنبار، إلا أنها مع تواصل الحرب أخذت تستقبل كل المتطوعين من شتى المحافظات، وكان السبب الرئيسي الذي يدفعهم هو الامتيازات المالية التي كانت تمنح لهم، فإن الجندي العادي كان راتبه عشرون ديناراً وبعد صرف زيادة خطورة أو إنذار غدت خمس وثلاثون ديناراً أي ما يعادل حوالي مائة دولار أمريكي منذ نشوب الحرب عام ١٩٨٠، واستمر راتب الجندي العادي بهذا المعدل الى نهاية الحرب مع إيران.

منح النظام لذوي ضحايا الحرب (القتلى) مبلغاً من المال قدره عشرة آلاف دينار عراقي (ما يعادل ثلاثين ألف دولار أو أكثر بقليل عام ١٩٨٠)، وسيارة صنع ياباني نوع (كرونا)، وقطعة أرض تبنى كدار، ويُذكر أن هذه المنحة تبرعت بها دول الخليج كتعويض للقتلى، ولكنها قُطعت عن ذوي الضحايا بعد استمرار الحرب أكثر من المتوقع، وبدأت ميزانية النظام تعاني من نقص ومديونية بلغت أكثر من سبعين مليار دولار مع نهاية الحرب.

وتحول أبناء المحافظات الموالية للنظام الى صنف الحرس الخاص الذين يعرفون جيداً في العراق لما لهم من أدوار قدرة في قمع الشيعة خصوصاً في الانتفاضة عام ١٩٩١.

أما المنظمات والفرق والشعب الحزبية فقد انتشرت في كل منطقة، ولم يستثن من ذلك حتى أقصى الريف، وكانت مهمة هذه المقرات البحث عن الذين لم يشملهم قانون الخدمة العسكرية ممن يتجاوزون السن القانونية لها، وكانت مهمتهم بداية الحرب مع إيران تكوين فرق احتياطية للاشتراك في الحرب سُميت بـ(الجيش الشعبي)^(١)، ولكن بعد أول مشاركة تم القضاء عليهم تقريباً في جبهة القتال، فاقصر

(١) وسط هذا الوضع المزري كانت النكت (الطرائف) في الشارع العراقي مستمرة، وبخصوص الجيش الشعبي كانت كثيرة جداً، منها : أن أفراد حزب البعث دخلوا مسلحين الى مدينة لتسخير الناس في الجيش الشعبي، A

دورهم بعد ذلك على ملاحقة كبار السن لتسخيرهم في الواجبات الليلية في المنظمات والفرق والشعب الحزبية، وبعض المهام الوضيعة الأخرى كجمع التبرعات الإجبارية من البيوت كما حصل في الثمانينات عندما فُرض على كل عائلة أن تتبرع بقطعة من المصوغات الذهبية. وكانت مهمتهم الرئيسية الأخرى مطاردة الهاربين من الجبهة، وكانت نسبة الهاربين كبيرة جداً، خصوصاً في حي الثورة (مدينة الصدر)، وقد ضغطت السلطة على ذوي الهاربين الى درجة اعتقال بعض أفراد عائلة، ولم يكن يطلق سراحهم إلا بعد تسليم الهارب نفسه للسلطات، وكان الهارب من الجيش لا يستطيع مراجعة أية دائرة حكومية، ولا يستطيع أن يصادق على زواجه في المحاكم العراقية ما لم يجلب تأييداً من وحدته العسكرية تؤيد استمراره في الخدمة العسكرية، وكان حكم الإعدام يواجه كل الهاربين خصوصاً عند وقوع هجوم جديد على جبهة القتال، ويدل على كثرة الهاربين أعداد العفو الكثيرة التي أصدرها النظام لكي يلتحق الهارب ويسلم نفسه للجهات الأمنية أو إحدى منظمات أو فرق حزب البعث. وكان الهروب من الجبهات شبه مستحيل أيام احتدام الموقف على الجبهات فقد شكّل النظام فرق إعدامات خلف خطوط الجيش لها صلاحيات تنفيذ الإعدام الفوري لكل من يشكون في هربه من الهجوم.

وأعدم النظام أعداداً في المدن بشكل علني، وكان يلزم ذوي المعدم بدفع ثمن الإطلاقات التي أعدم بها ولدهم.

((وفي الفترة بين ١٩٨٥ - ١٩٨٦ أعدم النظام أعداداً كبيرة من المعتقلين بسبب رفضهم التطوع للقتال ضد إيران، بينما فضل الآخرون الاستجابة تخلصاً من

=وكان من بين الهاربين جرد فسأله أحد الهاربين : يا هذا لماذا تركض؟، فأجابه : خوفاً من تسخيري ضمن الجيش الشعبي، فقال له : ولكنك جريذي (جرذ) من يهتم لك؟، فأجابه : الى أن أثبت نفسي جريذي رايح جلدي للدباغ. وهكذا المئات من هذه النكت التي لم تترك مفصلاً من مفاصل النظام إلا وتندرت عليه.

الموت^(١))).

بعد ذلك تطورت أساليب النظام في معاقبة الهاربين من الجيش بقطع أذن الهارب، وكانت العملية يقوم بها أحد الاطباء بصورة إجبارية. وكان يعاقب بقطع لسانه من يذكر السلطة بسوء. وهذه الإجراءات نفذت بعد حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١.

ومن الملاحظ أن النظام كان يستهدف مسخ الاخلاق بتواصل وفي كل فرصة حتى أنه كان يلزم بتعليمات صارمة كل الوحدات العسكرية بتجميع كل أفراد الجيش وعرض أفلام إباحية، ولا يستثنى من الحضور لمشاهدتها لأي عذر، ومن كان يتغيب كان يصنف ضمن عملاء النظام الإيراني.

يضاف الى ذلك الاجتماعات الحزبية وبعض الممارسات ودفع بدل اشتراك لكل أفراد الجيش وبمختلف رتبهم وأصنافهم، ويشرف على هذا الجانب دائرة (التوجيه السياسي) التي هي أهم وأعلى جهة في الوحدات العسكرية، ويدير هذه الدائرة منتسبو الاستخبارات العسكرية.

وكانت من مهام أفراد حزب البعث متابعة أي نشاط مشبوه ذي صفة دينية أو سياسية، وكانوا يحسبون على الناس أنفاسهم، فربما كلمة أو إشارة وتلميح أو سوء فهم قد تؤدي الى السجن أو المشنقة أحياناً، مع ذلك كانت نسبة هؤلاء الحزبيين قليلة جداً وهم محتقرون من قبل كل أفراد المجتمع، وفي نفس الوقت كان الهاربون من أمامهم يواجهون مشاكل لتعذر كسبهم لرزقهم أحياناً كثيرة، بسبب الرقابة الصارمة والترصد بهم، فكان معظم هؤلاء يعملون في أماكن خارج بلداتهم ويعودون ليلاً بشكل متخفي حتى لا يتم رصدتهم.

(١) المؤمن، مصدر سابق، ص ٣٥١ و ٣٥٢.

انعدمت من المكتبات العامة الكتب الشيعية، وأصبح من المتعذر الحصول على المصادر أو المراجع الفكرية أو العقائدية والتاريخية، وحتى كتب الأدعية كـ(مفاتيح الجنان وكتب السيد علي بن طاووس وضياء الصالحين، وغيرها) مُنعت وصدر بحق من يتداولها تهمة (الدعوة الى الطائفية أو الشعوذية)، وكانت بعض كتب الأدعية متوافرة داخل العتبات المقدسة ليدعو بها الزائرون، ولكن تم سحبها بعد منتصف الثمانينات فلا تجد غير المصاحف.

في نفس الوقت توقفت إصدارات النجف إلا النزر اليسير كالرسالة العملية للسيد الخوئي التي لم تتوقف طباعتها تقريباً في النجف الأشرف، ومن الجهة الأخرى كانت كتب علماء السنة التاريخية والعقائدية تطبع بكثافة في بغداد، ولم تخل طباعتها من منفعة وما كان النظام ليرغب بذلك لو علم بمردوداته.

وهنا قام النظام بخطوة ظناً منه بمجدواها في هذا الاتجاه، أن افتتح مؤسسة للتأليف والطباعة والنشر يديرها خال صدام (خير الله طلفاح) وكانت مهمة هذه المؤسسة اصدار عشرات الكتب وبيعها بأسعار منخفضة جداً، وكانت أهم تلك الاصدارات سلسلة (كتتم خير أمة أخرجت للناس) وسلسلة (كيف السبيل الى الله) وكلا السلسلتين كان مؤلفها حسب ما هو مدون عليها خير الله طلفاح، والحقيقة كما هو مشهور أن لجنة كبيرة كانت تقوم بكتابة هذه الكتب، وهذه حالة تكاد لا تخلو منها مؤسسة في العالم، فسرقه الجهود أو استغلال الظروف الاقتصادية للمؤلفين كان ولا زال متفشياً لصناعة أسماء وعناوين ضحلة.

كان هدف هذه المؤسسة إعادة كتابة التاريخ والعقائد بما يتناسب مع التوجهات الطائفية المعادية للشيعية، ونفس الأمر في الكتب الدراسية في كافة المراحل الدراسية، ولكن كل الجهود التي بذلت لم تستطع أن تغير شيئاً يذكر.

كُثف النظام من توجهاته الطائفية وكان رجال دين تابعون للسلطة يظهرون في كل

المناسبات الدينية على شاشة التلفزيون محاولين تحريف التاريخ والعقائد الخاصة بالشيعة ولكن من دون جدوى، ومن هؤلاء (الشيخ صبحي الهيبي) و (الشيخ شاهر البدري) اللذين كانا مع آخرين يحاولون استعطاف الشيعة في العراق من خلال مدح أهل البيت وتعظيمهم، وكانوا إذا ذكروا أحد الائمة لا يعقبون بما هو معتاد عند علماء السنة بكلمة (رضي الله عنه أو عنهم) وإنما يعقبون بـ(عليه أو عليهم السلام) ظناً منهم أن هذا الثناء سيكون كافياً للتأثير، وهذا يبين مدى سطحية صدام ونظامه، وفي نفس الوقت كان السيد حسين الصدر يظهر من على شاشة التلفزيون العراقي الرسمي بمناسبة وأخرى لإلقاء كلمة كادت تكون أسبوعية، ولكنها كانت ضمن السياق المعروف عند الشيعة عموماً، ولم يؤثر هذا الظهور على سمعة السيد حسين الصدر لأن الجميع يعتقد أن ظهوره كراهة وليس باختياره، بل كنا نتعاطف معه ومع كلماته بالرغم من تقليديتها لصعوبة رؤية رجل دين شيعي في التلفزيون، خصوصاً وهو ينتمي الى أسرة الصدر التي لم ينس الناس بعد أثرها وتضحياتها.

خلال سنوات الحرب المريعة كان أحد أهم عوامل التخفيف والتواصل سماع خطب ومحاضرات المرحوم الشيخ أحمد الوائلي، فعلى الرغم من التشويش على إذاعة إيران الناطقة باللغة العربية إلا أن الشيعة خصوصاً في جنوب العراق كانت تجد في سماع صوت الشيخ الوائلي لذة وتواصلاً، ولا أبالغ إذا قلت أنها كانت المنفذ الوحيد تقريباً لاستمرارية التوجيه والتثقيف الديني، خاصة للجيل الجديد الذي ولد في السبعينات والذي لم يدرك من الحركة الإسلامية سوى اسمها، ولا يوجد في هذا الجيل من ينكر أهمية محاضرات الشيخ الوائلي وأثرها، وأهمية الشيخ الوائلي أنه كان يخاطب كل المستويات، فلم يكن يتعسر فهمه على أحد، وهذا جاء في وقت منعت فيه كل مجالس التعزية والخطب والمحاضرات الدينية، وكان النظام حريصاً على تضييع مفاهيم وعقائد التشيع، فكان الشيخ الوائلي خير من تكفل بترسيخ تلك المفاهيم على مستوى الشباب الناشئ.

مُنعت مجالس التعزية أيام محرم وباقي مناسبات الوفيات عند الشيعة، وكانت هذه المجالس تعقد في كل شارع تقريباً قبل المنع من شوارع بغداد ومحافظات الجنوب وفي مناطق من ديالى أو الموصل وأينما حلت الشيعة، ولكنها في الثمانينات كانت تعقد بصورة سرية في منزل هنا وهناك، وكانت تعد مغامرة قد تؤدي الى الاعدام، ولكن الكثير كان مستعداً ليقدم نفسه في سبيل إقامة مجلس تعزية واحد، ومع ذلك لم يستطع النظام أن يمنع كل مظاهر وشعائر أيام محرم، فقدور الطعام الضخمة كانت تملئ الشوارع في أيام العشرة الاولى من محرم وفي كل المحافظات تقريباً، وتوزع على المنازل بعد ذلك، وكانت مظاهر الفرح تختفي نهائياً طيلة شهر محرم ومعظم أيام شهر صفر، فتتوقف الأعراس حتى انقضاء محرم وصفر، وحتى الذين لم يكونوا ملتزمين دينياً ويشربون المسكرات كانوا يتوقفون عن شربها خلال هذه الفترة، ويعم لبس السواد للصغار والكبار طيلة الشهر، واستعاض الناس عن مجالس التعزية بأصوات خطباء المنبر الحسيني التي كانت أصواتهم تصدح من خلال الأجهزة الصوتية لتسمع من في الشارع، ولم تكن تلك التسجيلات سوى الطريقة المعروفة بـ(النعي) و(اللطميات)، ولم يكن يمكن أو يتيسر غيرها، ومن أشهرها بصوت الشيخ عبد الزهراء الكعبي الذي يقرأ المقتل بصوته، ولازال في يوم العاشر من محرم الصوت الأوحده على الرغم من مرور عشرات السنين على رحيله، والشيخ هادي الكربلائي الذي لازم حرم الإمام الحسين (عليه السلام) الى آخر يوم من حياته، وكان الوحيد الذي تبقى من ذلك الجيل لعدة سنوات من الثمانينات يشدو بصوته الشجي في أيام شهر محرم، والسيد جاسم الطويرجاوي، والشيخ عبد الوهاب الكاشي، والشيخ جاسم النويني، والشيخ حمزة الزغير، والشيخ عبد الرضا، والشيخ وطن، والشيخ فاضل الرادود، والشيخ ياسين الرميثي الذي كان من أشهرهم لقصيدته الخالدة (ياحسين بضمايرنا) و تعد من ضمن المنوعات الى ما بعد الانفراج النسبي سنة ١٩٨٧ لما فيها من بعض المضامين السياسية. وغيرهم من رواد المنبر الحسيني.

وكانت كل هذه التسجيلات تباع في النجف وكربلاء فقط الى ما بعد انتفاضة ١٩٩١، حيث أصبحت متداولة في كل مكان.

أما ما تضمن معاني ذات مضامين سياسية فقد توافدت الى العراق بعد الانتفاضة مباشرة، وأصبح تداولها مباحاً وتباع في مكاتب التسجيلات الصوتية علناً، وكذلك الحال بالنسبة لمحاضرات الشيخ الوائلي وفاضل المالكي وعبد الحميد المهاجر، مما سوف نتناوله لاحقاً إن شاء الله تعالى.

لم يستطع النظام أن يحول دون تواصل الشعب مع أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، فمواسم الزيارات كانت بمثابة موسم مليوني تحج فيه كل فئات الشيعة من كل أنحاء العراق، وحتى في مناسبات الفرح كان المحتفلون يتبركون بزيارة الأئمة كما في مناسبات الأعراس، أما في مناسبات الوفيات فكانت الأماكن المقدسة تشهد تواجداً لا مثيل له خصوصاً مناسبات محرم وصفر وشهادة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهكذا في الخامس عشر من شهر شعبان، وكان النظام يحاول التصويق قدر الإمكان على الزائرين، ولكنه لم يفلح في ترويب وثنى الشيعة عن التواصل مع العتبات المقدسة، وكانت حالة التأهب ترتفع عند الأجهزة الأمنية في العاشر من محرم، وكان يمنع أي ترديد لهتاف، وتشاهد قوات الأمن تقف حوالي الصحن من داخل الضريح بالعشرات، شاهرين أسلحتهم، وخارج الأضرحة كانت آليات الجيش تملأ الشوارع، وتتأزم الامور عند الاقتراب من موعد (ركضة طويريج) التي كانت ممنوعة، ولكن كل الأساليب لم تحل دون إقامتها سنوياً تقريباً، فلم يكن أمام النظام من بد سوى دس أعوانه وسط الزائرين فمن يرونه يشارك يقومون برش طلاء على ملابسه ليتسنى لهم معرفته على مشارف المدينة المقدسة في كربلاء، ليساق الى المجهول بعد ذلك، لذلك اعتقل الكثيرون في هذه الممارسة، وكان البعض يتخلى عن ملابسه الخارجية الملوثة بالأصباغ بمعونة الأهالي أو غيرهم من الزائرين ليستبدلها بأخرى نظيفة، وفي كل زيارة في العاشر من شهر محرم ترتفع نسبة الزائرين بشكل

ملحوظ في كل سنة قياساً بالسنة التي سبقتها، وكلما زاد ضغط النظام كلما زاد إصرار الجماهير على التحدي، ولم تخل زيارة في العاشر من محرم من تصاعد الحماس عند حلول الظهيرة واقترب ساعة الشهادة، فترتفع الأصوات مدوية (أبد والله ما ننسى حسيناً)، وهو هتاف لطلما أُرعب النظام باقترب انتفاضة جماهيرية تنطلق من كربلاء، فتخرج المئات من قوات الأمن والحرس الخاص، وتطلق النيران في الهواء في مرات عديدة، وأقل ما يقومون به استخدام الهراوات لاستحالة اعتقال كل هذه الجموع.

وحاول النظام في منتصف التسعينات كمحاولة يائسة القيام بحفلات زفاف جماعية تصادف في يوم العاشر من محرم، يقدم فيها للمحتفلين امتيازات وهدايا، ولكن بقيت هذه الحالة شاذة ومن يقوم بها يكون منبوذاً ومحتقراً، وكان عدي نجل صدام الأكبر الراعي الرسمي لهذه الحفلات.

عُرف عن التلفزيون العراقي أنه تلفزيون محافظ نوعاً ما بالقياس الى غيره من محطات التلفزيون العربية، وبخطوة جديدة قام ابن رئيس النظام بافتتاح قناة تلفزيونية جديدة في أوائل التسعينات سميت بـ(تلفزيون الشباب)، ومنذ الأيام الأولى بدأت تظهر بوادر انفتاح على المواد الإباحية ولكن بالتدريج، وبمجرد أن تجاوزت القناة بعض الحدود حصلت حالة استنكار واسعة في الشارع العراقي، وقام المئات بالاتصال بهذه القناة معبرين عن استيائهم وشجبهم، فاعتذر مسؤولو هذه القناة عن هذه الهفوة، وأصدروا أمراً بفصل المسؤول عن تلك المشاهد، ليتصل عدي من مسؤوليتها ظاهراً، وكانت هذه التجربة بمثابة الإعلان الواضح على عدم إمكانية النظام الحاكم على مسح الجانب الأخلاقي المتأصل في الشعب العراقي.

وضمن مخططات النظام التي كان يستهدف بها التغيير الديموغرافي محاولة توطين الملايين من فلسطينيي المهجر، الذين كان مقررأ توطينهم في البادية التي تقع بين الأنبار وكربلاء، ليشكلوا من ناحية توازناً سكانياً ترجح فيه كفة الأقلية من السنة،

وحالاً للمشكلة التي تواجه إسرائيل والدول العربية حتى هذا اليوم من ناحية أخرى، ولكن لم تسر الأمور بالشكل الذي خطط له النظام والدول العربية، ومعلوم أن شبيهاً لهذا المخطط تمّ تفعيله في البحرين ذات الغالبية الشيعية الذين أصبحوا اليوم أو سيصبحون قريباً أقلية في بلدهم.

وتمّ توطين أعداد كبيرة من الفلسطينيين وتمليكهم في بغداد، ولم يغادروا العراق حتى بعد سقوط النظام وكان لبعضهم دورٌ في مساندة مجاميع القاعدة، والاشتراك في الاقتتال الطائفي ضد الشيعة بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣.

ونتيجة لاستمرارية الحرب أصبحت الكثير من الوظائف والأعمال اليدوية والحرفية شاغرة، نظراً لكون معظم أصحاب هذه المهن مجندين في الجيش، فلجأ النظام الى استخدام ملايين المصريين ليشغلوا هذا الفراغ، وملأ المصريون كل محافظات البلد ولم يكن يخلو منهم أي مهنة أو مصنع أو حرفة. ولعل النظام كان يستهدف من تواجد المصريين التأثير على الجانب الفكري والعقائدي عند الشيعة، نظراً لكون المصريين قريبين من الشعب العراقي من حيث المستوى الثقافي والأعراف العشائرية والشعبية عموماً، وهم من أفضل الشعوب العربية بلا شك، ولكن ما حصل هو العكس، فالشعب المصري شعب طيب، ولم ينس جذوره المتصلة بجذور شيعة العراق، وتعتبر معظم التوجهات الدينية عند الشعب المصري معتدلة، فتقبل الكثير من المصريين عقائد الشيعة، ولم يتعنّت تجاهها المتبقون منهم، ولا زال المصريون يذكرون سنوات عملهم في العراق كذكرى طيبة.

ولكن لم يخل الإحتكاك مع المصريين ووجود التغيرات الثقافية النسبي من حدوث مشاكل كثيرة، ومفاسد في بعض الجوانب الاجتماعية، وهذا بديهي نتيجة لكثرة المصريين الذين تجاوزوا ثلاثة ملايين شخص، وانتشارهم في كافة أنحاء البلاد.

غادر المصريون العراق مع احتلال الكويت وفرض الحصار الاقتصادي وتدهور

البلاد اقتصادياً، وبقيت منهم فئة قليلة جداً حتى أصبح من النادر ملاحظة وجود أحدهم بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣.

واستورد النظام أيدٍ عاملة من السودان أيضاً ولكن بنسبة أقل بكثير من المصريين، ولكنهم لم يتأقلموا مع الشعب العراقي كالمصريين، واستقر معظم السودانيون في مركز العاصمة بغداد في حي البتاوين، وغادر معظمهم أيضاً بعد احتلال الكويت. كما استورد النظام أعداد من اليمن ضمن نفس السياق.

الحروب الخارجية

اشتعلت الحرب العراقية - الإيرانية عام ١٩٨٠ بإعتداء واضح من نظام صدام، وكما قلنا فإن للحرب هدفين، الأول : كان إيقاف تطلعات الثورة الاسلامية تجاه المنطقة بعد ان لاقت صدى واسعاً عند معظم المسلمين، وتطلعهم نحو الخلاص من الانظمة الفاسدة التي شاخت في ترأس البلدان الاسلامية، واستبدالهم بحاكم أو حكم إسلامي ينصفهم ويردّ مظلّمهم.

والهدف الثاني : تحطيم وإفناء الجيل الذي واكب القيادة الاسلامية المتمثلة بالسيد محمد باقر الصدر من خلال إقحامهم في مطحنة الحرب.

ولم تنته الحرب بعد ثماني سنوات إلا وقد أفنت أو كادت أن تفني ذلك الجيل، والذي تبقى منه أصبح غير ذي فائدة تقريباً بعد أشكال القمع التي تفنن بها نظام البعث في العراق.

وكما قلنا أيضاً فإن جذور الشعب العراقي وارتباطه بالاسلام لم تكن من الضعف بحيث يمكن اجتثاثها من نفس الشعب وضميره.

وما أن انقضت سنتان الا والنظام بدأ يعي أن قوة الشعب الايراني أكبر من سحقها بما يمتلك من قوة عسكرية ودعم مفتوح من قبل الغرب الاوربي والامريكي، ورأى أن استمرار الحرب قد تعني آخر المطاف القضاء عليه وعلى تطلعاته أو أوهامه في قيادة (الأمة العربية)، فطالب بإيقاف الحرب، وتوسل إلى ذلك بكل الطرق المتاحة، إبتداءً من المؤتمر الاسلامي وانتهاءً بالامم المتحدة، ولكن ووجهت كل طلباته بالرفض من قبل السيد الخميني وقيادة الثورة الاسلامية أو الجناح المتشدد فيها.

((في عام ١٩٨٣ قام برزان التكريتي بزيارة السيد الخوئي وطلب منه إدانة استمرار

الجمهورية الإسلامية في الحرب، فرفض السيد الخوئي^(١)).

ثم ((عاود طه ياسين رمضان (نائب رئيس وزراء النظام) عام ١٩٨٦ الطلب من السيد الخوئي بإصدار بيان يستنكر فيه عدم إيقاف إيران للحرب، فرفض أيضاً، مما أدى الى التضيق عليه واعتقال عدد من طلبته^(٢))).

وقد تباينت الآراء في ذلك في المؤسسات الدينية سواء في النجف الأشرف أو قم أو طهران، ففي النجف كان جميع المراجع المتبقين يتمنون إيقاف الحرب بأية وسيلة، نظراً لأن ضحاياها من الطرفين كانوا من المسلمين الشيعة أو غالبيتهم العظمى كذلك، نلاحظ أن رفض علماء الشيعة لكل حرب تستهدف المسلمين عموماً كما هي فتاوى كل علماء النجف الأشرف بجرمة قتال الأكراد العراقيين عبر مختلف المراحل.

لم تكن هناك رؤية واضحة صريحة للمطالبة بإيقاف الحرب من قبل حوزة النجف، باستثناء مسعى الشيخ علي آل كاشف الغطاء الذي لم يحقق من المكاسب أكثر من شن حملة إعلامية محلية وخارجية ضده انتهت باسقاطه مهما كانت نواياه، وهناك أقاويل أن مسعاه هذا إنما جاء بعد اتفاق مع بعض مراجع النجف الأشرف حينها. ولكنهم تخلّوا عنه بعد فشل مسعاه. والحال أن من يتقدم بمثل هذه المبادرة تلك الأيام فسوف يكون موقفه سيئاً في الداخل العراقي فضلاً عن خارجه، لعدم قدرته على الدفاع عن نفسه، ولأنه سوف يُحسب ضمن صف نظام صدام ومنظومته، هذه هي النظرة داخل العراق في ذلك الوقت.

ولم تصلنا أية مدونة عن مواقف لحوزة النجف حتى بعد سقوط نظام صدام، وتوجد مشكلة في المؤسسات الدينية الإسلامية عموماً وهي عدم كتابة مذكرات إلا

(١) المصدر سابق، ص ٣٥٣. باختصار.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥٢. باختصار.

ما ندر، مما يؤدي الى ضياع الكثير من حقائق التأريخ، وهو ليس تأريخ شخصي يمكن التقليل من أهميته، لذلك اتسمت القرون الماضية بالكثير من الغموض. باستثناء موقف السيد محمد الصدر، الذي دون لنا تلميذه الأول الشيخ محمد اليعقوبي الكثير الثر عن آراءه ومواقفه ونبذة عن حياته، وعلمنا من خلال هذه المدونات أن السيد محمد الصدر كان صريحاً بضرورة إيقاف الحرب عام ١٩٨٢ بعدما استعاد الجيش الإيراني أراضيه التي احتلها الجيش العراقي، بعد مذبحة كبيرة استهلكت قرابة الفيلق الكامل من الجيش العراقي.

يروى لنا الشيخ اليعقوبي تلميذ السيد محمد الصدر ورفيقه القديم عن رأي أستاذه في استمرار الحرب في إحدى مراسلاته له :

((بعد تحرير الجمهورية الاسلامية لأراضيها من القوات العراقية في معركة (الحمرة) في آيار (١٩٨٢) وانتقال العمليات الحربية الى الاراضي العراقية في تموز (١٩٨٢) سارت الحرب سنين عجاف رتيبة ثقيلة باهضة التكاليف بشرياً واقتصادياً، فكان من وجهة نظره (قدس سره) : ((أنه لا جدوى من استمرارها لأنه استنزاف لطاقات بلدين شيعيين))، (وهو توجه السيد الخامنئي رئيس الجمهورية آنذاك)، ومقابله الرأي القائل بضرورة استمرارها حتى القضاء على المعتدي ومحاسبته، وكنت معه وأردد ما كان يقوله الساسة الإيرانيون الآخرون كالرفسنجاني والأردبيلي ومن ورائهم السيد الخميني : ((إن السلم المفروض أسوأ من الحرب المفروضة))^(١))).

وأما المواقف الأخرى خارج العراق فاتسمت بالتباين، فجبهة الرافضين لاستمرار الحرب قادها السيد محمد الشيرازي، ومن تصريحات أحد أعوانه الشيخ عبد الحميد المهاجر في أكثر من مرة وعلناً في خطبه الدينية، كما في دمشق عام ١٩٨٢ كان يؤكد :

(١) اليعقوبي، الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه، ص ٣٤٢.

((أوقفوا هذه الحرب الملعونة، إنها ألعن حرب في التاريخ^(١))).

وكذلك موقف الشيخ حسين علي منتظري أبرز العلماء في إيران الثورة وخليفة الخميني المقل أو المستقل، الذي يذكر أن أحد أسباب الخلاف مع الخميني هو ضرورة إيقاف الحرب. إذ قال في محاضرة له أمام مجموعة من طلابه في عام ١٩٨٩ اعتراضه على سلوكية النظام الإيراني في جملة من المسائل منها الإصرار على الإستمرار في الحرب مع العراق^(٢).

ويروي عدد من رجال الدين في مدينة قم في إيران أن مواقف الحوزة غير الثورية (كما يصطلح عليها البعض) عموماً كانت تطالب بإيقاف الحرب، ومنهم آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي وهو من أشهر مراجع التقليد في قم، واشتهر بتقواه وحبه للكتب قراءةً وتجميعاً، حتى أصبحت مكتبته من أكبر مكتبات العالم الإسلامي.

أما المواقف المؤيدة والمشاركة في استمرار الحرب، فمن المجتهدين المعروفين السيد كاظم الحائري الشيرازي، الذي قُتل ولده في جبهات الحرب ضد العراق، ويتضح من كتابه (دليل المجاهد) مدى تطرفه في تأييد استمرار الحرب، ومن فتاواه في كتابه هذا الذي هو عبارة عن إجابة على استفتاءات كان يتوجه بها مقاتلون من داخل العراق من أتباع المعارضة الإسلامية خارج العراق :

((س٣٨ : ينسب البعض إليكم فتوى بقتل كل جندي يقع تحت أيدي المجاهدين - بمواجهة أو دون مواجهة - فما صحة هذه الفتوى؟ وما حكم من ينسبها إليكم إذا كان رأيكم خلافها؟.

(١) من كلام له في خطبة دينية على شريط تسجيل.

(٢) أحمد مجيد، التيارات والأحزاب السياسية المؤثرة في نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، رسالة ماجستير غير منشورة.

- ج : أنا أفتي بقتل كل متعاون مع السلطة في محاربة المؤمنين^(١).
- س ٢ : ما حكم الجنود والضباط المقبوض عليهم في الشارع إذا كان بعضهم ملتحقاً بوحدة العسكرية والآخر مجازاً منها؟
- ج : من كان معاوناً لنظام صدام في محاربة المؤمنين يجوز لكم قتله ولو كان في الوقت الحاضر مجازاً أو مشغولاً بعمل غير عدائي.
- س ٣ : ما حكم الأسير في المعركة مع العلم أنا ليس لدينا متسع لإيوائه؟
- ج : المعاون لنظام صدام ضد المؤمنين نسمح لكم بقتله ولو كان أسيراً^(٢).
- س ١ : هل يجوز أخذ الطابعات من المدارس، أو الأدوية من المستشفيات، أو البطانيات من الأقسام الداخلية؟
- ج : يجوز أخذ جميع الأموال الحكومية واستعمالها في الأغراض الجهادية، وتأمين حاجيات المجاهدين على أن لا يضر ذلك بسمعة المجاهدين^(٣).
- س ١٣ : هناك شركات ومخازن أغذية باستطاعة المجاهدين أخذها ولكن قد يتضرر الحراس. فما هو الحكم؟
- ج : يجوز لكم أخذها وتخصيصها لأعمال الجهاد بما فيها توفير حاجات المجاهدين^(٤).
- س ٣ : ما هو حكم العسكري في الحالات التالية مع القدرة عليه؟
- أ - عندما يكون مجازاً.

(١) الحائري، كاظم، دليل المجاهد، ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٦١ - ٦٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٧٨.

ب - عندما يكون في حراسة أثناء العملية الجهادية.

جـ - عندما يكون في قيادة سيارة عسكرية.

د - عندما يكون في سيارة مدنية.

ج : كل من يعتبر متنسباً لنظام صدام محارباً للمؤمنين يجوز قتله^(١).

س٧ : يقوم النظام حالياً بتشكيل حراسة من الأهالي وكل منطقة ضمن منطقتها وبراتب (٣٠٠) دينار وبعنوان الحراسة من السراق. وبالتأكيد هذا العنوان مزيف، ما حكم مثل هؤلاء الحراس؟.

ج : إن كان عنوان الحراسة مزيفاً وكانوا في الحقيقة يحاربون المؤمنين تحت هذا الستار جاز قتلهم.

س٨ : يقوم النظام بتكليف الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم برضى منهم أو بالقوة، ومنهم من لم يبلغ الرشد بأعمال تجسس. فما هو حكم مثل هؤلاء الأطفال؟.

ج : من وقع منهم حاجزاً في طريق انتصار المجاهدين جاز رفع هذا الحاجز عن الطريق. فإن توقف رفعه على قتله جاز.

س٩ : ما حكم شرطي المرور عند اكتشافه للأوراق المزورة التي يحملها المجاهدون؟.

ج : إن كان يحارب المؤمنين عن طريق رفع الأوراق الى الحكومة جاز قتله^(٢).

س١٩ : استخدم النظام الكافر بعض النساء للتجسس على المجاهدين ونقل المعلومات الى دوائر الأمن، فما حكم مثل هذه النساء؟، وما حكم من تكون حاملاً ولا يفيد معها أي عمل إلا القتل فهل يجوز قتلها؟.

(١) المصدر السابق، ص ٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٩.

ج : يجوز لكم قتلهن. أمّا الحامل فإن أمكن حبسها الى أن تلد فاحبسوها، وإن انحصر دفع شرها بقتلها فاقتلوه^(١).

س ٢٧ : هل يجوز قتل الجندي وفي أي حال من الأحوال؟.

ج : يجوز لكم قتل معاوني السلطة الظالمة في محاربتهم للمؤمنين سواء كان المعاون جندياً أو غيره^(٢).

س ٢٩ : هل يجوز قتل العامل في منشآت التصنيع العسكري؟.

ج : يجوز لكم قتل معاوني السلطة الظالمة في حرب المؤمنين سواء كان المعاون عاملاً في منشآت التصنيع العسكري أو غيره.

س ٣٠ : هل يجوز قتل الشرطي؟.

ج : يجوز لكم قتل معاوني السلطة الظالمة في معاداة المؤمنين سواء كان المعاون شرطياً أو غيره.

س ٣١ : هل يجوز قتل الانضباط؟.

ج : يجوز لكم ذلك بشأن من يكون معاوناً للسلطة الظالمة في معاداة المؤمنين سواء كان المعاون انضباطاً أو غيره.

س ٣٢ : هل يجوز قتل صاحب السيارة الحكومية عند الضرورة؟.

ج : يجوز لكم قتل معاوني السلطة الظالمة في حرب المؤمنين سواء كان المعاون صاحب سيارة حكومية أو غيره^(٣).

(١) المصدر السابق، ص ٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٦ - ٩٧.

س ٣٦ : هناك حراس مدنيون عينتهم الدولة لحماية الأسواق والطرق، وهم مسلحون، هل يجوز قتلهم مع العلم أنهم يعيقون حركة المجاهدين؟.

ج : نعم يجوز ما داموا يعتبرون من معاوني نظام صدام ضد المؤمنين^(١).

س ٧٢ : مجرمون بعثيون لم يتمكن المجاهدون من قتلهم في الظروف العادية وهنالك فرصة - وتكاد تكون الوحيدة - للاقتصاص منهم في منازلهم ومع عوائلهم، الأمر الذي يجعل احتمال قتل بعض أفراد عوائلهم وارداً بدرجة كبيرة فهل تجوز مثل هذه العمليات الجهادية؟.

ج : إن كانت تترتب على ذلك فائدة عظيمة للإسلام جاز ذلك^(٢).

س ١٩ : هل يجوز ضرب المنافقين في سياراتهم وقد يحملون معهم أبرياء نحتمل أن يصابوا بأذى؟.

ج : إن كانت الفوائد الإسلامية التي تنجم عن هذا الضرب تفوق مفسدة قتل الأبرياء جاز ذلك وإلا فلا.^(٣)

والسيد محمود الهاشمي الشاهرودي الذي تولى بعد رحيل الخميني منصب رئيس السلطة القضائية في إيران. إذ كان من دعاة استمرار الحرب حتى إسقاط نظام صدام وتحقيق الجمهورية الإسلامية في العراق، ((فقد تولى منصب رئاسة للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق منذ تأسيسه ولعدة دورات^(٤))).

ومن قادة المعارضة السيد محمد باقر الحكيم، الذي هدده صدام بقتل عدد كبير من

(١) المصدر السابق، ص ٩٨ - ٩٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٣.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٤) المؤمن، مصدر سابق، ٣٤١.

أفراد أسرته في حال عدم تراجعه عن ترأس (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق)، ((وبالفعل قام صدام بإعتقال (٩٠) شخصاً من أفراد عائلة الحكيم في ٩ آيار ١٩٨٣ تتراوح أعمارهم بين ١٥ - ٧٦ سنة، وقام بإعدام ستة منهم في ٢٠ آيار ١٩٨٣)).^(١)

((ثم عاد وأعدم عشرة آخرين من نفس الاسرة في ٥ آذار ١٩٨٥)).^(٢)

وفي رده على اجراءات النظام صرح السيد محمد باقر الحكيم من على منبر صلاة الجمعة في طهران : ((إننا سائرون على درب الحسين (عليه السلام) ونهتف بشعار الحسين (هيهات منا الذلة). سنواصل الدرب، سنواصل هذا الطريق حتى تحقيق النصر يا ذن الله)).^(٣)

حزب الدعوة هو الآخر كان من المتشددين في ضرورة استمرار الحرب، ففي بيان للحزب تعقيماً على بادرة مؤتمر الطائف عام ١٩٨٢ الذي تمخض عن تشكيل لجنة من رؤساء ووزراء حكومات بعض الدول العربية والإسلامية برئاسة الرئيس الغيني أحمد سكتوري، وجاء في البيان مقدمة عن هذه البادرة وتنديد بأمريكا وفرنسا وبريطانيا :

((إن اية مساومة على إيقاف الحرب قبل سقوط الحكم العميل في العراق يتيح

(١) المصدر السابق، ص ٣٤٤ و ٣٤٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٤٦. وهناك من يعتبر هذا الموقف المشنج من السيد الحكيم هو الذي أدى الى هذه المذبحة بحق هذه الأسرة العلمائية، في الوقت الذي يرون أنه من المفترض أن يتنازل عن موقعه السياسي لوجود من يحل محله في سبيل الحفاظ على هذه الأنفس التي وُضعت في هذا الموضع من دون ذنب يذكر، ويرون أن المستقبل كشف أن موقفه لم يكن له ضرورة خاصة بعد أن ركبت الأحزاب الإسلامية موجة (الاستكبار العالمي) للضرورة طبعاً، فالضرورات تبيح المحظورات!!!، فيرون أن الضرورة التي أدت الى السير بركب الشيطان الأكبر، كان الحفاظ على الدماء الزكية أكثر ضرورة منها.

الفرصة ويشجع أمريكا وسائر الدول الكافرة أن تبدأ الحرب بإرادتها، وأن تسفك دماء الآلاف من أعز شبابنا بإرادتها، وأن تحطم قواتنا في العراق وإيران بإرادتها، وأن تملأ الخليج الاسلامي بقواتها العسكرية بإرادتها، وأن توقف الحرب بإرادتها، لاقتضاء مصلحتها بعد أن أخفقت في تحقيق مصلحتها بإعلان الحرب.

إن الانهيارات التي مُني بها نظام البعث الدموي في المجالات العسكرية والاقتصادية والامنية في العراق لن تنقذه منها كل مساعدات الدول الكبرى والحكام الضالعين في ركابها، وإن هذا النظام المتفسخ الذي يعاني من النقمة الشعبية الاسلامية العارمة ومن التمزق الفظيع سائر الى زوال بصورة حتمية إنشاء الله تعالى.

وإن محاولات السكرتير العام للأمم المتحدة، ومشاريع لجنة عدم الانحياز، وسائر الوساطات الشخصية والخاصة إنما باءت بالفشل لأنها ساوت بين المعتدي والمعتدى عليه، والله تعالى يقول "أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون".

وإن أية لجنة تنبثق سوف لن تكون خيراً من اللجنة المنبثقة عن مؤتمر الطائف والتي أعلن رئيسها مراراً وتكراراً أنه ليس من مهام اللجنة تشخيص المعتدي وإدانته وإنما (تسعى اللجنة لتقريب وجهات النظر وإيقاف الحرب الدائرة).

وبملاحظة هذه المهمة الخبيثة في ضوء بواعث الحرب وما تمخضت عنه يتضح مدى تعارضها مع ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي والمعاهدات الخاصة بالحرب وإقرار السلم، فضلاً عن ابتعادها الكلي عن حكم الله تعالى الذي يقرر "فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله".....الخ^(١).

ولم يكن نصيب الشعب العراقي من المعارضة خارج العراق سوى التنكيل في كثير من الاحيان، ووصمه بالجهل والخنوع والإتكالية، كأن المطلوب من الشعب أن ينتحر

(١) ثقافة الدعوة الاسلامية، القسم السياسي، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

ليرضي تلك المعارضة، وعلى الرغم من أن الشعب أخرس كل تلك الألسن بانتفاضة شعبان المشرفة إلا أن النظرة الإستعلائية كانت ولا زالت هي السائدة، يذكر أحد مؤرخي حزب الدعوة من الخارج ضمن نقاط:

((٢ - التضليل الدعائي والتعتيم الاعلامي، اللذان مارسهما النظام الحاكم، وضعا الشعب العراقي في متاهات يصعب العثور على مخرج لها، فهو يتلاعب بالاحداث وبشعور الامة كيفما يشاء، الى حد قد يسلب معها قدرتها على الفرز والتقويم الصحيح.

٣ - التخلف الفكري والسياسي لدى قسم من أبناء الشعب، بشكل جعله ينخدع بالكثير من المظاهر البراقة والشعارات الفارغة.

٤ - ضعف الوعي الاسلامي وارتباط الامة برسالتها، والذي أدى الى عواقب سلبية، في مقدمتها الشعور بعدم جدوى المواجهة، وربما يحمل البعض قدراً كافياً من الثقافة الاسلامية والوعي، الا انه يحتفظ كنظريات وأفكار ليس إلا.

٥ - التمزق وغياب التلاحم الاجتماعي، وتتجلى صور ذلك حتى في أصغر وحدة اجتماعية وهي (العائلة)، فالفرد - كنموذج - لا يشعر بالاطمئنان على نفسه حتى من أفراد عائلته، فقد يكتبون تقريراً ضده الى السلطة أو يشنون به الى أجهزة الامن وهكذا. وعندما تغيب وحدة الموقف وتتعدد مظاهر التفكك، فإن تعامل أبناء الأمة مع بعضهم يبقى كتعامل الغرباء، ووفقاً لقواعد المصلحة والتزلف.

٦ - تفشي روح الخوف والرعب التي طوقت السلطة بها الشعب، واحاطتها - من خلال تلك الروح - بحاجز فولاذي من الصعب اختراقه.

٧ - تعود الشعب على حالة اللامبالاة، فتصدع روح الردع والحزم والصدام يخول النظام لاقتراف أي ذنب أو ممارسة سلبية.

٨ - الاتكالية وعدم الشعور بالمسؤولية، إذ ينتظر معظم أبناء الشعب من ينقذهم

ويضحى دونهم، وقد يرفض الكثيرون هذه الظاهرة مبدئياً، إلا أنهم في النهاية يمارسونها بشكل عملي.

٩ - الازدواجية في المبادئ والسلوك، نتيجة الانفتاح على مختلف الافكار الوضعية المنحرفة، والتمسك ببعض الممارسات السلبية الموروثة.

١٠ - تفشي روح العنصرية والطائفية والفئوية، وقد أدت الفجوة التي حدثت بين أجزاء الامة منذ زمن التراجع الى تشجيع الاستعمار والانظمة المتعاقبة على ممارسة أساليب التفرقة والعزل بأوضح صورها، بشكل تأصل جراءه العداء المصطنع بين القوميات المتعايشة (عرب - أكراد - ايرانيون - تركمان - آشوريون وكلدان) والمذاهب الاسلامية (شيعة وسنة).

١١ - تآكل البنى العشائرية، لأسباب سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية، مما أدى الى تحول معظمها الى هياكل متأكلة من الداخل، في وقت كانت هذه العشائر هي التي تحمل راية الثورة ضد الانظمة.

١٢ - شعور الكثيرين بوحدة المصير مع النظام، نتيجة مشاركتهم له في ممارساته، فاستمروا في الدفاع عنه حرصاً على أنفسهم، آخذين بنظر الاعتبار أن أي خطر يتهدهده فهو يتهدهدهم أولاً^(١).

لا تخلو بعض هذه النقاط من الصحة ولكن بدرجة أقل بكثير مما يريد الكاتب، ولكنها تتضمن بوضوح الأمراض التي فشت في جسد المعارضة الإسلامية خارج العراق، وما موقف هذه المعارضة السلبي بكل مستوياتها من حركة الصدر الثاني إلا دلالة على الخنق الذي كانت تشعر به المعارضة تجاه أي تحرك مثمر داخل العراق، باستثناء بعض الشخصيات التي سوف نأتي على ذكرها في حينه إن شاء الله تعالى،

(١) المؤمن، مصدر سابق، ص ٥٣٣-٥٣٥.

فما دام هذا التحرك لا يمتُّ بأية صلة بهم فهو لا قيمة له، وقد عبّرت قيادات المعارضة بكل صلافة عن مكنونها تجاه حركة السيد الصدر بشتى التعابير ابتداءً من وصف السيد الصدر بـ(ساذج، عميل، بعثي، مجنون، درويش، يصلي صلاة الليل،...) الخ، مما أتاحت لهم قرائحهم المريضة، وحقيقة الأمر أنه حسد لما حققه من ثورة لم ولن تندثر، أما حصة أتباع السيد الصدر فهم (وهاية جدد، بعثيون، جهلة، وغيرها الكثير)، مع أن الملاحظ أن المعارضة بكل تأريخها الذي إمتد منذ عام ١٩٨٠ - ٢٠٠٣ خارج العراق لم تنتج مفكراً واحداً معتداً به، ولا زالوا يتغنون بأعجاد خلت وانقرضت وأفكار أتى عليها الزمن ولم تعد تصلح لمواجهة ما نواجهه الآن، ولكنهم كانوا في بعض أوقات الصراحة الإنفعالية ينفجرون : ((نحن جاهدنا وتعبنا ثم يأتي محمد الصدر ليستولي على كل ذلك، هذا لن يكون)).

ولعل أخطر هذه التصريحات هي التي صدرت عن السيد محمود الهاشمي، عندما اعتبر وبشكل غير مسبوق كل علماء وطلبة الحوزة في النجف الأشرف بعد استشهاد السيد محمد باقر الصدر من البعثيين، ومكمن الخطر أن هذا التصريح صدر منه بعد سقوط نظام صدام، حيث قال :

((استطاع صدام أن يقضي على حوزة النجف ويخليها من الفضلاء والعلماء، فلم يبق من الإيرانيين سوى عدد قليل، أمّا أكابر العرب واللبنانيين فبين راحل وسجين. نعم، بقي فيها مجموعة من البعثيين.

لقد تلقت الحوزة من صدام ضربة قاصمة لم تتعاف منها حتى يومنا هذا. واليوم وبعد مرور أربع أو خمس سنوات على زوال صدام قد يتحدث القادم من هناك عن وجود حوزة في ذلك البلد، ولكن الحقيقة أنه لا وجود لحوزة هناك، فقد استأصلها صدام من جذورها وأتى على أساسها.^(١))).

(١) الإجتهد والتجديد، ص ٦٤، العدد السادس ربيع ٢٠٠٧ م. ١٤٢٨ هـ.

وأغرب من ذلك أن هذه التصريحات والتوجهات تخالف تماماً تصريحات القيادات الدينية والسياسية في إيران، فالمتابع لتصريحات السيد الخميني طيلة أيام الحرب يجد الإشادة بالشعب العراقي في أحلك الأوقات، وكذلك تصريحات السيد الخامني المتواصلة، وعلى نفس الوتيرة تصريحات مراجع الدين في مدينة قم (على قلتها)، ويمكن القول أن تصريحات القيادات الإيرانية تحمل أبعاداً سياسية مستقبلية ومحاولة التأثير على القواعد الجماهيرية، وحتى على هذا الاحتمال فهي أفضل بكثير من تصريحات المحسوين على قيادة الحركة الإسلامية، الذين كان الأجدر بهم أن يتكتموا على ما تنطوي عليه أنفسهم حتى على فرض صحته، لأن مهمتهم كاتجاه ديني هو هداية المجتمع حسب مدعاهم وليس التنكيل به، أما إذا اعتبرناهم مجرد سياسيين فمن الجهل أن تحقروا أو تتهم مجتمعاً ترغب في أن تكون رمزاً وقائداً له.

من العزلة إلى الإنفراج

لم يشهد عقد الثمانينيات غياب الحركة الإسلامية والظاهرة الإسلامية فحسب، بل شهد إحباطاً وظلامية وتشاؤماً اجتماعياً عاماً، فبالكاد نجد أسرة لم تصب بضحية من ضحايا الحرب، وكان الجهل والأمية وبداية الأزمة الإقتصادية على وشك أن تصبح الحالة العامة، ولم يلح في الأفق أية بوادر على إنفراج قريب، ومع نهاية الحرب كانت هذه المشاكل تطفح على واجهة الحياة اليومية، وفي مثل هذه الظروف يلجأ المجتمع عادة الى الجانب الروحي ويندفع باتجاهه بقوة، ولكنه يحتاج الى موجه قيادة استثنائية، تمتلك مؤهلات علمية وعملية، إضافة الى معاشتها لكل معاناة المجتمع، ولم يعرف بوجود مثل هذه القيادة في ذلك العقد المظلم، كل ما في الأمر محاولة الشعب الإتكاء على قيادة عاجزة لم تستطع أن تدير شؤونها الخاصة، وكانت ولا تزال تعيش في برج قد اصطنعت حولها هالة قدسية حالت دون معرفة القليل أو الكثير، ولربما "للأمانة التاريخية" أنها لم تصنع هذه الهالة ولم تطلبها، ولكنها ستكون تحصيل حاصل، خاصة في مجتمع لم يدخل في صميم تفاصيل العمل الحركي، الذي ستكون نتيجته جملة من المشاكل (وهي نتيجة حتمية للحركة)، بينما لم تتعرض تلك القيادة لمثل هذه المشاكل لأنها لم ولن تكون حركية إلا رغم إرادتها، وعندها ستكون أمام أمرين، فالصمت والهدوء الذي وفر قدسية ووقاراً سيكون خير مصدر للقوة لأنه خلاف الحركة لا تنتج منه مشاكل العمل، أما الحركة فهي التي ستولد المشاكل والصدام، وهما ضربيتا الوعي الحركي، أما في حال فرضت الحركة على القيادة غير المؤهلة فلن تقع لوحدها في ورطة بل ستحل الكوارث على المجتمع^(١).

(١) ولدينا مثالان معروفان على ذلك، الأول: تورط مرجعية السيد الخوئي بانقضاة عام ١٩٩١ كما سنرى، Å

في هذه الأوضاع المحبطة اليأس التي لم يكن يتوقع أحد وفق الحسابات الدنيوية أن تظهر على الساحة قيادة متكاملة تستطيع أن تخرج المجتمع العراقي من هذا البؤس، وهذه القيادة تتمثل بالسيد محمد الصدر مرجعية وقيادة المرحلة اللاحقة، وخلاف كل حساباتنا كانت متطلبات القيادة حاضرة عنده، وقبل الشروع في تفاصيل نهضته نطل بلمحة خاطفة على شخصيته وتاريخه.

فقد عكف السيد محمد الصدر في عزلة تامة عن الحوزة والمجتمع منذ استشهد أستاذه السيد محمد باقر الصدر سنة ١٩٨٠، واستمرت هذه العزلة أو الإقامة الجبرية لمدة سبعة أعوام^(١)، عانى فيها من شتى الضغوط الاجتماعية والأمنية والاقتصادية التي لا يستطيع أن ينجو من آثارها إلا من كان صلب المعدن، وعادة يعكف من يمر بمثل هذه التجربة منطوياً حتى بعد رفع هذه الضغوط، إلا أن الكلام هنا عن رجل لم تؤثر فيه هذه العزلة إلا بما يزيد من عزيمته، بل نرى من خلال بعض كلماته بعد ذلك أن هذه العزلة لاقت هوى في نفسه، تفرغ فيها تفرغاً تاماً للعلم والتأمل وترية نفسه زيادة على ما وصل إليه قبلها، وهو ليس بالقليل سابقاً.

=والثاني : توريط الناس في الزحف الى النجف بعد نداء أطلقه "حامد الخفاف" ممثل السيد السيستاني في بيروت في ٢٥ / ٨ / ٢٠٠٤، كما ذكرت صحيفة الشرق الأوسط يوم الخميس ١٠ رجب ١٤٢٥ هـ ٢٦ اغسطس ٢٠٠٤ العدد ٩٤٠٣، بعنوان أن المرجعية تطالب الشعب العراقي بالزحف الى النجف لكسر الحصار، وبعد أن زحفت الجموع يوم ٢٦ / ٨ / ٢٠٠٤ حصلت مجزرة رهيبه راح ضحيتها المئات من الأبرياء الراكضين وراء موكب "سماعته" وهم يهتفون بحياته ونصره القادم مع ركبته، ولم تقدم المرجعية الى هؤلاء الضحايا سوى طلب فتح تحقيق من ناحية، وتنصل "الخفاف" في اليوم التالي عن مطلبه الأول من ناحية أخرى، إذ صرح بأنه ومرجعيته لم يطلبوا من أحد المجيء الى النجف، وضاعت دماء هؤلاء المساكين بين الحكومة العراقية المنفذة للجريمة وبين الخفاف ممثل المرجعية، وهذا ليس النموذج الوحيد على عدم قدرة المرجعية غير الحركية وغير المؤهلة، وما دامت الأوضاع تتطلب الحركية فسيكون هناك المزيد من التورط والتوريط.

(١) أنظر الملحق رقم (١) الوثيقة رقم (١).

كانت له فلسفته الخاصة بالكون والدين والروح والحياة والموت والسياسة والمصاعب والرخاء والحب والكره والطبيعة وقوانينها وكل شأن من شؤون هذه الحياة، فتكونت عنده منظومة شمولية محكمة، جمع فيها بين إيمانه وعقيدته وبين المنهجية العلمية. فهذا الشيخ الشاب الذي لم تتجاوز سني حياته السابعة والثلاثين قرأ بجدارة التاريخ والفكر البشري الذي امتد ستة آلاف عام، وخرج منه بحصيلة مترابطة آخر المطاف، وترك الجميع لسوء توفيقهم سفره المتعمق في تأريخ البشرية أعني كتابه الفريد (اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني)، الذي طُبِعَ في بيروت عام ١٩٧٥، وأهمية هذا الكتاب أنه لا يمثل خلاصة الفكر البشري فحسب، ولا يمثل فلسفة التاريخ خاصته فحسب، وإنما يمثل خطته المتكاملة التي (ربما) لم يكن يعلم بأنه سيخرج يوماً من عزلته لينفذ واحدة من أهم حلقاتها حرفياً بعد أكثر من عشرين عاماً على خروجها للنور، ليس هذا فحسب فكتابه (اليوم الموعود) يمثل المخطط أو التخطيط العام القادم بعد مقتله لعقود ولربما لقرون، حسب رؤيته.

كانت عيون النظام ترصده والرقابة متواصلة ليلاً نهاراً :

((انزوى في بيته بعد استشهاد أستاذه الصدر (قدس سره) ولم يكن يخرج إلا لضرورة، وبعد أن شنت حملة جائزة لاعتقال السادة آل الحكيم عام ١٩٨٣ وكان جاره واحداً منهم واستشهد لاحقاً، وضع جلاوزة الأمن نقطة مراقبة عند باب داره، فتكثف عمله بالتقية حتى وصفها في بعض رسائله بأنها أشد من التقية التي عاشها الإمام الحسن السبط (عليه السلام)، وبقي في الإقامة الجبرية حتى حصل إنفراج نسبي عام ١٩٨٧، ثم الفرج أوسع بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٨، وعاد الى نشاطه العلمي وبدأ بالتدريس في جامعة النجف الدينية^(١))).

(١) يعقوبي، محمد، الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه، ص ٣٦٠.

فكيف قضى كل هذه الفترة الطويلة نسبياً؟، بل الطويلة جداً نظراً لكون العزلة التامة والوحدة عن جميع الناس رافقت الرقابة والترهيب وعسر المعيشة، حتى أنه عند حديثه عن تلك الفترة يذكر ما لاقاه من وضع مالي ومقاطعة وصلت الى حدّ الجوع، فقد بلغ به وبأسرته الحال الى عزل نصف وجبة الغداء لتناولها عشاءً، وهذه الحال المزرية كانت في وقت توفرت فيه المواد الغذائية وصارت كأرخص ما يمكن شراؤه وتوفره في العراق في الثمانينات.

يحدثنا تلميذه الأمين على أسرارهِ في تلك الفترة الحرجة عن شخصيته وكيف صقلها، وتوجهاته وأفكاره وآراءه السياسية وكيف يستقيها :

((- تهذيبه لنفسه وسيطرته على غرائزها، وانتصاره على ذاته بحيث أصبح هو يملك زمام نفسه، وليست هي التي تملكه، وكان معروفاً بنكران الذات، وطالما كان يكرر أنه يدوس ذاته بقدميه، ونجح بدرجة كبيرة في الجهاد الأكبر مما سهل عليه النجاح في ساحة العمل الاجتماعي وهو الجهاد الأصغر، ومن كلماته (قدس سره) : إن النجاح في الجهاد الأصغر لا قيمة له إذا لم يقترن بالانتصار في الجهاد الأكبر، وهو معنى قرآني ذكرته كثيراً في كلماتي، وفي الحقيقة فإن أي شخص يراد تأهيله لتحمل المسؤولية لا بد له من المرور بهذه المرحلة حتى يصل الى درجة الإمساك بزمام نفسه، وقد خاض (قدس سره) هذه التجربة العملية على يد أكثر من شخص، وذكر لي في رسائله التي قاربت المائتي صفحة نكتاً من هذه التربية .

وكان يحب الموعظة لأن فيها إحياءاً للقلوب كما أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) ولده الحسين (عليه السلام) : (يا بني أحيي قلبك بالموعظة وأمتّه بالزهادة)، فكان يبحثُ على مطالعة كتب الموعظة كـ(إرشاد القلوب، ومجموعة ورام، وعموم جوامع الأحاديث الشريفة كتحف العقول، والخصال)، ولقد كانت هذه سيرته منذ نهاية السبعينيات، وحدثني أنه كان ملازماً لأستاذه وابن عمه الشهيد الصدر الأول الذي كان يحترم هذا المسلك ويدافع عنه، بل التزمه في أيامه الأخيرة كما هو واضح من

محاضرته الأخيرة عن حب الدنيا، ضمن محاضرات السنن التاريخية في القرآن الكريم.

كان (قدس سره) يودُّ أن يأخذ من كل شيء عظة وعبرة تأسياً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فمثلاً : حين يدخل الى الحمام ويرى الماء الحار يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) : (نِعَمَ الْبَيْتُ الْحَمَامُ يَزِيلُ الدَّرَنَ وَيَذْكُرُ الْآخِرَةَ). - ارتباطه بالله تعالى وإدامة ذكره وجعله الهدف الوحيد الذي يسعى من أجله، وقد انتقد في إحدى خطب الجمعة ما يفعله أئمتها من الإكتفاء بسطر واحد أو أقل من الحمد والثناء على الله تبارك وتعالى ثم الخوض في موضوع الخطبة ، أما هو (قدس سره) فكان ينقل مقطعاً من دعاء أو آيات قرآنية أو خطبة لأحد الأئمة (عليهم السلام) تعمق الصلة بالله تعالى وتعرّف بصفاته الحسنى، وتبين حاجتنا وفقرنا إليه تبارك وتعالى، وكان مراقباً لله سبحانه، ومراعياً له في السر والعلن، ومما أدبني به ما رواه عن أحد العلماء : أنه دخل عليه شخص فرآه بزيه الكامل وهو جالس وحده في البيت فسأله عن ذلك، قال : لأنني بحضرة الله تبارك وتعالى، وكان آخر لا يمدد رجله حتى لو كان وحده لنفس السبب، ومما حكاه (قدس سره) لي عن سيرته : إنه مرة صلى ركعتين استغفاراً لأنه قال لشخص التقى به وكان غائباً عنه مدة : (مشتاقين)، وهي كلمة متعارفة، ويمكن أن تُبرّر، إلا أنه خشي أن يكون كاذباً بهذه الدعوى.

- معاشته مع القرآن وتفاعله مع مضامينه ، ففي وقت مبكر من حياته كان له دفتر يسجل فيه ما ينقدح في ذهنه من نفحات أثناء تلاوته للقرآن، ويثبت فيه الآيات التي توحى له بخُلُقٍ قرآني أو موقف أزاء حال معينة أو سلوك عليه أن يطبّقه.

وفي مرحلة أخرى أخبرني أن له نسخة من المصحف ثبت على هوامش صفحاته القراءات المتعددة للكلمات القرآنية، وقال (قدس سره) : إنه كان يستفيد من هذه القراءات معاني لا توحىها الكلمات المرسومة، وأحياناً تحل له معضلة فقهية لا

ينسجم حلُّها مع القراءة الموجودة لكنها تنسجم تماماً مع قراءات أخرى، وختم حياته (قدس سره) وهو يلقي محاضرات (منة المنان في الدفاع عن القرآن).

- دراسة سيرة الأئمة (عليهم السلام) بدقة وعمق وشمولية لمعرفة أدوارهم التي أدّوها والمسؤوليات التي قاموا بها، وكيف كانوا يتخذون المواقف المناسبة اتجاه مختلف القضايا، ومن حكمة الله تعالى وعظيم مننه على الأمة جعل أدوارهم تجربة للأمة وظروفهم مختلفة ومدة إمامتهم طويلة (مائتين وخمسين عاماً)، لتتضح تجربة الأمة وتحصل على كل ما تريده من سيرتهم المباركة، فعرف (قدس سره) متى ينكمش ومتى يتحرك، وماذا عليه أن يفعل، وكيف يتعامل مع الآخرين أفراداً أو طوائف أو سلطات، فبينما يكتب لي في منتصف الثمانينيات وكنت شاباً متحمساً للعمل الإسلامي فيقول: إننا في ظروف لعلها أشد من ظرف الإمام الحسن (عليه السلام) وحاجته إلى الصمت والتقية، تجده في سنته الأخيرة يقود تحركاً جماهيرياً مليونياً في وجه نفس السلطات العاتية.

- الجِدُّ والإجتهاد في تحصيل العلوم، لأن العلم من الركائز الأساسية في بناء شخصية القائد المصلح حتى بلغ أسنى درجاته ونال ملكة الإجهاد. كان يقول: إنني أشتغل حوالي ثمان عشرة ساعة في اليوم بالدراسة والتدريس والكتابة والتأليف، وقال مرة (قدس سره): إنه أثناء اشتغاله بتأليف موسوعة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) كان ربما يكتب أربعين صفحة في اليوم الواحد. وهو إنجاز ضخم لمن مارس عملية التأليف والكتابة، وحتى حينما يذهب إلى بغداد لكي تزور زوجته أهلها فإنه لا يضيع الوقت بل يقضيه بالكتابة والتأليف، وقد أجمع زملاؤه وأقرانه على جِدِّه حين بدأ بدراسة العلوم الدينية وانتمى إلى كلية الفقه سنة (١٩٥٧) وهو في الرابعة عشر من العمر، بعد امتحان أجراه له عميدها المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر وكان متفوقاً على أقرانه.

- عدم انفصاله عن واقعه وما يجري فيه ومواكبته له، فتراه مثقفاً بثقافة العصر ويتابع تطوراته العلمية والسياسية والاجتماعية، ففي الثمانينيات نصحني بقراءة مجلة

(علوم) العراقية التي كانت تعنى بأحدث أخبار العلم وانجازاته، وكان يهيمه منها أكثر باب العلوم الباراساينكولوجية، لأنها أولاً تنسجم مع توجهاته النفسية وتعلقه بما وراء المادة، ولأن فيها حسب تعبيره لطمه للمادية الغربية التي تؤمن بالمادة والمحسوسات فقط، وكان يستمع الى الإذاعة ويطلع على ما يدور في العالم حتى حصلت عنده رؤية رصينة للأحداث. ومن بحوثه التي كتبها وأهداها لي - وهي محفوظة لدي - بحث بعشرات الصفحات بعنوان (فلسفة الأحداث في العالم المعاصر والدروس والعبر المستفادة منه)، وقد علقتُ عليه وأضفت إليه مثله فرغب إليّ في أن أضمهما في كتاب. وكان مهتماً بأخبار الجمهورية الإسلامية في إيران وخطابات قائدها العظيم السيد الخميني (قدس سره)، ويستمتع مباشرة باللغة الفارسية، وقال (قدس سره) في ذلك : لأنه تجري على لسانه نكات عرفانية وأخلاقية، لا تعرضها الترجمة التي تهتم بالمقاطع السياسية والمتعلقة بالعمل الاجتماعي.

- وبعد تحرير الجمهورية الإسلامية لأراضيها من القوات العراقية في معركة (المحمرة) في آيار (١٩٨٢)، وانتقال العمليات الحربية الى الأراضي العراقية في تموز (١٩٨٢) سارت الحرب سنين عجاف رتيبة ثقيلة باهضة التكاليف بشرياً واقتصادياً، فكان من وجهة نظره (قدس سره) : أنه لا جدوى من استمرارها لأنه استنزاف لطاقت بلدين شيعيين (وهو توجه السيد الخامني رئيس الجمهورية آنذاك)، ومقابله الرأي القائل بضرورة استمرارها حتى القضاء على المعتدي ومحاسبته، وكنت معه وأردد ما كان يقوله الساسة الإيرانيون الآخرون كالرفسنجاني والأردبيلي ومن ورائهم السيد الخميني : أن السلم المفروض أسوأ من الحرب المفروضة. فطلب مني أن نفتح حواراً عبر المراسلة طبعاً - لأنه كان تحت الإقامة الجبرية - لمناقشة الرأيين، فكتبتُ بحثاً (نظرات في الحرب والثورة) وقد أتلفته حين داهمتنا القوات الصدامية عقب الإنتفاضة الشعبانية المباركة.

- نزوله الى المجتمع ومخاطبته لجميع الناس بما يناسبهم وعدم الابتعاد عنهم، فقد كان إلى حين تصدية للمرجعية يذهب بنفسه الى السوق ليوفر الحاجات المنزلية، وكان

يجب أن يطلع على آلام المجتمع وآماله وهمومه من دون أن يتخذ حاجباً أو (سكرتيراً).

- نقل أحدهم : أنه قلّد السيد الصدر (قدس سره) بسبب الطماعة، قيل له: وكيف؟، قال : لأنني سألت عدداً من المراجع وأنا أبحث عن أقلده : كم هو سعر الطماعة في السوق، فكان جوابهم جميعاً هو الزجر، وأن هذا ليس من اختصاصنا، إلاّ السيد الصدر فقد أجاب بالتفاصيل عن سعر الجودة منها والرديئة، فعلمتُ - والكلام له- أن هذا هو الرجل الذي يصلح لقيادة الأمة، وسواء صح هذا أو لم يصح لكن المهم أنه يعبر عن آلية للإيمان بالقيادة وصلاحتها، كما نقل عن ابن سينا وهو الفيلسوف العظيم : اللهم إيماناً كإيمان العجائز. أي أن هذه الوسائل الساذجة للإيمان بالحقائق قد تكون أثبت في القلب والنفس من طرق الإستدلال العقلية المتضخمة بالإشكالات والشبهات، وقد رأينا في صلاة الجمعة كيف يتحدث بلغة المجتمع فيفهمه المجتمع، ويشاركهم الحر والبرد، ويعيش في أوساطهم بلا تمييز عنهم، ويشمل بخطاباته كل شرائح المجتمع، فخاطب الحوزة والعشائر والمسؤولين السياسيين والديانات الأخرى حتى الغجر، بحيث أحس الجميع أنه منهم فيتأثرون به ولا يشعرون بالغرابة والإنفصال.

- إستثماره لطبيعة العلاقة مع السلطة الحاكمة التي شعرت بعد الانتفاضة الشعبانية المباركة وامتداد الحركة الاسلامية في العراق بالحاجة الى الحوار مع المرجعية الشريفة، والإنتتاح عليها وتخفيف القبضة الحديدية عن بعض ممارساتها الدينية، لكي تتجنب حصول ثورة شعبية عارمة قد لا تنجو منها هذه المرة، ولكي تُبقي على وجود للقيادة الدينية في النجف، لأن انحسارها التام يعني رجوع الشيعة في العراق الى القيادات الدينية في إيران، وفي ذلك خطر عظيم عليهم، لذا كانوا حساسين جداً من مقولة انتقال الحوزة الى قم المقدسة، وحريصين على عدم حصوله، وهاتان الحاجتان كانتا تمسكان يد النظام بدرجة من الدرجات عن التعرض لبعض النشاطات

الإسلامية للحوزة، في حين لم تكن تسمح بها أولاً ولا بأقل منها قبل ذلك، فاستغل السيد الشهيد (قدس سره) هذا الوضع لينطلق بمشاريعه الاجتماعية، وكانت قمّتها صلاة الجمعة، وحينما كان يحذر من بعض الخطوات التي يراها العارفون ببطش النظام أنها تؤدي الى الخسارة كان يقول (قدس سره) : إنما السلطة لنا كإشارات المرور، فنحن نسير حتى تشعل لنا ضوءاً أحمر فنقف، ثم نتقدم وهكذا، هذا الإستغلال الدقيق الواعي للعلاقة مع السلطة أتاح الفرصة لإنجازات عظيمة، في حين أن المتعارف على التصرف الشيعي أمام السلطات إما المواجهة غير المتكافئة والتي نتيجتها إهلاك الحرث والنسل وأزهاق أرواح المؤمنين الذين تعبت أجيال من العلماء على تربيتهم، والذين يقول فيهم السيد الخميني (قدس سره) فيما ينقل عنه : (إن بعض ما يسميه الشباب استشهاداً هو إنتحار)، أو الإنكماش والإنسحاب الذي يفوت الكثير من المصالح، أو الخضوع للحكام والإنسياق وراء رغباتهم وفي ذلك تضييع الدين وأهله. ^(١))).

(١) المصدر السابق، ص ٣٣٨ - ٣٤٤.

نشأته العلمية وأساتذته

تميز بموسوعيته ليس على الصعيد العلمي فقط، فهو قد تتلمذ في العلوم الدينية على ثلاثة اتجاهات، ولكنه لم يتقيد بواحد منها بقدر ما استفاد من ثلاثتها وكرّس تلك المعرفة بمنهج خاص به تفرّد به عن المدارس الثلاث، وأصبح مدرسة خاصة متميزة عن كل سابقتها.

فمنذ نشأته التي رافقت ظهور المصلح الكبير الشيخ محمد رضا المظفر الذي توازي حركته الإصلاحية في المؤسسة الدينية حركة الشيخ محمد عبده في مصر، وأثمرت حركة المظفر (منتدى النشر) و(كلية الفقه)، فكان للسيد الصدر حظ الانتماء والتخرج منهما على التوالي، ومن المجازفة أن يدّعي أحد زوال مثل هذه الحركات الإصلاحية، أو استمراريتها حرفياً، والصحيح أن أثرها الإصلاحي يبقى مع زوال مسمياتها، وتكون لها مساهمة فعّالة في صناعة الحركة المتطورة اللاحقة، ولكن يحتاج تشخيص أثرها إلى دقة واستقراء في تفاصيل الحركة الجديدة، وهكذا نجد كل حدث كبير وثورة إصلاحية قد تكونت من عدة عوامل ومؤثرات، ولا يمكن إلغاء أي جانب سواء في الناحية السلبية أو الإيجابية، فثورة السيد الصدر الإصلاحية مستمدة من شخصيته، حتى بعد استشهاد نجله ملامح هذه الشخصية حية عصية على الموت، ولم يكن السيد محمد الصدر يشبه أساتذته ومدارسهم تماماً، ولكن تجد أثر ما أخذه واضحاً، إما على نحو التطوير والتقدم أو على نحو التعديل أو الرفض.

الشيخ مرتضى آل يس، أحد مراجع الدين المعروفين، وهو من العلماء الرافضين للتعلم في أصول الفقه وللقضايا العقلية، وأن خير ما يجب على المتفقه عمله هو تكريس نفسه للفقه والرواية، ولكن السيد الصدر توجه إليه في أول شبابه بوصية من والده (السيد محمد صادق الصدر)، والظاهر أن سبب هذه الوصية هي ما يتمتع به

الشيخ آل يس من تقوى وتدين، فالتمس الأب (المشهور بتقواه هو الآخر) أن يتربى ولده الوحيد على يد هذا الشيخ ويتأثر به بداية حياته في الحوزة، ولكن السيد الصدر لم يجد فيه حاجته العلمية مع احتفاظه بتوقيره وإجلاله.

ثم التحق بالسيد الخوئي، الذي يعتبر مدرسة فقه وأصول كأفضل من استرجع وبوب أفكار وآراء أساتذته الماضين كـ (الشيخ محمد حسين النائيني، والشيخ محمد حسين الإصفهاني، والشيخ ضياء الدين العراقي). ولكنها مدرسته لم تكن يوماً مدرسة مبدعة تتناسب مع عصرها، أو تطور من فكر السلف أي مقدار معتد به، وطوال فترة هذه المرجعية منذ عام ١٩٧٠ لم تتقدم المنظومة الفكرية للحوزة عموماً، بخلاف المرحلة السابقة أي في عقدي الخمسينات والستينات اللذين شهدا إنتاجاً فكرياً كبيراً، ولكن معظمه كان من خريجي (جمعية منتدى النشر) و (كلية الفقه) اللتين أسسهما الشيخ محمد رضا المظفر، ومن بعض منتسبي مدرسة السيد محمد باقر الصدر الذين تخرجت أهم الأسماء منهم من (جمعية منتدى النشر) و (كلية الفقه) في نفس الوقت.

أخيراً التصق بأستاذه الكبير السيد محمد باقر الصدر، الذي نبغ وابتكر في شتى مجالات العلوم الإسلامية، وكانت مرجعيته من المرجعيات القليلة التي اعتنت بالجانب السياسي بما لا يقل عن عنايتها بالجوانب الفكرية، ونظر لحكومة إسلامية منذ وقت مبكر وسعى عملياً لإقامتها حتى وافته الشهادة.

وكان أثر السيد محمد باقر الصدر واضحاً في حياته الشخصية والعلمية، فسار على خطاه في تناول القضايا الفكرية الحديثة والتحديات المعاصرة، ولكنه لم يكن يوماً مقلداً له في أسلوبه ومنهجيته، مع أنه يرجع الفضل لأستاذه في التعرف على مجمل القضايا المعاصرة من خلال فتح هذه الآفاق. فقد أكمل بجدارة نقائص (فلسفتنا) في كتابه (اليوم الموعود)، ولا أعني أنها نقائص ذاتية وإنما نقائص موضوعية فرضها الزمن الذي عاشه الأستاذ، بمعنى القابلية والعقلية المتوفرة آنذاك على صعيد الخاصة

والعامة، إضافة الى حادثة الفكرة غير معتادة في البيئة العلمية في الحوزة عموماً، وتجدر الإشارة الى وجود استعجال من قبل السيد محمد باقر الصدر في إخراج (فلسفتنا) الى الوجود نظراً لفداحة التحدي، حيث لم يصدر من الحوزة أي إصدار يتناسب مع حجم (موجة الماركسية) آنذاك، فكان يتكلم نيابة عن الماركسيين وغيرهم ويجب في نفس الوقت.

ولكن تلميذه السيد محمد الصدر استفاد من عامل الزمن واستمهل نفسه، فردّ على كل الإشكالات التي وردت على كتاب أستاذه متوسعاً وبلغاً أخرى غير لغة أستاذه، ليست مناقضة لها ولكنها مختلفة حملت شخصية التلميذ المستقلة، التي مزجت بين الرؤية الواقعية والعقلية وبين الرؤية الدينية، وبعبارة أخرى بين المادية المفروضة على الحياة البشرية وبين ما وراء المادة كقوة لها الهيمنة والتصرف على عالم المادة. يقول عن هذا الأمر:

((كنت أعلم أن الماركسيين ردّوا على مطالب السيد محمد باقر الصدر، ليس بالتسمية وانما يذكرونها كمطالب ويناقشونها، فأنا حرصت على أن آخذ أجوبتهم وأجيب عليها في اليوم الموعد، يعني أن المناقشات الماركسية في اليوم الموعد خطوة متقدمة بعد (كتاب) فلسفتنا، لا يمكن لـ(كتاب) فلسفتنا أن يتكفلها في الحقيقة، وهي أكثر تفصيلاً، وأيضاً نصوص الماركسيين ذكرتها بألفاظهم، وليس بفهمي طبعاً، (بينما) السيد (الصدر محمد باقر الصدر) في (كتاب) فلسفتنا كأنما هو الذي يتكلم))^(١).

لقد تميّز عن أستاذه بالواقعية والاستشراف، فقد كان أستاذه حسن الظن كثيراً (مثالياً)، ولربما بشكل مبالغ فيه، وهذه الخصلة ليست إرادية، خاصة في شخص

(١) لقاء صحفي مصور.

كالسيد محمد باقر الصدر، بحكم بيئته وتربيته وموقعه و(مرحلته)، فقد واجه زمنه موجة عاصفة من المادية والإلحاد لم تسلم منه حتى بعض أسرار كبار علماء الحوزة في النجف الأشرف، ومكمن الخطر هو أن كل موجة وصيحة وتيار جديد يأتي عند وجود أزمة يكون مصدر ترحيب عند عامة الناس المتضررين مادياً ومعنوياً للفرصة في الخروج من هذه الأزمة، وموجة الشيوعية كانت في قممتها لأنها كانت في بدايتها، ولم تكن المؤسسة الدينية عموماً مستعدة لها أكثر من الدفاع المعتاد بسلاح (الفتوى)، وكانت الفتوى سلاحاً فعالاً قبل ذلك نظراً لمحدودية التحدي (مثل فتوى تحريم التدخين للمجدد الشيرازي)، ولكن ما لم يشعر به (المفتي) أن طغيان الإقطاع في وسط وجنوب العراق كان بحاجة إلى ردعه بنفس القوة التي رُدعت به الشيوعية، ولما كان الإقطاع وثيق الصلة بـ(المفتي) بتبادل المنفعة، فقد أحجم (المفتي) أو غرض بصره عن ظلمه وطغيانه، فجاء صوت الوهم الشيوعي بالمساواة فوجد أرضاً خصبة، لأن كل المجتمعات البشرية عبر التاريخ تتأثر بالفعل دون القول مهما كان الفاعل متدنياً وجاهلاً، ومهما كان القائل كبيراً وعبقرياً، وفي المجتمع العراقي وغيره كان الجهل مستشرياً فلم يغلق بابه دون الشيوعية التي لم تصرح بالإلحاد في أحيان كثيرة حرصاً على جر المجتمع إليها^(١).

لم يكن السيد محمد باقر الصدر يعوزه الذكاء والفراسة لتمييز محيطه، ولكنه لم يتعامل وفق (فراسته) للإنتفاع بهؤلاء وغيرهم نظراً لفداحة المواجهة والتحدي، وفرض عليه موقعه المسؤول غرض النظر عن النقائص والتجاوزات، أما الصدر الثاني فلم يكن في نفس الموقع فلم يضطر للتعامل معهم، ولكنه عندما تولى المسؤولية

(١) وتروى حكايات مضحكة في ذلك، من قبيل أن بعض الاجتماعات والندوات التي كان يديرها بعض الشيوعيين جنوب العراق كان الحضور يبدأونها بالصلاة على محمد وآله ويختمونها بها، لأن الشيوعيين لم يجرأوا على إعلان الإلحاد أمام هؤلاء الناس البسطاء الذين غرر بهم ما كان يُطلق من شعارات المساواة والعدل.

بعد رحيل أستاذه اضطر الى خوض نفس الغمار ونفس التعامل (تقريباً) مع نقائص معظم أعرافه والمقربين منه.

وبعد حوالي عقدين من الزمن كان لا بد من منهجية أخرى لا تكرر (فلسفتنا) بل تتجاوزها الى آفاق تتناسب مع الزمن الجديد، فكان (اليوم الموعود) الذي لم يقتصر على فلسفة التاريخ ونظرية المعرفة وإثبات وجود خالق للعالم، بل قفز الى التنظير للدولة في المستقبل غير المنظور، ووضع لسنن التاريخ مصاديق من كل مرحلة (أساسية).

أجاب عن سبب كون الأديان والكتب السماوية السابقة لا تعطي أجابات شافية ولا تصلح لأبعد من أزمانها التي وضعت لها، وبجرائته المعتادة صرح بعدم كفاية تلك الأديان والشرائع كونها تناسب العقلية البشرية الساذجة، مع إحتفاظه بمبدأ (دين واحد بمستويات متدرجة) فكان هو الجواب عن مقولة (الدين أفيون الشعوب)، فهو كذلك لأنه الدين والتشريع الذي كان مناسباً لزمناه أما الآن فهو سيصبح المشكلة وليس أفيوناً فحسب.

لم يفهم (بحسن أو بسوء نية) بعض المنتسبين سابقاً الى مدرسة السيد محمد باقر الصدر منهجيته السالفة فوصفوه جهلاً بـ(المنهج الإلتقاطي)، أي الأخذ من الأفكار والنصوص ما يتناسب مع أطروحاته أو أفكاره، ولكن هؤلاء لم يأخذوا بنظر الإعتبار محاكاة المرحلة والتدرج معها، ولم يفهم ذلك السيد محمد باقر الصدر فوضع بين قوسين (إن هذه النصوص والأفكار لا تعبر عن فتواه) أنظر كتاب (اقتصادنا)، فكان هذا سرّ عظمته والاستماع له من قبل الجميع، وهذه هي النقطة بالذات التي همّشت تلميذه الصدر الثاني طيلة ثلاثة عقود، فالأخير تشبّث بالنص الإمامي (نصوص أهل البيت "عليهم الصلاة والسلام") فلم يجد له مكاناً طيلة ذلك الوقت في المنظومة الإعلامية التي تفضّل الأطروحة التي تدعو للتقريب بين شتى الأفكار،

ولكن الصدر الأول في نفس الوقت تألق في منظومته العقائدية الشيعية، فهو من ناحية متمسك بالنص الخاص وعليه كانت فتواه (الفتاوى الواضحة)، واختزل في بحثيه الصغيرين (فدك في التاريخ) و (بحث حول المهدي "عليه السلام")^(١) أسس مذهب أهل البيت (صلوات الله عليهم)، فقضية فدك ارتبطت بأول مشكلة في صدر الإسلام، وعقيدة المهدي التي لا يخفى أهميتها، وهاتان القضيتان تتمحور حولهما مع ملازماتهما كل منظومة التشيع (الإمامة)، أما متهموه بالالتقاط فهم من أشهر الإلتقاطيين في تاريخ المؤسسة الدينية المعاصرة.^(٢)

(١) يتوهم الكثيرون ظناً منهم أن (بحث حول المهدي) الذي كتبه السيد محمد باقر الصدر مقدمة لموسوعة الإمام المهدي التي ألفها تلميذه الصدر الثاني، بينما كُتبت الموسوعة ونُشرت قبل هذا البحث، ولكنه كان بمثابة إشارة الى أهمية الموسوعة والتحفيز على قراءتها، وقد طبع هذا البحث عدة طبعات، وشرح من قبل د.عبد الجبار شرارة في إيران، ولكن حذفت منه إشادة الصدر الأول بالموسوعة وبمؤلفها الصدر الثاني، وقد توجهت بالسؤال عن سبب الحذف الى الحاج علي شرارة قريب د.عبد جبار شرارة، والحاج علي من الشخصيات الاجتماعية المحترمة في مدينة قم وهو من أهالي الديوانية هاجر الى ايران بعد الانتفاضة الشعبانية، فأجاب عن لسان د.عبد جبار شرارة : أن الحذف قامت به (مؤسسة الغدير) التابعة للسيد محمود الهاشمي رئيس السلطة القضائية آنذاك، والله في خلقه شؤون؟! عباس الزيدي. أنظر : بحث حول المهدي، السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) تحقيق : الدكتور عبد الجبار شرارة. الناشر : مركز الغدير للدراسات الاسلامية. الطبعة الأولى المحققة ربيع الثاني ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م المطبعة : فروردين - إيران.

(٢) هذا الاتهام صدر من الشيخ علي الكوراني في مقدمة لكتاب في مدينة قم عام ٢٠٠١، وهذا الرجل كان في بداية أمره من مريدي السيد محمد باقر الصدر ثم انتقل الى تأييد قيادات الثورة الاسلامية في ايران، وبعد خصومة المنتظري مع الخميني تحول مع الاول، ثم تحول الى المدرسة التقليدية ضمن كادر السيد الكلبايكاني وأخيراً ضمن مجموعة السيد السيستاني، ونتيجة هذه التحولات تحول بأفكاره من الثورية الى الاستكانة، ويعتبر نفسه أحد كبار المختصين بروايات وقضية الامام المهدي (عليه السلام)، وفي الواقع ليس عنده أكثر من رواية لا يعلم ما وراء الكثير منها، وكفي أنه كان يعتقد حسب كتابه (عصر الظهور) أن الثورة الايرانية هي الركيزة لدولة الامام المهدي، ولكنه عزف عن فكرته ورأيه هذا بعد أن انتقل الى الجبهة التقليدية، وبعد كل هذا نستغرب من كلامه عن الالتقاط والالتقاطية والتقلب والمتقلبين. وقد واجه ردة فعل عنيفة من قبل الأوساط العلمية والشعبية العراقية في مدينة قم، فحملت عليه المنابر وعقدت الندوات منها ندوة للسيد A

كان يدقق في الحقائق والكلمات، فقد روى أحد الفضلاء^(١): ((أن السيد محمد باقر الصدر ذكر مرة في درسه مفهوم ﴿أن الحقيقة لا تخفي نفسها﴾، فاعترض السيد محمد الصدر بأن ﴿الحقيقة قد تخفي نفسها، فمثلاً وصلتنا آراء الشيخ الطوسي ولكن كان في زمانه الكثير من العلماء ممن لم تصلنا آراءهم﴾)).

ومفهوم الحقيقة هو بالتأكيد أوسع من رأي لعالم في الفقه أو الأصول أو العقائد، إذ ليس من الضروري أن يكون هذا الرأي الذي لم يصلنا هو المطابق للحقيقة، ولكن ما يريده السيد الصدر أن الحقائق ليست بهذا الوضوح المثالي الذي تحدث عنه الأستاذ، ويمكن أن ندافع عن أستاذه أن نقول أن الحقيقة تفرض نفسها ولو بعد حين، وحتى ما يتوفر لدينا إنما هو وجه من وجوهها الذي يتناسب مع زمننا واستحقاقنا المعرفي والإيماني، ولكن لا يمكن بحال أن نسميه حقيقة مطلقة. فكلما القولين يصدقان نسبياً وهذا هو حال كل المعارف تقريباً. والمفارقة أن الحقيقة لم تخفي نفسها في شخص السيد محمد الصدر وخروجه الى المجتمع والتفافه حوله، وهو الذي كان يعتقد أن ذلك غير محتمل أساساً لعدم تطلعه الى التصدي لهذا الشأن طيلة حياته، وما حصل معه من تغير وتغيير في المجتمع يثبت كلمة أستاذه بأن ((الحقيقة لا تخفي نفسها)).

أهم أوجه التشابه بينه وبين أستاذه هو الإبداع والخروج على المؤلف، فالأول لم يكتف بمزاحمة الفكر المادي بل رفض حتى بعض المتعارف والمشهور، كما هي مناقشته العلمية لقانون أو مقولة (الحاجة أم الاختراع)، التي دلت على اطلاع على

=عمار أبو رغيف في مقر رابطة الكتاب والمثقفين العراقيين، كما تعرض للضرب من قبل بعض منتسبي حزب الدعوة (وكان لحزب الدعوة في مدينتي قم ودمشق مجموعة من ذوي البنية العضلية الجيدة، وكانت مهامهم تقتصر في نصرته الحزب عضلياً لمواجهة المحتجين أو المخالفين لقيادات الحزب، والويل كل الويل لمن يقع تحت أيديهم).

(١) هو السيد كمال الحيدري في أحد دروسه المسجلة في حوزة قم.

التاريخ وذكاء في التعامل معه، وعلى هذا الطريق رفض الثاني جملة من الأفكار والمعتقدات والتفاسير الفقهية واللغوية والفقهية، وكان أفضل من بحث (الرمزية) في النصوص، خاصة في ما يتعلق بروايات الإمام المهدي (عليه السلام)، ولم يسبقه أحد المهتمين بهذه العقيدة بهذا الطرح، بل يمكن اعتبار كل موسوعته هذه غير مسبقة ليس من حيث الحجم فحسب بل من حيث المضامين، وهو ما ذكره أستاذه في (بحث حول المهدي) الذي اعتبر موسوعته (لم يسبق لها نظير في تاريخ التصنيف الشيعي).

ناقش جملة مهمة من أفكار أستاذه وأسلوبه، في الإقتصاد والمعاملات المصرفية التي خصص لها كتاباً كاملاً من موسوعته (ما وراء الفقه ج ٤). وهذا الكتاب يستحق العناية من قبل المختصين فقد أوجد حلولاً جوهرية لمشاكل التعامل مع المصارف على أساس إسلامي صرف، وأسهب في مناقشة آراء أستاذه الصدر الأول، وذكر في أول الكتاب : ((لم يكن عمل بعض أساتذتنا^(١) حين أراد أن يتصور بنكاً لا يتعامل بالربا المحرم شرعاً، ويطبّق تفاصيل أعمال البنوك على القواعد الفقهية، لم يكن عمل ذلك سهلاً ولا قريباً من المتناول في حدود الفهم الذي يعيشه الفقهاء عادة. ويكفي أنه أول من تعرّض لهذا الشكل من أشكال الفقه تماماً))^(٢).

وهنا يأتي السؤال : لماذا لم تشتهر أفكاره في فترة صدورهما كما اشتهرت أفكار أستاذه ما دامت بهذه الأهمية والسعة، إضافة الى ما ذكرناه؟.

وهذا له أكثر من سبب : شهرة أستاذه التي غيّبت منهجه الأخلاقي الذي ينأى به عن طلب الشهرة. رفضه لحزب الدعوة الذي تبناه معظم أقرانه الذين باتوا يعدونه

(١) لم يكن يستطيع التصريح في هذا الوقت باسم أستاذه (بعض أساتذتنا) أي (السيد محمد باقر الصدر) نظراً

لحاجة الموقف، ولكنه بعد ذلك صار يصرّح باسمه علناً، بعد أن توسعت مرجعيته.

(٢) الصدر، محمد، ما وراء الفقه، ج ٤ ص ٧.

خصماً ومنافساً وكان هؤلاء أهم قنوات الاتصال مع المجتمع، ولكن على صعيد الخاصة أي الطلبة الفضلاء في الحوزة فكانوا يعرفون مكانته^(١). وأخيراً التحاسد عند أقرانه الذين لم يقدموا أي مستوى فكري يذكر فوجدوه أكبر منهم فأضمرها له.

كما أن الإعلام الحكومي ساهم لفترة وجيزة ولكنها بقيت في الأذهان في التعريف بالسيد محمد باقر الصدر، وذلك عندما قامت السلطات بنشر كتابي (اقتصادنا) و (فلسفتنا)، وتبني الجامعات لهما لمواجهة خطر الشيوعية، وقد طبع الكتابان في العراق ومصر عدة طبعات، كما قام الأكاديميون القوميون الذين كانوا في مواجهة الشيوعيين بترجمتهما.

وبعد ذلك عندما نهض بثورته الإصلاحية لم يقتصر خصومه على زملائه فهو لم يعد خطراً على الصعيد الفكري فحسب بل بات (ينازع الناس سلطانهم) كما عبر أحد الأبواق الإعلامية للمؤسسة التقليدية.

مدرسته الأخلاقية

وهناك جانب لم توله الحوزة ما يستحق عموماً، ولم تتوجه إليه أي من المرجعيات السابقة إلا القليل منهم، وهو العرفان، أو تهذيب النفس بمستويات تتجاوز المعارف في الرسائل العملية والفهم السطحي لصحائف الأئمة من أدعية وتوجيهات أخلاقية.

(١) اجتمع عدد طلبة السيد محمد باقر الصدر في السبعينات فدارت بينهم مناقشة حول أي طلبته أعلم من الآخر، وكانت المقارنة محصورة بين السيد محمود الهاشمي وبين السيد محمد الصدر، فكان إجماعهم على أعلمية السيد محمد الصدر إلا واحد منهم. نقلاً عن عبد الجبار الرفاعي في حديث جرى في منزل السيد رشيد الفاضلي حوالي عام ٢٠٠٠ في مدينة قم. عباس الزيدي.

تتلمذ لمدة عامين على يد الحاج عبد الزهرة الكرعاوي الذي يبدو أنه من تلامذة السيد علي القاضي العارف الكبير، أو أن الكرعاوي كان صاحب مدرسة خاصة، وهذا ليس متيسراً حالياً معرفته لنا. ويمكن معرفة نزر يسير من سيرة الكرعاوي من خلال ما ذكره السيد محمد حسين الطهراني في كتابه (الروح المجرد)، ولكن هذا القليل يدل على عظمتة ومكانته.

من الواضح الاتجاه الإخلاقي عند السيد الصدر منذ فترة مبكرة جداً وقبل أن يأخذ من أي شخص، ويدل على ذلك كلماته المنتشرة في كتبه الأولى مثل كتاب (نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان) عام ١٩٦٢، ومنها :

((ثم أن للفرد بعد تقيده بتعاليم دينه القويم، أن يفعل ما يشاء، وأن يقول ما يشاء، وأن يذهب إلى حيث يشاء، لا حرج عليه في ذلك. إلا أن يده لن تفعل، ولسانه لن ينطق إلا الشيء الذي يرضاه الإسلام^(١)، بعد أن يكون قد انصهر في بوتقة تعاليمه، وكون في كيانه نفساً وضميراً إسلاميين يأمرانه بالخير وينهيانه ويؤنبانه على الشر والخروج على تعاليم الإسلام.

(١) قول السيد الصدر هنا "الذي يرضاه الإسلام"، يتعارض مع توجهاته اللاحقة، فالمهم هو ما يريد الله تعالى، وليس الإسلام كشرعية، فما يريد الله تعالى أعم وأدق مما يريد الإسلام كتشريع وجد لكافة البشر، وهذا المستوى من التفكير السابق عند السيد الصدر سرى إليه من أستاذه (قدس سره) ومن الجو العام السائد تلك الأيام، التي شهدت توجهاً نحو محاولة إضفاء صبغة عقلانية تتوافق قدر الإمكان مع التطور الحاصل في العالم، أو محاولة عقد المقارنة على الأصعدة العلمية والسياسية والاجتماعية حينذاك، لذلك نراه يرفض بعد ذلك هذا التوجه ويعتبره مستوى متدني من التفكير، ففي مورد تعليقه على كلام لأستاذه جاء فيه (فكلنا نعلم أن الرسالة الإسلامية بوصفها رسالة عقائدية قد خططت لحماية نفسها... الخ)، فقال تعليقاً على هذا الكلام (هذا المجاز على أنه مستعمل في كثير من الاتجاهات إلا أنني لا أستسيغه، فإن الذي يخطط ليس هو الرسالة الإسلامية وإنما واضعها وقائدها، والبديل بنحو "الحقيقة" موجود عندنا وقريب فلم هذا المجاز، وأتذكر هنا - بلا تشبيه - كلمة لكارل ماركس يقول فيها : إن الشيوعية تعلم أنها هي الحل!!، إن هذا مما لا معنى له بالضرورة. البعقوبي، دور الأئمة في الحياة الإسلامية، ص ٢٦.

ولكن الشيء الذي ينبغي ملاحظته في المقام أن هذه الحرية التي ينالها الفرد في الإسلام لا تكون إلا إذا أراد الإنسان أن يقتصر على إطاعته للواجبات واجتنابه للمحرمات الإسلامية، وإلا فهو إن أراد أن يتابع الإسلام في جميع تعاليمه وإرشاداته، فإنه لا بد أن يلاحظ ذلك في كل نفس من أنفاسه، وكل دقيقة من دقائق عمره، فإن للإسلام طائفة ضخمة من التعاليم والإرشادات لأجل تربية الإنسانية والفرد وتهذيبهما وجعلهما إنسانية وفرداً عادلين بجميع ما في هذه الكلمة من معنى. وإنما يتبع الفرد هذه التعاليم بمقدار إخلاصه الديني، وبمقدار توفيقه الى نيل الكمال الأعلى.^(١)

اتخذ مسلك الزهد حتى غاب عليه رفاقه ذلك، بل إننا نراه يتعارض مع رؤية أستاذه الكبير الصدر الأول بهذا الصدد، فمن المعروف عن أستاذه والكثير من طلبته رفضهم أو عدم وضوح العرفان عندهم، فعندما يقول أستاذه في معرض حديثه عن الصور الخاطئة لفهم الإسلام والتطبيقات المنحرفة للدين : (وأحد تلك الاتجاهات مما كان يفعله الصوفية من طقوس وشعائر ومظاهر خارجية وأفعال خارجة عن أصل الدين، وغالباً ما كانوا يبتغون من وراء ذلك خداع العامة وكسب ودّهم وإكرامهم وتقديسهم، وكانوا يلبسون الخشن من الثياب كشعار لهم ورياء أمام العامة^(٢)..).

فردّ معلّقاً على هذا الاتجاه :

((ينبغي الالتفات هنا الى عدة نقاط قبل التسرع بالحكم : بأن لبس الخشن وأكل الجشب يمثل إنحرافاً عن الإسلام :

(١) الصدر، محمد، نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان، ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) اليعقوبي، محمد، دور الأئمة في الحياة الإسلامية، ص ١٣١.

النقطة الأولى : أنه يكاد أن يكون من ضروريات الدين وعليه عشرات بل مئات الروايات، وعليه أيضاً مسلك عدد مهم من علمائنا الأبرار "قدس الله أسرارهم" : استحباب الزهد بل تأكد استحبابه جداً، والاعراض عن أهمية الدنيا وملاذها وشهواتها وأهدافها، وقد ألفت في ذلك العديد من الكتب، يكفينا من ذلك "نهج البلاغة" الذي ذم الدنيا ووصفها بما تستحق من الأوصاف، وخطبته "عليه السلام" في لزوم اتباع سيرة الانبياء موسى وعيسى ومحمد "عليهم السلام" حتى أن موسى "عليه السلام" كان تظهر خضرة النبات من صفاق بطنه لهزاله، وعيسى كانت دابته رجليه وخادمه يديه.... الخ، ثم يصف حال النبي "صلى الله عليه وآله" ثم يعرج على نفسه حتى يذكر مدرعته وأنه قد رقعها حتى استحيا من راقعها، ولا اشكال أن لنا بهم أسوة حسنة، وفيها - أو في غيرها - أن الدنيا لو كانت عند الله شيئاً لما حرّمها نبيه وأوليائه وأعطاهم لأعدائه... الخ.

النقطة الثانية : إنه ورد بعدة مضامين أن الأمر يدور بين الدنيا والآخرة وهما ضربتان لا تجتمعان بمقدار ما يزيد من أحدهما يقل من الأخرى حتى أنه لا تنال سلامة القلب والنور الذي يمشي به في الناس وغير ذلك من الرحمات الخاصة إلا بدرجة مهمة من الزهد والإعراض عن الدنيا، وليس لأهل الدنيا أي حصة في عالم الملكوت، هذا على أن لا يكلف الإنسان ما لا يطيق وأن يتصرف معها في حدود وسعها.

النقطة الثالثة : إن بين التصوف والزهد فرقاً كبيراً، فإن الزهد هو الإعراض عن الدنيا ومحاربة الشهوات والنفس الأمارة بالسوء، وأما التصوف فهو مسلك معين له محاسنه وعيوبه، قائم على تسلسل المشيخة بحيث لا يحصل أحد على نتيجة باعتقادهم إلا إذا أجازته شيخه في الطريقة، ويوجد منهم من يمارس الرقص، ومنهم من يترك العبادات الواجبة وغير ذلك، فالمسلك بمجموعه ليس بصحيح، وإن كانت بعض وجهات النظر لديهم قد تتفق مع غيرهم.

النقطة الرابعة : إنه وجدت اتجاهات مؤسفة تخلط بين الزهد والتصوف، بمعنى: أنه تنبذ كل زاهد بأنه متصوف، مضافاً الى أن الكثير منهم أسقط الزهد عن نظر الاعتبار واعتبره انحرافاً وخارجاً عن الدين ونحو ذلك.

واتجاه الخلط هذا ناشئ من إحدى جماعتين :

الأولى : الاستعمار الاوربي الذي حاول أن يبعد الناس عن دينهم ويقربهم الى الدنيا، فإنه لعله أدرك أن المسلمين لو كانوا زهاداً لازداد صبرهم وشجاعتهم ضده وزاد إعراضهم عن تسويفه ورغائبه وخدمة أعراضه، وكان أفضل طريق له في الإبعاد عن الزهد هو أن يقرن بينه وبين التصوف الذي يكرهه الناس ويخافون منه.

وهذا الاتجاه الذي انطلق منه - من حيث يعلمون أو لا يعلمون - كل الكتّاب المحدثين (العلمانيين) الذين كتبوا عن التصوف أو تعرضوا له أو ترجموا من هو زاهد أو متصوف، فلم يخل أحد من طعونهم ونقدهم.

الجماعة الثانية : اتجاه التدين الحديث الذي كان ولا زال - الى حد ما - ينبذ الزهد والتصوف بكل ما أوتي من قوة، ويعلن انسجام الدين مع الدنيا مائة بالمائة مستشهداً بالروايات التي ذكرتها في الكتاب.

ولكن يا حبيبي إن هذا على إطلاقه وبشكله الكامل خطأ ومخالف لكتاب الله وسنة الرسول "صلى الله عليه وآله" ووصيه وسيرة الأنبياء "عليهم السلام" والصالحين، بل ينبغي إعطاء كل شيء حجمه وحكمه الحقيقي كما يدلنا عليه الدليل الشرعي.

فإنك تعلم أن الناس يختلفون في مقدار الإدراك والثقافة، كما يختلفون في مقدار الصبر والتحمل الى جانب اختلافاتهم الأخرى، فبعد أن نأخذ بنظر الاعتبار أن الزهد راجح ومطلوب حقيقة يمكن أن نستثني من ذلك عدة صور:

الصورة الأولى : في النقاش مع المادية الأوربية أياً كان اتجاهها، فإن الكلام معها ينبغي أن يقتصر في عرض قانون الإسلام العادل أو غير ذلك على ما هو واجب ومحرم في الإسلام وعلى الفتاوى الاعتيادية (الظاهرية) المتسالم على صحتها دون المسالك (الخاصة) التي تربي النفس والضمير، فإننا تجاههم أمام أصل العقيدة ولسنا بصدد تربية النفس.

وهذه الصورة هي التي تعطي ضوءاً وعذراً لاتجاه التدين الحديث في ابتعاده عن الزهد لأنه كان منازلًا للمادية الأوربية التي لا يجب تذكر الزهد أمامها، إلا أنهم مع الأسف تطرفوا في النقد العاطفي، حتى أن بعضهم كان يتعجب بل لعله يستهزئ بمن يقيم النوافل اليومية ويكثر الدعاء^(١)، والله في خلقه شؤون والحديث ذو شجون.

الصورة الثانية : في تربية العامة الذين يغلب عليهم قلة الصبر وقوة الشهوات والاندفاع بالاطماع الدنيوية، فإننا لا يجوز أن نكلفهم ما لا يطيقون ونأمرهم بالزهد الذي لا يتحملون، وإنما يجب توجيههم الى الواجبات والمحرمات العامة فقط.

الصورة الثالثة : حفظ الظاهر في عدة أشكال : إما لأن الفرد الزاهد لا يريد أن يعرف الناس عنه الزهد فهو يماشيهم على طباعهم، وإما لأن الفرد لا يريد من الناس اتباعه في الزهد لأنهم لا يطيقون، وإما لأن الفرد لا يريد توريط الناس بنقده والاحتجاج عليه وعلى مسلكه فهو يتصرف معهم بما يدركون ... وهكذا.

(١) رأينا عدداً من هؤلاء في مدينة قم ممن يحسبون أنفسهم على مدرسة السيد محمد باقر الصدر، فمنهم من يستهزئ بالاستخارة، ومنهم من يؤدي الصلوات اليومية الواجبة بثاقل، ومنهم من تملك العقارات وحصل على الثروة بشتى العناوين، ومنهم من لا هم له سوى إرضاء السلطان للحصول على المناصب حتى نسوا أنفسهم وتاريخهم وأصبحوا أعداء لمن كان ولياً حميماً. عباس الزيدي.

أقول : وعلى إحدى هاتين الصورتين - الثانية والثالثة - يُحملُ كلام الأئمة "عليهم السلام" في الروايات التي نقلتها في الكتاب، وبذلك يمكن الجمع ورفع التهافت بين ما دَلَّ على الزهد وبينها، وكذلك رفع التهافت بين فعلهم وفعل آبائهم كأُمير المؤمنين "عليه السلام".

أقول : ولا ينبغي أن تفوتك تلك الرواية التي ذكرتها بنفسك وهي التي يلتقي فيها الإمام الصادق "عليه السلام" بأحد الزهاد فيجد أنه قد لبس الخشن ظاهراً وتحت ثوب رقيق، في حين أن الإمام "عليه السلام" كان بالعكس، فقال له الإمام "عليه السلام" : هذا لله وهذا لكم. إذن فهؤلاء الأئمة "عليهم السلام" الذين كانوا يلبسون الملابس الفاخرة كانوا زهاداً لله فقط بدون عجب ورياء.^(١)

الصدر والسياسة

كانت للسيد محمد الصدر رؤيته السياسية الخاصة منذ وقت مبكر، مع أنه لم ينخرط في أي تنظيم أو يتأثر بأية منظومة سياسية ظاهرة على الساحة في تلك الفترة حتى استشهادهِ، ولكن نلاحظ في نفس الوقت أنه من المنظرين المهمين لتوجه سياسي مستقبلي كبير، فقد ناقش منذ وقت مبكر جذور السياسة الغربية في كتابه (نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان) عام ١٩٦٢ وفي هذا الكتاب يظهر لنا بشكل مقتضب منهجه السياسي والأخلاقي الذي اختطه لنفسه ومن بعد ذلك سار عليه أو أسَّس له، فمن آباء السياسة الغربية (جون لوك، توماس هوبز، وجان جاك روسو)، إلى آباء الماركسية والشيوعية (ماركس، إنجلز، وبلخانوف، وغيرهم) في كتابه المهم

(١) يعقوبي، محمد، دور الأئمة في الحياة الإسلامية، هامش ص ١٣١ - ١٣٤.

(اليوم الموعود) تناول آراهم بالتفصيل وبفكر مجرد حديث لم يسر فيه على غرار المنهج التقليدي السائد في الاتجاهات الدينية، وعلى الرغم من كونه من المحسوبين على مرجعية السيد محمد باقر الصدر والمتأثرين به ومن أشد أتباع مدرسته، إلا أنه اختط لنفسه طريقاً خاصاً به منذ وقت مبكر جداً.

رفض الانتماء الى حزب الدعوة بالرغم من كونه شاباً في السنوات الأولى لتأسيسه، فهو من مواليد عام ١٩٤٣، بينما تأسس حزب الدعوة عام ١٩٥٧ أو ١٩٥٨، وعادة ما يكون الشباب أكثر اندفاعاً لكل ما هو جديد، فضلاً عن كون أستاذه الصدر قد وافق على رعاية الحزب الذي تأسس على يد السيد مهدي الحكيم وبعض فضلاء الحوزة وغيرهم ذلك الوقت.

وكان من المفترض أن حزب الدعوة يتقيد بتوجيهات القيادة الدينية وليس أنها اقتراحات قابلة للأخذ أو الرد، لهذا رفض بأي شكل التواصل مع حزب الدعوة.

((يوجد خلاف بين السياسيين الإسلاميين حاصله : أنه من هو الأصل ولمن مرجعية القرار هل للمرجعية الدينية ويكون دور الحزب التنفيذ والعمل ضمن توجيهات المرجعية، أم أن الأصل هو الحزب فهو الذي يقرر وينفذ، ويكون دور المرجعية تقديم النصائح غير الملزمة.

وكان (قدس سره) يعيش تجربة مرةً من بعض الأحزاب الإسلامية الشيعية التي تأسست برعاية المرجعية، ثم خلفتها وراء ظهرها وأعطت لنفسها الحق في القيمومة على آراء المرجعية. ^(١))).

وصل الأمر بطلبة العلوم الدينية من مقلدي وأتباع السيد محمد باقر الصدر ممن كانوا منظمين في حزب الدعوة الى مقاطعته عند صدور حكمه بحرمة الانتماء الى الحزب

(١) يعقوبي، محمد، الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه، ص ٣٥٨.

عام ١٩٧٤م :

((ومهما كانت الدوافع التي تقف وراء قرارات الإمام الصدر وإجراءاته الاحترازية فإنها أدت الى فصل مسار الدعوة عن مسار مرجعيته، وكان بعض مظاهر هذا الفصل تحوّل الطلبة الذين كانوا يدرسون في حوزة الإمام الصدر - ومن الذين تمسكوا بانتمائهم التنظيمي لحزب الدعوة - للدراسة عند علماء آخرين^(١))).

وبالرغم من أن كل مدرسة أستاذه الصدر كانت محسوبة تاريخياً على حزب الدعوة، وهذا من الأخطاء التاريخية الفادحة، إذ لم يكن نفس السيد محمد باقر الصدر كفرد أو عضو في الحزب، فإن حزب الدعوة مستقل عنه قبل أن يتولى الإشراف عليه، إذ لم يكن هو من المؤسسين له، وإنما عرض عليه المؤسس السيد مهدي الحكيم رعاية الحزب والإشراف عليه بعد تأسيسه^(٢)، وبعد سنتين انسحب السيد محمد باقر الصدر من هذا الإشراف، بتوصية حكيمة من السيد محسن الحكيم الذي كانت عنده تجربة طيبة سابقة على الصعيد السياسي. واستقل الحزب تماماً عن توجيهات المرجعية ولم يكن معظم قاداته يرون أنهم ملزمون بأوامر المجتهد، ولكنهم بقوا على اتصال متذبذب مع السيد الشهيد حتى تفرقوا بين المعتقلات والهجرة، ولم يبق أحد منهم قربه في أيامه الأخيرة، ولكن السيد الصدر لم يعلن براءته وتنصله عن الحزب حتى

(١) الخرسان، مصدر سابق، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٢) تضاربت الآراء حول كيفية تأسيس حزب الدعوة ومكان وزمان الاجتماع التأسيسي الأول والتي وردت في بعض شهادات (النواة الأولى المؤسسة للحزب)، فقد ذكر مهدي الحكيم في أنه تكلم مع طالب الرفاعي وعبد الصاحب دخیل على أساس أن نعمل حزباً، وعقدنا عدة اجتماعات حول هذا الموضوع. جاء في شهادة طالب الرفاعي بأن محمد باقر الصدر لم يكن المؤسس لحزب الدعوة وإنما دُعي أن يكون على رأس الهرم التنظيمي، وأن هناك تمهيد لذلك فاستجاب الصدر لدعوتهم، أما حزب الدعوة فإن مؤسسوه - حسب ما ذكر الرفاعي - هم (طالب الرفاعي، مهدي الحكيم، وشخص ثالث لم يذكر اسمه). أميرة الياسري، المثلث الصدري والحراك الاسلامي، محمد باقر الصدر رائداً، ص ٣٧٦ هامش الصفحة.

عندما استقلوا عنه في مراحل متفرقة بعد خلافات معروفة، وبقي يعتبر نفسه الراعي الأول له، ويروي بعض طلبته أن السيد الصدر كانت عنده النية لإعادة التنظيم من جديد في أواخر السبعينيات^(١)، والحال أنه أعاد التفكير جذرياً في أسلوب مرجعيته على مستوى التعامل مع المجتمع بعد تخلي طلبته عنه في الأيام الأخيرة، وعاهد نفسه أن يتوجه الى عامة المجتمع في حال إنقضاء الأزمة، ولكن النظام عاجله بالاعتقال بالإعدام، وهذا ما يرويّه محمد رضا النعماني في كتابه "سنوات المحنة وأيام الحصار"، وسنلاحظ أن هذه النقطة هو محور الخلاف بين الصديقين في السابق، ولكنها أصبحت محطة الالتقاء في الأيام الأخيرة من حياة الصدر الأول، فقد كان الصدر الثاني يرى أن المجتمع عامة هو الأولى بالاهتمام والرعاية كما سنرى.

لم يكن الخلاف بين حزب الدعوة والصديق الثاني سطحياً أو مقتصرأ على رؤيته لـ(الأنانية الحزبية)، بل الأمر أعمق من ذلك، فحزب الدعوة يرى عدم افتقاره وحاجته الى المرجعية، ويبدو أن هذه المشكلة كانت منذ أول التأسيس، وبعد ذلك تعمق الخلاف مع المرجعية والخصومة معها، إذ بعد انسحاب السيد محمد باقر الصدر من الإشراف على حزب الدعوة عام ١٩٦٠^(٢)، كان ردُّ الحاج عبد الصاحب دخيل (أحد أبرز قيادات الحزب) : ((فلنتوكل على الله ونستمر، إن هذا العمل ينبغي أن لا يعتمد على الأشخاص^(٣))). فالمرجع في فهم حزب الدعوة هو مجرد (شخص) من ضمن مجموعة كما هو واضح من تصريح الدخيل، بينما السيد محمد الصدر يعتبر كل عمل لا ينطلق من المرجعية أو يأمضها فهو باطل لا شرعية له. لذلك كان بعض الفضلاء كـ(الشيخ عبد الهادي الفضلي) من أعضاء حزب الدعوة قد طالب

(١) هذا ما ذكره السيد عمار أبو رغيف في حديث دار في منزله في مدينة قم عام ٢٠٠٠، عباس الزبيدي.

(٢) الخرسان، مصدر سابق، ص ١١٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢١.

بعد ذلك بضرورة وجود مجتهد داخل التنظيم لضمان سلامة خط سير الدعوة من الناحيتين الايديولوجية والسياسية، ولكن طلبه رفض وأصدر الشيخ عارف البصري قراراً بفصله من الحزب^(١).

ومارس بعض القياديين سلطة ديكتاتورية مطلقة على مستوى التنظيم والتنظير مما أدى الى إهمال حزب الدعوة لفكر أهل البيت في نشراتها^(٢).

وهناك الخلاف الجوهرى بين حزب الدعوة وبين السيد محمد الصدر في جملة من العقائد الشيعية^(٣)، فحزب الدعوة لا يؤمن بالولاية التكوينية^(٤)، التي يعتبرها السيد محمد الصدر ثابتة للمعصومين، كما في إحدى خطب الجمعة التي قال فيها : (الولاية التكوينية ثابتة للمعصوم رغم أنف من لا يرضى)^(٥)، وهذه الكلمة رسالة واضحة وليس مجرد إبداء رأي.

(١) المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٨. هذا القيادي هو محمد هادي السيبي، ويعود السبب في عزوفه عن فكر أهل البيت كونه بالأصل من أعضاء حزب التحرير السني قبل انتماءه الى حزب الدعوة. الخرسان، ص ٤١. يلاحظ أن (حزب التحرير) من الجهات السلفية المتشددة التي تكفر الشيعة. أميرة الياسري، مصدر سابق، ص ٣٧٧. (٣) بالطبع لا يعني كلامنا هذا أن جميع قيادات حزب الدعوة كانت تسير في هذا الاتجاه، إذ كان جملة من قياداته متمسكة بعقائدها الشيعية (بدرجات متفاوتة) كالسيد مرتضى العسكري والشيخ عبد الهادي الفضلي والسيد كاظم الحائري والسيد سامي البدرى، وغيرهم. أما المعجبون بحزب الدعوة والأعضاء والكوادر فلا معرفة عندهم عادة بتفاصيل وخلفيات المشاكل العقائدية والتنظيمية للحزب طيلة الفترة الممتدة حتى سقوط النظام عام ٢٠٠٣م، فلم تجد القيادة حاجة ماسة لتشرح ما عندها أو انشغلت بما هو أهم، وهذا يخص التنظيم في العراق، أما الأعضاء والكوادر في إيران وسوريا وغيرهما فقد كان الأمر واضحاً، خاصة بعد الاعلانات الرسمية للسيد محمد حسين فضل الله المرشد الروحي (نسبياً) لحزب الدعوة بكل تفرعاته، في جملة من تأليفاته وتصريحاته.

(٤) أنظر بهذا الخصوص كتاب (الولاية التكوينية) تأليف د. علاء مير محمد القزويني. وكتاب (نظرة اسلامية

حول الولاية التكوينية) تأليف محمد حسين فضل الله.

(٥) خطبة الجمعة الثالثة عشر بتاريخ ١٠/٧/١٩٩٨م.

إيمان الصدر الثاني بالرجعة وهي من العقائد المعروفة عند الشيعة، وحزب الدعوة وجملة من فقهاءهم يسخرون من هذه العقيدة، وخصَّص السيد الصدر بحثاً مستقلاً بعنوان (بحث حول الرجعة) خلال مرجعيته، ومن قبلُ مرَّ على ذكرها وإثباتها في كتابه (تاريخ ما بعد الظهور). ولكن السيد الصدر يدعو إلى الإيمان بالرجعة بصرف النظر عن كیفيتها، ويعتبرها من واضحات القرآن الكريم وما جاء من نصوص مستفيضة عن أهل البيت (صلوات الله عليهم).

عقيدته بالعصمة المطلقة للأنبياء والأئمة، بينما يرى فقهاء حزب الدعوة عدم ضرورتها في ما عدا تبليغ الأحكام، وظهر ذلك جلياً في كتاب (مراجعات في عصمة الأنبياء من منظور قرآني) ^(١) تأليف السيد عبد السلام زين العابدين المشهور بـ(أبي مالك الموسوي)، وكذلك في جملة من مؤلفات السيد محمد حسين فضل الله، وكلاهما من الدعاة. بينما يرى السيد محمد الصدر أن ما جاء في القرآن من ألفاظ (معصية، ذنب، خطيئة) عند ذكر بعض الأنبياء فهي لا تعني أكثر من (اللمم) أو (ترك الأولى)، فحسب عقيدته تكون (حسنات الأبرار سيئات المقربين)، وكتَّب (رفع الشبهات عن الأنبياء) لهذا الغرض.

طاعة المرجعية (بصورة مطلقة واجبة وغير قابلة للمناقشة) ^(٢) من أساسيات المذهب عند السيد الصدر كتطبيق للمروي عن الأئمة "عليهم السلام" (الراد عليهم كالراد علينا والراد علينا كالراد على الله)، بينما هي من نافلة القول عند حزب الدعوة بل

(١) حظي هذا الكتاب بمباركة السيد كاظم الحائري كما أخبرني المؤلف في حديث معه أثناء إهداءه نسخة من الكتاب لي في مدينة قم قبل سقوط النظام. عباس الزيدي.

(٢) هذا لا يعني أن السيد الصدر كان يمارس أو يفرض ديكتاتورية مطلقة، فهو في معظم القضايا المتعلقة بالمجتمع كان يطلب الرأي من الآخرين، وكان يستقبل أي نقد ونصح مخلص. ولكنه في نفس الوقت رأى قصور المجتمع وتدنيه وحاجته إلى التوجيه لكي يعي ويتطور فقد كان الوضع متردياً إلى حد بعيد.

لاغية وليس لها ضرورة، فالمرجع مجرد (مثقّف ديني) رأيّه كرأي غيره، وتكلّل منهج حزب الدعوة بإقصاء المرجع أو الفقيه كما حصل مع السيد كاظم الحائري.

تبنّى حزب الدعوة منهجية السيد محمد حسين فضل الله الذي جاهر برفض جملة من الأفكار التي تعتبر من مسلّمات التشيع، وقد رفض السيد الصدر هذه المنهجية تماماً، وجاء في معرض حديثه عن بعض آراء السيد فضل الله :

((إن هناك جملة من الأفكار مهما كانت قيمتها الدليلية فإنها فعلاً شاركت في بناء الدين واليقين في نفوس الملايين خلال الأجيال، وكانت وما زالت مصباح نور يستضيء به الشيعة. فليس من المصلحة أن نقوم بإطفائه بمعنى شجب وتكذيب هذه الأفكار، بل ينبغي أن نسكت عنها حفظاً للمصلحة العامة ما لم يكن لدينا البديل الصالح لها ولن يكون.

مثل حرق باب الدار للزهراء (عليها السلام)، وحرق الخيام لنساء الحسين (عليه السلام) وغير ذلك كثير. فالذي فعلته في تلك المسائل هو أنني دافعت عن صلاحية تلك الأفكار علينا وبغض النظر عن دليلتها. لأن وجودها ضروري لحفظ دين الناس من ناحية، وعدم تنصلنا من تأريخنا وجهاد قادتنا من ناحية أخرى، لا لشيء سوى أننا نريد أن نسير بالاتجاه المادي الدنيوي الذي خطّته لنا أوروبا الاستعمارية^(١))).

ولكن السيد الصدر رفض في نفس الوقت مهاجمة السيد فضل الله، ودعا الى مناقشته بما يتناسب مع الأجواء العلمية.

(١) الزيدي، عباس، السفير الخامس، ص ٢٩٥.

ولعل المتتبع لتاريخ حزب الدعوة منذ أول التأسيس يجد أثر (الأخوان المسلمين) و (حزب التحرير) واضحاً على الصعيد الفكري والديني، فقد كان بعض المؤسسين والملتحقين بهم من هاذين الحزبين^(١).

أما السيد محمد الصدر فقد كانت له فلسفته الخاصة بخصوص الأحزاب عموماً، ولكن النظام لم يكن يستطيع التفريق بسهولة بين المنتمي الى حزب الدعوة من غير المنتمي، إذ كل من ينتمي الى السيد محمد باقر الصدر بالملزمة يكون عضواً في الحزب :

((اعتقل خلال عام ١٩٧٤ في مديرية أمن الديوانية حوالي أسبوعين، لكنه لم ينتم الى (حزب الدعوة) وقال (قدس سره) في سبب ذلك : إنني وجدت الحياة التي يجسدها المتحزبون فيها (أنانية حزبية) فما الذي جنيته إذن حين نخرج من أنانية الفرد ونقع في أنانية الحزب. (٢)).

وهناك جملة أسباب تجعل أي كلام عن انتماء أو صلة للسيد محمد الصدر بحزب الدعوة بمثابة أكذوبة الغرض منها إعطاء هذا الحزب شرعية ودعاية إعلامية، الهدف منها جذب أتباعه، إذ أن هذا الكلام إنما بدأ يقال هنا وهناك من بعض أعضاء حزب الدعوة بعد استشهاد وبعد سقوط النظام العراقي عام ٢٠٠٣.

ومن يتتبع ما آلت إليه الأحزاب الإسلامية بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣ يجد دقة الإنذار المبكر الذي أطلقه الصدر عن نتيجة التحزب أو الأنانية الحزبية، وهو جانب عملي حساس لم يكن تمييزه ممكناً إلا لعقلية متميزة، فهذه الأنانية لم تسحق نفس نظرياتها السياسية ومنظومتها الأخلاقية التي كانت تدعيها فحسب، بل وصل الأمر

(١) أنظر كتاب صلاح الخرسان (حزب الدعوة حقائق ووثائق).

(٢) العنقوبي، محمد، الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه، ص ٣٦٠.

بها الى سفك دم كل من يخالفها حتى وإن كان يتفق معها في الدين العقيدة والتاريخ لمجرد تخوفها من المنافسة على تسلّم السلطة (كما هو الحال مع هذا الحزب وغيره من المسميات المتشابهة بعد سقوط نظام صدام عام ٢٠٠٣)، وانتهى المطاف بهذه الأحزاب أن أصبحت أبواق لتسقيط كل من حولها، وأخيراً احتكارها من قبل أنفار فأصبح أحدها أشبه بمافيا من كونهم أعضاء في حزب طالما سفكت الدماء لمجرد الإشتباه بالانتماء إليه.

فكما تقتل الأنانية الفردية عند الإنسان كل تفكير بالغير ومشكلاته وإيجاد حلول لها والتضحية في سبيل إسعاده وانتشاله، فكذلك تقتل الأنانية الحزبية كل تفكير بغير رقي الحزب وحصوله على مكاسب سياسية وإعلامية، وتغدو الجماعات الأخرى أعداء، وفي أحسن الأحوال حلفاء أو (إئتلاف؟!)، ولكن حتى كلمة حليف هي الأخرى تعني المغايرة والآخر الذي يتفقون معه في مصلحة معينة أو هدف معين، وليس هذا ما أراده الله تعالى، (مثل المؤمنين كمثل الجسد الواحد) و (الخلق صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق).

ومن الغريب أن نجد أن السيد محمد باقر الصدر الذي يعتبرونه رمزهم ومنظرهم ومرجعهم يؤكد منذ القدم أن مبدأ (حب الذات) هو المحرك والدافع عند الإنسان، ولكن الصدر الأول ينطلق من مبدأ إسلامي، فحب الذات هو الذي يدفع الإنسان الى عمل الخير والإيثار، لأنه يحب الخير لنفسه التي ستنال جزاء تضحياتها وإيثارها وعملها للخير الثواب والسعادة اللامتناهية من الله، وتنجو من العقاب في الدنيا والآخرة، وقد نسب السيد الصدر الأول بهذا المبدأ مدّعيات الماركسية التي تدّعي أنها ستربي البشرية على نكران الذات وفي نفس الوقت لا تحصل على أي جزاء مقابل هذه التضحية، سوى أن البشرية ستقطف ثمار التضحيات ولو بعد أجيال، إذ أن أهم أسس الماركسية هو الإلحاد فلا يوجد خالق وعالم آخر، وهنا يكون تساؤل الصدر الأول من أجل أي شيء يضحي الإنسان بحياته وراحته وسعادته إذن؟، أي

(أين أنا، وما الذي سأجنيه؟).

ويمكن اعتبار هذا المبدأ من أهم ركائز فلسفة التاريخ عند السيد محمد باقر الصدر، فإن البشرية كلما اشتد حب الذات عندها فإنها ستعمل من أجل رقيها وتكاملها وفنائها في سبيل الله وخدمة دينها ومجتمعها، وبالمقابل فهي ستحصل على السعادة والتقدم ولكن بشرط أن تعرف أن ليس مهماً ما ستحصل عليه من مكاسب دنيوية، فيكون الشرط هو الإيمان بالله وبالعالم الآخر. وهنا نجد التطابق بين مفهومي الصدرين، ومن هنا نفهم ما أراده السيد محمد الصدر بـ(الأناية الحزبية). فهل نجد اليوم بعد نصف قرن على تأسيس هذا الحزب أي مفردة تضحية وإيثار وتقديم لمصلحة الأمة على مصلحة أفراد معينين في قاموسه؟.

والواقع أن فلسفة الصدر الأول هذه تجهض كل أساس للفلسفة الماركسية بإلحادها بمبدأه هذا، ولكن هذا المبدأ إنما يصح كردٌ على الغرب الملحد، أما كترية عليا للمجتمع فهو لا يصلح إلا على نحو التربية الابتدائية، أو الأولية، أو المتدنية، وهي لا يمكنها أن تصل بالمجتمع الى الأهداف العليا حسب عقيدة الصدر الثاني، فالأحكام (الحلال والحرام) لا تقدم للإنسان أكثر مما يقدمه أي قانون وضعي، الذي يضع مواده لمصالح دنيوية، وهو يتلخص بتقنين حياة الإنسان على أساس (إن التزمّت فأنت مواطن صالح، وإلا فستواجه العقاب)، ومهما تصرفنا بالألفاظ فهو المحصل الأخير، لذلك وضع النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) طرق وأساليب لا تعد ولا تحصى لتصل بالإنسان الى مراتب (الكمال)، وهذه المراتب لا متناهية، لأن الهدف هو الله تعالى، وهو تعالى لا متناهي، فتكون الرحلة إليه لا متناهية.

إن الذات في فكر وعقيدة الصدر الثاني يجب أن يضمحل، فمنطلق الإنسان لعمل الخير لا يكون لغرض مكسب دنيوي أو أخروي، إذ إن مبدأ العبادة وفعل الخير من أجل الحسنات والثواب والجنة هو مطلب تجاري وهدف متدني، ومبدأ الخوف من

العقوبة كمحرك للعبادة أو تجنب العمل المنهي عنه يشبه عمل العبد الذي يحركه الخوف من مولاه فيؤدي واجباته أو يتعد عن نواهيه وسخطه، وهو مضمون لرواية مشهورة، عن أمير المؤمنين "عليه السلام": (إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة الأحرار) ^(١).

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق "عليه السلام": (إن العباد ثلاثة قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلباً للثواب فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عز وجل حباً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة) ^(٢).

فأي فضل للإنسان في فعل الخير مادام الموفق لهذا العمل هو الله تعالى؟، وأي فضل للإنسان في تجنب عمل السوء ما دام الله تعالى هو الذي منع بفضله ورحمته عن ارتكابه؟، وحتى شكر الله على نعمه هو فضل من الله يحتاج الى شكر كما في مناجاة الشاكرين للإمام علي بن الحسين "عليه السلام": (فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر الى الشكر، فكلما قلت لك الحمد وجب عليّ لذلك أن أقول لك الحمد) ^(٣).

كان منهج أستاذه الصدر هو التعديل والتوجيه للقوانين والأساليب، واستخلاص مفاهيم متعددة (قد تكون متناقضة أو متفاوته فيما بينها أو من حيث المنشأ) ومحاولة الربط بينها، وإخراجها بمفهوم جديد ولكنه في نفس الوقت ليس بجديد، فيتحصل عندنا (مركّب) من المفهومين البشري والديني.

(١) نهج البلاغة، ج ٤ ح ٢٣٧.

(٢) الكافي، كتاب الايمان والكفر، باب العبادة ح ٥.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة، ص ٣٥١ - ٣٥٢.

بينما كان هو يؤسس ويقنن، كما في مناقشته لأسلوب أستاذه في كتابه (البنك اللاربوي) الذي هو عبارة عن توجيه المعاملات الربوية بما يسمى (الحيلة الشرعية)، بينما هو رفض هذه المعاملات من أساسها وأسس لطرق معاملية شرعية مستنبطة من الأحكام الإسلامية خالصة. ودافع أستاذه في منهجه هذا هو أن المجتمع ليس مهيباً لاستقبال الأحكام الإسلامية فعلياً أن ننزل من سقف مطالبنا (مؤقتاً) ونوجهه وفق القوانين الوضعية التي تعود عليها بعد استحداث تغيير شكلي يتناسب شكلياً (أيضاً) مع تعاليم الإسلام، أو لا يتعارض معها على أقل تقدير، كما سبق أن أوضحنا.

ولكن الصدر الثاني يرفض أصل المبدأ، أي التنازل عن الحكم الشرعي أو السعي للعثور على الأخف وقعاً على المجتمعات، وتشدد في ذلك، فتوجه بالنقد لهذه المنهجية ورأى :

ضرورة ((تجاوز الحيل الشرعية خصوصاً بما يمس النظم الاجتماعية لأنها إحدى نتائج تضيق نظرة الفقيه للفرد المسلم دون أخذ الجانب الاجتماعي بنظر الاعتبار عند ممارسة الاجتهاد، ولأن فيها قبولاً ضمناً بالنظم غير الإسلامية القائمة والتفكير بدلاً عنها بكيفية تغيير هذه النظم لا تبرير التعامل معها. مثلاً بالنسبة للبنوك الربوية كان من الممكن التفكير بتأسيس بنك إسلامي أهلي تتبناه المرجعية وتوضع فيه حسابات خاصة بحق الإمام والسادة والحقوق الأخرى وحسابات التوفير للناس ويقوم هذا البنك بالمساهمة في مختلف المشاريع الإصلاحية والتجارية والقروض ويدار من قبل خبراء متخصصة وملتزمة ويوضع له دستوره الخاص لعرضه على الزبائن، وعندئذ سيعم نفعه على الإسلام والمسلمين ويغني عن النظام الربوي ويحل كثيراً من المشاكل وتصبح المرجعية أكثر تدخلاً في الحياة الإسلامية^(١))).

(١) يعقوبي، محمد، الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه ص ١٠٢ - ١٠٣.

ونفس الأمر بخصوص فتوى السيد الخوئي في المصارف فقد انتقدها ورفضها لوجود عدة نتائج على إصدارها، منها :

((- أنها تعتبر تنزيلاً للدين الى مستوى الناس بينما ينبغي علينا تصعيد الناس الى مستوى الدين.

- أنها - بشكل وآخر - تعتبر تنفيذ أو إجازة للوضع الظالم المفروض على البلاد الإسلامية من قبل أعدائه.

- أنها - بشكل وآخر - تعتبر سبباً لاستلام أموال مشبوهة ومجهولة المالك وغير ذلك .. الأمر الذي يسبب نتائج أخلاقية واجتماعية مؤسفة، منها : قساوة القلب وتعذر الوصول الى القلب السليم^(١))).

وعلى نفس الخطى وبعد أكثر من عشر سنوات^(٢) انتقد منهجية السيد محمد حسين فضل الله بقوله : ((في حدود فهمي فإن هدفه (أي السيد فضل الله) أنه يريد تبسيط الشريعة وإفتاءهم بأسهل فتوى ممكنة تسهلاً عليهم، ولأجل أن لا يشعروا في تصرفاتهم بمزيد من الذنوب التي لا مناص منها. وهذا اتجاه معقول وطيب، إلا أنه

(١) المصدر السابق، ص ٩٦.

(٢) لأن المراسلات المذكورة في كتاب (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه) كانت حوالي عام ١٩٨٦، بينما كان نقده للسيد فضل الله حوالي عام ١٩٩٧. ونلاحظ هنا بعض التطور في رؤية الشهيد الصدر الثاني أو الاختلاف بين فترات متباعدة من حياته، وهذا بسبب تراكم التجارب الى أن استقرت رؤاه خلال عقد الثمانينيات وظهرت في عقد التسعينيات، وهو ما يحتاج الى مصنف خاص لتوضيح ما قد يعتبر فيه تنافي أو تفاوت، لهذا لا بد من أن نلتفت الى ذلك من خلال معرفة تاريخ التأليفات التي ننقل عنها وهي مذكورة. ولكن هذا لا يعني عدم وجود ثوابت فكرية هي الطابع الغالب والأساس، وما حصل فيه هو العمق والابتعاد عن الضحالة أو المسيرة للفكر المعاصر، فقد عرفنا الصدر الثاني بشكل الاستثناء في جملة أفكاره وتغايره ودقته في أبسط المفاهيم.

ليس بالاختيار ما لم يساعد عليه الدليل، مضافاً الى نقطة أهم هي أننا من الناحية النظرية نجد أن الأفضل تصعيد المجتمع الى مستوى الدين وليس تنزيل الدين الى مستوى المجتمع... وما يريده - حسب فهمي - هو الثاني، وهو خاطئ^(١))).

ونلاحظ أن أستاذه الصدر الأول في كتابه (اقتصادنا) لم يعبر بصورة كاملة عن فتواه ورؤيته الفعلية للاقتصاد الإسلامي، مع أن هذا الكتاب أفضل ما كتبه، فهو يقول صراحة أن ما جاء من أحكام وآراء فقهية أو فكرية في هذا الكتاب لا يعبر بالضرورة عن فتواه أو أحكامه أو آراءه الخاصة. والسبب هو كما قلنا سابقاً أنه كان يحاول التوفيق بين كافة الاتجاهات الإسلامية منها والوضعية للخروج بـ(مظهر إسلامي) يتلاءم قدر الإمكان مع التوجهات البشرية من خلال الجدل والرد والإفحام ثم التصالح، لأن طور البشرية لم يصل الى المستوى الذي يؤهله لاستقبال الأحكام الإسلامية كما هي عليه.

أما منهج الصدر الثاني فهو النقض التام للفكر والرؤية المعاصرة من جهتين، الأولى من جهة مدّعيات الخصم، والثانية من جهة الرؤية الإسلامية الخالصة، ثم الانتقال الى نظريته التي لا تتعارض مع الرؤية القرآنية بل مستوحاة منها^(٢).

ولكن لا يعني هذا أن رؤية أستاذه لم تكن الأنسب لذلك الوقت، الذي كان الفكر الإسلامي والحركة الإسلامية تواجهان فيه تحديات خطيرة على عدة محاور، واضطر الأستاذ نتيجة ذلك الى الموافقة على أن تقوم الحكومة العراقية بدايات السبعينات بإعادة طباعة كتابه (فلسفتنا) وقدم له وزير المعارف في الحكومة العراقية، مع حذف بعض مطالب الكتاب، وذلك للحد من تأثير الماركسية في الشارع الإسلامي عموماً

(١) الزيدي، عباس، السفير الخامس، ص ٢٩٥.

(٢) للتفصيل أنظر كتاب (اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني)، وكتاب (ما وراء الفقه).

والعراقي خصوصاً، من جهة المصالح المشتركة، فرؤية السيد الشهيد لخطر البعث ذلك الوقت أنه أقل من خطر انتشار الشيوعية مع أن المواجهة كانت على وشك الاحتدام مع الحكومة العراقية، وهذا يلقي بظله على إشكالية (التقية أو التضحية) ومتى تجب أو تجوز التقية، ومتى تجب أو تجوز التضحية.

كان أستاذه الصدر يذهب الى (نظرية الشورى) لقيادة الدولة الإسلامية أول الأمر، ثم قال بـ(ولاية الفقيه)، وأخيراً قبل استشهاده ذهب الى مبدأ جديد خاص به وهو (القيادة النائية)، ولكن السيد محمد الصدر كان يرى خلاف ذلك منذ وقت مبكر لا يُتوقع صدور رأي مغاير لمن هو في سنّه، ففي عام ١٩٦٢ وهو في التاسعة عشر من العمر، نقد (نظرية الشورى)، وصرّح بما لا يقبل الشك أنه ممن يذهبون الى مبدأ (ولاية الفقيه) في الحكم الإسلامي، وذلك في معرض مناقشاته لفقرات إعلان حقوق الإنسان العالمي، وبالتحديد عند المادة الثالثة منه :

((المادة الثالثة : الأمة مصدر كل سلطة ولا يجوز لأي جماعة أو أي فرد أن يمارس سلطة ليست مستمدة منها.

هذه المادة هي من أكبر ركائز الفكر الحديث، حيث تنصّ على الإسلوب الديمقراطي للحكم، وتوجب أن يصدر القانون عن الأمة أو عن ممثليها، ولا يجوز أن يفرض على الأمة فرضاً.

ولكن هذا مما يتم مع تمامية أحد الأمرين، أحدهما : صرف النظر عن التعاليم الدينية. وثانيهما : خشية فرض القوانين على الأمة بصورة تعسفية ظالمة. وحيث لا يبقى مجال إلا لأن تعمل هذه القاعدة عملها، وإلا ذاقت الأمة الظلم والحرمان.

ولكن الدين الإسلامي الوارد من المصدر الإلهي العالم بخصائص البشر والمطلع على سرائرهم، والعالم بمشاكلهم وآمالهم وآلامهم، والعارف بما يحقق تلك الآمال، ويحل تلك المشاكل ويرفع تلك الآلام. هذا الدين الإلهي الحنيف لا يعترف بهذه

القاعدة لأنه ليس في حاجة إليها، بعد إعتضاده بالقوة الإلهية السرمدية.

بالإضافة إلى القوانين التي تضعها الأمة لن تكون - حتى في حالات الديمقراطية المثالية - خيراً من القوانين الإلهية التي أنزلها الله تعالى للبشر في سبيل سعادتهم ورقبهم نحو الكمال، لأنّ العقل البشري قاصر عن أن يدرك مصالحه الحقيقية وكمالاته النفسية، وخاصة بعد أن أحاطته عدة أغشية من الغرائز، والإنفعالات والمصالح التي تطمس أمامه الطريق الصحيح إلى الحق، ومن المحال على المرء أن يتجرد من صفاته الفردية، كما ينص على ذلك علماء النفس، مهما أوتي من موضوعية ودقة تفكير.

هذا بالنسبة إلى الفرد، فكيف بالنسبة إلى الجماعة، حيث تكون العقول مختلفة والآراء متضاربة والاعتبارات متباينة، مما يجعل القانون مزيجاً عجيباً من هذه الآراء وهذه العقول. بالإضافة إلى باقي المشاكل الاجتماعية من تشعب وتعقيد بضمناها بعض الاعتبارات النفسية والفكرية والعاطفية للشعب، والتي قد تخفى أكثرها على واضعي القانون.

ومن هنا نجد أنّ القوانين الوضعية غير قابلة لأن تُعمر طويلاً ولا يمكنها أن تثبت للزمن، فسرعان ما يبدو خللها وتحتاج إلى إصلاح، ثم يحتاج الإصلاح إلى إصلاح. وهلم جرا...

هذا بالإضافة إلى ما في الدين من قيم واعتبارات لم يكن ليدركها البشر لولا تعاليم الدين نفسه، فمنها الجزاء على الإحسان برضاء الله (عز وجل) والجنة. والمجازاة على الإساءة بغضبه (عز اسمه) والنار. وكيف يمكن أن تؤخذ هذه الأمور بنظر الإعتبار من قبل واضعي القانون مع غض النظر عن الدين؟، مع إنها ثابتة بثبوت العقيدة الدينية.

اما ما يمكن أن يوهم بذلك من آيات القرآن العزيز، فأيتان : هما قوله عز من قائل : ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ))^(١). وقوله عز وجل: ((وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ))^(٢). وكلا هاتين الآيتين واردتان في موارد التعاليم الأخلاقية، والنصائح الإجتماعية التي تحت الأصدقاء على أن يتشاوروا فيما بينهم لئلا يستبد فرد منهم برأيه فيفشل في حياته، وهما غير متعرضتين على الإطلاق لمسألة التشاور لأجل التشريع وسن القوانين.

أما بالنسبة إلى الآية الأولى فإن في سياقها دلالة صريحة على أن هذا التشاور بين النبي (صلى الله عليه وآله) وبين المسلمين ليس إلّا للألفة وزرع الوفاق بينهم وبين قائدهم العظيم، ولأجل إستئناسهم وتطبيب نفوسهم، وأخذ آرائهم في الأمور الجزئية التي قد يقوم بها النبي (صلى الله عليه وآله)، ل يتم تنفيذها، عن رضاهم وطيب قلوبهم. وهذا هو المعنى المناسب للعفو عنهم والإستغفار لهم.

أما القوانين العامة والتشريعات الأساسية فليس في الآية أي تعرض لها، ولا يمكن أن يكون ذلك، لأن القرآن نفسه نازل من قبل الله تعالى الذي له النهي والأمر، وهو مملوء بالأوامر والنواهي التي يقصد بها حفظ مصالح المجتمع الإسلامي، ولا يقصد أخذ رأي الأمة في ذلك بقليل ولا كثير. ولم يرد تأريخياً أن النبي (صلى الله عليه وآله) استشار أصحابه في هذه التعاليم الإسلامية في يوم من الأيام. بالإضافة إلى أن هناك آية صريحة على خلاف ذلك، وهو قوله عز وجل : ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) سورة الشورى، الآية ٣٨.

وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا))^(١).

اما الآية الثانية فهي أيضاً تدلُّ تماماً على أنها من باب تشاور الأصدقاء، والمداولة بينهم حول أمورهم الخاصة، لا لأجل سنّ القوانين حيث مدحهم الله عز وجل: ((الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ))^(٢). أي أن الفرد منهم لا يبتُّ بأمر من أموره إلا بعد مشاورة أصدقائه وإخوانه في الدين، لأجل أن لا تزل قدمه في حلِّ مشاكل حياته، فيكون التشاور بذلك، مستمراً بين المسلمين، ولا يعني ذلك بحال من الأحوال إجراء إستفتاء شعبي لإقرار أو رفض قانون من القوانين .

بل إن هذه الآية الثانية قد فُسِّرَت بعكس ذلك، فقد ذكر في تفسيرها أن معنى الآية أنه ينبغي للمسلمين أن يشاوروا الإمام (عليه السلام) فيما يحتاجون إليه من أمر دينهم كما قال الله (عز وجل): ((وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ))^(٣).

والمشورة في الأمور المعاشية والحياتية الإعتيادية أمر مستحسن في الشريعة الإسلامية، وهذا ما قد حثَّ عليه هاتان الآيتان، وذلك لأن الفرد العادي قد يمكن أن لا يهتدي إلى الطريق الصحيح، أو أن تخفى عنه جوانب من أموره، فيستعين بعقول أخرى لأجل مساعدته في حل مشاكله وتسوية أموره. وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) كما في نهج البلاغة: ((من إستبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها)) وقال (عليه أفضل التحية والسلام): ((والإستشارة عين

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

(٢) سورة الشورى، الآية ٣٨.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٣.

الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه)). وقد ورد عن نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله): ((ما من رجل يشاور أحداً إلاَّ هُديَ إلى الرشد)).

ولكن ذلك لا يعني على الإطلاق أن يكون القانون الإلهي الإسلامي عرضة للتحويل والتطوير بيد آراء بشرية قاصرة، وأهواء طائشة.

ومن هنا يتضح مناقشة القسم الثاني من المادة وهو أنه ((لا يجوز لأي جماعة أو فرد أن يمارس سلطة ليست مستمدة منها))، فإنَّ مثل هذا الفرد إنما يكون مستحقاً للعقاب إذا نفذ على الأمة قوانيناً تعسفية ظالمة، لا فيما إذا نفذ في صالحهم القانون الإلهي الحكيم. ^(١)

وأما رأيه الذي يستشف منه مذهبه في قيادة الدولة الإسلامية :

((إذا كان عدم وجود الإمام ناشيء عن غيبة الإمام القائم (عجل الله فرجه)، فإنَّ القائم مقامه هو وكيله العام للتصرف في الشؤون الدينية للمسلمين. وهذا الوكيل هو الذي حدَّده الإمام الصادق (عليه الصلاة والسلام) بقوله : ((انظروا إلى رجل منكم قد روى حديثنا، وعرف أحكامنا، فاجعلوه قاضياً فإنِّي قد جعلته قاضياً))، وفي بعض الأخبار : ((فارضوا به حاكماً، فإنِّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنما يحكم الله استخف وعلينا ردٌّ، والرادُّ علينا رادٌّ على الله، وهو على حدِّ الشرك بالله عز وجل))، ومثل هذا الشخص المتشبع بالروح الإسلامية، وبتعاليم الإسلام لا يمكن عادة أن يصدر منه تعسف أو ظلم، بالإضافة إلى ما هو فيه من الرقابة الإلهية، ورقابة الإسلام، ورقابة ضميره الإسلامي، ورقابة الأمة الإسلامية، على جميع أفعاله وأقواله. وللمجتمع الإسلامي إن رأى منه أية هفوة أو خطأ، أن ينبهه وأن يلفت نظره، وأن

(١) الصدر، محمد، نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان، ص ٣٩ - ٤٤.

يذكره بالطريق الصواب. وعلى الحاكم بعد ذلك أن يتلقى هذه الإقتراحات بصدر رحب وقلب مفتوح، ثم ينظر في هذه الإقتراحات بتجرد وإنصاف من حيث إنطباقها على القواعد الإسلامية. فإن رأى أنه كان مخطئاً فعليه أن يصلح خطأه وإلا كان خارجاً على التعاليم الإسلامية، وخائناً للمسلمين. وإن رأى نفسه مصيباً، وإن المقتربين هم الذين أخطأوا ألفت نظرهم إلى وجه الخطأ في رأيهم، وجادلهم بالتي هي أحسن.^(١)

ورؤيته لولاية الفقيه تخالف المألوف، فهو يرفض ما ذهب إليه الخميني بـ(الولاية المطلقة) التي تعطي للفقيه من الصلاحيات ما كانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو يقسم الولاية الى الولاية العامة وهي للنبي والإمام، والولاية العامة محدود ما دل عليه الدليل، والفرق بين ولاية المعصوم وولاية الفقيه، أن الفقيه ليس من صلاحياته أن يأمر الإنسان بقتل نفسه أو التصديق بماله أو تطليق زوجته، بينما يمكن للمعصوم ذلك وتجب طاعته^(٢). ونرى الصدر هنا يحتاط تورعاً حتى في المصطلح، فلفظة (المطلقة) لا تصلح لغير الله تعالى فلا يرى من المناسب إطلاقها على غيره. وبخصوص سعة ولاية الفقيه وصلاحياته فهي تقتصر على ما دل عليه النص وليست جزافية أو انتقائية أو تتعارض النص الصحيح^(٣).

(١) المصدر السابق، ص ٥٥-٥٦.

(٢) الصدر، محمد، ما وراء الفقه، ج ٢ ق ١.

(٣) ينظر للتفصيل، ما وراء الفقه، ج ٩.

كانت صلته الاجتماعية محصورة وضيقة جداً، إذ اقتصرت لمدة طويلة على أقربائه وأفراد أسرته كالسيد حسين الصدر وأسرة السيد محمد باقر الصدر، الذين رجعوا إليه بالتقليد بعد استشهاد أستاذه الصدر الأول مباشرة فكانوا السباقيين في ذلك^(١)، وأولاده الذين كانوا صغاراً في السن لكنهم واكبوا مسيرته بعد تصديه للمرجعية حتى اليوم الأخير^(٢)، وبعض أتباع أستاذه الذين تحولت إليه مراجعاتهم ومنهم أسرة المرحوم الحاج عبد الغني البغدادي الذي كانت داره ملاصقة لدار السيد الصدر من الخلف، مما سهّل عليهما إيجاد باب للتواصل بينهما من دون التعرض لمراقبة أزلام النظام خارج الدار. وكانت المرحومة ساجدة البغدادي هي الأكثر تواصلًا واستفادة، حيث وجّهت إليه الكثير من الأسئلة الفقهية والأخلاقية والاجتماعية ووضعت أجوبته في مدونات عديدة، ولها أخ يصغرها بسنوات أسمه زيد^(٣) وكان صديقاً للشيخ حيدر اليعقوبي وزميلاً له، ومن خلال الشيخ حيدر بدأت علاقة تاريخية بين ابن عمه الشيخ محمد اليعقوبي وبين أستاذهما السيد الصدر، ففي عام ١٩٨٥ كان أول التعارف ولكنه كان بالمراسلة عن طريق زيد البغدادي وشقيقته ساجدة البغدادي، للظروف الأمنية التي كانت تكتنف السيد الصدر من ناحية، والشيخ اليعقوبي من ناحية أخرى، إذ رفض الأخير الالتحاق بالخدمة العسكرية بعد

(١) سمعت ذلك مشافهة من السيد جعفر نجل الصدر الأول (قدس سره). عباس الزيدي.

(٢) كان أكبرهم سنّاً هو الشهيد السيد مصطفى تولد عام ١٩٦٥، تلاه السيد مرتضى تولد ١٩٦٨، والشهيد السيد مؤمل تولد ١٩٧١، وأصغرهم سنّاً هو السيد مقتدى تولد عام ١٩٧٤. وقد توفي خامسهم السيد (منتظر) في وقت مبكر.

(٣) سنّاتي على ذكره ودوره في انتفاضة عام ١٩٩١.

تخرّجه من كلية الهندسة عام ١٩٨٢، فعكف هو الآخر في بيته على القراءة من مكتبة جدّه وأبيه، حتى تعرّف على السيد الصدر وانتقل الى النجف الأشرف، وتعتبر هذه العلاقة بداية لمشروع لم يخطط له امتد الى هذا اليوم.

تواصلت فكرياً طوال هذه الفترة، وتناولت مجالات كثيرة ومهمة، وتشاركنا في صياغة أفكار جديدة نتج عنها الكتاب الفريد في بابهِ (ما وراء الفقه) حيث ظهرت فيه أفكار عديدة متنوعة للسيد الصدر، وبثّ فيه جملة من أهم أفكاره وآراءه في العقائد والفقه والاقتصاد والاجتماع والسياسة، وكانت مساهمة الشيخ اليعقوبي في مناقشة وصياغة الكثير منها إضافة الى الجانب الأكاديمي، خاصة ما يتعلق بالرياضيات، لذلك أشركه السيد الصدر بصورة فعلية في هذا الكتاب عندما جعل كتابه (الرياضيات والفقه) كملحق في الجزء الثامن من الكتاب الخاص بالإرث وتقسيماته، وهي خطوة غير مسبقة للمزاوجة بين الأكاديمي والفقيه.

تجاوزنا في الفقه السياسي الذي نتج عنه الكتاب القيم (دور الأئمة في الحياة الإسلامية) الذي هو بالأصل بحث نشره السيد محمد باقر الصدر في مجلة الإيمان، وناقشه وعلّق عليه السيد محمد الصدر والشيخ اليعقوبي.

وصل إلينا بواسطة هذه المراسلات الآراء الأخلاقية والعرفانية للسيد الصدر حين أخرجها بعد ذلك الشيخ اليعقوبي بكتاب (قناديل العارفين).

أمّا في الآراء السياسية الخاصة بالسيد الصدر تلك الفترة فقد ظهرت في كتاب (نظرة في فلسفة الأحداث)، وفيه رؤية مستقلة متميزة تبين مدى اطلاع السيد الصدر على عالم السياسة ومتابعته للأحداث وفلسفتها.

أرّخ الشيخ اليعقوبي تلك المرحلة بكتاب (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه) الذي يمكن اعتباره المادة الرئيسية لكل باحث عن حياة السيد الصدر وعن عموم تأريخ الحركة الإسلامية في العراق في عقد الثمانينات.

وبقي الكثير من هذه المراسلات مما لم ير النور لحساسيته، ولا نعلم إن كان الشيخ
اليعقوبي سيكشف لنا فحواها أو تبقى طي الكتمان إلى الأبد.

مؤلفاته قبل الظهور على الساحة

لم يكتب السيد الصدر الكثير خلال هذه الفترة، وهو الذي عرف بكثرة كتابته حتى
أنه يكتب أحياناً ٤٠ صفحة يومياً كما يذكر الشيخ اليعقوبي، حيث ذكر الشيخ محسن
الآراكي الذي كان أحد طلبته بداية السبعينات في النجف، أن السيد الصدر كلّفه مع
السيد فاضل الميلاني بكتابة بحث خلال فترة التعطيل، وبعد انقضاء العطلة اعتذرا
عن عدم وجود متسع من الوقت للكتابة فقال لهما (إنه كتب تسعمائة صفحة خلال
هذه العطلة^(١)). والذي يبدو أنه إما كتاب (تاريخ ما بعد الظهور) أو كتاب (اليوم
الموعود) وهما الجزءان الثالث والرابع على التوالي من موسوعة الإمام المهدي
(عليه السلام)، ويبدو أنه بعد مراسلاته مع الشيخ اليعقوبي كان يؤسس خطوطاً
عريضة لبعض التأليفات مثل (ما وراء الفقه) الذي أنجز الجزء الأول منه عام ١٤٠٩
الموافق لعام ١٩٨٩، وانتهى من الجزء العاشر والأخير منه عام ١٩٩٥، وقد نقل عنه
عن أكثر من طريق ((أنه لولا التقية من النظام لكتب هذا الكتاب بشكل آخر وأوسع
بما لا يقل عن ضعف عدد الأجزاء العشرة التي صدرت))، وهناك كلام عن وجود
جزء خامس لموسوعة الإمام المهدي (عليه السلام) ولكن لم يوجد ما يدل على
وجوده، إذ حسب ما جاء في مراسلاته مع الشيخ اليعقوبي قال السيد الصدر :
(نعم، الجزء الخامس من موسوعة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) انتهيت

(١) مقابلة أجرتها صحيفة "الجمعة" التي يترأس تحريرها السيد كاظم الجابري "أبو تيسير" وكانت تصدر في مدينة
قم قبل سقوط النظام العراقي مع الشيخ محسن الآراكي وهو أحد المسؤولين في الحكومة الإيرانية آنذاك.

من (مسودته) وبدأت (المبيضة) ولم تنته الى حد الآن لأنني أعرضت عنها بعد أن فهمت الآية الكريمة : "مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ". والظاهر أنه قد أئلف هذه النسخة، وقد ذكر السيد الصدر في مقابلة له مع الدراجي محرر مجلة "الكوثر" أن هناك أكثر من فكرة لإيصال الموسوعة الى اثني عشر جزءاً.^(١)

وبقيت الكثير من المخطوطات التي لم يجد مبرراً أو فائدة معتبرة لنشرها كتقريراته لبحوث أساتذته في الفقه والأصول.

ولم تسمح له الحكومة العراقية بطباعة أي كتاب له داخل العراق طيلة عقدي السبعينات والثمانينات، إذ كان آخر ما طبع في العراق له كتاب (فلسفة الحج ومصالحه العليا في الإسلام) مطبعة الآداب عام ١٩٧١، حينما كانت حرية الطباعة مكفولة نسبياً ولا تحتاج الى موافقة السلطات، وأما موسوعة الإمام المهدي (عليه السلام) بأجزائها الأربعة فقد طبعت خارج العراق، وفي الوقت الذي سمحت الحكومة بطباعة الكثير من الكتب التي صدرت من حوزة النجف الأشرف منذ عام ١٩٨٥ لم يطبع له كتاب واحد الى أن تراخت قبضة النظام بعد الإنتفاضة عام ١٩٩١، فطبعت رسالته العملية المختصرة (الصراط القويم) عام ١٩٩١ والجزء الأول من رسالته الموسعة (منهج الصالحين) بعد وفاة الخوئي، وفي نفس العام طبع الجزء الأول من كتاب (ما وراء الفقه)، الذي هو الكتاب الوحيد في بابهِ في تاريخ الحوزة كما سيأتي الحديث عنه لاحقاً إنشاءً الله تعالى، ولم يستطع طباعة كل مؤلفاته في وقت واحد لشحّة الموارد المالية، ولكن بعد اتساع مرجعيته أكمل باقي أجزاء الرسالة العملية وباقي أجزاء (ما وراء الفقه) بشكل متقطع حتى عام ١٩٩٦.

(١) في حديث خاص مع السيد مقتدى الصدر في منزل والده السيد الشهيد في النجف الأشرف في حي الحنّانة، بحضور الشيخ كريم المنفي أواخر عام ٢٠٠٥، سألته عن ما يقال عن وجود جزء خامس للموسوعة فنفي وجود مثل هذا الكتاب ضمن تركة السيد الصدر أو علمه بوجوده. عباس الزبيدي.

تداعي النظام وانتعاش الحوزة

بعد الانفراج النسبي بحلول نهاية الحرب مع إيران بدأت الحوزة تزاوّل بعض نشاطاتها، فطُبعت عدة مؤلفات ولكنها ذات طابع فقهي واجتماعي وتربوي، وتواصل المجتمع العراقي مرة أخرى مع الحوزة، فبدأت مكاتب العلماء باستقبال الوافدين والزائرين، وبشرت باستقبال الطلبة الجدد، وأقيمت مجالس التعزية في المناسبات الدينية بعد انقطاع دام طيلة فترة الحرب، وكان من أهم تلك المجالس ما أقامه آل بحر العلوم التي شهدت إقبالاً كبيراً، في الوقت الذي لم تكن هناك مظاهر معتد بها قبل ذلك، باستثناء بعض المراسيم التي تقام هنا وهناك، ومن أبرزها صلاة الجماعة التي يقيمها السيد الخوئي في مسجد الخضراء، وهو من الأماكن التي لم تغلق طيلة فترة الحرب، فضلاً عن استمرار مكتب السيد الخوئي في استقبال الزائرين الذي لم يُمنع هو الآخر من نشاطاته الخاصة، كإجابة الاستفتاءات وقبض الحقوق الشرعية سواء من داخل العراق أو من خارجه كالأموال التي كانت تصل من دول الخليج وغيرها، وأخيراً نتج عن شعور حوزة النجف بالاطمئنان إلى ضعف النظام افتتاح مؤسسة السيد الخوئي في لندن عام ١٩٨٩، ولا نعلم إن كانت هناك صيغة معينة قد تمّ الاتفاق عليها مع الحكومة العراقية للسماح بعمل هذه المؤسسة، أو أنها لم تعترض أساساً ما دامت المؤسسة لا تمارس أي نشاط ضدها، أو أن مرجعية السيد الخوئي استغلت الحرية النسبية وضعف النظام والضغط الدولي عليه كما سنرى. وإلا فمن غير المنطقي لمن عرف النظام العراقي وقسوته وسعيه للقضاء على كل المظاهر الإسلامية أن يتصور سماحه لمثل هذه المؤسسة المرتبطة بالنجف أن تعمل بحريتها ما لم تكن الحرب مع إيران ونتائجها قد أضعفته إلى الدرجة التي بات فيها يتحاشى أية ضغوط على الشارع قد تؤدي إلى انفجار وهو ما حصل لاحقاً في انتفاضة ١٩٩١.

ونلاحظ أن النظام تغيرت توجهاته الظاهرية بعد الانتفاضة لأسباب ستوضح لاحقاً، وقد أعلن ذلك رسمياً عندما أعلن (الحملة الإيمانية) أواسط التسعينيات وهي عبارة عن نشاطات سطحية تمارسها بعض الجهات التابعة للأوقاف والشؤون الدينية، ومن ناحية عدم التضييق على الحوزة ما لم تتدخل في سياسة الحكومة.

ولا نستبعد أن تكون من ضمن أسباب هذا التوجه الجديد تهديد الغرب بإمكانية تحول العراق الى بلد ذي توجهات دينية متطرفة، وهذا ما يخشاه الغرب، خاصة في منطقة الخليج المليئة بالثروات التي تسيطر عليها الولايات المتحدة وحلفاؤها، كما أن مؤشرات سقوط نظام صدام تلوح في مناسبة وأخرى، فمن المناسب أن يكون خطاب حكومة صدام ذا نبرة دينية لمدى تعاطف الشعوب العربية مع مثل هذه الشعارات، ولاحظنا مثل هذه الخطابات عند النظام مع كل حرب يقوم بها، ومن سداجة النظام عندما ظن أنه يمكن أن تتحول إيران الى حليف له بمجرد أن يدخل في حرب مع أمريكا، بعنوان العدو المشترك، فأقدم بداية حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١ على إرسال أعداد كبيرة من طائراته، تالياً في بيان استعطاف الإيرانيين الآية ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾، مغترأ بصمت الإيرانيين على قضية غزو الكويت مؤقتاً، وموقفهم الغامض تجاه الدخول الى جانب صدام في الحرب ضد أمريكا وحلفائها. ولكن الرفسنجاني الذي كان رئيساً لجمهورية إيران ذلك الوقت خرج في الوقت المناسب له ليصرح برفضه لغزو الكويت وفي نفس الوقت رفضه لضرب العراق، وما أن انتهت الحرب حتى أصبحت إيران صديقة مقربة من الكويت، واستعادت علاقات طيبة مع دول الخليج، وفي نفس الوقت تمكنت من استغلال نظام صدام والمساهمة في إضعافه والضغط عليه متى ما يحلو لها، باعتبارها المنفذ الوحيد لتهريب النفط آنذاك، ومنها كانت تصل البضائع الرخيصة نسبياً لسد نسبة كبيرة من حاجة العراق للمواد الأساسية، فكان العامل الاقتصادي عامل ضغط مستمر استطاع الإيرانيون عبره استنزاف ما تبقى عند النظام العراقي، ولا ننسى أن

إيران أصبحت القوة الوحيدة في منطقة الخليج ولا تجاريتها أي دولة أخرى بعد انهيار الجيش العراقي في حرب ١٩٩١، حتى صرح هاشمي رفسنجاني : بأن الجيش الإيراني بإمكانه دخول بغداد في أقل من أسبوع لو شاء ذلك. وجاء هذا التصريح وغيره بعد اتهام صدام للحكومة الإيرانية بالوقوف وراء انتفاضة عام ١٩٩١. ولكن الإيرانيين كأفضل سياسيين في المنطقة بعد الحرب مع العراق، لم ينجرّفوا أبعد من التصريحات وبلمح البصر عادوا يتواجدون بكثرة في العراق خصوصاً في العتبات المقدسة، وهو ما نفع الإيرانيين من جهتين، الأولى محاولة الاستفادة من عاصمة التشيع الدينية الأولى والأبدية في العالم (النجف الأشرف)، إذ يعي الإيرانيون أنه لا يمكن لأي موقع في العالم أن يعوض قدسية النجف وكربلاء وغيرهما من الأماكن المقدسة في العراق، فحاولوا مدّ الجسور مع حوزة النجف بعد أن تغيّرت السياسات المتشددة في إيران تجاه باقي المرجعيات، إذ كان الموقف في حياة السيد الخوئي والسيد الخميني متوتراً ومتشجّجاً بين التوجهين، لأسباب منهجية معروفة، ولكن ما إن وصل السيد الخامنئي الى رأس الهرم في إيران حتى تغيّرت التوجهات بصورة كبيرة، ويبدو أن سياسة الإلغاء أو الإقصاء لم تنفع كثيراً فيما سبق.^(١)

كان أول وأكبر المستفيدين من هذه التطورات هو السيد السيستاني الذي أصبح مكتبه في مدينة قم من أكبر المكاتب في العالم، وامتلك نفوذاً واسعاً في إيران والهند وباكستان ودول الخليج وغيرها، حيث قام هذا المكتب ولسنوات بالكثير من المشاريع الاجتماعية في إيران، كبناء أكثر من مدينة لطلبة العلوم الدينية (مدينة

(١) في نفس الوقت ولد توجه آخر عند الحكومة الإيرانية لمحاولة وضع المرجعيات داخل إطار الدولة، فنتج من رفض الانصياع الى فرض الإقامة الجبرية على عدد من المرجعيات والشخصيات العلمية كما حصل مع المنتظري والسيد محمد الشيرازي، واعتقال الكثير من قيادات وكوادر منظمة العمل الاسلامي التي انحسر أثرها تماماً وبقيت إسمها لا مسمى له.

علم^(١)، وبناء المستشفيات، وغير ذلك من صرف الرواتب لأعداد ضخمة من علماء وطلبة الحوزة في قم، وتعتبر رواتبه من أكبر ما تصرفه مرجعية في إيران، حتى

(١) تم وضع الحجر الأساس في ٣ شعبان المعظم سنة ١٤١٦هـ. في مدينة قم لمجمع يحتوي على حوالي ٣٢٠ وحدة سكنية، بعضها بمساحة ١١٥ متراً مربعاً، وبعضها الآخر بمساحة ١٠٠ متر مربع، وتضم كل وحدة سكنية منها كامل المرفقات الضرورية ووسائل التدفئة والتبريد وما شاكل ذلك. وأهم ما يلحق بهذا المجمع السكني الكبير:

١ - سوق عصري تتوفر فيه مختلف الاحتياجات والمتطلبات اليومية الضرورية.

٢ - قاعات مختلفة للبحث و التدريس.

٣ - صالات لإقامة المجالس و الاحتفالات للرجال والنساء كل على انفراد.

٤ - نادٍ رياضي.

ومجمع المهديّة السكني الذي يحتوي على ٢٠٠ وحدة سكنية في قم أيضاً. وفي منطقة (١٥ خرداد) إحدى ضواحي مدينة قم المقدّسة، على أرض مساحتها حوالي ٤٠٠٠ متر مربع، حيث من المؤمل تشييد ٥٠ وحدة سكنية مع سائر وسائل الراحة والمرفقات الضرورية. وعلى أرض مساحتها ١٤٨٠٠ متراً مربعاً، وبدأ المشروع اعماله في ربيع عام ١٤٢٢ هـ (٢٠٠١ م). وبمناسبة المبعث النبوي الشريف في سنة ١٤٢٣ هـ (٢٠٠٢ م) في مدينة قم تم افتتاح مجمع يحتوي على ١٨٠ وحدة سكنية في ثلاثة طوابق تبلغ مساحة الشقة الواحدة ٨٥ متراً مربعاً وبشرط التمليك على شكل أقساط لمدة عشر سنوات.

لجنة مساعدة الفقراء والمحتاجين ومتضرري السيول والزلازل (من نشاطات مكتب سماحة السيد دام ظلّه) : يتم تقديم المساعدات بشكل دائم ومتواصل ودون انقطاع، سواء عن طريق المساعدات النقدية، أو عن طريق المساهمة في التأمين الصحي والإكساء والإنفاق وأجور السكن وغيرها.

وهذه المساعدات التي تقدّر بحوالي مئات الملايين من التومانات سنوياً يقوم بها مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظلّه) ووكلاؤه في مختلف مناطق إيران، انطلاقاً من الوظيفة الإنسانية الشريفة التي تدعو إلى دعم المستضعفين والمحرومين، ممّا يؤكد أنّ المرجعية منبعثة من صميم الأمة والمدافع الحقيقي والمبني الأمين لطموحاتها وأمالها.

كما ويقوم وفد من مكتب سماحته (دام ظلّه) بزيارة المناطق التي تتعرّض للكوارث الطبيعية وتقديم المساعدات للمتضررين بها، فعلى سبيل المثال فقد تمت زيارة اقليم زنجان وجنوب اقليم خراسان اللذين أصابهما الزلزال مع بذل المساعدات اللازمة. كما وتمت زيارة اقليم مازندران الذي أصيب بالسيول الجارفة مع تقديم الدعم المادي للمتضررين بها. A

=مجمع ثامن الحجج (عليه السلام) السكني :

برعاية مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) تم البدء بتشييد هذا المجمع الواقع على طريق قوجان القديم في خراسان وعلى أرض مساحتها ٧٢٠٠٠ متر مربع، ومن المؤمل أن ينشأ عليها حوالي ٢٠٠ وحدة سكنية بمساحات مختلفة تتراوح ما بين ٤٠ و ٤٥ متراً مربعاً إلى ٧٥ و ٩٠ متراً مربعاً على شكل شقق، بالإضافة إلى وحدات أخرى تكون على شكل بيوت مستقلة، وقسم خاص بضيوف الإمام الرضا (عليه السلام) من طلبة العلوم الدينية.

وسيضم المجمع: مسجداً كبيراً، وسوقاً عصرياً مجهزاً وصلات للتدريس والاجتماعات، ومكتبة عامة، وشبكة إنترنت. هذا وقد تم إكمال جدار المجمع وبعض الملحقات الأولية وإعداد الخرائط الهندسية والمعمارية. ومن المقرر أن ينجز هذا المشروع في ثلاث إلى خمس مراحل يبلغ أمد كل مرحلة حوالي سنتين. لجنة مساعدة المهاجرين الأفغان (من نشاطات مكتب سماحة السيد دام ظله) :

المسلمون الأفغان الذين شردوا من بلادهم إثر الظلم والاضطهاد اللذين تعرضوا لهما هناك، لازالوا يعانون الفقر والحرمان بشكل محزن ومثير. وشعوراً من المرجعية المباركة بضرورة أداء الواجب الشرعي تجاه هؤلاء المسلمين المظلومين، بادر مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) بتقديم يد الدعم والعون لهم بشتى الطرق والوسائل. كما أن مكتب سماحته (دام ظله) بصدد إنشاء مركز للأيتام الأفغان في مدينة زابل الواقعة جنوب شرقي إيران.

مستشفى جواد الائمة (عليه السلام) للعيون :

احساساً من مكتب مرجعية سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) ، بضرورة إنشاء مستشفى متخصصة لمعالجة أمراض العيون .

وضع الحجر الاساس لهذه المستشفى في مدينة قم المقدسة بجوار مدينة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) بأرض مساحتها ٢٥٠٠ مربع، تحتوي على أربعة طوابق و ستجهز باحدث الاجهزة لتقوم بدورها في معالجة الطبقات الفقيرة والمحرومة ، علماً أن الخدمات التي ستقدمها هذه المستشفى منها: بشكل مجاني، والآخر بأسعار المراكز والمستوصفات الخيرية.

مستوصف الإمام الصادق (عليه السلام) الخيري :

استمراراً للجهود المبذولة على طريق خدمة طبقات المجتمع المختلفة لا سيما المستضعفين وذوي الدخل المحدود منهم، تم برعاية مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) في عام ١٤٢٠ هـ وبمناسبة ولادة الزهراء البتول (عليها السلام) افتتاح مستوصف الإمام الصادق (عليه السلام) الخيري في مركز مدينة قم المقدسة وذلك بحضور ثلة من العلماء والأفاضل والأطباء المحترمين.

حيث يجري في هذا المستوصف القيام بالفحوصات الطبية مع المعالجات البسيطة في مختلف مجالات الطب^A

=العمومي والأخصائي مع الأخذ بنظر الاعتبار أساليب الطب الإسلامي التي تتطابق مع الطب الحديث تماماً، وذلك بإشراف نخبة من الأطباء المتخصصين.

ويمكن تقسيم الخدمات الموجودة إلى ما يلي:

١ - الطب الأخصائي: وذلك في مجال: الأطفال، الإذن والأنف والحنجرة، الأمراض الجلدية، الكلى والمجاري البولية، الكسور والعظام، الأعصاب، الأمراض النفسية، العيون حيث تعين درجة العين بالأجهزة الكومبيوترية الحديثة، ...

٢ - الطب العمومي: بما فيه الخدمات الجانبية والإشراف.

٣ - الطب الشرعي: وما يرتبط به كالتحنتان والحجامة وغيرهما، وذلك طبقاً للأساليب الصحية الحديثة وإشراف طبيب خبير، وبصورة مجانية أو سعر رمزي.

٤ - حقن الأبر، التضميد، العمليات الجراحية الصغرى وتخطيط القلب.

الخدمات الاجتماعية : مستوصف ولي العصر (عجل الله فرجه) الخيري :

يقع هذا المستوصف في ناحية حاجي آباد وهي من النواحي التابعة الى مدينة قم المقدسة.

أنشأ هذا المستوصف الخيري برعاية مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) الذي سيقدم خدماته الى الفقراء وذوي الدخل المحدود على أرض مساحتها ٣٠٠٠ متراً مربعاً، وذلك في منتصف عام ٢٠٠١ م (١٤٢٢ هـ)، وتم حالياً الانتهاء من تشييد الهيكل الكونكريتي للمستوصف.

مستوصف الامام الحسن المجتبي (عليه السلام) الخيري :

ومن نشاطات مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) تم افتتاح هذا المستوصف في الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٤٢٣ هـ بمناسبة ولادة الامام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) في مدينة إيلام باسم الامام الحسن المجتبي (عليه السلام) .

ومن أهدافه : رفع المعاناة لدى طبقات المجتمع المختلفة هناك ، وبالخصوص طبقة الفقراء والمحرومين ، حيث سيتم تقديم قسماً من الخدمات الطبية بشكل مجاني والآخر بأسعار الخدمات التي تقدمها المراكز الطبية الخيرية.

مستوصف السيدة رقية (عليها السلام) الخيري للولادة :

ومن فعاليات مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) افتتح مستشفى للولادة وسمي باسم السيدة رقية بنت الامام الحسين (عليهما السلام) تيمناً بها واستناداً للطلبات المتكررة التي تقدم بها الخيرون و المحسنون من أهالي مدينة إيلام بضرورة تأسيس مستشفى للولادة، وافق مكتب سماحته على ذلك وباشر بالتنفيذ الفعلي لهذا المشروع الذي يعد واحداً من عشرات المشاريع الخيرية التي يقوم بتنفيذها.

وتم افتتاح المستشفى في الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٤٢٣ هـ بمناسبة ولادة الامام علي بن موسى A

أن مكاتب الكثير من المرجعيات تستلم مبالغ كبيرة من الأموال لسدّ حاجياتهم الشخصية ومدارسهم وطلبتهم، ومنها "مثلاً" (مدرسة الشهيد الصدر) التابعة للسيد كاظم الحائري أكبر طلبة الشهيد الصدر الأول في مدينة قم. كما افتتحت مكاتب السيد السيستاني في أنحاء العالم حيث تتواجد الشيعة وفي أوروبا وأمريكا.

كما تمّ افتتاح مكتب للسيد محمد سعيد الحكيم يديره ولده السيد رياض الحكيم، وغضت الحكومة العراقية نظرها عن مساندة السيد محمد باقر الحكيم وأخيه عبد العزيز الحكيم لمكتب ابن أختهم السيد محمد سعيد الحكيم، ولم تكن نشاطات هذا المكتب بالقليلة كذلك، وكانت موارده ضخمة قياساً بباقي مكاتب العلماء الآخرين، وقد استغل السيد محمد سعيد الحكيم ضعف النظام بشكل واسع فكان مكتبه يقيم مجالس العزاء وغيرها، ويقدم المساعدات الجيدة لأعداد كبيرة من طلبة العلوم الدينية والمحاجين من العراقيين وغيرهم، ولكن للإنصاف فقد كان التزامهم بمساعدة العراقيين المهجرين أكثر من غيرهم، ولم يكن للسيد الحكيم أتباع (مقلدون) كثيرون في إيران يمكن من خلالهم إيصال مبالغ حقوق شرعية كثيرة، خاصة أن العراقيين في إيران لم يكن لهم دخل مالي ذو شأن يفيض عن حاجتهم، ولكن التزام قادة المجلس الأعلى مع مكتب قريتهم وفر لهذا المكتب الأموال اللازمة لإدارته وتحشيد الوافدين إليه. كما كان مكتبه فعالاً في مدينة دمشق ويمارس نشاطاته المعتادة آنفة الذكر.

ولم يعرف لباقي علماء النجف مكاتب في مدينة قم، إلا السيد محمد الصدر الذي أغلق بعد افتتاحه بأسبوع لا أكثر كما سيأتي.

=الرضا (عليهما السلام).

ومن نشاطاته تقديم الخدمات والمساعدات الطبية للطبقات المختلفة وبالخصوص الطبقة المحرومة في تلك المنطقة.

<http://www.sistani.org/local.php?modules=nav&nid=7>

الانتفاضة في النجف

لا شك ان الانتفاضة الشعبانية كانت من الأحداث المفصلية في تاريخ العراق الحديث، وهي ليست حركة ضد ظلم طال واستفحل فحسب، وإنما علامة مهمة وواضحة على تجذّر الإسلام في ضمير الشعب العراقي، إذ كان شعار الإنتفاضة ورمزها هو الإسلام لا غير، وقد برزت شخصيات إسلامية أصبح لها الدور الأساس في قيادة الحركة الإسلامية مباشرة بعد هذا الحدث الكبير.

وقبل معرفة أحداث الانتفاضة لا بد من ذكر موقف مهم صدر من حوزة النجف، وهو موقف علماء النجف من إحتلال الكويت من قبل النظام العراقي، فقد رفضت الحوزة هذا الإعتداء وحرّمت التصرف بأي شيء من ممتلكات الكويتيين، حتى الصلاة اعتبرت باطلة في الممتلكات الخاصة، وكانت الفتاوى واضحة خصوصاً من السيد السبزواري والسيد الصدر بحرمة استخدام أي شيء مغصوب من أرض الكويت، وحتى بعد هزيمة النظام من الكويت بسنوات كانت فتاوى السيد الصدر على نفس المستوى، فمن استولى أو اشترى أو أهدي إليه شيء من ممتلكات الكويتيين الخاصة فلا يجوز له التصرف به بأي شكل من الأشكال، وعليه الإتصال بصاحبه لإرجاعه إليه أو التصالح معه.

وكانت هذه الفتاوى بصورة معلنة ومكتوبة، قبل وبعد الإنتفاضة.

أسفرت الإنتفاضة عن عجز البعض وفشلهم في هذا الإختبار، ونهوض البعض الآخر بعبء المسؤولية بجدارة، وسوف يتضح لنا أن مَنْ شارك بإخلاص ووعي فيها سيكون هو صاحب الكلمة بعد ذلك، كالشهيد الصدر والسيد السبزواري، على الرغم من أن السبزواري كان متقدماً في السن إلا أن ذلك لم يحل دون أن يؤدي واجبه بقدر المستطاع، ولا ننسى أن هذا العالم الجليل كانت له وقفة مشرفة قبل أكثر

من عقد من زمن الإنتفاضة مع الصدر الأول عندما حاصرت منزله قوات الأمن، فكان من القلائل الذي سعوا لفك الحصار وكسر العزلة عن السيد محمد باقر الصدر، وبالرغم من أن السبزواري لم يبق في الحياة أكثر من عام واحد بعد وفاة الخوئي إلا أن دوره في الانتفاضة لفت أنظار الكثيرين إليه فتحولوا إليه بالتقليد، وما أن توفي السيد الخوئي حتى أصبح السبزواري المرجع الشيعي الأول بلا منازع حتى وفاته.

أما السيد محمد الصدر فهو الذي قلب الموازين ونهض بالحركة الإسلامية التي لا تزال نعيش بركتها حتى هذه الساعة.

لم توف الإنتفاضة حقها من قبل المؤرخين لهذه المرحلة، فمعظم الكتابات عنها شأنها شأن المرحلة التي نكتب عنها إنما أرخت بأقلام لم تواكب الحدث، أو كتبت عنها من خارج العراق، مما جعل صورتها ضبابية أو مشوهة، فكل يكتب ما يناسب فكره أو أهدافه، وحتى من كان له دور سلبي أو ساهم في إفشال الإنتفاضة أراد ان يكون له دور بطولي لا وجود له، وللإنصاف فقد كانت الإنتفاضة حدثاً مفاجئاً بكل المقاييس، ولم يكن الشعب والقيادات الإسلامية مستعدة له، ولكن هذا ليس مبرراً كافياً للتقاعس أو التخاذل عن أداء القيادة لواجباتها، وهنا تكمن حقيقة القيادة الفعلية التي ينبغي لها أن تعد العدة مسبقاً لكل ما يمكن أن يحصل من تداعيات على كافة الأصعدة، خصوصاً أن العراق كان يشهد نتائج حرب مدمرة^(١)، والفوضى تعم

(١) وضعت التقديرات الأولية عدد الأصابات الناجمة عن الحملة الجوية والحرب البرية الضخمة بقيادة الولايات المتحدة في مستوى مروع : إذ يعتقد أن من المحتمل أن يكون قرابة (٥٠٠٠٠) فرد عسكري و (١٠٠٠٠) مدني قد لقوا حتفهم. غير أن التقديرات اللاحقة أشارت الى عدد أقل بكثير: زهاء (٢٥٠٠٠ - ٣٠٠٠٠). فالخ عبد الجبار، العمامة والأفندي، ٤٥٥ - ٤٥٦. وكل هذه الإحصائيات لا يمكن الإعتماد على دقتها في ظل سلطة كانت تحيط البلد بسور حديدي إضافة الى رغبة الولايات المتحدة الأمريكية الأكيدة في إخفاء الأرقام الفعلية لمذابحها التي تواصلت بعد ذلك في العراق، ناهيك عن كل وسائل الإعلام المسيسة، وها نحن A

البلد بكل المستويات، ولم يكن للمؤسسة الدينية أي دور يذكر، فإذا لم يمكن صناعة الحدث فلا بد من توجيهه والإستفادة منه قدر المستطاع.

كانت البصرة هي من أشعل الشرارة الاولى للانتفاضة، وما أسرع ما امتدت الى محافظات جنوب العراق وشماله، وحتى بغداد خرجت فيها جماعات هنا وهناك، خصوصاً في مدينة الثورة (مدينة الصدر)، ولكنها واجهت رداً سريعاً وعنيفاً، وكان الجميع يتربص في بغداد ولكن من دون وجود القيادة المؤثرة كان من غير الممكن أن يثور الناس، فبعد غياب وكلاء وتلامذة السيد محمد باقر الصدر بين معدوم وسجين وهارب لم يبق من رجال الدين من يمكن أن يوجه الى ثورة أو أي عمل من الممكن أن يؤثر في النظام، ولم تكن الحوزة في النجف على تواصل مع المجتمع بالشكل الذي يجعل منها ذات أثر واضح، فلم يكن من ممثلي مرجعية السيد الخوئي في بغداد ممن يفكر باستغلال أو تفعيل الانتفاضة بأي شكل يذكر. إضافة الى أن النظام ركّز كل قواته الخاصة في بغداد لحمايته، ولكن الوضع مختلف تماماً في جنوب العراق، فقد كانت الانتفاضة سريعة وحاسمة، ولم تستطع مقرات حزب البعث من الصمود لوقت طويل أمام غضب الثوار، وبعد سقوط محافظات الجنوب توجهت الانظار تلقائياً للنجف الاشرف، بعد أن تخلّت المعارضة خارج العراق عن المشاركة الفعلية، الا ما كان على نحو التأجيج في بعض المناطق ثم الانسحاب وترك الناس تواجه آليات النظام ومشانقه، كما حصل في قضاء الحي التابع لمحافظة واسط، وسوق الشيوخ، وغيرهما من المدن الحدودية، التي كانت المعارضة مجرد متفرج، أو تشارك على نحو خجول وتترقب ما يكون، وكنا نسمع أن قيادة المعارضة الاسلامية خارج العراق كانت تنتظر في مدينة (التنومة)، فإن تمّ القضاء على النظام فيها ونعمت أو العودة الى حيث الامن والامان، والواقع أن وصول القيادة الى (التنومة) كان مجرد

=نكتشف بين شهر وآخر مقبرة جماعية.

دعاية إعلامية لا أكثر ولم يدل على وجودها هناك أي دليل، ولكن للأمانة التاريخية فقد وزع المجاهدون التابعون لها بعض قطع الاسلحة في مناطق حدودية متفرقة وصوراً كثيرة للسيد الخميني والسيد الخامني والسيد محمد باقر الحكيم، ولكن هذه الصور لم تكن سلاحاً فعالاً بوجه النظام؟!، بل كانت أحد أهم أسباب إطلاق الأمريكان ليد صدام ليرتكب مجازره ويسحق الانتفاضة والمتفضين.

بغيا ب القيادة المنظمة والقدرة العسكرية عاد النظام ليفرض سيطرته ويرتكب مجازره، وأكبر مشترك في الجرائم هي الولايات المتحدة الامريكية، التي سمحت للنظام باستخدام آله العسكرية مجدداً وسمحت لطائراته بقصف كل نقاط الانتفاضة، وكانت الطائرات تمر قريباً من مقرات تابعة للجيش الامريكي داخل العراق من دون أن يتعرض أحدها للآخر، وهذا أوضح دليل على التآمر بين صدام والامريكان، وحتى الدول العربية كما ينقل شعبياً على لسان رؤسائها : ((صدام حاكم من دون مخالف خير من حاكم شيعي)).

وهذا الموقف الامريكي جاء بعد أن اتضح أن حرب الثمان سنوات والحصار الاقتصادي وحرب الخليج الثانية لم تنس الشعب العراقي انتمائه وولائه للاسلام، وخرجت الجماهير وهي تهتف على مرأى وسماع من الامريكان ((لا شرقية ولا غربية دولة دولة إسلامية)) و ((ماكو ولي إلا علي ونريد قائد جعفري^(١))). فـدق ناقوس الخطر وبات واضحاً أن كل العقوبات والدمار الذي حلّ بالعراق ليس كافياً، وأصبحت تصريحات القائد العسكري "شوارتزكوف" : بأن الزحف الامريكي سيستمر حتى إسقاط النظام" لاصحة لها، مما أدّى الى إقالته أو استقالته. كل هذا ويوجد اليوم من يقول أن الأمريكين لا دخل لهم بمعاناة الشعب العراقي، ونجد أن

(١) تردد كثيراً في تلك الأيام عن خروج تظاهرات في بعض المحافظات المؤيد لنظام صدام "ديالى" وهي تهتف بشعار مضاد (ماكو ولي إلا عمر، صدام أعلى من الكمر "القمر").

تصريحات السيد الصدر بعد ذلك كانت هي الرؤية الصحيحة حول أمريكا وحلفائها أو ما أسماه بالثالوث المشؤوم، واتضح أنه المبصر الوحيد بين عميان.

كانت أنظار المحافظات متوجهة الى النجف كما قلنا، ولكن المشكلة أن النجف نفسها لم تنظم نفسها بالشكل المطلوب، أو هي حاولت ولكن لم تفلح، فكيف تستطيع أن تنظم غيرها من محافظات الجنوب بالتالي شمول الانتفاضة لتكون ثورة تقضي على النظام، وهل فكرت النجف لما بعد نجاح الثورة، وماهي صيغة الحكم، وما هي الرؤية السياسية محلياً وأقليمياً ودولياً؟، وماهي السبل لتوفير الغذاء والمستلزمات الضرورية بعد اسقاط النظام؟، سنجد أن جل تفكير القيادة في النجف كان تسيير الأمور بأي شكل للحفاظ على النظام العام داخل النجف لا أكثر. إضافة الى أن القيادة المنصبة لم تكن لها رؤية سياسية أساساً، بل ترى أن حدود ولايتها الشرعية لا تتعدى القيمومة على اليتيم، فكيف نتوقع النجاح وسط كل هذه التناقضات؟.

ونركز الآن على انتفاضة النجف لنرى من خلال شهادات بعض شهودها أهم أحداثها وما تمخض عنها.

نذكر أولاً ما دونته المؤسسة الرسمية للحوزة في النجف الأشرف التي كان يرعاها السيد الخوئي :

((لما اندلعت الانتفاضة في الجنوب وسيطرت على مدن الجنوب، الواحدة تلو الاخرى. كانت مدينة البصرة قد اشعلت نيران الانتفاضة، اما مدينة النجف الاشرف فقد صعدت ثورتها بعد ان تحررت تماماً من براثن الطغمة الحاكمة وعصاباتهما، خلال ٢٤ ساعة من المطاردة والمبارزة لرجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ورسموا حریتهم بخطوط من دم الشهداء الابرار، واصبحت المدينة حرة بعد الساعة الثالثة من ظهر يوم الاثنين الموافق ٤ آذار (مارس) ١٩٩١.

وغمرت البهجة والغبطة قلوب النجفيين بعد ثأرهم لحریتهم التي سلبت، وشخصیتهم التي مسحت، ومقدساتهم التي انتهكت، لكن شحوباً محيراً بدأ يظهر

على وجوههم حول مستقبل مجهول بعد انسحاب السلطة التنفيذية للطغمة الحاكمة أمام جهاد فئة قليلة من الشباب المؤمن، وتكاثرت وتنامت خلال الساعات الاولى للانتفاضة حتى عمّت النجف الاشرف ودخلت معظم بيوتاتها.

في اليوم التالي الموافق ٥ آذار (مارس) ١٩٩١ كانت الاخبار ترد في كل دقيقة وساعة عن سقوط مدن اخرى قريبة وبعيدة، غير ان الابتسامة لم تدم طويلاً وبدأ الوجوم بالظهور على الوجوه، بسبب عوامل لا مجال لذكرها.

اصبح النجفيون في حيرة من امرهم وصاروا يجتمعون للبحث عن مخرج بعد غياب السلطة التنفيذية وانفلات الأمن وعموم الفوضى أنحاء المدينة المقدسة، وتصاعد الوباء!! ليعم المدن والمحافظات المحررة الاخرى القريبة والبعيدة من النجف، حتى توجه كبار الناس ووجهائهم الى آية الله العظمى الامام الخوئي (رضوان الله عليه) ليشرف بسلطته الروحية وما يحتله من مقام، ولحقيقة مكانته المعروفة وموقعه من نفوس الناس على استتباب الامن واستقرار الاوضاع.

وتعاضمت اعداد الوافدين عليه تطالبه بالمحافظة على الارواح وممتلكات الناس. عندها أمر سماحته بتشكيل لجنة من تسعة أشخاص للقيام بإدارة شؤون البلاد، كان حجة الاسلام والمسلمين السيد محمد تقي الخوئي نجل الامام الراحل أحد أعضائها، حيث قام بدور ريادي بالحفاظ على ممتلكات الناس وأرواحهم حتى تمّ اعتقال الامام مع جميع مساعديه وعلماء الجامعة العلمية في النجف الأشرف من منزل نجله الشهيد (أي محمد تقي الخوئي) الذي كان مقرأً للقيادة الدينية والعسكرية، وأجبر الشهيد على مقابلة الطاغية صدام مع والده الامام رضوان الله تعالى عليهما، لكن الضجة العالمية والاستنكارات الدولية والدينية والشعبية، اضطرت النظام الى الافراج عنهما بعد ثلاثة أيام^(١).

(١) الشهيد محمد تقي الخوئي، ص ٣٢ - ٣٣.

نص الفتوى التي أصدرها آية الله العظمى السيد الخوئي قدس سره
بمناسبة الانتفاضة الشعبية في العراق

بسم الله الرحمن الرحيم
أبنائي الأعزاء المؤمنين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله على نعمه وآلائه والصلاة والسلام على أفضل أنبيائه محمد وعترته الأطهار.
وبعد، لا شك في أن الحفاظ على بيضة الإسلام، ومراعاة مقدساته أمر واجب على كل
مسلم، وأني بدوري إذ أدعو الله تبارك وتعالى أن يوفقكم لما فيه صلاح الأمة الإسلامية،
أهيب بكم أن تكونوا مثلاً صالحاً للقيم الإسلامية الرفيعة برعاية الأحكام الشرعية رعاية
دقيقة في كل أعمالكم، وجعل الله تبارك وتعالى نصب أعينكم في كل ما يصدر منكم،
فعليكم الحفاظ على ممتلكات الناس وأموالهم وأعراضهم، وكذلك جميع المؤسسات العامة
لأنها ملك الجميع والحرمان منها حرمان للجميع.

كما أهيب بكم بدفن جميع الجثث الملقاة في الشوارع وفق الموازين الشرعية، وعدم المثلة
بأحد، فإنها ليست من أخلاقنا الإسلامية، وعدم التسرع في إتخاذ القرارات الفردية غير
المدروسة والتي تتنافى والأحكام الشرعية والمصالح العامة.

حفظكم الله ورعاكم ووفقكم لما يحب ويرضى إنه سميع مجيب.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في ١٨ شعبان ١٤١١هـ

الخوئي^(١)

(١) المصدر السابق، ص ٤٢.

نص البيان الذي أصدره آية الله العظمى السيد الخوئي "قدس سره"
بمناسبة الإنتفاضة الشعبية في العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين... وبعد :

فإن البلاد تمر في هذه الايام بمرحلة عصيبة تحتاج فيها الى حفظ النظام واستتباب الامن والاستقرار والاشراف على الامور العامة والشؤون الدينية والاجتماعية تحاشياً من خروج المصالح العامة عن الادارة الصحيحة الى التسبب والضياع.

من اجل ذلك نجد أن المصلحة العامة للمجتمع تقتضي هنا تعيين لجنة عليا تقوم بالاشراف على إدارة شؤونها كلها بحيث يمثل رأيها رأينا، وما يصدر عنها يصدر عنا، وقد اخترنا لذلك نخبة من أصحاب الفضيلة العلماء المذكورة أسماؤهم أدناه ممن نعتد على كفاءتهم وحُسن تدبيرهم، فعلى أبنائنا المؤمنين إتباعهم وإطاعتهم والانصياع الى أوامرهم وإرشاداتهم ومساعدتهم في إنجاز هذه المهمة.

نسأل الله عز وجل أن يوفقهم لأداء الخدمة العامة التي ترضيه سبحانه وتعالى ورسوله (ص).

الله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١ - السيد محيي الدين الغريفي ٢ - السيد محمد رضا الموسوي الخلخالي

٣ - السيد جعفر بحر العلوم ٤ - السيد عز الدين بحر العلوم

٥ - السيد محمد رضا الخرسان ٦ - السيد محمد السبزواري

٧ - الشيخ محمد رضا شبيب الساعدي ٨ - السيد محمد تقي الخوئي

النجف الأشرف في العشرين من شهر شعبان المعظم سنة ١٤١١هـ

ملحوظة : لقد تقرر إضافة السيد محمد صالح والسيد عبد الرسول الخرسان الى اللجنة المذكورة أعلاه.

في ٢١ شعبان ١٤١١هـ

الخوئي^(١)

نلاحظ أن لهجتي البيان والفتوى متحفظتان إذ لم يشيرا من قريب أو بعيد الى النظام الحاكم في بغداد، ولم توجه المحافظات الاخرى المنتفضة الى ما ينبغي القيام به، سواء على صعيد تشكيل جيش لمهاجمة العاصمة، او الايعاز الى القيادات في باقي المحافظات بالتوجه الى النجف الاشرف لتلقي التوجيهات والاستماع الى ملاحظاتهم، أو تشكيل قيادة عسكرية من ذوي الخبرة الميدانية، ولعل أقرب جواب تنبرع به عن السيد الخوئي واللجنة التي شكلها أن احتمال فشل الانتفاضة وارد بالتالي لم تكن لهجة البيان شديدة أو تحت على الجهاد، مما يقلل من احتمال تعريض كيان الحوزة العلمية في النجف الأشرف الى خطر الإبادة في حال عودة سيطرة النظام مرة أخرى على المحافظات المنتفضة، خصوصاً وأن النظام البعثي كان سجله دموياً تجاهها، ولكن المحذور وقع ولم ينفع الحذر، فقد تمّ إعدام كل أعضاء اللجنة تقريباً باستثناء السيد محمد تقي الخوئي الذي تحصن بمكانة أبيه الكبيرة، والشيخ محمد رضا شبيب الساعدي الذي خرج الى ما وراء الحدود السعودية كعشرات الألوف من المحافظات الجنوبية، وأخيراً السيد محمد السبزواري الذي خرج الى إيران ولكنه أغتيل هناك، وخرج السيد حسين السبزواري نجل السيد عبد الأعلى السبزواري الى صفوان ومن هناك الى ايران حيث استقر في مدينة مشهد حتى الساعة، وهو لم يكن من أعضاء اللجنة. وقد خرج جميعهم عن طريق محافظة السماوة الحدودية مع المملكة العربية السعودية، وكذلك السيد عبد المجيد الخوئي.

(١) المصدر السابق، ص ٤١.

ونلاحظ أن مؤسسة السيد الخوئي في ما ذكرته أعلاه أغفلت أي دور يذكر للآخرين خاصة السيد السبزواري الذي كان الشريك الأساسي مع السيد الخوئي في تشكيل اللجنة وإدارة شؤون المحافظة، وهذا نصُّ بيانه الذي أصدره في نفس الوقت مع السيد الخوئي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعدُ فإن البلاد في هذه الظروف الحرجة تحتاج فيها الى حفظ النظام والأمن والاستقرار، ولو لم يُتدارك الأمر لأدّى - لا سمح الله تعالى - الى الضياع والخراب.

ولأجل ذلك رأينا أن الوظيفة الشرعية والمصلحة العامة تقتضيان حفظها واستتباب الأمن فيها وإعادة الحركة إليها على الوجه الصحيح طبقاً للمصالح العامة وأحكام الحسبة، فقد وقع الاختيار على نخبة من أرباب الفضيلة العلماء دامت تأييداتهم المندرجة أسماؤهم أدناه الذين هم من المعتمدين لدينا لإنجاز هذه المهمة والإشراف على إدارة الشؤون كلها، فعلى المؤمنين دامت تأييداتهم إتباعهم وإطاعة أوامرهم والإنصياع الى إرشاداتهم وتنفيذها ومساعدتهم في تسهيل مهمتهم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا تعاونوا على البر والتقوى) وعن نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله) (والله في عون العبد ما دام في عون أخيه).

نسأل الله تعالى أن يوفقهم جميعاً لخدمة هذا الدين الحنيف وأن يسدد خطاهم ويكون في عونهم إنه ولي العصمة والتوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١- السيد محي الدين الغريفي.

٢- السيد محمد رضا الموسوي الخلخالي.

٣ - السيد جعفر بحر العلوم.

٤ - السيد عز الدين بحر العلوم.

٥ - السيد محمد رضا الخرسان.

٦ - السيد محمد السبزواري.

٧ - الشيخ محمد رضا شبيب الساعدي.

٨ - السيد محمد تقي الخوئي.

٩ - السيد صالح الخرسان.

النجف الأشرف ٢٠ شعبان المعظم سنة ١٤١١هـ عبد الأعلى الموسوي السبزواري^(١).

أما فتواه فكانت ذات لهجة جهادية شديدة واضحة واعية وقد أصدرها قبل فتوى الخوئي بيومين وهذا نصها :

((بسم الله الرحمن الرحيم "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير" - وبدأ بتفسير مختصر لهذه الآيات الشريفة - وقال : إن الشعب العراقي المسلم المظلوم قد رزح طويلاً تحت حراب الكفر والظلم، وأخيراً فقد جرت عليه هذه المصائب العظام وأصبح تحت رحمة الكفرة من الأمريكان وحلفائهم وذلك بسبب تصرف النظام البعثي الكافر اللامشروع والذي ينفذ مخططات الأعداء من اليهود والنصارى، لذا نرى أن لن يُسمح لهذا الشعب المقهور على أمره بالثورة ضد النظام الكافر وإقامة حكم الله في البقعة الطاهرة من العالم الإسلامي)).^(٢)

(١) نسخة البيان زودنا بها الشيخ محمد رضا شبيب الساعدي في المقابلة الآتية التي أجريت معه في منزله في

النجف الأشرف بتاريخ ١٢ / ٥ / ٢٠١٠.

(٢) عادل رؤوف، مرجعية الميدان، ص ١٩١.

ومشاركة السيد السبزواري دليل على أهميته وعدم إمكانية إغفال دوره وأثره، لذلك لم يكن أمام مؤسسة السيد الخوئي حيلة لإلغاء مرجعيته بعد رحيل السيد الخوئي كما سنرى.

من المؤكد أن ما كان يدور في أذهان الجميع أن النظام سيسقط لا محالة، خاصة وأن التصريحات الأمريكية كانت واضحة في هذا الصدد، وكانت القوات الأمريكية قد دخلت الأراضي العراقية واحتلت أجزاء كبيرة منها، من محافظة البصرة والناصرية، فأصبح الجميع متوقعاً أن يستمر الزحف الأمريكي حتى بغداد، أو تمنع القوات الأمريكية أي تحرك لقوات النظام ضد المدن الثائرة، بعد أن طردت الجيش العراقي ودمرته داخل الأراضي العراقية، فحصل الاطمئنان في النجف وغيرها فجاء التحرك من قبل المرجعية في النجف نتيجة لهذا الاطمئنان، وهو أمر لم يكن الجميع متفق عليه، فهناك من كان يعتقد أن أمريكا رأس الشر ولا تأبه لأي قيمة إنسانية، فكان لا بد من الاعتماد على الامكانيات الذاتية المتوفرة في البلد والتحرك بما يناسب هذه الامكانيات.

أما اللجنة التي تشكلت فلم يكن في تفكيرها توسيع الانتفاضة أو اتخاذ قرارات على الصعيد السياسي نظراً لغموض الموقف، فكانت اللجنة مجرد تسيير أعمال على صعيد الأمن والممتلكات وتوفير الحاجيات الضرورية لا أكثر (وهذا ليس قليلاً بالتأكيد)، ولم تكن هناك رؤية سياسية واضحة أو تخطيط مرحلي لما بعد الانتفاضة، فضلاً عن أن يكون تخطيطاً استراتيجياً، وخلاصة القول أن الأسلوب الديني التقليدي هو نفسه قبل وبعد الانتفاضة، ولكن لا يمكن الإنكار أن تشكيل لجنة أو لجان هو الحل الأمثل في مثل هذه الظروف الجديدة على الساحة في العراق، فما هو دور هذه اللجنة؟ وكيف تم تشكيلها؟.

فيما يلي نص حديث الشيخ محمد رضا شبيب الساعدي آخر المتبقين على قيد الحياة

من أعضاء اللجنة آنفة الذكر^(١):

((بدأت الإنتفاضة في البصرة وانتقلت الى السماوة، وكنا نسمع أخبارها من الزائرين القادمين الى النجف، وسبب تأخرها في النجف أن معظم الأهالي كانوا في زيارة كربلاء بمناسبة النصف من شعبان.

وبعد أن انطلقت الانتفاضة في النجف أرسل السيد الخوئي الى مجموعة من العلماء والفضلاء كالسيد علاء بحر العلوم والسيد عز الدين بحر العلوم والسيد محمد رضا الخلخالي والسيد جعفر بحر العلوم وأنا والسيد محمد ابن السيد عبد الأعلى السبزواري وغيرهم. اجتمعنا في مكان خاص بالسيد الخوئي فقال لنا : أولادي أحب أن أحدثكم بحديث، أنتم كما ترون البلد دخلت فيه عناصر (من غير المنتفضين، من غير المجاهدين) بعض العناصر من السجناء^(٢) وحصلت منهم اعتداءات (سراقات) على بعض المحلات، فصارت فوضى فلا بد أن نوقفها، فماذا ترون، نترك الأمر ونترك الناس تقاتل بعضها بعضاً، وتكون علينا لعنة الله والملائكة والتاريخ الى يوم يبعثون، أو نتحرك بالقدر الذي نستطيع؟، أما أنا فأصارعكم بكل صراحة، أنا عاجز وحتى صلاتي من جلوس، فإذا يسألني الله تعالى يوم القيامة عن هذا الموقف أقول له : إلهي، إن هؤلاء أثق بهم واخترتهم من أجل إصلاح البلد، لهذا اخترتكم وليس عندي غير هذا، والمسئولية أمام الله ألقوها على عواتقكم.

(١) في مقابلة أجريت في منزله في النجف الأشرف في يوم الأربعاء الموافق ١٢ / ٥ / ٢٠١٠، بحضور ولده الشيخ علي، والحاج صدقي اليعقوبي، والشيخ حسنين قفطان، ورياض عبد المنعم، وحيدر العامري" من منتسبي مكتب آية الله الشيخ محمد اليعقوبي، والشيخ عباس الزبيدي.

(٢) كانت الانتفاضة في بدايتها عفوية ومن دون تنظيم، فتم كسر السجون وكان من بين هؤلاء السجناء الكثير من المجرمين واللصوص وهم الذين تسببوا بهذه المشاكل. كما أن قتالاً وقع مع أعضاء حزب البعث في الفرق الحزبية وفي مبنى المحافظة وبعض دوائر الدولة مما أدى الى سقوط الكثير من القتلى. عن الشيخ محمد رضا شبيب الساعدي.

فقسم استجاب، وقسم اعتذر ببعض الاعتذارات كالسيد علي البعاج والسيد محمد رضا الحكيم والسيد علاء بحر العلوم^(١) وغيرهم، ووافق الآخرون، فقال السيد الخوئي: يكتب كتاب ويُشر بالبلد حتى نستعد لتهدة الوضع العام.

فوافقنا ووقعنا على ذلك، فأصبح السيد الخوئي بمثابة القيادة العامة وكلما استجد أمر راجعناه. ثم أرسل السيد الخوئي الى المحافظات بيانه الذي أصدره، كما أوعز الى كافة المحافظات المنتفضة باختيار أشخاص كفوءين لإدارة شؤونهم الاقتصادية والأمنية.

أما في النجف فقد اخترنا عددا من الضباط فتم تعيينهم شبه قادة عسكريين (قسم منهم الآن خارج العراق وآخرون عادوا)، فكانت مهمتهم حفظ البلد والاشراف على توزيع الحصة التموينية وحفظ ومراقبة الأمن العام، وقام هؤلاء الضباط بتجنيد مجاميع من الشباب لمنع الفوضى وتنظيم توزيع الوقود وحراسة المصارف.

وخلال تولينا مهمتنا حصلت بعض التصرفات العشوائية عندما اعتقل بعض منتسبي أمن النظام الذين كانوا يتهمون بقتل واعتقال بعض أبناء النجف، فحبسوا في مدرسة الامام الحكيم وقام البعض بقتلهم من دون موافقتنا، وقد امتعض السيد الخوئي من ذلك وقال: إن هؤلاء لم تثبت إدانتهم، والمتهم برئ حتى تثبت إدانته.

كما حصلت مشاكل ومضايقات عند محطات تعبئة الوقود بسبب التزامهم لشحته.

كنا نجتمع تلك الأيام في منزل السيد الخوئي في حي (السعد) ولم تكن اجتماعاتنا ذات طابع رسمي وإنما كأخوان تتشاور فيما بيننا منذ الصباح وحتى الغروب. وكلما طرأ أمر تجتمع اللجنة وتقرر.

(١) سيأتي أن من ضمن الذين اعتذروا عن الانضمام الى هذه اللجنة السيد محمد الصدر والسيد حسين بحر العلوم.

الانتفاضة كانت مفاجأة لنا فلم نكن مستعدين لها، ولم تكن عندنا القوة الكافية (الأسلحة) أما الأسلحة التي كانت بيد المنتفضين فقد حصلوا عليها من الحامية العسكرية، كما عانينا من التعتيم الإعلامي الذي أضربنا كثيراً، وأنا أجزم لك أن ما كان يجري في كربلاء لا نعلم به في النجف، وما كان يجري في النجف لا تعلم به البصرة أو العمارة، ما عدا الرسل الذين كانوا يحملون وصايا منا أو من السيد الخوئي، وهذا لم يكن كافياً. أما على مستوى الاستعداد الفعلي فلم نكن كذلك لحدث الانتفاضة.

السيد الخوئي بدوره وبصفته الأبوية لم يكن يحب أن يفرد بالقرار فأرسل الى السيد السبزواري وبعض وجهاء النجف فأبلغهم بالموقف، وأتينا إذا لم نستعد فإن النجف ستصبح في فوضى، فاستجاب السيد السبزواري وأصدر مرسوم (بيان) وتم توزيعه، وكان الأشخاص الذين اختارهم هم نفس أعضاء اللجنة التي اختارها السيد الخوئي^(١).

جاءت مجاميع من محافظة كربلاء الى السيد الخوئي فحولهم إدارة شؤون محافظتهم وأن يضعوا أيديهم على المصالح العامة.

لم يكن عندنا أي تفكير للقيام بخطوات لتهيأة جيش للزحف الى بغداد، نعم كان هذا المستوى من التفكير يردده بعض الشباب المتحمسين لا أكثر.

عندما اقتربت قوات الجيش العراقي من مدينة النجف أرسل السيد الخوئي الى المتواجدين حول منزله كحماية وقال لهم : أبنائي أنا المستهدف فإذا ابتعدتم فليس عليكم بأس فارجعوا الى عوائلكم أو تغيّبوا. فذهب قسم منهم والقسم الآخر بقوا يقاومون ولكن من دون جدوى فانسحبوا آخر المطاف.

(١) لاحظنا أن بيان السيد السبزواري قد أضاف الى أعضاء اللجنة السيد صالح الخرسان.

فدخلت قوات الجيش الى منزل السيد الخوئي واعتقلوا مَنْ كان في داره وكان هناك عدد من رجال الدين فأقلّوهم بسيارات الى بغداد مباشرة، أما السيد الخوئي والسيد محمد تقي فأخذوهما الى خان النص قرب الكفل، وكان هناك الخبيث طه ياسين رمضان الجزراوي حيث جاء بصحبة سرب من الطائرات المروحية، ومن هناك قام بتوجيه قوات من جهة الكوفة وأخرى من جهة طريق كربلاء وقصفت مدينة النجف بصواريخ أرض - أرض.

بعد وصول السيد الخوئي الى مدينة الكفل إلتقاه هناك طه الجزراوي الذي شتمه قائلاً: يا شبيه الضالة تريد أن تصبح ملكاً على العراق؟. فأجابه السيد الخوئي : أعوذ بالله، أنا أردت أن أصلح العراق وأقطع يد الفساد. ثم أخذوه بطائرة الى القصر الجمهوري ببغداد، وأما رجال الدين الذين اعتقلوهم في منزله فلم يعد منهم أحد ولم يعثر على أحد منهم.

أخذ السيد الخوئي وولده محمد تقي الى القصر الجمهوري فالتقيا صداماً، فقال صدام موجهاً كلامه للسيد محمد تقي الخوئي : أنت السبب في كل ما حصل. ثم خرج صدام فقام أعوانه بأخذ السيد محمد تقي لغرض إعدامه فأخذ السيد الخوئي يصبح لكي يتركوه، فأخبروا صدام فأخلى سبيله.

وبعد أن وصل السيد الخوئي للنجف بأيام حصلت ضجة إعلامية عن محاصرته ومضايقته من قبل قوات الأمن، فأرسل صدام بعض أعوانه والتقوا السيد الخوئي وسألوه هل هناك مضايقات فأجاب : كلا، لا توجد مضايقات. وتمّ بثُ هذا اللقاء من خلال التلفزيون.

كانت الأوامر قد صدرت من السيد الخوئي الى أعضاء اللجنة بالخروج من النجف عندما اقتربت قوات الجيش من المدينة، فخرجنا وبقينا يوم أو يومين في (سوق شعلان) في النجف ومعنا الآلاف من الهاربين، فقد قام الجيش بإعدام واعتقال المئات، ثم أعلن الجيش بعد ذلك أن مَنْ يريد العودة الى المدينة فليعد، فعاد الكثير من الناس، ولكن الذين شاركوا بالانتفاضة لم يستطيعوا العودة فتوجهنا الى محافظة

السماوة، وكان موقف أبناء السماوة مشرفاً، مع أنهم في البداية لم يتجاوبوا معنا، إذ كانوا متحمسين واستنكروا علينا ترك النجف والسيد الخوئي لوحده أمام الجيش. فأتى أحد الشباب وأخبرهم أنني أحد أعضاء اللجنة ولربما يقوم أحد المندسين باغتيال فسمحوا لي بالدخول مع أولادي، فبتنا في أحد المنازل المهجورة، ولكن قام أهل السماوة بواجبهم على أكمل وجه.

في السماوة كانت القوات الأمريكية متواجدة وكان بعض الضباط والجنود يتمشون في شوارع المحافظة، وأقولها للتأريخ : أن أحد الضباط الأمريكيين كان يعطي قطع من الحلوى على المارة وقال : أنتم بأمان معنا، ونحن خلال يومين سوف ندخل بغداد ونسقط صدام. فحصل عندنا إطمئنان، ولكن بعد يومين أو ثلاثة بدأ القصف بصواريخ أرض - أرض على محافظة السماوة من قبل قوات صدام، فخرجنا مع الآلاف الى الصحراء بلا غذاء وبلا ماء، وكان الجيش الأمريكي قد انسحب ولكن بقيت لهم قواعد عسكرية ونقاط تفتيش، وكانت طائراتهم تحوم فوقنا فهبطت إحداهن ونزل منها ضابط يتكأ على عصا، فعرفته إذ كان هو نفس الضابط الذي التقيته في السماوة ووعدنا بإسقاط صدام خلال يومين، فقلت له : عندي سؤال لك. فاستدعاني الى خيمة نُصبت له واستدعى أحد المترجمين، فقلت له : ما حدا مما بدا من قولك السابق حول إسقاط صدام؟ فقال لي : أنت خميني، شكلك شكل خميني، وأسئلتك أسئلة خمينية. فقلت : كلا، أنا عراقي. فقال : لتعلم، وأنا أنصحكم، نحن لثمان سنوات نقاتل الخميني بكل سلاح، حتى السلاح المحرم دولياً، حتى السلاح الذي لم يُجرب جربناه لكي نقضي عليه، ومع أننا لم نقض عليه لكننا أضعفنا قوته العسكرية، والآن عندما دخلنا العراق شاهدنا صور الخميني والحكيم، وهذا يعني أنكم تريدون دولة ثانية وسنداً للخميني، لذا سنقضي عليها قبل انتشارها.^(١)

(١) مما يؤكد كلام الشيخ الساعدي ما قاله الرئيس الأمريكي جورج بوش: ((إن القوات الأمريكية A

أما بخصوص الإعلام فإن العراق لمدة خمسة أيام يقاتل، فلا الدول العربية ولا الدول الإسلامية ولا الدول المجاورة ذكرت أي نبأ عن الانتفاضة، ولم نحصل على أي دعم من الخارج، لا من إيران ولا من المجلس الأعلى، أما حزب الدعوة فليس له وجود على الإطلاق. كل ما فعله الإيرانيون والمعارضة أن أرسلوا بعض الأشخاص الى النجف وغيرها الذين كانت مهمتهم التقاط الصور، وقد ساعدتهم عندما أخبروني أن هذه الصور ستعرض على وسائل الإعلام، ولكن لم نر لها أي أثر، بينما تعرضنا لمشاكل بسببها لا غير)).

يوجد تفصيل أوسع أرخه الشيخ محمد العقبوي أحد المشاركين في الانتفاضة، والذي كان مساعداً لأهم قيادات الحركة الإسلامية حينها، وقائد الحركة الإسلامية والمرجع الديني بعد إستشهاد أستاذه الشهيد السيد محمد الصدر :

((كان الوضع الأمني في العراق متسبباً خلال قصف الحلفاء للعراق فيما أسموه بـ(عاصفة الصحراء) والذي بدأ بعد منتصف ليلة (١٧/١/١٩٩١) بهدف معلن هو تحرير دولة الكويت من سيطرة القوات العراقية، وفي الأيام الأخيرة كنا لا نشعر بوجودٍ يذكر للنظام، نعم في بعض الحالات الطارئة كان يعزز النظام قبضته أو يوحي بذلك على الأقل كما حدث في مراسم تشييع آية الله الشيخ محمد تقي آل الشيخ راضي وآية الله السيد يوسف الحكيم، حيث اعتقل مجموعة من الشباب لم يلبثوا أن أفرج عنهم في نفس اليوم بعد توسط سماحة آية الله الخوئي (قدس سره).

وأعلن الحلفاء إيقاف الحرب يوم الخميس (٢٨/٢/١٩٩١) ومن حينه سرت في أوساط الشعب أخبار عن إنطلاق مظاهرات معارضة للسلطة والناس بين مصدقٍ

=ستسحب من مواقعها في جنوب العراق عند التوقيع رسمياً على اتفاق وقف إطلاق النار وقيام ترتيبات أمنية مع الجانب العراقي. وأضاف بأن ادارته لا تؤيد نظام صدام حسين، الرئيس العراقي، إلا أنه في الوقت نفسه لا تؤيد نظاماً أصولياً (شيعياً)). صحيفة الحياة، لندن، ١٦/٣/١٩٩١.

ومكذب لأن الرعب الذي زرعه النظام في قلوب الشعب ما زال موجوداً نتيجة لأعماله الشنيعة وبطشه الشديد واعلن ان موعدها يوم الجمعة (١٩٩١/٣/١) ثم اجلت بسبب انشغال الناس بزيارة النصف من شعبان الى مرقد ابي عبد الله الحسين (عليه السلام) التي صادفت ليلة السبت وكانت كربلاء مشتعلة بالعواطف الثورية المتأججة وساهم في تصعيدها وجود السيد الخوئي نفسه في الزيارة لكنه لم يستطع الوصول الى الحرم الشريف بسبب الازدحام وترقب الناس لمجيئه فاكتفى بالزيارة من سيارته خارج الصحن الشريف، لكن عدداً من الجماهير اتخذوا من آية الله المرحوم السيد حسين بحر العلوم رمزاً لاطهار الولاء للحوزة الشريفة وكان حاضراً وسط الجموع بعد ان لم تحظ بالسيد الخوئي (قدس سره).

وقد سبقت مدينة البصرة في حصول الانتفاضة حيث حصلت مواجهات مسلحة بدأها الجيش المنسحب من الكويت بكل مهانة واحتقار والذي نجا باعجوبة من قصف الطائرات الامريكية وحليفاتها التي كانت تحصد العراقيين وهم يلوذون بالفرار حفاة منهوكين حيث اعلنت القيادة العراقية الانسحاب من طرف واحد قبل ان يعلن الحلفاء وقفاً لاطلاق النار.

وحين دخول الناجين من هؤلاء مدينة البصرة حصل ارباك وفوضى فارادت القوات المرابطة بالبصرة وقوات الأمن والجيش الشعبي التي تدافع عن النظام والسيطرة على الموقف ومنع التدهور فحصل اشتباك مسلح حتى بالاسلحة الثقيلة بين الطرفين واشتعلت المواجهة واستمرت إلى مدن البصرة الاخرى.

واما النجف فقد انطلقت المظاهرات فعلاً ظهر يوم الاحد (١٩٩١/٣/٣) المصادف (١٦ شعبان ١٤١١) ولم يكن الشعب مسلحاً بشكل معتد به الا ان معاقل السلطة في مركز المدينة كمديرية الشرطة وبعض مراكزها ومقرات الحزب سرعان ما تهاوت امام توضحيات الشعب الاعزل فغنم المجاهدون اسلحتهم ثم اتخذوا الصحن الحيدري الشريف مقراً للقيادة وباتت الانفاس محبوسة تلك الليلة فغداً يوم المواجهة بين

الشعب والنظام الذي ما زالت الكثير من أوكاره كمديرية الامن ومقر الجيش الشعبي ومقر إدارة المحافظة قائمة^(١).

وما أن حلّ صباح يوم الاثنين حتى انطلقت جماهير الشعب بموكب حسيني يردد شعارات الولاء والثأر لأهل البيت (عليهم السلام) ويتقدم الموكب مجموعة من المسلحين وقد اعتلى بعضهم سيارة إطفاء، وتابع الموكب سيره على شارع الكوفة الذي تقع عليه اكثر مراكز النظام كمديرية الأمن ومقر قيادة الجيش الشعبي ومقر ادارة المحافظة مع بعض جيوب المقاومة لأفراد الحزب المغرر بهم الذين تحصنوا في بعض الابنية لمقاومة زحف الثائرين واخذ المجاهدون يطهرون الموقع تلو الآخر حتى تمت السيطرة عليها جميعاً عصر ذلك اليوم فعاد المجاهدون الى الصحن الحيدري الشريف ليحتفلوا بالنصر وتخليص المدينة المقدسة من براثن النظام.

وهنا بدأ التساؤل عن المرحلة التالية فلم تكن الانتفاضة مخططاً لها ولمستقبلها ولم تكن لها قيادة تذكر فكان من الطبيعي ان يلتجأ زعماء الحركة الجماهيرية الى علماء الدين وظنوا انهم سيستقبلونهم بالزهور لما حققوه من نصر لكن الامر كان بالعكس فقد قوبلوا - بحسب ما نُقل لي - بالاعراض والجفوة والاستهجان والتفريع على هذه التصرفات.^(٢)

(١) بتوثيق مقارب يذكر علي عبد الأمير علاوي : ((كانت الانتفاضات في الجنوب عفوية وغير منظمة الى حد كبير. ففي النجف قامت المظاهرات ضد الحكومة في ٣ آذار، وجرى الاستيلاء على المدينة في اليوم التالي بعد أن تزايد عدد الجماهير الى الآلاف فأخذوا يحاصرون المباني التابعة للأمن والحزب. وبعد يوم واحد من قتال الشوارع تمت السيطرة على المدينة. وقد قتل في تمرد النجف نحو خمسمائة من رجال المخابرات والأمن العام وحزب البعث)). احتلال العراق، ربح الحرب وخسارة السلام، ص ٦٦ - ٦٧.

(٢) ((إن سقوط مدينة النجف، أهم العتبات المقدسة، سلط الضوء على مرجعية آية الله العظمى الخوئي. فبعد عقدين من التجاهل الدائب للتطورات والأزمات السياسية المتصاعدة التي أثرت في مسار المذهب الشيعي في العراق وغيره من الأقطار كان على آية الله أن يؤيد تمرداً يجري قريباً منه، إن الطريقة التي عالج بها الأمر

واختفى كثير من أئمة الجماعة في بيوتهم ولم يبق أحد منهم مستمراً على صلاة الجماعة إلا السيد الصدر فيما أعلم، حيث كان يقيم صلاة المغرب والعشاء في الروضة الشريفة، وصلاة الظهر والعصر في مسجد الهندي، وسارع الى اصدار بيان يدعو فيه الى نصره الثورة الاسلامية المباركة في العراق، وكان الاخ زيد البغدادي احد المجاهدين المتحمسين ومن الساهرين على حماية الصحن الحيدري الشريف، ولعله الذي استصدر هذا البيان من السيد لايمانه بمجداة السيد للقيادة ولكي يطرح اسمه على الساحة، اذ لم يكن السيد معروفاً اجتماعياً او حوزوياً بشكل واضح وإن كان اسمه لم يغيب عن ذهن الواعين وإن غاب شخصه عقداً من الزمان، وكان بيان السيد السبزواري (قدس سره) متحمساً أيضاً، اما بيان السيد الخوئي فقد كان متحفظاً يدعو الى الحفاظ على النظام الاجتماعي العام وصيانة ممتلكات الشعب وعدم ارتكاب مخالفات للشرع المقدس ونشرت البيانات جميعاً في العدد الاول من الصحيفة التي اصدرتها قيادة الانتفاضة واستمرت اربعة او خمسة اعداد، وكنت احتفظ بها الا انني اتلفتها مع امور اخرى حينما اقتحمت قوات النظام بيوتنا للتفتيش.

وبعد يوم أو أكثر أرسل إليّ سماحة السيد سيارة من تلك التي غنمها الثوار من المؤسسات الحكومية وفيها ولده السيد مؤمل والاخ زيد البغدادي يدعوني للاجتماع به فذهبت فوراً والتقيت به في داره وقال ان الذي دعاني الى هذا اللقاء امران:

=طبعت بطابعها السنوات القليلة الباقية من زعامته الروحية لشيعة العراق. لقد أصدر آية الله العظمى (وكان عندئذ بالتسعينات من عمره) منشوراً مسالماً. لقد دعا أهالي المدينة الى الالتزام بسنن السلوك الإسلامي والى دفن الجثث التي كانت تملأ الشوارع. وقد عين لجنة للإشراف على إدارة النجف ولضمان استمرار الخدمات الأساسية. إن تلك الإجراءات كانت من الغموض بحيث لا يمكن تأويلها على أنها تقدم دعماً مادياً أو معنوياً للانتفاضة أو أنها تدعو للصمود في الكفاح. غير أن لجنة عسكرية موازية قد تشكلت، ربما بعلم آية الله العظمى إن لم يكن بمباركته، للدفاع عن المدينة في حالة وقوع هجوم مضاد من قبل الحكومة)). المصدر السابق ص ٦٩.

أحدهما : ضرورة تعيين قائد مدني أو قُلْ سياسي للثورة ولا يمكن ان تبقى الامور بلا قرار سياسي بعد استقرار الوضع العسكري في النجف.

وثانيهما : ضرورة الاتصال بايران وطلب النصرة والنجدة منهم.

وحول الامر الاول فقد رشح الأخ الأستاذ محمد عبد الساعدي^(١) لذلك المنصب ولكنه اعتذر من قبول ذلك وكان السيد (قدس سره) متوقفاً لذلك فأمرني بتولي المنصب في حال رفض الاستاذ محمد ذلك، فابلغت السيد بالخبر وقلت له ان الخطوة الأولى هي التعرف على العناصر الرئيسية في الانتفاضة ودراسة ان كان بالامكان التأثير فيهم بهذا الاتجاه.

وذهبت الى الصحن الشريف واطلعت على الوضع عن كثب فوجدت ان فرصة السيد في ممارسة دور قيادي بعيدة، فقد كان الاتجاه العام نحو السيد الخوئي (قدس سره) ولا يمكن تجاوزه او تحييده، وأصبح القرار فعلاً بيد مكتب السيد الخوئي وبالذات السيد محمد تقي الخوئي (رحمه الله)، ومارس شيئاً من ذلك خلال أيام الانتفاضة، وأخبرت السيد بذلك وقلت له باختصار: ان دور العلماء يتسم بالحذر الشديد بانتظار انجلاء الموقف. قال : ومن الذي يجلي الموقف؟! أي أليس العلماء هم الذين يقومون بتسيير الأمور وقيادتها نحو وجهتها الصحيحة وليس دورهم

(١) هو شخص عرفته عام ١٩٧٤ عندما كنت طالباً في مدرسة الامام الجواد (عليه السلام) الاهلية التي كانت من المؤسسات الشيعية التي تحظى بتأييد السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) ودعمه وكانت شقيقته الشهيدة بنت الهدى مشرفة على مدرسة الاناث وكان الاستاذ محمد مشرفاً عاماً على المدارس وقد عرف بحسه الثوري الحركي وقد اصدر عدة كتب في هذا الاتجاه منذ ان كان طالباً في كلية القانون في منتصف الستينات ومنها كتاب (الاسلام ومعركة المصير الانساني) وبعد فراق عدة سنين اعتقل هو خلالها وجدته فجأة قاضياً لمحكمة الاحوال الشخصية في النجف فاعدت التعريف عليه واستمرت علاقتنا ومن ثم تعرف (او قل اعاد التعريف) بالسيد الصدر بواسطتي وصادف اكثر من مرة ان صحبت السيد لزيارته في داره او صحبتته هو لزيارة السيد في داره. الهامش للشيخ البعقوبي.

التفرج.

وفي أحد الأيام لم يحضر السيد الى صلاة الجماعة في الروضة الحيدرية، وسألته بعدئذٍ فقال : إن السيد الخوئي دعا مجموعة من علماء وفضلاء الحوزة ليخبرهم بعزمه على تشكيل لجنة لإدارة شؤون المجتمع في هذا الوضع المتأزم، ودار النقاش ست ساعات، وقد اقترح أن يكون السيد الصدر منهم إلا أنه رفض. وقال لي إن السبب هو أنه علم إن هذه اللجنة يكون دورها هامشياً وإنما الأمر والنهي بيد السيد محمد تقي نفسه الذي كان سكرتير اللجنة، ورفض معه السيد حسين بحر العلوم والسيد مهدي الخرسان، ووافق الآخرون وكان بعضهم حياءً من السيد الخوئي نفسه، وهم جميعاً من تلامذته واتباعه (كالسيد محي الدين الغريفي (قدس سره) كما اخبرني هو فقد كانت تربطني به علاقة وطيدة وكان يائساً من استمرار الثورة فضلاً عن نجاحها بشكل كامل)، وضمت اللجنة ايضاً السيد محمد رضا الخرسان والسيد عز الدين بحر العلوم والسيد جعفر بحر العلوم والسيد محمد رضا الخلخالي والشيخ محمد رضا شبيب الساعدي والسيد محمد السبزواري.

ولما بدأت قوات الحرس الجمهوري بالزحف على كربلاء ومحاصرتها نادى منادي الجهاد من اذاعة الانتفاضة ومقرها الصحن الحيدري الشريف وانطلق الآف المجاهدين من النجف باسلحتهم من مختلف الصنوف بما فيها الثقيلة وقد غنموها من قوات القدس التابعة للحرس الجمهوري التي كانت مرابطة حول مدينة النجف وكان في قيادتهم السيد عبد المجيد الخوئي وسبقهم العلامة الشهيد السيد محسن الغريفي فقرأ بيان السيد الخوئي من مكبرات الصوت في الحرم الحسيني الشريف وقال لي (رحمه الله) (وهو صهري والد زوجتي) انه رأى خلوشوارع مدينة كربلاء الا من المسلحين المستعدين للدفاع عن المدينة ونزح اغلب اهلها نحو الجنوب مروراً بالنجف وان الوضع متوتر.

وخرجت مع قافلة غير المسلحين اذ لم اكن احمل سلاحاً ولا متدرباً على استعماله

وكان معي ايضاً الشيخ قاسم الطائي (وهو زوج اختي، وكان مقيماً معنا في البيت طيلة مدة الحرب ولم يكن قد ارتدى الزي الديني)، ولا انسى الروح الثورية الجارحة والرغبة في الاستشهاد او النصر التي كانت تنطلق من حناجر الثوار وهم يقطعون الطريق من النجف الى كربلاء بالاهازيج والشعارات بمن فيهم الصغير والكبير والشيخ الفاني والشاب وكنا على طول الطريق نشاهد النازحين من كربلاء طلباً للنجاة وهم سائرون على الاقدام باتجاه النجف في ظل برد الشتاء وليس معهم الا ما خف حمله ويلوحون بايديهم تشجيعاً للمجاهدين وكأنهم يخاطبونهم بقوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ...) حتى وصلنا مشارف كربلاء وانتشرت القوات في مراكزها اما نحن غير المسلحين فاعادونا الى النجف لعدم الحاجة اليها في المعركة ورجع هؤلاء على مضض وكلهم شعور بالخسران وأخبرت السيد (الصدر) (قدس سره) - حيث كنت أواصل زيارته ومراجعته - بهذه التطورات فشعرت منه بعدم الرضا على زج نفسي في المكان غير اللائق بي فلكل دوره المناسب له ولما كتبت مقالاً حماسياً بعنوان (حي على الجهاد ايها العراقيون) الى صحيفة الثورة وسمعت بعض فقراته تتلى من الاذاعة المنطلقة من الصحن الشريف وسجلت فيه بعض عواطف المجاهدين اخبرت السيد بذلك فرأيت علامات الارتياح عليه وان هذا هو العمل المناسب لي.

ولما شعر بعض زعماء المجاهدين ان الثورة بدأت تضمحل وتتميع في ظل هذه القيادة الدينية وقد جردوا من الصلاحيات كما انهم لم يروا أي تفكير في توسيع الثورة الى بقية المحافظات والزحف نحو بغداد وتدعيمها أحسوا بالحاجة الى قيادة (حركية) جديدة تجتمع فيها صفات الوعي والشجاعة والحزم والرصيد الاجتماعي فوجدوها متمثلة في شخص السيد الشهيد الصدر (قدس سره) ولا ادري ان كان ذلك باشعار من الأخ زيد البغدادي الذي كان معهم او غيره، المهم انهم التفتوا الى السيد (قدس سره) وعرضوا عليه الأمر فوافق عليه.

هذا وقد بدأت قوات الحرس الجمهوري بالزحف نحو مدينة النجف وبدأ قصف مدفعي بعيد يطول احياناً البيوت المتطرفة في شمال شرق المدينة (باتجاه مثلث الحدود بين النجف والحلة وكربلاء حيث عبرت القوات نهر الفرات جنوبي مدينة الكفل) كان ذلك بعد ظهر يوم الثلاثاء (١٢/٣/١٩٩١) وفي يوم الاربعاء التالي وكانت اصوات قذائف المدفعية والدبابات تُسمع في ارجاء المدينة لكن من دون ان يطالها والشارع العام يتحدث عن معارك بالاسلحة الثقيلة وتراجع قوات الحرس الجمهوري الزاحف على النجف، أقول في ذلك اليوم صليت الظهر والعصر خلف سماحة السيد (قدس سره) في جامع الهندي وبعد انتهاء الصلاة أحيط بحماية مكثفة ورجال مسلحين وصيحات التكبير والتهليل والصلاة على النبي وآله تشايحه حتى الحرم الشريف ومذيع الانتفاضة يطلق كلمات الترحيب واستقبال الزعيم المجاهد سماحة آية الله السيد محمد الصدر وكنت ضمن المجموعة التي رافقته بعد أن صليت خلفه ولكن من دون ان اعلم بسر هذا التغيير الذي حصل اليوم رغم انه كان يخرج من المسجد يومياً بشكل اعتيادي من دون هذه الهالة والضجيج ومن غير حماية مسلحة.

وصعد السيد على سطح (الكشوانية) المواجهة لباب القبلة والناس تجتمع في الصحن الشريف وهم يقابلونه بالهتافات والقي كلمة ارتجالية مختصرة حث فيها على نصرة الثورة الاسلامية المباركة ودعمها والمشاركة فيها لعل الله سبحانه يرحم هذا المجتمع وينشر لواء الاسلام في ربوع هذا البلد المقدس.

ثم نزل السيد وركب سيارة (شوفرليت - جي.ام.سي) وصعدت معه وشخص آخر عرفني عليه السيد هو (عبد الرسول الكرمي) واكتظت السيارة بالمسلحين واوصلنا السيد الى داره وامرني بمرافقة الكرمي وقال انه سيعرفك على المطلوب، فاصطحبني الى بيته في الشارع الخلفي لدار السيد هذا وقد اشتدت اصوات القصف وبدأت بالدنو من المدينة فقال الكرمي: هذه قواتنا تحاصر قوات الحرس المهاجمة وقد امهلوهم حتى الساعة الواحدة ظهراً فاما ان يستسلموا او القضاء عليهم وبدأ

الكرمي يشرح لي خطة الحركة بتشكيل مجموعة من اللجان تكون اشبه بالوزارات المصغرة واحدة للشؤون العسكرية وتشمل القوات التي بدأت الانتفاضة ولا زالت تقاتل في عدة جبهات واخرى لشؤون الدفاع المدني والمليشيات وأخرى لجنة الارتباط بالحوزة العلمية الشريفة والعلماء المجاهدين وأخرى اللجنة السياسية والاعلامية وأخرى لجمع التبرعات المالية ومساندة الثورة اقتصادياً، وكنت على رأس اللجنة السياسية والاعلامية، وأوكل اليّ امر اختيار العناصر الكفوءة التي تنفع في هذا الاتجاه.

وغادرت بيته بعد انتهاء اللقاء والقذائف وشظاياها تنزل على المدينة كالطر وازيزها يصك مسامعي والمسافة الى داري تحتاج الى ثلاثة ارباع الساعة بالسير الحثيث، وكنت قد تركت دراجتي الهوائية - التي كانت وسيلتي للتنقل يومئذٍ بعد خلو الشوارع من السيارات الا قليلاً بسبب نقص الوقود الناتج من قصف الحلفاء- قرب الصحن الشريف عندما رافقت السيد الى بيته، وكثيراً ما أخذت وضع الانبطاح على الارض عند سماع ازيز القذائف.

وفكرت بالاسماء التي يمكن ان تساعدني في هذه اللجنة وعرض الأمر عليهم الا ان القصف اشتد بشكل منع من الحركة واستمر الأمر كذلك صباح اليوم التالي وانا مهتم بتنفيذ الأمر فاستخرت الله تعالى في ان اقصد احدهم فكانت النتيجة غير جيدة ولم اكن اعلم ان السر في ذلك اعتقال السيد الشهيد الصدر (قدس سره) ووأد القيادة الجديدة في مهدها فقد دخل الجيش مدينة النجف من جهة شمال الشرق يوم الخميس (١٩٩١/٣/١٤) واسترجع المراكز الرئيسية على شارع الكوفة ووصل الى جامعة النجف الدينية حيث كان السيد وعائلته مع السيد محمد كلانتر وعائلته وبعض طلبة الجامعة يختفون في السرداب تحاشياً للقصف واعتقلوا جميعاً وسيقوا الى منطقة الرضوانية في الضواحي الشمالية الغربية لبغداد حيث خصصت لاحتواء (المعارضة) وكان وفد السيد ومن معه أول الداخلين الى المعسكر المخصص لاعتقال القادمين من النجف اما المعسكر المعد لأهالي كربلاء فقد كان يغص بالمعتقلين - هكذا نقل لي

(قدس سره) -.

وفوجئت ظهر الخميس وانا استمع الى الراديو بالمذيع يجري لقاءً مع السيد الصدر وتوقعت انه لقاء قديم اعلنوه للتمويه على المجاهدين الذين لا يزالون يقاومون حول بيت السيد الخوئي وقد حفروا الخنادق ووضعوا المتاريس لمواجهة القوات المهاجمة كما ان الصحن الحيدري وشيئاً من مركز المدينة كان لا يزال تحت سيطرة المجاهدين ولكنني لما انصتُ اليه وجدته جديداً فعلاً ويذكر احداث البارحة (ظهر الاربعاء) ويسأله المذيع عنها.

ولم تنته المقاومة الا يوم الأحد (١٧/٣/١٩٩١) بعد ان هددوا باستعمال الغازات السامة في مركز المدينة وهددوا السيد الخوئي ان استمرت المقاومة حول داره فطلب من المجاهدين التفرق عن الدار وايقال الأمر الى مدبره الحقيقي وكنت أرى من سطح الدار الطائرات السمتية (الهليكوبتر) وهي تحوم حول منطقة بيت السيد الخوئي والصحن الحيدري وترمي بصواريخها.

وليس هذا محل ذكر ما حل بالمدينة واهلها من فضائع، اما السيد فقد اخبرني انه أُجري اللقاء التلفزيوني معه وهو بين مجموعة من الضباط بعضهم برتب عالية ثم حققوا معه وسجلوا بيانات كثيرة وأملوا صحائف عديدة وبعد أيام أطلقوا سراح السيد فطلب منهم أمرين :

أحدهما : إعفاء أولاده من الخدمة العسكرية.

وثانيهما : إطلاق سراح جميع من اعتقل معه ففعلوا ذلك إلا (الشيخ طالب اللبناني) حسبما علمت.

وكانت نقطة القوة للسيد في التحقيق أنه مجتهد مستقل وليس تابعاً للسيد الخوئي، فهو ليس مشاركاً في قيادة الإنتفاضة، كما أنه رفض الإنضمام الى اللجنة التي شكلها (قدس سره)، وكل هذه المعلومات أنقلها عنه (قدس سره) بعد زيارتي له، وفرح

كثيراً بسلامتنا أنا وإبن عمي الشيخ حيدر وزيد، وقد عبّر بأسى عن أيام الانتفاضة قائلاً : بأن الذين حولي لم يكونوا مخلصين إلا إثنين وهما : زيد البغدادي ومحمد اليعقوبي.

وبعد استقرار الوضع لصالح النظام طلبوا من المحافظات أن ترسل وفوداً الى بغداد للإعتذار من (صدّام) وتجديد الولاء، فأجبر السيد الصدر على أن يكون ضمن وفد النجف، ولم يجد بداً من الموافقة فقد كانت حياته على خطر شديد، وهو مدان في نظرهم بما أصدر من بيان وخطاب لنصرة الانتفاضة^(١)).

ولم تصلنا نسخة بيان السيد الصدر، ولكن ذكر الشيخ اليعقوبي في مكان آخر أن : ((قيادة الانتفاضة بايعت السيد الصدر ((مرشداً للثورة الإسلامية المباركة)) بحسب وصف السيد الصدر في خطابه الذي وجهه للجماهير في الصحن الحيدري الشريف في اليوم الأخير قبل بدء هجوم الحرس الجمهوري على المدينة، واعتقل على أثرها في معتقل الرضوانية في بغداد ثم أفرج عنه. وقد خرج من هذه التجربة بنتيجة مؤلمة وهي أن الأمة مازالت بحاجة كبيرة الى تربية روحية^(٢))).

ويروي لنا شهود آخرون بعض التفاصيل التي تخللت الانتفاضة مما لم يُذكر فيما سبق وهي تخص السيد محمد الصدر بدرجة رئيسية :

((واظب السيد الصدر على الحضور الى حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) أيام الانتفاضة، وكان يوجه الثوار والعاملين لبعض الأعمال منها ما لم يكونوا عارفين أو ملتفتين إليه كإخراج بعض الآليات من الصحن الشريف، وإخراج الجرحى من الحرم حفاظاً على قدسيته وطهارته لأن بعضهم كان ينزف مما يلوث وينجس أرضية

(١) اليعقوبي، محمد، الشهيد الصدر الثاني كما أعرف، ص ٤٣ - ٥٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

الحرم وهو غير جائز شرعاً، وقد اتخذوا من الحرم مشفى، وكانت فتواه قد اشتهرت وانتشرت في أرجاء النجف، وتشاهدها في حوالي الحرم على الحيطان.

وعندما اشتد القصف على المدينة من جيش صدام واقترب من اقتحامها جاءت مجموعة من الثوار وعرضوا عليه تهريبه الى إيران رفض ذلك وقال "أبعد هذه الشبهة أفارق أمير المؤمنين؟".

بعد اقتحام المدينة والسيطرة عليها تقريباً من قبل الجيش كان السيد الصدر مع عائلته في قبو (سرداب) مبنى جامعة النجف التي يشرف عليها السيد محمد كلانتر، وكان السيد الصدر أحد أساتذتها، باستثناء السيد مصطفى الصدر الذي كان خارج المدينة قبل ذلك لأنه كان هارباً من الجيش ولا يمكنه التواجد في النجف، وكان معهم السيد كلانتر وعائلته ومجموعة من رجال الدين منهم السيد عدنان العلوي والشيخ علي خائفى والشيخ محمد الجواهري والشيخ علي البهادلي والشيخ حسن القسام وأعداد من النساء والاطفال، وبقوا في سرداب الجامعة ثلاثة أيام لا يعلم أحد بوجودهم، الى أن أصرّ السيد الصدر على الخروج مهما كلف الأمر، فعارضه جماعة من الموجودين معه، وبعد جدال اتفقوا على إرسال أحد خدم الجامعة، الذي خرج وأخبر الجيش بوجود علماء وعوائل في السرداب، فطلبوا منه إخبارهم بالخروج فخرجوا، وحاول أحد الضباط أن يكشف وجه إحدى النساء فزجره السيد الصدر فكف عنها.

ثم اتجهوا بهم بعد ذلك الى مديرية أمن النجف التي كان الثوار لا زالوا يسيطرون عليها، فاتخذهم الجيش كدرع بشري، فكانت الاطلاقات تمر من فوقهم وقربهم فارتعبوا وكان السيد الصدر يهدئ من روعهم، وبعد مقاومة من قبل الثوار انسحبوا منها لكثرة نيران الجيش، فدخلوا السيد الصدر ومن معه الى مبنى المديرية واطلقوا سراح النساء والاطفال، وقاموا بتقييدهم وعصبوا أعينهم وتهيأوا لإعدامهم رمياً بالرصاص تراجعوا من دون أن يعلم الأسرى بالسبب.

ثم نقلوهم الى ملعب النجف الذي كان بمثابة معتقل كبير مفتوح يجمعون فيه كل من يلقون القبض عليه، وكانوا قبل ذلك أعلنوا من خلال مكبرات الصوت في كل أنحاء المدينة خصوصاً المدينة القديمة أن كل سيقى في منزله فسوف يعدم، فخرج كل سكان المدينة القديمة، وشكل الجيش نقاط تفتيش على مداخل المدينة القديمة وهناك كانوا يعتقلون كل من يشتبهون به، وقد ساعدتهم في التعرف على المشاركين الرئيسيين بالانتفاضة محمد تقي الخلخالي الذي تواطى مع الجيش وكان يدور معهم على منازل كبار قادة الانتفاضة.

وفي ملعب النجف كان هناك من ينتظرهم من الجلاوزة فينهالون عليهم ضرباً بالهروات البلاستيكية، وشمل الضرب الجميع باستثناء السيد محمد كلانتر لكبر سنه حسب الظاهر، وكان الجميع يتلوى ويهوي الى الارض من ألم الضرب إلا السيد الصدر الذي لم يتحرك إطلاقاً بالرغم من أن الذين كان يضربونه أربعة أو خمسة.

ثم أوقفوهم بشكل صف أو صفوف وجاء ضابط كبير يستعرضهم، وعندما وقف إزاء السيد الصدر هز رأسه بعد أن تعرّف عليه، وقال معرضاً به : نطالب بدمك يا صدر..ها؟.

فأجابه السيد الصدر : ما ذنبي أن خلقتني الله من آل الصدر.

فقال الضابط ساخراً من لهجة السيد الصدر : ما ذنبي أن خلقتني الله من آل الصدر. فانتهره السيد الصدر : ما تريدون؟، كلكم تريدون أن تكونوا صدام، لعنة الله عليكم.

فجن جنون الضابط وجرّد مسدسه ووجهه نحو السيد الصدر، فارتمى السيد محمد كلانتر على السيد الصدر واحتضنه، فتركه الضابط بعد أن شاهد موقف السيد كلانتر. ولكنهم أخذوه ناحية وأوثقوه وتظاهروا أنهم سيعدمونه ولكنهم لم يفعلوا، والظاهر أن السبب الأوامر الصادرة بترحيلهم الى بغداد وهناك يتصرفون معهم.

ثم جاءت سيارات مسخرة لنقلهم الى بغداد، وعندما أراد السيد الصدر الركوب عمد أحدهم فضرب عمامته وأسقطها أرضاً فدفعه السيد الصدر وتناول عمامته من الأرض ووضعها على رأسه.

وكان السيارة التي نقلوهم بها نوع (مرسيدس ١٨ راكب) وأنواع أخرى نقلوا بها الآخرين، فاتجهت بهم السيارات الى بغداد في معتقل الرضوانية سيئ الصيت، وشاهدوا هناك مشاهد مرعبة حيث المئات مابين جثة هامة ومكبليين ومصلوبين وأنواع التعذيب الوحشي الذي اشتهر به نظام صدام الإجرامي.

اقتادوهم الى إحدى القاعات ثم جرؤهم الى التحقيق الواحد تلو الآخر، وكان المحقق معهم (صدام كامل)، وعندما جاء دور السيد الصدر تأخر أكثر من غيره حتى ظن رفاقه أنه قد أعدم، وعندما عاد سألوه عن فحوى التحقيق قال : هذا شأني. ولم يقل شيئاً آخر. ولكن بعد مضي سنوات سُئل عن التحقيق فقال إنهم ركزوا على فتواه التي حث فيها على الجهاد فأجابهم حينها : أفيتت بالجهاد تحت تهديد السلاح. ثم علق قائلاً عن قصده بهذه الإجابة : نعم لقد أفيتت بالجهاد تحت تهديد سلاح البعث الكافر فهو مسلط علينا.

وبعد مضي عشرة أيام على إعتقالهم جاء معتقلون جدد من أفراد الحوزة في النجف وكان من ضمنهم السيد السيستاني، وبقوا بعد مجيئهم ثلاثة أيام، فكان مجموع أيام اعتقال السيد الصدر ورفاقه ثلاثة عشر يوماً.

أطلقوا سراحهم بعد مضي هذه المدة وزودوا السيد كلانتر ورفاقه بكتابين أحدهما كتاب إطلاق سراح والآخر كتاب بتسليم مبنى جامعة النجف إليه، بينما زودوا السيد السيستاني ومن معه كتاب إطلاق سراح وإذن بدخول مدينة النجف، لأنها كانت مغلقة لا يسمح لأحد بالدخول أو الخروج إلا بإذن من السلطة، وكانت السيارة التي نقلهم نوع (ريم ٤٠ راكب) يصحبهم ضابط برتبة كبيرة، وعند وصولهم جسر الكوفة إستوقفتهم نقطة تفتيش تابعة للحرس الخاص، وصعد الى السيارة

الضابط المسؤول فطلب أوراقهم من الضابط الآخر، وبعد تدقيقها قال : هؤلاء يدخلون النجف (أي السيد السيستاني ومن جاء معه)، وأما هؤلاء فلا يدخلون (أي السيد كلانتر والسيد الصدر وأفراد الجامعة). فحصلت مشادة كلامية بين الضابطين، فقام السيد السيستاني وقال : أنا عليّ بجماعتي. فحصل استغراب لعدم فهم الضابطين هذه التعددية التي قصدها سماحته، وبعد قليل سُمح لهم جميعاً بدخول النجف، ولكنهم وصلوا الى النجف بعد حلول الليل فباتوا في السيارة، وصباحاً أطلقوهم مجموعة تلو الأخرى.

أصبح العلماء ورجال الدين عموماً بعد ذلك بمدة في حذر شديد، والتزموا منازلهم وبالكاد ترى أحدهم في مكان عام أو شارع، ومن تجرأ على الخروج لم يستطع أن يرتدي زيه الخوزوي كاملاً، كالشيخ الفياض وهو من أبرز فقهاء مدرسة السيد الخوئي، وذلك تقية وخشية من أزلام النظام، لكن السيد الصدر كان الوحيد الذي لم يتخلّ عن عمامته، وواظب على الخروج كلما سنحت له الفرصة، وقال (قدس سره) في حادثة عن تلك الفترة أنه ذهب ليتسوق فشاهده أحدهم فقال : الى الآن لم نتخلص من العمام^(١))).

وهذه الخشية قد لا تكون واقعية، فمن يريده النظام لم تكن يده تقصر عنه، فالخوف قد يتجاوز حدوده الواقعية، فمن الصحيح أن النظام كان إجرامياً إلا أنه يقف عند حدود معينة إما لأنه لا يرغب أكثر من ذلك، أو تخوفاً من الضغوط الخارجية التي قد تمارس عليه، أو لتهدئة الفورة الجماهيرية التي كلفته الكثير، ولم يكن قادراً من السيطرة على البلد بعد هذه الإنتفاضة العارمة التي كادت أن تطيح بكرسيه لولا أن سمحت له أمريكا وحلفاؤها باستخدام جيوشه وطائراته لسحق المدن المنتفضة.

(١) نقلا عن السيد حسين نجل السيد محمد كلانتر، والشيخ علي البهادلي في النجف الاشرف عام ١٩٩٨، والشيخ حسن القسام في مدينة قم عام ٢٠٠٠، في لقاءات متفرقة مع الشيخ عباس الزيدي. وجميعهم كانوا متواجدين في (جامعة النجف الدينية) أيام الانتفاضة.

لاحظنا أن فتوى وبيان السيد الخوئي كما رأينا كانا خاليين من أية نبرة توحى بجواز القتال فضلاً عن وجوبه، وقد وجدنا العذر له فيما مضى، ونضيف هنا أيضاً أن مجرد المشاركة الفعلية لأولاد السيد الخوئي قد يكون فيه الدلالة الكافية على رغبته في استمرار القتال ضد النظام، وهذا أيضاً قد يقال في شأنه أن وسائل الاعلام كانت منعدمة تقريباً بالتالي يكون وصول الأخبار بهذه الدقة غير محتمل بخلاف الفتوى أو البيان، ولكن يبدو أن الذين حوله التفتوا الى حراجة الموقف فيما لو انتصرت الانتفاضة واسقط النظام، فيكون الموقف لصالح الصدر والسبزواري، بينما كان الاتجاه نحو تهياة كرسي المرجعية للسيد السيستاني، الذي كان يصلي قبل الانتفاضة في مسجد الخضراء كإشارة على أنه الخلف المرتقب للسيد الخوئي.

استخدم النظام في قمع الانتفاضة قوات الحرس الجمهوري والحرس الخاص الذين ينتمي معظمهم أو كلهم الى المحافظات الموالية للنظام وهي الانبار وصلاح الدين والموصل وديالى، ضمن ما يسمى بالحرس الخاص، وكان حسين كامل يقود تلك القوات في الفرات الاوسط، وفي الجنوب كانت تحت أمرة علي حسن المجيد ومحمد حمزة الزبيدي الذي شغل حينها منصباً رمزياً كرئيس وزراء للعراق، وشارك في جرائم النظام (منظمة مجاهدي خلق) الايرانية المعارضة، حيث استخدمت هذه العصابات لقمع الانتفاضة وشوهوا في نقاط التفتيش عند بوابات عدد من المحافظات، كما أن هناك أقاويل شبه مؤكدة عن اشتراك (منظمة التحرير الفلسطينية) في قمع الانتفاضة جنوب العراق.

لاحظنا تكرار اسم محافظة السماوة وكثرة تردد ممثلي المرجعية إليها خلال أيام الانتفاضة، ولم يكن هذا التكرار أو عناية الحوزة بالسماوة ذلك الوقت من دون سبب وجيه، فقد كانت لأهل السماوة والرميثة مواقف مشرفة تلك الأيام القلائل. لذا نرى من الضروري أن نأخذ صورة مختصرة عن الأوضاع في السماوة والرميثة أيام الأنتفاضة من المشاركين الفعليين فيها، لما لها من ارتباط وثيق بتداعيات

الانتفاضة في النجف والحوزة فيها.

ومن أهم الشخصيات الاجتماعية في السماوة ممن كان لها الدور الريادي في قيادة الانتفاضة، (المحامي الحاج حسن عبد العزيز اللوزي) الذي يحدثنا عن أهم محطات الانتفاضة في السماوة^(١) :

((بعد سقوط محافظة الناصرية قمت بالاتصال ببعض الأخوة الرساليين في السماوة، أمثال السيد سلام الخرسان والحاج محمد حمزة حنون والحاج كاظم ماجد آل بهيش والسيد حسين السيد رضا وغيرهم، بوجوب المشاركة في الانتفاضة، وبالفعل تم الاتصال مع باقي الأخوة في الصوب الصغير "القشلة" من أمثال الحاج صاحب خزل، وتم الاتفاق معهم على القيام بالانتفاضة أسوة بالمحافظات المنتفضة. وبالفعل قمنا بالهجوم على مقرات السلطة كمراكز الشرطة والأمن وحزب البعث، ولم نجد مقاومة تذكر.

ولكن حصلت مشاكل متوقعة من قبيل أعمال النهب للأموال العامة ودوائر الدولة، فتم ترتيب أمور المدينة مع الحاج نعمة محيل وتهيأة مقرات للقيادة في أكثر من مكان، بعد ذلك سرت إشاعات بأن هذه الانتفاضة ليست إسلامية ولا دخل للمرجعية في النجف بها، فقررنا السفر الى النجف الأشرف وكان الوفد الذي رافقني كل من الحاج نعمة محيل والحاج عبد علي التتجي، فالتقينا بالسيد محمد صالح الخرسان الذي تربطه بأهل السماوة علاقات وثيقة. ثم اتصلنا بمكتب السيد الخوئي، ولكننا لم نستطع أن نلتقي به شخصياً لمرضه وكبر سنه، ورغم ما فهمناه من تأييده للانتفاضة من خلال أعضاء مكتبه إلا أننا في نفس الوقت فهمنا أن السيد الخوئي يائس من نجاحها، وأن مسؤوليتها ستقع على عاتقه لذلك كانت فتواه في حدود حرمة القتل العشوائي. فأرسلوا معنا الى السماوة الشيخ محمد تقي الموصلي وما أن وصلنا حتى

(١) ضمن مقابلة في منزله بالسماوة أجراها معه الشيخ قيس الطائي بتاريخ ٨ / ٦ / ٢٠١٠.

ألقى خطاباً نيابة عن السيد الخوئي ويؤكد على حرمة القتل والنهب للممتلكات العامة.

وبعد فترة جاءنا السيد عبد المجيد الخوئي والتقى في منزلي بقيادات الانتفاضة حصرياً وعاد الى النجف في اليوم التالي. كما زار المحافظة رجل دين من آل سيد راضي من الناصرية، وكذلك السيد حسين السبزواري الذي ألقى كلمة في الناس وأوصاهم بوصايا للسيد عبد الأعلى السبزواري.

وعندما حوصرت النجف جاءنا السيد عبد المجيد الخوئي وطلب تحشيد المقاتلين والزحف إليها، وبالفعل تجمعت العشائر والكثير من الشباب إلا أنهم لم يستطيعوا الوصول للنجف نتيجة القصف المكثف عليها، وأما السيد عبد المجيد الخوئي فقد اختار التوجه الى الحدود السعودية، فاستأجرنا له سيارة للأخ حسين علي أبو عز الدين الذي أقله الى الحدود. وكذلك السيد حسين السبزواري الذي نُقل من هناك الى إيران.

بعدها استطاعت قوات الحرس الجمهوري (قوات القدس) بقيادة اللواء (محمد يونس الأحمد) من دخول مدينة الرميثة، ثم توجهت الى السماوة ولكن استطاعت الصمود لمدة أربعة أيام، ولكنها وبمساعدة بعض النفعيين من عشائر معروفة استطاعت أن تدخل المدينة من جهتي البساتين الشرقية والغربية.

فاعتقلت مع عدد كبير من أبناء السماوة في مبنى مديرية (أمن صدام) واقتادوني للقاء محمد يونس الأحمد، ثم أخذونا الى بغداد، وهناك كان المجرم (صدام كامل) يشرف على التحقيق، وكان يقتل بصورة عشوائية من يشاء. وبعد سيطرة قوات النظام على المحافظات جاءت الوفود منها للقاء صدام حسين، ومن ضمنها وفد السماوة الذي طالب بإطلاق سراحي مع ٢٨ شخصاً آخر، فأفرجوا عن ٢٥ وبقي ثلاثة كنت أحدهم، وبعد ذلك أعيد التحقيق معنا وأطلق سراحي على أن أتعهد بعدم التدخل بالسياسة مرة أخرى)).

ولكي تكتمل صورة الانتفاضة في النجف نستمع الى مذكرات أحد المشاركين
الفعالين في انتفاضة محافظة السماوة (السيد مهدي جبار محمد العوادي الرميثي)
لأهميتها وصلتها بانتفاضة النجف :

((بعد انتفاضة البصرة ثم العمارة فالناصرية حسب الأخبار التي كانت تصل إلينا
كان الدور قد وصل الى محافظة السماوة، ومن الرميثة انطلق أول تحرك للمتفضين
باتجاه مقرات حزب البعث والأمن والشرطة^(١)، وألقينا القبض على عدد من رجال
الأمن وأطلقنا سراح المعتقلين، واستولينا على السلاح الموجود هناك، وعند خروجنا
فتحت علينا نيران مجهولة المصدر أدت الى استشهاد (عبد الله كريم) وجرح بعض
الشباب.

توجهنا بعد ذلك الى قاطع الجيش الشعبي وكان لا زال فيه بعض البعثيين فحصلت
مواجهة عنيفة معهم، فقام أحد المتفضين (نعيم علي آل ورده) بإطلاق صاروخ
قاذفة باتجاه اللوحة التي فيها صورة الطاغية (صدام) فأصابها مباشرة، وبعد مواجهة
سيطرنا على القاطع وما فيه من سلاح وعتاد وغيرها، وفقدنا أحد المتفضين (الشهيد
حسن رزوقي) بالإضافة الى ثلاثة جرحى.

كانت محافظة الديوانية لم تنتفض بعد فاشترطنا مع أهالي (الحمزة الشرقي) خاصة
عشيرة (الشيخ حسن السلامي) في تحرير مركز تدريب الديوانية ومديرية الأمن
العام.

بعد أيام قليلة جاء الى السماوة وفد من النجف الأشرف يترأسه السيد (حسين
السبزواري)، وعندما اجتمع الناس حوله قام يخطب فقال من ضمن خطبته : لقد

(١) وعن الشيخ نجاح الرميثي وهو أحد المشتركين في الانتفاضة : أن إدارة شؤون المدينة في اليوم الثاني
لانتفاضة الرميثة كانت للسيد صالح الشرع وأخيه السيد ابراهيم الشرع وقيل معهم الشيخ ياسين الرميثي
وبعض رجال المدينة المعروفين.

نُكست راية علي بن أبي طالب "عليه السلام". ودعا الناس لإتقاذ النجف إذ بدأت قوات الجيش بالزحف إليها^(١). فاستجاب له الكثير من الأهالي، فتحشدنا متوجهين الى النجف يقودنا الشهيد الرائد حميد كاظم علوان (أبو أسامة)، وكان معظم الأفراد ممن له خبرة باستخدام السلاح كونهم جنوداً سابقين، وعند وصولنا الى قضاء الشامية جاءتنا معلومات أن قوات الجيش دخلت النجف عن طريق الكوفة، فتوجهنا الى جسر الكوفة من جهة (معمل السمنت)، وفي الطريق شاهدنا الكثير من العوائل الهاربة من القصف الوحشي الذي طال منازلهم وأصوات التفجيرات تدوي والنيران تتصاعد من المنازل المحيطة، فأمر الرائد حميد بركوب السيارات والتوجه الى مسجد السهلة لمقابلة قوات الجيش.

عند دخولنا الكوفة اشتد القصف المدفعي فسقط أول شهيد لنا (قاسم نور عباس)، وعند المساء اجتمع بنا الرائد حميد وقام بتقسيم الواجبات وتقسيمنا الى عدة مجاميع كل مجموعة في موقع بإزاء قوات الجيش، وقال لنا : (اليوم يومكم أخوتي، الموت هنا أشرف من كل مكان). فكانت أول من خرج مجموعة الشهيد (الحاج مجيل) والشهيد (السيد مناف) والشهيد (حيدر رؤوف أبو قاسمية). والمجموعة الثانية أنا و(المرحوم كريم مخيلف) و(حسين صبحي حسين) و(حسن جبر عطية) و(مهدي سوادي) و(المرحوم نسيم الحاج عبد الحسين آل راضي).^(٢)

(١) هذه الزيارة هي الثانية للسيد حسين السبزواري الى الرميثة وذلك عندما حاصرت قوات الجيش منزل السيد الخوئي، أما زيارته الاولى فكانت قبل هذه الزيارة بيومين، وفيها تلى بيان السيد الخوئي بوجوب الحفاظ على بيضة الاسلام، وكانت كلمته في الزيارة الاولى ألقاها في مسجد الإمام الحسن (عليه السلام) وسط المدينة، وفي الثانية ألقى كلمته عند أول المدينة بعد أن نُصبت له منصة عند غروب الشمس، وفي اليوم التالي صباحاً شحذ همم الناس فانطلقت المئات من أهل المدينة باتجاه الكوفة. نقلاً عن الشيخ نجاح الرميثي.

(٢) كانت مجموعة قد استقرت في مسجد الكوفة ومنه كانت تهاجم قوات الجيش ليلاً، وكان لعشيرة الظوالم مواقف بطولية واشتركت معهم في إحدى الغارات، وكان عمري ٢١ سنة يومها. الشيخ نجاح الرميثي.

استمرت المواجهة طيلة أيام وليالي بقائنا هناك، حتى وصل الحال بنا الى عوزنا الى قرص خبز، مع أن المرحوم الحاج حميد عبادي كان ينقل لنا المؤن والعتاد من الرميثة الى الكوفة إلا أن ما كان ينقله لم يكن يكفي حاجتنا.

بعد مقاومتنا وصمودنا ومنعنا قوات الجيش من دخول النجف قاموا بتوجيه صواريخ أرض - أرض باتجاه المنازل، ثم قامت الطائرات المروحية بضربنا بالصواريخ فلم نتزعزع، فقاموا بتوجيه قذائفهم باتجاه قبة ضريح (مسلم بن عقيل "عليه السلام") فأصابوها.

وصلتنا معلومات عن عزم قوات الجيش عبور جسر الكفل في طريق (أم عباسيات) لمحاصرة المقاومة، فحملنا في الليل متفجرات الديناميت وقمنا بتفخيخ الجسر، وكان على رأس المجموعة الشهيد الرائد حميد والشهيد النقيب السيد عبد الأمير من أهالي الشامية، وانتظرنا حتى الصباح فرأينا الدبابات والناقلات التابعة للحرس الجمهوري قد أقبلت فوق الجسر، ولم تعمل المتفجرات إذ قام أحد المندسين بتعطيل محطة التفجير، فانسحبنا باتجاه السهلة، وعند الظهر اشتد القتال بكافة أنواع الأسلحة وكانت النيران تنصب علينا براً وجواً، فتحولت بساتين (أم عباسيات) الى أرض محترقة فسقط خلال المعركة الشهيد الرائد (حميد علوان) ومعه كوكبة من الشهداء أتذكر منهم الشهيد (السيد مناف) و(الشهيد حيدر رؤوف) ومعهم مجموعة أكثرهم من أبناء العشائر^(١).

عادت بقيتنا الى منطقة السهلة وبدأت من جديد معركة استطعنا فيها قتل دورية

(١) بعد انسحاب هذه المجموعة من معركة (أم عباسيات) يؤكد الشيخ نجاح الرميثي الذي كان من ضمن مجموعة الرائد حميد، وأنهم انسحبوا أول الأمر الى الشامية، ولكنهم عادوا مرة أخرى في طريقهم الى الكوفة، وعند وصولهم الى مفترق طرق الشامية الشنافية الحمزة حصلت معركة مع دبابات الجيش سقط على إثرها الرائد حميد شهيداً ومجموعة معه، وانسحب الباقون الى الرميثة.

متألّفة من حوالي (٢٥) جندياً وضابط برتبة (نقيب)، وبعدها تحولت منطقة السهلة الى جحيم من شدة القصف العشوائي، استشهد فيها (علي حسن ناجي) فوضعناه وأخبرنا السائق بالتوجه به أولاً الى مسجد الكوفة ومن ثم الى الرميثة فإن الوضع ميؤس منه فقد أحاط بنا الجيش وإذا بقي الى الليل فلن يصل الى ذويه، وبالفعل قام بإيصال جثمانه الى الرميثة.

أمضينا تلك الليلة بترقب وحذر شديد إذ بتنا لا نعرف من أين تأتينا النيران، وفي الصباح رأينا الجنود والقناصة فوق المباني، فكانوا يقتلون كل من يقع تحت رؤيتهم، لا يستنون صغيراً أو كبيراً رجلاً أو امرأة، فعدنا الى مسجد الكوفة الذي وصلناه آخر النهار، فأردنا دخول المسجد من جهة مرقد (خديجة بنت أمير المؤمنين "عليه السلام") فلم نستطيع على قرب المسافة لشدة النيران وكثرة القناصة، وعندما حلّ الظلام استطعنا أن ندخل المسجد الذي كان بمثابة حصن للمقاومين وملاد للأسر الهاربة من القصف.

وجدنا في المسجد مجموعة من أهالي الرميثة ومنهم الشهيد (عباس جابر شناوة) الذي تفرّغ كل هذه المدة لتهيأة الطعام للمقاومين، ولم ينقطع القصف طيلة الليل على المسجد، فلاذت العوائل من النساء والأطفال تحت قبة (هاني بن عروة) وحول منبر (أمير المؤمنين "عليه السلام")، فالتحذنا سور المسجد كمواضع دفاعية، وهياناً متاريس فوق السور من الأنقاض التي كانت تسقط من المسجد نتيجة القصف. وعندما حلّ الصباح دخلت الدبابات من ناحية مرقد (ميثم التمار)، فلم نتعرض لها حتى أصبحت تحت مرمى أسلحتنا فأمطرناها بوابل من الرصاص والقذائف، فضرّبوا السور وجداره الخارجي بمدافع الهاون وقذائف الدبابات، فاستمر القتال ليومين لم يبق فيه عندنا ماء ولا ذخيرة. فنادى الجيش من خلال مكبرات الصوت : (سلّموا أنفسكم ولكم الأمان)، فلم نستجب فقصفوا المسجد بعنف فقتل أكثر من عشرة أشخاص، وفي اليوم الثالث جاء أحد سدة مسجد الكوفة وقال لنا : (جاء

الأمر لنا بفتح باب المسجد وبعدها نرى مشيئة الله)، وفعلاً فُتح الباب وخرجت العوائل وسط صراخ الأطفال وعويل النساء، فتأثر الجميع حتى أفراد الجيش، ثم جمعونا وعزلوا النساء من الرجال، وقالوا : أخرجوا المقاومين من بينكم. فقال لهم السادن : لا يوجد مقاومين، فقد هربوا من المسجد ليلاً، وبعضهم قتلوا فوق السور. ثم جاء قائد الحرس الجمهوري (تايه طه النعيمي) وقال : مَنْ كان هارباً من الجيش فليلتحق بوحدته فوراً. ثم أخذ يتحدث عن ما جرى وأنه فتنة أمريكية إيرانية. ثم تفرقنا في حي الرشادية، وتركنا خلفي عباس جابر شناوة شهيداً فوق السور، ومحسن الطبري جريحاً.

عند المساء لم أجد أحداً يؤويني، فمرت أسيرة بقربي فعرفتني إحدى النساء، لأن هذه الأسيرة كانت معنا في مسجد الكوفة، فذهبت معهم الى بيتهم وأعطوني ملابس بدلاً من ملابسني التي كانت ملطخة بالدماء، وهذه الأسيرة الكريمة هي أسرة (الحاج حميد الكعاب)، وبقيتُ عندهم شهراً كاملاً حتى صدر العفو من النظام عن الهاربين فعدت الى الرميثة فوجدت أهلي قد لبسوا عليّ السواد لأن الأخبار وصلت عني أنني قد استشهدت، فنصحوني بعدم البقاء لشياع خبر خروجي للكوفة وقتالي فيها، فخرجت ماشياً على قدمي من الرميثة الى السماوة ثم الى قضاء الخضر، حيث أقلني (الحاج عبد الحسين أبو ميثم) بسيارته الى نقطة تفتيش للجيش الأمريكي في عين صيد (B.S.T.O) ومن هناك الى معسكرات اللاجئين في السعودية، والله شاهد على ما أقول. السيد مهدي جبار محمد العوادى الرميثي)).

ونتوقف أمام تقييم للانتفاضة من وجهة نظر المعارضة الاسلامية خارج العراق :

((بقيت الحركة الاسلامية تنظر الى سنوات ما بعد عام ١٩٨٦ باعتبارها سنوات الحصاد، التي ستتوج سنوات الجهاد المرير الذي خاضته خلال القرن الحالي، وخاصة السنوات الثلاثين التي أعقبت تبلور كيانه)). ثم يضيف الكاتب في الهامش:

((ظهرت نتيجة هذه المرحلة في آذار / مارس ١٩٩١، حين فجر الشعب العراقي ثورته الاسلامية الجماهيرية التي أطلق عليها اسم (ثورة ١٥ شعبان)، وهو اليوم الذي تبلورت فيه حركة الثورة. وكان بإمكان هذه الثورة أن تشكل حصاد مراحل الجهاد الطويلة كما ذكرنا، إلا أنها أجهضت بتضافر عوامل محلية ودولية، ولم تفشل كما قد يقول بعض المحللين. ولم تكن هذه الثورة عفوية في مضامينها وأهدافها وعوامل انطلاقها، وإن بدت عليها العفوية في مظاهر انطلاق شرارتها. هذه الثورة إذا حللناها وفقاً لمناهج علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع السياسي، فسنرى أنها جاءت نتيجة لعاملين رئيسيين :

الأول : سياسة القمع والقهر والكبت التي مارسها النظام الحاكم ضد الشعب، والتي كانت تنذر ببركان شعبي رهيب ينفجر عند حدوث أول فرصة، بهدف الخلاص والانتقام من السلطة وأعوانها حذاً أدنى، وإقامة حكومة الضد الذي طالما حاربه النظام والذي تنتمي اليه الجماهير وهو الاسلام حذاً أعلى. فإلى جانب ممارسات الانتقام التي مارسها الثوار، فإنهم كانوا يرفعون شعار (إقامة الحكم الاسلامي)، وهو ما حققوه خلال (١٥) يوماً من عمر الثورة.

الثاني : التحرك السياسي والديني الفاعل الذي قامت به الحركة الاسلامية العراقية (المرجعية الدينية والتنظيمات)، طوال ثلاثة عقود، ولا سيما مرحلة الجهاد المعلن التي بدأت عام ١٩٧٩. هذا التحرك كان بمثابة تعبئة مستمرة للجماهير.^(١))).

(١) المؤمن ص ٥٣٦ - ٥٣٧. نلاحظ التناقض بين تقييم الشعب العراقي هنا وبين ما ذكرناه سابقاً لنفس المؤلف، إضافة الى محاولة إيجاد دور للمعارضة خارج العراق لا وجود له في الانتفاضة ولا دليل عليه، نعم كانت بعض تنظيمات الداخل قد اشتركت في الانتفاضة بعد نشوبها كالتي حصلت في قضاء الحي (جنوب محافظة واسط)، ولكنهم انسحبوا قبل وصول قوات الجيش، وكانت مقراتهم في الجزيرة (مثلث واسط العمارة الناصرية).

ولم يكن العراقيون لوحدهم يشعرون بأنهم كانوا ضحية استبداد عربي وحقارة أمريكية، انطلاقاً من نظرية المؤامرة فهي متحققة بلا أدنى شك كما يؤكد الكاتب الإيراني المغترب ولي نصر:

((أشعل جنود شيعة عائدون من حرب الخليج الأولى في الكويت فتيل شغب واسع النطاق في البصرة ما لبث أن امتد شمالاً الى مدينة النجف. تطلع الشيعة الى الولايات المتحدة كي ترفدهم بالمساندة، مفسرين دعوة الرئيس الأمريكي جورج بوش (الأب) الشعب العراقي الى الاطاحة بصدام على أنها تعني تدخلاً أمريكياً لمصلحتهم. إلا أن المملكة العربية السعودية حذرت واشنطن وبكلام لا يقبل اللبس من أنه إذا سقط صدام عن سدة الحكم، ستفوز إيران بالسيطرة على جنوب العراق. ولم يكن بيت آل سعود يرغبون في رؤية هبة الشيعة ضد صدام تتكلل بالنجاح. فالرياض رأت في تمكين الشيعة من حيازة السلطة في عام ١٩٩١ الخطر عينه الذي تراه اليوم. لذلك أثرت أن يبقى العراق تحت نير الدكتاتورية السنية من أن تجازف بتمكين الشيعة من الوصول الى السلطة. وبتأثير من حليفاتها في الحرب، أعرضت الولايات المتحدة عن التورط في الانتفاضة الشيعية. ووقفت القوات الأمريكية المرابطة في سهل الفرات مكتوفة اليدين وهي تشاهد صدام يرسل حرسه الجمهوري المرعب الى الجنوب، مدججاً بالدبابات والمروحيات الحربية، لسحق التمرد^(١))).

وقبل أن نختم هذا الحديث المختصر عن الانتفاضة الشعبانية نحب أن نثير تساؤلاً فيه شيء من الغرابة : لماذا لا يظهر أي دور عملي يذكر للمعارضة الإسلامية خارج العراق في إنتفاضة النجف الأشرف؟، بل لا يوجد حتى إتصال أو رابط بأي شكل من الأشكال، حتى سمعنا السيد الصدر آنفاً يؤكد على ضرورة الإتصال بإيران، وكذلك امتعاض آخر الأحياء من أعضاء اللجنة الشيخ محمد رضا شبيب الساعدي

(١) ولي نصر، صحوة الشيعة ص ١٨٦.

من تركهم من دون مدّ يد المساعدة، وهذا يدل على أن المعارضة وحتى الجمهورية الإسلامية في إيران وقفت تتفرج منتظرة ما ستؤول إليه الأمور، ولم تكن نسمع سوى الأناشيد والخطب الحماسية والبيانات الرنانة من إذاعات إيران والمعارضة، ومن الواضح بعد ذلك ولحين سقوط النظام سنة ٢٠٠٣ أن دماء الشعب العراقي كانت مجرد ورقة ضغط لتحقيق مكاسب سياسية أو إقتصادية، وفي أحسن الاحوال ينتفض الشعب وينتصر فيأتون ليتأمرؤا عليه، أو استخدام هذه الدماء والثورات للضغط على أمريكا بأن الخيارات أمامها محدودة، فأما المعارضة التي هي مستعدة للجلوس والتفاهم والتنازل عن الكثير من الشعارات أو قائد ثائر من داخل العراق كالسيد الصدر، وهو يعني مستقبل مجهول بل مظلم ليس لمصالح الولايات المتحدة فقط بل لكل المنطقة.

وفي الحقيقة كانت مؤشرات انطلاق الإنتفاضة موجودة منذ اشتداد القصف الأمريكي على العراق، وكانت بعض التنظيمات في داخل العراق تشعر بذلك، حتى أن المعارضة كانت مستعدة ولكنها تنتظر أن تبدأ الشرارة من الداخل^(١)، وبعد أن اندلعت الانتفاضة من البصرة تحركت بعض المجاميع للمناطق الجنوبية التي تقع على مشارف الأهوار و جزيرة السيد أحمد الرفاعي، ووجود المعارضة يدل عليه الصور التي وزعت بآلاف النسخ للخميني والخامني والحكيم والسيد محمد باقر الصدر^(٢)،

(١) حسب شهادات للعشرات من كوادر فيلق بدر وحزب الدعوة الذي كانت علاقته مع إيران متوترة ولكنه لم يكن ليفكر في الخروج يوماً عن إرادتها خاصة أن أهم القيادات للحزب من جنسية إيرانية مثل (علي أبو بلال الأديب).

(٢) ((وقد جرى توزيع صور الخميني، كما رفعت لافتات تنادي بجمهورية إسلامية. إن هذا قد خلق انطباعاً خاطئاً بأن الجماعات المناصرة لإيران هي التي تسيطر على الانتفاضة وأن نجاحها سيزيد كثيراً من نفوذ الإيراني. وكان من شأن ذلك أن يدق أجراس الخطر في العواصم العربية، لا سيما في السعودية، كما أنه لعب دوراً كبيراً في تأكيد صواب القرار الأمريكي برفض تقديم مساعدة للانتفاضة)). علي عبد الأمير علاوي، مصدر سابق، ص ٦٨ - ٦٩.

وهي جزءاً قدمت من إيران عن طريق مقرات المعارضة. وعلمنا مما سبق أن الشعارات والتهافتات التي أطلقها المنتفضون هنا وهناك والتي تدعو الى جمهورية إسلامية إضافة الى هذه الصور كانت السبب وراء إطلاق الولايات المتحدة ليد صدام لسحق الانتفاضة، ويبدو أن إشارات تهديد أو تحذير صريحة وصلت من الولايات المتحدة الى القيادات الإيرانية من أي تدخل لقلب الأوضاع في إيران، أو أن ثعلب السياسة الإيرانية (رفسنجاني) أراد أن يلعب لعبة الانتفاضة بشكل لا يؤدي الى أية خسائر سياسية أو عسكرية لإيران، فدفع باتجاه التأجيج للأحداث في العراق ولكن من دون تدخل فعلي، فإذا انتصر المنتفضون كانت للمعارضة التابعة لإيران اليد الطولى فتأتي وتحكم البلد، وإن فشلت الانتفاضة فهو لن يخسر شيئاً سوى عشرات الآلاف من أبناء الشعب العراقي الذين سيدبحهم نظام صدام، وهذه الدماء ليست مهمة بقدر المكاسب السياسية والاقتصادية التي ستحظى بها الجمهورية الإسلامية^(١).

قامت المعارضة بعقد مؤتمر في بيروت في ١١ آذار / مارس ١٩٩١ لتابعة الانتفاضة في جنوب العراق، وهذا نص البيان :

((في الوقت الذي كانت قوى الانتفاضة تشتبك في معارك ضارية مع قوات الحرس الجمهوري الصدامي في أغلبية مدن العراق، وتقدم الضحايا تلو الضحايا، من أجل تحقيق حلم الشعب في إسقاط النظام الصدامي، دعت لجنة العمل المشترك لقوى

(١) بعد سقوط نظام صدام عام ٢٠٠٣م كنا نسمع (ولا زلنا) من بعض الموالين لإيران : (لا بأس أن نضحى بمليون أو ثلاثة ملايين عراقي في سبيل إعلاء كلمة الله التي لن تتم إلا بالحفاظ على الجمهورية الإسلامية). أو عبارة تنسب لأحد المسؤولين في إيران : (سنقاتل امريكا حتى آخر قطرة دم عراقي). ونفس هذا المنطق كنا نسمعه بعد ظهور حركة الصدر الثاني، فالسيد الصدر عالم ونزيه ومفكر وقام بأكبر نهضة وعي إسلامي في العراق ولكن وجوده يتعارض حالياً مع مصلحة الإسلام، ومصلحة الإسلام هي الجمهورية الإسلامية ليس إلا.

المعارضة العراقية الى عقد مؤتمر لها في بيروت، في ١١ آذار ١٩٩١، لمتابعة تطورات الانتفاضة، وقد حضر المؤتمر بالاضافة الى ممثلي ١٧ حزباً^(١)، المنظمين الى لجنة العمل المشترك، كل من «المجلس العراقي الحر» و «الحركة الاسلامية في كردستان» و «المجلس الاعلى لعشائر العراق» وعدد من الشخصيات السياسية المستقلة، من مختلف التيارات الفكرية والدينية، وعدد من ممثلي النقابات.

كما حضر المؤتمر ممثلين عن الجمهورية اللبنانية، والجمهورية العربية السورية، وجمهورية ايران الاسلامية، ودولة الكويت، وممثلي حركات التحرر الوطني العربية، وممثلي المنظمات الدولية والاقليمية، وممثلي الهيئات الدبلوماسية المعتمدين في بيروت، والمنظمات العاملة مجال حقوق الانسان، إضافة الى مجموعة كبيرة من ممثلي وسائل الاعلام العربية والاجنبية.

واستمع المؤتمر الى التقرير الذي قدمته لجنة العمل المشترك، عن الاوضاع الراهنة، ومواقفها ونشاطاتها، ثم استمعت الى كلمات الضيوف والمشاركين في المؤتمر، والذين أجمعوا على دعم الانتفاضة الشعبية والدعوة الى توفير كل الامكانيات والظروف المناسبة لتطورها، وتحقيق أهدافها.

وبعد إجراء مناقشات مستفيضة طيلة أيام ١١، و١٢، و١٣ آذار، حول مستلزمات دعم الانتفاضة وتطويرها خرج المؤتمر بالتوصيات التالية :

(١) من الاحزاب التي شاركت : المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق - حزب الدعوة الاسلامية في العراق - منظمة العمل الإسلامي في العراق - الكتلة الاسلامية - الحزب الإسلامي العراقي - حركة المجاهدين العراقيين - منظمة جند الامام - الحزب الديمقراطي الكردستاني - الاتحاد الوطني الكردستاني - الحزب الشيوعي العراقي - القوميين المستقلين - الاتحاد الاشتراكي العراقي - التجمع الديمقراطي العراقي - حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني - الحركة الديمقراطية الآشورية. فيما حصلت جهات أخرى على الدعم من دول أخرى غير الولايات المتحدة، كالسيد مهدي العوادي (مجهول المصدر)، والشيخ جمال الوكيل (حركة الوفاق الإسلامي) المدعومة من قبل فرنسا، كما أن رئيس هذه الحركة (الوكيل) يحمل الجنسية الفرنسية.

١ - يوصي المؤتمر بالعمل على تشكيل هيئة للإنقاذ الوطني، ومعالجة الطوارئ التي تفرزها الانتفاضة.

٢ - يوصي المؤتمر ببذل الجهود الضرورية، من أجل تجميد عضوية الحكومة العراقية الحالية في الأمم المتحدة، ووكالتها المتخصصة، والجامعة العربية، ومجموعة عدم الانحياز، والمؤتمر الاسلامي، استناداً الى خرق هذه الحكومة لميثاق الامم المتحدة، وقراراته ولوائحها المختلفة.

٣ - يوصي المؤتمر بتشكيل اللجان اللازمة لدعم العمل الميداني للانتفاضة، وتوفير متطلباته.

٤ - يوصي المؤتمر بالسعي الحثيث للحصول على اعتراف عربي وإسلامي ودولي بالمعارضة العراقية كممثل للشعب العراقي، الى أن يتم إسقاط النظام، وإقامة حكومة انتقالية ائتلافية تلتزم بإجراء انتخابات حرة.

٥ - نظراً للأهمية الاستثنائية التي يجسدها مؤتمر المعارضة العراقية، وماتوصل إليه في بيانه السياسي، يوصي المؤتمر بإرسال وفود الى مختلف دول العالم، والمنظمات الدولية، ومؤسسات الرأي العام، لإبلاغها بنتائج المؤتمر، وطلب دعم الانتفاضة، ولتسهيل عمل هذه الوفود، وتوفير أفضل الفرص لنجاح هذا النشاط، يوصي المؤتمر بضم الأخوة أعضاء المؤتمر القادمين من البلدان المختلفة، الى وفد المعارضة، عند زيارة البلدان التي يقيمون فيها، والاستفادة من إمكانياتهم وتجاربهم.

٦ - يوصي المؤتمر قوى المعارضة بتخصيص صندوق لدعم الانتفاضة، وجمع كل أشكال المساعدة المالية، وفي المقدمة منها الدعم المالي من التجمعات العراقية في المهجر، والمؤسسات الدولية العاملة في مجال حقوق الانسان، ومن كل الداعمين لانتفاضة الشعب، للخلاص من الدكتاتورية.

٧ - يوصي المؤتمر لتشكيل لجنة لجمع المعلومات وتوضيحها، حول انتهاك النظام

الصدامي لحقوق الانسان الأساسية، ومصادرتها، مثل الاعتقال الكيفي، والمحاكمات
الصورية، والتعذيب، والاختطاف والسجن والاعدامات الجماعية، والعقاب
الجماعي بحق الأحياء السكنية والمدن، واستخدام الأسلحة الكيماوية، وعمليات
التهجير، وحرق القرى، وسياسة الأرض المحروقة، ومصير المفقودين، وجمع كل
هذه المعلومات في وثيقة، وتقديمها الى الهيئات الدولية المختلفة، وفي المقدمة منها لجنة
حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، حيث يوصي المؤتمر بإرسال وفد إليها للتحري
والعمل على إطلاق سراح جميع المعتقلين والسجناء السياسيين، والطلب من
السلطات العراقية تزويدها بالمعلومات الكاملة عن كل السجناء، وطبيعة الأحكام
الصادرة بحقهم، كما تنص عليه لوائح الأمم المتحدة حول الحقوق المدنية، والسياسية
المصادق عليها من قبل الحكومة العراقية، والضغط عليها، ومطالبتها بالكشف عن
مصير المفقودين والمخطوفين.

٨ - يوصي المؤتمر بتنظيم حملة عالمية واسعة، لمنع النظام من قمع الانتفاضة
ال جماهيرية بالحديد والنار، وخاصة منع استخدام الأسلحة الكيماوية، ويطلب
الأمم المتحدة اتخاذ قرار بإنزال العقوبات الرادعة إذا ما لجأ النظام الى ذلك.

٩ - يوصي المؤتمر بتشكيل ممثلات، ولجان للمعارضة العراقية من مختلف البلدان التي
يقيم فيها العراقيون.

١٠ - آخذاً بنظر الاعتبار، معاناة شعبنا، نتيجة الحرب المفروضة عليه من قبل النظام،
والنقي في المواد الغذائية والأدوية، والخدمات المختلفة، تعمل قوى المعارضة على
تأمين المواد الغذائية والأدوية، عبر حملات المساعدة، ومطالبة هيئة الصليب الأحمر
والهلال الأحمر الدولية بإرسال لجنة منها لدراسة أوضاع الشعب المعيشية ومعالجة
ومساعدة ضحايا الانتفاضة، والاتصال بجميع الدول المجاورة للعراق لفتح حدودها،
وتسهيل وصول المعونات الغذائية والأدوية، والمساعدة على بناء المؤسسات
الخدمية.

كما أصدر المؤتمر عدداً من التوصيات المتعلقة بالاعلام، بالتركيز على عراقية وشمولية الانتفاضة، وفضح كل محاولات التشويه التي تستهدف إيجاد المبررات لإبقاء صدام حسين في السلطة، عن طريق إثارة المخاوف من بديل المعارضة، والعمل على تكثيف الجهود لدعم الانتفاضة، بكل الوسائل الممكنة، كإصدار النشرات الدورية، ومد وسائل الاعلام بأخبار الانتفاضة، وتنظيم المؤتمرات الصحفية، وتعبئة كل الجهود الممكنة في هذا السبيل.^(١)

نلاحظ على هذا البيان أنه لم يشر أية إشارة على وجود قيادة دينية أو ميدانية داخل العراق، لغرض الإلتفاف حولها ومساندتها من قبل الجماهير، كما أن طلبات الإغاثة لم تشمل المرجعيات الدينية والقيادات الدينية عموماً، خاصة أن النظام قد شن حملته العسكرية ضدّ المحافظات قبل هذا التاريخ. ويمكن تعليل عدم الإشارة الى الطابع الديني للانتفاضة الى المحذور الذي سقطت به الانتفاضة مما أدى الى تخوف غربي - عربي من نتائجها على مصالح المنطقة السياسية والاقتصادية والامنية، ولكن كان الأوان قد فات على ذلك، فكل من المجلس الأعلى بقيادة الحكيم وحزب الدعوة الذي لا نعلم بقيادة مَنْ! كانا قد رفدا محافظات الانتفاضة بأطنان من الشعارات والصور الدينية والتي قصمت ظهر المنتفضين.

ولعل من أهم فوائد هذا المؤتمر أنه ساعد في توجيه الأنظار الدولية الى واقع العراق الداخلي، بعد تعميم إعلامي واضح عربياً ودولياً، وهو ما خفف لاحقاً من الضغوط عن الشارع العراقي عموماً وعن الحوزة في النجف الأشرف خاصة، وهو الأمر الذي استغلّه بعد ذلك السيد محمد الصدر ليقوم بحركته الجماهيرية الواسعة.

نلاحظ أن الكثير من أسماء الحركات لم تكن معروفة داخل العراق وليس لها أي

(١) الحرب على العراق، يوميات - وثائق - تقارير، ١٩٩٠ - ٢٠٠٥، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٤٩٤ -

أثر، وأهم مؤاخذة هنا أن المؤتمرين جعلوا من أنفسهم الممثل الوحيد عن الشعب العراقي. ويمكن الدفاع عن ذلك بلا حجة (الى أن يتم إسقاط النظام).
بعد سيطرة النظام على كل محافظات الجنوب أصدر النظام العراقي بياناً جاء فيه :

بيان مجلس قيادة الثورة العراقي "بالقضاء على الفتنة"

في المدن العراقية (٥ نيسان/أبريل ١٩٩١)

((بسم الله الرحمن الرحيم

بيان صادر عن مجلس قيادة الثورة.

نحمد الله سبحانه وتعالى في هذا الشهر الفضيل إذ نعلن لأبناء شعب العراق العظيم نبأ القضاء التام على أعمال الفتنة والتخريب والشغب في كل مدن العراق. وكان آخر ما أنجز هو القضاء على حالة التمرد والتخريب في مدينة السليمانية العزيزة. لقد عادت سلطة القانون والنظام، وعاد الأمن والاستقرار الى كل مدن العراق وأنقذت أرواح العراقيين وأعراضهم وممتلكاتهم مما أصابها خلال الأيام السوداء الحالكة للفتنة من انتهاك ونهب وحرق وتدمير ليس له مثيل في تاريخنا.

وكان السيد الرئيس القائد صدام حسين قد أعلن في السادس عشر من آذار القضاء على الفتنة المجرمة في مدن الجنوب.. والآن أتمت الدولة بعون الله وتوفيقه القضاء على الصفحة الأخرى من الفتنة في شمال العراق العزيز.

لقد صورّ الأعداء الحاقدون أعمال القتل وانتهاك الأعراض والتخريب والسلب والحرق والتدمير التي جرت في مدن الجنوب والشمال على أنها "انتفاضة" وأعطوها أوصافاً زائفة، غير أن شعب العراق الواعي الذي خبر الحياة والرجال، وعاش تجارب الثورات الحقيقية الأصيلة وفي مقدمتها ثورة ١٧ - ٣٠ تموز/يوليو العظيمة كشف الزيف وكشف المؤامرة المجرمة، كما كشف وعرف حقيقة مرتكبيها والقوى

الاجنبية المعادية والغادرة التي تقف وراءها، ولم يكن من قبيل الصدفة أن تنطلق هذه الاعمال الشائنة التي هي ليست من أخلاق العراقيين ومن تقاليد نضالهم الوطني خلال العدوان الامريكي الأطلسي الصهيوني على العراق، وقد أكدت كل التقارير والمعلومات أن التخطيط لها تمّ مع الإعداد لهذا العدوان الغادر وبالتنسيق مع أركانه الأجانب ومع عدد من الأنظمة في المنطقة، وكما قال السيد الرئيس القائد في خطابه التاريخي في ١٦ آذار ﴿مارس﴾ ١٩٩١ ((في الوقت الذي كانت البلاد من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ومن أقصى الشرق الى أقصى المغرب تتعرض لعدوان الثلاثين دولة، وبينما كانت كل مدنها وقرانا تنزف دماً من آثار العدوان الوحشي الذي استهدف كل العراق وأبنائه واستهدف حياة كل العراقيين وممتلكاتهم وما بنوه خلال عشرات من السنين بالجهد والعرق والابداع، في هذا الوقت بالذات تسللت الى داخل البلاد من خارجها قطعان من الخونة الخاقدين حملة الهوبة العراقية المزورة لتتشر الدمار والارهاب والتخريب والنهب في عدد من مدن وقرى العراق الجنوبية يعاونهم غوغاء ضلوا السبيل الصحيح، وذلك في البصرة والعمارة والناصرية وكربلاء والنجف والحلة. وصار هؤلاء الخونة المارقون يهاجمون بعض قطعات وثكنات الجيش المعزولة والمنسحبة تحت تأثير نيران العدوان ويستولون على الاسلحة والمعدات ويحرقون ممتلكات الشعب وينهبون مقرات الدولة والمدارس والمستشفيات ودور المواطنين ويتهكون الأعراض بل إنهم عمدوا حتى الى حرق سجلات الأحوال المدنية وسجلات عقود الملكية والزواج والأرث في دوائر الدولة وراحوا يقتلون بأساليب الغدر الجبانة بعض المسؤولين في الدولة والحزب والضباط والمواطنين في تلك المدن، إن بلادنا التي تعرضت الى العدوان الامبريالي الأطلسي الصهيوني تعرضت الى غزو آخر مشابه لغزو هولاء لبيغداد عام ١٢٥٨)).

كما قال سيادته في الخطاب نفسه ((وفي نفس الوقت الذي دخلت فيه قطعان الفتنة من خارج الحدود الى عدد من مدنها في الجنوب دخلت من نفس المكان عناصر

مسلحة الى عدد من قرى ومدن الشمال، وكما رفعت العناصر الحاقدة شعارات الانقسام الطائفي من مدن الجنوب رفعت العناصر التي دخلت مدن الشمال تحقيقاً لنفس الغرض الخاسئ شعارات الانقسام القومي وفعلت أفعالاً مماثلة في الارهاب والتخريب والانتقام والقتل والنهب والحرق. وقد تبين تماماً أن خطة التسلل الى بعض منطق الجنوب وبعض مناطق الشمال مصدرها واحد، وغاياتها واحدة هي تدمير العراق وتقسيمه وإشاعة الفوضى والدمار والخراب فيه وإخضاعه لإرادة الأجنبي، ألا خسئ ما يفعلون)).

أيها العراقيين الأماجد . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

((ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . . صدق الله العظيم)).

إن الانجاز الذي تحقق بالقضاء على الفتنة وعلى الخونة القادمين من وراء الحدود يؤكد أصالة العراق والعراقيين ويؤكد قدرة العراق والعراقيين على مواجهة المحن والتصدي للمؤامرات. فالعراق باق وسالم بعون الله. كما يؤكد هذا الانجاز القضاء على العمود الفقري للصفحة الأكثر خطورة من المؤامرة التي استهدفت العراق. فبعد العدوان الأمريكي الأطلسي الغادر على بلادنا العزيزة وما أصابها على يد المعتدين أراد أعداء الله، أعداء العراق، أن يحولوا هذا البلد الواحد الآمن الشامخ الى لبنان آخر تتوزعه وتسحقه الصراعات الطائفية والمذهبية والعرقية. ولكن العراق أثبت برعم المحنة التي أصابته على يد الحلف المعادي أنه أقوى من المؤامرة والمتآمرين رغم ما أعدوا لها من امكانات، وما رسموا لها من مخططات وما أحاطوها من حملات دعائية ليس لها مثيل في العالم.

لذلك يحق لنا، أيها العراقيون الأعزاء، أن نشعر بالفرح والاعتزاز لسلامة بلادنا وخروجها من هذه الفتنة موحدة آمنة تتفتح أمامها، إن شاء الله أبواب المستقبل.

ايها العراقيون الأماجد . .

لقد قال السيد الرئيس القائد في خطابه في السادس عشر من آذار ﴿مارس﴾ :

((اليوم وبعد القضاء على الفتنة والتمرد وإعادة الأمن والاستقرار وسلطة الدولة فإن الوقت قد حان للمباشرة ببناء أركان المرحلة الجديدة التي لا تخلو من صعوبات والتي تتطلب تضحيات غالية، لكن شعبنا الذي يمتد عمق حاضره الى تاريخ وتراث ستة آلاف سنة قادر، بعد اجتياز المحنة، على فتح آفاق المستقبل المزدهر بإمكاناته العظيمة وبطاقة العراقيين التي لا حدود لها عندما يشمرون عن سواعدهم ويقدحون عقولهم لإيقاد جذوة البناء والتعمير، فالعراقيون الأصلاء المخلصون لبلادهم والحريصون على استقلال العراق وعزه وبنائه وازدهاره سيجدون في مؤسسات وصيغ هذه المرحلة الجديدة مجالاً حراً وبناءً للمساهمة في كل ما يحقق عز العراق والعراقيين ومصالحهم وأمنهم واستقرارهم وبناء المجتمع الديمقراطي الذي يقوم على أساس الدستور والقانون والمؤسسات والتعددية الحزبية.

أيها العراقيون الأعزاء . .

هذا هو برنامجنا المستقبلي، وإننا لواثقون وبالرغم مما أعد ويعد لنا من مخططات تأمرية غادرة ومنها ما جرى ويجري في مجلس الظلم والظالمين الذي سمي زوراً وبهتاناً بمجلس الأمن، واثقون من المستقبل الذي سيكون، كما كانت أغلب صفحات تاريخ بلادنا العريقة، مشرقاً ومزدهراً وقوياً بإذن الله.

تحية الى كل الرجال وفي كل مؤسسات الدولة، في القوات المسلحة وأجهزة الأمن والشرطة والإدارة والى كل الخيرين أكراداً وعرباً من أبناء العراق العظيم الذي ساهموا بشجاعة وتفان في القضاء على الفتنة وإعادة الأمن والاستقرار وسلطة القانون الى ربوع البلاد.

أيها العراقيون الأعزاء .

ايها المواطنون الأكراد العراقيون.

لما كانت القضية الكردية بكل تعقيداتها المعروفة. قد تداخلت في حياتنا العراقية وبغية المحافظة على استمرارية فرز الألوان والمواقف والشخصيات بما يخدم العراق العظيم ويعزز المنهج الإنساني الوطني لمسيرتنا الطافرة فقد قررنا العفو عن الأكراد العراقيين في منطقة الحكم الذاتي عن أي تصرف يحاسب عليه القانون عدا جرائم القتل العمد وهتك الأعراض والسرقة، مما وقع في ظروف حوادث الشغب والخيانة. ويشمل العفو بشكل عام الأكراد في منطقة الحكم الذاتي كما يشمل منتسبي ومستشاري أفواج الدفاع الوطني ومنتسبي المفارز الخاصة ومنتسبي الأمن الداخلي والقوات المسلحة. وعند عودة من يعود منهم الى الصف الوطني سيكون آمناً على كل حقوقه وسيقوم بما عليه من واجبات طبقاً للقانون، وإن كل أجهزة الدولة بما في ذلك القوات المسلحة مدعوة للإلتزام بهذا القرار وتقديم التسهيلات المقتضية لذلك، على أن يسري مفعول قرارنا هذا لمدة أسبوع لمن كان من المشمولين به داخل العراق ولمدة اسبوعين لمن كان من المشمولين به خارج العراق)).

مجلس قيادة الثورة

٢٠ رمضان ١٤١١ هـ، الموافق ٥ نيسان / أبريل ١٩٩١ م. (١).

لوحظ على نص هذا البيان عدة أمور، بصرف النظر عن الأسلوب الهزيل الذي دأب عليه النظام في خطابه المعروفة، أن النظام يعترف بوجود الانتفاضة وهو الذي تعود على تغييب وتعتيم كل ما من شأنه الإشارة الى وجود أية صوت معارض أو زعزعة لكيانه، وهو في نفس الوقت يشير الى أن إيران هي المسؤولة عن نشوب الانتفاضة ولكن من دون ذكرها صراحة، فهو من ناحية يشير الى الخطر الإيراني

(١) المصدر السابق، ص ٤٩٦ - ٤٩٨.

الذي يغازل به - حسب ظنه - الغرب والدول العربية، ومن ناحية أخرى لا يريد أن يغلق البوابة الوحيدة التي كان يتقوت من خلالها، فقد أصبحت إيران المنفذ الوحيد تقريباً لسد رمق الاقتصاد العراقي المنهار تماماً، ولوحظ أيضاً نبرة الضعف التي لم تعرف عن النظام العراقي، فلطالما تبجح بقوة وعظمة الجيش العراقي وأمجاد سومر وأكد وبابل والفروسية العربية، وهو يسترجي من ذلك أيضاً أن يهب لنجدته أي صديق من أصدقاء الأُمس فهذه إيران القوة المتنامية قد تفترس الجميع فيما لو سيطرت على العراق من خلال المعارضة الموالية لها.

وبالفعل بقي الحال واشتد سوءً على الشيعة جنوبي العراق طيلة السنوات اللاحقة، كأن الحصار الإقتصادي والقمع لم يشرع إلا لسحقهم حتى تأتي الساعة التي ترى فيها الولايات المتحدة أنهم تمّ ترويضهم تماماً، ولم تنل تلك العقوبات من الآخرين كما حصل مع الشيعة.

أصدر مجلس الأمن الدولي قراراً بعد قمع الانتفاضة، وهذا القرار وإن جاء متأخراً كثيراً إلا أنه يبين بوضوح القلق الدولي من تداعيات هذه الانتفاضة والتخوف من الشيعة، فقد أهمل هذا القرار أي ذكر لقمع الشيعة في جنوب العراق، ولم يأت على ذكرهم إلا بإشارات لا تكاد تبين، وهذا نص القرار :

(قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٨٨ حول قمع السكان المدنيين في العراق
(٥ نيسان / أبريل ١٩٩١)

إن مجلس الأمن،

إذ يضع في اعتباره واجباته ومسؤولياته، بموجب ميثاق الأمم المتحدة، بالنسبة لصون السلم والأمن الدوليين،

وإذ يشير إلى أحكام الفقرة ٧ من المادة ٢ من الميثاق،

وإذ يساوره شديد القلق إزاء القمع الذي يتعرض له المدنيون العراقيون في اجزاء

كثيرة من العراق والذي شمل مؤخراً المناطق السكانية الكردية وأدى الى تدفق اللاجئين على نطاق واسع عبر الحدود الدولية والى حدوث غارات عبر الحدود بما يهدد السلم والأمن الدوليين في المنطقة،

وإذ يشعر بانزعاج بالغ لما ينطوي عليه ذلك من آلام مبرحة يعاني منها البشر هناك،
وإذ يحيط علماً بالرسالتين الموجهتين الى رئيس مجلس الأمن من الممثلين الدائمين لتركيا وفرنسا لدى الأمم المتحدة والمؤرختين ٣ و ٤ نيسان / أبريل ١٩٩١ على التوالي،

وإذ يحيط علماً أيضاً بالرسالتين الموجهتين الى الأمين العام من الممثل الدائم لجمهورية إيران الإسلامية لدى الأمم المتحدة والمؤرختين ٣ و ٤ نيسان / أبريل ١٩٩١،

وإذ يعيد تأكيد التزام جميع الدول الأعضاء تجاه سيادة العراق وجميع دول المنطقة وسلامتها الإقليمية واستقلالها السياسي،

وإذ يضع في اعتباره التقرير الذي أحاله الأمين العام والمؤرخ ٢٠ آذار / مارس ١٩٩١،

١ - يدين القمع الذي يتعرض له السكان المدنيون العراقيون في أجزاء كثيرة من العراق والذي شمل مؤخراً المناطق السكانية الكردية، وتهدد نتائجه السلم والأمن الدوليين في المنطقة؛

٢ - يطالب بأن يقوم العراق على الفور، كإسهام منه في إزالة الخطر الذي يهدد السلم والأمن الدوليين في المنطقة، بوقف هذا القمع ويعرب عن الأمل، في السياق نفسه، في إقامة حوار مفتوح لكفالة احترام حقوق الانسان والحقوق السياسية لجميع المواطنين العراقيين؛

٣ - يصر على أن يسمح العراق بوصول المنظمات الإنسانية الدولية على الفور الى

جميع من يحتاجون المساعدة في جميع أنحاء العراق، ويوفر جميع التسهيلات اللازمة لعملياتها؛

٤ - يطلب الى الأمين العام أن يواصل بذل جهوده الإنسانية في العراق، وأن يقدم على الفور، وإذا اقتضى الأمر على أساس إيفاد بعثة أخرى الى المنطقة، تقريراً عن مخنة السكان المدنيين العراقيين، وخاصة السكان الأكراد، الذين يعانون من جميع أشكال القمع الذي تمارسه السلطات العراقية؛

٥ - يطلب أيضاً الى الأمين العام أن يستخدم جميع الموارد الموجودة تحت تصرفه، بما فيها موارد وكالات الأمم المتحدة ذات الصلة، للقيام على نحو عاجل بتلبية الإحتياجات الملحة للاجئين وللسكان العراقيين المشردين؛

٦ - يناشد جميع الدول الأعضاء وجميع المنظمات الإنسانية أن تسهم في جهود في جهود الإغاثة الإنسانية هذه؛

٧ - يطالب العراق بأن يتعاون مع الأمين العام من أجل تحقيق هذه الغايات :

٨ - يقرر إبقاء هذه المسألة قيد النظر.

اتخذ في الجلسة ٢٩٨٢ بأغلبية ١٠ أصوات مقابل ٣ أصوات (زيمبابوي وكوبا واليمن) وامتناع عضوين عن التصويت (الصين والهند).^(١).

نلاحظ أن القرار لم يذكر أي قمع ضد الشيعة جنوب العراق من قبل النظام العراقي، مع أن التدمير وعدد القتلى في الجنوب أكثر بكثير مما في شمال العراق، ولا يمكن تبرير هذا التجاوز إلا بسوء النية حتماً، خاصة بعد أن سمعنا الرئيس الأمريكي جورج بوش يقول صراحة إن نظام صدام على مساوئه أفضل من نظام شيعي. لهذا كان السيد محمد الصدر على طول الوقت يؤكد أن كل القرارات الصادرة من مجلس

(١) المصدر السابق، ص ٤٩٨ - ٤٩٩.

الأمن إنما هي قرارات أمريكية، وأنها لا تستهدف النظام العراقي بالقدر الذي تستهدف فيه الحركة الإسلامية في العراق، فنسب صراحة - كما سنرى - القصف الأمريكي في عملية ثعلب الصحراء التي تزامنت مع تصاعد المواجهة بين النظام وبين السيد الصدر^(١)، واتساع رقعة صلاة الجمعة وتأثيرها في الشارع العراقي، أن المقصود منها هو (المؤمنين)، أي اتباع حركته في العراق.

وفيما يلي يوميات الصحف العالمية التي تابعت أحداث الانتفاضة في الجنوب والشمال، ومن خلالها سنلاحظ بوضوح صحة النتائج التي توصلنا إليها من استهداف الشيعة جنوب العراق دولياً :

- الأحد ٣ / ٣ / ١٩٩١ : شهدت مدينة البصرة تظاهرات وعصيان مدني اقترح خلالها المتظاهرون السجن المركزي في المدينة وأطلقوا السجناء. كما شهدت مدن الزبير والصالحية تظاهرات وعصيان مماثل. وذكرت الأنباء أن جنود عراقيين انسحبوا من الكويت شاركوا في العصيان. (صحيفة الحياة، لندن).^(٢)

- الثلاثاء ٥ / ٣ / ١٩٩١ : ذكرت الأنباء أن العديد من المدن العراقية منها البصرة والسماوة والديوانية والكويت في الجنوب العراقي تشهد اضطرابات عنيفة، وأن الحكومة المركزية في بغداد فقدت السيطرة على هذه المدن. كما تحدثت الأنباء عن حركة تمرد في شمال العراق سيطر خلالها المسلحون الأكراد على مدينة السليمانية. (صحيفة الحياة، لندن).

- الأربعاء ٦ / ٣ / ١٩٩١ : اندفعت قوات الأمن العراقية باتجاه ٩ مدن في جنوب

(١) في الجمعة السابعة والثلاثون بتاريخ ٦ رمضان ١٤١٩ الموافق ١٢/٢٥/١٩٩٨.

(٢) ربطت منظمة هيومان رايتس ووتش الانتفاضة على الرئيس العراقي بتصريح للرئيس جورج بوش بتاريخ ١٦ شباط/فبراير عام ١٩٩١ لصحيفة نيويورك تايمز دعا فيها العراقيين لأن يأخذوا زمام الأمر بأيديهم لإسقاط الرئيس العراقي. الحرب على العراق، يوميات - وثائق - تقارير. ص ٤٦١.

العراق لمواجهة الاضطرابات المناوئة لنظام الحكم (الحياة، لندن).

- الخميس ٧ / ٣ / ١٩٩١ : استعاد الجيش العراقي السيطرة على مدينة البصرة، فيما تصاعد الموقف في شمال العراق واستسلم ٣٠ ضابطاً للمقاتلين الأكراد (الحياة، لندن).

- الجمعة ٨ / ٣ / ١٩٩١ : ساد الغموض الوضع في جنوب العراق، وذكر ناطق باسم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق أن مدن البصرة والعمارة في الجنوب لا تزال تحت سيطرة القوات الشعبية المعارضة للنظام (الحياة، لندن).

- الإثنين ١١ / ٣ / ١٩٩١ : أعلنت الحكومة العراقية سيطرتها على الوضع في مدن جنوب العراق، فيما ذكرت الأنباء أن الاضطرابات امتدت الى بغداد (الحياة، لندن).

- الأربعاء ١٤ / ٣ / ١٩٩١ : أعلن ريتشارد باوتشر، الناطق باسم الخارجية الأمريكي، أن القوات الحكومية العراقية سيطرت على الوضع في البصرة وكربلاء والنجف لكن التمرد عاد بعد انسحاب المدرعات الثقيلة (الحياة، لندن).

- الخميس ١٤ / ٣ / ١٩٩١ : انعقد المؤتمر العام للمعارضة العراقية في بيروت، ودعا في ختام أعماله الى العمل على إطلاق حرية التنظيم السياسي والمهني والنقابي وإجراء انتخابات حرة في العراق بالتصويت السري، وناشد القوات العراقية الانضمام الى الانتفاضة الشعبية لإطاحة نظام الرئيس العراقي (الحياة، لندن).

- الأحد ١٧ / ٣ / ١٩٩١ : أعلن صدام حسين، الرئيس العراقي، أن قوات الأمن العراقية تمكنت من القضاء على الاضطرابات المناوئة للنظام في جنوب العراق، وأنها تعمل على إنهاء الفتنة في الشمال، محملاً إيران وتركيا وأطراف خارجية مسؤولية هذه الاضطرابات التي تهدف الى تقسيم العراق وتحويله الى لبنان آخر. ووعده باصلاحات وحكومة جديدة وقيام تعددية (الحياة، لندن).

- الاثنين ١٨ / ٣ / ١٩٩١ : حذرت القوات الأمريكية القوات العراقية من تحريك طائراتها الحربية في الأحداث التي تشهدها مناطق جنوب العراق وشماله (الحياة، لندن).

- الأربعاء ٢٠ / ٣ / ١٩٩١ : دعا جون ميجور، رئيس الوزراء البريطاني، الى إزاحة صدام حسين، الرئيس العراقي، عن السلطة (الحياة، لندن).

- أكدت الأنباء سيطرة القوات الحكومية العراقية على البصرة، فيما سيطرت ميليشيات كردية على مدينة كركوك (الحياة، لندن).

- السبت ٢٣ / ٣ / ١٩٩١ : عُيِّن طه ياسين رمضان، نائباً للرئيس العراقي، تمهيداً لتشكيل حكومة جديدة، وتحدثت الأنباء عن اشتباكات في بغداد بين قوات الأمن ومسلحين مناوئين للنظام (الحياة، لندن).

- الأحد ٢٤ / ٣ / ١٩٩١ : شكلت حكومة عراقية جديدة برئاسة سعدون حمادي للتعامل مع الوضع في العراق (الحياة، لندن).

- ذكرت القوات الأمريكية أنها لن تعترض طائرات الهليكوبتر لدى تحليقها فوق الأراضي العراقية^(١) (الحياة، لندن).

- الأربعاء ٣ / ٤ / ١٩٩١ : أعلنت مارغريت تتوايلر، الناطقة باسم وزارة الخارجية الأمريكية، أن الإدارة الأمريكية ستعقد اجتماعات مع المعارضة العراقية بينهم ممثلون عن الأكراد (النهار، بيروت).

- الأربعاء ١٠ / ٤ / ١٩٩١ : أعلن في واشنطن ولندن أن الإدارة الأمريكية وبريطانيا

(١) لا شك أن إطلاق يد النظام يهدف الى القضاء على الانتفاضة، ولكننا رأينا أن النظام قام بتحريك طائراته قبل هذا التاريخ، وكذلك إطلاقه للصواريخ تجاه المحافظات الجنوبية كان قبل هذا التاريخ بأيام، من دون أن تشير الى ذلك أو تعترض عليه القوات الأمريكية ووسائل الإعلام الغربية.

والاتحاد الأوروبي يسعون في مجلس الأمن الى فرض منطقة حماية للأكراد في شمال العراق (النهار، بيروت).

- الخميس ١١ / ٧ / ١٩٩١ : - قررت قوات التحالف (قوات الرد السريع التي أنشئت على الأراضي التركية) الانسحاب من شمال العراق على أن يُمنع الجيش العراقي من دخول "المناطق الآمنة" التي أقامها في شمال البلاد لحماية الأكراد وعلى أساس أن لا تحلق أي طائرة عراقية ذات أجنحة أو مروحية شمال خط العرض ٣٦ (السفير، بيروت).

- أكدت قوة التدخل السريع التي شكلتها القوات الأمريكية مع بريطانيا وفرنسا وانضمت إليها تركيا أن قوام القوة يصل الى خمسة آلاف جندي وتضم ١٣٢ طائرة حربية واستطلاع للسيطرة على المنطقة الأمنية لحماية الأكراد^(١) (السفير، بيروت).

قالوا الكثير في فشل أو نجاح الانتفاضة، واعتبرها البعض من الأخطاء التاريخية والحركات غير المدروسة، وكل هذه الآراء تنظر الى جهة واحدة وهي الفشل العسكري أو الفشل في إسقاط نظام صدام، وكأن كل الثورات والانتفاضات الممجدة في العالم ناجحة في هاذين الاتجاهين؟، إن الانتفاضة لا يجب أن ننظر إليها من جهة الانتصار العسكري بقدر ما ننظر إليها بنفسها كحدث استثنائي استطاع أن يهز أبشع طاغية عرفه التاريخ الحديث في المنطقة، ولم تكن الضحايا التي سقطت بلا نتيجة على صعيد الواقع وعلى صعيد التاريخ، فقد انتجت الانتفاضة رهبة النظام من هذا الشعب على رغم كل سنوات القمع الدموي، مما أدى الى تراخي قبضته في السنوات اللاحقة، ويمكن أن نعتبر أن أهم نتائج الانتفاضة هي الحركة التغييرية الشمولية التي قادها السيد محمد الصدر، ولم يكن الصدر لوحده في الانجاز، فإن

(١) في الوقت نفسه لم تقم قوات التحالف بأي خطوة لحماية الشيعة في الجنوب من البطش الذي استمر الى آخر يوم لسقوط النظام العراقي عام ٢٠٠٣. هذه اليوميات نقلاً عن "الحرب على العراق".

الشعب الذي انتفض عام ١٩٩١ هو نفسه الشعب الذي ناصره في حركته، ولو تأملنا لوجدنا أن الشعب الذي خرج منتفضاً لم يكن ليقنع بقيادة كالتي كانت في السابق، فروح التمرد على الظلم قد خرجت وليس من السهل أن تعود الى وكر الخنوع مرة أخرى، ولكن المتحذلقين الذين رضوا بالجري وراء الحلول الأمريكية والغربية يأبون إلا أن يدنسوا شرف الانتفاضة والمنتفضين لسبب أول أنهم لم يكن لهم دور يذكر فيها، وثانياً أن الشعب المنتفض اختار قائده ورمزه بعد ذلك وهو الصدر الذي أرغم كل الأنوف المتعالية التي تقبع في الرفاه الأمريكي الأوربي، وكللت قذارتها أن جاءت أخيراً مدعية الحق والحقوق وثنى موقف هنا وآخر هناك، وأخيراً فهم لا يستهينون بعقول الشعب فحسب وإنما يحتقرون خياره الذي سار وراءه وهو الصدر، فهل أن كل هذه الجموع كانت تسير وراء وهم أم ستكون الكلمة الأخيرة له، ولكنها ستكون قاسية على كل من رفع قدمه لسحق العراق وشعبه ومقدساته؟.

بداية التصدي

عدة عوامل ساهمت في تبلور حركة السيد الصدر بسرعة قياسية، في الوقت الذي لم يكن معه أول تصديه سوى أنفار قلائل ولكنهم ممثلون عزمًا على نصرته مشروعه في وقت وظرف لو لم يكونا قد وجدا فعلاً لكان مجرد الحديث عنه مجرد أسطورة أو خيال، وبالتأكيد لم تكن هناك نسبة محتملة للنجاح في نظر المحيط سواء كانوا محبين أو مرتابين إلا هذا النفر، وهم :

ورفيق عزلته وتلميذه الشيخ محمد اليعقوبي الذي أنسه حين استوحشه الناس، وناصره في شدته، وأفضل تلامذته في حياته ووصيه بعد رحيله، ومن دَوَّن لنا تلك الأعوام المجهولة الموحشة.

وبضعة أنفار محبين. وكان أوائل من رجع إليه في التقليد أبناء عمه : السيد حسين الصدر الذي كتب بخط يده تعليقه على كتاب (منهاج الصالحين) لتكون أول أحكام فقهية مدونة^(١)، وابن عمه الآخر السيد مهدي الصدر مؤلف كتاب (أخلاق أهل البيت)، وأسرته أستاذه السيد الشهيد محمد باقر الصدر، وأبناءؤه الأربعة.

عدا ذلك كان البعض يسخر منه، والبعض يرثي له، والبعض لا يستحل النظر في وجهه، أو حتى إلقاء التحية أو ردّها. كأننا نستعيد سيرة جده (صلى الله عليه وآله) حينما لم ينصره سوى عمُّ كهل، وابن عم يافع، وامرأة أعطته ما تملك من راحة ومال وجاء، ليجد هؤلاء أنفسهم جميعاً يعانون المقاطعة والجوع والترهيب والتسفيه،

(١) وكانت هناك نسخة أخرى كتبها بيده أيضاً تلميذه الشيخ محمد اليعقوبي، الذي قام بطباعتها ضمن سلسلة ما لم ينشر من آثار الشهيد الصدر الثاني.

حتى جاء الفتح.

كان السيد الصدر يمتلك كل مقومات النجاح لمشروعه، وحتى هذا النفر القليل من أنصاره كانت الاستهانة بهم خطأ جسيماً من قبل الآخرين. ولكي تتضح الرؤية علينا أولاً أن نقرأ ونحلل عصره على عدة مراحل على الرغم من أنها لم تتجاوز عشر سنوات، ولكنها ملئت بالأحداث والمقدمات للحدث المهم.

سمعنا الكثيرين يتحدثون عن استعجال السيد الصدر في طرح مرجعيته، ولكن هؤلاء إنما ينظرون الى مجرد (المرجعية) أي إجتهد ودرس وقبض حقوق وإفتاء، ولم يجعلوا نصب أعينهم (المرجعية كمشروع إصلاحية ونهضة) الذي لا يمكن لبشري أن يحدد له وقتاً، فهو يأتي عندما تتوفر أرضيته ومقدماته، وهو ما لا يمكن معرفة وقته، لأنه يأتي تلقائياً وبتخطيط خارج عن إرادتنا، ونكون بمواجهته من دون تخطيط منا، يبقى أن نعلم هل نحن مهياون له، أم ستكون مفاجأة ومغامرة لا نعلم ما هي الحصيلة التي سنخرج بها منه؟. كما أنهم لم يأخذوا بنظر الاعتبار أهمية الظرف الذي كان يمر به البلد، وضعف النظام الذي سيحاول بالتأكيد إستعادة قوته، فكان لا بد من تحرك ومخطط يسبق النظام، والأهم أن يسبق المخطط الخارجي الذي لم يلتفت إليه إلا عقليات نادرة من أهمها في العراق السيد الصدر. وكان البعض من مريديه يفضلون الطريقة التقليدية أي عدم التسرع بطرح مرجعيته إلا بعد مضي سنوات، والمباشرة خلال هذه السنوات بإلقاء البحث الخارج، وكان من أصحاب هذا الاتجاه السيد حسين الصدر والسيد محمد كلانتر، وقد أضاف الأخير اقتراحاً بأن يكتب رسالته العملية على شكل تعاليق على كتاب (وسيلة النجاة) وهو كتاب الرسالة العملية للسيد أبو الحسن الأصفهاني، ولكنه رفض كل هذه المقترحات ومضى في برنامجه الخاص به^(١).

(١) كما أخبرني بذلك السيد حسين نجل السيد محمد كلانتر، في منزل الشيخ علي الدفاعي النعماني، سنة ١٤٠٠ هـ.

مقدمات المشروع وتوقيته :

يمكن اعتبار الوقت الذي ظهر فيه السيد محمد الصدر من أكثر الأوقات ملائمةً لطرح مرجعيته والمباشرة بمشروعه، فكأن هناك مخططاً دقيقاً امتد لأكثر من عقد حتى حانت الساعة المناسبة للحدث الكبير.

- إذ لاحظنا أن النظام بدأ يضعف مع اقتراب نهاية الحرب مع إيران، ويشتد ضعفه الى يوم سقوطه^(١)، وهذا الضعف هو الفرصة مهما كانت صغيرة، لذلك عبر السيد الصدر في إحدى خطب الجمعة (إن الإمام الصادق استغل فرصة اقتراب نهاية الدولة الأموية، وبداية الدولة العباسية، لنشر علومه ومعتقداته، فإن الدول في بداياتها تكون ضعيفة وفي نهاياتها تكون ضعيفة)^(٢).

- تخف القيود وتُرفع الإقامة الجبرية، أو شبه الجبرية عن السيد محمد الصدر قبيل نهاية الحرب مع إيران، فيبشر التواصل مع الحوزة والمجتمع، ولم يكن رفع الإقامة أو القيد عنه أمراً خاصاً به، بل عن جميع حوزة النجف وعموم التوجه الديني.

- فراغ الساحة تماماً من أية منافسة فعلية على صعيد الكفاءة العلمية والعملية، فلم يوجد في النجف من ينتمي الى مدرسة السيد محمد باقر الصدر غير السيد محمد الصدر، بالتالي هو الوريث الوحيد لمدرسته في النجف. مع أن الواقع أنه كان

=١٩٩٨م. عباس الزبيدي.

(١) اعتبر ريتشارد تشيني، وزير الدفاع الأمريكي، أن الحصار والعقوبات على العراق "تعني أن أيام صدام

حسين باتت معدودة". (السفير، بيروت، الثلاثاء ٢٢ / ١٠ / ١٩٩٢). كما اعتبر "أن سيطرة الرئيس العراقي صدام حسين على الوضع في العراق بدأت تتراجع". (الحياة، لندن، الأربعاء ٨ / ٧ / ١٩٩٢).

(٢) الجمعة الرابعة والأربعون بتاريخ ٢٦ شوال ١٤١٩ هـ الموافق ١٢ / ٢ / ١٩٩٩م.

الوريث الوحيد في العالم لأستاذه، فكل الأسماء المعروفة من طلبته لم يُعرف عنهم نبوغ فكري شمولي، وكل ما استطاعوا حصاده من مدرسة أستاذهم يقتصر على جانب واحد أو اثنين في أحسن الأحوال، فهناك الفقيه وهناك الأصولي وهناك السياسي وهناك المهتم بالفلسفة، وهكذا، أما أن يوجد من يكون مؤهلاً ليس على كل هذه الأصعدة فحسب، بل تجاوزها لما هو أوسع وأدق، والارتقاء من حالات النظرية إلى حيز التطبيق، فهو مما لم ولن يتوفر من هذه المدرسة سوى السيد محمد الصدر، لأن الدور سيحين من بعده لمدرسته التي أكملت وطورت مدرسة أستاذه. كما أن جميع طلبة السيد محمد باقر الصدر كانوا يفتقرون إلى التنظير الخاص بهم للحركة الإسلامية، بينما السيد الصدر مكتشف قانون (ترابط الأجيال)، الذي لم يكتف بتعريفه بل كان رأسه في العقد الأخير من حياته.

- حدث الانتفاضة الذي يمكن القول أن الأقدار إنما قيضته من أجل السيد الصدر أولاً وبالذات، ففيه فشلت المرجعية الموجودة من إثبات سيطرتها وقيادتها، وأن الحدث كان أكبر منها بكثير، فتصدت له وتورطت ولم تستطع الخروج من ورطتها. وفي الجانب الآخر كانت اللحظة الأولى لظهور "الصدر" كفائد إسلامي للشوار وليس كمرجع بعد، ولم تكن الفرصة كافية طبعاً، ولكنها كانت مؤشراً وإلفات نظر.

- اقتراب آخر زعماء المرجعية التقليدية في الحوزة من الرحيل، إذ يعتبر السيد الخوئي من أطول المرجعيات عمراً، ولم يكن في النجف من يمتلك الثقل والشهرة اللذين تمتع بهما، ونلاحظ أن طول العمر أكسبه قدسية واحتراماً في الأوساط الشعبية في كل أماكن تواجد الشيعة من العالم، حتى قيل "إن ثلاثة أجيال من طلبته من المجتهدين" وهو قول لا يخلو من الصحة، وهو ما يصعب تحقيقه مرة أخرى لمرجع من نفس المدرسة إلا إذا عاش نفس المدة ومن دون منافسة، وفي فترة مشابهة لفتوته، وهو ما لا يمكن تكرره عبر التاريخ.

- كثرة المتنازعين على إرث السيد الخوئي بعد وفاته، مما أدى الى تفرق الجبهة الموحدة تحت مرجعيته أبان حياته، وفي الواقع أنها لم تكن موحدة حتى في حياة السيد الخوئي ولكن هيئته فرضت حالة من الصمت حتى على المعارضين والرافضين لمنهجه، أو سلوكيات حاشيته ومتعلقيه، وما أن توفي السيد الخوئي حتى ظهر ما كان كامناً فتفرقت الجبهة، وهذا ما أتاح الفرصة للسيد الصدر للانطلاق وسط هذا التنافس، واتضحت معالم انتصاره منذ الجولات الأولى، لأنهم لا يمتلكون ما يمتلكه وهم مجموعين، فكيف بهم وهم متفردون.

- ظهور مرجعية السيد عبد الأعلى السبزواري التي لا تتفق مع مرجعية السيد الخوئي ومدرسته، وبالرغم من قصر مدة تصديده إذ فارق الحياة بعد حوالي سنة، إلا أن وجوده القوي ساهم في إضعاف مرشحي مؤسسة السيد الخوئي، الذين لم يكونوا بمستوى يؤهلهم لمنافسته، فكانت فترة السيد السبزواري بمثابة الفترة التحضيرية لمرجعية السيد الصدر، فلم يتوجه ضده الآخرون لعدم تمثيله أي تحدٍ لهم بوجود السيد السبزواري، فكانت تلك الفترة بمثابة هدنة وفرصة لتعريف فضلاء الحوزة بما يمتلك على صعيد الفقه والأصول، واستقبال أعداد من الطلبة الجدد الذين سيشكلون نواة التحرك والاستعداد للمرحلة القادمة، وبالفعل فما بين تصدي السيد الصدر عام ١٩٩١ وحتى حركته الجماهيرية الواسعة عامي ١٩٩٧ و ١٩٩٨ مدة كافية لتأهيل دماء جديدة تلقّت ما يكفي من العلوم والتربية لقيادة المجتمع. وكان لبروز مرجعية السيد السبزواري وخروج المرجعية عن مدرسة السيد الخوئي هذه السنة فائدة في كون المرجع ليس محصوراً في مدرسة محددة أو شخص محدد.

رحيل الخوئي بداية التصدع وبروز مرجعية السبزواري :

ولكي تتضح لنا الرؤية لا بد من معرفة ما كان يدور داخل الأروقة ابتداءً من وفاة السيد الخوئي ليلة الأحد ٨ صفر سنة ١٤١٣ للهجرة الموافق ٩ / ٨ / ١٩٩٢.

بعد رحيل السيد الخوئي عام ١٩٩٢ حاول عدد من العلماء ورجال الدين التصدي للمرجعية، ولكن شهرة وكبر سن السيد عبد الأعلى السبزواري لم تترك أية فسحة للآخرين بالبروز، فالسيد السيستاني مرشح السيد محمد تقي الخوئي لم يجد مكاناً يتنافس فيه مع السبزواري، مع أن السيستاني أقام الصلاة على جثمان السيد الخوئي وهي إشارة مشهورة في الحوزة أن الذي يصلي على المرجع السابق يتولى المرجعية من بعده، وكذلك قيامه بالصلاة جماعة في السنوات الأخيرة من حياة السيد الخوئي في مصلى الأخير في مسجد الخضراء، ولكن لم يكن لهذا التقليد أثر عند نفس هذه المدرسة، فقد كان من ضمن الذين صلوا خلف السيستاني في صلاته على جثمان الخوئي أحد تلامذة الأخير البارزين وهو الشيخ (مرتضى البروجردي)، الذي تربطه بالسيستاني مصاهرة فزوج ابنته هو محمد رضا نجل علي السيستاني، فلم تؤثر هذه الصلاة في ترجيح كفة السيستاني عند البروجردي إذ تصدى للمرجعية وكان يدعو لتقليد نفسه، مع أن المساعدات التي يوزعها للطلبة من ميزانية السيد السيستاني. كما أن كبار طلبة السيد الخوئي أذعنوا بشكل وآخر لمرجعية السبزواري، ومن أشهرهم السيد علي البهشتي الذي كان أحد مرشحي المرجعية ولكنه زهد فيها، فكان السيد البهشتي أحد أعضاء مجلس الفتيا^(١) في مجلس السبزواري جنباً إلى جنب مع الشيخ علي الغروي أحد المراجع الكبار لاحقاً.

(١) يشار إلى أن البهشتي هو أحد أعضاء مجلس فتيا السيد الخوئي في حياته، وبعد وفاة السيد السبزواري لم

السبزواري^(١) ولد في مدينة سبزوار سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م، وتوفي صباح يوم ٢٦ صفر ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، تولى المرجعية العامة في النجف الأشرف لمدة عام واحد أي منذ وفاة السيد الخوئي في ٨ صفر ١٤١٣ هـ، ولكنه كان متصدياً للمرجعية قبل ذلك بكثير، ففي سنة ١٣٨٠ هـ بعد وفاة السيد حسين الطباطبائي البروجردى رجع إليه جماعة بالتقليد ولكن رسالته اقتضرت على اللغة الفارسية حينها كون مقلديه كانوا من أبناء مدينته سبزوار، ولكن بعد وفاة السيد محسن الحكيم سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م قام بطبع رسالته (منهاج الصالحين) باللغة العربية، وفي عام ١٩٨٨ م طبعت رسالته العملية (جامع الأحكام الشرعية) مطبعة الآداب في النجف الأشرف، كانت مرجعيته غير معروفة تماماً في الشارع العراقي في الثمانينات، وبعد نهاية الحرب بعد الانفراج والحرية النسيين بدأت تتوافد عليه الزوار كما مع غيره من علماء وفضلاء الحوزة فطبعت رسالته الآتفة، ولكن الذي زاده شهرة تفسيره (مواهب الرحمن في تفسير القرآن)، ويشهد له موقفه مع السيد محمد باقر الصدر حينما حاصرت قوات أمن النظام العراقي عام ١٩٨٠ قبل استشهاده، فهو من القلائل جداً الذين تحلوا بالشجاعة والشعور بضرورة مساندة موقف السيد الصدر. عُرف بزهده وتقواه وعزوفه عن طلب الشهرة، وكان من ذوي التوجهات العرفانية الذي نلمسه جلياً في تفسيره المشهور، وكان من مشايخ الرواية فروى عنه جمع من العلماء منهم السيد

=يشترك في أي نشاط في ظل مرجعية السيد السيستاني، وانزوى في عزلة حتى وفاته، ولم تصدر منه أية إشارة الى أعلمية السيد السيستاني أو حصر المرجعية به، وحسب الكثير من المصادر فهو أحد الذين عُرضت عليه المرجعية بدعم من مؤسسة السيد الخوئي ممثلة بالسيد محمد تقي الخوئي ولكنه رفض، ونشير هنا الى أن السيد عبد المجيد الخوئي هو صهر السيد البهشتي.

(١) تفاصيل حياة السيد السبزواري ومرجعته يمكن مراجعتها من كتاب السيد عبد الستار الحسيني (الطاف الباري من فحات الإمام السبزواري)، والسيد محمد حسن الطالقاني (صفحة من حياة الإمام السبزواري)، والسيد حسين نجيب محمد (جمال السالكين). إلا أنها أغفلت الجانب السياسي لمرجعية السيد السبزواري خاصة في الانتفاضة عام ١٩٩١ وهو أمر لم نفهمه.

محمد الصدر. برز اسمه في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ فكان أحد قطبيها بالاشتراك مع السيد الخوئي وتعرض للاعتقال بعد اقتحام قوات النظام للنجف الأشرف ولكن النظام لم يتجراً على المساس به كونه من المراجع المعروفين، ولكن أولاده الذين كان لهم دور في الانتفاضة هربوا باستثناء السيد علي السبزواري، أما السيد محمد ولده الأكبر والسيد حسين ولده الأصغر فقد غادرا عن طريق محافظة السماوة الى الحدود السعودية ومنها الى إيران، وهناك تعرض السيد محمد لحادث مروري توفي على إثره، أما السيد حسين فلأزال يسكن مدينة مشهد المشرفة حتى اليوم.

أجمع الشارع العراقي على اتباع مرجعيته ولم يكن هناك أي مجال لمنافسته من قبل كل المتصدين في العراق وخارجه، على الرغم من عزوف مؤسسة السيد الخوئي التي كان يديرها ولداه السيد محمد تقي والسيد عبد المجيد عن الدعوة لمرجعيته، واشتهر في أروقة النجف أن السيد محمد تقي الخوئي عرض على السيد السبزواري الدعوة الى مرجعيته على أن تبقى إدارة المؤسسة في لندن مع كل تفرعاتها في العالم ضمن وصية السيد الخوئي التي تنص على أن يكون السكرتير العام من أولاده فرفض السيد السبزواري، مما أدى الى توجه محمد تقي الخوئي الى دعم مرشح آخر هو السيد الكلبيكاني كما سنرى، ولم تكن هناك أية حظوظ للسيد السيستاني في ظل وجود السبزواري، كما أن مرجعية الكلبيكاني لم يكن لها أثر يذكر في العراق أيضاً.

وبعد وفاة الكلبيكاني والسيد السبزواري صار من الممكن طرح مرجعية السيد السيستاني، ولأهمية هذه المسألة لا بد من الإطلاع على تفاصيل وأسرار غير معروفة بالرغم من كونها منشورة، ولكن على نطاق ضيق، وهي مراسلات تشكل وثائق تاريخية عن هذه الفترة الغامضة وقد نشرت مرة واحدة فقط :

جاء في كتاب صدر عن مؤسسة السيد الخوئي في لندن بعنوان : (مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية. ١٤٠٩-١٤١٦ / ١٩٨٩-١٩٩٦م) وتحت عنوان : (استمرار الإشراف المرجعي) :

((كانت المؤسسة تعمل تحت إشراف آية الله العظمى الإمام الخوئي (قده)، وبعد رحيل سماحته الى جوار ربه في ٨ صفر ١٤١٣ تحول هذا الإشراف المرجعي الى المرجعية التي خلفته.

وقد تمّ الإتفاق في الإجتماع الإعتيادي التاسع لأعضاء الهيئة المركزية بتاريخ محرم ١٤١٤، على انطباق مواصفات المادة الخامسة من القانون الأساس على المرجع الراحل آية الله العظمى السيد الكلبايكاني (قده). وقد أرسلت المؤسسة في حينها، رسالة الى سماحته طالبة منه التكرم بالإشراف على أعمالها ومباركة نشاطاتها. وهذا نص الرسالة التي كان قد وجهها الأمين العام الشهيد السيد محمد تقي الخوئي:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الأعلى السيد محمد رضا الكلبايكاني "دام ظله" بعد إهداء أزكى التحيات وأخلص الدعوات لسماحتكم بدوام ظلكم الوارف على رؤوس المسلمين.

نود أن نخططكم علماً بأن المادة الخامسة من القانون الأساس لمؤسسة الإمام الخوئي الخيرية التي أنشئت من قبل المرجع الراحل آية الله العظمى الإمام السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي "رضوان الله تعالى عليه"، لما كانت تنص على أن (المؤسسة تعمل تحت إشراف المرجع الأعلى للطائفة سماحة آية الله العظمى الإمام السيد أبو القاسم الخوئي مادام في قيد الحياة، ومن بعده المرجع الديني الأعلى المعترف به من قبل أكثرية العلماء الأعلام بشهادة ما لا يقل عن ثلاثة أرباع أعضاء الهيئة المركزية للمؤسسة)، اجتمعت الهيئة المركزية بأعضائها الموقعين أدناه في جلستها الإعتيادية التاسعة بتاريخ ٢٦ محرم الحرام ١٤١٤، لتتقدم لسماحتكم باعتباركم المرجع الأعلى

للطائفة، ملتزمة بمواد القانون الأساس آملة الإشراف ورعايتكم الأبوية لهذه المؤسسة التي أخذ أعضاؤها على عواتقهم - منذ اختيارهم من قبل المرجع الراحل - خدمة الإسلام والمسلمين ونشر تعاليم أهل البيت عليهم السلام في مختلف بقاع المعمورة من خلال المراكز الإسلامية والمشاريع المتعددة في بريطانيا وأمريكا وفرنسا وكندا والهند والباكستان وتايلند وغيرها.

آملين من سماحتكم التأييد والمباركة التي ستساعد على استمرار المؤسسة في مشاريعها وخدماتها من خلال إشرافكم ورعايتكم الأبوية. راجين أن تشملونا بصالح دعواتكم، ودمتم ذخراً للإسلام والمسلمين. لندن في ٢٦ محرم الحرام سنة ١٤١٤.

محمد تقي الخوئي - الأمين العام

فاضل الميلاني - محمد علي الشهرستاني - محمد الموسوي - فاضل السهلاني - كاظم عبد الحسين - يوسف علي نفسي - محسن علي نجفي - عبد المجيد الخوئي.

وبعد رحيل آية الله العظمى السيد الكلبايكاني في ١٩ / ١١ / ١٩٩٣، ولغرض استمرار هذا الإشراف المرجعي، عقدت الهيئة المركزية للمؤسسة اجتماعها الإعتيادي العاشر بتاريخ شعبان ١٤١٤. وناقشت موضوع الإشراف المرجعي مرة أخرى، وبعد الإستماع إلى شهادة العلماء الأعلام، توصلت إلى انتقال مهمة الإشراف المرجعي إلى المرجع آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني "دام ظله"، وبناءً على ذلك توجهت الهيئة إلى سماحته برسالة تطلب منه الإشراف والمباركة لأعمال المؤسسة، وهذا نص الرسالة الموجهة لسماحته :

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني "دام ظله"،

بعد إهداء أزكى التحيات وأخلص الدعوات لسماحتكم بدوام ظلكم الوارف على رؤوس المسلمين. نود أن نحيطكم علماً بأن المادة الخامسة من القانون الأساس لمؤسسة الإمام الخوئي الخيرية التي أنشأت من قبل المرجع الراحل آية الله العظمى الامام السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي "رضوان الله تعالى عليه"، لما كانت تنص على أن (المؤسسة تعمل تحت إشراف المرجع الأعلى سماحة آية الله العظمى الامام السيد ابو القاسم الخوئي ما دام في قيد الحياة، ومن بعده المرجع الديني الأعلى المعترف به من قبل أكثرية العلماء الأعلام بشهادة ما لا يقل عن ثلاثة أرباع الهيئة المركزية للمؤسسة). وبعد وفاة سماحة آية الله السيد محمد رضا الكلبايكاني (قدس سره)، اجتمعت الهيئة المركزية بأعضائها الموقعين أدناه بجلستها الإعتيادية العاشرة بتاريخ ٨ شعبان ١٤١٤، لتتقدم لسماحتكم باعتباركم المرجع الأعلى للطائفة، ملتزمة بمواد القانون الأساسي، آملة الإشراف ورعايتكم الأبوية لهذه المؤسسة التي أخذ اعضاؤها على عواتقهم منذ اختيارهم من قبل المرجع الراحل خدمة المسلمين ونشر تعاليم أهل البيت عليهم السلام في مختلف بقاع المعمورة من خلال المراكز الإسلامية والمشاريع المتعددة في بريطانيا وأمريكا وفرنسا وكندا والهند والباكستان وتايلند وغيرها.

آملين من سماحتكم التأييد والمباركة التي ستساعد على استمرار المؤسسة في مشاريعها وخدماتها من خلال إشرافكم ورعايتكم الأبوية. راجين أن تشملونا بصالح دعواتكم، ودمتم ذخراً للإسلام والمسلمين.

لندن في ٨ شعبان سنة ١٤١٤ للهجرة الموافق ١ / ١٩٩٤ ؟.

الأمين العام

محمد تقي الخوئي

كاظم عبد الحسين، يوسف علي نفسي، محسن علي نجفي، عبد المجيد الخوئي، فاضل الميلاني، محمد علي الشهرستاني، محمد الموسوي، فاضل السهلاني.

وقد أشاد آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني بالخدمات التي تقدمها مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية. وقد ورد ذلك في رسالة وجهها السيد السيستاني الى الأمانة العامة للمؤسسة يعلن فيها استجابته لطلب الإشراف على أعمال المؤسسة. وهذا نص رسالة السيد كما ورد الى الأمانة العامة :

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة العلامة الحجة السيد محمد تقي الخوئي "دامت تأييداته" (الأمين العام لمؤسسة الإمام الخوئي الخيرية).
أصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة المركزية للمؤسسة "دامت توفيقاتهم".
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تسلمنا رسالتكم المؤرخة في ٨ / شعبان / ١٤١٤، ووقفنا على ما جاء فيها من طلب إشرافنا الشرعي على (مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية) تنفيذاً لما جاء في نص وقفيتها الشرعية في المادة الخامسة من نظامها الأساسي.

وإننا إذ نستجيب لطلبكم المشار إليه رعاية لما ورد في النظام الأساسي للمؤسسة، نحيطكم علماً بأننا قد أنبأنا عنّا في هذا الأمر سماحة العلامة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد مهدي شمس الدين "دامت تأييداته" لما نعهد فيه من الأهلية والكفاية والمقدرة على أداء هذه المهمة السامية، آمليين منكم التعاون التام مع سماحته ليتسنى له القيام بها على أكمل وجه. ونغتتم هذه المناسبة لنشيد بالخدمات الجليلة التي قدمتها المؤسسة الى اخواننا المؤمنين في مختلف بقاع العالم منذ بدء قيامها بأعمالها قبل عدة سنوات، تحقيقاً لتطلعات مؤسسها الراحل سيدنا الأستاذ آية الله العظمى السيد الخوئي "رضوان الله عليه"، سائلين الله تعالى أن يسدد خطى العاملين فيها، ويمنحهم المزيد من التوفيق والعون على السير في طريق الأهداف النبيلة التي توخاها الراحل الكبير من إنشائها، نشرأً للفكر الإسلامي وتعميقاً للوعي الديني وتربية

للأجيال الطالعة من النشئ المسلم، ملتزمين في ذلك كله بهدي الكتاب المبين والسنة الشريفة وفي ضوء ما أمر الله تعالى به من الحكمة والموعظة الحسنة. وإننا لنرجوا أن تكونوا بجدكم واخلاصكم مشمولين برعاية مولانا صاحب الأمر "أرواحنا فداء"، وأن تكون أعمالكم على مستوى الثقة الغالية التي أولاكموها السيد الأستاذ (قده) في إختياركم لإدارة هذه المؤسسة، جاعلين منها الأمثولة الرائدة للمؤسسات الدينية الخيرية، لتكون إحدى مآثر الإمام الراحل الكبير، وجلائل أعماله الصالحات. وأوصيكم في الختام بما أوصى السلف الصالح جمهور المؤمنين من ملازمة التقوى، واجتناب الهوى، واستحضار مراقبة الله من السر والعلن، والاستعانة بالورع والسداد في كل الخطوات والقرارات، إنه جَلَّ وعلا ولي التوفيق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٣ شوال المكرم ١٤١٤

علي الحسيني السيستاني^(١))).

واستمرت مؤسسة السيد الخوئي وفروعها في عدة مناطق من العالم بدعم مرجعية السيد السيستاني الى حدود سنة ٢٠٠٠ - ٢٠٠١، عندما حصل خلاف حاد بين ممثلي السيد السيستاني وعلى رأسهم السيد جواد الشهرستاني ممثله الأول خارج العراق وصهره، وبين السيد عبد المجيد الخوئي، ولم تتضح الأسباب الفعلية لهذا الخلاف^(٢)، مما حدا بالمؤسسة بعد سحب الشرعية منها من قبل السيد السيستاني

(١) مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية. ١٤٠٩-١٤١٦ / ١٩٨٩-١٩٩٦م) ص ١٦٥-١٧٠. د. مط.

(٢) لم يكن هذا هو الخلاف الوحيد فقد كان من بين أسرة السيد الخوئي من هاجم بقوة تفرّد عبد المجيد الخوئي وتصرفه بالأموال الطائلة وفق رغباته الشخصية، ومنهم سعيد علي الخوئي حفيد السيد أبو القاسم الخوئي، فقد ذكر في بيان بتاريخ ٦/٧/١٩٩٦ جاء فيه ((الى كافة المؤمنين الكرام - السلام عليكم. نعلمكم أن الامام الخوئي قدس سره قبل وفاته قد شكل لجنة من عدة أشخاص للإشراف على مؤسسة الخوئي الخيرية والأموال من الحقوق الشرعية في بنوك أوروبا. ولكن مع الأسف الشديد قد استبعدت اللجنة من الاشراف الحقيقي بعد وفاة الامام الخوئي قدس سره... الخ)). فائق الشيخ علي، اغتيال شعب، ص ١٦٣ و ٤٥٣.

مما حدا بالمؤسسة بعد سحب الشرعية منها من قبل السيد السيستاني باللجوء إلى دعم مرجعية الشيخ محمد إسحق الفياض، والإتفاق معه حول الإشراف على المؤسسة، وبعد مقتل السيد عبد المجيد الخوئي في النجف عام ٢٠٠٣ تمّ تنصيب السيد عبد الصاحب الخوئي أحد أبناء السيد الخوئي، ولما لم يكن السيد عبد الصاحب الخوئي من رجال دين فقد ارتدى الزي الديني بمباركة الشيخ الفياض، فأصبح أمين عام المؤسسة الجديد، وبعد انسحاب المؤسسة من الدعوة لمرجعية السيد السيستاني أصبح السيد مرتضى الكشميري صهر السيستاني ممثله وراعي شؤون مرجعيته في لندن.

((السيد السيستاني ولد في التاسع من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٩ هـ، في المشهد الرضوي المقدس.^(١))).

((في أوائل عام ١٣٧١ هـ هاجر من مدينة قم الى النجف الأشرف، فوصل كربلاء المقدسة في ذكرى أربعين الإمام الحسين (عليه السلام)، ثم نزل النجف فسكن مدرسة البخارائي العلمية وحضر بحوث العلمين الشهيرين آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي والعلامة الشيخ حسين الحلي (قدس سرهما) في الفقه والأصول، ولازمهما مدة طويلة، وحضر خلال ذلك أيضاً بحوث بعض الأعلام الآخرين منهم الإمام الحكيم والسيد الشاهرودي (قدس سرهما)).

وفي أواخر عام (١٣٨٠ هـ . ق) عزم على السفر الى موطنه مشهد الرضا (عليه السلام) وكان يحتمل استقراره فيه فكتب له أستاذه آية الله العظمى السيد الخوئي

(١) مؤسسة الغري للمعارف الاسلامية، علماء قيايون، السيد علي الحسيني السيستاني، ص ٧، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م، مطبعة زيتون، العراق - النجف الأشرف. أغفل المؤلف ذكر سلسلة نسب السيد السيستاني التي تنتهي الى أحد المعصومين، وهو جانب تعارف عليه العلماء من المنتمين الى النسب العلوي الشريف، ولم نعر عليها في مصدر آخر.

وأستأذه العلامة الشيخ حسين الحلي (قدس سرهما) شهادتين ببلوغه درجة الاجتهاد.^(١)

على أن المعروف عن الإمام الخوئي (قدس سره) أنه لا يشهد لأحد من تلامذته بالاجتهاد شهادة خطية، إلا لسماحة آية الله العظمى السيد السيستاني وآية الله الشيخ علي الفلسفي من مشاهير علماء مشهد المقدسة.^(٢)

وعندما رجع الى النجف الأشرف في أوائل عام (١٣٨١ هـ . ق) ابتداءً بإلقاء محاضراته (الدرس الخارج) في الفقه على ضوء مكاسب الشيخ الأنصاري.^(٣)

نلاحظ هنا أن الفترة الزمنية التي قضاها السيد السيستاني في النجف لا تكفي لمنح إجازة بالاجتهاد فضلاً عن أصل الحصول عليه في عرف مدرسة السيد الخوئي^(٤)، ولكن السر في ذلك أن المفترض أن كلاً من السيستاني والفلسفي أن يعودا بشكل نهائي الى بلدهما، فيكونان من دعاة مرجعيتهما، ويمارسان العمل الديني والاجتماعي وتمثيل المرجعية التابعان لها، فتم منح هذه الإجازة التي هي عادة ما تكون فخرية وشرفية، ومن هنا لم يمنح معظم العلماء إجازة الاجتهاد الى المقيمين في النجف الأشرف من علماء وفضلاء الحوزة، ومما يؤيد ذلك أن كلاً من السيستاني

(١) المصدر السابق، ص ١٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢. وفي جواب للسيد الصدر عن سؤال حول إجازة الاجتهاد، قال: (إجازة الاجتهاد ليست سبباً لوجود الاجتهاد، وإنما هي سبب للتعرف عليه، وهي في هذه الأيام قابلة للتلاعب والتزوير والضغط، مضافاً الى دخول الوهم والعناوين الثانوية لمن أعطاها، ولذا نراها بيد من ليس أهلاً لها قطعاً. غفر الله لنا ولهم. عباس الزيدي، السفير الخامس ص ٣٩٩.

(٣) المصدر السابق، ص ١١.

(٤) وهذا ما دأبوا على ذكره كاعتراض على اجتهاد الكثير من العلماء كالشيخ يعقوبي، وهذا ليس منطقاً مقبولاً فالمدار هو الكفاءة مع التحصيل، ولكن من فمك أدينك.

والفلسفي لم تكن لهم شهرة حوزوية على الصعيد العلمي أو كانت لهما أبحاث منشورة تشهد بدقتهم وسعة علمهما، فالتزم الفلسفي بالملكوث في مشهد، ولكن العودة السريعة للسيستاني الى النجف تثير أكثر من سؤال، فهو حسب ما قرأنا لم يستمر في رحلته ذهاباً وإياباً أكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر، بينما المسافة من النجف الى مشهد تحتاج الى أيام لقطعها، وبمجرد عودته تصدى للدرس الخارج، مع أنه لم يكن يلقي هذا الدرس الخاص بالمجتهدين عادة قبل رحلته الى مشهد، وهذا يعني أن السيد السيستاني كان يخطط للمرجعية منذ أمد بعيد جداً، وبذكاء فذ جاء بهذه الحركة لكي يستفيد بقوة لاحقاً من هذه الإجازة الفخرية. فهذه الإجازة مُنحت له في الرابع من شهر ذي الحجة^(١) أي في الشهر الأخير من السنة الهجرية، وحسب ما قرأنا فهو رجع في أوائل السنة اللاحقة، أي لم تتجاوز المدة شهرين أو ثلاثة بينما الرحلة تستغرق ذلك الوقت لوحدها أياماً عديدة، ولربما لم يغادر العراق أساساً. وتوجد شواهد على سلوك العلماء الكبار مثل هذا المسلك بمنح المهاجرين إجازة اجتهاد لتسهيل عملهم الديني والاجتماعي كما فعل السيد الشهيد محمد باقر الصدر عندما منح السيد محمود الهاشمي الشاهرودي إجازة خطية بالاجتهاد وهو الوحيد من بين طلبته في الحصول على هذه الإجازة، بينما كان من بين طلبة السيد الصدر من هو أعلم من الهاشمي كالسيد الصدر الثاني والسيد كاظم الحائري، اللذين كان من المفروغ منه كونهما من المجتهدين في حياة أستاذهما وقد ألقيا الدرس الخارج في حياته وبإجازته.

((نقل بعض أساتذة النجف الأشرف أنه بعد وفاة آية الله السيد نصر الله المستنبت (قدس سره) اقترح مجموعة من الفضلاء على الإمام الخوئي (قدس سره) إعداد الأرضية لشخص يشار إليه بالبنان، مؤهل للمحافظة على المرجعية والحوزة العلمية

(١) المصدر السابق، ص ٣١.

في النجف الأشرف، فكان اختيار سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام
ظله) لفضله العلمي وصفاء سلوكه وخطه.^(١))).

نلاحظ أن وفاة نصر الله المستبطل صهر الخوئي والمرشح من قبله للمرجعية من بعده
في سنة ١٤٠٥ هـ، وهي السنة التي حج فيها السيستاني بيت الله الحرام، وكذلك في

(١) المصدر السابق، ص ٢٥-٢٦. نلاحظ هنا أن السيد الخوئي لم يقم باختيار السيد السيستاني، ولكي يبقى
الأمر غامضاً قال المؤلف (اختيار) ولم يقل (اختار السيد الخوئي). وهناك الكثير من المبالغات والتهويلات
كما يتحفظ هنا أحد الطاعنين في السن في لقاء معه على الانترنت : ((فمنزل السيد السيستاني ليس ملكاً له بل
هو تابع لأحدى المؤسسات الخيرية ومازل سماحته يدفع إيجارها الشهري منذ ما يقارب ٥٤ عاماً. وقد عُدَّ
أحد أركان الفلسفة في القرن العشرين!!!!. ويعي السياسة الأوروبية وتطوراتها والتحديات التي تواجهها،
ويعي سياسة البلاد العربية، ويعي سياسة العراق خاصة بكل متغيراتها وظروفها وخباياها. وهو أزهّد الناس
وأكاد أقسم لك انه بلباسه الذي تردى فيه المرجعية منذ اليوم الأول، وهو يتناول الجشب من المأكّل حتى اني
في مرة من المرات جثت بفريق طبي دخلوا عليه وكانوا من المؤمنين المتدينين، وقلت له: سيدنا نحن نحاذر فرما
الدولة تضغط على بعض الأطباء وعلينا الحذر من السم ومن القتل ومن أمور كثيرة بيد الأطباء فعلها باكثر
من طريقة، وانت تعلم انك اذا بليت بعارض ونسأل الله ان لا تبلى، فهؤلاء الدكاترة طلاب علم وأهل
تقوى وهم موضع ثقة ولا علاقة لهم لا من قريب ولا من بعيد بالنظام، فابتسم وأجاب بالقول التالي وهذا
نصه: ليس عندنا من الأكل ما نمرض معه. اوضاع بسيطة جيدة وانا على اطلاع فيها خاص. حتى انه اصيب
بفقر الدم كما اخبرني الطبيب بذلك، فقلت له: سيدنا، وكان ذلك فيما بيني وبينه، قلت له: سيدنا عليك
بتناول قدح من عصير البرتقال أو قدح من عصير الرمان لأنني أرى صفرة على وجهك. فقال لي: الشعب
بهذه الحالة من الجوع والبؤس والفقر وأنا تريد مني أن أتناول عصير البرتقال، أو عصير الرمان! (هنا تجدر
الاشارة الى أن مكتب السيد السيستاني أول من دخلت إليه تكنولوجيا التبريد الحديثة (السبلة) في منتصف
التسعينات، في قمة الحصار والمجاعة العراقية). وولده الاكبر السيد محمد رضا السيستاني وهو من المجتهدين
العظام. ومن تعليماته ان الامريكي الجندي لو اشترى حاجة من احد الحوانيت فعلى صاحب الحانوت ان
يقول له متى تغادرون البلد؟. (أليس من الأولى أن يقول سماحته بنفسه ذلك للجندي الأمريكي ولا يكلف
المسكين صاحب الحانوت)). هذه مقتطفات فريدة من نوعها للقاء أجري مع الدكتور محمد حسين الصغير،
شبكة إرث العراق ١ / ٩ / ٢٠٠٤. ومنه نلاحظ عملية التمهيد لمحمد رضا السيستاني كونه (من المجتهدين
العظام).

السنة التي تلتها ١٤٠٦ هـ، مع أنه حجّ الى بيت الله سنة ١٣٨٦ هـ^(١)، وفي عرف العلماء يحجون الحجة الواجبة فقط إلا للضرورة، لكي يقللوا من صرف الأموال التي ينبغي رصدها لحاجة المحتاجين. ولكن هذه الرحلة التي جاءت بعد رحيل المرشح السابق أثير عنها أكثر من استفهام وأعطت بعض الانطباع عن ترتيب لم يكشف الى الآن.

كما أن الخوئي كان يأمل من بعده السيد محمد الروحاني وأعلن أن الروحاني لو كان في النجف لتركت كرسي البحث، ولكن حيل بين الروحاني وبين العودة الى النجف وهذه القضية غامضة أيضاً.^(٢)

(١) المصدر السابق، ص ٢٧.

(٢) ويروي السيد محمد حسن الطالقاني شهادة مهمة للتاريخ عن مثل هذه المسألة : ((ولا أزال أتذكر أنه لما ارتحل الى الجنان الزعيم الديني العظيم السيد أبو الحسن الأصفهاني سنة ١٣٦٥ وكنا من صغار الطلاب يومذاك، أتذكر أنه كان في النجف عشرات المجتهدين الراغبين والزاهدين وكان فيهم الأولياء والقديسون تقاً، والأساطين والفحول علماء، فماجت النجف وأصاب القوم ما يشبه الدوار، وهبت الرياح ميمناً وشمالاً، وبدأ العمل في السر والخفاء، ودخلت المصالح والأغراض الشخصية، والأطماع الدنيوية بل السياسة والسلطات الحكومية، وحدثت خلخلة في الكيان أدت الى تعدد المرجعيات، وكانت يومذاك عناصر من رجال الله يهتمهم أمره، ويدفع بهم الحرص على دينه أن لا يقفوا مكتوفي اليد، فعمد فريق منهم الى إعداد أربعين مسألة فقهية خلافية عويصة، مما تضطرب فيه الألباب وتضل الأفكار، ودونوها في ورقة قُدمت للجميع على السواء للإجابة عنها فأجابوا، وليس يعنيني الآن الحديث عن اختلاف الإجابات وتفاوت الدرجات، بقدر ما يعنيني أن أحفظ بقلمي وقلبي يقطر دماً أنها لما قُدمت الى الإمام شيخ الإسلام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء أجاب عنها باللمحة على جري القلم وكأنه يجيب عن رسالة مجاملة، لأن فقه آل محمد (عليهم السلام) كان في صدره، ولا يعنيني هذا أن أقول أيضاً فقد ذهب وذهبوا ونحن ذاهبون عما قريب، والذي يهمني أن أقوله وأن ألفت نظر القارئ إليه أنه كتب بعد الإجابة :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ صدق الله العلي العظيم.

وقد توفي بعض المراجع وأنا كبير السن لكنني أبالغ إذا قلت - جازماً - بأنني كنت من أهل التمييز، فدخلت A

بداية حركة السيد الصدر و تطورها :

يمكن القول من دون تردد أن السيد الصدر من كبار قراء التأريخ وله في هذا الاتجاه الكثير من النظريات والآراء، وهو أحد العباقرة النادرين الذين كانت لهم نظرية في سنن التاريخ، وتفصيلها في كتابه المهم (اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني)، لذلك لاحظ بسهولة أن النظام بدأ يضعف ويقلل من الضغط على المرجعية والحوزة في النجف والحركة الإسلامية في العراق عموماً، واتضحت معالم هذا الضعف ابتداءً من عام ١٩٨٦، وبالتحديد بعد الهزائم التي مني بها على جبهات الحرب مع إيران، ففي هذا العام سيطرت القوات الإيرانية على الفاو في البصرة جنوب العراق واستقرت هناك لعامين آخرين، وصار واضحاً أن الغرب يستهدف إطالة أمد الحرب الى الوقت الذي يراه مناسباً، وذلك عندما ظهرت قضية إيران - غيت، ووصول الأسلحة الأمريكية الى إيران، فشعر صدام عندها بخطورة الموقف وحجم الورطة التي سقط فيها، وأنه لعبة لتحقيق الأهداف الأمريكية في المنطقة، فهي لا تدعمه دولياً

=ومع زميلين على المجتهد الأكبر الشيخ حسين الحلبي "رحمه الله" فسألناه عن رأيه في المرجح من بين المقلدين واللائق منهم للمرجعية العامة، فزجرنا وعبر عن نفسه تعبيراً لا يليق بمكانته العلمية، أنه قال : حسين الأعور ملقى هنا، فما يدريني بما تسألون عنه؟. فقلت له : إننا لا نريد أن ندعو الناس أو نروج أحداً، وإنما نحرص على معرفة تكليفنا الشرعي عليم الله، ومشايخنا اليوم كلهم زملاؤك عشت معهم عشرات السنين، واختبرتهم منذ عهد أستاذك النائي حتى الآن، ولا شك أنك تفضل بعضهم على بعض، وترجح واحداً على آخر. فضحك وقال : كان لأحد طلبة العلم في حجرته في المدرسة الدينية قطعة جميلة ألوفة ساكنة، فسأله يوماً زميل له قائلاً : إن قطتك مؤدبة حقاً ولكن قل لي هل هي أمينة أم لا؟، فقال : والله لم يكن عندي يوماً من الأكل ما يفيض عن حاجتي لأتركه عندها وأجرها. وأنا عرفت هؤلاء وعاشرتهم أيام كانوا فقراء مثلي، أما اليوم وقد أصبحت الأموال تغدق عليهم من الأطراف، فلا أعرف عنهم شيئاً. وطلب منا أن نتركه فتركناه ونحن نشني على ورع الشيخ الذي توقف في العدالة لا الأعلمية التي هي ثابتة عنده حتماً. محمد حسن الطالقاني، صفحة من حياة الإمام السبزواري، ص ٣٥ - ٣٧.

لتقويته، ولم تعتبره يوماً حليفاً استراتيجياً كما كان يتوهم، فأصدر النظام عفواً عن عدد كبير من المعتقلين السياسيين من أعضاء الحركة الإسلامية، ولكنه زجّ الذين ضمن السنّ القانونية للتجنيد الإلزامي منهم في الحرب بعد الإفراج عنهم، وانخفضت بصورة ملحوظة نسبة قرارات الإعدام الصادرة بحق المعتقلين السياسيين، ويبدو أن النظام بات يشعر بالخطر من سقوطه فقد أثبت الإيرانيون أنهم خصم عنيد لا يمكن تجاوزه بسهولة، فدفع بكل قواته على جبهات القتال، في نفس الوقت كانت حسابات النظام أن أي تحرك شعبي من داخل العراق بإمكانه القضاء عليه، ويعلم النظام بوضوح أيضاً أن هذا التحرك لو أتى فإن مصدره وقيادته حوزة النجف الأشرف، فحرص على تخفيف الضغط ومنح حرية نسبية من خلال السماح بإطراد بطباعة الكثير من إصدارات الحوزة مما كان معظمه ممنوعاً تماماً قبل ذلك، منها:

طبع للسيد عز الدين بحر العلوم عدة كتب منها :

(أضواء على دعاء كميل)، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٨٧ و ١٩٨٨.

(الزواج في القرآن والسنة)، ١٩٨٦.

(الانفاق في سبيل الله)، مطبعة العلي، بغداد، ١٩٨٨.

(الطلاق أبغض الحلال عند الله) مطبعة العلي، بغداد، ١٩٨٨.

(بحوث فقهية في محاضرات آية الله حسين الحلبي)، النجف، ١٩٩١.

(اليتم في القرآن والسنة)، مطبعة وأوفسيت منير، بغداد، ١٩٨٧.

والشيخ محمد حسن آل ياسين طبعت له عدة مؤلفات عام ١٩٨٧، في العقائد والتاريخ وغيرها، ومنها سلسلة الصحابة طبعت جميعها بمطبعة الديواني في بغداد منها :

(جعفر بن أبي طالب)، (حمزة بن عبد المطلب)، (زيد بن حارثة)، (سعد بن الربيع)، (سعد بن معاذ)، عبد الله بن رواحة)، (مصعب بن عمير).

ومحمد تقي الشيخ راضي :

(الحاوي لمهمات المسائل الفقهية)، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٦.

والسيد حسين الصدر، طبعت له كتيبات عديدة وكلها في بغداد.

والشيخ محمد جعفر الكرباسي، طبعت له عدة مؤلفات معظمها في النجف الأشرف ما بين عام ١٩٨٨ - ١٩٩٠.

والسيد عبد الأعلى السبزواري :

(مواهب الرحمن في تفسير القرآن)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، عدة أجزاء ما بين عام ١٩٨٤ - ١٩٩٠.

رسائله العملية (جامع الأحكام الشرعية)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٨٨.

(مذهب الأحكام)، ٣٠ جزء، طبعت ما بين ١٩٨٣ - ١٩٨٩، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

والسيد محمد رضا الخلخالي، (معتمد العروة الوثقى) ١٠ أجزاء، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٨٥ و ١٩٨٦ و ١٩٨٧.

والشيخ مرتضى البروجردي، (مستند العروة الوثقى)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٨٦.

والسيد محمد تقي الخوئي، (مبادئ العروة الوثقى)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٨٦.

والسيد أحمد الحسني البغدادي، (بحوث في الاجتهاد)، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٩١.

والسيد محمد كلانتر، عدة تأليفات وتحقيق، وكلها طبعت في بغداد والنجف الأشرف.

أما بعد الإنتفاضة فقد تيسر للجميع من دون استثناء أن يطبع كتبه من دون موافقة السلطات، ومنهم من كان يطبع كتبه في بيروت وإيران وتسمح له السلطات العراقية بشحنها الى العراق بأية كميات كانت، كمؤلفات السيد السيستاني والسيد محمد سعيد الحكيم، اللذان كانت كتبهما توزع مجاناً، بينما كان واضحاً أن الكثيرين لم تكن عندهم القدرة المالية لطباعتها هناك، فكانوا يلجأون الى مطابع النجف الرخيصة.

ولاحظنا فيما سبق كيف أن النظام توجه الى زعيم الحوزة في حينها السيد الخوئي طالباً منه إصدار بيان يستنكر فيه رفض إيران إيقاف الحرب عام ١٩٨٦، وهذا الطلب بحد ذاته يؤكد مدى قلق النظام وتصاعد ضغوط وتنازع الحرب عليه، ومع عدم استجابة النجف لمطالب صدام بالرغم من كل السنوات التي قضاها بسعيه الحثيث لاستئصال الحركة الإسلامية، تبين له بما لا يقبل الشك عدم قدرته على إخضاع الحوزة، حتى المرجعية التي ليست لها تطلعات سياسية أو تشكل خطراً مباشراً عليه، فكان أفضل سبيل هو التخفيف عن الحوزة بعد أن لم يتبق من يخاف النظام منه، خاصة أن طلبة السيد محمد باقر الصدر لم يتبق منهم في العراق سوى السيد محمد الصدر، الذي كان تحت الإقامة الجبرية ولم يكن له أي نشاط اجتماعي أو سياسي في حياة أستاذه، وانحسار وجود المعارضة السياسية الإسلامية تماماً من العراق، يضاف الى ذلك تصاعد الإعلام العالمي ضد ممارسات النظام القمعية، وملاحقة منظمات حقوق الإنسان لممثليه في الأمم المتحدة، وتهالك ميزانية النظام وضخامة الديون التي أنفقت على الحرب حتى تجاوزت ٧٠ مليار دولار، وانخفاض

دخل الفرد العراقي الى حدود باتت تنبأ بتعاظم نسبة الفقر مما أدى الى نشوء عامل نقمة شعبية آخر يضاف الى ما سبق.

وبعد أن توقفت الحرب عام ١٩٨٨ بات النظام غارقاً في الديون، وتضاعف أعداد العاطلين عن العمل لبلد لم يكن منتجاً عبر تاريخه الحديث في قطاع الصناعة، ولم يكن العراق يمتلك الوظائف والأعمال التي تكفي ١٠٪ من أفراد الجيش الذين تسرحوا من الخدمة أو كادوا.

وجد النظام نفسه بعد انتهاء الحرب - إضافة الى ما سبق - محاطاً بالمؤامرات التي تستهدف القضاء عليه، وبدأ يشعر بالارتياح من أقرب أعوانه فقام في عام ١٩٩٠ بتصفية (عدنان خير الله طلفاح) ابن خاله الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع، وتصفية رفيقه القديم وكبير حمايته الشخصية (صباح مرزة)، وغيرهما، ثم وجد نفسه في مصيدة احتلال الكويت وما نتج عنها من حصار اقتصادي وسياسي، ثم حرب الخليج الأولى والانتفاضة عام ١٩٩١، ودخول العراق تحت البند السابع الذي يجعله خاضعاً سياسياً واقتصادياً لإرادة الأمم المتحدة، وخروج شمال العراق من سيطرته مما جعله مقراً قريباً للعشرات من أحزاب المعارضة القديمة والجديدة.

ومنعت طائرات النظام من التحليق فوق منطقة محظورة امتدت شمال خط العرض ٣٦، وجنوب خط العرض ٣٢، وفي أواخر عام ١٩٩٦ تم توسيع منطقة الحظر الشمالية الى خط ٣٣، التي كانت أقرب الى بغداد، ونلاحظ أن الحظر فوق المنطقة الشمالية واعتبارها منطقة آمنة بدأ عام ١٩٩١ بعد الانتفاضة^(١)، بينما بدأ الحظر فوق المنطقة الجنوبية اعتباراً من الخميس ٢٧ / ٨ / ١٩٩٢، وهذا يلقي بظلاله على عدة

(١) أعلن في واشنطن ولندن أن الإدارة الأمريكية وبريطانيا والاتحاد الأوروبي يسعون في مجلس الأمن الى فرض منطقة حماية للأكراد في شمال العراق. صحيفة النهار، بيروت، الخميس ١٠ / ٤ / ١٩٩١. عن : الحرب على العراق، يوميات - وثائق - تقارير، ١٩٩٠ - ٢٠٠٥، ص ٤٦٣.

تساؤلات، فلماذا تأخر الحظر عن المنطقة الجنوبية كل هذه المدة، ولماذا لم تخصص منطقة آمنة في الجنوب؟، والحال أن الأضرار التي حاقّت بجنوب العراق أكبر وأكثر بكثير مما وقع في الشمال، وقد كانت حجة الحظر هي حماية المدنيين العراقيين من بطش صدام، وجواب هذا التساؤل أن الانتفاضة في جنوب العراق ذات طابع وتوجهات إسلامية بخلاف الانتفاضة في الشمال، فكانت الحاجة إلى إبقاء القوة الجوية لصدام على حالها في الجنوب لقمع أي تحرك مرتقب.

وصار القصف الأمريكي متوقّعاً بمناسبة ودونها كما في ١٧ شباط ١٩٩٣، و٢٩ آيار ١٩٩٣، و٣ أيلول ١٩٩٦، والعمليّة الجريئة التي استهدفت عدي الابن الأكبر لصدام في قلب بغداد، التي أدّت إلى إصابته بإعاقة دائمة، وجاء بعد ذلك قانون تحرير العراق الذي أقرّه الكونغرس الأمريكي عام ١٩٩٨.

كل هذه العوامل ساهمت في إضعاف النظام وتراخي قبضته التي لاحظها السيد الصدر كما قلنا، وجاء إطلاق سراح عدد كبير من السجناء السياسيين في العفو الذي أصدرته الحكومة العراقية في ١٩٩١/٧/٢١ والأشهر اللاحقة من نفس السنة، على رأسهم السيد محمد سعيد الحكيم وكافة أفراد أسرته ممن تركهم النظام على قيد الحياة ليعزز هذا الضعف، ويُعدّ تصدي السيد محمد سعيد الحكيم للمرجعية بعد أقل من سنة على إطلاق سراحه دليل واضح على ضعف النظام وتهاوله أو مهادنته مع الحوزة. لوضوح أن سبب اعتقال أفراد هذه الأسرة العلمائية كان لقرابتهم من السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، الذي كان يعد إلى حدود ١٩٩٧ - ١٩٩٨ أخطر جهة معارضة لنظام صدام، ولم يتغير شيء من أهداف (المجلس الأعلى) المعلنة ذلك الوقت التي على رأسها إسقاط النظام، فتكون خطوة إطلاق سراح أسرة الحكيم تهدف إلى تهدئة الأجواء المشحونة في الداخل، وإرسال رسالة تودد وتخفيف الحدة مع حوزة النجف والشعب العراقي عموماً ولإيران والمعارضة الإسلامية خارج العراق. والهدف هو تقليل الجبهات

المعادية التي يتوجس النظام منها، وأخطرها هي أقربها أي إيران وحوزة النجف.

وأبعد من ذلك، فقد نتج عن ضعف النظام أن خفّت الضغوط على التنظيمات الإسلامية ومقرات المعارضة الإسلامية في جنوب العراق، وأصبح أعضاء هذه التنظيمات يمتلكون من حرية الحركة أكثر من السابق بكثير، فراجت مقراتهم في أهوار الجنوب، وفي صحراء السيد أحمد الرفاعي أو ما يسمى بالمثلث (الكوت، الناصرية، العمارة). وتنقلاتهم داخل المدن أخذت بالازدياد نتيجة لا مبالاة سيطرات (نقاط) التفتيش ومقرات حزب البعث التي ترهلت وأصبحت كفزاعات المزارع لا تنفع ولا تضر. واستطاع أفراد مقرات المعارضة أن يتغلغلوا بسهولة لكسب أعداد من منتسبي الأمن أو أعضاء حزب البعث مقابل أثمان زهيدة، أو دون مقابل أحياناً، بعد أن كان اختراق هذه الأجهزة عسيراً جداً في الثمانينات.

لم تكن الجهات الإسلامية هي الوحيدة التي لاحظت ضعف النظام بعد الانتفاضة، فهناك من كان يعيش على مائدته لكنهم شعروا بثقله عليهم واحترق أوراقه وقرب نهايته، فتخلى عنه ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية، وبدأ أفراد (منظمة مجاهدي خلق) ينسلّون جماعات وأفراداً أما إلى أوروبا أو يعودون إلى إيران نادمين بعد أن أصدرت الحكومة الإيرانية أكثر من قرار عفو عنهم، وعلى رأسهم مسعود رجوي زعيم هذه الجماعة البائسة وزوجته مريم رجوي اللذين لجئا إلى فرنسا. ولا ننسى ما أثمرته الانتفاضة من زعزعة قوة وهيبة النظام فقد كانت أجهزة الأمن ومقرات حزب البعث مصدر القوة داخلياً للنظام، ولكن بعد الانتفاضة عام ١٩٩١ عملت هذه المقرات والأجهزة بتوجيه من رأس النظام بكل ما تستطيع لمحاولة كسب رضا الشارع العراقي أو تحاشي إثارة غضبه بعد اليأس من كسب ولاءه وتعاطفه، ومن ناحية أخرى شعر الشعب العراقي بتخوف السلطة من إثارته، وهذا بدا واضحاً من خلال تصرفات أعضاء حزب البعث ومنتسبي الأمن.

((فقد أفرزت الانتفاضة عدة نتائج مهمة من كسر حاجز الخوف والرعب الذي كان يملك به النظام نفوس الناس أكثر من مؤسساته ورجاله، وأثمرت الانتفاضة شجاعة كبيرة لدى الشعب، وازدهر التوجه الديني وأصبحت النجف الاشرف والحوزة العلمية ومكاتب المرجعية تشهد إقبالاً واسعاً من الناس، وتصاعد الوعي الاسلامي وتداول الكتب والنشرات بما فيها الممنوعة التي كانت تستنسخ سراً، وهذه العوامل وغيرها دفعت النظام الى أن يغيّر سياسته مع الحركة الدينية على الصورة التي تعامل بها مع الحركة أبان مواجهتها للسيد الشهيد الصدر الأول "قدس سره"^(١))).

ويؤكد لنا الشيخ اليعقوبي أيضاً : ((استطاع السيد الصدر بحكمته ونظرته الثاقبة أن يتعرف على واقع السلطة القائمة وما تفكر به، والأساليب التي يمكن اتباعها من دون استفزازها، وعرف الكثير أيضاً من خلال استجوابه في معتقل الرضوانية بعد الانتفاضة (عام ١٩٩١)، وحقق معه عدد من كبار الضباط. كما نقل لي (قدس سره)، وعرف من خلالها السياسة الجديدة التي سيتبعها النظام مع المرجعية والحركة الإسلامية وعموم علاقته بالشعب العراقي، والتي بدت واضحة على تصرفات النظام مع المرجعية والحوزة العلمية والشباب المؤمنين خلال التسعينات، لذا استطاع (قدس سره) ان يسحب البساط بهدوء من تحت النظام ويفقده قدرته على السيطرة على ضبط الجماهير الى أن تفاجأ النظام بحركته^(٢))).

ويكفينا دليل على تردد السلطة وضعفها عدم تعرضها للسيد محمد تقي الخوئي الذي كان سكرتير اللجنة المعروفة بالانتفاضة، لسنوات ثلاث بعد الانتفاضة، واستمرار مؤسسة السيد الخوئي بمهاجمة النظام من خارج العراق، خاصة في النشرة التي تصدرها المؤسسة (مجلة النور) التي كان يشرف عليها شقيقه السيد عبد المجيد

(١) الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه، ص ٣٥٣- ٣٥٤.

(٢) الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه، ص ٣٥٢.

الخوئي، رغم أن النظام حاول في عدة مناسبات الضغط عليه ولكن من دون استجابة منه للضغوطات، واستمر في تحديه، ولم يكن ليدور في خلد السيد محمد تقي الخوئي أن يتحدى النظام ولو بنصف كلمة قبل الانتفاضة، ولكنه لاحظ ضعف السلطة واتساع الضغوطات الخارجية عليها، فاستمر بنشاطه المعتاد لدعم مرجعية السيد السيستاني وتوجيه وكلاء أبيه بما يساهم في توسيع هذه المرجعية، واستغلال الميزانية الكبيرة من أموال الحقوق الشرعية التي تركها السيد الخوئي بعد وفاته لجذب طلبة الحوزة ومحاولة ثنيهم عن الاتصال بالسيد الصدر بأي صورة، بينما عانى السيد الصدر من قلة الموارد المالية حتى اليوم الأخير من مرجعيته، ولم يزد راتب الطلبة في مراحل المقدمات والسطوح على ٦٥٠٠ دينار عراقي (أي ما يعادل ٤ - ٥ دولار أمريكي). كما أن مؤسسة الخوئي باشرت منذ اليوم الأول لتسلم السيد الصدر لمقالات الحوزة عام ١٩٩٢ بمهاجمته والطعن فيه واتهامه بشتى التهم، ولم تتخل عن منهجيتها هذه حتى اليوم الأخير من حياته. وفي نفس الوقت كان السيد محمد تقي الخوئي ينال بأسلوبه الخاص من كل من تسول له نفسه التصدى للمرجعية، وهذا ما كان واضحاً ظاهراً ضد السيد السبزواري ثم الغروي.

واستطاعت مؤسسة الخوئي أن تضغط على النظام من خلال المؤسسات والمنظمات الدولية التي كانت وثيقة الصلة بها، ولكن هذا الضغط لم يكن ضرورياً خاصة وأن المؤسسة لا تشكل أي خطر يذكر على النظام سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية لأنها كانت ولا تزال تتخذ المسلك الخاص الذي سارت عليه مرجعية السيد الخوئي، وهو مسلك عرف عنه الميل الى السكوت وعدم التصادم، وتروي لنا مؤسسة السيد الخوئي مختصراً عن هذا الصراع :

((كان النظام تنبه الى المركز الحساس الذي تسنمه الفقيه والى نشاطه اللولبي حتى قبل رحيل والده، فتعرض الى الكثير من المضايقات التي ازدادت حدة، وازداد معها عنف التهديدات في الآونة الأخيرة حيث استدعي مراراً للمثول أمام الطاغية

وأجهزته في بغداد، حيث تلقى تحذيراً من مواصلة نشاطاته. لكن الفقيه لم يعباً بتهديدات السلطة التي اشتدت في الآونة الأخيرة حيث استدعي الى بغداد للاستجواب وهدد بصورة مباشرة بالتوقف عن نشاطاته والضغط على المؤسسة للتوقف عن نشاطاتها.

ونتيجة للعمل الدؤوب الذي قامت به المؤسسة بدأت البرقيات من قبل الشخصيات والمؤسسات الإسلامية والدولية ترد ضاغطة على نظام بغداد مطالبة إياه بالإفراج عن المعتقلين وإعطاء الحوزة العلمية الحرية في أداء دورها الحضاري، كما طالبت بضمن سلامة السيد محمد تقي. وصدرت عن الكثير من هذه الشخصيات والمؤسسات، وفي مقدمتها مجلس الأمن الدولي بيانات بهذا الخصوص. لذا لم يجرأ النظام العراقي ولفترة طويلة على اعتقال السيد أو مسه بأذى مباشر، الى أن فكر في طريقة أخرى مألوفة للنظام تمثلت في حادث تصادم مفتعل وفي شارع عريض ذي اتجاهين.

كان الشهيد قد تقدّم قبل ستة أسابيع من اغتياله بطلب رخصة للسفر الى خارج العراق إلا أن طلبه رفض بعنف، واستدعاه محافظ النجف قبل أسبوع من اغتياله حيث هدده وتوعده مشيراً الى أن الحكومة العراقية قادرة على إلحاق الأذى به متى شاءت وبطرق مختلفة رغم وجود الحماية الدولية والبيانات الصادرة بشأنه.^(١)

ولم يتخذ محمد تقي الخوئي أية حيلة في تعامله مع النظام بعد أن اطمأن الى قوته خارج العراق، وأصبح من المتيسر الضغط على نظام صدام بواسطة :

(١) الشهيد محمد تقي الخوئي، ص ٣٨ - ٣٩. ولم يثبت الى الآن كون الحادث من تدبير النظام، وإنما قيل ذلك لإضفاء القداسة كما دأبوا على ذلك في العديد من المناسبات المشابهة، والمعروف أن الحادث كان بسبب السرعة الفائقة لا غير.

((المبعوث الخاص للأمم المتحدة في العراق (صدر الدين آغا خان) الذي زار السيد الخوئي شخصياً بعد الانتفاضة في منزله بالكوفة، ومركز حقوق الإنسان في جنيف ونيويورك، واليونسكو (نيويورك)، بالإضافة الى لقاءات واسعة مع سفراء بعثات الدبلوماسية لأكثر من ثلاثين دولة في الأمم المتحدة، وكذلك بعض أعضاء مجلس الأمن، إضافة الى إجراء العديد من اللقاءات والاتصالات مع منظمات طوعية مهتمة بشؤون حقوق الإنسان والحقوق الدينية في العراق، والمنظمات المعنية بالمساعدات الإنسانية^(١))).

تصدى السيد الصدر بعد وفاة السيد الخوئي لاستلام المدارس وقبول الطلبة الجدد^(٢)، في الوقت الذي رفض فيه أي من العلماء أن يتحمل هذه المسؤولية، والسبب الرئيسي للرفض هو تخوفهم من غضب محمد تقي الخوئي من ناحية وأن يحلّ بهم ما حلّ باللجنة التي شكلها السيد الخوئي في الانتفاضة، إذ لم تعد الأوضاع مطمئنة، ففي حال وقوع أي تفجير ثان للأحداث ستقع مسؤوليتها على المتصدي لشؤون الحوزة كما وقعت مسؤولية الانتفاضة على السيد الخوئي كما رأينا مما أدى الى اعتقاله مدة ثلاثة أيام واعتقال كل علماء وفضلاء حوزة النجف تقريباً، وإعدام معظم أعضاء اللجنة، ولولا ما يمتلكه السيد الخوئي من ثقل دولي لكان مصيره كمصير لجنته.

ومن الواضح أن الحوزة هي رأس الأمر في كل حدث جماهيري شاءت أم أبت،

(١) مؤسسة الامام الخوئي الخيرية ١٩٨٩-٢٠٠١. ص ٣٠ و ٧١.

(٢) بعد ممانعة من قبل محمد تقي الخوئي الذي كان مسيطراً تماماً على كل مدارس الحوزة في النجف، ولم تكن تحت يد السيد الصدر سوى مدرسة "الشبرية" بسبب العلاقة الوطيدة بين أسرة آل شبر وأسرة الصدر، وعين السيد الصدر متولياً عليها الشيخ محمد اليعقوبي الذي استمر لسنوات في ذلك. ولم تسلم المدارس الى السيد عبد الأعلى السبزواري كذلك طيلة حياته، وبقيت بيد محمد تقي الخوئي حتى وقت قريب من موته.

فمن البديهي أن الجماهير ستلجأ إليها لتفتي لها في كل تفاصيل تواجدها، ويقع على عاتقها تنظيم أمور المجتمع في أية فوضى محتملة، ومهما كان رد فعل الحوزة حينها فستكون مسؤولة مباشرة، فأما أن تتحمل عواقب المسؤولية أو تقف بوجه الجماهير فتكون خاسرة في كل الأحوال، ورأينا كيف اضطر السيد الخوئي للتصريح ضد الانتفاضة والثوار بعدما اعتقله النظام وأرغمه على الظهور على وسائل الإعلام.

ولهذا السبب عزف كل العلماء عن تسلّم مسؤولية الحوزة. يضاف إليه سبب آخر بدرجة أقل وهو التخوف من عدم القدرة على التعامل مع النظام بعد أحداث الانتفاضة، فهل سيقدرّون على رفض مطالبه في حال طلب منهم شيئاً ما، أو فرض عليهم أمراً ما؟، إذن سيحل بهم ما حلّ بالسيد الخوئي من مضايقات وقمع له ولطلابه وحاشيته قد تصل الى درجة القتل، وهم يعلمون أنهم لا يملكون ما يملك السيد الخوئي من ثقل إسلامي ودولي مع ذلك فهو لم ينج من العقوبة والمضايقات والتنكيل، فكيف بهم وهم لم يبلغوا عشر مقدار ما بلغه أستاذهم الخوئي. وهذا كله ناتج من سوء تقدير الوضع المزري الذي وصل إليه النظام، وعدم قراءة المستجدات على الساحة العراقية والإقليمية والدولية بصورة صحيحة كما لاحظنا فيما سبق، فالأمر يحتاج الى شجاعة قد تؤدي الى التضحية بالنفس وهو ما لم يكونوا مستعدين له يوماً من الأيام. وليس هذا القول تنكيلاً بأحد، فإن مسلك الحوزة السائد هو عدم التورط بما قد يؤدي الى الصدام، فالحفاظ على الأنفس هو المهمة الأولى للمرجعية، وإن احتمال حدوث قلاقل جديدة وارد جداً، فالأسلم هو ترك الأمور على ما هي عليه حتى تأخذ انسيابيتها بمرور الوقت. وهنا يختلف السيد الصدر معهم جذرياً، فهو لا يختلف معهم في أن الحفاظ على الحياة هو الأهم، ولكن لا يمنع ذلك من استغلال فرصة ضعف النظام لنشر الفكر والوعي والعلوم الاسلامية، كما أنه يصرح في أنه لم ولن يخالف التقية، إلا أن فلسفته هي إقامة معادلة لترجيح الأهم على المهم، فإذا كان حفظ النفس هو الأهم قدّمه على التضحية، وإذا كانت التضحية

تنتج وتقدم خدمة للإسلام والمجتمع تكون أهم من حفظ النفس. قال في حديث له مع طلبته في البحث الخارج :

((التقية واجبة بطبيعة الحال، وأنا لم أسقط وجوب التقية كما يزعمون. وإنما التقية لها موضوع ولها محمول، متى وُجد موضوعها وُجد محمولها، سواء على السيد محمد الصدر أو غير السيد محمد الصدر، وهو أمام أمرين أن المحتمل راجح والاحتمال راجح للضرر، وأنتم متفقهون تفهمون هذه اللغة، فإن كان شيء من هذا القبيل فالتقية واجبة، وفعلاً أنا أقف عندها، يجب على أي واحد أن يقف عندها، وأما إذا كانت المسألة ليست هكذا، أما الاحتمال ضعيف وأما المحتمل ضعيف، وأما كلاهما موجود ولكن بنسبة واحد الى المليون، أي احتمال تحليلي دقي من الخوف أو من الضرر - سبحانه الله - كما هو الأعم الأغلب في الكثير من الأمور النافعة البسيطة، ففي مورد ليس فيه تقية لا يكون العذر موجوداً، يعني المقتضي للتكليف موجود كما هو واضح، والمانع وهو التقية مفقود كما هو مفروض أيضاً))^(١).

وفي كل الأحوال فإن كلام السيد الصدر هذا عن التضحية ، أي، التضحية بنفسه إذا اضطر الى ذلك، وليس عن أنفس المجتمع، فهو لم يكن يخطط لثورة جماهيرية تؤدي الى هدر الأنفس كما قد يتخيل البعض، وإنما كل تفكيره وتخطيطه لثورة فكرية وعودة بالمجتمع الى حياض الإسلام بعد طول فراق. وبعد تحقق التطور والتغير في المجتمع سوف ينتج تغير الحال الى الأفضل، ورفع الظلم بعد أن استحق المجتمع ذلك لتجاوبه وتغيير سلوكياته وأخلاقه. وهو تطبيق لنظريته (التخطيط الإلهي) التي يندرج موردنا هذا في قوله تعالى {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}، وهو ما صرح به ودرّب المجتمع العراقي عليه طيلة سنوات تصديه، بحيث ارتفعت

(١) محاضرة مسجلة أقيمت على طلبة البحث الخارج.

الاستجابة في الستين الأخيرتين من حياته (التي أسماها السيد الصدر بالفتح) الى مستوى لم يعهده المجتمع سابقاً كما سنلاحظ مستقبلاً في معرض الحديث عن ثمار صلاة الجمعة إن شاء الله تعالى.

ولا بد هنا من أن نلاحظ أن أي واحد من المراجع لم يكن مستعداً لإغضاب السيد محمد تقي الخوئي بأن يتحداه ويتصدى للمرجعية طيلة حياته، لأن كل الموجودين إنما هم من طلبة أبيه السيد الخوئي ومن أتباع مدرسته، باستثناء السيد الصدر والشيخ علي الغروي الذي كان له تاريخ مرير مع حاشية السيد الخوئي، ودأبوا جميعهم تقريباً على الخضوع لإرادته، وهو بدوره أخذ يشنّ حملةً ضدّ السيد الصدر بعنوان أنه مرجع السلطة، مع أن السيد الصدر لم تكن عنده صلاحيات أكثر وأهم من صلاحيات السيد الخوئي طيلة فترة تصديه لزعامة الحوزة، فإدارة المدارس وقبول الطلبة الجدد ومنح إقامات الطلبة الأجانب والإعفاء من الخدمة العسكرية كانت بيد السيد الخوئي، وقد كانت بصورة أوسع مما أصبحت عليه حين استلم مسئوليتها السيد الصدر، إذ لم تمنح الحكومة العراقية صلاحيات طلب الإعفاء من الخدمة العسكرية لغير أولاد السيد الصدر، بينما كانت في زمن السيد الخوئي أوسع من ذلك، ومنح الإقامة كان محدوداً ومتوقفاً على رغبة السلطة أساساً، لذلك تم سحب صلاحيات منح الإقامة من السيد الصدر بعد ذلك في حادثة الشيخ بشير الباكستاني المعروفة.

بدأ السيد الصدر حركته ببطء وتقليدية (صحيح هو يرفضها) ولكنها فرضت عليه مؤقتاً بحكم الواقع المتعارف والمشهور لكي لا يلفت الأنظار إليه ولا يثير المتوجسين وهم فئتان، النظام والحوزة التقليدية المؤثرة فيما سبق على الشارع الإسلامي العراقي.

يحدثنا شاهد تلك الفترة الشيخ يعقوبي :

((خرج من عزلته عام ١٩٨٧ وأخذ يحضر بعض المناسبات الدينية كالمجالس الحسينية التي تقام في بعض البيوتات، كما بدأ بإقامة مجالس العزاء في وفيات المعصومين (عليهم السلام)، وكان بيته في الحنطة يزدهم بالحضور وأغلبهم من المصلين في جامعة النجف الدينية حيث كان والده (قدس سره) يقيم صلاة الجماعة، وتزوج اثنان من أولاد عميدها السيد محمد كلانتر (قدس سره) من بنتي السيد الشهيد الصدر (قدس سره).

وكان يخرج في بعض المناسبات الاجتماعية كعقد قران بعض الأقرباء.

أستطيع القول إن المعارك الكبيرة التي شهدتها الحرب بين نظام صدام وإيران خلال سنوات ١٩٨٢ - ١٩٨٥ كبدت العراقيين خسائر جسيمة بالأرواح وعمّت المصائب أغلب البيوت تقريباً، وقد وقعت الخسائر في الشيعة الذين جعلهم صدام المقبور وقوداً للحرب، لذا كان رد الفعل الطبيعي هو التوجه الى الله تعالى والتوسل بأهل البيت (عليهم السلام) وقصد مراقدهم المقدسة، وإحياء الشعائر الدينية.

ولأكثر من سبب^(١) فإن تحولاً نوعياً بدرجة ما قد حصل في كيفية تعاطي النظام مع نمو الظاهرة الدينية، "وأسميها بهذا الاسم تمييزاً عن الحركة الإسلامية التي تعني بروز النخبة وقصدها للعمل الذي يكون نخبوياً عادة، أما الظاهرة الدينية فهي حالة شعبية عامة".

(١) منها شعور النظام بعدم وجود تهديد جدّي في الداخل بعد القضاء على رموز المعارضة، أما المعارضة في الخارج فقد كان يسخر منها ومن عملياتها التي لا تملك أي قيمة في تهديده، ولا تعدو اثبات الوجود ولضمان استمرار الدعم من الدول المساندة لتلك المعارضة، كما أن الحرب مع إيران لم تعد تهدد وجود نظامه وشعر بتوازن القوى بعد استخدامه للأسلحة الكيماوية في عمليات هور الخويزة في شباط ١٩٨٤، وغيرها من الأسباب. الهامش لسماحة الشيخ يعقوبي.

وأقصد بالتحول النوعي غضً النظر عن جملة من الممارسات التي كان يعتبرها جريمة يعاقب عليها القانون كالتدين، خصوصاً عند الشباب، وارتياح المساجد وحضور صلوات الجماعة والشعائر الدينية وزيارة العتبات المقدسة ووجود الكتاب الديني التقليدي ونحوها، التي كانت توجد مادة في قانون العقوبات تقضي بالسجن سبع سنوات على هذه الأمور بتهمة الطائفية.

صرنا بعد عام ١٩٨٥ نشهد المجالس الحسينية الضخمة في المساجد والبيوت، مما لم يكن مألوفاً من قبل، وكان للسادة آل بحر العلوم (الذين قضى كثير منهم في السجن بعد الانتفاضة الشعبانية) دور بارز في إحياء تلك المجالس على طيلة شهري محرم وصفر وفي وفيات المعصومين (سلام الله عليهم)، وأخص بالذكر السادة الأجلاء السيد علاء الدين والسيد عز الدين والسيد جعفر والسيد حسن الذين اعتقلهم النظام في الانتفاضة مع أولادهم واخوانهم ومضوا شهداء على طريق ذات الشوكة.

أصدر النظام في آيار / ١٩٨٦ عفواً عاماً عن السجناء وأكثرهم من الشباب المتدينين، ونقل أخي المرحوم الشيخ علي الذي كان أحدهم، أن عدد المفرج عنهم بلغ ثلاثين ألفاً، وكان على هؤلاء الالتحاق بالجيش الصدامي الذي دُعي للخدمة فيه كل من تقع أعمارهم بين ١٨ - ٤٠ سنة. أما غيرهم فيجندون في ما يسمى بـ "الجيش الشعبي".

وكنت ألتقي بمجاميع من هؤلاء الشباب المتدينين في كربلاء عند زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ليلة الجمعة، ولما لم يستطع بعضه التعايش مع النظام فقد غادر قسم منهم بشكل أو بآخر، وشكل عدد آخر مجاميع مسلحة لمواجهة النظام، وكانت المجموعة^(١) التي ترأسها المرحوم الشهيد "حسين علوان اليعقوبي" في النجف الأشرف

(١) كانت للمجموعة عدة نشاطات غير العمل المسلح كمساعدة المحتاجين خصوصاً عوائل الشهداء والسجناء وتزويج الشباب المؤمنين ومساعدة المتخلفين عن الخدمة العسكرية والمجاهدين بإخفائهم وتنظيم الوثائق الثبوتية التي تتيح لهم الحركة، وقد استفدت شخصياً من هذا العمل الأخير. الهامش لسماحة الشيخ A

من أشدها تهديداً للنظام، وقامت بتصفية عدد من رموزه، وازداد قلقه من عدم العثور على خيط يوصلهم الى رجالها، حتى تمكنوا من ذلك واعتقلوا الشهيد المذكور وعذبوه بأقصى وأشرس ألوان التعذيب الوحشي، وحبسوا عائلته في البيت^(١)، واتخذوه مقراً لجلاوزة الأمن الصدامي للقبض على كل من يطرق الباب، ومكثوا فيه أسابيع اعتقل فيها عدد من الأصدقاء الأقرباء بينهم عدد من النساء.

وإنصافاً نذكر هنا أن المرحوم آية الله السيد حسين بحر العلوم (قدس سره) كان يدعم هذا العمل مادياً ومعنوياً، كما كان للمرحوم عبد الأمير أبو الطابوق الدور البارز في رفع مستوى الوعي والهمة والحماس في نفوس المؤمنين بما يليق به من محاضرات رسالية تعبوية لم تكن معتادة، خصوصاً في تلك المجالس العلنية العامة، كالمجلس الذي يقام في جامع الطوسي في العشرة الأولى من محرم الحرام، ويمتلئ الحرم والساحة ويُفرش الشارع الخارجي (شارع الطوسي) وينقطع مرور السيارات لامتلاء المكان بالناس، وقد دسّ إليه جلاوزة الأمن سمّاً قاتلاً آنذاك لكنه لم يمت ببركة دعاء المؤمنين، وإنما شلّت أعضاؤه وسقط شعر رأسه ثم قبض عليه في الانتفاضة ومضى شهيداً.

أدرك السيد الصدر أن جملة من النشاطات يمكن أن يقوم بها ولم تعد محظورة من قبل النظام فبدأ بالظهور الاجتماعي، ثم عاود التدريس في جامعة النجف الدينية، وكان يرغب بتدريس البحث الخارج إلا أن خلو الجامعة - بحسب نظامها الداخلي - من هذا المستوى دفع السيد الصدر الى القبول بتدريس عدد من الطلبة كتاب الكفاية في الأصول على أمل أن يبدأ معهم البحث الخارج عند إكماله.

=اليقوي.

(١) وهو دار أسرة آل اليقوي التاريخي في مدخل المدينة القديمة، وتوارثه الأسرة منذ أكثر من (١٦٠) عاماً.

الهامش لسماحة الشيخ اليقوي.

أثر نمو الظاهرة الدينية على وضع الحوزة في النجف الأشرف إيجابياً، فقد بدأ عدد من العراقيين بالالتحاق بالحوزة العلمية بعد أن انتهى وجودهم تقريباً، وتفرقوا بين إعدام واعتقال وتهجير، ومن بقي سيق إلى الخدمة العسكرية أو توارى عن الناس، كما أن توقف الحرب مع إيران عام ١٩٨٨ فتح الباب لمجيء طلبة العلم من الخليج وغيرها. وعاد إلى التدريس من كان منكفئاً عنه كالسيد الصدر، فكان نمو الحراك العلمي في الحوزة واضحاً، كما تحسن الوضع المالي بتوافد الزوار من دول العالم، وكنت أتردد على مقر إقامة السيد الخوئي (قدس سره) في الكوفة وأرى هذه الوفود، وكذا في بيوت كبار العلماء كالسادة آل بحر العلوم والسيد محيي الدين الغريفي وغيرهم^(١))).

ومع هذه الحرية النسبية لم تسمح له السلطة بطباعة رسالته العملية إلا بعد الانتفاضة، وهناك ما يُشعر من كلامه أن الذي حال دون طباعتها بعض منتسبي الحوزة في النجف، بالرغم من أنه بدأ بإلقاء درسه (البحث الخارج) الذي يعتبر الإعلان الرسمي عن التصدي للمرجعية، إلا أن حملة تشهير شنت ضده بصورة تدريجية، ويقول هو عن تلك الفترة :

((إن كل شيء في الحوزة وفي النجف وفي التشيع عموماً أزمته يدهم^(٢))، يفعلون ما يشاؤون لا من يشاء غيرهم، كل من يتصدى أو يقول أو يرفع صوته بقليل أو كثير أو يناقش فالسيف المعنوي موجود، لا يبقى له رأس ولا رجل، فالسيف المعنوي كان مؤثراً في سبيل أن يتخلصوا مني بكل صورة، لأنهم يتوقعون مني القدرة، أي

(١) نشرة (الصادقين) العدد ٨٦، الجمعة ١٥ محرم ١٤٣١ هـ، ١ كانون الثاني ٢٠١٠ م، نشرة نصف شهرية تصدر عن المكتب الإعلامي، متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوى وأخبار سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف).
(٢) أي بيد مرجعية السيد الخوئي وحاشيته.

يتوقعون مني شراً عليهم، وأنا طبعاً ابن عم السيد محمد باقر الصدر، وهم عانوا - بالحقيقة - من الضغط المرجعي الموجود، والخلاف بين مرجعية السيد محمد باقر الصدر والسيد الخوئي، فمن هذه الناحية أنا وريثه الشرعي بهذا المعنى، فينبغي أن يدفنوني تحت التراب لا أكثر ولا أقل، فكان أحسن أطروحة أولية لهم أن هذا لا ينبغي الاتصال به، لأن على باب داره مشنقة^(١)، إن هذا الوضع بقي الى حين ما غمضت عينا السيد الخوئي انقلبت الصفحة الى هذه الصفحة (أي الأسلوب الجديد بعد أن لم ينفع الأول)، أيضاً هو أسلوب لتفريق الناس عني بالضبط، فأنا (يقولون عني) عميل أما استخبارات أما أوقاف أما ضابط أما مرجع جعلتني بغداد لأجل مقابلة السيد السبزواري حتى لا يكون مرجع فارسي بل عربي وعراقي، ونحو ذلك من الكلمات، فرّقوا الناس عني واستطاعوا لولا أن الله كفاني بالتدريج أن أكفى هذه التهاريج خارج العراق لازال جملة من الناس مرتكزاً عندهم هذا الأمر، وأرجو من الله أن يغسل قلوبهم من ذلك))^(٢).

فصدرت الطبعة الأولى من رسالته العملية المختصرة (الصراط القويم) في عام ١٩٩١، وقد سبقه في ذلك السيد عبد الأعلى السبزواري الذي طُبعت رسالته العملية (جامع الأحكام الشرعية) عام ١٩٨٨. ويعتبر السبزواري والصدر المرجعان الوحيدان اللذان تصديا للمرجعية في حياة السيد الخوئي^(٣)، ولكن السبزواري كان متصدياً لها منذ عهد بعيد، إذ كان من أساتذة الحوزة في زمن موازي لزمن الخوئي كما ذكرنا،

(١) أي أن الذي يتصل به أو يرافقه فإن السلطة سوف تنال منه.

(٢) هذا الحديث كان من ضمن مقابلة سميت (لقاء الحنانة) أجراها معه الشهيد الشيخ محمد النعماني عام

١٩٩٨.

(٣) تصدى للمرجعية عدد من الاشخاص إلا أنهم لم يكن لهم أتباع يذكرون ولم يكن لهم أي أثر على الشارع العراقي.

أما السيد الصدر فلم يكن يفكر بهذا الاتجاه بعد رحيل أستاذه فضلاً عن حياته، ناهيك عن الفارق في السن بين السيد الصدر والسيد السبزواري.

تصدى للمرجعية بعد وفاة الخوئي آخرون، منهم : الشيخ علي الغروي التبريزي، الشيخ مرتضى البروجردي، الشيخ محمد اسحق الفياض، السيد علي السيستاني، السيد محمد سعيد الحكيم، السيد حسين آل بحر العلوم، السيد محمد علي الحماشي، الشيخ بشير الباكستاني.

وكان هؤلاء بين مستقل أو منضوٍ تحت مرجعية أخرى، فبعد وفاة السيد الخوئي لم يكن هناك من يرجع إليه الناس ويعرفونه غير السيد السبزواري، إلا من كانت له معرفة وعلاقة خاصة ببعض المراجع، ولكن في نفس الوقت كان هناك المراجع المستقلون : السيد محمد الصدر الذي يمثل الامتداد الوحيد لمرجعية ومدرسة السيد محمد باقر الصدر، والسيد علي السيستاني الذي انضم تحت مرجعيته مؤقتاً الشيخ البروجردي والشيخ الفياض^(١) حتى استقلوا نسبياً بعد ذلك، وهؤلاء الثلاثة يمثلون إمتداداً لمرجعية ومدرسة السيد الخوئي، ولكنهم بقوا مرتبطين مالياً بالسيد السيستاني، إذ كان هو الممول لهم والمتكفل بحاجاتهم ورواتب طلابهم، أما الشيخ علي الغروي فكان منضوياً تحت مرجعية السيد السبزواري أيام مرجعية الأخير الى حين وفاته. وقد واجه الشيخ الغروي مشاكل مع السيد محمد تقي الخوئي الذي أصبح يدير كل شؤون مرجعية أبيه في السنوات الأخيرة من حياته، لأن الشيخ علي الغروي لم يحسب نفسه على مرجعية الخوئي في حياته، وقد طرح نفسه كمرجع

(١) كان الفياض والبروجردي يعدان من ضمن الذين شهدوا بأعلمية ومرجعية السيستاني العليا حسب ما نشرته مجلة (النور) التابعة لمؤسسة السيد الخوئي بعد رحيل الخوئي مباشرة، ولكنهما نفيا ذلك تماماً بعد مقتل محمد تقي الخوئي، خاصة عندما كان السيد الصدر يشير الى مكانتهما العلمية، فنشرا رسالتهما العملية التي تدل على الاستقلالية في الفتوى، وإشارة واضحة على أنهما يريان نفسيهما مستحقان لمقام المرجعية العليا.

مستقل بعد وفاة السيد السبزواري، وطرح السيد محمد سعيد الحكيم نفسه كمرجعية مستقلة منذ خروجه من السجن مباشرة ولم يحسب نفسه على أية جهة أو مرجعية سوى مرجعية جده لأمه السيد محسن الحكيم الذي توفي عام ١٩٧٠.

هؤلاء أهم مراجع النجف، وكلهم طبعوا رسائلهم العملية وباقي مؤلفاتهم في وقت واحد أو متقارب، وكانت مكاتبتهم تستقبل الزائرين بشكل مستمر ومن دون أية رقابة معلنة أو مضايقة، كما كانوا يقبضون أموال الخمس وغيرها من دون مسائل من أحد.

وسُمح لهم بإقامة صلاة الجماعة بحرية، فكان السيد الصدر يصلي في رواق حرم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو مكان موروث عن جده لأمه الشيخ محمد رضا آل ياسين، وبعد وفاة الأخير صلى فيه والده السيد محمد صادق الصدر، وبعد أن فرضت عليه الإقامة الجبرية انقطع عن الصلاة هناك لعقد من الزمان :

((وكان قد شغل المكان في تلك الفترة أحد المحسوين على النظام وهو (السيد نوري الموسوي) فمانع الأخير بحجة أن هذا مكاني منذ ثلاث سنين، فأرسل إليه السيد الصدر أن هذا مكان الأسرة منذ خمسين سنة، فحاول ذلك الرجل الإيحاء إلى السيد الصدر بأنه قد يضره من جهة السلطة، لكن السيد الصدر ثبت على موقفه وظل محتفظاً بالمكان^(١))).

واستمر بإقامة صلوات الظهرين والعشائين في هذا المكان. ومع اتساع مرجعية وكثرة المصلين خلفه بقي يصلي الظهرين في نفس المكان، وتحول إلى الصحن العلوي لسعته وقت صلاتي المغرب والعشاء.

(١) الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه، ص ٤٢.

وأقام الشيخ علي الغروي الصلاة داخل الحرم العلوي، والشيخ مرتضى البروجردى في باحة الحرم العلوي، وأصبح مسجد الهندي تحت تصرف وتولية السيد محمد سعيد الحكيم، فكان يقيم الصلاة فيه بالتناوب مع والده السيد محمد علي الحكيم، ولكن محمد سعيد الحكيم إضافة الى ذلك كان يقيم صلاة الفجر داخل الحرم العلوي.

وأقام السيد حسين آل بحر العلوم الصلاة في جامع الطوسي، وكان يستقبل زواره ويلقي دروسه فيه، وأقام السيد رضى المرعشي (من المقربين للسيد السيستاني) الصلاة في مسجد الأنصاري ويسمى أيضاً (مسجد الترك)، وأقامها السيد علي السبزواري في المسجد الذي كان يقيمها فيه أبوه، أما السيد علي السيستاني الذي أقام صلاة الجماعة في مسجد الخضراء أيام السيد الخوئي الأخيرة فقد أقام الصلاة والدرس في مكتبه بعد إغلاق المسجد بداعي الترميم، وحاولت مؤسسة الخوئي في لندن أن تسبغ على قضية إغلاق المسجد طابع العداء من قبل الحكومة العراقية للسيستاني وهذا ليس صحيحاً، فلغزوف السيستاني عن الصلاة في مسجد الخضراء قصة أخرى لم تنس بعدُ لمن كان يتابع تلك الفترة، وحقيقتها أنه في يوم الغدير ١٨ ذي الحجة ١٤١٤ هـ، هو اليوم الذي تتوافد فيه الى النجف الملايين من الشيعة لزيارة ضريح أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان السيستاني يصلي صلاتي الظهرين كالمعتاد في هذا المسجد، ونظراً لكثرة الزائرين الذين كانوا يصلون في المسجد الملاصق للصحن الشريف فقد خرجوا بعد الصلاة مهللين للسيستاني وقد علا هتافهم بـ(صلوا على محمد) وحملوا السيستاني من الأرض فوق أكتافهم، مما أدى الى تدخل الشرطة والأمن العراقي لحمايته وأوصلوه الى منزله بعد تفريق الحشود، وفي مساء نفس الليلة ظهر محمد رضا نجل السيستاني على شاشة التلفزيون العراقي ليعلن أن ما حدث مرفوض وأن والده السيستاني غير راضٍ عن ما حصل، وفي اليوم التالي كان المسجد مفتوحاً كالمعتاد وألقى محمد تقي الخوئي درسه المعتاد فيه وهو

منشرح الصدر لما حصل، ولكن السيستاني لم يعد مرة أخرى الى المسجد، ليس لأن الحكومة العراقية ترفض عودته، ولكن لأن مرجعية السيستاني التي تمثل الإمتداد الطبيعي لما قبلها ترفض السلوك المخالف للهدوء المميت الذي كانوا ولا زالوا عليه. خاصة أن آثار انتفاضة ١٩٩١ ما زالت ماثلة، ولم يكن السيستاني ليرغب في أن يحسب ضمن هذا الاتجاه بأي شكل، هذا هو السبب الرئيسي لإغلاق المسجد، وكل من يتكلم عن إقامة جبرية فهو غير دقيق فقد كان السيستاني يخرج متى يشاء لزيارة الضريح أو باقي العلماء^(١) الى أن توقف بعد حادثة الاعتداء على مكتبه سنة ١٩٩٨.

من المفارقات التي تدعو الى تأمل (زيارة السيستاني من قبل البروفسور عبد العزيز ساشيدينا العالم المختص بالاسلام في جامعة فرجينيا الأمريكية في شهر آب ١٩٩٨، وأجرى مباحثات مكثفة معه وقد استغرق تبادل الرأي بين الطرفين مدة يومين، وقد كتب ساشيدينا تقريراً عن ذلك بعنوان "ماذا حدث في النجف").^(٢)

(١) حيث كان يزور علماء النجف بشكل دوري، كما أنه زار السيد الصدر في مكتبه ردأ على زيارات الأخير له، وشاهدته مرة وهو خارج بمفرده متوجهاً الى زيارة ضريح أمير المؤمنين "عليه السلام"، فكل هذا الكلام عن الإقامة الجبرية والاضطهاد مجرد اختلاق من وكلاء ومنتسبي السيد السيستاني لا غير. عباس الزيدي. (٢) التقرير متوفر على الانترنت : http://www.uga.edu/islam/sachedina_silencing.html.

علي عبد الأمير علاوي، احتلال العراق، ص ٣١٣ فما بعدها. ولنا عدة ملاحظات على هذا اللقاء الغريب، فقد جاء في الوقت الذي تصاعدت فيه حركة السيد الصدر واستوعبت الساحة العراقية بكل قوة، كما أن المواجهة مع النظام بدأت تشتد، فهل كان البروفسور ساشيدينا جاء يحمل رسالة أو أجنحة للمرحلة القادمة؟، خاصة أن السيستاني أبدى فيها آرائه حول شكل الحكومة الإسلامية كما يذكر المصدر!!، وهل أن الإقامة الجبرية لم تحل دون لقاء المبعوث الأمريكي هذا؟، من الواضح أن الأسئلة هنا ليست قليلة، كما أن الإقامة الجبرية المدعاة محض أكذوبة.

كما أقام السيد عبد الأمير الحكيم الصلاة اليومية في محراب أمير المؤمنين (عليه السلام) في مسجد الكوفة، بموافقة من السلطات، وفي عام ١٩٩٧ أوعز السيد الصدر بإقامة الصلاة اليومية في مسجد الكوفة للسيد جعفر نجل السيد محمد باقر الصدر إلا أن السلطات منعت من إقامتها، كما منعت من إقامة صلاة الجماعة في أحد مساجد الكوفة.

ولم تكن هذه الحرية الدينية النسبية في النجف فقط، وإنما شملت كل أنحاء العراق، بعد الانتفاضة عام ١٩٩١، وكان جميع رجال الدين من وكلاء ومعتدي السيد السيستاني، وفي نفس الوقت كان بعضهم وكيلاً للسيد الصدر وغيره من المتصدين. إذ لم تكن الحوزة تضم سوى الجيل السابق التابع لمدرسة السيد الخوئي، وهذه أشهر أسماء هؤلاء الوكلاء المشتركين بين عدة مراجع :

ففي ضريح الإمامين الكاظمين كان السيد حسين الصدر يمارس نشاطه اليومي في مقابلة الناس في غرفة خاصة به في رواق حرم الإمامين الكاظمين الشريف، وإقامة الصلاة في جامع الهاشمي، والسيد حسين الصدر من أوائل الدعاة لمرجعية السيد الصدر، وقد رجع إليه بالتقليد بعد استشهاد عمه السيد محمد باقر الصدر مباشرة^(١).

والشيخ عبد اللطيف البغدادي في بغداد، والشيخ محمد حسن عليوي الخضري (أبو عفاف) إمام مسجد أهل البيت في مركز محافظة الناصرية، والشيخ رعد الخالدي في الحلة، والسيد محمد حسين النوري في العزيزية، والشيخ عبد الرزاق الواعظ إمام حسينية الرسول في بغداد الجديدة، السيد عقيل الخطيب إمام مسجد العباس في بغداد الجديدة، الشيخ جميل القرشي يسكن في حي الزهراء (الكمالية سابقاً) وأقام

(١) إلا أن توجه السيد حسين الصدر تغير لاحقاً بعد اختلاف بينه وبين السيد محمد الصدر، وانضم (عموماً) إلى خط السيد السيستاني، ولكن بشيء من الاستقلال بأن تبني مرجعية نفسه لاحقاً.

الصلاة في حسينية الأنصار في حي جميلة ببغداد، والشيخ رشاد المظفر في البصرة، الشيخ عامر الخطيب في حي أريدو في الناصرية، السيد مجيد جاسم الموسوي إمام مسجد أبي الفضل العباس ومسجد الإمام الجواد في مركز الناصرية.

أما رجال الدين الذين كانوا يمارسون نشاطاتهم اليومية في مساجدهم وهم من وكلاء ومعتدي السيد السيستاني وغيره إلا السيد الصدر فلم يكونوا من وكلاء، وهم :

السيد صالح الحيدري في جامع الخلاني ببغداد، السيد حسين العلاك في مدينة الصدر ببغداد، والشيخ علي البهادلي مؤلف كتاب (فلسفة الشهادة) في البياع، الشيخ حسين القسام في قضاء الحي، السيد عبد الكريم البطاط وولده عماد في الحياينة، والسيد علي عبد الحكيم الصافي في مركز البصرة، والشيخ محمد فلك في قضاء الزبير، الشيخ يونس المظفر في القرنة في محافظة البصرة، السيد أحمد نور الدين شبر إمام الصلاة في مسجد آل شبر في محلة "أبي الحسن" في البصرة القديمة، والسيد علي البعاج في الديوانية وفي نفس الوقت كان أمام صلاة الجماعة في مسجد جامعة النجف الدينية التي يديرها السيد محمد كلانتر، والبعاج من قدماء المعارضين على استبداد بعض أولاد المرجع في الثمانينات واستيلائهم على أموال الحقوق الشرعية، وكان يدعو ويحث السيد الصدر على التصدي للمرجعية ولكن الأمور اختلفت بعد ذلك. والشيخ جواد الغراوي في مركز الكوت، والسيد حبيب الخطيب في قضاء النعمانية، والشيخ عبد المهدي الكربلائي والسيد أحمد الصافي في كربلاء، والشيخ عبد الغفار الأنصاري الوكيل الأول للسيد السيستاني إمام مسجد الأنصاري في مركز محافظة العمارة، وهو والد الشيخ محمد حسن الأنصاري أحد أهم مساعدي السيد السيستاني، وهو صهر السيد محمد كلانتر وكان يحث السيد الصدر على التصدي للمرجعية ولكن عن طريق التفاهم مع السيد محمد تقي الخوئي ومساندته، ولكن

السيد الصدر رفض العرض، ويوجد الكثيرون غيرهم ولكن هؤلاء أشهر الشخصيات المرتبطة بحوزة النجف.

وكان جميع هؤلاء يمارسون صلواتهم ودروسهم وخطبهم في مناطقهم ومساجدهم بحرية مستغلين تراخي قبضة النظام وضعفه. وكان يوجد في محافظات الجنوب أئمة جماعة غير هؤلاء، ولكنهم اختفوا بين الإعدام والتهجير بعد مشاركتهم بالانتفاضة، أما هؤلاء فلم يكن لهم دور يذكر في الانتفاضة عام ١٩٩١، لذلك لم يتعرض النظام لنشاطاتهم.

ولعل من أوضح مظاهر الضعف والسياسة الجديدة تغاضي النظام لعدة سنوات عن دعوة جماعات كثيرة في كل المحافظات الشيعية الى مرجعية السيد علي الخامنئي، ففي عام ١٩٩٣ نشطت بشكل ملفت تلك الجماعات حتى أصبحت الدعوة الى تقليد الخامنئي أمراً معلناً خصوصاً في بغداد، حيث كان أبرز قيادات هذه الفئة الشيخ فاضل العمشاني في مدينة الصدر (حي الثورة سابقاً) وهو أحد طلبة (جامعة النجف الدينية) التي يديرها المرحوم السيد محمد كلانتر، وقد أعدم العمشاني بعد ذلك حينما بدأت الدعوة تأخذ أبعاداً سياسية وتنظيمية، وكان الدعوة الى تقليد الخامنئي أشبه ما تكون تنظيمياً سياسياً، ولم تتعرض السلطة لهم إلا عندما بدأوا بنشاطات سياسية وتنظيمات على صلة بالمعارضة في إيران، ففي عام ١٩٩٦ تم كشف شبكة من هذا التنظيم الذي انتمى فيه عدد من طلبة الحوزة، ومنهم (الشيخ محمود الجياشي) الذي يشغل حالياً منصب مدير مكتب السيد الصدر الثاني في مدينة قم؟!

كانت الدعوة لتقليد السيد الخامنئي معلنة تماماً في مدارس الحوزة في النجف الأشرف، وكانت مؤلفات السيد الصدر الأول والسيد الخميني والسيد الخامنئي والشيخ المطهري وغيرهم متداولة علناً، وتباع في المكتبات في كل أنحاء العراق، وانتشرت عن طريق الاستنساخ الذي يعتبر تجربة مهمة تستحق الدراسة، فقد تم

الاستعاضة عن الكتب بطباعتها الأصلية بالاستنساخ، نظراً لغلاء الكتب وشحها والضائقة الاقتصادية التي كان يمرّ البلد، فقد كانت تلك الأيام من أحلك سنوات الحصار الاقتصادي. ويبدو أن حاجة النظام العراقي الى إيران كمنفذ غير شرعي لتهريب النفط بأسعار مغرية، واستيراد البضائع الرخيصة، كان أحد عوامل تخفيف الضغوط عن الحركة الإسلامية في العراق، إضافة الى اتفاقيات لكبح جماح المعارضة المسلحة جنوب العراق إذ لا زال النظام مرتعياً من آثار الانتفاضة التي لو كان للمعارضة والإيرانيين دور أكبر في مساندتها لكان النظام في مأزق لم يكن ليخرج منه.

من ناحية أخرى كانت إيران تسعى للقضاء على (منظمة مجاهدي خلق) المعارضة وتحجيمها، وهذا لا يكون إلا باتفاقيات وتنازلات من الطرفين. فكان كل جانب ملتزم بتحجيم المعارضة من جهته، مع تخفيف الضغط عن المرتبطين بالدولة الأخرى، سواء كان هذا الارتباط عرقي أو ديني أو سياسي ضمن حدود يتفق عليها، ولكن المكاسب الإيرانية كانت أكبر بكثير من مكاسب النظام العراقي نظراً لعدم وجود خيارات كثيرة عند النظام العراقي، ويبدو أنه كان واضحاً لدى الإيرانيين والمطلعين أن الغرب حرص على إبقاء النظام العراقي في السلطة الى أجل محدد مع البقاء على ضعفه، وهذا يشبه الى حد بعيد إبقاء سيطرة الخلافة العثمانية من قبل بريطانيا على البلاد الإسلامية وغيرها مع المحافظة على إبقائها ضعيفة الى حين نضوج قطاف ثمارها، وهو ما حصل بسهولة مع الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وبعد ذلك مع النظام العراقي عام ٢٠٠٣، إذ أن أكثر ما كان يقلق بريطانيا هو ردة الفعل في البلدان الإسلامية فيما لو أقدمت على احتلالها، فقاموا بربط الجسور وإقامة علاقات مالية مع الكثير من الشخصيات والمؤسسات الدينية، ومثاله (وقف أوض "أوذة" الكبير)، وبنفس الطريقة تعامل الحلفاء مع العراق قبل سقوط النظام عام ٢٠٠٣، ولا نحتاج الى الحديث مطولاً عن مؤتمر لندن عام ٢٠٠٢

الذي جمع المعارضة العراقية وعلى رأسها المعارضة الإسلامية تحت خيمة العدو الأول حسب الشعارات السابقة وهو (الإستكبار العالمي) كما تحلو تسميته للقيادات الإسلامية خارج العراق... إلخ.

توافد الإيرانيون بالآلاف لزيارة العتبات المقدسة في العراق جنباً الى جنب مع البضائع الإيرانية، وكانت فرصة لازدهار الحوزة مرة أخرى، بعد اتفاق لم يكشف الى الآن ولكننا نستطيع أن نخمن محتواه إجمالاً. فقد سمحت الحكومة العراقية لعدد محدود من مرجعيات النجف بافتتاح مكاتب لها في إيران وعدد آخر من بلدان العالم، وكانت الإجازة الممنوحة مقتصرة على مرجعية السيد السيستاني الذي كان يدير مكاتبه صهره السيد جواد الشهرستاني من مكتبه الرئيسي في قم، ومرجعية السيد محمد سعيد الحكيم الذي افتتح مكتبه في قم ولده السيد رياض الحكيم بمساندة معنوية ومالية مفتوحة من السيد محمد باقر الحكيم والحكومة الإيرانية، وكذلك سمح لهما بافتتاح مكاتب في لبنان وسوريا ووكلاء في دول الخليج وأوربا، بينما لم يكن ذلك ممكناً للسيد الصدر في أول مرجعيته، بل حتى بعد انتشار مرجعيته وتصادد نجمها عام ١٩٩٧ - ١٩٩٨، نظراً لعدم وجود جهة تدعمها مالياً، وكذلك الخشية من استيعابها لباقي المرجعيات، فتم إغلاق المكتب الوحيد خارج العراق بعد ذلك والذي لم يستمر عمله أكثر من أسبوع كما سيأتي إنشاء الله تعالى.

لم تستمر الدعوة الى مرجعية السيد الخامني كثيراً ليس لأن النظام كان يضايق دعائها، ولكنها تراجعت حتى لم يعد هناك من يتحدث بها بعد أن استوعب السيد الصدر الساحة العراقية تماماً.

فقد كانت الحجة القوية التي يحتج بها أنصار الخامني أن السيد الخامني مبسوط اليد ولا يوجد ما يؤثر على فتاواه وقراراته، بخلاف المرجعيات الأخرى في النجف الأشرف التي هي تحت يد النظام وسلطته ولا يمكنها أن تتحرك وتفتي بحريتها. وقد

لاقت هذه الحجة رواجاً في حدود ١٩٩٣ - ١٩٩٦، ولكنها اضمحلت تماماً بعد أن امتدت مرجعية السيد الصدر بقوة الى كافة أنحاء العراق حتى لم تعد تسمع بداعية لمرجعية السيد الخامني في العراق، فقد التحق معظم دعااتها بمرجعية السيد الصدر أو مرجعية السيستاني أو خرجوا الى إيران أو سوريا وانتهى الأمر.

وبخطوة غير مسبقة قامت الحكومة الإيرانية بنشر عدة أسماء كمرجعيات للشيعة بعد وفاة الشيخ محمد علي الآراكي، وكانت كل الأسماء المطروحة من حوزة قم، وبذلك يكون أول تدخل من نوعه في تعيين المرجعية، ونلاحظ أن السيد الخميني في حياته كان يؤكد على استقلالية الحوزة خشية من تسييسها لصالح الحكومة التي لا يعلم أحد كيف ستكون في المستقبل، فتبقى الحوزة كجهة رقابية وليس كمؤسسة من مؤسسات الحكومة.

أما الأسماء التي طرحتها الحكومة الإيرانية كمرجعيات شيعية وهم سبعة :

١ - الشيخ محمد تقي بهجت.

٢ - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٣ - الشيخ فاضل اللنكراني.

٤ - الشيخ جواد التبريزي.

٥ - الشيخ الوحيد الخراساني.

٦ - السيد الزنجاني

٧ - السيد علي الخامني.

وقامت الحكومة الإيرانية بنشر قائمة طويلة من أعضاء مجلس الخبراء الذين يؤكدون اجتهاد السيد الخامني، بينما ذهب بعضهم الى أعلميته كالسيد محمود الهاشمي.

ولم تُطرح أية مرجعية عراقية ضمن هذه الأسماء على الرغم من وجود من له شهرة علمية كالسيد كاظم الحائري والسيد محمود الهاشمي، ولم تتم الإشارة الى أية مرجعية من حوزة النجف الأشرف، والملاحظ أن هذه المرجعيات المطروحة لم تلق أي استجابة عند شيعة العراق، فبقيت المنافسة محصورة بين عدة مرجعيات، ولكنها انحصرت أخيراً بين السيد الصدر والسيد السيستاني، فكان الشباب والحركيون والطبقة المتعلمة من حصة السيد الصدر، بينما اقتصرت مرجعية السيد السيستاني على الشيوخ وبعض الأرياف والذين يخشون من نتائج مرجعية السيد الصدر، إذ كان الجميع يتربص يوم المواجهة فمن كان يبحث عن السلامة وجد في مرجعية السيد الصدر خطراً، وفي مرجعية السيد السيستاني ملاذاً، إذ مثلت مرجعيته الامتداد لسلوك مرجعية السيد الخوئي من قبله.

في بداية التسعينات لم يتعرض السيد الصدر لمضايقات كثيرة معلنة من قبل الآخرين (الحكومة أو الحوزة بكل توجهاتها)، لأنه لم يتعارض معهم في أمر معلن، ولم يكن يشكل خطراً على نفوذهم وشعبيتهم، والحال أن الجميع كانوا تقريباً متساويين في ذلك، باستثناء مرجعية السيد السيستاني التي استقطبت أكثر الشيعة في العراق بعد وفاة السيد السبزواري، ومن الصحيح أن مؤسسات السيد الخوئي خارج العراق اتفقت مع السيد الكلبيكاني على دعم مرجعيته والدعوة لها كما رأينا، إلا أن ذلك لم يحصل في العراق، إذ كان مكتب السيد الخوئي بكل موظفيه وحاشيته في النجف قد انتقل تلقائياً لدعم مرجعية السيد السيستاني، ولكن بدأوا يشعرون بخطورة السيد الصدر عليهم حين استقطب خلال عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٤ عدداً كبيراً من وكلاء السيد الخوئي سابقاً، إذ لم يعترض السيد الصدر في تلك الفترة على تعدد الوكالات لأكثر من مرجع بالنسبة للوكلاء، وفائدة تعدد الوكالات أنها تدر الأموال على هؤلاء

الوكلاء، باعتبار النسبة المئوية التي قد تصل الى نصف مبالغ الحقوق الشرعية التي يجبرونها من الشيعة في مختلف مناطق العراق.

كان نظام الوكالة عند السيد الصدر أن تستمر لمدة سنة واحدة، يراقب فيها سلوك الوكيل ونشاطاته، وفي سنة ١٩٩٧ تولى شؤون الوكلاء في مكتب السيد الصدر ابن عمه السيد محمد جعفر الصدر نجل الشهيد السيد محمد باقر الصدر، فكان القرار الجديد عدم منح وكالة للوكيل الذي يمتلك وكالة ثانية لمراجع آخرين، فتم إقصاء معظم الأسماء التي كانت موجودة سابقاً، وحصل هذا التطور بعدما وجدت دماء جديدة من شباب الحوزة استطاعوا أن يكونوا خير من يمثل مرجعية السيد الصدر، وهذه واحدة من خطواته لإصلاح هذه المشكلة، وتخطيطه للمرحلة الجديدة. وكان هؤلاء الطلبة كلهم تقريباً من جنوب العراق أو من جذور تعود للجنوب إلا القليل جداً منهم، وتواصلوا مع المجتمع وجذبوا الى مرجعية السيد الصدر الشباب الواعي، وقادوا النهضة التي تمخض عنها صلاة الجمعة والحركة الجماهيرية الواسعة.

ولكن بؤادر الحملة كانت تعد لإسقاط السيد الصدر ومرجعيته في نظر الشيعة والمجتمع الإسلامي داخل وخارج العراق، نظراً لكونه الوحيد الذي يمثل تحدياً فعلياً، فهناك معسكران الأول يمتلك القوتين المالية والإعلامية، والثاني لا يمتلك سوى العلم والوعي والتاريخ، والثاني هو السيد محمد الصدر.

فكانت أول شرارة للحرب ضده انطلقت من مؤسسة السيد الخوئي في لندن ومباشرة بعد وفاة السيد الخوئي، وكانت مجلة ((النور" التي تصدر عن هذه المؤسسة هي المنبر الرئيسي لذلك، ففي مقال كتبه عبد المجيد الخوئي فيها بعنوان ((المرجعية وقوة التأثيرات الخارجية)) بتاريخ تشرين الثاني ١٩٩٢م - جمادى الأولى ١٤١٣هـ عدد (١٨) قال فيه ((ما يجري حالياً في العراق بعد وفاة الإمام الخوئي الراحل (قده) من محاولات يائسة مستمرة في الضغط السياسي على طلبة العلوم الدينية، للتأثير على

عملية اختيار المرجع الجديد، ودعم كفة مرشح الدولة ووضع الإمكانيات المادية ومواردها في خدمة الترويج لمرشحها والضغط للتأثير على عملية اختيار المرجع الأعلام الجامع للشرائط، ومحاولة دعم كفتها بالتأثير القومي حيث أن جلّ المراجع العظام المرشحين ينحدرون من أصل غير عربي، ويحاول العراقيون دعم مرشحهم على أساس القومية كونه من أصل عربي)).

هذا الكلام أعيد نشره بنصّه في عدد "النور" (٣٣) بتاريخ شباط ١٩٩٤ - شعبان ١٤١٤هـ، تحت عنوان ((المرجعية امتداد لخلافة الرسول والأئمة، استقلاليتها بين المؤثرات السياسية الخارجية)) كان قد عزز في العدد سابق بمقال افتتاحي وإن رمى الى تبديد مخاوف الخوئي "الإبن". إذ كتبت "النور" بعنوان ((لا خوف .. على المرجعية جاء فيه :

((وهنا حانت الفرصة التاريخية للمؤسسة الحاكمة في العراق لتضرب ضربتها في صميم المرجعية محاولةً ولأول مرة في تاريخ المسلمين الشيعة، التحكم في هذا المركز الديني الحساس، وذلك بتعيين أحد رجال الدين في موقع المرجعية. ورغم أن مقدار تعاون هذه الشخصية مع السلطات العراقية أمر مشكوك فيه، فإن مجرد محاولة فرض زعيم الحوزة العلمية من الجهات الحكومية يعتبر تعدياً خطيراً على استقلالية المركز. وقد اختار النظام العراقي شخصية من عائلة علمية محترمة، إلا أنه دون مستوى المرجع الأعلى، ولا يحظى باعتراف ذوي الاختصاص من العلماء كما أنه يفتقر الى الشيعاء العام في أوساط الأمة. بل لم يُسمع به في الخارج قبل تعيينه. والواقع أن مجرد تعيينه من قبل صدام يكفي لإنهاء أي أمل بنجاح العملية من الأساس))^(١).

(١) فائق الشيخ علي، اغتيال شعب، ص ١٦٤-١٦٥.

واستمر عبدالمجيد الخوئي بهجومه الاعلامي ضد السيد الصدر ((فبعد ست سنوات على ذلك المقال صرح الى جريدة " الحياة" في ٢٤ / ٤ / ١٩٩٨م في أعقاب اغتيال الشيخ مرتضى البروجردى (قده) قائلاً إنه (تم في اطار تصفية المنافسين المحتملين لمرشح السلطة مرجعاً دينياً أعلى) وهو السيد محمد الصدر الـ(متعاون مع السلطة التي تستغل اسم عائلة الصدر لفرضه مرجعاً، مع أنه غير مؤهل) لذلك)).^(١)

ونلاحظ من خلال كلمات بعض المنتسبين لمؤسسة السيد الخوئي في لندن أنهم كانوا يترقبون خطر السيد الصدر عليهم منذ وقت مبكر، ومن هذه الكلمات التي تعبر عن رؤية جميعهم ما جاء في تأبين السيد محمد تقي الخوئي في مقر المؤسسة في لندن، ففي كلمة للسيد محمد بحر العلوم^(٢) وفيه غمز واضح بالسيد الصدر قال : ((لنقولها صريحة دون لبس أو غموض، إننا نرفض كل أنواع التطبيع معك "أي مع رأس

(١) المصدر السابق، ص ١٦٥. وحسب الشيخ علي فقد رد "أحمد جابر" على تصريح الخوئي في صحيفة الحياة بتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٩٩٨ جاء فيها ((إن التقييم العلمي لرجل الدين في الحوزات العلمية يقوم على أسس معينة تتضمن شهادة عدد من المجتهدين بكفاءة ذلك الشخص وأهليته وهذا ما يعلمه السيد مجيد الخوئي جيداً باعتباره أحد أبناء العلماء، لذلك فليس من حقه أن يقول عن السيد محمد الصدر إنه ليس أهل للمرجعية. أما ما قاله من أن السيد محمد الصدر هو مرشح السلطة، فهذا ما تنقصه الدقة الى حد بعيد. فالذي يعرف النظام في العراق وكيف يتعامل مع مثل هذه القضايا الحساسة يعلم جيداً بأن السيد الصدر وغيره مجبرون على الوضع الذي يعيشونه تحت حراب النظام، كما حصل من قبل للسيد أبو القاسم الخوئي الذي أجبر على أمور عدة، ما كان يقبلها لو كان الوضع طبيعياً في العراق. فإذا كان النظام يتظاهر بدعوه للسيد محمد الصدر لأغراض معروفة، فما ذنب السيد في ذلك، ونحن أبناء العراق نتذكر جيداً أن أجهزة النظام في عام ١٩٧٠ وبعد وفاة المرجع السيد الحكيم، تظاهرت بدعم السيد الخوئي. فهل يعني ذلك أنه كان مرشح السلطة آنذاك)).

المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٢) ولا نستغرب هذا الموقف من محمد بحر العلوم فهو من الشخصيات ذات العلاقات الدولية الغامضة، وهو من الأوائل الذين مهدوا لمشروعية احتلال أمريكا للعراق، فقد كان ضمن الوفد الذي باشر أول حوار مع الإدارة الأمريكية عام ١٩٩١، وكان من ضمن هذا الوفد إضافة اليه مصطفى جمال الدين وعبد المجيد الخوئي وآخرين. الحرب على العراق، ص ٥٢٧.

النظام العراقي"، بل إن الجهة التي تتقدم لك بغية التطبيع معك، ليس لها محل معنا.^(١)

وفي كلمة ليث كبة^(٢) قال فيها : ((فتولت السلطة مؤخراً إدارة كل أوقاف المسلمين الشيعة خلافاً لتاريخ وتقليد ألف سنة، واستمكنت مدارسهم، وحاولت مجدداً فرض مرجع ديني لهم، ثم منعت تمديد سمة الإقامة لطلبة العلوم الدينية من غير العراقيين.^(٣)

كانت الغلبة في البداية للمعسكر الأول، ولكن السيد محمد الصدر كان عازماً على خوض الحرب حتى نهايتها، ولكن بصبر وتخطيط مدروس :

فهو ((لم يكن يصرح أو يستطيع أن يصرح بأن له مشروعاً منتظماً للوصول الى أهداف محددة، وكان يكتفي بالعموميات ويخفي مراده أحياناً ما بين السطور، لأن السلطة المعروفة ببطشها وقسوتها ستقضي على مشروعه وهو في المهد، لأن أي عمل منظم تشعر بأن فيه تهديداً لكيانها ولو كان باحتمال ضئيل جداً فإنها تفتك به، حيث كان صدام يقول (إنني أقتل عشرة آلاف من دون أن يرف لي جفن)، وإنما صبرت السلطة زمناً ما على حركة السيد الشهيد (قدس سره) لأنها تعتقد فيها أنها حركة عفوية عاطفية غير منتظمة في مشروع، وقد تعمّد السيد الشهيد (قدس سره) إيقاعها في هذا التصور حينما سئل في بعض لقاءاته المسجلة عن خطوته اللاحقة، قال : (إنني لا أعلم ماذا أفعل غداً، وكل ما في الأمر أنه عندما يأتي الغد أجد نفسي مقتنعاً

(١) محمد تقي الخوئي، ص ٧٤.

(٢) علماً أن ليث كبة يعمل في National Endowment For Democracy وهي هيئة تابعة للكونغرس الأمريكي مقرها في واشنطن. الصمانجي، عزيز قادر، قطار المعارضة العراقية، من بيروت ١٩٩١ الى بغداد ٢٠٠٣، ص ٤١٢ الهامش.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٦.

بأن أقوم بفعل ما)، وهو (قدس سره) يعلم أن هذه الكلمات تصل الى السلطة لأنها تتابع بدقة ما يصدر عنه من كلمات وخطب ومنشورات وتحللها^(١))).

وأما قصة دعم الحكومة لمرجعية السيد الصدر مالياً فهو من قبيل التسقيط السمج، إذ لم يستطع السيد الصدر أن يطبع كتبه إلا بعد عناء، وعندما تطبع فبكميات محدودة، وكانت كلها مطبوعة بورق من أردأ الأنواع (ورق الصحف العراقية الرديء)^(٢) ومعظمها في مطبعة الآداب ومطبعة القضاء في النجف الأشرف، وهما مطبعتان متواضعتان، ولم يطبع له كتاب واحد في أية مطبعة حكومية على الإطلاق. في الوقت الذي كانت فيه كتب السيد السيستاني والسيد محمد سعيد الحكيم فكانت تطبع في بيروت وتشحن الى العراق وتوزع بحرية كاملة.

وأما قضية مدارس الحوزة فقد أغلقت تماماً بعد انتفاضة عام ١٩٩١، ولكنها افتتحت من جديد بإدارة محمد تقي الخوئي كما ذكرنا، ولكن أغلقت العديد من المساجد والحسينيات، وقد سعى محمد تقي الخوئي لفتحها مرة أخرى عن طريق سؤال رئيس النظام ذلك، كما تروي مؤسسة الخوئي :

((هكذا فإن رجوع السيد محمد تقي الخوئي الى النجف بعد الاحتجاز في بغداد وبعد قمع الانتفاضة لم يمثل نهاية المحنة، بل مثل بداية جديدة في طريق الآلام وامتحاناً جديداً له ولأهله. فقد منعت السلطة بعدها المئات من الكتب الدينية وأغلقت

(١) الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه، ص ٣٥١.

(٢) لم يكن السيد الصدر يمتلك الأموال اللازمة لطباعة رسالته العملية فاضطر الى بيع مكتبته التي كانت تحتوي على مخطوطات ثمينة بسعر بخس قدره (٢٠٠٠ دينار عراقي)، وقد اشتراها منه الحاج مسلم الدجيلي صاحب دار ومكتبة الأندلس في النجف، وأسرته الدجيلي هم الذين قاموا بالسعي لطباعة رسالته العملية (الصراط القويم) بطبعتها الأولى، في مطبعة بابل في بغداد. من ضمن حديث مع عمار الدجيلي نجل المرحوم الحاج مسلم الدجيلي في النجف الأشرف، في تموز ٢٠١٠م. عباس الزيدي.

المساجد والحسينيات، واحتجرت أكثر من مئة رجل دين يمثلون نخبة رجال الحوزة الدينية وأساتذتها. وتحت رعاية والده المرجع توجه السيد محمد تقي الخوئي للعمل أولاً على إطلاق سراح رجال العلم والدين، وثانياً من أجل إعادة نشاط الحوزة العلمية في النجف وفتح مدارسها، وثالثاً من أجل إعادة إعمار المساجد والحسينيات، ورابعاً من أجل إعالة المئات من العوائل التي فقدت رجالها في الحرب أو الانتفاضة أو الاعتقال.^(١)

إذن لم يكن السيد الصدر أول من بادر الى إعادة الحياة الى الحوزة والمظاهر الدينية، فهذا هو السيد محمد تقي الخوئي يسعى الى ذلك، وبلا شك فإن السعي لا بد أن يتم عن طريق السلطة لا غير، فنراه يلتقي بصدام حسين في بغداد ليطلب منه هذه الأمور:

((ومنذ الأسبوع الأول لوفاة والده اقتيد الى بغداد أمام شاشة التلفزة العراقية بحجة تقديم شكره الى صدام حسين حين عزاه بوفاة والده حينها ولم يجبه الشهيد بشيء. ومع ذلك لم يفوت الشهيد هذه الفرصة دون أن يشير الى المساجد والأضرحة المقفلة. فكان جواب صدام أن الدولة تفتقر الى المال ولا تستطيع إعمار المساجد في الوقت الحالي، فأجاب الشهيد حينها بأن المرجعية لا تحتاج الى مال الدولة وإن تبرعات الناس تكفي وكل ما يطلبه هو السماح بفتح المساجد، وحينها التزم صدام الصمت وأدار ظهره وخرج دون تعليق^(٢))).

وحسب منطق هؤلاء فإنهم يمتلكون الحق ولا غضاضة عليهم إن تواصلوا وطلبوا من النظام إعادة الحياة الى بعض الممارسات والنشاطات الدينية، ولكن عندما تكون عن

(١) محمد تقي الخوئي، ص ٦٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٥.

طريق غيرهم فهو عميل للنظام، بهذا المنطق استطاع السيد محمد سعيد الحكيم أن يستولي على إحدى المدارس الدينية، بإستصدار قرار من رأس السلطة صدام كما سنرى.

ومع كل ما قيل لم ترد أية وثيقة تثبت أن السيد الصدر طلب من النظام أي شيء وبأي مستوى، حتى بمستوى مطلب السيد محمد تقي الخوئي السالف، الذي نعتبره بلا شك مطلب مشروع وضمن السياق الشرعي في تعامل الحوزة مع الظلمة والسلطات عبر التاريخ.

وهذا لا يعني أن السيد الصدر كانت له صلة مع النظام فهو مما لم ولن يمكن إثباته، ولكن السلطة البعثية في العراق لها أن تعتقل أو تستدعي من تشاء، فهذا السيد الخوئي على شهرته اعتقل علناً واقتيد مع كل علماء وفضلاء حوزة النجف. ونلاحظ أن السيد الصدر تصدى للمرجعية قبل أن تكون له التولية على المدارس في النجف، فتحمل مسئوليتها واستلمها بعد ذلك كما ذكرنا، وهنا لا بد من أن نلاحظ أن المدارس تعود إدارتها ومسئوليتها لوزارة الأوقاف شأنها شأن أي مبنى ديني، ولكن النظام كان يغض النظر عن ذلك ليترك شيئاً من الحرية الشكلية للحوزة، لذلك لم تتدخل الحكومة في إدارة محمد تقي الخوئي للمدارس بعد وفاة أبيه، ومن ناحية أخرى كان الوضع يسير نحو التأزم بين النظام الجريح الضعيف وبين محمد تقي الخوئي الذي يبدو أنه ذهب بعيداً في تقدير قوته، وما يمكن أن يعتبر استهتاراً ببطش وسطوة صدام الذي لم يكن ليتورع عن ارتكاب أي عمل كردّ فعل غاضب مهما كانت النتائج :

((دفع هذا التصعيد الأخير الى مواجهات كلامية حادة بين مدير الأمن ومحافظ النجف من جهة وبين السيد محمد تقي الخوئي، حيث كان السيد محمد تقي الخوئي رأس حربة الحوزة والعلماء في مواجهة السلطة، ومن جملة التهديدات التي تلفظ

بها محافظ النجف في لقائه الأخير مع الشهيد ليجبره على الصمت قوله : "لا تحسب أن المؤسسة والضغط الدولي وبيانات مجلس الأمن تستطيع أن تحميك منا، والله نستطيع قتلك بألف طريقة وطريقة دون علم أحد"^(١).

وفي تعليق للسيد الصدر على أحد البحوث التي كتبت وقد جاء فيها "إن الحكومة العراقية اشترطت على السيد الصدر عدم التدخل بالسياسة". فأجاب: "هذا ليس بصحيح، بل أنا الذي ارتأيت ذلك حفاظاً على الحوزة"^(٢).

ولم يكن للسيد الصدر أي ظهور في إعلام السلطة ولم يشترك هو أو من ينوب عنه في أية مناسبة حكومية مهما كانت صغيرة، ولم يرسل أحداً لزيارة عدي صدام حينما تعرض لمحاولة اغتيال، بينما شاهدنا جميعاً ظهور السيد حسين الصدر وكذلك السيد محمد سعيد الحكيم الذي لم يكتف بالدعاء له بالعافية بل وأهداه عباة، ومن المحتمل جداً أن هذا الفعل من السيد الحكيم بتخطيط مسبق من قبل السلطة، مع ذلك لم يثر أحد مشكلة ضد السيد الحكيم ولم يتهمه أحد بالعمالة أو التملق للنظام. وليس من حق أحد أن يتهمه أو غيره ما دام لم يقدم أية خدمة للنظام وتضرر في نفس الوقت بالحوزة أو المجتمع، أو يكون الهدف منها مكسب دنيوي، مع أن السيد الحكيم استفاد في الواقع من هذه الحركة وغيرها في قضية استحواذه على المدرسة الباكستانية بأمر من صدام حسين بعد ذلك.

ونلاحظ هنا أن كافة الطلبة الذين كان يستقبلهم السيد الصدر كانوا مقبولين عند كافة المرجعيات في النجف، ولم يكن هناك اعتراض على أي واحد منهم، وكان المدار عندهم هو تجاوز الاختبارات والامتحانات الحوزوية المعتادة لا أكثر، وفي نفس

(١) المصدر السابق، ص ٦٦.

(٢) في تعليق للسيد الصدر على بحث "دفاع عن المرجعية" تأليف الشيخ عباس الزيدي، عام ١٩٩٧.

الوقت لم يكن للسيد الصدر معايير أخرى تجاه أي متقدم للحوزة، ولم يكن للولاء أو التقليد أي أثر في قبول الطالب أو رفضه، وجميع الطلبة الذين يعملون مع المرجعيات الأخرى أو اتخذوا منهم كانت يتقاضون رواتبهم من السيد الصدر على قدم المساواة مع غيرهم.

أما منح الإقامة للأجانب فلم يستثن منه أحدهم مهما كانت توجهاته، مع أن معظمهم لم يكن محسوباً على السيد الصدر، وكان من السهل على السيد الصدر أن يستغل هذا الأمر بالضغط عليهم ليعملوا معه ويدعون لمرجعيتهم إلا أن خلقه ودينه لم يكونا بهذا المستوى الضحل الذي يسمح له بشراء الذمم كما فعل غيره، إذ كانت الأموال تدفع من دون حساب لكل من يعمل ضد مرجعية السيد الصدر أو ينسحب منها، وحدثت العشرات من هذه المساومات التي لا تحتاج إلى تعريف في حوزة النجف لشهرتها.

لذلك حصلت الكثير من الاعتراضات من قبل الوكلاء في السنة التي تولى مسئوليتهم السيد محمد جعفر الصدر، وذلك في عام ١٩٩٧ فقد بدأ العمل بنظام الوكالة الواحدة، أي لا تُعطى وكالة عن السيد الصدر لمن أخذ وكالة من أحد المراجع في النجف، وعلى رجل الدين الوكيل أن يختار بين الوكالتين، فانقسموا قسمين، القسم الأول ومعظمهم من الجيل السابق فضل التخلي عن وكالة السيد الصدر لقلّة الواردات التي تصل إليه عن طريقهم، والقسم الثاني ومعظمهم من الشباب والجيل الذي انتمى للحوزة بعد عام ١٩٩١ أي بعد الانتفاضة، ولم تكن الوكالة تعطى إلا بعد تمحيص واستفسار عن نزاهة رجل الدين ومقدار تحصيله العلمي المطلوب في الوكيل ونشاطاته في محافظته وبلدته، وكانت هذه الخطوة بمثابة محك مهم لتمييز العاملين الكفوئين الرساليين من الطالبين للغنى عن طريق الحقوق الشرعية، فقد كان النظام السائد هو أن الوكيل يحصل على نصف مقدار الحقوق التي يجيبها، ولكن على أن يتصرف بها للشؤون العامة والخاصة، والواقع أن ما كان يصرف للشؤون

العامة لا يكاد يذكر إن لم يكن معدوماً أساساً، فاستغنى الكثير من الوكلاء من القسم الأول، وذلك لأن ما يجبونه من أموال لمرجعية السيد السيستاني بما لا يقاس به ما يوصل الى السيد الصدر، لأن الغالبية العظمى من التجار كانت متوجهة لمرجعية السيد السيستاني، خصوصاً تجار (الشورجة) في بغداد وغيرها من المحافظات، لأسباب منها عرقية أو متوارثة من الجيل السابق، فإن ارتباط معظم التجار كان بشخصيات معروفة مثل السيد حسين الصدر الذي عدل عن تأييد مرجعية السيد الصدر وتبنى اجتهاد نفسه، والسيد صالح الحيدري الذي ترسّخ وجوده في قلب بغداد قرب (الشورجة)، وباقي الوكلاء الذين سبق أن ذكرناهم، ممن لا يلائمهم منهج السيد الصدر المستقيم، فقد تربى الجيل السابق على مجاملتهم مهما كان سلوكهم من أجل استمرارهم بإيصال الأموال، ولم يذكر عن وكيل واحد منهم تمّت محاسبته من قبل أحد المراجع على جهات صرف الأموال التي قد يعادل بعض ما يصل الى الوكيل الواحد منهم ميزانية مرجع من المراجع، خاصة أن العراق كان يعيش في ظروف خانقة، والفقر قد استفحل الى درجة بات الحصول على رغيف الخبز الواحد عسيراً للكثير من الأسر، ولم تتحرك هذه المرجعيات بأية درجة معتبرة لتخفيف هذه الحاجة، بينما أتحم كل وكلاء مرجعية السيد السيستاني، وصاروا يبنون المنازل الحديثة التي تكلف مبالغ طائلة، ويتبجحون بامتلاك أحدث أنواع السيارات، بينما غالبية أبناء المجتمع يكدحون بلا طائل. فرفض السيد الصدر أية مجاملة لهم ولغيرهم، وقلّل من نسبة ما يأخذه الوكيل الى الثلث وأقل من ذلك عندما تكون المبالغ كبيرة، وكان المقرر أن يخصص راتب شهري لكل الوكلاء يسد مقدار حاجتهم الضرورية فقط، بدلاً من النسبة، ولكن الشهادة عاجلت السيد الصدر فلم يتم الأمر. فأصبح أولئك الوكلاء من ألد خصوم السيد الصدر بعد أن كان معظمهم من دعاة، وشنوا على السيد الصدر عامي ١٩٩٧ و ١٩٩٨ حملة إعلامية شرسة، وكتبوا ووزعوا النشرات المسقطة لمرجعيتهم، خصوصاً في سنة صلاة الجمعة، ولكن ردّة فعل الجماهير كانت خلاف ما توقع هؤلاء، ففي الوقت الذي كانت فيه مساجدهم تمتلئ

بالمصلين نفر الناس منهم بعد سحب وكالاتهم وحملتهم الإعلامية ضد السيد الصدر، وانتمى معظمهم الى مديرية الأوقاف الحكومية بتوسط أحد الشخصيات المشهورة والذي كان من دعاة مرجعية السيد الصدر سابقاً.

واصل السيد الصدر إلقاء دروسه بمعدل درسين في اليوم، درس الفقه صباحاً، ودرس الأصول عصرأ، وطيلة أيام الأسبوع باستثناء يوم الجمعة، وهو ما تفرد به، كون الآخرين لا يلقون هذا الكم من الدروس، وكان يواصل الدرس حتى في مناسبات وفيات الأئمة (عليهم السلام) إذ يقيم مجلس تعزية بالمناسبة بحيث لا تتعارض مع وقت الدرس، وهذا خلاف سيرة العلماء في النجف، فكان لا يعطل الدرس إلا خمسة عشر يوماً من شهر محرم وشهر رمضان كاملاً، فانخفضت نسبة تعطيل الدروس بصورة ملحوظة عنده، بينما باقي العلماء كان التعطيل عن الدرس هو الغالب في أيام السنة.

وهذا يؤدي الى عقد مقارنة بين مستوى بحثه مع بحوث الآخرين، خصوصاً وأنه كان لا ينفك يطرح أفكار أستاذه الشهيد الصدر وآراءه متوسعاً فيها ومناقشة لها، وكان الوحيد في ذلك في حوزة النجف، إضافة الى آراء أساتذته كالسيد الخوئي والسيد محسن الحكيم وأهم الآراء في مورد البحث، ولم يكن في النجف من يلقي بحثاً في علم الأصول بمستواه، بل لم يكن هناك من يبحث في الأصول غيره سوى الشيخ محمد اسحق الفياض وكانت آراءه مقتصرة على المشهور التقليدي، ولكنه كان يتعرض لآراء الصدر الأول بعنوان بعض المحققين.

وأخذ يستقبل الوافدين للقبول ضمن صفوف الحوزة ولكن بطريقته الخاصة التي تخالف الطرق السائدة سابقاً، إذ بعد اشتراط تزكية لسيرة المتقدم من وكيلين معتمدين عنده، كان يفرض إمتحانين للقبول : الأول في الثقافة الإسلامية والعامة أو (الامتحان الأخلاقي) وهو إمتحان شفوي، والثاني في الفقه وهو تحريري، وكانت

اللجنة متكونة بادئاً من الشيخ حسن الغرباوي والشيخ عباس الربيعي بالنسبة لاختبار الثقافة العامة أو الاختبار الأخلاقي، وتولى الشيخ محمد اليعقوبي إختبار الفقه منذ الأيام الأولى لمرجعية السيد الصدر.

المواجهة مع الوهابية :

في عام ١٩٩٦^(١) مع تصاعد الوعي الاسلامي وتنامي قوة مرجعية السيد الصدر بدأت تظهر حركة الوهابية وكان من الواضح دعم النظام لها، لتكون الضد النوعي لحركة الحوزة في النجف الاشرف، فأصبح العديد من زعماء هذه الحركة أئمة لمساجد كثيرة في وسط وجنوب العراق، وتواصل تهجمهم على التشيع والشيعة وتكفيرهم العلني لأتباع أهل البيت، واتجه الوهابيون نحو كسب المزيد من الاتباع بصرف مبالغ طائلة مستغلين الاوضاع الاقتصادية المتردية نتيجة الحصار الدولي على العراق، وكانت الاموال تصلهم تباعاً من السعودية، ومع كثرة الفقراء الا أن الوهابية كانت مرفوضة عموماً ولكنها استطاعت أن تكسب الى جانبها أعداداً من غير المتعلمين أو عديمي الثقافة الاسلامية، فرفعت عدة شكاوى الى السيد الصدر بعد استيلاء الوهابيين على عدة مساجد في بغداد وبعض محافظات الجنوب، فأوعز السيد الصدر بضرورة التواجد في هذه المساجد ورفض الهيمنة الوهابية عليها، فحصلت مصادمات وتدايعات على إثر ذلك، كما في مسجد الامام علي (عليه السلام) في حي الكمالية شرق بغداد (حي الزهراء حالياً)، ومسجد الامام الحسن (عليه السلام) في حي

(١) في الحقيقة بدأ نشاط الوهابية عام ١٩٩١ بعد الانتفاضة، وكان دعم النظام غير محدود لها، ومن الواضح أنها نشطت في المدن الشيعية، ولم يكن لها أثر ملحوظ في محافظات السنة، وهذا يدل على مدى حراجه موقف النظام بعد الانتفاضة، حيث بدا واضحاً له عقم أساليبه بالقتل والسجن، فكان أن لجأ الى محاولة صرف شباب الشيعة عن اللجوء الى الحوزة في النجف.

الثورة (مدينة الصدر حالياً)، وقد غير الوهابية اسم المسجد الى (مسجد الرشاد) وأجاب السيد الصدر في استفتاء رفع له : ((لا للوهابية ولا لغيرهم مسجد، والصلاة في هذا المسجد من أكبر المستحبات)). فوصل هذا الاستفتاء الى حي الثورة يوم السبت ١٩٩٦/٦/٢٢ فتدفق الناس للصلاة فيه فامتأ المسجد، واستمرت الصلاة فيه لمدة ثلاثة أيام وكان وكلاء السيد الصدر يتناوبون إمامة الصلاة فيه حتى جاء يوم ١٩٩٦/٦/٢٦ حينما تدخلت قوات الأمن منتصرة للوهابية واعتقلت حوالي مائة من المصلين ومنهم خمسة من رجال الدين، وأخيراً حجزوا في مديرية أمن صدام ثلاثة من رجال الدين ومنهم الشيخ عامر المنشداوي وأربعين شخصاً آخرين لمدة سنتين وخمسة أشهر.

ومسجد الغراف في ناحية الغراف التابعة لقضاء الشرطة الذي يتسع لحوالي خمسة آلاف شخص، حاول الوهابيون عام ١٩٩٧ السيطرة عليه بمساعدة رجال الأمن فأمر السيد الصدر وكلاءه من أبناء محافظة الناصرية بضرورة التواجد في المسجد، وحصلت بعض التداعيات نتيجة لذلك، لكن إصرار أبناء الناصرية حال دون سيطرة الوهابية عليه.^(١)

في مكتبه المتواضع قرب حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) كان السيد الصدر يستقبل الزائرين مرتين في اليوم خلال السنوات الأولى لمرجعيته، صباحاً بعد الساعة العاشرة الى وقت صلاة الظهر، ومساء بعد إقامته صلاة العشاءين في الحرم الشريف، وفي بدايات التسعينات كان عدد الزائرين قليلاً قياساً لمكتب السيد السيستاني، فكان الحديث يكون مباشرة معه للجواب عن سؤال فقهي أو أي موضوع آخر، وفي بعض الأحيان كان هو الذي يبدأ بفتح النقاش حول قضية ما أو يتحدث في أمر ما، ولم يكن عدد الموظفين كبيراً، وكانت مبالغ الحقوق الشرعية (على ضآلتها) تسلم الى

(١) لمعرفة تفاصيل أحداث المساجد أنظر كتاب السفير الخامس ص ١٤٥ و١٤٦ و١٦١ و١٦٢ على التوالي.

السيد جعفر اليعقوبي الذي تم استبداله بعد ذلك بمجموعة من الشباب الجدد، وسار الأمر لسنوات على ذلك، وكان خلالها يولي رجال الدين من الشباب رعاية خاصة ويدفعهم للمناقشة وخوض غمار كل المسائل المحتملة، وفي كل مسألة تعرض عليه كان يطلب من السائل رأيه أولاً مهما كان بسيطاً، ويستقبل أي بحث أو مقالة مهما كان مستواها رديئاً، ويعلق بما يشجع الكاتب على تحسين مستواه، أو يحيل الأمر الى أحد الفضلاء كالشيخ اليعقوبي لغرض تصحيح أو اصلاح ما يمكن إصلاحه أو توجيه الكاتب لنقاط القوة والضعف^(١)، وكان يشجع على القراءة الموسوعية لا أن يعكف الطالب على الكتب المنهجية في الحوزة. وعلى الرغم من داء الصدفة الذي كان يتأزم في أحيان كثيرة إلا أنه لم يتخلف يوماً عن مجلسه اليومي إلا في مرة واحدة عندما قامت السلطات القضائية بالاياعاز بتفريغ (المدرسة الباكستاني) الفرع الأول لجامعة الصدر الدينية عام ١٩٩٨ وتسليمها الى السيد محمد سعيد الحكيم، فقد أمرت السلطات بتفريغها خلال يوم واحد مما تطلب تحشيد أعداد من بينهم عدد من موظفي المكتب لنقل محتوياتها الى المقر الجديد في (مدرسة البغدادي) الذي أصبح المقر الرئيسي بعد ذلك.

(١) قبل أن ألتحق بالحوزة عام ١٩٩٤ كتبت بحثاً متواضعاً عن (البداء) فعرضته على أحد رجال الدين المعروفين في بغداد، فقال لي من دون أن يطلع عليه : لاتره لأحد والافسوف يضحكون عليك. وبعد أن التحقت بالحوزة سنة ١٤١٥ قدمته للسيد الصدر فأجاب (بحث جيد ومشكور، إلا أنه يحتاج إلى التدقيق في المصادر). والواقع أنه كان ركيكاً ولكن كلمات السيد الصدر شجعتني للمزيد من الاطلاع وتطوير معرفتي. عباس الزيدي.

تفاجئ الكثيرون عندما صدر كتابه (أضواء على ثورة الإمام الحسين "عليه السلام")^(١) وتوقفوا عند رأي له في رفض الثورة والتضحية، فقد كان الكثيرون يعتقدون أن السيد الصدر يمثل الامتداد الثوري لأستاذه السيد محمد باقر الصدر، فأصبح رأيه هذا مثار نقاش وجدل محتدم فالبعض كان يرى فيه تراجعاً وهزيمة، والبعض كان يرى أنه صدر منه تقية من النظام، وكان القليلون يعرفون أنه يمثل استراتيجية في منظومته الفكرية، وجاء هذا الرأي في معرض حديثه عن ثورة الامام الحسين وتكاليف الأجيال تجاهها :

((وقد يخطر في البال : في حدود هذه التضحيات المشار إليها أن الأجيال كلها يجب أن تكون مثل الإمام الحسين (عليه السلام) في تضحيته الجسيمة وفعلته الكريمة. فتضحي بالنفس والنفيس في سبيل الأهداف التي قتل لأجلها الحسين (عليه السلام). وجواب ذلك : إن الأمر ليس كذلك باستمرار، وإنما قد يحصل ذلك أحياناً قليلة، ولا يحصل ذلك أحياناً كثيرة، وكل فرد يجب أن يحسب تكليفه الشرعي أمام الله عز وجل. ونشير فيما يلي أن التكليف الشرعي كثيراً ما لا يقتضي ذلك على عدة مستويات :

المستوى الأول : إن التضحية التي أرادها الحسين (عليه السلام) واستهدف حصولها وقد حصلت فعلاً هي من الأهمية والعظمة بحيث لا تكون مقدورة لأحد إطلاقاً. وإن زعم الزاعم أنه يتحملها إلا أنه يخدع نفسه لا محالة يكفي في أنه سلام الله عليه معصوم، وأعمال المعصومين بلا شك فوق طاقة الأفراد الاعتياديين مهما تصاعدوا

(١) طبع هذا الكتاب في بيروت والطبعة الثانية في قم وقام الناشر في قم بحذف فقرة تحدث فيها السيد الصدر عن تحضير الأرواح، بعنوان أن هذا الكلام خزعبلات (كلاوات) حسب الناشر، وهذا نموذج عن الإمامة العلمية لمثل دار النشر هذه.

في درجات الإيمان والأخلاق. ومن هذا القبيل ما قاله أمير المؤمنين عن زهده : ألا إنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني - يعني على أنفسكم الأمارة بالسوء - بعفة وسداد..... الى آخر ما قاله.

المستوى الثاني : إنه لو كانت تضحيات الحسين (عليه السلام) واجبة على الأجيال بعده لكان أولى من يقوم بها أولاده المعصومون (عليهم السلام). مع العلم أنه لم يفعل ذلك ولا واحد منهم. إذن فلماذا يجب أن يكون تكليفنا في الأجيال المتأخرة مثل تكليفه، ولا يكون تكليف وعمل أولاده، مع أنهم جميعاً معصومون؟. يكفي أننا يمكن أن نأخذ بعمل العدد الأكثر من المعصومين وهو الهدوء وليس الثورة، فإن أولاده المعصومين تسعة وهو واحد.

المستوى الثالث : إن الأصوب ولأحجى لكل جيل هو أن ينظر الى تكليفه الشرعي أمام الله سبحانه هل هو التضحية أو التقية. ولا شك أن التكليف الغالب في عصورنا هذه عصور الغيبة الكبرى هو التقية وليس التضحية لمدى تألب الأعداء وترصدهم في العالم ضدنا من كل صوب وحذب. بدون وجود طاقة فعلية عند ذوي الإخلاص لمقابلتهم ومضادتهم. ومن تخيل فيه هذه القابلية، فهو متوهم سوف يثبت له الدهر - أعني بالتجربة - وهمه. والأفضل له العمل بالتكليف الفعلي وهو التقية المنتجة لحفظ أهل الحق من الهلاك المحقق. في أي نقطة من نقاط هذا العالم المعروف^(١).

والحق أن ما قاله يعنيه تماماً وليس من قبيل التقية أو التكتيك، وتوجد كلمات أشد من هذه في مؤلفات أخرى سبقت هذا الكتاب، فهو يؤكد :

(١) الصدر، محمد، أضواء على ثورة الامام الحسين، ص ٨١-٨٢.

((إن المحاربين والمعارضين مهما أوتوا من جهد وقوة أو كثرة أو قلة، لن يستطيعوا أن يغيروا قضاء الله وقدره. وإن لكل حكم مهما كانت صفته أمداً يبدأ به وينتهي إليه، ولا راد لقضاء الله سبحانه بذلك.

فعن أنس بن محمد، عن جعفر بن محمد "عليه السلام"، عن آبائه "عليهم السلام" (في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي "عليه السلام"، قال : يا علي، إن إزالة الجبال الرواسي أهون من إزالة مُلكٍ لم تنقض أيامه).

وقال الامام السجاد زين العابدين في الدعاء : ذلت لقدرتك الصعاب، وتسببت بلطفك الأسباب، وجرى بقدرتك القضاء، ومضت على إرادته الأشياء، فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة، وإرادتك دون نهيك منزجرة. أنت المدعو للمهمات، وأنت المفزع في الملمات. لا يندفع منها إلا ما دفعت، ولا ينكشف منها إلا ما كشفت. الى أن يقول : فلا مُصدر لما أوردت، ولا صارف لما وجهت، ولا فاتح لما أغلقت، ولا مغلق لما فتحت، ولا ميسر لما عسرت، ولا ناصر لمن خذلت... الى آخر الدعاء.^(١)

لم يكن سوء الفهم لمنظومته خاص بالبعيد عن، بل في أكثر القريبين منه إلا من كان قد استوعب واطلع على كتاباته وتأمل بكلماته، فهو على الرغم مما سمعنا تواتر يرفض التقاعس ولكن ليس بالعمل المسلح أو السياسي ذلك الوقت، فقد كان هذا التوجه سبباً لتدمير الحركة الاسلامية والقضاء على عشرات الآلاف من الشباب الرسالي، إذ وفق رؤيته هذه أن التغيير لا بد أن يحصل داخل المجتمع الإسلامي، في أخلاقياته والتزامه بتعاليم دينه وتطوير فكره ووعيه، وهو على الرغم من وعيه تماماً لضعف الدولة العراقية آنذاك وأنها تنازع وفي أيامها الأخيرة إلا أنه يعي أيضاً أن

(١) الصدر، محمد، ما وراء الفقه، ج ٢ ق ٢ ص.

الغرب لم يكن ليدع الحركة الاسلامية تنتصر في العراق من دون أن يسحقها كما فعلت الولايات المتحدة وحلفاؤها في الانتفاضة، فلم يعط الذريعة للنظام العراقي أو للهيمنة الدولية بالقضاء المبكر عليه وعلى حركته، وقد لاحظنا أن القيادات المعارضة للنظام خارج العراق كانت ساذجة جداً في تسابقها لإسقاط صدام ونظامه، فهم وفق رؤيتهم هذه اضطروا آخر المطاف الى أن يرتموا في أحضان (الشیطان الأكبر) ليسقطوا نظام صدام، وأن يقوموا بأخطر عملية استسلام في تاريخ التشيع، وبالرغم من أسبقيتهم بالعمل إلا أن السيد الصدر الذي جاء بعدهم بعقود استطاع أن يغير المعادلة فتخطيطه ومشروعه كان التغيير الداخلي والوعي، أما مشروعهم كان إسقاط صدام والوصول الى السلطة، فوصلوا الى السلطة وسيصلون ولكنها سلطة سنوات محددة بمجرد انقضائها ينقضي ويمحى كل تأريخهم وما عملوا وضحوا من أجله، أما هو فباق ما بقي مشروعه وهو طويل الأمد جداً ويمتد في عمق التأريخ المرتبط بأسلافه الذين حافظوا على مبادئهم وتعاليمهم ليسلموها نقية لمن بعدهم، ويمتد في عمق المستقبل حيث يبقى ويذهب السلطان، ولكنه أيضاً كان يخطط لدولة، ولكنها دولة من شكل آخر، لم يكن يفكر أو يطمح أن يكون على رأسها، أو تكون في حياته، وهذه الدولة بينها بصورة لم تسبق في تأريخ البشرية، ودخل في عمق تفاصيلها، ولسنا هنا في صدد المبالغة والتمجيد، فكتابه (اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني) هو النظرية على حد تعبيره، أما التطبيق فله شأن آخر ويوم قادم لا محالة.

إن أهم ما يميز حركة السيد الصدر هو حصول المجتمع العراقي على هويته، ولا نعني بها ما يردده بعض الجاهلين من كون حركة السيد الصدر جاءت تنويراً لمسعى النظام العراقي بتعريب المرجعية، فقد كان السيد الصدر من أكثر العلماء بُعداً وبغضاً للتوجهات القومية، ناهيك عن تزويجه لابنتيه من ولدي أحد العلماء ذوي الأصل الإيراني (السيد محمد كلانتر)، وقد أشار بوضوح خلال حياته الى أن في النجف ثلاثة مجتهدين يعترف باجتهدهم وهم : (الشيخ علي الغروي التبريزي، والشيخ

مرتضى البروجدي وهما إيرانيان، والشيخ محمد اسحق الفياض وهو أفغاني (الأصل)، كما أنه قد أشار الى أن احتملي الأعلمية في حياة السيد الخوئي بعد استشهاده استاذ الصدر ثلاثة علماء إثنان منهم إيرانيان هما : (السيد كاظم الحائري الشيرازي والسيد محمود الهاشمي الشاهرودي) والثالث هو نفسه. وأما تأكيده لاحقاً أن المرجعية لا بد أن تكون من مدرسته وفي أحد طلبته ليس لهدف قومي أو مضاد للإيرانيين وإنما لأسباب موضوعية سنأتي عليها لاحقاً.

كان منطلقه أن لكل مجتمع خاصيته ولكن يمكن توحيد في ظل مبادئ عامة مشتركة، وقد اضطرته الظروف المحيطة الى حصر مرجعيته داخل العراق، وجرت منه عدة محاولات للإنطلاق الى خارج العراق فمنع من ذلك من قبل الحوزة الأخرى والأحزاب الإسلامية العراقية التي كانت تربطها بتلك الدول علاقات وارتباطات واسعة، ولكن تعاطف معه الكثير من العراقيين خارج العراق، فعمل كل منهم بشكل فردي ومجموعات على التعريف بمرجعيته، وقد تبين التأيد الشعبي الواسع لمرجعيته خارج العراق بعد استشهاده من خلال ردود الأفعال والتظاهرات التي خرجت في كل عواصم العالم التي يتواجد فيها المغتربون العراقيون، وقد كان رد الفعل عنيفاً تجاه كل الذين أقدموا على مهاجمته في حياته بشكل غير مسبوق.

ولوحظ إجماع كل وسائل الإعلام في العالم بالتعظيم على حركته حتى في أوجها، فلم تتحدث أية صحيفة أو قناة تلفزيونية أو فضائية عن ما أحدثه في العراق إلا بمقدار لا يؤدي الى إعطاء الإمتياز للسيد الصدر وحركته، وهو لم يخف إساءة الظن بكل وسائل الإعلام، وصرح بأن أية جهة إعلامية إنما تحركها المصالح والأموال وهذا الجانب لم يبرع فيه بل لم يكن قادراً عليه لضعف موارده المالية حتى آخر يوم من حياته، بالرغم من أن ملايين العراقيين كانوا من أتباعه إلا أنهم من الطبقة المعدمة خاصة أن العراق كان لا يزال تحت وطأة الحصار الإقتصادي الدولي الذي جعل من العراق بلداً يعيش القرون الوسطى بكل معنى الكلمة.

صلاة الجمعة

بعد أن اطمأن السيد الصدر الى تجاوب الغالبية من شباب الشيعة في وسط وجنوب العراق لرجعيته بادر الى الإفتاء بوجوب إقامة صلاة الجمعة في المحافظات الجنوبية إضافة الى العاصمة بغداد، وصدرت الفتوى في ٦ جمادى الآخرة ١٤١٨ هـ، وأقيمت أول صلاة جمعة بتاريخ ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٨ الموافق ٢٤ / ١٠ / ١٩٩٧، وقد أوعز الى كافة وكلاءه بتوعية المجتمع على أهميتها قبل الجمعة الأولى، وقد أقيمت في المحافظات بمعدل واحدة أو اثنتين في كل محافظة، بحيث لم تتجاوز العشرين صلاة أول الأمر، وكان التوجيه بشكل غير معلن تماماً من قبله لكي يفوت الفرصة على النظام، وبالفعل أقيمت أول صلاة وحدثت حركة جماهيرية واسعة تجاوباً معها، ((فجاء مدير أمن النجف الى مكتب السيد الصدر للقاءه مستوضحاً عن الدوافع وراء إقامة الصلاة فأجابه السيد الصدر: لا دوافع وراءها، وإنما مجرد فريضة معطلة وإننا نريد إقامتها كما يقيمها أبناء السنة)).^(١)

وبعد أن حصلت الاستجابة المطلوبة توسعت إقامتها لتشمل كل أفضية جنوب العراق، ففي بغداد وحدها أقيمت في عدة مناطق منها: حي الثورة (مدينة الصدر حالياً) التي شكّلت أكبر تجمع للصلاة في العراق، الكاظمية، حي الأمين، حي الشعلة، حي البياع، حي المعامل، حي الزعفرانية، حي الشعب، حي العبيدي، ناحية المحمودية، ناحية الراشدية، وغيرها.

وقد كانت من أكبر التحشيدات الجماهيرية في تاريخ العراق الحديث، استهدف السيد الصدر منها إضافة الى إقامة فريضة منسية تماماً في حياة الشيعة لقرون، أن

(١) الزيدي، عباس، السفير الخامس، ص ١٣٨.

تكون منبراً إعلامياً وتوجيهياً وبالفعل تحقق الغرض من ذلك، فقد أوصل منبر صلاة الجمعة صوت مرجعية السيد الصدر الى كافة أنحاء العراق، وحصل تجاوب ملحوظ عند العراقيين في كل أنحاء العالم، فقد استقطبهم هذا الصوت وكانت أشرطة التسجيل والصور الفوتغرافية التي كانت تهرّب بشتى الطرق بهرت الأعداء والأصدقاء على حدّ سواء، حتى أن البعض لم يستوعب أن يكون في العراق مثل هذا التحرك الإسلامي فصّرّحوا أن هذه الأشرطة والصور مزيفة من قبل أتباع السيد الصدر.

وبعد قرابة الستة أشهر من إقامتها في وسط وجنوب العراق واكتسبت تجاوباً كبيراً خرج السيد الصدر بنفسه ليقيمها، ولكنه تعمّد أن لا يشير أية ضجة حول إقامتها بنفسه، وحصل التبليغ خلال أسبوع واحد قبل شروعه بها، فكان عندما يسئل خلال هذا الأسبوع عن إقامتها يثبت مرةً وينفي أخرى، وكان صادقاً في كل ذلك، إذ كان يفكر بادئ الأمر أن يقيم الصلاة في مسجد الكوفة أحد الفضلاء ولكن الذي عرض الأمر عليه اعتذر لأسباب وجيهة^(١). وبكل هدوء توجه يوم الجمعة الموافق ١٧

(١) عرض أمر إقامة الصلاة في مسجد الكوفة على الشيخ محمد اليعقوبي كما روى ذلك : ((بعد إقامة صلاة الجمعة في وسط وجنوب العراق لم يقيمها "قدس سره" في حدود النجف للحساسية الموجودة، وقال له أحدهم: إذا لم تقمها فعين من يقيمها بدلاً عنك. فقال "قدس سره": من هذا الذي أكبر رأسه وأعينه إماماً للجمعة هنا. وزرته مساء الجمعة التي سبقت عيد الغدير ١٤١٨ ففاتحني بموضوع أن أقيم صلاة الجمعة في الكوفة، فقال : إن ذلك سيكون حجة على جميع المرجعيات لأنه لا أحد يشكك في عدالتك، وإن وقفوا مني موقفاً مضاداً وأخذوا عليّ بعض الأمور. لكنه "قدس سره" لم يرد أن يفاتحني بالأمر جهره خشية انتشار الخبر قبل إبرامه، فكتب "قدس سره" ورقة صغيرة. فقلت له : إنني منذ أيام أفكر بضرورة إقامة صلاة الجمعة في الكوفة وبصدد الاقتراح عليك أن يتصدى لها من تثقون به من الفضلاء إن لم تقمها بنفسك، ولما كنت أعلم أن أول اسم سيرد على الذهن هو أنا فقد استخرت الله تبارك وتعالى في المضي في هذا الأمر فكانت النتيجة المنع وأن الترك جيد فأعرضت عن الأمر. فقال "قدس سره": فكّر في الأمر فإن تلك الاستخارتين كانتا فيما لو أنت عرضت الموضوع، وهذه المرة أنا أعرضه. فأخذت منه موعداً خاصاً وشرحت له أن سبب A

نيسان / أبريل ١٩٩٨ مع خواصه وموظفي مكتبه الى مسجد الكوفة ليقيم أو صلاة له في هذا المسجد المقدس عند المسلمين لما يحمله من ذكريات تاريخية مقدسة وأهمية عبادية لم تغب يوماً عنهم، كما أنه يمثل مركز حركة الإمام الثاني عشر المرتقب عند الشيعة، فكان اختيار السيد الصدر له في محله وتحققت النتائج التي كان يتوخاها من إقامتها فيه.

ويعتقد الكثير من غير المتابعين أن حركة السيد الصدر إنما صنعتها صلاة الجمعة وهذا ليس صحيحاً، فهو لم يشرع بالصلاة إلا عندما حصل عنده الاطمئنان بوجود القاعدة الجماهيرية التي سيتحدى بها، ويدل على ذلك نسبة المصلين الكبيرة التي استجابت منذ الصلاة الأولى، فقد شهدت السنوات التي سبقت إقامة الصلاة عملاً دؤوباً وحركة واسعة من قبل طلبة الحوزة المنتمين للسيد الصدر، ولو لاحظنا نسبة الاستفتاءات التي كانت ترفع للسيد الصدر لوجدنا أنها تتعدى المئات أسبوعياً من مختلف الشرائح، كما أن مكتبه كان يكتظ بالزائرين في السنة الأخيرة التي سبقت إقامة الصلاة، والنقطة الأهم التي سبق أن لاحظناها أن مسعى السيد الصدر لتهيأة

=الاستخارة أمران :

١ - أنني متخلف عن الخدمة العسكرية وهو يعرضني لعقوبة قاسية أيسرها أن أنزع الزي الديني وألتحق بالخدمة، وأخشى أن يفتضح أمري إن تصديت لإمامة الصلاة باعتبار تركيز الأضواء عليّ من قبل أعلام النظام.

٢ - إنني أشعر بالخرج النفسي الشديد أن أكون إماماً ويكون السيد الصدر مأموماً، ولا أطيق تحمل هذا الأمر. فقال "قدس سره": أستخير أنا على الأمر. فاستخار على أن يبقيني للإمامة ويختار غيري للخطابة فكانت غير جيدة، واستخار على إعفائي فكانت جيدة، واتذكر أن الآية كانت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) فأعفاني وتصدى هو "قدس سره" حتى نال شرف الشهادة. اليعقوبي، محمد، الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه، ص ٧٣ - ٧٤. كما أن السيد الصدر عرض إقامة الصلاة على ابن عمه السيد جعفر الصدر نجل الشهيد الصدر الأول فاعتذر تخرجاً من أن يصلي إماماً ويصلي السيد الصدر خلفه مأموماً.

جيل جديد من طلبة الحوزة الشباب تكلل في السنة التي سبقت الصلاة بالنسبة التي أراد، وكانت مدة كافية لتعرف المجتمع عليهم وتجاوبهم معهم، فقد اكتظت مدارس الحوزة في النجف بأعداد الطلبة الجدد ولم تعد تتسع، فاتجه الكثير منهم الى استئجار المنازل في المدينة القديمة والأحياء المجاورة، الى درجة أن عدداً منهم اضطر الى سكنى مقابر بعض الأسر العلمية التي كانت تصلح بشكل ما للسكنى.

ولكي تكون عندنا صورة كاملة عن أهمية هذه الصلاة وما ستؤدي إليه من أحداث ونتائج حاسمة لا بد من متابعة السيد الصدر في مسجد الكوفة منذ الصلاة الأولى مع مختصر لأهم ما جاء فيها لتكتمل الصورة عند القارئ وملاحظة التدرج في تناول المواضيع الحساسة التي تمت بصلة مباشرة للواقع الديني والتاريخي والحياة اليومية ومشاكلها عند الشعب العراقي.

الجمعة الأولى بتاريخ ١٩ ذي الحجة ١٤١٨ هـ الموافق ١٧/٤/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : إبتدأها بقراءة سورة الفاتحة على موتى المؤمنين والمؤمنات، ثم شرع بدعاء الخطبة، بعد ذلك ذكر أهمية إقامة هذه الصلاة وضرورة المحافظة عليها بعدم القيام بأي عمل من شأنه أن يؤدي الى منعها، وتكون المحافظة عليها من خلال طاعة المرجعية والالتزام بتوجيهاتها. ثم بين أهمية مسجد الكوفة من الناحيتين التاريخية والدينية وأنه من الأماكن المقدسة التي يتخير المصلي فيها بين القصر والتمام، وفي هذا المكان بالتحديد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يصلي ويخطب طيلة فترة خلافته، وكان مسكنه بالقرب منه، وفيه كان يقضي بين المتنازعين. ومن بعده كانت مركزاً لدعوة مسلم بن عقيل والمختار الثقفي، كما أن الكوفة كانت ولا زالت علوية على الرغم من وجود توجهات أخرى إلا أن الاتجاه الأكثر العام فيها هو التشيع، كما أن الكوفة هي العاصمة لدول العدل المرتقبة ومنها سيحكم العالم.

الخطبة الثانية : احتج فيها على الذين لا يحضرون لصلاة الجمعة من الناحية الفقهية،

ومن ناحية عدم حصول سوء أو شر بإقامتها خلال الفترة السابقة، ولم يحصل إلا الخير وإصلاح المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولم يملئ الحضور في هذه الصلاة نصف المسجد وكان هذا الأمر متعمداً من قبل السيد الصدر، فلم يعلن الأمر بصورة كاملة وإنما اقتصر التبليغ عن إقامة السيد الصدر للصلاة على مستوى معين وشفوياً حرصاً على إقامتها للمرة الأولى، خشية من حصول عائق من قبل السلطة كما ذكرنا سابقاً، ولكن الأمر اختلف في الجمعة اللاحقة.

الجمعة الثانية بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٤١٨ هـ الموافق ٢٤/٤/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : افتتحها بقراءة سورة الفاتحة للشيخ مرتضى البروجردي الذي قتل قبل أيام^(١)، ثم أكد على ضرورة عدم اقتصار الخطباء على الحمد والثناء العابر،

(١) استشهد الشيخ البروجردي يوم الثلاثاء ٢١/٤/١٩٩٨ م، بعد إقامته صلاتي العشاءين في حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) قرب مكتبه الواقع في شارع الرسول، وكان عائداً لتوّه من الصلاة، وقد أطلق النار عليه شاب مسلح يرتدي الزي العربي (دشداشة)، وقد أطلق عليه عدة رصاصات من مسدس كان يخبئه في جيب ثوبه، وكان بصحبة الشيخ عدد من مريديه ورجال دين، وسقط عند باب مدرسة اليزدي في زقاق ضيق، ولوحظ عدد من رجال الأمن الذين أربكوا الحركة في الشارع، وكنتُ ساعتها قريباً من الحادث بعد خروجنا من درس السيد الصدر في مسجد الرأس، حيث كان يلقي درس الكفاية بعد صلاة المغرب، ورأيت بنفسني الحركة الغريبة المرتبكة لسيارات الأمن المعروفة (أولدزموبيل)، أثناء رجوعي الى مدرسة اليزدي التي كنت أسكن فيها سنوات دراستي في النجف الأشرف، وقد أغلق الزقاق المؤدي الى المدرسة الى أن حملوا جثمان الشيخ الشهيد. وقد أخبرني تفاصيل الإغتيال زميلي الشيخ محمد السعدي الذي كان يسير خلف المجموعة التي كانت تصاحب الشيخ البروجردي، ورأى ما حدث كاملاً. عباس الزيدي.

((صرّح عبدالمجيد الخوئي الى جريدة "الحياة" في ٢٤/٤/١٩٩٨ م في أعقاب اغتيال الشيخ مرتضى البروجردي (قده) قائلاً إنه (تمّ في اطار تصفية المنافسين المحتملين لمرشح السلطة مرجعاً دينياً أعلى) وهو السيد محمد الصدر الـ(متعاون مع السلطة التي تستغل اسم عائلة الصدر لفرضه مرجعاً، مع أنه غير مؤهل) لذلك)).

فائق الشيخ علي، اغتيال شعب، ص ١٦٥.

والتأكيد على الصلاة على النبي وآله بشكل مجزي، ثم شرع بموعظة حث فيها على عبادة الله تعالى وأنه أهم من طلب الدنيا.

الخطبة الثانية : توجيه لقراءة القرآن كما نقرأ أي كتاب اعتيادي أو قصة، فكما يكون التركيز في قراءة القصة لا بد أن يكون التركيز كذلك على عبارات القرآن، للتمعن فيها والخروج منها بمحصلة وفائدة.

الجمعة الثالثة بتاريخ ٤ محرم ١٤١٩ هـ الموافق ١/٥/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : قبل الخطبة كانت مجموعة من رجال النظام واقفين عند باب المسجد شاهرين أسلحتهم فانتهرهم السيد الصدر ثم شرع بدعاء الخطبة. ثم أجاب عن أسئلة كانت تدور حول صلاة الجمعة في المجتمع، وكانت أجوبته تاريخية وفقهية واجتماعية، وأكد أن آية الجمعة (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) لم تكن لتشريع الصلاة بل لتحل مشكلة كانت قائمة آنذاك وأن تشريع صلاة الجمعة كان قبل ذلك.

الخطبة الثانية : أجاب على تساؤل حول عدم إقامة الصلاة من قبل العلماء السابقين، وأن الكثير منهم قد أقامها في عدة بلدان عبر التاريخ، كما أن أحد أسباب عدم إقامتها من قبل الآخرين عدم قدرة البعض على الخطابة إما بسبب اللغة أو عدم قدرة البعض الآخر على الحديث مع المجتمع بمستوى يتناسب معهم، خاصة أن معظم العلماء قد اعتادوا لغة الفقه والأصول وهي لغة لا يمكن لعامة الناس أن يفهموها، مما يتطلب أن يتنزل العالم عن مستواه الفعلي وهو ما لا يستطيعه الكثير منهم بسبب عدم الاختلاط الكافي لمعرفة لغة الشارع، إضافة الى أن المسلك المشهور في الحوزة كانت طريقته أن ينتظر قدوم الناس اليه وليس أن يتوجه بنفسه اليهم، وكان المقدم عند الحوزة أربعة أمور : صلاة الجماعة، الاستخارة، الفتوى، والدرس، وأي أمر آخر ليس من شأنهم الخوض فيه. وقد انتقد هذا المسلك بقوة

وعاب على أصحابه مخالفتهم لسيرة النبي والأئمة من أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم).

بعد إقامة الصلاة جرت مقابلة مسجلة مع السيد الصدر ذكر فيها أنه دعا المراجع في النجف للحضور وإقامة الصلاة، وأنه أرسل ولده السيد مصطفى الصدر إليهم برسائل خيرهم فيها فإن شاءوا أقاموا الصلاة أو ألقوا الخطبتين، ولكن لم يستجب منهم أحد، وقد اعتذروا جميعهم لسبب أو من دونه، باستثناء السيد السيستاني الذي لم يعتذر أو يذكر سبب عدم حضوره.

الجمعة الرابعة بتاريخ ١١ محرم ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٥/٨ م :

الخطبة الأولى : استهلها بتعزية الحضور بذكرى شهادة الامام الحسين (عليه السلام)، ثم ذكر أن هناك منع من قبل السلطة في بعض المحافظات من امتداد الصلاة الى الشوارع، وأعرب عن عدم رضاه بذلك. ثم قرأ أبيات للشريف الرضي في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام). ثم شرع في استدلال تاريخي فريد في أن القاتل الفعلي للإمام الحسين (عليه السلام) هو الدولة البيزنطية، وذلك أن النصيحة الأساسية جاءت من قبل سرجون بن منصور الرومي المسيحي بتولية عبيد الله بن زياد لمواجهة وقتال الإمام، وسرجون هذا هو أنيس ومستشار يزيد بن معاوية ورئيس ديوان الخراج ورئيس ديوان الرسائل في ملكه، كما أنه كان من خواص أبيه معاوية بن أبي سفيان، وأما أبوه منصور فهو المسؤول المالي للدولة البيزنطية في عهد هرقل قبل الفتح الإسلامي.

الخطبة الثانية : ذكر أن النبي وأهل البيت (عليهم السلام) أرفع شأناً من كل الأنبياء والمرسلين السابقين ومن الملائكة، فهم قد صبروا على ما لم يصبر عليه الأنبياء (عليهم السلام)، واستدل على ذلك بموارد من القرآن الكريم.

الجمعة الخامسة بتاريخ ١٨ محرم ١٤١٩ هـ الموافق ١٥/٥/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : ابتدأها من حيث انتهى في الجمعة السابقة، ليتابع أطروحته الشيقة حول تدخل الدولة البيزنطية في الدولة الإسلامية، فأكد مرة أخرى أن لهذه الدولة تأريخ حافل باستهداف الأنبياء السابقين، فهي التي اعتقدت أنها قتلت المسيح، كما قتلت يحيى بن زكريا، وبتهمها الصدر أيضاً باغتيال رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله)، إذ توجد روايات تؤكد أن النبي قتل مسموماً من داخل بيته، وربما إحدى زوجاته هي التي فعلت ذلك. ينتقل بعد ذلك الى سيطرة الدولة البيزنطية على الاقتصاد في المجتمع المسلم في الشرق الأدنى، فقد كان النقد المتداول في الدولة الإسلامية هو الدينار الروماني والدرهم الكسروي، وبعد زوال الامبراطورية الفارسية بقيت بيزنطة ونقدها، كما أن رحلة الصيف التي ذكرها القرآن^(١) إنما كانت الى الشام الذي كانت يسيطر عليه الروم، فيتقوت المجتمع في الجزيرة بما يجلبه من سلع هذه الدولة الى السنة اللاحقة، حتى سيطرة النبي على الجزيرة.

بعد ذلك عندما حصلت مشكلة مع قيصر جرى الاستقلال النقدي بما أشار به الامام الباقر (عليه السلام) على عبد الملك بن مروان^(٢).

انتقل للحديث عن دخول الفلسفة الى المجتمع الاسلامي ما سببته من تشكيك وإلحاد، واعتبر السيد الصدر الفلسفة والفلاسفة باطل إلا القلة منهم، وقد اعتبر صراحة كل من ابن أبي العوجاء وابن المقفع والجاحظ من عملاء الفلسفة للدولة

(١) (رحلة الشتاء ورحلة الصيف)، سورة قريش الآية ٢.

(٢) كان قيصر يستشعر قوته من خلال خلو الدولة الإسلامية من نقد خاص بها وحاجتها الى العملة الرومانية، فتذكر بعض المصادر أن قيصر هدد بأن ينقش سب وانتقاص نبي الاسلام على العملة وسيتداولها المجتمع المسلم على ما فيها من انتقاص رغم انه لولا ما حصل مما أشار به الامام الباقر (عليه السلام)، بسك عملة خاصة بالدولة الإسلامية.

البيزنطية، كما أن بعض اليهود الذين أسلموا أمثال وهب بن منبه وكعب الأحبار أيضاً من أتباع بيزنطة، وهناك دائماً جماعة معتد بها داخل المجتمع المسلم عملاء وتابعون للدول الأوربية، ويحتمل أن منهم الخوارج والقرامطة وكذلك المنصور والأتراك الذين جاء بهم حتى أصبحوا مسيطرين على الدولة الإسلامية فيقتلون خليفة وينصبون آخر حسب مزاجهم.

كما لاحظ أن الفتح الإسلامي لم يشمل المدن الرئيسية للرومان، كالإيونان وإيطاليا ورومانيا، وكان الغزو الذي يقوم به الخلفاء للتجارة والمكاسب من الغنائم وسبي النساء والأطفال، من دون أن يحكموا تلك المناطق بالعدل بل يفتكون بأهلها ويسلبونهم ويسبون ذراريهم ثم يرجعون.

الخطبة الثانية : شرح فيها خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) في المدينة قبل خروجه الى كربلاء.

بعد إقامة الصلاة سجلت مقابلة سئل فيها عن خطبه اللاحقة، وهل سيستمر في الحديث عن الدولة البيزنطية وأثرها في المجتمع المسلم، فأجاب أن الاستمرار في هذا الحديث قد يكون مخالفاً للتقية، وفي ما ذكر كفاية لمن يريد التوسع، ولكنه أكد أن الدولة البيزنطية بكل أشكالها وأسمائها هي السبب الرئيسي للمظالم في المجتمع المسلم. ثم قدم نصائح لخطباء الجمعة الآخرين حول الخطبتين.

الجمعة السادسة بتاريخ ٢٥ محرم ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٥/٢٢ م :
الخطبة الأولى : بين أهمية صلاة الجمعة وأنها أصبحت اللسان الناطق باسم الله ورسوله وأمير المؤمنين، وهداية للناس أجمعين، وأن جملة من الأمور التي تطرح في الشارع ينبغي طرحها في خطبة الجمعة، لأن هذا هو واجب رجل الدين والحوزة. ومن هذه الأمور ما يقوم به البعض من جعل حرم الإمام الحسين كعبة يطوفون حوله ويلبون تلبية الحج وهذا حرام وبدعة.

ثم ذكر أهمية المشي الى كربلاء راجلين الذي كان ممنوعاً وأن هذا المنع مرتبط بالرئيس العراقي، فطلب إجازة المشي الى كربلاء في زيارة الأربعين القادمة، لأنها خالية من أية مضامين سياسية، وطلب من أتباعه أن ينتظروا الإجازة بالمشي، وأن لا يقوم أي واحد منهم بعمل ارتجالي إلا بأمر من المرجعية، لأن أي فعل ارتجالي يكون مخالفاً للتقية وهو عمل حرام.

كما انتقد الاختلاط والتزاحم بين الجنسين في المراقد المقدسة، وطلب إيصال هذا التبليغ الى كافة أفراد المجتمع، وأخيراً ردّ على بعض المدّعين أن خطبة السيد محمد الصدر بسيطة واضحة غير معقدة، كأنهم يتوقعون درساً فقهياً، والواقع أننا لا بد أن نخاطب الناس على قدر عقولهم واستيعابهم حسب الوارد عن الأئمة (عليهم السلام).

الخطبة الثانية : ذكر جملة من الأفكار المتعلقة بالإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) الذي يوافق هذا اليوم ذكرى وفاته. فقد دخل الامام السجاد في تقية مكثفة بعد استشهاد أبيه في كربلاء، ولكنه قام بالكثير من الفعاليات لخدمة المجتمع الإسلامي، ومنها الجانب العبادي والأدعية لتربية المجتمع التي تردى وتدنى كثيراً في تلك الفترة، وكانت أدعيته تتضمن جملة من القضايا الاجتماعية والعقائدية، وكان يحمل الطعام على ظهره ليلاً ويوزعه على بيوت الفقراء من دون أن يعرفونه، وكان يشتري العبيد ويقيهم سنة عنده ثم يعتقهم بعد أن يكونوا قد تربوا وتأثروا بسيرته، فينتفع بهم المجتمع حيث ذهبوا.

الجمعة السابعة بتاريخ ٣ صفر ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٥/٢٩ م :

الخطبة الأولى : أكد أن طلبه السابق للمشي الى كربلاء رفض، وأن المنع حصل من قبل السلطة، فأمر بعدم المشي الى كربلاء في زيارة الأربعين، وأنهم إذا أطاعوا الحوزة فسينالون أجر المشي وأجر الطاعة.

ثم استمر في شرح خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) السابقة، وأخيراً حدّد موقع المعركة، وميّز بين الأسماء التي تطلق على المنطقة المحيطة كالنوويس والطف وكربلاء، وأن الامام الحسين قتل في الطف الواقع بين النوويس وكربلاء. وبهذا الشرح أنهى الخطبة الثانية.

الجمعة الثامنة بتاريخ ١٠ صفر ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٦/٥ م :

الخطبة الأولى : استرسل بشرح خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) السابقة، وفي الخطبة الثانية التي خصّصها لذكر الإمام الحسن (عليه السلام) الذي وافقت ذكرى شهادته قبل ثلاثة أيام من هذا التاريخ.

الجمعة التاسعة بتاريخ ١٧ صفر ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٦/١٢ م :

الخطبة الأولى : كانت استمراراً لشرح خطبة الإمام الحسين (عليه السلام). أما الخطبة الثانية فكانت عقائدية لإثبات وجود الخالق.

الجمعة العاشرة بتاريخ ٢٤ صفر ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٦/١٩ م :

الخطبة الأولى : طلب من المصلين أن يهتفوا لتأييد علماء الحوزة، إذ في الليلة السابقة أغتيل آية الله الشيخ علي الغروي أثناء عودته من زيارة كربلاء^(١)، ثم أثنى على طاعة المجتمع له بعدم المسير الى كربلاء مشياً على الأقدام تنفيذاً لأمره، وأكد في هذه المناسبة مرة أخرى على وجوب تنفيذ أوامر الحوزة. ردّ بعد ذلك على إشكال حول زيارة الأربعين، وهو أن المسافة بين كربلاء ودمشق ذهاباً وإياباً تستغرق مدة أكثر من أربعين يوماً، ويوجد هذا الإشكال في كتاب (الملحمة الحسينية) لمرتضى المطهري.

(١) استشهاد الشيخ علي الغروي أثناء عودته من زيارة كربلاء، وكان بصحبته صهره الشيخ محمد الفقيه وهو لبناني، وسائقه.

وفي خطبته الثانية تناول نزراً من سيرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) المناسبة وذكرى وفاته قبل أيام. وكانت الخطبة الثانية قصيرة جداً لتأثره بمقتل الشيخ علي الغروي.

الجمعة الحادية عشر بتاريخ ١ ربيع الأول ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٦/٢٦ م :

الخطبة الأولى : كانت مكرسة لمناسبة استشهاد آية الله الشيخ علي الغروي، وذكر مختصراً عن أصناف الشهادة في الإسلام ومنها شهداء الحوزة العلمية، واتهم بقتله ومن سبقه من الشهداء ما أسماه (الثالوث المشؤوم) أي بريطانيا وأمريكا وإسرائيل. ثم طلب شجب واستنكار الاستعمار الغربي، وقتل العلماء، ونصرة الحوزة العلمية بالصلاة على محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم). ثم أكد أن الإستعمار وإن كان يملك المال والسلاح، فنحن معنا الله سبحانه وتعالى، بعدها بين أن المرجع لا يصبح مرجعاً لأصله فمهما بذل الإنسان فلا يمكنه ذلك إلا بإرادة الله تعالى، وإن الشيوخ الشهيد البروجدي والغروي لم يكونا من الناطقين وإنما اتخذوا مسلك السكوت مع ذلك لم يمنع ذلك من استهدافهما وقتلهما. وأخيراً نصح مقلدي وأتباع الشيخ الغروي أن لا يلدغوا من جحر مرتين وأن يتخذوا مرجعية تسير بهم سبيل الرشاد وأن لا يتورطوا مرة أخرى في اتباع مرجعية تقليدية.

الخطبة الثانية : كانت مكرسة لذكرى وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فذكر موارد تتعلق بخلود رسالته وأنها خاتمة الديانات والأنظمة في الأرض.

قتل الشيخ مرتضى البروجدي مساء يوم الثلاثاء ١٩٩٨/٤/٢١ بعد إقامته صلاة العشائين في حرم أمير المؤمنين حيث كان يقيم الصلاة هناك منذ أمد، وقتل في الزقاق الذي يؤدي إلى منزله في شارع الرسول قرب مدرسة اليزدي الكبرى، أما الشيخ علي الغروي فقد قتل عند رجوعه من زيارة كربلاء يوم الخميس ١٩٩٨/٦/١٨، في الطريق بين كربلاء والنجف. نلاحظ أن توقيت مقتل الشيخ البروجدي بعد أول

صلاة جمعة أقامها السيد الصدر في مسجد الكوفة، وتسربت معلومات من بعض جهات الامن على نية الحكومة توجيه الاتهام الى السيد الصدر أو بعض المتسبين إليه في حادثة الاغتيال، ولكن قبل تطور الأمر بادر السيد الصدر ليقطع الطريق أمام السلطة العراقية ويفاجئها بما لم تتوقعه، ففي مقابلة أجريت معه بعد الحادثة أجاب عن سؤال حول الحادث : ((أنا حين أكون بعيداً عن المجتمع أو هذا الاتجاه لو صحّ التعبير، فأنا لست معاشياً للشيخ البروجردي ولست معاشياً لأضداده، لا أعرف هذه الجهة ولا أعرف هذه الجهة، ولا زالت علامة الاستفهام قائمة بصراحة، اتهمت الدولة العراقية في قتله، اتهمت الدولة الايرانية في قتله، اتهم مجاهدو خلق أو منافقو خلق في الحقيقة في قتله، اتهم السيد محمد الصدر في قتله، ولكن الله تعالى العالم بحقائق الأمور، إنما هذه التهم احتمالية ليس لها منشأ انتزاع، وحسب ما وصلني خبر اجمالي على أنه لم يقبض على أحد، فمن أين نستطيع أو تستطيع الدولة أو المحققون أن تأخذ برأس الخيط، ... وطبعاً أنا أستنكر بطبيعة الحال أن تكون هناك اعتداءات من خارج الحوزة على داخل الحوزة، شيء سمج جداً ولا يحمل ولا يلبس عليه ثوب، وخاصة إذا كان واحد من العلماء المتقدمين في السن والمتقدمين في العلم، فلذا ليس الأسف فقط على شخصه وإنما الأسف أيضاً على نوعه أو على مرتبته، على كل حال، الله تعالى هو الحافظ قبله وبعده)).^(١)

تجدر الإشارة إلى أن الشيخ البروجردي كان لسنوات من المحسوبين على مرجعية السيد السيستاني إضافة إلى المصاهرة بينهما، فمحمد رضا السيستاني متزوج من بنت البروجردي، وفي الأشهر الأخيرة لوحظ وجود تقارب بين البروجردي وبين السيد الصدر بعد إشارة الأخير إلى كون البروجردي من مسلمي الاجتهاد، ويتنافس مع اثنين آخرين هما الشيخ محمد اسحق الفياض والشيخ علي الغروي حول الأعلمية من بين طلبة مدرسة السيد الخوئي، وقد أعلن البروجردي بصورة وأخرى استقلاله

(١) لقاء صحفي مسجل أجراه معه الشيخ ستار البهادلي.

في السنة الأخيرة عن مرجعية السيد السيستاني وتصدى للمرجعية، وكانت رسالته العملية معدة للطباعة، فحصل خلاف ونقاش حاد بينه وبين مكتب السيستاني على أثر ذلك، كما أنه تعرض لحادثين خلال هذه الفترة، فقد اعتدى عليه رجال الأمن بالضرب لمرتين كما وضعت له قنبلة صغيرة أصيب على إثرها بجروح، وقد منع من إقامة الصلاة في حرم أمير المؤمنين ولكنه لم يمتنع، وجاء اغتياله بعد أول صلاة جمعة أقامها السيد الصدر في مسجد الكوفة، وقد لوحظ أن اغتيال هذا الشيخ بمثابة رسالة عملية واضحة من النظام إلى السيد الصدر وانداز مسبق نظراً لحجم التواجد الشعبي حول مرجعيته إذ لم يكن النظام يملك وسيلة أخرى كما هو معروف عنه.

أما مقتل الشيخ الغروي فقد كان بعد شهرين من قيام السيد الصدر بالصلاة في مسجد الكوفة، وهي أيضاً رسالة أخرى إليه من النظام، فقد تصاعدت وتنوعت لهجة السيد الصدر خلال هذه الفترة، وتناول قضايا لم يكن النظام ليرحب بها، مع أن السيد الصدر احتمل أكثر من احتمال حول الجهة التي نفذت جريمة الإغتيال هذه، وحسب طريقة التنفيذ فإن الاحتمال الأقوى والأرجح أن تكون الحكومة العراقية وراء العملية، وقد سئل السيد الصدر عن هذه العملية وخلفياتها المحتملة، إذ كانت نية النظام واضحة في توجيه الاتهام إلى السيد الصدر أو بعض منتسبيه، وقد اعتقلت مجموعة كان بعضهم في السابق موظفاً في مكتبه، ولكن نتيجة انتمائهم إلى ما يسمى بالسالكين فقد أبعادوا عن المكتب، فبادر السيد الصدر إلى التصريح حول هذا الأمر وكرر أن الجهات المحتملة لارتكاب جريمة الاغتيال عديدة، منها الحكومة العراقية وإيران وغيرها، كما أشار إلى الخلاف التاريخي بين مكتب السيد الخوئي وبين الغروي الذي يمتد إلى حوالي ثلاثة عقود، ولكن كل الجهات التي اتهمت بالجريمة لا يوجد أي دليل ضد أي منها وإنما مجرد أقاويل وإشاعات، كما ذكر المعتقلين من السالكين الذين أرادت السلطات العراقية إلصاق التهمة بهم، واستبعد أن يكون لهم ضلع في الأمر، كما ذكر أنهم يتعرضون للتعذيب من أجل الإقرار بأنهم المنفذون، وأن يربطوا السيد الصدر بالأمر، ولم يفت السيد الصدر أن تكون

هذه العملية تلويحاً بعضاً طالما استخدمها النظام ضدّ من يتوجس منه أو يعترض عليه للحد من نبرته المتصاعدة، أو عدم التعرض لقضايا حساسة على صعيد التاريخ والسياسة، كما ذكر أنه ربما يكون الثالث بعد الشيخين مستشهداً بالمثل المشهور (ما ثني إلا ثلث)، وبعد تصريحه هذا قامت السلطة العراقية بغلق القضية.

الجمعة الثانية عشر بتاريخ ٨ ربيع الأول ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٧/٣ م :

الخطبة الأولى : استهلها بالحديث عن شدة الحر التي يمر بها العالم عموماً والعراق خصوصاً، فقد كان الحر في هذا العام بشكل لم يمر به هذا الجيل، يضاف إليه انقطاع الكهرباء بشكل مستمر، فطلب من المصلين الالتفات الى الأجيال السابقة التي كانت تصلي في مثل هذه الأجواء، وذكر بأن المسجد الحرام والمسجد النبوي وغيرهما لم يكونا بسقف مجرد جريد نخيل لا يغني عن حر أو برد، فتأسياً بكل العظماء السابقين والاشترائك معهم عاطفياً لا بأس بأن نشعر بشيء من الصعوبة التي عاشوها في سبيل إقامة دين الله.

كما أننا نؤمن بالامام المهدي (عليه السلام) فربما كلّف أي واحد منكم عند ظهوره بعمل ما فيه شيء من الصعوبة، فلا بدّ أن نكون مستدعين ومتعودين على المصاعب لنكون على قدر المسؤولية، لأن طاعة الله ليست منحصرة في زمن الظهور بل في كل وقت.

كما أكد على القصور والتقصير تجاه النبي (صلى الله عليه وآله) في ذكرى وفاته، فالجميع يقوم بإحياء ذكريات وفيات الأئمة ولكن بصورة أكبر مما هي عليه في ذكرى وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنما جاءت عظمة وأهمية الأئمة لأنهم من أتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهذا الاشكال وارد حتى على المؤرخين والمؤلفين في سيرة الأئمة فهم يكتبون عن رسول الله أقل بكثير مما يكتبون عن باقي الأئمة، لذلك توجه بالأمر الى كافة شيعة العراق بالحضور لزيارة أمير المؤمنين

بمناسبة ذكرى وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الخطبة الثانية : كرسها للحديث عن الإمام الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) الذي توافق شهادته هذا اليوم.

الجمعة الثالثة عشر بتاريخ ١٥ ربيع الأول هـ الموافق ١٠/٧/١٩٩٨م :

الخطبة الأولى : شرح الإصطلاح المتعارف بـ(فرحة الزهراء "عليها السلام")، وهو يوم التاسع من شهر ربيع الأول، الذي يوافق يوم تولي الامام المهدي للإمامة، إذ اليوم السابق عليه هو يوم وفاة أبيه الامام العسكري (عليه السلام). بعده تناول شيئاً من أحوال الزهراء ومكانتها وأنها أفضل من كافة المعصومين من أولادها (عليهم السلام).

الخطبة الثانية : انتقد الرياضة من عدة جهات، فالبعض قال له يوماً أن الرياضة تسري في دمي، وهذا يعتبر تفريراً للهدف من الحياة ومن خلق البشرية، كما أن تمسك الغرب بها الى أبعد الحدود بسبب فراغهم من الوازع الأخلاقي والديني، وبه يطلبون الربح الكبير من دون تقديم فائدة فعلية لمجتمعاتهم وغيرها، وقد دعم الغرب الرياضة في المجتمعات الاسلامية لعدة نتائج : إلهاء المسلمين عن واقعهم المعاش ومشاكلهم والمطالبة بحقوقهم، وصدهم عن دينهم كترك الواجبات والاختلاط المحرم وإبراز ما حرم من أعضاء الجسد.

الجمعة الرابعة عشر بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٤١٩ هـ الموافق ١٧/٧/١٩٩٨م :

الخطبة الأولى : أهمية التشريع الاسلامي وتكفله بحل مشاكل الإنسان في كل زمان ولكل مجتمع، وأنه من أهم وأكبر معجزات نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله). وسوف يبقى هذا التشريع الى يوم القيامة. كما تحدث عن إعجاز القرآن وخلوده.

الخطبة الثانية : عجز المادية والعلم الطبيعي عن تفسير عدد كبير من الظواهر الكونية الطبيعية، كما أن علوم الغربيين لا تعالج الجانب الأخروي أو الروحي، عجزوا عن تفسير (الحس المشترك) أي رؤية الشيء بكل خصائصه، فالتفاحة لها لون نراه بالعين ولها طعم نتذوقه باللسان ولها ثقل وحجم وكثافة، وهذه بأجمعها تعرف من خلال الحس المشترك. الذاكرة كيف تتذكر الأشياء بالملايين؟، كل هذا من فعل الروح التي عجز العلم المادي عن فكّرموزها، ولكن العلوم الدينية سبرت أغوارها وهي التي دلّت وعرفت عنها.

الجمعة الخامسة عشر بتاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٤١٩ هـ الموافق ٢٤/٧/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : ملاحظة حول استمرار انقطاع الكهرباء في كل أنحاء العراق وأنها من ناحية من البلاء الذي لا بد أن لا يثني عن طاعة الله تعالى، كما أنه من صنع الاستعمار الذي يريد بهذه الضغوط أن يذلّ إرادتنا، ثم طالب بعودة الكهرباء الى كل أنحاء العراق مع رفع الأصوات بالصلاة على محمد وآله (عليهم السلام) لثلاث مرات^(١).

ثم تحدث عن قدرة الله وعظمته في خلق الانسان وأيضاً تحدّى العلم المادي أن يجيب على تساؤلات عن بعض عمل بعض أجهزة الجسم، مثل القلب فهم يقولون هو أنه

(١) تحولت عبارة (اللهم صلّ على محمد وآل محمد) في عهد السيد الصدر وبعده إلى هتاف وشعار لاستنكار كل عمل ظالم، لذلك كان أزام النظام العراقي يعتقلون من يرفع صوته بها في المراكز الدينية المقدسة أو التجمعات الدينية في المناسبات المهمة. ومشكلة انقطاع التيار الكهربائي عن العراق موجودة منذ الحرب العراقية - الإيرانية لا يوجد ما يبررها سوى أنها مقصودة لثني الشعب العراقي وكسر شوكرته، فإذا فُسرَت تلك الأيام بسبب الحصار الإقتصادي فبماذا تفسّر بعد ثمانية أعوام على سقوط نظام صدام؟، وكل الأجوبة التي نسمعها واهية كاذبة، ولا جواب فعلي سوى ما أجاب به السيد الصدر كما في خطبته. والظاهر أن الشعب العراقي في جنوب العراق عصي على الترويض الاستعماري الغربي.

يدفع الدم فيجري في الجسم، والقلب ينبض ويتحرك لأن الدم يجري من خلاله، وهذا دور كما يعبرون في المنطق، فمن الذي يدفع الآخر الى الحركة؟. وكذلك حركة الدم داخل الشعيرات الدموية وعمل الغدد المتنوع، وكل أجوبة العلم المعاصر ربما أو الأرجح ولم يستطيعوا أن يعطوا جواباً قطعياً بأي شأن من شؤونها، أما الدين فيجيب عن ذلك بصراحة.

الخطبة الثانية : استمرار للأدلة العلمية على قدرة الله تعالى وعجز العلوم الحديثة عن الإجابة على التساؤلات.

الجمعة السادسة عشر بتاريخ ٦ ربيع الآخر ١٤١٩ هـ الموافق ٣١/٧/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : كان موضوعها السيطرة التي تفرضها الدولة على الأضرحة المقدسة والمساجد في العراق، وأنها يجب أن تكون بيد الحوزة، لأنها شأن ديني والشؤون الدينية لا بد أن تكون بيد المرجعية الدينية، وقد كان ذلك فعلاً موجوداً الى زمن الشيخ صاحب الجواهر حيث كان العلماء هم الذين يعينون السادن أو (الكليدار)، وبعد وفاة صاحب الجواهر استقل السدنة ولم يعودوا يستأذنون في موقعهم كسدنة أو الأموال التي كانت يصرفونها مما كان يصل الى الأضرحة، وهي أموال طائلة، وقد أذن السيد محسن الحكيم لأحد السدنة في عتبة الكاظمين بالتصرف بأموال الضريح على نفسه وأقربائه والباقي على المحتاجين من الفقراء، والظاهر أن السيد الحكيم كان يائساً من حصوله على أية نسبة من المبالغ فيما لو طالبه بها، وقد سيطرت وزارة الأوقاف منذ حوالي ثلاثين عاماً على الأضرحة، وأصبح السدنة موظفين لا يقيمون وزناً لأي أمر ديني، والغالبية العظمى منهم لصوص وشاربو خمر ويخدعون الزائرين بمختلف أنواع الخداع لسلبهم أموالهم، ويتدعون أموراً كالخيوط التي يوزعونها على الزائرين لغرض البركة، بينما هي نجسة من أيديهم النجسة، ومعظمهم لا يصلُّون ولا يصومون ولا يتمتعون بأي خلق إسلامي أو

إنساني، وقد سرقوا تحف الأضرحة والهدايا الثمينة التي كانت تصل من مختلف أنحاء العالم، لذلك يحرم إيصال أية مبالغ إليهم من الزائرين فأعطائهم الأموال ليس فيه ثواب بل عقاب لأنه تأييد للظلم والإثم ولأعداء الله تعالى.

الخطبة الثانية : تعرض في هذه الخطبة لما يعرف بالسلوكيين، ليحذر المجتمع منهم، فظاهريهم حسن ونواياهم قبيحة، فهم تاركون لضرورات الشريعة كالصلاة والصيام وغيرها، ويرون أنفسهم أعظم من رسول الله ومن القرآن، وينكرون يوم القيامة والثواب والعقاب في الجنة والنار، والثواب والعقاب في نظرهم نفسي وباطني، يؤمنون بالحلول فروح أمير المؤمنين حلت بفلان، وروح سلمان حلت بفلان.

وقد حصلت تداعيات على إثر هاتين الخطبتين، فقد قام حيدر الكليدار سادن حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) من قبل الأوقاف في يوم السبت ١٩٩٨/٨/١ اليوم التالي على الخطبة بقطع التيار الكهربائي عن مكتب السيد الصدر الذي كان يغذيه محطة توليد الكهرباء الخاصة بالحرم العلوي، كما منع إدخال فراش الصلاة التي كان يقيمها السيد الصدر الى غرف الصحن الشريف، وقد حصلت ضجة وارتفعت أصوات المصلين احتجاجاً على المنع، ولكن أمرهم السيد الصدر بالهدوء وإدخال الفراش الى مسجد الرأس الذي كان يلقي فيه درسه اليومي.^(١)

(١) حاول بعض الكتاب المغترين أن يقلب الحقائق لأحقاد وارتباطات واضحة، كما فعل رشيد الخيون في كتابه (لاهورت السياسة) الذي كرسه للنيل من السيد الصدر وحركته، فقد قلب حادثة السدنة خلاف حقيقتها، بأن إدعى أن حيدر الكليدار هو الذي بدأ بالتحرك ضد السيد الصدر الذي رد عليه بهذه الخطبة، وما يؤكد كذب خيون خطبة الجمعة اللاحقة للسيد الصدر التي نوه فيها عن ردود أفعال السدنة تجاه خطبته في الجمعة السابقة، وكتاب خيون هذا ليس تزييفاً لحقائق التاريخ فقط، وإنما تأكيد لمشكلة قديمة يعاني منها بعض الكتاب العراقيين خارج العراق، فهم ليسوا متعالمين على أبناء العراق الذين بقوا فيه فحسب، بل يعتبرون أنفسهم قيمين وأولي أمر الشعب العراقي، وخيون لا يخفي ولاءه لمؤسسات لندن التي تأسست على يد الاستعمار البريطاني، والتي ما فتئت تستنزف أموال المسلمين لتخدم بها بريطانيا الاستعمارية، وكذلك A

الجمعة السابعة عشر بتاريخ ١٣ ربيع الآخر ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٨/٧ م :

الخطبة الأولى : حثَّ فيها على القيام بالأمور العبادية المستحبة وتجنب المكروهات، وأن يبادر كل واحد الى التوبة في حال كان مقصراً أمام الله تعالى.

الخطبة الثانية : تناول موضوعي الجمعة السابقة ونقده لفئتي السدنة والسلوكيين، وأكد أنه لن يتنازل عن نقده لهما، وإنه يتوخى منهم التوبة والندم على ما ارتكبه، من جهة أخرى قال إنه رأى عدداً منهم لم يتأثروا لأنهم لم يقوموا بالأعمال المنكرة التي يقوم بها الآخرون، بالتالي من كان منهم لم يتجاوز على حرمان الله ولم يكن يخدع الناس ويسرقهم بشتى العناوين فهو غير مشمول بما قال أكيداً، بينما كان ردُّ

=لتصدر لبلاد المسلمين مرجعيات زائفة ليس لها حظ من دين أو علم أو تاريخ، وليس خيون هو الخائن الوحيد لبلاده والحقيقة وانما هو يعبر عن فئة تسيطر على مقدرات العراق الدينية والاجتماعية والسياسية حتى هذه الساعة. ولن يطلع على كتاب هذا الخيون يجد فيه أحكاماً مسبقة ضد السيد الصدر وكل من يمت له بصلة كسماحة آية الله الشيخ العنقوي الذي لم يسلم من ترهاته وافتراءاته، ومن الواضح أن خيون يحاول أن يقدم أوراق اعتماده بالنيل من السيد الصدر والشيخ العنقوي إلى بريطانيا وذيلها في الشرق المسلم. فعلى طريق (رمتني بداءها وانسلت) وبتناقض فاضح اتهم الخيون سماحة الشيخ العنقوي بأن مرجعيته تمول من قبل بريطانيا، ويدافع بكل حرارة وحماس في نفس الوقت عن قادة المؤسسات التي اتخذت من بريطانيا مقراً لها ولأموال المسلمين، بينما يعلم كل مطلع أن مرجعية الشيخ العنقوي مرجعية رسالية ولا تملك أية موارد خارجية، خاصة في عاصمة الشر لندن، فلا تمثلية له هناك، ولا أموال في مصارفها، ولا مقبولة عند الحكومة البريطانية، ولا ندري ما هو موقف خيون ومن لفَّ لفَّه تجاه من اتخذوا لندن ملجئاً حين اشتدت الأحداث في العراق وسالت دماء الأبرياء في أرض النجف؟، نجد خيون يستقتل في الدفاع عن هؤلاء وأضرابهم، ولا نريد أن نسترجع تاريخ (وقف أوض "أوضة" الكبير) الذي أسس لأول عمالة في المؤسسات الدينية، فهل يستطيع خيون أن يذكر وقف أوض وخلفياته، ومن يعتبر وريث هذا الوقف المشبوه في هذا اليوم، وهل يستطيع أن يخبرنا من هو (محمود أغا الهندي) الذي كان يدير الوقف حتى هروبه من النجف الأشرف عند قيام ثورة العشرين؟، ولكن مهما قال هؤلاء المرتزقة ومهما فعلوا فسيبقى الصدر قائداً ورمزاً للعراق، وللتاريخ والمجتمع والحق كلمته ولو بعد حين.

الفعل معادياً من قبل البعض الآخر^(١). وشبه هؤلاء بمشركي قريش، كما أكد أنه لا يستهدف سوى إصلاحهم وردعهم عن ما يفعلون من الباطل. فهم إذا أصرّوا على أفعالهم فسيبقى كلامه بمقاطعتهم ونقدتهم سارياً، وإن هم أعلنوا التوبة والندم فسيكونون أخواناً لنا مرة أخرى.

الجمعة الثامنة عشر بتاريخ ٢٠ ربيع الآخر ١٤١٩ هـ الموافق ١٤/٨/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : حثّ على التكاتف بين الأخوة في الدين، وأن أي خلاف أو عداوة بينهم مرفوض، فواحد من الأخوين سيكون ظالماً لأخيه بالتالي سيكون ظالماً لنفسه أمام الله تعالى ومستحقاً للعقاب. فعندما نتكاتف فسوف ننفع المجتمع، بينما إذا اختلفنا وتنازعنا فسنكون مثل الديكة المتصارعة يتفرج علينا الأعداء ويضحكون منا، وهم يتربصون بنا ويصطادون بالماء العكر، فمهما كانت قيمة رأيك وأفكارك احتمل أن تكون مخطئاً وأخوك مصيباً، وحتى لو تنزلنا عن ذلك فليس كل حق يقال وليس كل باطل ينتقد ظاهراً، حفاظاً على صالح المجتمع المسلم.

الخطبة الثانية : نبّه فيها على أن نسأل أنفسنا هل نصافي أعداء الدين ونجاهلهم ونعمل بأعمالهم، وهل يوجد عندنا تجاههم أقلّ الإيمان وهو الاستنكار القلبي الذي هو ملازم للإيمان؟، فقد لا يستطيع المؤمن أن يستنكر عليهم باليد أو اللسان للثقة الواجبة، ولكن لا بد من أن يتوفر عنده أضعف الإيمان وهو الرفض القلبي لأفعالهم وأقوالهم. كما طالب بإغلاق كافة حانات الخمر المنتشرة في العراق وغير العراق.

أشار أخيراً الى حصول منع من قبل الدولة لبعض صلوات الجمعة في بعض مناطق العراق، فهي ليس فيها ضرر بل العكس فيها الخير والصلاح للمجتمع، كما أنه ليس من المعقول أن تمنع الصلاة لفئة أو مذهب ولا تمنع لفئة أخرى، فطالب بغض النظر

(١) يشير هنا إلى ردّ فعل حيدر الكليدار السابق.

عن إقامة الصلاة في أي مكان من العراق.

الجمعة التاسعة عشر بتاريخ ٢٧ ربيع الآخر ١٤١٩ هـ الموافق ٢١/٨/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : كان الحديث فيها عن تقبيل اليد وأنه نحو من التكبر والشعور بالأهمية، وفي الحديث الذي رواه "أنها حمقة من حمقات الأعاجم كانوا يستطيّلون على الناس بتجبرهم"، كما أن الرواية عن الإمام الصادق "عليه السلام" : (إنها لا تصلح إلا لنبي أو وصي نبي). وكل من يعطي يده للتقبيل كرؤساء العشائر والمتقدمين في السن ورب الأسرة فهو فعل قبيح من قبلهم، ولا توجد رواية واحدة تدل على استحبابه في الروايات عن النبي وآله "عليهم السلام". وإنما الروايات تؤكد على استحباب المصافحة لا أكثر.^(١)

(١) كان رفض السيد الصدر لتقديم يده ليقبلها الآخرون يعتبر حالة غريبة في الوسط الحوزوي والشعبي، فكل من في الحوزة من علماء ورجال دين لا يمانعون عادة من تقديم أيديهم للآخرين، ولم يكن هناك من يعترض أو يعتبرها حالة تدل على التكبر والانانية، ولكن عندما أثار السيد الصدر هذا الأمر وأنه لا أصل له في الدين، وقد دخل إلى الدين ضمن ما دخل من عادات لشعوب أخرى، وحاول بعض رجال الدين إسباغ المشروعية على فعلهم هذا باستدلالات من المنطق أو السيرة مع اعترافهم بعدم وجود تشريع لها، بل التشريع على خلافها تماماً. وقد سرت هذه العادة لقرون، ولكنها تراجعت بعد هذه الخطبة، وأصبح من الشاذ أن يقدم رجل الدين يده للتقبيل، وكل من أصر على فعلها أخذته العزة بالإثم لا أكثر، وقد تميز أتباع السيد الصدر عن غيرهم برفض تقبيل أيدي الآخرين. بينما يؤكد زعماء الحوزة التقليدية على أهمية تقبيل أيديهم كما في الاستفتاء التالي المرفوع إلى السيد محمد سعيد الحكيم :

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد سعيد الطبطبائي الحكيم (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أفتونا مأجورين :

مارأيكم بتقبيل أيادي العلماء؟ وما هي الحكمة منها؟

(٢٦٤)

الخطبة الثانية : من الأمور السائرة في الحوزة وغيرها مخاطبة الفرد بصيغة الجمع :
جئتم وقلتم وذهبتهم، ومن المستهجن في عرف الكثير من رجال الدين مخاطبتهم
بصيغة المفرد، مع أننا نخطب الله تعالى بصيغة المفرد، ونخطب المعصومين بصيغة

=مقلدكم نهاد جاسم الدراجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يبدو بملاحظة الأحاديث الشريفة والأعراف الاجتماعية أن تقبيل اليد أظهر صور التكریم والتعظيم
السائدة بين الناس، لذا يُقتصر فيه على فئات قليلة من الناس لمكانتهم الخاصة أو العامة. وقد تعارف بين
المؤمنين تقبيل يد أهل العلم تكريماً لهم لما يكونونه لهم في نفوسهم من التعظيم والتقدیس، تبعاً لما تضافرت به
الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من تعظيم أهل العلم ورفع مقامهم عند الله تعالى وعظيم حقهم على
المؤمنين، لأنهم دعائهم الى الله تعالى وأدلاؤهم عليه وحمله دينه إليهم يعتصمون بهم من الضلال ويلجأون
إليهم في حيرة الفتن ويسترشدون بهم عند الجهل، حتى ورد في أحاديث أهل البيت (ع) أن النظر الى وجه
العالم عبادة وأن الصلاة خلفه كالصلاة خلف رسول الله (ص) وأنه لا ينبغي القيام لأحد إجلالاً إلا لرجل
الدين وأن العالم يشفع فيشفع الى غير ذلك مما ورد في تكريم رجال الدين وتعظيمهم حيث يناسب ذلك
رجحان تقبيل أيديهم. ولا سيما بلحاظ ما ورد في صحيح رفاة عن الامام الصادق (ع) في آداب المعاشرة
(قال: لا يُقبل رأس أحد ولا يده إلا رسول الله (ص) أو من أريد به رسول الله (ص)). لصراحته في أهلية
الشخص لأن تقبيل يده إذا كان ذا علاقة برسول الله (ص) بحيث يقصد بتكريمه تكريم رسول الله (ص). ومن
الظاهر تحقق ذلك في أهل العلم الذين هم رموز مُذكّرة برسول الله ممثلة لشخصه الكريم في أمته لأنهم حملة
تعاليمه والمبلغون بها عنه والداعون لدينه الحافظون له. ومن هنا لا ينبغي الإشكال في رجحان تكريمهم
وتعظيمهم وتقبيل أيديهم وغيره من صور التكریم.

نعم لا بد من أمرين :

(الأول) : أن يكون رجل الدين أهلاً للتكریم بتدينه والتزامه وواقعيته وحسن سلوكه وموافقة عمله لعلمه
بحيث إذا رأيته ذكرّك الله تعالى ورسوله.

(الثاني) : أن يكون تكريمه وتقبيل يده من أجل علمه وتدينه، لا من أجل أغراض آخر دنيوية كاكسباب المال
منه أو الانتفاع بجاهه أو نحو ذلك.

ونسأله سبحانه التوفيق والتسديد لنا ولأخواننا المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل.

محمد سعيد الطباطبائي الحكيم

١٥ ربيع الثاني ١٤١٨ هـ.)). قاسم الكعبي، الثورة البيضاء، ص ٤٥٦.

المفرد، وهذا الفعل لطلب الدنيا والشهرة، وقد أصبح هذا راسخاً في اللغة الفارسية، وهذا أمر مؤسف شأنه شأن تقبيل اليد.

ومن العيوب المستحكمة في الحوزة وخارجها الجلسة الشريفة في صدر المجلس، حتى لو لم المكان يتسع له، مع أننا نجد في الرواية أن الذي يدخل إلى مجلس النبي (صلى الله عليه وآله) يسأل (أيكم محمد؟)، وهذا يدل على أنه يجلس في أي مكان يجده وليس في صدر المجلس، وفي هذا تطبيق عملي للتواضع الذي يحث عليه النبي والأئمة (عليهم السلام)، وتوجد الكثير من الروايات عنهم في هذا الاتجاه.

الجمعة العشرون بتاريخ ٥ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٨/٢٨ م :

الخطبة الأولى : تحدث عن الأخوة في الإيمان لما لها من علاقة بالجمعة السابقة التي تحدث فيها عن تقبيل اليد، فالمؤمنون أخوة سواء كان بعضهم يعرف بعضاً أو لا، لوجود الهدف المشترك لهما، ومن لوازم الأخوة هو تبادل الثقة والاحترام، ومن جملة الاحترام هو تقبيل يد المناسب اجتماعياً وسيكون له مبرر شرعي، فإذا لم تقبل يده فإنك تحتقره اجتماعياً، وهذا كله ليس صحيحاً، فإذا كان الآخر يتوقع منك أن تقبل يده احتراماً لشخصه فعدم التقبيل يعد احتقاراً له، وهذا نحو من التكبر والانانية، لذلك كل من يتوقع أن تقبل يده فهو خارج من رحمة الله وداخل في سخطه، لذلك أرجو أن يأتي اليوم الذي يكون من تقبل يده شاذ وغريب في المجتمع.

الخطبة الثانية : من الأمور السائرة اجتماعياً أن تقبل يد السيد العلوي احتراماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكن هذه الصفة ليست من اختياره وإنما صفة تكوينية ولادية ليست من اختياره، فمن اعتقد أنه لا بد للناس من تقبيل يده لنفسه وليس لرسول الله فهو آثم ومن يقبل يده يعينه على الإثم، ونفس الأمر يسري بخصوص الصلاة جماعة، فالبعض يعتبرها محلاً لكسب الرزق وليس عبادة مستحبة، ولا نجد إثنين من المراجع يصلي أحدهما وراء الآخر، بل ينتظر أحدهما متى ينتهي

الآخر ليقوم فيصلي، بينما في السابق كان الكثير من العلماء إذا وجد أحد العلماء يصلي صلى خلفه، وقد بعثت بكتب إلى عدد من المراجع (إنك إذا حضرت (لصلاة الجمعة) فأنا سوف أقدمك للجماعة، وأصلي خلفك)، ولا زال هذا الأمر ساري المفعول، ولو أنهم حضروا إلى صلاة الجمعة لكان بإمكاننا -بغض النظر عن السلاح- مجابهة إسرائيل نفسها.

الجمعة الحادية والعشرون بتاريخ ١٢ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٩/٤ م :

الخطبة الأولى : افتتحها بطلب التهاتف ب(اللهم صل على محمد وآل محمد) لأجل حب القرآن وطاعة القرآن مرة، ولأجل حب الزهراء وطاعة الزهراء مرة، ولأجل حب الحوزة وطاعتها مرة، ولأجل حب المرجعية الصالح وطاعتها مرة، ولأجل حب العدل الإسلامي الكامل وطاعته مرة. ثم تحدث عن مناسبة وفاة السيدة الزهراء (عليها السلام) وأنها أفضل من كافة أولادها من المعصومين، ثم ذكر فضائلها وأنها سر من الأسرار، فهي قلب رسول الله وروحه التي بين جنبيه كما في الرواية وهو أمر حقيقي وليس مجازاً.

الخطبة الثانية : توجه بخطابه إلى العشائر ورؤساء العشائر، فهم يسيرون وفق نظام باطل يسمونه (السنينة العشائرية)، وهم غير متفقهين ومتناسين للحوزة وكذلك أجيال المرجعية كانت تتناساهم وتتغافل عن وجودهم ولا تهتم بأمورهم، باستثناء الشباب الواعي من رجال الدين الذين يذهبون إلى مناطقهم ورعايتهم، بينما الحوزة لا ترسل أحداً إليهم وإنما يذهب بعض رجال الدين هناك لقضاء مصالحهم الخاصة لا أكثر، فيسيئون أكثر مما يحسنون، ولكن الوضع الآن لا بد أن يختلف بفضل وجود الوعي الديني والاجتماعي الجيد، لذلك لا بد أن يجتمع رؤساء العشائر ليتفقوا على (سنينة) تتوافق مع الشريعة الإسلامية، أو يراجعوا الحوزة ليحلوا مشاكلهم الواحدة تلو الأخرى.

وقد كتب السيد الصدر كتاب (فقه العشائر) وقد تمّ تبويبه وفق النظام العشائري ولكن بضوابط وأحكام إسلامية، كما توافد رؤساء العشائر ووفود منهم لزيارة السيد الصدر بعد هذه الخطبة، وعاهدوه على تطبيق السنية العشائرية الشرعية الجديدة.

الجمعة الثانية والعشرون بتاريخ ١٩ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ الموافق ١١/٩/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : خصّصها للحديث عن فضائل السيد الزهراء (عليها السلام) وسيرتها من خلال الروايات.

الخطبة الثانية : كرّسها للحديث عن حقوق المرأة وظلم المجتمع لها، فبعض النظرات المتخلفة تلحقها بالحيوانات، وذكر عدة موارد لظلم الرجل والمجتمع والقانون لها، وكذلك عن نقاط الضعف عند المرأة التي تؤدي إلى تصدّع الأسرة وضياعها، ثم ركّز على قضية الحجاب، فالمساس بالحجاب وكثرة الاختلاط إنما جاءت عن طريق الإستعمار الغاشم، والهدف هو استلاب الدين والسيطرة على مقدّراتنا وخيراتنا، ولاحظ أن كل الأديان السماوية تحرم السفور، ثم ذكر موارد محرمة كالاختلاط المؤدي للحرام والتبرج الذي يشغل الشباب في الكليات والمعاهد العلمية عن الدراسة والتقدم العلمي.

الجمعة الثالثة والعشرون بتاريخ ٢٦ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ الموافق ١٨/٩/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : الاستمرار في الحديث عن السيدة الزهراء (عليها السلام)، والدور الذي قامت به للدفاع عن حقها وحق زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد لا يستطيع الرجال الدفاع عن أنفسهم أو قضاياهم ولكن يتسنى ذلك للنساء الرساليات، كما فعلت السيدة زينب بنت أمير المؤمنين (عليهما السلام)، فقد كان لها دوراً إعلامياً بارزاً ومؤثراً في رفع قضية الإمام الحسين (عليه السلام) بعد

استشهاده، فقد وقفت بوجه طغاة بني أمية وولاتهم، وخطبت في حضورهم خطباً لا تدل على الشجاعة فحسب وإنما على الوعي وفهم الإسلام وأهداف الإمام الحسين (عليه السلام) وثورته. في الوقت الذي لم يكن أحد قادر على التفوه بكلمة حق أمام سلطانهم الجائر.

الخطبة الثانية : تحدث عن مطالبة الزهراء (عليها السلام) بفدك، وهي في الحقيقة كانت مطالبة بحق زوجها بالخلافة والقوة الاقتصادية التي يستطيع أن يتحرك بها. ثم ناقش أحقيتها بأرض فدك سواء كونها إرثاً أو هدية من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأخيراً ذكر حرمانها من إرث أبيها سواء كان أرضاً أو داراً أو غيرها، بينما ورثت زوجاته كل ما ترك (صلى الله عليه وآله).

الجمعة الرابعة والعشرون بتاريخ ٣ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٩/٢٥م^(١) :

(١) في عهد الرئيس الأمريكي بيل كلينتون وبتاريخ ١٩٩٨/٩/٢٩ صدر قانون تحرير العراق الشهير، وانتقد المحلل البارز السابق في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية غراهام فولر الخطة (التي وضعت لاسقاط النظام) من حيث توقيت صدورها حين قال : "لو حدث ذلك قبل خمس سنوات فقد يكون مفيداً أما الآن فإن الوقت متأخر جداً". الصمانجي، عزيز قادر، قطار المعارضة العراقية، ص ٣٦٩. فهل يمكن التساؤل عن السبب في كون "الوقت متأخر جداً" مع أن النظام كان يتهاوى تماماً، وأصبحت عزلته بشكل غير مسبوق، ولماذا بالتحديد "قبل خمس سنوات"؟، أي سنة ١٩٩٣، لا نستطيع أن نجد مبرراً لانتقاد محلل المخابرات الأمريكية هذا إلا بالوضع الإسلامي الذي كان في قمته هذه الأيام، عندما أصبح السيد الصدر هو السيد المطلق في العراق، بالتالي سيكون إسقاط النظام بوجود السيد الصدر بمثابة بوابة جحيم للحكومة الأمريكية وللمعارضة على حد سواء، وستكون له الكلمة الأولى سواء بالانتخابات أو بغيرها. أما في سنة ١٩٩٣ فهذا الرجل محق، إذ لم يكن للسيد الصدر مثل هذه السلطة وهذا النفوذ وهذه الجماهير العريضة. ومما يؤكد ذلك أن قانون تحرير العراق تضمن الدعم المالي لأطراف محددة من المعارضة العراقية، ومن بينها جهات كانت تعد "أمريكياً" وإلى وقت قريب أصولية وغير مرغوب بها إطلاقاً، ولكن من الواضح أن الإدارة الأمريكية كانت بين أمرين أن تترك العراق على حاله بالتالي لن تضمن أن يشب السيد الصدر على نظام صدام، وهو أمر كانت متوقفاً بقوة في العراق، مع تواصل ضعف النظام من ناحية، وتنامي قوة السيد الصدر في الشارع العراقي من ناحية A

قبل الخطبة طلب من الجميع زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) بمناسبة وفاة الزهراء (عليها السلام) في ٢٠ من شهر جمادى الآخرة، وفي الجمعة التي تليها الذكرى السنوية الأولى لتأسيس صلاة الجمعة في العراق، فطلب الحضور إلى مسجد الكوفة يومها لإحياء هذه الذكرى. وذكر احتمال أنه لن يكون حياً حتى ذلك اليوم فسألهم الفاتحة والدعاء فيما لو حصل أمر ما، وأنه ليس المهم في هذا كله، وإنما المهم هو دين الله تعالى، فلا يضيعوا الوعي الذي حصلوا عليه بمجرد زوال محمد الصدر عن الساحة.

الخطبة الأولى : استمرار الحديث عن ذكرى وفاة الزهراء (عليها السلام) وطرح السؤال الذي قاله الشاعر (ولأي الأمور تدفن ليلاً بضعة المصطفى ويعفى ثراها)، فقد أثار الشاعر سؤالين تاريخيين أحدهما يتعلق بسرية دفنها ليلاً، والآخر إعفاء أثر قبرها، وقد رفض أمير المؤمنين الإفصاح عن قبرها بشدة، وقد ذكرت عدة أماكن لقبرها ضمن منطقة واسعة من المدينة المنورة، أحدها في بيتها، والآخر في البقيع، والثالث أنها دفنت قرب أبيها (صلوات الله عليهما)، ولكن لا يوجد دليل بحجة كافية لتدعم أحد هذه الاحتمالات، وقد التزم الأئمة من أولادها (عليهم السلام) عدم الكشف عن قبرها، وفي هذا دلالة على عدم استحقاق البشر جيلاً فجيلاً لهذه الرحمة الخاصة بمعرفة قبرها، ونفس الشيء بالنسبة لغيبة الإمام المهدي (عليه

=أخرى، أو تتواصل الحكومة الأمريكية مع المعارضة خارج العراق وتعقد معها اتفاقيات تاريخية، وتراهن على ظاهرها الإسلامي، وتعفنها خارج العراق، وعدم تأثيرها في الشارع العراقي، وإدخالها العراق خانعة وبفضل القوة العسكرية الأمريكية، وبالفعل جرت الأمور بهذه الطريقة. كما نلاحظ أن نص القانون الذي طرح على الكونغرس الأمريكي في الدورة ١٠٥ له، وفي فترة الجلسات الثانية في مجلس الشيوخ للولايات المتحدة، حيث قام عدد من النواب بطرحه بصيغة (مشروع قانون : من أجل وضع برنامج لدعم التحول الى الديمقراطية في العراق)، لم يأت على ذكر قمع النظام للشيعية في جنوب العراق عقب انتفاضة عام ١٩٩١م، مع أنه ذكر أعمال القمع والحروب الداخلية والخارجية للنظام العراقي. أنظر نص القانون في "الحرب على العراق، يوميات - وثائق - تقارير"، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٧٨٥ - ٧٨٨.

السلام) وعدم التعرف إليه من قبل الجميع بمن فيهم أكابر الحوزة العلمية، ولو كانوا على قدر الاستحقاق لعرفوه، ولكن التسافل والتقصير والذنوب وراء عدم معرفة الإمام وقبر الزهراء (عليهما السلام).

الخطبة الثانية : حسب أطروحة هناك رحمت وبركات خاصة غير معروفة ومشهورة، منها أن الذي يُقتل بسيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسوف يدخل الجنة، لذلك لم يقتل أحداً بسيفه، وهذا خاص برسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يسري إلى غيره، كما أن من يقدم خدمة حقيقية إلى السيدة الزهراء (عليها السلام) فسوف يدخل الجنة وزيارة قبرها بعد معرفته عن قرب يستوجب ذلك، فإخفاء قبرها لكي لا يحصل المنافقون والعاصون على هذا الجزاء، كما أن من يقدم نفعاً حقيقياً مخلصاً للمعصومين يستحق ذلك، لذلك لم يرد في التأريخ أن قام أحد المنافقين بأي نفع حقيقي لهم، بل إن من يريد أن يقدم هذه الخدمة وهو منافق فإنهم (عليهم السلام) يحولون ويمنعون ذلك لعدم استحقاقه الرحمة الخاصة، وأما الكشف عن قبر الزهراء (عليها السلام) فلن يتم إلا عند ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) واستتباب الأمر له.

الجمعة الخامسة والعشرون بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة الموافق ١٩٩٨/١٠/٣ م :

الخطبة الأولى : الحديث الآن المبتلى به اجتماعياً هو (حرية المرأة)، ونجد أن دعاة الحرية جعلوها مجاملة وغامضة لكي يرغب الناس بها. ويمكن تفسير الحرية بعدة تفسيرات نذكر منها أربعة : اثنان منها تدعيها الدول الديمقراطية، واثنان منها تدعيها الدول الراديكالية أو الثورية التي تدعي الخروج من ربة الاستعمار.

أما المعنيان الأولان : المعنى الأول : الحرية من الأفكار المسبقة المفروضة على الفرد والمجتمع من الخارج، كأحكام العقل وأحكام الدين، لذلك من الحرية القيام بكل رذيلة كالزنا وشرب الخمر. المعنى الثاني : الحرية بمعنى تساوي فرص العمل

الاقتصادي للجميع، وهذا موجود من الناحية النظرية فقط، وإلا فمن الواضح أن الأقوى والأذكى هو الذي يمكنه أن يستغل هذه الحرية، فلا يوجد تكافؤ فرص حقيقي للجميع، لذلك نرى التظاهرات والاحتجاجات عندهم.

أما المعنيان الآخران للحرية عند الراديكاليين والثوريين فهما : المعنى الأول : الحرية من الاستعمار، حيث تكون هذه الدول قد تحررت من استعمار الدول الحديثة، إلا أن الناحية الواقعية ليست كذلك، فإن عامة الدول الراديكالية تخضع بكل وضوح للسيطرة الاستعمارية بشكله المبطن وهو طاعة الدول الاستعمارية وتطبيق مناهجها ومخططاتها وأهدافها، ولا زالت بعض الدول خاضعة للاستعمار بشكل واضح كما في كندا وأستراليا. المعنى الثاني : حرية إبداء الرأي والصحافة، وأن لكل إنسان أن يقول ما يشاء، وهذا من ادعاءات الدول الرأسمالية والراديكالية.

وبالحقيقة هذه الأنواع من الحرية غير مكفولة، فهي لا تشمل النظام الأساسي للدولة وأسرارها، وكل من يتدخل فيها فسوف يواجه عقاباً أليماً. أما وسائل الإعلام فكلها بيد الدولة وليس لها أن تتكلم إلا ضمن السياق المسموح به. وما قد يحصل لبعض الأفراد أو الجماعات أن يقولوا كلمتهم ضمن الصحف أو التظاهرات فهم يسمحون لهم بها ولكنها لم تغير شيئاً في يوم ما، فهم يقولون لهم لكم الحرية أن تتظاهروا وتتكلموا كما تشاؤون، ولكن للحكومات الحرية في أن لا تستجيب لمطالبكم.

فهذه الحريات المدعاة ليست مكفولة للرجل والمرأة على حد سواء، وهؤلاء الذين ينادون بالمساواة لا زالت نسبة النساء عندهم كمدرّاء عامين أو وزراء أو رؤساء، هي الأقل في العالم^(١). وحتى في الأعمال البسيطة نسبياً كالموظفات والعاملات في

(١) مثلاً : في كل تاريخ بريطانيا الديمقراطية لم تتسمن الرئاسة سوى امرأة واحدة (مارغريت تاتشر)، أما في A

الشركات وغير ذلك.

أما في الإسلام فلا توجد حرية مطلقة سواء للرجل أو المرأة، بل إن القرآن كثيراً ما حدّثنا عن الأقوام التي أرادت أن تكون لها حرية كاملة بارتكاب المعاصي وما إليها بأن عوقبت وأبيدت بأنواع العقوبات، وحسب مفهوم الإسلام فإن الحرية هي التقيد بالنظام التكاملي الحقيقي للإسلام، وأن يكون الإنسان حراً من نفسه الأمارة بالسوء، وأن يتمحض لطاعة الله تعالى.

الخطبة الثانية : أعطى الإسلام للمرأة فرصة العمل كما أعطاها للرجل. ولكنه فرض عليها الحجاب، ولكنه لم يحدد حجاباً أو ساتراً معيناً، فيمكن أن يكون بأي طريقة متيسرة، وكل النقاشات التي ترد حول الحجاب جاءت بها الاتجاهات الإستعمارية الظالمة الغاشمة، التي تستهدف التشكيك في الدين، والسياسة الغربية مهما اتجهت إلى الدنيا إلا أنها تشعر في داخلها بشيء من العاطفة المسيحية، ويدلنا على ذلك أمران، الأول : الحروب الصليبية فإنها كانت قائمة على أساس ديني^(١)، الثاني :

=الولايات المتحدة فلم تصل امرأة واحدة الى منصب الرئاسة على الإطلاق.

(١) وقد عاد شعار الحروب الصليبية بوضوح بعد رحيل السيد الصدر عام ٢٠٠١ م، وهو الشعار الذي أطلقه جورج بوش الابن، ولا سبيل لإنكار هذه الحقيقة التي ملأت الدنيا من خلال الإعلام الغربي، وحتى الحرب التي تشنها أوروبا اليوم ضد الحجاب كما في فرنسا وعدد آخر من دول أوروبا، أو منع بناء المنائر كما في سويسرا، وغيرها، لا شك أنها حرب ضد الإسلام، وكل العناوين التي تساق من قبلهم ومن قبل أذنابهم حول الحرية والإرهاب مجرد غطاء لا أكثر. كما نلاحظ وجود الصليب كرمز في أعلام العديد من الدول الأوربية كما في علم بريطانيا وأنكلترا وأستراليا ونيوزلندا والنرويج والسويد وسويسرا وغيرها، بل نجد الصليب في شعارات الأندية الرياضية الأوربية، وهكذا في الكثير من المؤسسات الرسمية وغيرها، ونجد الكثير من المدن تحمل صفة دينية كفيلا دلفيا الأمريكية التي سميت تيمناً بفيلا دلفيا التاريخية في آسيا الصغرى المرتبطة بأول نشأة المسيحية، وكذلك الكثير من المدن التي تبدأ بـ (سانت) التي تعني القديس، وهكذا في الجامعات، بل تمت تسمية بعض الصواريخ الأمريكية بأسماء دينية كصاروخ (كروز) التي تعني الصليب، وصاروخ (عاموراء) وهو إسم المدينة التوراتية التي خسفت بها الأرض، وهذا الصاروخ قد استخدم من قبل A

تسمية عدد من الأحزاب الأوربية بأسماء ذات صفات دينية مثل (الحزب الديمقراطي المسيحي الألماني) (الحزب الديمقراطي المسيحي الفرنسي) (الحزب الديمقراطي المسيحي الإيطالي) وغيرها، ولولا أنهم يشعرون بأهمية دينية لما أطلقوا هذه الصفات، وهذه الأحزاب ذات اتجاهات يمينية^(١) بإصطلاحهم، ويعنون بالديمقراطية الاهتمام بصيغة الحكم وبالمسيحي الاهتمام بالدين، والديمقراطية حسب فهمي تخص سياساتهم الداخلية لشعوبهم، أما الاهتمام بالمسيحية فيختص بمخاصمة ومواجهة الشعوب غير المسيحية، كما أنهم سموا الحرب الأمريكية الأخيرة في العراق بحرب (مريم العذراء) وسموها من الناحية السياسية الظاهرية بـ(عاصفة الصحراء)، وأنا أعتقد أنه لم يكن المستهدف منها الجانب السياسي بمقدار ما كان الهدف منها ضرب الدين والمتدينين في العراق، وقتل الكثير منهم، وإلحاقهم بمشاكلهم الشخصية من أسرة وطعام وشراب، فلا بد من إفشال أهدافهم الدينية والتمسك بديننا وأهدافنا ومجتمعنا، وهم على الرغم من عظمتهم الظاهرية لا يستطيعون أن يقدموا للمجتمع والبشرية أي نفع وأي عدالة.

الجمعة السادسة والعشرون بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ الموافق ١٠/٩/١٩٩٨م :

الخطبة الأولى : افتتحها بطلب الهتاف من الحضور بالصلاة على النبي وآله لطاعة الدين الإسلامي واحترامه، ولطاعة واحترام الحوزة، ولدحر واستنكار مكر الماكرين وغدر الغادرين، ولدحر واستنكار الاستعمار الظالم، ولدحر واستنكار إسرائيل الظالمة المجرمة. ثم ذكر بأن الجمعة اللاحقة ستكون الذكرى السنوية لإقامة صلاة

=القوات الأمريكية في أفغانستان والعراق، ومع البحث ستجد عشرات الأمثلة.

(١) الجمهوريون في الولايات المتحدة الأمريكية بمعظم اتجاهاتهم السياسية والاجتماعية الداخلية والخارجية ذات صبغة دينية متطرفة واضحة، ويقودها رجال دين بروتستانت ينتمون الى ما يسمى (المسيحية الأصولية)، أنظر كتاب (البعد الديني في السياسة الأمريكية) يوسف الحسن، و(المسيح المنتظر) عباس الزبيدي.

الجمعة في وسط العراق وجنوبه، وطلب من الفنانين صنع مجسم رمزي يمثل صلاة الجمعة.

تناول في هذه الخطبة الفوارق بين الرجل والمرأة دينياً واجتماعياً، ومهام الرجل ومهام المرأة دينياً واجتماعياً، بعدة مستويات : المستوى الأول : الجهاد فهو خاص بالرجل دون المرأة. العمل والكسب فهو خاص بالرجل دون المرأة في الإسلام وليس عليها العمل بل الواجب على الرجل أن ينفق عليها، ولكن من الجائز شرعاً لها العمل. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو واجب على الرجل دون المرأة ولكنه ممكن وجائز لها أحياناً. عدم جواز ضرب المرأة أو قتلها عند الصراع والعناد. عدم جواز التجميل الزائد للرجل بينما هو جائز بل مطلوب في المرأة. تربية الأطفال بيد المرأة وليس بيد الرجل. مسئولية الاجتهاد والفتوى ابتلي بها الرجل دون المرأة، ولكن يمكن للمرأة ذلك. جواز التظليل للمرأة في الحج من الشمس والمطر دون الرجل الذي لا يحق له ذلك.

المستوى الثاني : تساوي المرأة مع الرجل من حيث الأهمية الدينية كما في قوله تعالى (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً)^(١). ثم شرع بشرح هذه الصفات وأعطى لكل منها مصداقه الديني والاجتماعي.

الخطبة الثانية : أكمل الصفات التي وردت في الآية الشريفة، ثم ذكر المستوى الثالث: وهو اختلاف الأحكام بين الرجل والمرأة، وذلك أن الله تعالى عادل أعطى لكل منهما أحكاماً خاصة به لاختلافهما من حيث التكوين، إذ تمر المرأة بفترات الحمل

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٥.

والحيض ورضاع، كما أن قوة العاطفة عند المرأة أكثر منها عند الرجل.

الجمعة السابعة والعشرون بتاريخ ٢٤ جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩/٩/١٩٩٨م:

الخطبة الأولى ابتدأها بشكر الحضور الغفير الذي لبى نداءه في الجمعة الماضية لمناسبة حلول الذكرى السنوية الأولى لإقامة صلاة الجمعة في العراق، وطلب منهم أن يبقوا بعد الصلاة لأداء ركعتي الشكر لله ثم يفرقوا بعدها.

وبعد أن حمد الله تعالى على مننه بإقامة هذه الفريضة ذكر العبر التي حصلت خلال هذا العام الذي أقيمت فيه الصلاة، أولاً : العزة والشرف والرفعة الاجتماعية التي حصلت للمذهب في العالم وفي العراق خاصة، ورفع ما كان من ذلة وخنوع واقتصار على اللذاذ الشخصية والتجارية والأسرية، وقد حصل هنا ما لم يحصل لأي أحد على مدى التاريخ، ففي إيران حين أقاموا صلاة الجمعة لم تكتسب الأهمية التي اكتسبتها في العراق التي كانت فتحاً مبيناً لا مثيل له. ثانياً : فتح أفواه جماعة من الخطباء قد يصلون إلى السبعين خطيباً، بالموعظة والإرشاد والتذكير بالأمور الدينية والفقهية، وهي واجبة الحضور والاستماع وليس كأى خطبة أو موعظة. ثالثاً : قالت جماعة من الحوزة إن إقامة صلاة الجمعة فتنة^(١)، وإنما هم الذين فتحوا الفتنة باصرارهم على عدم الحضور، ونصروا أعداء الدين والمذهب من حيث يعلمون أو لا يعلمون، ثم استدل بما استدل به السيد الخوئي الذي يعتبر رمزهم ومصدرهم الرئيسي بالرد على مدعاهم. رابعاً : من النتائج التي حصلت بإقامة صلاة الجمعة الشجاعة التي لم تقف عند الصدر وأتباعه بل حتى عند خصومه

(١) من المفارقات أن هؤلاء الذين اعتبروا صلاة الجمعة فتنة حتى أن بعضهم حرم إقامتها بداعي عدم وجود السلطان العادل عادوا وأقاموا صلاة الجمعة بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣ إلى هذه الساعة، ولكنها لم تكتسب أية أهمية تذكر، على الرغم من توفر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة إلا أنها لم تستطع إيصال كلمة مؤثرة على أي صعيد، بخلاف صلاة الجمعة التي أقيمت في حياة السيد الصدر (قدس سره) كما لا يخفى.

بفضلها. كذلك وصلت غليهم عدة أمور لم تكن موجودة قبل محمد الصدر منها :
كان الأسلوب الأساسي هو التقليل من الدرس في الحوزة واعتبار أكثر أيام السنة
عطلاً، حتى لا يكاد يصل عدد أيام الدراسة في السنة إلى ثمانين أو تسعين يوماً،
ولكن حين جاء الصدر إلى المرجعية وأصرَّ على تكثير عدد الدروس وجدنا أن سائر
المراجع يكثرون من دروسهم، وكان المتعارف عدم البدء يوم السبت بعد التعطيل،
وقد ألغى الصدر هذا التقليد فسار عليه باقي أو معظم المراجع في النفس. كما أني
وضعت لوحة إعلانات قبل أربع سنوات في المكتب مما أثار حينه موجة من
الاحتجاج، والآن تجدها عند بعض المراجع. ومن بوادر الشجاعة ما حصل هنا في
مسجد الكوفة من هتافات وأهازيج، وكنت أعتبرها نصراً للدين وعزة للمذهب
وهي كذلك، إلا أننا حين ظهر لنا أن مضاعفاتها المحتملة التي قد تعود بالمفسدة على
الدين والحوزة، كما أن الاصطلياد بالماء العكر موجود، لذلك إذا كانت هناك
شجاعة فاصرفوها بحذر وبشكل مدروس وبعد الاستئذان من الحوزة الشريفة.
خامساً : حصول الوعي الديني والاجتماعي لكافة الناس في داخل الحوزة
وخارجها، ولم يكن ذلك ممكناً قبل إقامة هذه الصلاة، ومن أمثلته : كان الناس
يعتقدون أن عدداً من رجال الدين في الحوزة كجبرائيل أو أبي ذر في السداد
والصلاح، أما الآن فقد تبين أن الأسلوب القديم قائم على القصور والتقصير
والتبذير والسكوت الشائن على المحرمات، ولعل أهم أعمالهم هو قبض الأموال من
الناس، التي يدعون أنها لقضاء حوائج الناس، ولكنهم لا يوزعونها في المجتمع ولا
يقضون بها حوائجهم إلا بنسبة ضئيلة جداً. ومن أمثلته : أن عدداً من الفروع الفقهية
لم يكن له وجود في السنوات السابقة ولم يسجل في رسالة عملية أو استفتاء،
كقبض مجهول المالك وحرمة إلقاء الأموال في الأضرحة المقدسة^(١) والعمل في

(١) أول من أفتى بحرمة إلقاء الأموال في الأضرحة هو السيد الصدر، واعتبر هذه الأموال التي تذهب إلى
الدولة تقوية وإعانة لها على الظلم، فقد كانت الدولة والأوقاف والسدنة هم المستفيد الوحيد من هذه

المصارف ذات القطاع الخاص حرام. كما أن أكثر الناس أصبحوا يهتمون بالمصالح الدينية والاجتماعية ويفضلونها على المصالح الخاصة. ومن أمثلته أن عرف المجتمع أثر الإستعمار الأكيد والشديد في المجتمع منذ صدر الإسلام وإلى العصر الحاضر، ومنه معاهدة الخلافة العثمانية مع ألمانيا وغزو الانكليز للعراق وغزو الفرنسيين لمصر والعدوان الثلاثي لمصر وتأسيس إسرائيل وكذلك قتل عدد من المؤمنين ورجال الدين باستمرار على طول السنين وإلى الوقت الحاضر.

الخطبة الثانية : عدم التسامح في ترك صلاة الجمعة في حال عرض ما يؤدي إلى عدم الحضور كعدم الاقتناع بإمام الجمعة من حيث الشك في سلوكه أو تضائل قدرته على طرح المواضيع التي تهم الحاضرين في القضايا الاجتماعية أو الفقهية أو العقائدية، فكل هذه الأعذار لا تستوجب عدم الحضور إلى الصلاة، وعندما يتم اختيار شخص لإقامة الصلاة فهذا يعني شهادة من المرجعية بعدالته، وحتى في حال عدم الاقتناع فيمكن إعادة الصلاة ظهراً، وحتى على رأي أن صلاة الجمعة مستحبة أو تخييرية فقد أصبحت ضرورتها وشعاريّتها وعزة الإسلام قائمة بها، وحتى في حال موت السيد محمد الصدر فلا ينبغي ترك صلاة الجمعة، فإن جملة من المراجع يقولون فتمسكوا بالحوزة، والمرجع الجديد وإن لم يكن متفقاً مع السيد محمد الصدر بكل التفاصيل، إلا أن المهم فيه هو الاتجاه نحو العدالة الاجتماعية، وإنصاف الناس من نفسه، كما قيل في الحكمة "قل الحق ولو على نفسك" وإدراك المصالح العامة، فإن وجدتموه شخصاً من هذا القبيل فتمسكوا به، وإلا فدعوه إلى غيره، فإن الأثنية في المرجعية هي العنصر الغالب - مع الأسف - جيلاً بعد جيل، وهذا هو المضر حقيقة في الحوزة خاصة، وفي المجتمع عامة، فاتّبِعُوا شخصاً من المجتهدين ليس له مثل هذا

=الأموال، التي تعطيها الناس أما بعنوان النذر أو تعمير وترميم الأضرحة، فكانت من أوائل علامات المواجهة بين النظام والسيد الصدر.

الطبع، بل له اتجاه التضحية في سبيل الآخرين، وبذل النفس والنفس في سبيل دينه ومذهبه.

ومن الأمور المهمة التي حصلت بصلاة الجمعة، التواصل بين الحوزة والمجتمع، بينما كان الانفصال التام أو الغالب قبل ذلك، ولا زال هذا الانفصال موجوداً بالنسبة إلى المراجع الآخرين من حيث اتصالهم بالمجتمع.

أشاد بالقضاء الشرعي والمحكمة الحوزوية التي أسسها في النجف الأشرف^(١)، وبين أنها لا تمتلك قوة إجرائية تنفيذية لأحكامها، فهي لا تكون ملزمة إلا برضا الطرفين، وإنما الداعي الأول للإلتزام بحكمها هو الوازع الديني لا أكثر.

أخيراً دعا كافة الذين لم يناصروه سواء داخل الحوزة أو خارجها، إلى الإلتحاق بهذا الجمع، وبند الخلافات التي ستكون في خدمة إسرائيل العدو المشترك، وخص بالذكر آل الحكيم، الذين دعاهم إلى تسوية الخلاف، وأنه ليس طامعاً بهم، أو خائفاً منهم، وإنما لنصرة دين الله تعالى^(٢).

(١) المحكمة الشرعية التي أسسها السيد الصدر في نفس العام الذي أقيمت فيه صلاة الجمعة، وفي البداية كان لها فرع رئيسي واحد في النجف الأشرف، وبعد ذلك تم توسيعها إلى عدد من المحافظات، وكانت تنظر في شتى قضايا المجتمع، ولكن على أن يتراضى الطرفان بالتراجع والحكم الصادر عنها، وهي واحدة من القضايا التي اعتبرها النظام تحدياً له ولوجوده وسلطته، ولا يخفى سبب ذلك. على الرغم من أنه حاول في هذه الخطبة التخفيف من تأثيرها وأنها لا تتعارض مع سلطة الدولة ومحاكمها.

(٢) كان سبب الخلاف هو المدرسة الباكستانية التي يدعي السيد محمد سعيد الحكيم أحقيته بتوليها وإدارة شؤونها، باعتبار أن وصية جده لأمه السيد محسن الحكيم تنطبق عليه، وبعد نزاع بينه وبين السيد جواد كاظم الحكيم في محاكم الدولة حكمت لصالحه، ولكن السيد الصدر كان يرى أن زعيم الحوزة هو الأحق بإدارتها، ولا حق لآل الحكيم بها، وأخيراً صدر الأمر من رئيس النظام العراقي بتسليمها للسيد محمد سعيد الحكيم، وقد أجمع علماء الشيعة على عدم جواز التراجع إلى الحاكم الظالم، والمال المأخوذ بحكمه حرام حتى وإن كان أخذه بحق، والمفارقة أن السيد محمد سعيد الحكيم يفتي بذلك في رسالته العملية، وتفصيل القضية ذكرها A

الجمعة الثامنة والعشرون بتاريخ ٢ رجب ١٤١٩ هـ الموافق ٢٣/١٠/١٩٩٨م :

الخطبة الأولى : أمر الحضور بالوقوف جميعاً متوجهين إلى القبلة، ويقولوا بعد كل فقرة يقرأها من الدعاء (يا كريم يا رحيم). غداً الذكرى السنوية لاستشهاد الإمام الهادي (عليه السلام)، فتحدث عن بعض أخباره، واقتصر على ذكر حادثة إشخاصه إلى سامراء، مع أنه (عليه السلام) لم يكن له عمل سياسي مباشر ضد الدولة العباسية، كونه غير مجدد، كما أنه عاصر المتوكل الذي عُرف بانحرافه عن أهل البيت (عليهم السلام) وبغضه لأمر المؤمنين (عليه السلام)، فهو الذي قام بحرق قبر الإمام الحسين (عليه السلام) وأجرى عليه الماء ليندرس ويخفى أثره، وحادثة استقدام الامام الهادي لها تطبيق قديم حصل مع الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وحادثة استقدامه من قبل المأمون شهيرة، إذ أن الهدف الرئيسي من العملين هو إبعاد الإمام عن قواعده، والتقليل من نشاطاته، وفرض الرقابة المكثفة عليه. على الرغم من إظهار المتوكل الاحترام والإكرام للإمام الهادي (عليه السلام)، إلا أن الواقع خلاف ذلك حيث ألزمه بالمكوث في سامراء حتى توفي فيها. ثم عرج بعد ذلك إلى سيطرة الأتراك يومئذ على مقاليد السلطة، بحيث أنهم كانوا يقتلون خليفة ويعزلون ثانياً وينصبون آخر، وكان أشهرهم زمن المتوكل هما (وصيف وبغا)، حتى قال الشاعر :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا يقول ما قالاً له كما تقول البيغا.

الخطبة الثانية : أكمال حادثة استقدام الإمام إلى سامراء، إذ لو كان الهدف هو إكرام الإمام لتركه في المدينة يمارس نشاطه الاعتيادي، ولكان استقبله بنفسه استقبالا رسمياً بصفته الزعيم الأكبر لطائفة كبيرة من المسلمين، ولكنه لم يفعل. وزيادة في التنكيل

=أكثر من مصدر، ك(الشاهد والشهيد) لمختار الأسدي، و(مرجعية الميدان) لعادل رؤوف، و(اغتيال شعب) لفائق الشيخ علي.

لم يدخله عليه فور وصوله وإنما أمر أن يُحجب عنه يوماً كاملاً، وتركه من دون أن يهيئ له مستلزمات الضيافة بل تركه في الشارع. وهو لم يكن وحده فقد كانت أسرته معه. وقد ورد في رواية أن الدولة ألزمتهم بالمكوث في خان حقير يسمى (خان الصعاليك)، وقد جاء في الرواية أن الإمام كانت تنكشف له في هذا الخان رياض من الجنات وأن هذه الرياض معهم حيث ما ذهبوا، ولكن السيد الصدر رفض هذا المعنى فالأئمة لا يحتاجون إلى مثل هذه الملذات، فهم (عليهم السلام) في مستوى عال من درجات اليقين ولا يلتذون إلا بالله تعالى، وذكره وطاعته والالتزام بأوامره، فإن الإلتذاذ بهذه الملذات من الشرك الخفي فقد جاء في الرواية (الآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا حرام على أهل الآخرة، والدنيا والآخرة حرام على أهل الله).

الجمعة التاسعة والعشرون بتاريخ ٩ رجب ١٤١٩ هـ الموافق ٣٠/١٠/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : من أهداف الإمام الهادي (عليه السلام) هو موقفه من غيبة حفيده الإمام محمد بن الحسن المهدي (عليه السلام)، فقد كانت هذه الغيبة قريبة فلا بد من تهيئة الذهنية العامة للقواعد الشعبية لها، لأنها إذا جاءت بشكل مفاجئ ستسبب إنكار المجتمع لها وارتداد الكثير عن المذهب الحق، وكان موقفه يتلخص بأمرين: الأمر الأول : التبشير بوجوده، وكان هذا التبشير والتبليغ خاص بمواليه والمعتقدين بإمامته، الأمر الثاني : اتخاذ الإمام الهادي (عليه السلام) مسلك التخفي والابتعاد عن المجتمع تمهيداً لغيبة حفيده، وكان هذا المسلك بدأ به الإمام الهادي وأتمه من بعده ولده الإمام الحسن العسكري (عليهما السلام)، واستمر الأمر بشكل مكثف حتى صار بشكل نهائي تقريباً مع وفاة الإمام العسكري، وتنصيب السفراء الأربعة، الذين تولوا مهمة التواصل بين الإمام والمجتمع حتى حصلت الغيبة الكبرى، التي ستستمر حتى يظهر الإمام المهدي فجأة لياغت العدو، وهذا من أقوى عناصر النصر وأسبابه، ثم ذكر ما يحصل في الغيبة الكبرى من قسوة القلوب وابتعاد الناس عن الحق واتباع الشهوات وزعزعة عقيدة الكثير من أفراد المجتمع في الإمام المهدي حتى

يحين موعد الظهور.

الخطبة الثانية: شرح قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)^(١)، فالتقوى حسب الرواية هي أعلى درجات الإيمان، والتقوى أصلها اللغوي من اتقاء الشر، وحسب أطروحة: التقوى هي إتقاء الشر الأخروي، والتقوى هي إتقاء الشر الدنيوي، فالتقوى هي اتقاء غضب الله تعالى وعقابه. وفي القرآن فإن أعظم من وعد بالثواب الجزيل هم المتقون والصابرون، وفي خطوة لاحقة نجد أن تفسير التقوى أي اتقاء المحرمات والعذاب الأخروي، لا يبقى بينها وبين الورع أي فرق، فنجد أن التقوى مرتبة أعلى إذا فسرناها بأنها ترك الشبهات وكل ما يحتمل أن يكون فيه حرمة، مثل سوء النية والوسواس وهو معنى قوله (أمرٌ بينٌ غيهُ فيجتنب)، والاقتصار على الطريق الواضح حسب قوله (أمرٌ بينٌ رشدهُ فيتَّبِعُ)، إذن الورع ترك المحرمات اليقينية، والتقوى ترك المحرمات المحتملة.

وأما قوله تعالى (إلا وأنتم مسلمون)، فليس القصد منها الإسلام، لوضوح أن المتقين مسلمون، فيكون أحسن تفسير ممكن لها هو التضحية في سبيل نتائج التقوى والتسليم لها.

الجمعة الثلاثون بتاريخ ١٦ رجب ١٤١٩ هـ الموافق ١١/٦/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : طلب من الحاضرين الهتاف بالصلاة على النبي وآله ل : طاعة الحوزة وانتصارها، وطاعة القضاء الحوزوي وانتصاره، شجب واستنكار محاولات منع القضاء الحوزوي^(٢).

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٢) بعد افتتاح أكثر من فرع للمحكمة الشرعية الحوزوية في عدة محافظات جاء المنع من قبل الدولة لعدد منها بعنوان أنها تتعارض مع سلطة محاكم الدولة وهيبتها.

مرت قبل يومين الذكرى السنوية لولادة أمير المؤمنين (عليه السلام)، فتعرض لشيء من فضائله، كآية المباهلة، وشرح قوله (عليه السلام): "ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير"، مثل نفسه بالجليل العالي الذي هو سبيل العلوم والعطاء والمواهب على البشرية بمقدار استحقاق كل فرد منها، كما أنه مثل المتكاملين الصاعدين في درجات الكمال بالطير الذي يستمر في صعوده، فملكات الإنسان قابلة للتكامل على مختلف المستويات، جسدياً وعقلياً ونفسياً وروحياً وغير ذلك، وأعلاها وأهمها هو الكمال النوراني في عالم الروح، ولكنهم لا يمكنهم أن يصلوا إلى مرتبته، وغاية ما لديهم أنهم لا يتكاملون إلا بحبه وولايته، ولا يأتيهم عطاء حقيقي إلا بتسبيبه وشفاعته.

اتفق كل أهل العلم والفكر من مختلف الأديان والمذاهب والطبقات على علو مرتبة أمير المؤمنين بشكل لم يحصل لأحد غيره، باستثناء صنفين: بنو أمية عدا عمر بن عبد العزيز، فهم عادوه ولعنوه على المنابر طيلة مدة حكمهم. واليهود الذين هم الأعداء التقليديين للمسلمين، وهم لم يطعنوا برجال الإسلام من حيث علومهم وسلوكهم، وإنما من حيث أصل دينهم، فهم غير قادرين على الطعن بهم من حيث صفاتهم الأخرى. والسبب الرئيسي للخلاف بين اليهود والمسلمين هو أن اليهود يشيرون بسيطرة دينهم على البشرية، حيث يزعمون أن دينهم هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأن القائد العالمي الموعود منهم، وأن عاصمة هداية العالم أورشليم، وحين جاء رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله)، بأن القسط والعدل العالمي المتوقع إنما هو إسلامي.

كما أن الدعوة اليهودية ليست عالمية، بل هي عنصرية وطبقية، فعندهم اليهودي من الدرجة الأولى والثانية، فكل من يدخل إلى الديانة اليهودية إنما هو من الدرجة الثانية، والظاهر أن كتابهم الرئيسي الذي يخفونه (التلمود) واضح وقاطع في ذلك، بينما لا يوجد في الإسلام مسلم من الدرجة الثانية، بل يعتبر الإسلام أولاد آدم كأسنان المشط، كما قال تعالى (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند

الله أتقاكم^(١).

إن البشرية عموماً ومجموعاً هي في تكامل، والسبب الرئيسي للتكامل هو بعثة الأنبياء، وكلما تربت البشرية على يد نبي استحققت التربية على يد النبي الذي بعده وهكذا، حتى إذا وصلت البشرية لكامل استحقاقها لفهم المطالب الحقيقية والدقيقة لأصول الدين وفروعه، بُعث نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله)، وقدم أعرق فهم لأصول الدين وفروعه، وقدم التجريد الكامل والحقيقي لأسماء الله وصفاته وذاته جلّ وعلا، ونلاحظ أن من حقنا أن نقول (ما من واقعة إلاّ ولها حكم)، بينما لا يستطيع أن يقول ذلك أي دين آخر، أو أي نظام أو فكر بشري آخر.

الخطبة الثانية : تحدث عن خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) المعروفة بين المسلمين كاختصاصه بتربية رسول الله (صلى الله عليه وآله) له منذ صغره، وأن لقب أمير المؤمنين خاص به دون غيره، وتزويجه بفاطمة الزهراء (عليه السلام)، وأنه أول من آمن بالنبي) وحين أخى النبي بين المسلمين كان علي أخاه من بينهم، وترك بابه مفتوحاً إلى المسجد عندما سدّ كل الأبواب، ومن خصائصه تأسيسه للكثير من العلوم ك: العرفان أي المعرفة بالله، ومسلك الزهد، ودقته في المسائل الرياضية، وغيرها.

الخطبة الحادية والثلاثون بتاريخ ٢٣ رجب ١٤١٩ هـ الموافق ١٣/١١/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : لمناسبة اقتراب الذكرى السنوية لوفاة الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) ذكر بعض فضائله، ومنها قضية علي بن يقطين صاحب الإمام، الذي أمره أن يتوضأ خلاف ما عليه الشيعة ووفق عليه العامة، فتبين المصلحة من ذلك للحفاظ على حياة ابن يقطين الذي كانت عيون هارون الرشيد تترصد به، فلما رآه

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

يتوضاً خلاف الشيعة صلحت حاله عنده، فلا بد أن نأخذ العبرة من هذه الحادثة، أولاً بالتسليم لأوامر القيادة الإسلامية من ناحية، وعدم التشكيك بما توجهه من أوامر مهما كان ظاهرها مخالفاً لما عليه المتعارف، والمشككون موجودون في كل عصر للتشكيك بالمراجع عموماً وبالسيد محمد الصدر خصوصاً، وعدم حملهم على الصحة، ومن هنا تفشل الكثير من المصالح العامة والحقيقية، لأن الكثير من الأمور مما لا يمكن الإفصاح عنه كونها خارج الخطوط الحمراء، كما يروى عن الأئمة (عليهم السلام): "لو أذن لنا بالكلام لزال الشك". ثم تناول سجن الإمام الكاظم (عليه السلام) وأسبابه الدينية والسياسية ونتائجه.

الخطبة الثانية : توجه بخطبته هذه إلى الموظفين والذين يكتسبون من الحرام، ووعظهم وحثهم على التوبة إلى الله، كما خاطب من قبل شريحة السالكين والسدنة وزعماء القبائل، وقد رجع الكثير من السالكين وكذلك استجاب له عدد من رؤساء العشائر، أما السدنة فلم يستجب منهم أحد، وخاطب الوزراء والمدراء الأطباء والعسكريين ومختلف الشرائح من كافة المذاهب، وتوقع منهم الخير والصلاح، كما خاطب النساء السافرات وشاربي الخمر وغيرهم وطلب منهم التوبة قبل فوات الأوان.

الجمعة الثانية والثلاثين بتاريخ ٣٠ رجب ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/١١/٢٠ م :

الخطبة الأولى : ربما منذ عشرين سنة كان المشي إلى كربلاء في زيارة الأربعين ممنوعاً، إلا أنه لم يصدر منع في مناسبات أخرى، وأمامنا مناسبة جلييلة هي زيارة النصف من شعبان فلا تقصروا في بالمشي إلى كربلاء المقدسة^(١).

(١) صدر المنع الفوري والشديد من قبل الحكومة العراقية لزيارة كربلاء مشياً بعد هذه الجمعة، وحصلت بعض التداعيات التي سنأتي على ذكرها لاحقاً.

قبل يومين كانت الذكرى السنوية للمبعث النبوي الشريف، وأود أن أذكر بعض ما يتعلق به، فهناك رواية مشهورة وموجودة في المنهج الدراسي التقليدي، أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يخلو في غار حراء فجاءه الملك وقال له : اقرأ، فقال : ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني،... إلخ، فرجع إلى خديجة فقال : زملوني، ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل، فأخبره ورقة أن هذا وحى من الله، ثم أخبره أن قومه سيخرجونه من مكة.

رفض السيد الصدر هذه الرواية وأورد عليها عدة ملاحظات، منها : أنه لم يكن أمامه شيء ليقرأه فلماذا هذه العقوبة من الملك؟، والنبي أفهم وأعلم من خديجة ومن ورقة ولم يكن بحاجة إليهما، بل هو أعلى شأنًا من جبرائيل نفسه. ثم تناول صفات القرآن وإعجازه، وأن التحدي الذي أطلقه القرآن بعدم قدرة بشري على الإتيان بمثله أو جزء منه لا زال قائماً حتى هذا اليوم.

الخطبة الثانية : ينبغي أن تكون ذكرى المبعث النبوي الشريف سبباً للشعور بأهمية مضمونه وهو الدين الإسلامي العظيم، والإسلام دين الوحدة والأخوة والتماسك، على مختلف المستويات، منها :

وحدة الحوزة العلمية وأخوة أعضائها، والمشاركين فيها في الهدف المشترك وتجاه العدو المشترك، مهما تباعدت بعض المصالح والأهواء والأساليب، وهذا واقع لا مناص منه ومطبق فعلاً.

وحدة المؤمنين في المذهب الواحد، مهما تكاثرت أعمالهم وطبقاتهم وعواطفهم.

الأخوة في الإسلام، وهي الأهم والأتم، لأنها تشكل حجر الزاوية في المبعث النبوي الشريف، فالقرآن واحد، والنبي واحد، والقبلة واحدة، والهدف واحد، وأن أغلب الاختلافات بين علماء الإسلام طبيعي، وموجود بين أي تفكيرين أو أي مفكرين، ولا ينبغي أن يكون سبباً للعداء والتحارب، وخاصة نحن نعيش ميسر الحاجة

لذلك، لتكالب الأعداء ضد الإسلام، ومكرهم من داخلهم وخارجهم، ويدهم السلاح والمال والتخطيط والإعداد الكامل^(١)، في حين نجد المسلمين المخلصين عزلاً من كل ذلك، وهذا الظرف هو الدائم والمستمر، وربما لمئات السنين، يعطينا وجوب الشعور بالوحدة والتضامن، كما قال أحد أعضاء دار التقريب بين المذاهب : (إنه ليس المراد في هذه المرحلة من العمل والتفكير هو أن نجعل الشيعيين سنّيين، أو نجعل السنّيين شيعيين، وإنما المهم هو التمسك بالدين المشترك وهو الإسلام، والقيام ضدّ العدو المشترك وهو الكفر والإلحاد، المتمثل بالاستعمار وأنصار الاستعمار). كما أن عمل بعض المذاهب ضدّ بعضها كما يحدث الآن من الوهابيين مع شديد الأسف، يكون بكل تأكيد عملاً مبرمجاً وموجهاً في مصلحة الاستعمار، ولا يستفيد منه إلاّ العدو المشترك وإسرائيل، بينما لا يستاء العدو إلاّ من التحابب والتعاون والألفة بين المؤمنين والمسلمين.

الشعور بالوحدة والتضامن مع القضية الفلسطينية، التي كانت ولا زالت تعطي سيل الشهداء، وقد مرّ فكر الثورة الفلسطينية ميدانياً بتطور ملحوظ، فقبل حوالي عشرين سنة أو أكثر كان فكراً علمانياً دنيوياً، ولا يفكر في البديل وفي شكل الدولة الجديدة

(١) بعد أحداث ١١ / ٩ / ٢٠٠١ أصبحت التوجهات الغربية المعادية أكثر وضوحاً تجاه الاسلام، بحيث صدرت التوجيهات الغربية وخاصة الأمريكية الى توابعها في العالم الاسلامي بخصوص تغيير المناهج الدراسية التي تشير الى الجهاد، ورفع الآيات التي تؤكد على العداء التاريخي بين اليهود والاسلام، كما جاءت الأوامر بمنع صنف من الخطباء، وهم الذين يصرحون بالعداء الغربي تجاه المجتمع الاسلامي والدين الاسلامي، وكل هذا حصل بعنوان "محاربة الإرهاب"، ولم يقتصر هذا العنوان على الحركات والأفكار المتطرفة كالوهابية والقاعدة، بل توسع ليشمل كل توجه لا ينضوي تحت سيطرة أمريكا وحلفائها، بينما نجد أن القاعدة وخاصة حركة طالبان من صنائع أمريكا، وفي عهد الرئيس الأمريكي دُعمت حركة طالبان، فكانت خير وسيلة لتدخل أمريكا رسمياً الى البلدان الاسلامية، واستمرار وجود طالبان الى هذا اليوم لمجرد حاجة أمريكا إليها لتستمر بتواجدها واحتلالها وتدخلها العلني بشؤون المسلمين، وهكذا الحال في الحركات التي تأتي ضمن المشاريع الأمريكية كما في العراق.

التي يسعى إليها، إلا أنهم تطوروا مع تطور الفكر الإسلامي العالمي، فأصبح الاتجاه الأشهر فيهم اتجاهًا إسلاميًا. وليس من المعقول أن اليهود يحاربوننا كيهود، ونحن نحاربهم كعرب أو كشيوعيين أو كرأسماليين، وإنما يقابل اليهودية الإسلام، فنحن نعلن من هنا تأييداً لمجمل الحركة الفلسطينية والثورة الفلسطينية، خصوصاً الذين يشعرون بمسئوليتهم الإسلامية، وهم الأعم الأغلب.

الجمعة الثالثة والثلاثون بتاريخ ٧ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ٢٧/١١/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : مرّت علينا الذكرى السنوية لميلاد الإمام الحسين (عليه السلام)، فينبغي ذكر شيء من فضائله. ومن بعضها يتبين أنه كان يقول الشعر، كما أن الشعر مروي عن الكثير من علمائنا كالشريف المرتضى والشريف الرضي والشيخ البهائي والسيد الحبوبي وغيرهم، ومع ذلك يقول المتزمتون من الحوزة أن قول الشعر يناقض وضع وحال رجال الدين والحوزة والمرجعية ويضرّ بهم، وهذا باطل قطعاً، ففي الشعر فوائد جمّة، أما مفسد الشعر فهي ناتجة من عدم تورع الشعراء وتورطهم بالحرام. ثم ذكر أبياتاً متفرقة للإمام الحسين (عليه السلام)، وختم الخطبة بذكر عدد من الروايات التي تخصه (عليه السلام).

الخطبة الثانية : وذكر فيها شيئاً من فضائل الحسن والحسين (عليهما السلام).

الجمعة الرابعة والثلاثون بتاريخ ١٤ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ٤/١٢/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى^(١) : يوافق يوم غد النصف من شعبان، وهو من المناسبات الأكيدة لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، كما أن المشهور أنه يوم ولادة الإمام المهدي

(١) نلاحظ أن السيد الصدر لم يتناول منع الحكومة للمشي إلى كربلاء في هذه الخطبة نظراً للحشود الكبيرة التي حضرت لهذه الصلاة، تلافياً لتأزيم الموقف، إذ كانت المشاعر والأجواء محتقنة وقد حشدت الحكومة أعداداً كبيرة من رجال الأمن والجيش في النجف تحسباً لتصعيد الموقف من قبل السيد الصدر في هذا اليوم، A

(عليه السلام)، فتناول رواية فيها ذكر الأئمة واحداً بعد الآخر، واختتمت بالإمام المهدي (عليه السلام)، وفيها بعض التفاصيل عن غيبته والغاية منها، وتكليف الأمة فيها.

الخطبة الثانية : إكمال شرح الحديث السابق حول الانتفاع بالإمام المهدي (عليه السلام) حال غيبته، وتناول أسلوب وجوده بين الناس وفق أطروحتين الأولى: خفاء الشخص وهي أن يكون موجوداً ولكن لا يمكن رؤيته، والثانية: خفاء العنوان وهي أن يكون هخموجوداً بين الناس ولكن بغير اسمه وصفته الواقعية، وإنما يعيش باسم وعنوان آخر، ويبقى كذلك إلى أن يأذن الله تعالى له بالظهور، وهو وفق هذه الأطروحة يقضي الكثير من المصالح للمجتمع المسلم. كما أن المؤكد أن هناك من يعرفه بصفته الحقيقية من المتصلين به، وهؤلاء من المؤمنين الذين ليست لهم ذنوب

=ولكنه استطاع أن يمتص الغضب والاحتقان الموجود عند الجماهير، وتناول قضايا تخص المناسبة من دون الإشارة إلى ما يؤدي إلى حدوث تصادم، ولكنه سيعود في الجمعة اللاحقة ليتناول قضية المنع وسيكون خطابه قوياً ومفاجئاً، إذ كان الجميع يعتقد أنه تغافل عن ذكر المنع نهائياً. وهذا يدل على حكمته وبراعته في إدارة الأزمة مع النظام وعدم التهاون معه من ناحية، وقدرته في السيطرة على الحشود التي عدت بمئات الآلاف في الجمعة السابقة، وقد استطاع أن يخرج الحكومة والحوزة الأخرى وأن يخلق بيئة للمعارضة الداخلية ولكن بصورة تختلف عما تعارفت عليه المعارضة في الخارج، فهو لم يواجه بالسلاح أو بالسياسة، ولكنه هياً قاعدة واسعة واعية سحبت البساط من تحت الحكومة والمعارضة على حد سواء. وكان مدير الأمن العام طاهر جليل حبوش قد اقتحم منزل السيد الصدر قبل هذه الجمعة بأيام وتحديدًا ليل الإثنين ٧ / ١٢ / ١٩٩٨، وهدده بإبادة كل من يسير إلى كربلاء هذا العام بعد ندائه إن لم يأمر بإيقاف المسير إلى كربلاء، وكانت الرسالة التي جاء بها هذا المجرم من رأس النظام مباشرة. وفي اللقاء الذي عقده السيد الصدر مع أئمة الجمع في العراق في هذا الشهر (شعبان) بعد تهديد السلطة له مباشرة ذكر مجيئهم إليه، وأمر كافة خطباء الجمع بعدم مخالفة التقية بالمقدار الذي يؤدي إلى خسارة صلاة الجمعة، وإنما بالمقدار الذي تكون النتائج يمكن تحملها، وإن كان فيها شيء من الأذى، وقد أعطى مثلاً بضربة الحصة التي تؤلم ولكن يمكن تحمل ألمها، وقد أوعز السيد الصدر بعدم تسجيل هذا اللقاء لما فيه من حساسية وتوجيهات مباشرة بالصمود والحكمة في التعامل مع أجهزة السلطة، بحيث تفوت الفرصة عليها. وعدم إيجاد الذريعة لمنع الصلاة أو الإضرار بالنفس والآخرين.

تحجبه عن معرفته، وبواسطتهم يتم التواصل مع المجتمع وقضاء الكثير من المصالح.

الجمعة الخامسة والثلاثون بتاريخ ٢١ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ١١/١٢/١٩٩٨ م^(١) :

الخطبة الأولى : طلب من الحضور الهتاف بالصلاة على محمد وآله ل: نصره وطاعة الحوزة العلمية وأمير المؤمنين، ولشجب واستنكار تقليص وتحجيم صلاة الجمعة^(٢)، ثم طلب منهم الهتاف ب: نعم نعم سبحانك، نعم نعم للإسلام، نعم نعم للمذهب، نعم نعم للجمعة^(٣).

(١) بعد ستة أيام من هذه الجمعة أي في يوم ((الخميس ١٧ / ١٢ / ١٩٩٨ شنت القوات الأمريكية والبريطانية هجوماً جواً وصاروخياً واسع النطاق على العراق تحت شعار "عملية ثعلب الصحراء" وذلك بموجب تقرير قدمه ريتشارد بتلر، رئيس اللجنة الخاصة للأمم المتحدة المكلفة بإزالة أسلحة الدمار الشامل العراقية (يونسكوم) اتهم فيها بغداد بعدم التعاون مع فرق التفتيش)). الحرب على العراق، ص ٧٤٥. ولكننا نلاحظ أن هذا الهجوم حصل مع تصاعد الأزمة بين السيد الصدر والنظام لمنع الأخير السير إلى كربلاء كما اتضح، بالتالي تكون تفسيرات السيد الصدر لهذا الهجوم منطقية أكثر مما جاء في الاعلام الدولي. إذ استهدف القصف بالدرجة الرئيسية : ((محطات التلفزيون والمدن العراقية والمنشآت النفطية والمستشفيات)). الحرب على العراق، ص ٧٤٥. وكل العملية كانت تستهدف بث الرعب عند الشعب العراقي تحسباً لأي تحرك يطيح بالنظام، فقد اعترف الأميركيان على لسان "فرانك ريكياردون" وهو دبلوماسي رفيع المستوى كأول منسق خاص بعنوان "السفير لدى المعارضة العراقية" عام ١٩٩٩، وكان سابقاً صاحب الدور الرئيسي في تطبيع العلاقات الأمريكية - العراقية عام ١٩٨٤، قال بتاريخ ١ آذار ١٩٩٩ : ((من المحتمل جداً أن يقع انقلاب عسكري... سيكون مفاجئاً وبدون إنذار... إن الولايات المتحدة ليس لديها مرشح «ليحل محل صدام»)). علي عبد الأمير علاوي، مصدر سابق، ص ٩٨ و ٩٩.

(٢) من الواضح أن سبب طلب الهتافات هو لمنع الذي حصل لزيارة النصف من شعبان في الأسبوع الماضي، وكذلك لوجود ضغوط تمارس من قبل الأجهزة الأمنية لمنع بعض أئمة الجمع في المحافظات من إقامة الصلاة أو مضايقتهم، وسوف تتصاعد هذه الضغوط في الأسابيع اللاحقة مما يؤدي إلى حدوث مصادمات كما سنرى.

(٣) كانت التظاهرات التي يخرجها النظام لبعض المناسبات تهتف : نعم نعم يا صدام، وكان الهتاف في هذه الجمعة تحداً صريح وإعلان جماهيري لمساندة صلاة الجمعة، وأن السيد الصدر سوف يذهب إلى آخر ما A

ثم بدأ خطبته بما يتعلق بالمنع الذي حصل للزيارة : إننا عهدنا الاستعمار والمستعمرين يكرهون الإسلام عامة والمذهب خاصة^(١) ويكيدون ضده ويريدون إضعافه^(٢)، ومن هنا كانت صلاة الجمعة والسير إلى زيارة الحسين شوكة في عين المستعمرين عامة

=يمكنه للمحافظة عليها، حتى وإن أدى ذلك إلى قتله، ويعتبر التنازل عن صلاة الجمعة في بعض المحافظات بمثابة التمهيد للقضاء عليها في مسجد الكوفة، مما يعني العد التنازلي لحركة السيد الصدر ولتجزاته التي حققها هذه الفترة.

(١) "إن الأصولية الإسلامية الشيعية كانت وما تزال في نظر الغرب تبدو وكأنها العدو الأيديولوجي للغرب".

الصمانجي، عزيز قادر، قطار المعارضة العراقية، ص ٥٧٧.

(٢) وفي نص وثيقة اسرائيلية بعنوان "استراتيجية إسرائيلية للشمانينات" جاء فيها حول العراق :

١- إن العراق لا يختلف كثيراً عن جارتها ولكن الأغلبية فيها من الشيعة والأقلية من السنة، إن ٦٥ في المئة من السكان ليس لهم أي تأثير على الدولة التي تشكل الفئة الحاكمة فيها ٢٠ في المئة الى جانب الأقلية الكردية الكبيرة في الشمال.

٢- ولولا القوة العسكرية للنظام الحاكم وأموال البترول، لما كان بالإمكان أن يختلف مستقبل العراق عن ماضي لبنان وحاضر سوريا.

٣- إن "بشائر" الفرقة والحرب الأهلية تلوح فيها اليوم، خاصة بعد تولي الإمام الخميني الحكم، والذي يعتبر في نظر الشيعة العراقيين زعيمهم الحقيقي وليس الرئيس صدام حسين.

٤- إن العراق الغنية بالبترول والتي تكثر فيها الفرقة والعداء الداخلي هي المرشح التالي لتحقيق أهداف (إسرائيل).

٥- إن تفتيت العراق هو أهم بكثير من تفتيت سوريا وذلك لأن العراق أقوى من سوريا.

٦- إن في قوة العراق خطورة على دولة (إسرائيل) في المدى القريب أكبر من الخطورة النابعة من قوة أية دولة أخرى.

٧- وسوف يصبح بالإمكان تقسيم العراق الى مقاطعات أقليمية طائفية كما حدث في سوريا في العهد العثماني.

٨- وبذلك يمكن إقامة ثلاث دويلات (أو أكثر) حول المدن العراقية.

٩- دولة في البصرة، ودولة في بغداد، ودولة في الموصل، بينما تنفصل المناطق الشيعية في الجنوب عن الشمال السني الكردي في معظمه.

الحرب على العراق، يوميات - وثائق - تقارير، ١٩٩٠ - ٢٠٠٥، ص ٦٦.

وإسرائيل خاصة. لذلك كان من المتوقع أن تُبذل أقصى القوة في سبيل منعه، ولعل الجماعة (الحكومة العراقية) لا يعلمون أن في ذلك نفعاً للمجتمع ومضادةً للإستعمار، إذن فليعلموا ذلك. ولا شك أن أفضل ما تفعله أي دولة لشعبها هو إعطاء الحرية والقيام بشعائره الدينية بالشكل الذي لا يضر بالدولة أصلاً، وإذا قامت الدولة بذلك كانت أقرب إلى الناس لما يشعرون من فضلها عليهم بخلاف العكس.

وإننا الآن في نظرهم (الحكومة العراقية) في ظروف الحصار الاستعماري الاقتصادي، فمن المفترض أن نواجه الاستعمار بكل ما لا يحبه، بما في ذلك الشعائر الدينية والسير إلى كربلاء المقدسة خصوصاً، لأنها ستكون شكلاً من أشكال الضغط الشعبي لفكّ الحصار، وما قيل هنا (من قبل الحكومة العراقية) إن ظرف الحصار لا يناسب القبول بالسير إلى كربلاء، ليس مقبولاً.

إن شعائر الله سبحانه، وتأييد الدين، من المتوقع أن تكون ضمن الحملة الإيمانية التي تتبناها الدولة منذ سنين، فالمفروض بهذه الحملة أن تدعو للإيمان وإلى تأييد الشعائر وتكثير الطاعات وتقليل المعاصي، وجعل العقوبات المشددة على المنكرات. فالسير إلى كربلاء هو من جملة الإيمان الذي يقع تطبيقاً للحملة الإيمانية، والمتوقع ممن يدعو إليها أن يتمسك بها.

بالرغم من أن السير لم يتم بالشكل الموسع الذي تمنيناه إلا أنه أثمر ثمرته الطيبة، حيث أظهر تكاتف الشعب العراقي وخاصة في الوسط والجنوب، على العمل في سبيل الله والتضحية في سبيل الدين^(١).

(١) على الرغم من المنع الذي صدر من السلطات العراقية إلا أن جموعاً غفيرة واصلت المسير إلى كربلاء، وقد حشدت الحكومة المئات من قواتها وأجهزة الأمن وأعضاء حزب البعث لإيقاف السائرين، وكادت الأوضاع تتفجر لولا أن السيد الصدر أوعز بالتوقف، ولكن الأمر جاء بعد أن قطع السائرون مسافات A

إن السائرين لم يتحملوا الصعوبة المعيشية فقط، بل تحملوا الصعوبة النفسية ومشقة الخوف والإزعاج في هذا الصدد^(١). وهذا النموذج من المخلصين الواعين كان قليلاً في صدر الإسلام، مما أدى إلى انتصار معاوية في صفين، وسبب تفرق الناس عن مسلم بن عقيل وعن الحسين (عليه السلام)، إلا أنه عن طريق التربية المركزة والمستمرة من قبل قادتنا المعصومين (عليهم السلام) وعلمائنا (رضوان الله عليهم) بيدل هذا النموذج بالنموذج الآخر المخلص المتفاني.

إن المنع حصل في الحكمة الإلهية لوجود القصور والتقصير في المجتمع.

ولا بد من الالتفات إلى موقف الحوزة التقليدية السكوتية^(٢) مما حصل من أمر المشي ومنعه، فقد كانوا سلبين مائة بالمائة، لم ينبس أي أحد منهم أو من وكلائهم ببنت

=كبيرة، وقد اعتقل العشرات، وأعيد بالإجبار كل من وجد على الطريق، ولكن وصل الكثيرون أيضاً منهم إلى كربلاء.

(١) من الواضح أنه يعني المنع والسيطرات ونقاط التفتيش التي زرعت على طول الطريق إلى كربلاء، والاعتقالات والمضايقات التي حصلت من أجهزة النظام.

(٢) يحاول مريدو السيستاني أن يردوا على هجوم السيد الصدر على قضية (الحوزة الصامتة أو الساكنة) بفلسفة خاصة، إذ يقول أحدهم: (إن بحوث النجف ظاهرة جليلة في كثير من العلماء والأعظم، وهي ظاهرة البعد عن الضوضاء والفتن، وربما يعتبر هذا البعد عند بعضهم موقفاً سلبياً لأنه هروب عن مواجهة الواقع وتسجيل الموقف الصريح المرضي للشرع المقدس، ولكنه عند التأمل يظهر أنه موقف إيجابي وضروري أحياناً للمصلحة العامة ومواجهة الواقع، وتسجيل الموقف الشرعي يحتاج لظروف موضوعية وأرضية صالحة تتفاعل مع هذا الموقف. فلو وقعت في الساحة الإسلامية أو المجتمع الحوزوي إثارات وملابسات، بحيث تؤدي لطمس بعض المفاهيم الأساسية في الشريعة الإسلامية وجب على العلماء بالدرجة الأولى التصدي لإزالة الشبهات وإبراز الحقائق الناصعة، فإذا ظهرت الفتن وجب على العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب منه نور الإيمان، كما جاء في الحديث، ولكن لو كان مسار الفتنة مساراً شخصياً وجواً مفعماً بالمزايدات والتعصبات العرقية والشخصية لرجع معين أو خط معين، أو كانت الأجواء تعيش حرباً دعائية مؤججة بنار الحقد والحسد المتبادل، فإن علماء الحوزة منهم سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) يلتزمون دوماً الصمت والوقار والبعد عن الضوضاء الصاخبة، كما حدث بعد وفاة السيد البروجردي (قدس سره) ووفاته A

شفة، وكأنهم لا يعلمون ما يحصل من أمر المجتمع على الإطلاق، لكي يدعو السيد محمد الصدر وحده بالميدان، وهم بطبيعة الحال يتحملون قسطاً من المسؤولية، سواء رضوا أو غضبوا. وكان أفضل ما فعله جملة منهم هو السكوت والاعتذار، بينما كان موقف آخرين هو الطعن والتجريح.

وإن ما حصل من فشل نسبي لا ينبغي أن يفت من عضد المؤمنين ويضعف في قلوبهم الشجاعة التي أوجدوها بكدميمهم، فإن الحياة تجارب وليست كلها ناجحة ١٠٠٪، بل قد يحصل في المستقبل قصور في النجاح كما حصل في الماضي، وكل ذلك ينبغي أن يكون متوقفاً، وإنما السبب إلى دفع ذلك هو الإخلاص وتزايد الهمة والإرادة.

الخطبة الثانية : خُصصت لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) وأهميتها وفضلها، والدليل على استحباب زيارته مشياً، وفيه رد على من يزعم عدم وجود الدليل من الكتاب والسنة على ذلك.

الجمعة السادسة والثلاثون بتاريخ ٢٨ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ١٨/١٢/١٩٩٨م:

الخطبة الأولى : في الخطبة السابقة أعطينا الطاعة لله سبحانه وتعالى بـ"نعم"، وفي هذه الجمعة نعطي الطاعة لله عز وجل بـ"ليكن"، فقولوا معي كما أقول ثلاثاً : ليكن ليكن

=السيد الحكيم (قدس سره)، وما يحدث غالباً من التنافس على الألقاب والمناصب والاختلافات الجزئية. كما هو الحال في يومنا الحاضر، مضافاً لهذه المتمثل بلباسه المتواضع ومسكنه الصغير الذي لا يملكه وأثاثه البسيط)). علماء قياديون، مصدر سابق ص ٢٤ - ٢٥. وتجده كاملاً في موقع السيستاني. ونلاحظ على هذه التبريرات تناقضها وبعدها عن بعضها البعض، ولكن الكاتب "قاسم الهاشمي" الذي لا يخفي مقاصده في النيل من مرجعية السيد الصدر الثاني هنا، له سوابق في هذا الاتجاه من خلال صحيفة "المبلغ الرسالي" التابعة للمجلس الأعلى قبل سقوط النظام العراقي، خاصة إذا علمنا أن هذه الصحيفة يرأسها "السيد صدر الدين القبنجي" صاحب السجل الحافل بالطعن بمرجعية السيد الصدر. ونلاحظ كذلك أن قاسم الهاشمي ومن قبله القبنجي من أصحاب التوجه المعروف الذي لا صلة بينه وبين مرجعية السيستاني، إلا أن اتفاقهم على عدو مشترك أو مصلحة مشتركة لم تعد خافية يعطي بعض التبرير لهذا الهذيان الذي سمعناه.

يا الله. ليك ليك يا ربي. ليك ليك للإسلام. ليك ليك يا علي. ليك ليك يا مهدي. ليك ليك يا حوزة.

بعد أيام يبدأ شهر رمضان المبارك، فيحسن أن نتحدث عن فضيلة الصوم وأهميته في الإسلام، (ثم شرع يشرح خطبة رسول الله "صلى الله عليه وآله" المروية في فضيلة الصوم وفضيلة شهر رمضان). ومما جاء في كلامه :

إن العقل البشري وإن لم يمكنه أن يتصور فضل بعض الأيام والأشهر على بعضها، إلا أننا نعتزف بأن العقل البشري غير كاف لإدراك الواقعيات، وليس له الحق في أن يناقش في ما لا يدرك.

إن الله لا يعطي بالمجان إطلاقاً، وهذا قانون نافذ بين جميع الناس، وإنما يحصل الثواب على العمل، فلو لم يفعل العبد أي شيء ولم يبادر إلى أي طاعة، لا يحتمل أن يكون مستحقاً للثواب.

ونوم الصائم في نهار رمضان عبادة، وليس معنى ذلك أن يترك باقي الأعمال ويقضي نهاره كله نائماً، بل ينبغي أن يمارس باقي العبادات والأعمال المتوقعة منه خلال الشهر وعندما يشعر بالتعب ينام ولكن بحسرة لانقطاع عبادته بالنوم.

ينبغي أن يذكر عطش وجوع الصيام بعطش وجوع الفقراء، ويحثه على قضاء حاجة المحتاجين.

الخطبة الثانية : من الأمور التي أشار إليها النبي "صلى الله عليه وآله" في خطبته استحباب أن يفطر الفرد صائماً، وهذا المعنى يشمل الصائم وغيره، ويدخل هذا ضمن المنهج الإسلامي العام لقضاء حاجة المحتاجين، فليس من العدل أن يكون فطور طبقة من الناس من أطيب الطعام والشراب، وفطور طبقة أخرى متواضعة جداً. وع ذلك نجد طبقات من النس الديويين يدعون الإشتراكية بمختلف اتجاهاتها،

يعيشون عيشة مرفهة، قد نالوا الشهرة والزعامة والمال، بعنوان أنهم دعاة إلى مسلك معين. في حين أن الأنبياء والمعصومين يغلب على حياتهم الزهد والتقشف، قال أمير المؤمنين "عليه السلام" ما مضمونه : كيف أَرْضَى لنفسي أن يقال أمير المؤمنين، ولا أشاركهم شظف العيش وقساوة الحياة.

الجمعة السابعة والثلاثون بتاريخ ٦ رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ١٢/٢٥/١٩٩٨ م :

الخطبة الأولى : نؤدي الطاعة في هذا الأسبوع بعنوان "كلا" لأجل رفض الباطل وأهل الباطل، فقولوا معي ثلاثاً : كلا كلا للباطل، كلا كلا أمريكا، كلا كلا إسرائيل، كلا كلا استعمار، كلا كلا استكبار، كلا كلا يا شيطان.

من جملة المشاكل التي تعرض لها المجتمع العراقي خاصة، والمجتمع في العالم عامة، القصف الأمريكي^(١)، ولا ينبغي أن تكون الحوزة الناطقة المجاهدة ساكتة عن إبداء رأيها فيه :

إن هذا الوضع العالمي القائم على أنقاض ما كان يسمى بالإتحاد السوفيتي، والذي تسميه أمريكا بالنظام العالمي الجديد، إنما هو نظام استعماري مشرؤوم، قائم على تفرد أمريكا بالعالم، وفرض إرادتها على كل جهاته، وكل من يخالفها فإنها تكيل له الصاع صاعين، وهذا النظام يجعل منها الطاغوت الأول والشيطان الأكبر.

إن أمريكا وإن زعمت تحكيم سيطرتها على كل العالم، إلا أنها لن تستطيع إزالة إيمان المؤمنين وقوتهم، فإن استطاعت السيطرة على أجسادنا فلن تستطيع السيطرة على عقولنا وقلوبنا ونفوسنا، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

(١) في بداية شهر رمضان تم إيقاف القصف الجوي بعملية ثعلب الصحراء الأمريكية، وكان إيقاف بعنوان احترام شهر رمضان، والواقع أنهم لم يوقفوا القصف بل ظل مستمراً ولكن بشكل أخف من السابق ومتقطع.

إن أمريكا إنما تتذرع بالسلح الديوي، الذي مهما بدا مهماً وعظيماً فإنه مؤقت وزائل. وهي تحاول تسخير أكبر مقدار من الدول تحت سيطرتها، حتى الدول الأوربية التي تودُ الإستقلال عنها، فإنها تبدو لعبة بيدها، فمثلاً بريطانيا التي كانت لها زعامة العالم أصبحت مستعمرة بيد أمريكا.

إننا نعتقد أن هذا النظام الظالم غير دائم، بل هو إلى زوال، فأمریکا موكولة إلى نفسها، وملتفتة إلى جبروتها، فتكون مصداقاً واضحاً لقوله تعالى "حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس"^(١). ونعتقد أن مستقبل البشرية إلى خير وصلاح وعدالة، حينما يظهر القائد المنتظر فيملئها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

إن أمريكا بمثل هذا القصف أن تجعل عدوها كبش فداء ليكون عبرة للعالم كله، ولو استطاع العالم أن يقول كلمته العادلة الحقيقية لزال هذا النظام الظالم عن الوجود. واننا نجد باستمرار أن كل مؤامرة يقوم بها الغرب والاستعمار ضد الإيمان والمؤمنين، فإن الله تعالى يجعلها حسرة في صدورهم، ويجعل نتائجها إلى مصلحة الدين، وهذا ما رأيناه في القريب والبعيد مما حصل من دسائس ومشاكل، حتى هذا القصف الأمريكي الأخير، فإنه طور المؤمنين بفضل الله تعالى عقلياً ونفسياً وإيمانياً، وفتح عيونهم على حقائق كان يمكن أن تكون غائمة ومجهولة فيما سبق، ونشعر فعلاً أنه سبب عزة الحوزة والمذهب، وشجاعتها وحرية هدفها، أكثر من ذي قبل،

الخطبة الثانية : من الواضح أن كل حروب أمريكا ومؤامراتها تجارية، تفتعلها لأجل استنزاف الشعوب البائسة اقتصادياً واجتماعياً، لأجل إيفاء النقائص التي قد تحصل

(١) سورة يونس، الآية ٢٤.

في ميزانيتها خلال أي عام. وقد زعموا أن القصف الأخير قد حقق أهدافه، وقد كذبوا، وإنما كان انتهائه تنازلاً وتخاذلاً من قبلهم، نعم هو حقق أهدافه في الحكمة الإلهية، من حيث لا يريدون، من باب ما نسمع في الحديث القدسي "الظالم جندي أنتقم به وأنتقم منه"، فهو كان انتقاماً للذنوب والعيوب الكثيرة المتفشية في المجتمع، يكفي أن نلاحظ أننا قصرنا تجاه الإمام الحسين "عليه السلام"، فجاء رد الفعل في الحكمة الإلهية سريعاً وقوياً، وننتظر من رحمة الله سبحانه وتعالى تطبيق الفقرة الثانية "انتقم به وانتقم منه"^(١).

نعود إلى خطبة النبي "صلى الله عليه وآله" التي بدأنا بها في الجمعة السابقة : وجاء فيها وصية النبي بحسن الخلق في هذا الشهر وهو يعني "وضع الشيء أو التصرف في موضعه المناسب له، فحسن الخلق مساوq للعدالة، والعدل كما يشمل التعامل مع الآخرين، فهو يشمل علاقتك بنفسك، وعلاقتك بربك وبأوليائك.

الجمعة الثامنة والثلاثون بتاريخ ١٣ رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/١/١ م :

الخطبة الأولى : بدأها بـ: قولوا ثلاث مرات كما أقول باللغة الدارجة وليس بالفصحى: هذا هذا هدفه، هذا هذا عمله، هذا هذا إمامنا، هذا هذا عدونه، هذا هذا حوزته، هيه هيه عزته، هيه هيه قائده، هيه هيه أمله.

ثم بدأ بشرح معنى الصوم في اللغة وفي الفقه، فليس كل ترك للطعام صوماً، فالؤمن لا يكون صائماً خلال هذا الشهر عن الطعام والشراب والنكاح فقط، بل عن كل الشهوات والاعتبارات التي تؤدي إلى إثمه ونقصانه وعقابه، حتى وإن كان في ذلك

(١) من الواضح أن السيد الصدر يعني بهذه الفقرة النظام العراقي الذي منع من زيارة كربلاء في شعبان، فكانت العقوبة هي القصف الأمريكي، وأن الله تعالى انتقم منه بأمريكا، كما أن الفقرة الثانية هي انتقام الله تعالى من النظام العراقي ومن أمريكا.

ملذته الدنيوية.

وأما قول النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته : "ومن خفف في هذا الشهر عمّا ملكت أيمانه"، فالملكية هنا ليست بالمعنى المقابل للعبودية فقط، وإنما تشمل كل أشكال السيطرة، فالمدرس مالك لطلابه، والمدير مالك لعماله، والمزارع مالك لفلاحيه، ورب الأسرة مالك لأسرته، وغير ذلك، ومن الراجح شرعاً وإنسانياً ودائماً أن يستعمل المسيطر طريق الرحمة والحكمة والعدالة في من يسيطر عليهم، ولا يكلفهم ما لا يطيقون، وإلا كان ظالماً متجاوزاً على حقوقهم.

الخطبة الثانية : ويمكن أن نفهم من (ملك اليمين) المال والثروة قليلة كانت أو كثيرة، وهذا له معنيان :

المعنى الأول : التخفيف من الإكتساب في رمضان، والتجارات الواسعة التي تكون أكثر من حاجة الإنسان.

المعنى الثاني : التخفيف من الصرف والبذخ من أطايب الطعام، وجميل اللباس، والمنازل العالية، والمراكب الفارهة، فإن كان ذلك مع إهمال الدين وترك الورع كان حراماً، وإن كان وفق الشرع كان الحرص على الباقي الزائد على الحاجة، مرجوحاً من الناحية الأخلاقية والإنسانية.

أما الظلم فهو محرم سواء كان من الصائم أو غيره، حتى الغيبة البسيطة والكذب البسيط. كما أن الفرد إذا كان له حق على الآخرين كالدين فليؤجله (في رمضان)، لأن هذا من الإشتغال بالحقوق الدنيوية. والشر ليس خاصاً بالإنسان بل في الإمكان أن يقع على الحيوان، ومنه ما هو حرام، ومنه ما هو حلال كذبح الحيوان للأكل، فالأفضل أخلاقياً أن يتوقف عن أذى الحيوان حتى بالمقدار الجائز والحلال.

الجمعة التاسعة والثلاثون بتاريخ ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/١/٨ م :

الخطبة الأولى : بدأها بقراءة قصيدة بمناسبة قرب ذكرى استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام). ثم تحدّث عن ليلة القدر وهي الليلة المباركة التي نزل فيها القرآن، وتنزل فيها الملائكة لتطبيق أحد أمرين أو كليهما : الأوامر الإلهية وتأييد واحترام المتعبدين فيها. كما أنها "سلام" أي سبب للرحمة والغفران. وتستمر حتى مطلع الفجر. وأما نزول القرآن في ليلة القدر فهو النزول الدفعي "الروحي" الذي سبق النزول المعروف في غراء حراء والذي يعرف بالنزول التدريجي.

الخطبة الثانية : ليلة القدر ماردة عند المتشرعة بين ثلاث ليال، الليلة ١٩ و ٢١ و ٢٣ من شهر رمضان، ونستطيع أن نؤكد سقوط احتمال ليلة ١٩، فينحصر الاحتمال بالاطمئنان العرفي والمتشرعي بين ليلتي ٢١ و ٢٣، وقد جاءت الروايات عن الأئمة بحصرها بين هاتين الليلتين ولم يعينوها إطلاقاً، وذلك للحث على العمل والعبادة في ليلتين، وكان بعض أهل المعرفة يميل الى أن معنى ليلة القدر معنى كلي، قابل للصدق على كثيرين، فأى وقت أنتج نتيجة ليلة القدر الأصلية فهو ليلة قدر، حقيقة أو مجازاً. كما أن ظاهر الفهم المتشرعي أن المطلوب هو العمل كالصلاة والصوم والدعاء وقراءة القرآن ونحو ذلك، إلا أن الجانب الأهم هو إخلاص النية لله سبحانه وتعالى.

الجمعة الأربعون بتاريخ ٢٧ رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/١/١٥ م^(١) :

الخطبة الأولى : طلب من الحضور الهتاف بالصلاة على محمد وآله لـ: استنكار انقطاع

(١) حسب صحيفة الأهرام في هذا اليوم : ((صرّح وليم كوهين، وزير الدفاع الأمريكي، بأن لدى الإدارة الأمريكية خطة لضرب العراق بعد شهر رمضان أو تقسيمه الى ثلاث دويلات)). الحرب على العراق، ص ٧٤٦.

الكهرباء في عموم بلاد العراق. للمطالبة بإرجاع الكهرباء الى عموم العراق. لانتصار الحق المطلق. لانتصار جميع المظلومين في العالم. لانتصار الحوزة العلمية الشريفة.

إكمال خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) التي بدأنا بها سابقاً ك إن رحمة الله سبحانه عامة تسع الزمان والمكان، إلا أن مظاهرها تختلف، ففي رمضان خاصة تفتح أبواب الجنان وتغلق أبواب النيران، والرحمة موجودة دائماً ولكنها تحصل بتركيز في رمضان، بحيث لا يُقاسُ به باقي الشهور، كما يمكن القول كأطروحة : أن أبواب الجنان مغلقة في سائر الشهور ولكنها تفتح بأسباب كال்தوبة والاستغفار، في حين أنها في رمضان تفتح فتحاً عاماً لسعة الرحمة وعمق المغفرة، وأبواب النيران مفتوحة في سائر الشهور، والشياطين مطلقو السراح سائر الشهور إلا في هذا الشهر الفضيل.

يمكن أن نلاحظ قلة الذنوب والعيوب وتقلُّصها في الأماكن المقدَّسة، كالمساجد والمراقد ونحوها، فالفرد لا يفكر في ذنب معتد به أو لن يفكر في ذنب إطلاقاً إذا دخل المسجد أو المرقد، كما أن فرص الذنوب كالزنا والسرقه والقتل ونحوها ستكون معدومة، بينما فرص الطاعات متوفرة فيها، وهذا بالضبط ما يمكن أن نفهمه من فتح أبواب الجنان وغلق أبواب النيران وغلُّ الشياطين، أي كما يحصل في المكان المقدَّس يحصل في الزمن المقدَّس الذي هو هنا شهر رمضان، كما أن أحد المصاديق هو إغلاق المقاهي وغيرها مما يعتاد فيها الغناء خلال رمضان ومحرم، وتوبة الكثير من العاصين خلال رمضان، وهذا مصداق لفتح أبواب الجنان وغلق أبواب النيران.

الخطبة الثانية : يمكن أن نلاحظ أن الفرد نفسه هو الذي يفتح باب الجنة، وهو الذي يغلق باب النار، أو قل أن مفاتيح الجنة والنار فيما يخص الفرد قد أُعطيت للفرد نفسه، فهو الذي يدخل نفسه الجنة بطاعاته وإخلاصه، وهو الذي يدخل نفسه النار بعصيانته وعناده، بعد أن أعطى الله تعالى للفرد الإرادة والاختيار، كما أن الفرد

يمكن أن يفتح أبواب الجنة لأشخاص آخرين كانت مغلقة بوجوههم، كما لو حُثِّم على التوبة والهداية، ويفتح أبواب النار لآخرين بالكلمة الخبيثة والضلال.

الجمعة الحادية والأربعون بتاريخ ٥ شوال ١٤١٩ هـ الموافق ١/٢٢/١٩٩٩ م :

الخطبة الأولى : بمناسبة مرور عيد الفطر نتكلم عن فكرة العيد في الإسلام، يعتقد طبقة من أهل اللغة أن العيد سمي عيداً لأنه يعود كل سنة، كأنه مأخوذ من العود، فيكون عيد بمعنى عائد، كفعيل بمعنى فاعل، مثل عليم بمعنى عالم، إلا أن هذا واضح المناقشة :

لإن العود بالواو والعيد بالياء، فتكون كل واحدة مادة منفصلة مباينة للأخرى، ولا يوجد وجه معتد به لتبرير تبديل الواو ياءً في لفظ العيد.

وإنه لا تنطبق هنا قاعدة فعيل بمعنى فاعل، لوضوح أن عيد ليس على وزن فعيل، لا فعلاً ولا تقديرًا، ومن هنا فإن الاطمئنان العرفي على أن لفظ العيد لفظ مستقل، وُضع لأجل الدلالة على هذا المعنى بالذات، وهو أي يوم يناسب اجتماعياً إظهار الفرح والسرور، والطريف أن لفظ العيد ليس موجوداً في المصادر اللغوية بما فيها لسان العرب وغيره، مع أنها ليست كلمة مستحدثة.

وإن العيد هو وقت حدوث مناسبة السرور والابتهاج الاجتماعي نفسه، كحدوث انتصار على العدو، أو ولادة شخص مهم، أو فرج بعد شدة، وليس ذكراه السنوية المتكررة كل عام، فمن المناسبات ما يحصل مرة واحدة كولات ووفيات الأئمة، وعيد الغدير، ومنها ما يتكرر كل عام، فهي في كل عام مناسبة جديدة، كعيد الفطر والأضحى وليلة القدر ويوم عرفة، كما سيأتي.

قلنا في كتاب (ما وراء الفقه) إنه تقوم فكرة الأيام المهمة أو المتبركة في الدين على أحد أسس ثلاث :

القسم الأول : باعتبار حادثة مهمة وقعت فيها، كولادة النبي وأمير المؤمنين، ووقعة بدر والمعراج والغدير، ونحو ذلك.

القسم الثاني : الأيام التي تكتسب أهميتها باعتبار كونها وقتاً لأداء عبادة كبيرة في نظر الشريعة، كليلة القدر بل أيام شهر رمضان كله، ويوم عرفة في الحج.

القسم الثالث : الأيام التي تكتسب أهميتها باعتبارها أول يوم للفراغ من عبادة مهمة في الإسلام، فإن أداء أي واجب يعطي راحة محببة واطمئناناً للضمير، وشكراً لله على حسن التوفيق، وكلما كبرت العبادة وازدادت أهميتها، ازدادت أهمية الفراغ منها، وأهم مثال لذلك عيد الفطر الذي يأتي بعد الفراغ من فريضة الصوم، وعيد الأضحى الذي يأتي بعد الانتهاء من الأجزاء الأساسية للحج.

وهذه المناسبات ليست ذكريات لمناسبات سابقة، فرمضان وليلة القدر والحج في كل عام مناسبة جديدة، وفرح جديد.

إذن العيد الحقيقي هو المناسبة الأولى كيوم ولادة النبي عام الفيل، أما تكراراته السنوية فهي مجرد ذكريات، ومنها ولادات ووفيات المعصومين، والحصار في شعب أبي طالب، وغيبة الإمام المهدي، ويوم هدم قبور البقيع من قبل الوهابيين.

ولا شك أن هناك مصالح اجتماعية ودينية مهمة لتأسيس هذه الذكريات، ولولاها لانقطع المجتمع عن تاريخه المقدس. ونلاحظ أن مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فريد بكثرة مناسباته الدينية، وهي مناسبات لا يمكن إنكارها من قبل الآخرين.

الخطبة الثانية : إن الفرح والسرور له أسبابه الدنيوية وأسبابه الأخروية، أما الدنيوية كالصحة بعد المرض، والثروة بعد الفقر، وهذا النوع من الفرح جائز ومتعارف، إلا أنه ممنوع أخلاقياً، وقد تكون عليه عقوبة. كما أن الحزن للأسباب الدنيوية ممنوع أخلاقياً. أما الفرح للأسباب الأخروية فهو صحيح ومشروع، كما قال تعالى (قل

بفضل الله وبرحمته فليفرحوا هو خير مما يجمعون)، كما لو وُفق الى طاعة واجبة أو مستحبة، أو وُفق الى ترك معصية كاد أن يقع فيها، أما الحزن الأخرى فيتلخص في أن الفرد يحزن لحصول النقص أو المصيبة في الدين أو الطاعة أو وقوع الألم والشدة في بعض أولياء الله سبحانه وتعالى.

وإننا قلنا في كتاب (فقه الأخلاق)، أن المؤثر والمنتج أكثر في طريق التربية والتكامل الإلهي والإيماني، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع هو الحزن وليس الفرح، لأن الحزن عاطفة قوية تحمل الفرد على الحماس والهمة باتجاهها.

الجمعة الثانية والأربعون بتاريخ ١٢ شوال ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/١/٢٩ م :

الخطبة الأولى : بدأ الخطبة بطلب التهتاف بالصلاة على محمد وآله ل: استنكار اعتقال خطباء الجمعة وفضلاء الحوزة^١، لأجل المطالبة باطلاق سراحهم فوراً، لأجل عدم حصول ذلك في المستقبل على الإطلاق، لأجل إطاعة الحوزة العلمية الشريفة.

(١) يروي لنا الشيخ أوس الخفاجي ملخص هذه القضية: ((في شهر رمضان المبارك لسنة ١٤١٩ هـ توجهتُ فجراً من الناصرية الى النجف الأشرف، والى الحنافة تحديداً قاصداً دار السيد الشهيد الصدر "رض" حاملاً في فكري بعض المقترحات المتعلقة بصلاة الجمعة، كوني والسيد مؤمل الصدر مشرفين عامين على صلاة الجمعة. استقبلني سماعته وسألني عن أحوالي فشكوت له شدة المضايقات من قبل أمن الناصرية، التي ازدادت وتكررت خصوصاً بعد الجمعة الموحدة في شعبان لأقضية ونواحي الناصرية (التي بلغت ٢١ صلاة جمعة)، والتي حضرها وفد كبير من مكتب السيد الشهيد بوفادة السيد مؤمل الصدر. فطلبت من سماعته أن يستبدلني - كمناورة - بالشيخ أسعد الناصري إمام جمعة السماوة، خصوصاً وهو قاضي شرعي للناصرية. عندها رفض سماعته هذا المقترح طالباً مني الصبر. فطرحت عليه مقترحات بخصوص صلاة الجمعة التي ستسبق ذكرى استشهاد أمير المؤمنين "عليه السلام" (٢٠ رمضان ١٤١٩)، وهي دعوة المصلين الى لبس السواد، وغلق المحلات التجارية وعلان الحداد يوم السبت ٢١ رمضان، وقراءة مرثية بالمناسبة، فوافق على المقترحات كلها، فتم التوجيه بهذه المقترحات الى الشيخ الشهيد علي الكعبي ليتولى إرسالها الى أئمة الجمع في بغداد والمناطق الشمالية، والى السيد كاظم الصافي لأئمة الجمع في محافظة واسط، والشيخ ستار البهادلي لأئمة A

ثم ذكر بعض النقاط قبل الخطبة الشرعية :

- هناك فكرة لأجل إحداث بناء في مسجد الكوفة، لعله يعيق عن صلاة الجمعة،

=الجمع في البصرة. وقبل حلول الجمعة المتفق المعهودة استدعاني الأمن وخاطبوني بنبرة التهديد بعدم تنفيذ المقترحات الآتية. ولكن جاءت الجمعة ومعها التنفيذ الكامل للمقترحات من قبل أئمة الجمع، فانزعجت السلطة من ذلك، وأخذوا يبحثون عني في الأماكن التي كانوا يحتفلون تواجدي فيها، وأخذوا بالتضييق على أسرتي وتهديدهم فاضطرت الى التوجه الى مديرية أمن الشرطة مساء الخميس ٢٦ رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ١٤ / ١ / ١٩٩٩م، ليكفوا عن مضايقة أهلي، وكان كلام مدير أمن الشرطة "المقدم قاسم" حول نفاذ صبر الدولة على سلوكيات أئمة الجمعة والسيد الصدر، وبعد ذلك أخبرني بضرورة مرافقته الى مديرية أمن الناصرية، وكان بصحبة ثلاثة أشخاص مدير أمن الشرطة وشخصان مسلحان، وكان مدير أمن الناصرية في ذلك الوقت "سعد العياوي" وهو شخص مشهور بجرائمه وقسوته، فأوعز باعتقالي في أحد المحاجر، وفي اليوم التالي "الجمعة" بعد دخول وقت صلاة الجمعة بقليل حصلت حركة غير اعتيادية في مديرية الأمن حيث أغلقوا كافة الأبواب وصوت أقدام تركض، وبعد أقل من ساعة ارتفعت أصوات الطلقات النارية لأكثر من ساعة، فسألت بعض الحرس فأخبرني أن هناك مشكلة عشائرية تمت معالجتها، وعند حلول الليل أحضروا كلاً من الشيخ أسعد الناصري والسيد عقيل الموسوي والشيخ أحمد الحسيناوي والأخ عدنان "أبو رسل". وفهمت بعدها أن نبأ اعتقالي في اليوم السابق قد انتشر بين أهالي الناصرية، وقبل دخول وقت الصلاة يوم الجمعة ارتفعت هتافات المصلين الحماسية، فقام الشيخ أسعد الناصري فخطب بهم أن الشيخ أوس الخفاجي رهن الاعتقال، فإن لم يطلق سراحه ويحضر الى الصلاة في وقتها فسيواجه بنفسه الى مديرية الأمن للإستفسار عنه، وبالفعل دخل وقت الصلاة فصلى الناس صلاة الظهر وساروا بحشود كبيرة يتقدمهم الشيخ أسعد الناصري باتجاه مديرية الأمن التي تبعد عن مكان صلاة الجمعة حوالي كيلو ونصف الكيلو متر، وفي أثناء سيرهم أطلق عليهم أعضاء حزب البعث النيران حيث كانوا منذ البداية يحاصرون موقع صلاة الجمعة، وكذلك كانت النيران تصدر من مقر فرع الحزب بقيادة المجرم "محسن خضر" أمين سر الفرع في محافظة الناصرية، الذي قتل بيده عدد من السائرين، ولكن المسيرة استمرت الى ومن عدة اتجاهات الى مديرية الأمن، فحاطوا بها وهم يهتفون "حي ميت شيخ أوس نريده"، فسقط عدد منهم شهيداً واعتقل عدد آخر، وبعد ذلك اعتقل الشيخ أسعد الناصري ومن ذكرت، وبقينا في مديرية أمن الناصرية حتى تمّ ترحيلنا الى مديرية أمن الكرخ، لأن مديرية الأمن العامة في بغداد قد قُصفت في عملية "تغلب الصحراء" وبعد أسبوع أطلق سراح الشيخ أسعد الناصري والطلبة الآخرين، وبقيت مع سبعة من الشباب محتجزين في مديرية أمن ذي قار لغاية ١٤ / ٨ / ٢٠٠١م حيث أطلق سراحنا. نص رسالة شرح لي فيها الشيخ أوس الخفاجي تفاصيل الحادث. عباس الزبيدي.

فلأجل استنكار هذه الفكرة الخبيثة، الصلاة على محمد وآل محمد^(١).

- إن هناك أفعالاً وأقوالاً لعلها مخلصّة، ولكنها بالتأكيد غير مسئولة، وهي مستعجلة بكل تأكيد، من قبيل الهتافات الزائدة التي تصدر من قبل جماعة من المؤمنين، وقد رأينا ما لها من المضاعفات، وأنا قلت بتوصيتين وأكررهما :

أولاً : أن لا تقل قولاً، ولا تفعل فعلاً، إلا بعد السؤال من الحوزة العلمية.

ثانياً : أن لا تقل قولاً، ولا تفعل فعلاً، منافياً لوجود صلاة الجمعة، لأجل إحراز بقاء صلاة الجمعة، فإن هذه النتيجة أهم من الهتافات.

- هناك البعض يزعمون بأنني أنا الإمام المهدي، وأنا أتبرأ من هنا أمام الله تعالى من هذا الزعم الباطل، وكل من يزعمه فهو كاذب ملعون.

- إن جماعة من وكلاء الحوزة الأخرى يوزعون أموالاً كثيرة، إلا أن الإشكال أن توزيع هذه الأموال لأجل مضادة السيد محمد الصدر، ولأجل مضادة النتائج التي أعطاها الله لنا بفضلها، حتى أن أخبار الثقة تقول إنه يُعطى المال لشخص من رجال الحوزة ويقال له : لا تدعو الى السيد محمد الصدر. فأريد أن أعرفكم على هذه الحقيقة الخبيثة.

أريد في هذا الأسبوع أن أخطب الأطباء خاصة، وذوي المهن الطبية عامة من صيادلة ومضمدين وغيرهم، ضمن نقاط :

(١) كان عنوان البناء ترميم المسجد ولكن الواضح أن الغرض منه إعاقة إقامة الصلاة فيه، فتوقف الأمر بعد هذه الخطبة، ولكن النظام عاد وأغلق المسجد لفترة طويلة بعد استشهاد السيد الصدر بداعي الترميم أيضاً، وقد أغلق المسجد بعد حوالي عشرة أيام من استشهاد السيد الصدر، وبالفعل استمر العمل بالمسجد ولم ينته الى ما بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣م. ولكن بقي الكثير من الناس يأتون الى مواضع متفرقة من المسجد يوم الجمعة ليصلوا فيها، وخاصة عند موضع منبر السيد الصدر.

- الطب حقل إنساني جليل جداً، حتى روي: "العلم علماً، علم الأديان، وعلم الأبدان"، أي أهم العلوم النافعة. فمرض النفوس يداويه الدين، ومرض الأجسام يداويه الطب، لذلك أفتى الفقهاء بأن الطب من الصناعات الضرورية التي يجب تعلمها بالوجوب الكفائي، أي يجب أن يوجد في المجتمع من يتعلم ويمتحن الطب.

- إن الجانب الإنساني أي جانب الرحمة والعطف هو المسيطر بالأساس على الطب والصناعات الطبية عموماً، فالمريض يثق بالطبيب ويضع حياته بين يديه، فيجب على الطبيب أن يكون على مستوى المسؤولية وفي تجاوب كامل، فيبذل اخلاصه ورحمته للمريض، لا أن يصبح الطبيب ممن يشعر بالغرور والأنانية، ويجر النار الى قرصه، وهي مواقف تتكرر دائماً.

- أعتقد أن الطب هو من أنجح العلوم التطبيقية أو العملية في الفكر الإنساني، الى حدٍ قد يعدل العلوم الأخرى كالفيزياء والكيمياء، مع ذلك هناك مبالغة شديدة في الإعلام الطبي والعلمي عموماً، كأن الغرب يقول إنه وصل في العلوم الى مدارج فائقة جداً وخارجة عن نطاق أي بشري، ولا شك أن عدداً منها نتائج مدهشة إلا أنها مع ذلك ذات مبالغة بأزاء عدة أمور منها :

أن علمائهم وقادتهم يعترفون بالنقص والقصور حين يستيقظ ضميرهم، والمروي عن نيوتن: "إننا نحس تجاه هذا العالم أننا كالأطفال نلعب أمام ساحل بحر عميق"، ومن المؤكد أن العلوم التجريبية قابلة للخطأ، وهي مجرد احتمالات ونظريات قد يأتي زمن

(١) شهدت سنوات الحصار الإقتصادي جشعاً من قبل الكثير من الأطباء، ولم نجد التعاون المطلوب من قبلهم لما يمر به المجتمع في العراق، وفي خطوة مضادة تحرك عدد مهم من الأطباء من أتباع السيد الصدر، وقاموا بتخصيص أوقات معينة لمعاينة المرضى مجاناً، وكانت توزع قسائم من قبل وكلاء السيد الصدر على الأسر والأشخاص الفقراء، فيراجعون بها عيادات الأطباء بالتنسيق معهم، وكذلك تحرك بعض الصيادلة لتخصيص أدوية مجانية لتلك القسائم.

يستطيع أي مفكر أن يقلبها ويعطي ما يخالفها، كما رفض أينشتاين قانون الجاذبية، وكما رفض العلماء المتأخرون نظرية النسبية، بمعنى أنها لا تعدو النظرية والاحتمال، ومنه حقل الطب، لا أقل من الالتفات الى أمرين :

الأول : أن تشخيص المرض احتمالي وليس جزمياً. الثاني : إن إعطاء الدواء احتمالي أيضاً وليس جزمياً، ومن الممكن القول أن الأعم الأغلب من الأدوية ليست دواءً لمرض معين، وإنما هي مداواة عامة وتقريبية وليست أكيدة.

الخطبة الثانية : يكاد الاختلاط في المجتمع الطبي بين الجنسين أن يكون من الضروريات، الى حدّ قد يكون النهي عن المنكر بالنسبة إليه مهزلة، كأن الحديث الديني لا يشملهم، فالطبيبات والمرضات سافرات وكأنه لا يمكن لهن الحجاب، ولا يوجد دين أو مذهب يبيح السفور للمرأة، وإنما هذا داء وييل سرت إلينا عدواه من المجتمعات الاستعمارية الفاسدة، وقد تقبلناه وطبقناه طواعية وقناعة مع شديد الأسف.

- وجواز التكشف أزيد من المقدار الضروري بدعة مركوزة في أذهان الناس بمن فيهم الأطباء، وسبب ذلك هو إعراض الحوزة السابقة عن المجتمع، وإهمال مشاكله وشؤونه، لكون الحوزة الناطقة لا تقبل بالسكوت على أي عيب أو نقص.

- استيلاء العاملين في مجال الطب على الطب، سواء في المذاخر أو من الحصص الموزعة على المستشفيات، وبيعها بأعلى الأثمان، وهذه الظاهرة متحققة ومتكررة في مجتمعاتنا^(١)، ومبررها الرئيسي عدم كفاية الراتب^(٢)، وهذا صحيح، ولذا أنا قلت إن

(١) هذه الظاهرة استفحلت في سنوات الحصار الاقتصادي، فمن المعروف أن مراجعة المستشفيات والعلاجات

في العراق مجانية أو بأسعار رمزية، فقام الكثير من العاملين فيها باستغلال ذلك لسرقة الأدوية وبيعها في (الأسواق السوداء). وقد أصبح معظم الصيادلة من أصحاب الثروات في تلك السنوات العصيبة.

(٢) أصبحت رواتب الموظفين عموماً في العراق في سنوات الحصار لا تكفي لمدة أيام، فمعظمها لا يتجاوز A

الأخذ بمقدار المعيشة الضرورية جائز، وأما الزائد فهو ممنوع.

- توجد بعض الأساليب عند عدد من الأطباء والطبيبات والعاملين في مجال الطب ما أسميه بالغش الطبي، فهو يعتمد تغيير تشخيص المرض أو تغيير الدواء أو انجاز عملية جراحية غير ضرورية، لكي يعود المريض مراراً إليه لغرض الربح المادي لا أكثر. ولا حاجة الى تكرار ما قلناه من أن أمثال هذه التصرفات كما هي منافية للدين هي منافية للإنسانية، وخاصة بعد أن نلتفت الى أن الجانب الإنساني لصيق بالطب.

- سؤال يتوجه به عدد من الطلاب في كليات الطب : جواز النظر الى النساء وخاصة العورات والتوليد، وهو حقل لا بد من مرورهم به خلال منهجهم الدراسي، وتشريح الجثث.

وبالطبع فأن رأي الدين هو المنع عن كل ذلك، إلا أن أسلوب تلافي ذلك يكون بأحد طرق ليست كلها ممكنة في الوقت الحاضر، منها تغيير المنهج الدراسي، ومنها تغيير مهنة الطب الى غيرها، إلا أن هذا غير صحيح وذلك :

- إن وجود الأطباء ضروري في المجتمع، كما أن الحال سيعود الى أن الفسقة والفجرة وغير المطيعين للحوزة، أو من غير المذهب أو من غير الدين الإسلامي، هم الذين سيحصلون على المهن الطبية، ويحرم المجتمع من الأطباء المؤمنين والمتورعين، وهذه نتيجة غير سليمة.

فالذي ننصح به في حدود المنهج الدراسي المفروض على الطلاب هو استمرارهم بالدراسة، على أن يقللوا من هذه النشاطات المحرمة الى أقل مستوى ممكن. ويمكن الاعتماد على كتاب (فقه الطب) الذي يَينُتُ فيه كثيراً من جوانب الأحكام التي

= ٣ أو ٤ دولار أمريكي في الشهر.

ذكرتها والتي لم أذكرها، والأهم هو وجود الوعي الديني في المجتمع، واتجاهه الى الورع والصلاح، الأمر الذي يبشر بالخير من هذه الناحية.

الجمعة الثالثة والأربعون بتاريخ ١٩ شوال ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٢/٥ م :

الخطبة الأولى : أريد أن أنبّه باختصار على بعض النقاط :

- أنه قال قائل ثقة إن هناك من يفكر بوضع قبلة في مسجد الكوفة، وأنتم إنشاء الله مخلصون وشجعان، ونحن لا نريد إراقة الدم الطاهر في المسجد الطاهر، فإذا وجدتم شيئاً مما يشك فيه فاحذروا منه وبلغوا عنه^(١).

- إننا نطالب من هنا باطلاق سراح فضلاء الحوزة والمؤمنين، ولا موجب لاستمرار اعتقالهم.

- إننا نطالب من هنا بإعادة صلوات الجمعة التي منعت وترك، وخاصة في بلدة الناصرية الفيحاء. قولوا معي ثلاث مرات :

نريد نريد نريد... فوراً فوراً فوراً... يا الله يا الله يا الله.

(١) استطاع السيد الصدر أن يؤثر في الكثير من موظفي الدولة، وتعاون معه الكثير منهم سراً، ومن أهم ما كانوا يفعلونه إيصال المعلومات التي كانت تخص تحركات النظام ضد السيد الصدر وصلاة الجمعة، ومنها هذه القضية، إذ كان المخطط وضع قبلة لإثارة الذعر وإيجاد ذريعة لإغلاق مسجد الكوفة، كما أن مخططاً آخر تم إجهاضه أن تقوم مجموعة من رجال الأمن باغتيال السيد مؤمل الصدر، فقام والده بإلباسه الزي الديني لرجال الدين لكي يحول دون التعرض إليه. ومن أهم الأشخاص الذين تواصلوا مع السيد الصدر (كامل ساجت الجنابي) محافظ العمارة الأسبق الذي كان يخطط لعملية انقلاب، وقد التقى بالسيد الصدر في منزله في النجف الأشرف في اجتماع مغلق، ولكن النظام اعتقله وأعدمه سنة ١٩٩٨م، وحصلت مصادمات بين عشيرته الجنابات في اليوسفية قرب بغداد وبين قوات النظام بعد إعدامه.

في اليوم الثامن من هذا الشهر قام الوهابيون السعوديون قبل حوالي سبعين عاماً بهدم القبور والمباني التي كانت موجودة في مقبرة المدينة المنورة يومئذ، المسماة ببقيع الغرقد. وإن خفاء تاريخ البقيع والجهل بحاله للناشئة والشباب ناشئ من قلّة المصادر والتعتيم الإعلامي السعودي والغربي عليه. "ثم شرع بذكر نبذة عن تاريخ البقيع ومكوناته والصحابة والأئمة الذين دفنوا فيه".

الخطبة الثانية : "استمر أولاً بذكر ما بدأ به حول تاريخ البقيع"، ثم علق :

- إن الوهابيين هدموا قبوراً مسلّمة الصحة والقدسية عند المسلمين جميعاً، مما أدّى الى نسيان مواضعها والاعراض عنها تماماً، بحيث بُنيت فوقها العمارات والبيوت ورُصفت الشوارع، ومن الواضح أن الوهابية جاءت مضادة لكل المذاهب الإسلامية، وإنما ميلها ظاهراً الى المذهب السني، وإلا فإن اختلافاتهم مع الاتجاه السلفي التقليدي لدى أخواننا السنة واضح، ولكن الوهابيين لا يتبعون أي مذهب من المذاهب الأربعة، وإنما يعتبرون أنفسهم مذهباً مستقلاً.

- يبدو من المصادر أن للوهابيين عدة حملات في تهديم قبور البقيع، والحملة الأخيرة هي التي شارك فيها عبد العزيز بن سعود مؤسس الدولة السعودية، والتي أمرهم بها مفتيهم ذلك الحين "ابن بليهد"، وهي أشهر الحملات وأشدّها تأثيراً، لأنها الحملة التي هُدمت فيها قبة أهل البيت التي كانت مقامة على قبور المعصومين "عليهم السلام"، ولم يكن قد تجرأ أحد على هدمها من قبل، وهذه الحملة التي حصل فيها الهدم كانت في ٨ شوال سنة ١٣٤٤ هـ الموافق ١٩٢٣م.

- إن المنطقة التي دفن فيها أئمة أهل البيت الأربعة معروفة، ومنها نستطيع أن نعرف موقع القبة التي كانت مقامة عليها، وبطبيعة الحال فإن كل الشيعة بما فيهم شيعة العراق وإيران ولبنان وباكستان وغيرهم، مستعدون لإعادة البناء على القبور المهدومة، كل ما في الأمر أنه يتوقف على موافقة الحكومة السعودية، ولن يحصل

عندها أي ضرر سياسياً أو اجتماعياً أو دينياً، بل النفع لها لأنها ستكتسب حسن الظن بها من قبل كل المسلمين، وهناك قبور لا زالت موجودة كمرقد النبي والشيخين وعثمان وحمزة وغيرها، فلماذا لا يكون هذا واحداً منها، وهذا خطاب جديد وصيحة مكررة للحكومة السعودية (صادرة من الحوزة الشريفة في النجف الأشرف) بالسماح بإقامة قبة أهل البيت (عليهم السلام).

الجمعة الرابعة والأربعون بتاريخ ٢٦ شوال ١٤١٩ هـ الموافق ١٢/٢/١٩٩٩م :

الخطبة الأولى : نطالب من هنا باطلاق سراح جميع المعتقلين فوراً من فضلاء الحوزة والمؤمنين.

أنا قلت وأكرر أن اعتقال أي واحد من المؤمنين كأنه اعتقال لي، لأن المؤمنين كالجسد الواحد إذا تداعى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى، وإذا بقي اعتقالهم الى الجمعة الآتية فيجب على خطباء الجمعة في العراق التبليغ عنهم، والمطالبة باطلاق سراحهم، بالحكمة والموعظة الحسنة، جزاهم الله خير جزاء المحسنين، الآن قولوا معي ثلاث مرات :

نريد نريد نريد... فوراً فوراً فوراً... يا الله يا الله يا الله.

- بالأمس كانت ذكرى وفاة الإمام الصادق (عليه السلام)، وهو أحد الأئمة المعصومين، كما أنه هو الذي يُنسب إليه المذهب الإثنا عشري الجعفري. وقد نسب إليه باعتبار أنه عاش في برهة كانت الدولة فيها ضعيفة نسبياً، وهي فترة نهاية دولة الأمويين، وبداية دولة العباسيين، والدول غالباً ما تكون في نهاياتها ضعيفة، وفي بداياتها تكون ضعيفة، فكانت الفرصة لإعلان العلم الهداية، وتوسيع النشاط بين الناس، مواتية جداً للإمام الصادق (عليها السلام)، وقد استغلت من قبله وأصحابه على أوسع نطاق، إضافة الى أن زمانه اقترن برغبة عامة من قبل أفراد المجتمع من

مختلف مذاهب الإسلام، بتلقي العلم ودفع الشبهات عن الدين، نتيجة لعوامل كثيرة، أهمها الجدل والشبهات التي كانت تحصل من قبل الدهريين والملحدّين وعملاء المستعمرين، مما جعل الإمام الصادق من أقوى الأئمة اجتماعياً وأشهرهم بعد أمير المؤمنين (عليهما السلام)، من حيث التفاف الناس حوله وكثرة طلابه، لذا نجد أن الروايات التي نُقلت عنه أكثر من أي إمام آخر، وكان يدعو إلى المذهب الشيعي بلا شك، ونسبة الجعفرية إلى الإمام الصادق ليس كعقيدة مستقلة، بل إن تعليمه هو الإسلام بعينه، والمطابق لما ورثه عن أمير المؤمنين ورسول الله (صلوات الله عليهما).

- إن ما اشتهر عن الإمام الصادق جانبان هما "الفقه والعقائد"، وقد غطّت هذه الشهرة على جانب آخر يتصف به وهو الزهد والعبادة، كما أن العكس اشتهر عن الإمام زين العابدين "عليه السلام"، من حيث الانطباع المشهور عنه هو العبادة فقط دون الفقه والعقائد، مع أن كل الأئمة على نهج واحد، وكلهم ورثة رسول الله وأmir المؤمنين وفاطمة الزهراء (صلوات الله عليهم)، فالصفات ثابتة لهم جميعاً.

الخطبة الثانية : في هذه الخطبة نتعرض إلى عدد من المشاكل الفكرية والاجتماعية باختصار :

- إن العنصر الرئيسي في ارتفاع أهمية الشعر في الإسلام عامة وفي المذهب خاصة هو (ثورة الإمام الحسين "عليه السلام")، الأمر الذي أنتج أن يقول مئات الشعراء بل آلاف الشعراء في هذه المناسبة أنواعاً من الشعر القريض والشعبي، وهو الأمر الذي سبّب أن يختص الشعراء المواليون في كل الأجيال بأفضل القصائد العربية، ولكن كل شاعر إنما ينظم الشعر بمقدار ما يفهم من ثورة الإمام الحسين "عليه السلام"، ولا نتوقع منهم أن يتعدوا فهمهم، في حين أن بين فهمنا وبين واقع الإمام الحسين بوناً شاسعاً وفجوة ضخمة، كل ما في الأمر أننا يمكن أن نقرب نحو هذا الفهم قدماً أو

أقدماً بالتعلم والتكامل والاطلاع على حقائق الكتاب والسنة، فأغلب الأشعار التي قيلت بهذا الصدد تحمل جانبين باطلين في فهم المشاعر الحسينية :

الجانب الأول : الجانب الأسري والعاطفة الدنيوية الشخصية التي يشعر بها الشاعر هو نفسه تجاه ولده ووالديه وأخيه وزوجته، فهو يضيفها الى الحسين وإلى أصحابه (صلوات الله عليهم)، في حين لو كان شيء من ذلك مهما قلّ لديهم لما ترك الرجال زوجاتهم وأبنائهم، ولما افتخرت النساء أن يكن مسبيات مع زينب وغيرها من نساء الحسين (عليهم السلام)، فإذا كان هذا حال الأصحاب فكيف بأهل البيت وكيف بالحسين "عليهم السلام".

الجانب الثاني : الجانب القبلي، وهو ما أشرنا إليه في كتاب (أضواء على ثورة الحسين) من تأكيد الشعراء على جانب الأسرة والنسب، وكأن الحرب بين أسرتين متعاديتين، لا بين الحق والباطل، وذلك في مثل قول الشاعر :

قوضي يا خيام عليا نزار فلقد قوض العماد الرفيع
واملئي العين يا أمية نوماً فحسين على الصعيد صريع

كأن بني أمية انتصروا على الحسين فقط، في حين نعلم أن هذا من غير المحتمل أن يخطر في بال الحسين "عليه السلام" وأصحابه طرفة عين، وقد كان الاعتذار أساساً للشعراء والخطباء المتورعين حين يريدون تجنب الكذب يقولون : (إن هذا بلسان الحال لا بلسان المقال)، فنسألهم هل تعرفون حالهم، وهل أن حالهم كما تقولون؟، وبحسب ما نستطيع أن ندرك فإن لحالهم عدة جوانب، قل ما يتعرض لها الشعراء :

- التمرد على كل ظلم وطغيان، وخاصة ظلم وطغيان بني أمية.

- عرض البديل أو الأيديولوجية الصالحة والحقبة أي الإسلام الحقيقي الذي دافع عنه

الحسين بكل وجوده، بعد أن فشلت وتفشل أيديولوجيات الظالمين والمستعمرين.

- بيان أن هداية المجتمع والدفاع عن الطبقات المحرومة والدفاع عن المستضعفين يستحق الفداء، وأعظم أنواع التضحية بالنحو الذي قدمه الحسين "عليه السلام" في كربلاء.

- إعطاء النموذج الأمثل للثورات على الظلم والطغيان في كل عصر، فمهما كانت الثورة قريبة من فكرة ثورة الإمام الحسين كانت على حق، وكلما كانت أبعد كانت على باطل.

- أن الثواب الإلهي والدرجات العلى عند الله تعالى تستحق الفداء لها بأعظم الفداء، تستحق الفداء لها بأعظم الفداء، كما ورد : (لك درجات لا تنالها إلا بالشهادة).

- جانب التذلل والخشوع والتواضع أمام الله تعالى، وترك الرياء والعجب، وقد طبقه الحسين حين عرض جسده للدوس تحت حوافر الخيل، وعرض خيامه للنهب والحرق، ونسائه للسبي قائلاً : (شاء الله أن يراهن سبايا).

فهذه بعض الجوانب التي يمكن إدراكها من مستويات المعصومين وأصحابهم، فهل للشعر العربي أو الشعبي شيء من ذلك؟، إن كان موجوداً فنسبته قليلة جداً، فمن هنا أطال الشعراء بمختلف مستوياتهم أن يبدأوا بتصحيح أفكارهم وأشعارهم عن الحسين "عليه السلام" وأصحابه وكل المعصومين، فلا ينظموا إلا بلسان الحال الذي هو أقرب إلى الحق، والأفضل أن يكون الشعر بإشراف الحوزة الشريفة في كل مكان وزمان، لأنها الأقرب والأفضل والأفهم في فهم الشريعة.

بقي أن أشير إلى نقطة أخرى باختصار، وهو ما يحدث في مجتمعنا عند وفاة أحد الوجهاء في المجتمع، وذلك أن المعزى يشعر بالإلزام الاجتماعي لزيادة الإطعام أكثر

من طاقته المالية، فإن هذا الطعام مضافاً الى تكاليفه من الجهد والمال، غالباً ما يلقي في المزابل، فإضافة الى كونه تبذيراً فإن فيه حرماناً للمعوزين والمحتاجين، وما يسمى بـ"العراضات" لتأبين المتوفى، فهي تحتوي على عدة محرمات، منها: مدح المتوفى بغير ما هو فيه فيكون من الكذب المحرم. في كلماتهم اعتراض على القدر الإلهي في موته. اشتغال المآتم النسائية على محرمات كضرب الوجه والجسم كثيراً، وتنف الشعر، وشق الثياب. رفع القبور الى ارتفاع شاهق، مع ألوان زاهية وغيرها، وكله تبذير مذموم، وخير من ذلك أن تقضى بهذه الأموال حاجة المحتاجين، ففيه ثواب للمتوفى ولك.

الجمعة الخامسة والأربعون بتاريخ ٣ ذي القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩/٢/١٩٩٩م:

الخطبة الأولى: أريد أن أتحدث في هذه الجمعة عن الغجر، وهم الذين يسمونهم في العامية العراقية "الكاولية"، وهم حسب فهمي أغرب أمة في العالم من حيث مجموع الصفات التي لديهم، مضافاً الى غموض انتسابهم السابق. ويمكن حصر أهم الأوصاف التي يمكن استنتاجها من حالهم الفعلي كما يلي:

أولاً: أن هذه الصفة يعني الغجري لا تكون إلا بالولادة والنسب، ولا يمكن الإلتحاق بأي طريقة أخرى بالغجري، حتى لو اتخذ الفرد مسلكهم في الحياة فلن يكون غجرياً، وهذا معناه أن لهم جداً واحداً قديماً، الله أعلم بحاله وبلغته وبمحل سكناه، وإن كان المشهور أن أصلهم من الهند، ولم يثبت ذلك بوضوح كافٍ.

ثانياً: أنهم موجودون في مختلف بقاع العالم، وينطقون باللغات المحلية في مواطن وجودهم، مع تحريف قليل يخصهم، يزدون وينقصون بها، لأنهم يعتبرون أنفسهم قوماً مستقلين عن المجتمع الذي هم فيه، وطائفة قائمة بذاتها تعمل حسب تقاليدها الخاصة، وغير مقيدة بالمجتمع الذي تعايشه، لا اجتماعياً ولا لغوياً ولا دينياً، ونفس هذا التسلسل الفكري ينتج أنه ليس في السكان الأصليين لأفريقيا وأستراليا وأمريكا

الشمالية والجنوبية غجر، وإنما المنبع الأصلي للغجر هو النسل الأبيض الموجود في هذه القارة الثنائية المتكونة من "آسيا وأوربا"، إلا أن هذا وحده لا يكفي للتحديد، ويكون مجالاً واسعاً لا يخلو من غموض.

ثالثاً : أنهم بالرغم من تعدد لغاتهم، وتباعد مناطقهم، فإن جنسيتهم واحدة، وعاداتهم مشتركة، ويحسون بالتعاطف فيما بينهم أكثر مما يحسون بالتعاطف مع مجتمعاتهم الذي يعيشون فيه.

رابعاً : أن لهم عادات مشتركة شاذة عن طريق الإنسانية أو المتفق عليها بين عقلاء البشر والأديان كلها، ولعل العجري لا يحس أنه مسلم أو مسيحي أو يهودي، أو يعتبر ذلك شيئاً ثانوياً، فالمهم كونه عجرياً، ويغلب على عاداتهم التسبب الأخلاقي والرفض للقيود الإنسانية، فتجد عندهم الموبقات كلها، كالزنا واللواط والسرقة والكذب والخيانة، بل إن الغناء والرقص هو الصفة الغالبة على نسائهم، وهذا أنتج أمرين مؤسفين :

الأمر الأول : أنهم أصبحوا طائفة مذمومة من كل البشر، لأن خطرهم على المجتمع الذي يعيشون فيه موجود، وهم لا يشاركون المجتمع لا في دين ولا في دنيا، فمثلاً لا نجد منهم ممثلين أو رياضيين أو تجار مشهورين أو حملة شهادات عليا، وإنما اكتفوا لأنفسهم بواقعهم الضئيل محافظة على عاداتهم لا أكثر، كما أنهم لا يشاركون المتدينين في دينهم، فمن النادر أن يشاركوا في الحج أو صلاة الجماعة والجمعة، كما لا أحسبهم يحضرون مناسبات المجتمع من وفاة أو ولادة أو زواج، ولا يهتمهم الإصلاح الاجتماعي، ولا يتدخلون في السياسة، ولا تجد منهم أي احتجاج أو تمرد على ما يملكون به هم أنفسهم من مصاعب، حتى في الدول التي تكفل الحرية الشكلية.

الأمر الثاني : أنهم يشعرون بأهمية عاداتهم وصفاتهم، والانعزال عن المجتمع

وضعف الوازع الديني، فينتج من ذلك :

- أنه من الصعب أن يذهب إليهم من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ولو ذهب إليهم لما أطاعوه، لأنهم يجدونه غريباً عنهم.

- من الصعب أن نجد غريباً متفقهاً، فضلاً عن أن يكون رجل دين ويشارك في الحوزة الشريفة، لكي يذهب ويهدي قومه.

- من الواضح أن الاتجاه التقليدي في الحوزة الشريفة لا يخطر في باله التصدي لشيء من هذا القبيل، لأنه لا أمر لمن لا يطاع، ولا يجب التبليغ الشرعي إلا عند السؤال، ولا يجب دق باب الآخرين، ومن هنا اتخذت الحوزة القديمة فلسفتها الاجتماعية في هذا الطريق، إلا أن الحوزة الناطقة المجاهدة لا ينبغي أن تكف عن النشاط في مختلف الاتجاهات، فهنا ندق باب الفجر ونمد يد الهداية والصفاء، فإن تعصبهم لعاداتهم ليس أكثر من تعصب كفار قريش لأصنامهم، مع أن غالبيتهم اتبعوا الحق، وليسوا أشد تعصباً من الكسروية والقيصرية التي أخضعها الإسلام ودخلت جملة شعوبها الإسلام.

الآن نناقش هذا المعنى المشهور الذي يقول: "إن الواجب هو الجواب على السؤال وليس الإبتداء بالهداية"، فإذا كان هذا صحيح لم يكن هناك موجب لهداية النبي لقريش، وإرسال رسائل الى قادة العالم والملوك يومئذ، فهو الذي دق بابهم، ولنا به أسوة حسنة، الأمر الذي نعرف بوضوح أن النبي مع الحوزة الناطقة، بل هو من الحوزة الناطقة المجاهدة، وليس مع الحوزة الأخرى، والحوزة الناطقة تأسست يوم الدار حين دعى النبي عشيرته الأقربين، وكان أول من آمن به أمير المؤمنين، واستمرت الى العصر الحاضر، وستبقى الى يوم القيامة متمثلة بالإمام المهدي عليه السلام، ومن بعده من الخلفاء المجاهدين، كما أن أغلب علمائنا السابقين هم من الناطقين، كالحق الحلي والعلامة الحلي والشهيد الأول والشهيد الثاني والشيخ بهاء

الدين العاملي والقاضي نور الله التستري والسيد مهدي بحر العلوم والعشرات غيرهم (قدس الله أرواحهم)، وأنا فيما سبق خاطبت جماعات من الذين يبعد قبولهم، ويرجح تعصبهم وإعراضهم، فإن اهتدى جملة منهم فهو المطلوب، وإن بقي الباقي كان أشد عليهم يوم القيامة، هناك يقولون لهم : ((إنني أرسلت إليكم السيد محمد الصدر ليقرع أسماعكم، فلم ترعوا ولم تهتدوا)).

الآن أذكر بعض الجماعات الذين خاطبتهم :

- خاطبت السدنة وخدم المراقدة فلم أجد جواباً أصلاً.

- خاطبت الحوزة التقليدية، ومددت يدي فلم أجد جواباً، أو وجدت جواباً ضئيلاً، ومن الطريف الملحوظ في هذه الأيام أن كثيرين من أخواننا أهل السنة من رجال دين وغيرهم يحضرون صلوات الجماعة والجمعة عندنا، وليس في الحوزة التقليدية أي تفكير في ذلك، مع شديد الأسف.

- خاطبت أخواننا أهل السنة والجماعة بالصدقة والعلاقة، والحق أن التجاوب واضح ومسر، ومنتج لأفضل النتائج.

- خاطبت الموظفين، وهم يتصفون عموماً بأن لهم مصالح تجرهم الى الدنيا والمجتمع والسياسة الدنيوية والشهوات والانحرافات، فلم نجد منهم من التجاوب إلا القليل، غير أنني أعتقد أن التجاوب موجود على نطاق واسع، غير أن الضغط الاجتماعي هو الذي يمنع عن بيانه.

الخطبة الثانية : كان محورها في محاولة إقامة الحجة الشرعية على الغجر شرعاً وعقلاً.

جامعة الصدر والتجديد

لا يمكن لعالم كالسيد الصدر الذي نشأ وتربى على الإنفتاح العلمي والاطلاع على مختلف العلوم الانسانية المعاصرة، وأن تكون بواكير سنواته الدراسية متزامنة مع أول إنفتاح في حوزة النجف الأشرف أن لا يتأثر أو لا يظهر هذا الأثر في مرجعيته وأسلوبه لأدارة الحوزة، فهو الذي تدرّج في الدراسة في (منتدى النشر) ومن ثم في (كلية الفقه) اللتان أسسهما العالم المجدد الشيخ محمد رضا المظفر، بالتالي فهو كان يخطط لتجديد التجربة السابقة وإعادة لها للحياة لعقم أو تردي المنهج التقليدي السائد في الحوزة، ولكنه لم يقدم على ما خطط له إلا بعد أن اطمأن إلى عدم تكرار الحملة الشرسة التي تعرض لها الشيخ المظفر، وفي الواقع أن الزمنين كانا مختلفين، فقد كانت الأنباء تصل من حوزة قم التي توسعت فيها الدراسات الدينية وطرق التعليم الديني، وانتشرت الجامعات والمعاهد الدينية، ولم تعد أمثال تجربة المظفر بدعاً من الفعل أو القول، كما أن زماني المجتمع مختلفين بكل وضوح، فأصبح الوقوف بوجه هذا التطلع عقيماً فجاءت فكرة أو مشروع (جامعة الصدر الدينية).

وتفصيل هذا المشروع الكبير دونه لنا عميده الشيخ اليعقوبي الذي كُلف ونهض به وطوره وتجاوز به سنوات كالحة، إضافة إلى توضيحه لنا باختصار مناهج الحوزة التقليدية، التي دعت إلى تأسيس الجامعة والاهتمام بها^(١) :

((شعرت المرجعية الرشيدة بوجود عدة نقائص في النظام المتداول في الحوزة العلمية الشريفة وبقصور عن مواكبة تحديات العصر واستيعاب ثقافته فمن تلك النقائص:

(١) هذا النظام قد أضاف إليه الشيخ اليعقوبي الكثير من المواد والفقرات خاصة بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣، بما يتناسب والواقع الجديد، وبعد أن أصبح بالامكان الانطلاق الى أفق أوسع مما كان الأمر عليه قبل ذلك.

١ - عدم وجود بداية واضحة للعام الدراسي ولا نهاية كذلك، فالزمن مفتوح لكل طالب في أن يلتحق متى شاء بحلقات الدروس الموجودة، وقد يكون قد فاتته الكثير من المادة ولا يتمكن من تداركها فيحصل إرباك وخلل في مسيرة تحصيله العلمي.^(١)

٢ - عدم خضوع الطالب لنظام دقيق في التقييم لغياب آلياته كالإمتحانات، ونحوها فلا تعرف مستويات الطلبة ولا كفاءاتهم، حيث يستوي الجميع في التلقي من الأستاذ، اللهم إلا من خلال بعض المناقشات التي تحصل.

٣ - لا يوجد نظام إداري لضبط تحصيل الطلبة وسلوكهم والتزامهم وتنظيم دروسهم، وإنما المسألة متروكة للطالب والمدرس في أن يفعلوا ما يشاؤون وفق أمزجتهم، ولعدم وجود مثل هذه الإدارة فلا توجد جهة يمكن أن ترعى الطالب خصوصاً المبتدئ لتنظم له الدروس وترعاه وتحل مشاكله.

٤ - عدم وضع طرق صحيحة للتدريس يسير عليها المدرسون، ولا خطة سنوية لتنظيم منهجهم في تدريس المادة.

٥ - غياب دروس أساسية ولها أهمية كبيرة في تكوين شخصية طالب العلوم الدينية الذي سيكون في يوم ما مصلحاً اجتماعياً وهادياً وقائداً للأمة كالأخلاق والتفسير والتاريخ وعلوم القرآن والحكمة والعقائد والوعي الاجتماعي.

٦ - اعتماد المصادر القديمة التي تفتقر الى المنهجية الفنية واحتوائها على مطالب لم تعد ذات قيمة وتعقيد عباراتها فينشغل بحل رموزها الطالب والأستاذ أكثر من انشغالهم في فهم المادة العلمية.^(١)

(١) النظام الدراسي في الحوزة لا يحدد فترة زمنية للمراحل إذ يمكن للطالب أن يركد في مرحلة من المراحل سنوات طوال قد لا يتجاوزها، مع ذلك لا توجد رقابة أو محاسبة أو تقييم له.

٧ - عدم الاستفادة من العلوم العصرية في المنهج الدراسي رغم وجود عدة ثمرات في تدريسها كالاطلاع على أسرار التشريع، وتنقيح موضوع الحكم الشرعي، وفهم الروايات بشكل دقيق في بعض الموارد، وتساعد أحياناً في تحديد الملاك الأهم عند التزاحم، كما أنها قد يستفاد منها أحياناً في الاستنباط الفقهي نفسه^(٢) مما لا يمكن تحصيله بدونها.

٨ - عدم وجود آلية ناضجة لتدرّج الطالب في تحصيل علوم تهيء ذهنيته لتقبل الطالب بشكل جيد، لأن المناهج الدراسية لم تؤخذ في وضعها هذا الأمر وإنما هي مؤلفات لأصحابها ثم جعلت مناهج دراسية.

٩ - إلزام الطلبة جميعاً بالسير على منهج واحد من دون مراعاة لقابلياتهم ولرغبتهم في التخصص في حقل علمي دون آخر، وعدم مراعاة حاجة الأمة والرسالة الى مثل هذا التخصص.

١٠ - عدم وجود ضوابط دقيقة لقبول الطلبة من حيث استعدادهم الذهني وسمعتهم الاجتماعية وتوزيعهم الجغرافي وثقافتهم العامة، لهذا تجد التباين الواسع بين مستويات الطلبة، وتغلغل الكثير من العناصر الفاسدة والضالة والمندسة.

١١ - تصدّي كل من هبّ ودبّ للتدريس لعدم وجود رادع، لا ذاتي ولا خارجي، ولا جهة مشرفة تقيم الأساتذة وتوجّه الطلبة للحضور عندهم.

١٢ - ضعف النشاط الاجتماعي للحوزة سواء على مستوى التبليغ أو التلاقح مع الجامعات أو الحوار مع الحضارات أو الديانات والتيارات الثقافية والفكرية الأخرى.

(١) من هذه المناهج القديمة (حاشية الملا عبد الله) و (الشمسية) في المنطق، و (التجريد) في العقائد، و (المطول)

في البلاغة، و (شرح الألفية) لابن الناظم، وغيرها.

(٢) راجع كتاب (الرياضيات للفقهاء) وكتاب (القول الفصل في أحكام الخل).

١٣ - عدم التعرف على قدرات الطلبة العلمية والاجتماعية والفكرية مما أدى الى تصدي من ليسوا بأهل لمسئوليات مهمة كالوكالة عن المرجعية الشريفة أو ارتقاء المنبر الحسيني أو إمامة الجمعة والجماعة.

وبقي السؤال الأهم أنه كيف يمكن إصلاح كل نقاط الخلل هذه؟، فإن العوائق كثيرة ليس أهمها المانع الخارجي، أي الاعداء المتربصين بالحوزة المراقبين لتحركاتها وتوجهاتها، وإنما هناك مصاعب أخرى :

١ - عدم وجود إدارة مركزية للحوزة تستطيع فرض قراراتها، فان المرجعية متعددة، والطالب يستطيع أن يمنح ولاءه لمن شاء ومتى شاء، فإذا شعر أن مرجعية ما لا توافق أهواءه ومصالحه أو تريد منه التزامات معينة فرّ منها لتحضنه أخرى وترفع عنه تلك القيود وينال الخطوة لديها.

٢ - التوجس من القيام بأي مشروع جديد خشية الفشل مما يضرّ بسمعة صاحب المشروع ومنزلته، ونكون حسب تعبير أحد المراجع (قدس سره) كالغراب الذي حاول تقليد مشية الطاووس فلم يفلح فأراد الرجوع الى مشيته الأولى فوجد نفسه قد نسيها فقليل عنه (ضيق المشيتين).

٣ - عدم الشعور بالحاجة أصلاً الى التغيير خصوصاً وأن النظام المتداول قد أدى الغرض - من وجهة نظرهم - خلال القرون الماضية، واستوفى حاجة المجتمع وأنجب فقهاء وعلماء ومفكرين، ولم يلتفتوا الى أن هذه النتائج وإن كانت صحيحة وجزاهم الله خير الجزاء على جهدهم وجهادهم، إلا أنها نتائج بسيطة مقابل ما يصرف على هذا الكيان المقدس، ومقارنة بما يمكن أن ينتج لو أصلحت بعض جوانب الخلل.

٤ - عدم وجود الكفاءات العلمية الكافية التي تستطيع تنفيذ هذه الإصلاحات وتحويلها من حيز النظرية الى التطبيق بتأليف المناهج واتباع الأساليب المقترحة للإصلاح والقيام بالمسئوليات المتعددة.

لهذه الأسباب وغيرها فشلت دعوات إصلاحية كثيرة حاولت مرجعيات متعددة ان تقوم بها، لكن رسوخ الحالة الحوزوية ودفاع المتحجرين عنها أجهضها ولم يعد بمقدور حتى المرجعيات المهمة أن تُحدث ثورة إصلاحية في الحوزة، من هنا كان العلاج الأنسب هو الإصلاح التدريجي، بمعنى اتخاذ مدرسة نموذجية تطبق فيها الإصلاحات ويُقبل فيها طلبة بمواصفات خاصة، وتدار بإدارة كفوءة، وتوفر فيها امتيازات إضافية وتوضع لها مناهج دراسية متكاملة ولو عن طريق تأليف كتب جديدة أو تبديل كتب دراسية متعارفة، وبعد نضجها وتكاملها تتوسع الى مدرسة أخرى وهكذا حتى تشمل تدريجياً أغلب مدارس الحوزة الشريفة، من دون أن تثير غضب وحساسية الآخرين.

وحملت هذه المدرسة النموذجية اسم (جامعة الصدر الدينية) وفاءً لصاحب الفكرة الأصلية وهو الشهيد الصدر الأول (قدس سره)، ولمن نفذ الفكرة وأسس الجامعة وهو الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٤١٧، وقد أرخ افتتاحها المرحوم الشيخ عبد الأمير الحسناوي بعدة أبيات قال فيها :

هذه جامعة دينية	شادها الصدر معز المؤمنين
حجة الإسلام رمز للتقى	آية الله منار الملتقين
شادها للعلم والتقوى معاً	فغدت تزهو بإيمان ودين
فبه قامت ومن أفضاله	قد سمت جامعة للدارسين
ولسان الدين أرخ (هاتف	ادخلوها بسلام آمنين)

١٤١٧

لكن المشروع بقي في مكانه ولم يكن بمستوى الطموح حتى كان يوم الثلاثاء ٢١ صفر ١٤١٩ حيث استدعاني سيدنا الأستاذ الصدر (قدس سره) وقال لي: إن جامعة

الصدر لا يستطيع أحد أن يتقدم بها غيرك، وقد كانت تحوطها قبل الآن الكثير من المشاكل وقد زالت الآن. فاستجبت لرغبته وتسلمت إدارة الجامعة على بركة الله تعالى طالباً التسديد منه جلّت وعظمت قدرته.

وقد سعت بمؤازرة الطلبة والأساتذة الذين لم ييخلوا عليّ بالنصيحة واستفدت من أفكارهم النيرة فحققنا في الجامعة من الأعمال ما لا يوجد في غيرها من مدارس الحوزة على عدة محاور :

الأول : الإداري :

فللجامعة عميد يرعاها ويدبر أمورها وله معاونون :

أحدهم لشؤون المدرسين والمنهج الدراسي: ومهامه اختيار المدرسين الكفوئين وتزويدهم بالخطة السنوية للدراسة ومتابعة التزامهم بها، وقضاء حوائجهم وتوفير امتيازاتهم، ومشاورتهم في تقييم المناهج الدراسية لتغييرها أو استحداث غيرها بحسب ما تمليه المصلحة والتجربة.

ومعاون شؤون الطلبة : يستمع لمشاكلهم واقتراحاتهم ويقضي حوائجهم ويوفر السكن والرواتب والمساعدات لهم، ويتابع التزامهم بالتحصيل الدراسي، ويتخذ الإجراءات المناسبة بحق غير الملتزم بالنظام الداخلي للجامعة، ومن طريف انجازات الجامعة بهذا الصدد إنشاء صندوق المظالم والمقترحات، الذي يحق للطلبة وضع مظالمهم وانتقاداتهم ومقترحاتهم تجاه الإدارة والأساتذة أو أي جهة أخرى من دون ذكر اسم الكاتب، إذ ربما يمنعهم عن البوح بها الخجل ونحوه، ويفتح الصندوق أسبوعياً لينظر فيما فيه وتتخذ الإجراءات المناسبة.

ومعاون لشؤون البناية : حيث يتولى رعاية بناية الجامعة وصيانتها وتوفير مستلزمات الدراسة فيها، ويحافظ على وقفيتها إن كانت فيها وقفية خاصة.

ومعاون للوثائق والمستندات : يحتفظ بالأضابير الشخصية للطلبة وإلحاق كل الوثائق المتعلقة بهم من تكريم أو إنذار وشهادات تقييمهم خلال مراحل الدراسة والوثائق والبيانات الخاصة بالجامعة ككل.

ومعاون للشؤون المالية : يتولى تعيين الرواتب للأساتذة والطلبة والموظفين بحسب ضوابط الجامعة، وتقديم القروض للمحتاجين، وتنفيذ أوامر المساعدات واستقطاع الديون وضبط سجلات الأموال الواردة والمصروفة.

وكل من هؤلاء يرتبط بالعميد مباشرة ويطلع أسبوعياً على تفاصيل عمله.

الثاني : قبول الطلبة :

وضعت شروط لقبول الطلبة بأن يكون : حاصلاً على شهادة جامعية، ولا يتجاوز عمره (٢٨) سنة، ومعروف بحسن السيرة والسلوك بشهادة وكلاء المرجعية الشريفة، وتُجرى له مقابلة يشرف عليها العميد نفسه لاختبار ثقافته وأفكاره وأهدافه، وتلاحظ عوامل أخرى في القبول كالتوزيع الجغرافي والنشاط الاجتماعي، وليس لعدد الطلبة المقبولين حد ثابت وإنما تحدده الحاجة والإمكانات المتوفرة والظروف المحيطة.

الثالث : التقييم والامتحانات :

يجرى للطلاب امتحانان شهريان في كل فصل وامتحان نهائي في آخر الفصل حيث تقسم السنة الى فصلين، وتتوزع درجة الطالب النهائية على الامتحان النهائي والشهرين وسعيه ومشاركته اليومية في الدروس، ويوجد امتحان للدور الثاني وهو للطلبة الذين لم يحالفهم النجاح في الدور الأول، وقد يُرقن قيد الطالب من الجامعة إذا لم ينجح بنصف الدروس على الأقل، ويُكرم الطلبة المتفوقون بجوائز مالية وعينية مناسبة.

الرابع : مراحل الدراسة والشهادات العلمية :

قسمت الدراسة الى ثمان مراحل يتأهل الطالب بعدها لحضور البحث الخارج، وتتألف الجامعة من ثلاث كليات مترتبة طولاً حيث تؤدي كل منها الى الأخرى لتكمل دورها، وبنفس الوقت تمنح المتخرج فيها شهادة في الاختصاص المعين.

الأولى : كلية (التوجيه الديني والإصلاح الاجتماعي) ويؤهل المتخرج فيها لإمامة الجماعة والجمعة والوكالة عن المرجعية الدينية والتصدي للمنبر الحسيني والوعظ والإرشاد، وتمثل المراحل الثلاث الأولى للدراسة.

الثانية : كلية (إعداد المدرسين) وتهيئ المدرسين الحوزيين لكتب المقدمات والسطوح الابتدائية والمتوسطة وتمنح الشهادة باجتياز المرحلة السادسة.

الثالثة : كلية (الاجتهاد المقيد) وتمثلها المرحلتان السابعة والثامنة حيث يؤمل بنهايتهما ظهور ملكة علمية استنباطية بمرتبة من المراتب عند الطلبة النابهين المجدين بإذن الله سبحانه، وتمنح هذه الكلية شهادة (الاجتهاد المقيد) في ضمن أقوال محتملي الأعلمية.

وقد بينا تفاصيله وشرائطه وثمراته في بحث مستقل بنفس العنوان، لكن لغموض العنوان وتهافته البدوي نبين حاصل فكرته فنقول :

إن الطلبة الذين يصلون الى مستوى عالٍ من الفضيلة تقرب من الاجتهاد وبذلك يملكون المقدرة على النظر في استدلالات أساتذتهم وتقييمها ومعرفة الأقوى منها (بدليل جعلهم أهل الخبرة الذين يحدّدون الأعلم)، فيقدّر هؤلاء بإتاحة الفرصة لهم أن ينظروا في كل مسألة صاحب الدليل الأقوى من بين محتملي الأعلمية فيأخذون به ولا يتقيدون برأي فقيه واحد فهو نحو من أنحاء الاجتهاد والنظر في الأدلة لكن لا مباشرة وإنما في حدود استدلالات محتملي الأعلمية لذا سميناه (اجتهاداً مقيداً)

مقابل الاجتهاد المطلق الذي يستنبط الحكم فيه من مصادره الأصلية، أما المقيد فباعتبار عدم وصولهم درجة الاجتهاد المطلق الذي يؤهلهم للاستقلال بالنظر في الأدلة مباشرة واستنباط الأحكام.

إن إتمام هذه المراحل الثمان بتفوق مع التوفيق الإلهي كاف لنمو الملكة الاجتهادية وصقلها عند من حباه الله بها بعد استيعابه لهذا المنهج المتكامل وعند اساتذة اكفاء وبعد اعطائه فرصة سنتين خلال المرحلتين الأخيرتين للحضور في بحث الخارج عند المراجع العظام، نعم، هو يحتاج المزيد من الحضور للإنضاج والصقل وزيادة الخبرة، فإن الاجتهاد كسائر الملكات النفسية عنوان كلي مشكك له مراتب عديدة من القوة والضعف ويزداد رسوخاً بالتجربة المستمرة والتمرين المتواصل.

ويلاحظ هنا ان أيّاً من الشهادات الثلاث لا تمنح لمجرد اجتياز المراحل المعينة، بل لا بد من الاختبارات الشخصية المباشرة، لأن المسألة تتوقف على مهارات وقابليات شخصية إضافة الى المستوى العلمي المطلوب.

الخامس : مفردات الدراسة :

قد ضمَّ المنهج الدراسي مناهج حديثة كحلقات الشهيد الصدر الأول في الأصول، وبداية الحكمة ونهايتها للسيد الطباطبائي، والعقائد والإلهيات للسبحاني ومصباح اليزدي، كما أضيف للمنهج مفردات غيبتها النظام المتعارف في الحوزة كعلوم القرآن وتفسيره وعلم الرجال والقواعد الفقهية والتاريخ والأخلاق وعلم الحديث والفكر الإسلامي وبعض العلوم العصرية كالرياضيات.

السادس : مواعيد الدراسة ومدتها :

مدة الدراسة ثمان سنين حيث تستغرق كل مرحلة سنة هجرية تقويمية تبدأ في النصف الثاني من محرم وتنتهي في نهاية شهر ذي الحجة، ويكون شهر رمضان والنصف

الأول من شهر محرم عطلة إضافة الى أيام وفيات المعصومين (عليهم السلام) وبعض المناسبات الدينية المهمة، والخميس والجمعة من كل أسبوع.

يستمر تقديم طلبات الانتماء خلال شهري ذي القعدة وذو الحجة، حيث تعلن في نهايتها أسماء الذين ستجرى مقابلتهم خلال النصف الأول من محرم الحرام.

السابع : النشاط الثقافي والاجتماعي والإنساني :

انكمش نشاط الحوزة الفكري والاجتماعي خلال السنين المتأخرة بحيث لم يعد يوجد في النجف عدد الأصابع ممن يكتب في هذه القضايا، فتولّت الجامعة رعاية الأقلام الفتيّة وتوجيهها وإنضاجها، حتى برز عدد من الكتاب ساهموا مع عميد الجامعة في إصدار أكثر من مئة كتاب من الكتب التي ساهمت في رصد وتشخيص الأمراض والظواهر الاجتماعية المنحرفة ومعالجتها بأسلوب مقنع يمزج الحكم الشرعي بالموعظة والنصيحة وبالدراسة والتحليل للأسباب والنتائج، فكان لهذه الإصدارات الأثر الكبير في إصلاح المجتمع ورفده بالوعي الديني وسد الفراغ في المجتمع.

ومن النشاطات الإنسانية، تأسيس صندوق (الزواج رحمة) الذي يقدم تسهيلات مالية على نحو القرض والمساعدة لتشجيع الزواج، وقد ذُكرت تعليمات الصندوق قي كتاب (الزواج والمشكلة الجنسية).

النظام الأساسي للجامعة

ولمزيد من الاطلاع نعرض بعض مواد النظام الأساس للجامعة :

أولاً : هوية الجامعة :

المادة (١) : جامعة الصدر الدينية مؤسسة علمية دينية تهدف الى تهيئة علماء دين مؤهلين لحمل الرسالة ومواجهة تحديات العصر.

المادة (٢) : تكون الجامعة تحت إشراف المرجعية الصالحة الرشيدة في النجف الأشرف اقتصادياً وفكرياً وترتبط بها اجتماعياً.

المادة (٣) : مدة الدراسة ثمان سنوات بعدد المراحل الدراسية، ولا تعتبر المرحلة منتهية حتى ينتهي الطالب من تحصيل مفردات المنهج المقرر للمرحلة فيمتد السقف الزمني المحدد للمرحلة إذا طرأت بعض المعوقات عن استمرار الدراسة.

المادة (٤) : تمنح الجامعة للطالب ثلاث شهادات خلال سني الدراسة، الأولى في نهاية المرحلة الثالثة لتأهيل الطالب للتوجيه الديني والإرشاد الاجتماعي والتبليغ، والثانية في نهاية المرحلة السادسة وهي الانضمام لجماعة مدرسي الحوزة العلمية، والثالثة في نهاية المرحلة الثامنة وهي التأهيل لحضور البحث الخارج في الفقه والأصول ويمنح إجازة تشريفية بالرواية عن المعصومين (عليهم السلام).

المادة (٥) : توجد فرصة للطلبة للتخصص في أحد حقول المعرفة غير الاستمرار في دراسة الفقه والأصول، ويحدد انسيابية الطلبة في هذه التخصصات عناصر متعددة : رغبة الطالب، الحاجة الى التخصص، توفر الإمكانيات في هذا المجال، قابلية الطالب.

المادة (٦) : لا يرتدي الطالب الزي الديني إلا بعد اجتياز المرحلة الثالثة، إلا إذا اقتضت مصلحة ما، فيجوز تقديمه بإذن العميد.

ثانياً : نظام القبول في الجامعة :

المادة (٧) : القبول في الجامعة مقتصر الآن على الذكور فقط، ويشمل الإناث إذا توفرت الآليات المناسبة.

المادة (٨) يشترط في الطالب :

أ - ان يكون حاصلاً على شهادة جامعية أو في المعاهد الفنية.

ب - لا يتجاوز عمره (٣٠) عاماً.

ج - شهادتان بحسن السيرة والصلاح من اثنين من وكلاء المرجعية الشريفة المعتد بهم اجتماعياً.

المادة (٩) : تقوم لجنة تتألف من العميد ومن يرشحهم معه بمقابلة الطلبة الجامعيين لشروط القبول، وفي ضوءها يتم انتقاء الطلبة المقبولين، وتتضمن المقابلة أسئلة متنوعة في مختلف حقول المعرفة.

المادة (١٠) : يبدأ تقديم طلبات القبول في شهري ذي القعدة وذو الحجة، وينظر في الطلبات خلال شهر محرم حيث يكون الطلبة المقبولون جاهزين في بداية العام الدراسي.

ثالثاً : مواعيد الدراسة :

المادة (١١) : تبدأ الدراسة في النصف الثاني من شهر محرم من كل عام، وتنتهي بنهاية ذي الحجة، ويكون بقية شهر محرم وشهر رمضان عطلة.

المادة (١٢) : تعطّل الدراسة في أيام وفيات المعصومين (عليهم السلام) والمناسبات الدينية المهمة ويومي الخميس والجمعة من كل أسبوع يؤذن فيها للطلبة بمغادرة محل إقامتهم.

المادة (١٣) : تتوزع المحاضرات في اليوم على طول النهار ولا تُعين لهم محاضرة مسائية إلا بإذن العميد، ولا يزيد وقت المحاضرة عن (٤٥) دقيقة، ولا يقل عن (٣٥) دقيقة.

المادة (١٤) : يقيم الطلبة في المدرسة أو الأبنية التي تتعهدا إدارة الجامعة، ولا يغادرونها إلا في العطل أو في مواعيد محددة لكل مرحلة بحسبها.

المادة (١٥) : معدل عدد المحاضرات في المراحل الثلاث الأولى (٣٠) محاضرة أسبوعياً.

رابعاً : إدارة الجامعة :

المادة (١٦) : للجامعة عميد هو المسؤول الأول فيها وله معاونون للشؤون المختلفة.

المادة (١٧) : ينصب العميد بأمر المرجعية الرشيدة الصالحة، أما بقية الجهاز الإداري فيعينهم العميد نفسه.

المادة (١٨) : للعميد أن يفعل كل ما فيه مصلحة الجامعة، وله أن يغيّر في المنهج الدراسي بعد المشاورة مع ذوي الاختصاص، وله أن يفصل أي طالب لا يلتزم بنظام الجامعة بعد إنذاره.

خامساً : الهيئة التدريسية :

المادة (١٩) : يُعين المدرسون بأمر العميد وفق شروط معينة منها : الكفاءة العلمية، والإخلاص في العمل، والالتزام بنظام الجامعة، وحسن السمعة.

المادة (٢٠) : لكل مدرس راتب شهري له حد أدنى ثابت، ومقدار متغير بحسب عدد المحاضرات التي يلقيها.

المادة (٢١) : تخصص سيارة أو أكثر لنقل المدرسين من الجامعة وإليها.

المادة (٢٢) : يُكلف طلبة الجامعة بعد المرحلة الخامسة بتدريس المراحل الأولى بحسب الكفاءة.

المادة (٢٣) : تكليف كل مدرس بتقديم خطة سنوية للتدريس تنسجم مع الخطة التي تعدها إدارة الجامعة.

سادساً : مواد الدراسة :

المادة (٢٤) : يضم منهج الدراسة في الجامعة ثلاثة أصناف من الدروس :

الأول : الدروس الحوزوية المعتمدة من مقدمات وسطوح وتتضمن علوم العربية من نحو وصرف وإملاء وبلاغة ومنطق وسطوح الفقه والأصول وفق التدرج المعمول به في الحوزات العلمية الشريفة مع الأخذ بنظر الاعتبار بعض الأفكار لتطويرها وتحديثها.

الثاني : الدروس الحوزوية التكميلية وتتضمن العقائد والتفسير وعلوم القرآن والرجال والأخلاق والتاريخ وعلم الكلام والفلسفة والحكمة.

الثالث : الدروس العلمية الأكاديمية وتتضمن الرياضيات واللغات الأجنبية والفلك والطب والجغرافية والفيزياء والكيمياء.

المادة (٢٥) : تُكثف الدروس الأكاديمية في المراحل الأولى ليتفرغ الطالب في المراحل العالية للتعلم في الدروس الأساسية.

المادة (٢٦) : يُعفى الطالب من الدروس العلمية التي يحمل شهادة اختصاص فيها على أن يقدم بحثاً نافعاً فيها أو يساهم في وضع وتطوير المنهج المقرر لها أو يقدم أي جهد علمي مثمر.

المادة (٢٧) : يُعطى الطالب في بعض المراحل المناسبة دروساً في برمجة وتشغيل الحاسبات الالكترونية للاستفادة منها في المجال الحوزوي.

المادة (٢٨) : يلاحظ في المواد المقررة للمرحلة الأولى أن تؤدي نتيجتين :

الأولى : وقوعها ضمن التدرج العلمي لمراحل الدراسة في الجامعة.

الثانية : أن تهيء للطالب ثقافة حوزوية متكاملة لكن بشكل أولي، فيأخذ فقهاً كاملاً وعقائد كاملة وكذا في النحو مع دروس أخرى مقومة لشخصية طالب العلم ليكون مستعداً بالحدود الدنيا بعد المرحلة الأولى لممارسة أي مهمة اجتماعية كإمامة الجمعة أو الجماعة أو الوعظ والإرشاد الديني إذا اقتضت الحاجة.

المادة (٢٩) : الدروس القصيرة التي لا تحتاج الى الاستمرار سنة كاملة تُعطى في نصف السنة ويجري فيها امتحان نهائي.

سابعاً : التقويم والامتحانات :

المادة (٣٠) : تُعين الجامعة مواعيد الامتحانات النهائية لكل فصل دراسي.

المادة (٣١) : تُقسّم السنة الدراسية الى نصفين تُحدّد الجامعة امتحاناً نهائياً في أواخر كل منها، وامتحانين شهريين ضمن كل فصل، وللمدرس أن يمتحن طلابه غير هذه وفق ما يراه مناسباً.

المادة (٣٢) : تقسم درجة الطالب كالاتي :

٤٠٪ للامتحان النهائي.

٢٠٪ لكل من الامتحانين الشهريين.

٢٠٪ للنشاط اليومي والالتزام ويحدد درجته المدرس.

المادة (٣٣) : تعتبر درجة النجاح ٦٠٪، ويحق للطالب الذي لم يحالفه حظ النجاح أن يعيد الامتحان في الدور الثاني.

المادة (٣٤) : يُرَقَّن قيد الطالب الذي لا ينجح في نصف عدد الدروس.

المادة (٣٥) : يُطبَّق نظام العبور في حق من لم يحالفه النجاح فيما لا يزيد عن مادتين فيعبر الى المرحلة اللاحقة ويطالب بالامتحان بتلك المواد.

المادة (٣٦) : يكافئ الطلبة المتفوقون بجوائز مالية وعينية.

ثامناً : نشاطات الجامعة :

المادة (٣٧) : تسعى الجامعة لإصدار مجلة متخصصة ومجلة ثقافية عامة.

المادة (٣٨) : تحاول الجامعة المشاركة في الندوات والملتقيات والمؤتمرات المحلية والدولية للمساهمة في الحوار الجدي البناء.

المادة (٣٩) : تُشجِّع الجامعة الكفاءات الأدبية والعلمية وتدعمها بالأشكال المناسبة كتقديم الجوائز أو طبع ونشر آثارهم واستضافتهم والاستماع إليهم في محاضرات وندوات وحوارات.

المادة (٤٠) : تساهم الجامعة في توعية الأمة وثقيفها وحماية هويتها الإسلامية من المسخ والتميع من خلال تزويد المجتمع بما يحتاج اليه من فكر وأدب وسلوك، وتشخيص الأمراض الاجتماعية ومعالجتها ويكون ذلك بالوسائل المتعددة كالكتاب

والمشور والأقراص الليزرية وأشرطة التسجيل.

تاسعاً : فروع الجامعة :

المادة (٤١) : تسعى الجامعة لفتح فروع لها في مراكز المحافظات العراقية وخارج العراق.

المادة (٤٢) : تتبع الفروع نفس منهج وبرنامج عمل الجامعة الأصل مع ملاحظة بعض خصوصيات الزمان والمكان والظروف والحاجات لتلك الفروع.

المادة (٤٣) : تستمر الدراسة في الفروع داخل العراق حتى نهاية المرحلة الثالثة وينتقل بعدها من يريد الاستمرار الى النجف الأشرف لمواصلة الدراسة العالية فيها ومن لا يريد فيمكن الاستفادة منه في العمل الاجتماعي أو التوجيه الديني أو الخطابة الحسينية أو الوكالة عن المرجعية الشريفة ونحوها.

المادة (٤٤) : الامتيازات والحقوق للطلبة في الفروع تكون بحسب نظر مدير الفرع أما الأساتذة فيعاملون بنفس سياق عمل الجامعة الأصل.

عاشراً : المراكز العلمية المرتبطة بالجامعة :

المادة (٤٥) : تحاول الجامعة سدّ احتياجات الحوزة والمجتمع على مختلف الأصعدة بإنشاء مراكز ومعاهد متخصصة في تلبية تلك الاحتياجات ويديرها ويشارك في أعمالها أساتذة متخصصون ومنها :

أ - مركز البحوث والدراسات الإسلامية ويضمّ ثلاثة عشر قسمًا كالدراسات القرآنية واللغوية وقسم المرأة والطفل وتحقيق المخطوطات وقضايا الفكر المعاصر والدفاع عن العقيدة.

ب - معهد إعداد الخطباء يتولى تهيئة خطباء كفوئين قادرين على مواكبة تحديات

العصر ونفع الأمة والنهوض بها.

جـ - معهد القضاء ويتولى إعداد قضاة مستوعبين لأحكام الشريعة ولهم القدرة على تشخيص الحالات ومعرفة ما ينطبق عليها من الأحكام، لتخرج قضاة شرعيين يُعترف بهم رسمياً ويعملون الى جنب القضاة بالقوانين الوضعية في المحاكم المدنية الموجودة والتي لا تتحدد بحدود الشريعة، وبذلك توفر الفرصة للمسلم الملتزم أن يراجع في قضاياها وخصوماته المحاكم الشرعية.

د - إنشاء مراكز وجمعيات ثقافية وإنسانية واجتماعية في كل تجمع سكاني ممكن.

المادة (٤٦) : تنظر الإدارة في إمكانية تحصيل اعتراف الجامعات الرسمية بشهادة الجامعة وشروطها وامтиازاتها بما فيها منح الشهادات العليا كالماجستير والدكتوراه.

حادي عشر : رعاية الطلبة ونشاطاتهم :

المادة (٤٧) : توفر الجامعة كل الخدمات الضرورية اللائقة بشأن طالب العلوم الدينية وكل ما يساعده على استفراغ الجهد للنشاط العلمي.

المادة (٤٨) : تحتوي الجامعة على مكتبة مستمرة في التطور والتوسع تضم المصادر الأساسية في جميع حقول المعرفة وكل ما يحتاجه الطالب من كتب تعينه على الدراسة والبحث.

المادة (٤٩) : يوجد في الجامعة مكتب للحاسبة الالكترونية يتدرب فيه الطلبة على استعمال الحاسبات ويشغل لهم البرامج الثقافية ويستفاد منه في البحث العلمي والدراسة.

المادة (٥٠) : تضم الجامعة مكتبة صوتية فيها مجاميع أشرطة التسجيل لعدد من الدروس الأساسية ومحاضرات البحث الخارج وجهاز للتسجيل السريع يقدم

خدماته للطلبة.

المادة (٥١) : تتكفل الجامعة بإنشاء مطعم للطلبة يوفر الوجبات الرئيسية مجاناً أو بسعر زهيد.

المادة (٥٢) : تعمل الجامعة على تشكيل لجان علمية متخصصة تتألف من طلبتها بحسب اختصاصاتهم الأكاديمية المتنوعة تقوم بوضع المناهج الدراسية المقررة التي تربط الفقه بتلك العلوم، وإجراء البحوث والتحقيقات العلمية التي لها تطبيق فقهي، وتقدم الجامعة مكافآت لمن يقدم جهداً نافعاً في هذا المجال.

المادة (٥٣) : ينتخب طلبة كل مرحلة ممثلاً لهم ليكون اللسان الناطق باسمهم، ولا يكون الكلام معبراً عن لسان مجموع طلبة المرحلة إلا إذا جاء من خلاله.

المادة (٥٤) : يشكل مجلس لشؤون الطلبة من مجموع ممثلي المراحل يجتمع أسبوعياً لتدارس وضع الطلبة، وله الحق في دعوة أي من المسؤولين في الجامعة لمناقشته في أمور الطلبة ومنها :

أ - متابعة سير الحصص الدراسية وفق المنهج المقرر.

ب - إبداء الرأي في نمط أسئلة المدرسين وطريقتهم.

ج - تطوير المناهج الدراسية واستبدالها.

د - تغيير المدرسين.

هـ - نقل آراء الطلبة فيما يواجهون من مشاكل داخل الجامعة وخارجها.

و - تجميع أفكار ومشاريع الطلبة حول المشكلات المطروحة على ساحة المجتمع والسعي الى علاجها.

المادة (٥٥) : يمنح الطالب راتباً شهرياً يحدده أمان :

أ - المرحلة الدراسية.

ب - الإعالة الاجتماعية.

وتقدم الى الطالب مساعدات إضافية عند تجدد حالة إستثنائية له.

المادة (٥٦) : تتوفر للطالب كتب دراسية ومكتبة تضم مصادر متنوعة في حقول العلم المختلفة.

المادة (٥٧) : تأذن إدارة الجامعة بالدراسة الخارجية بآليات معينة للطلبة الذين تتوفر فيهم شروط خاصة ويوضح كل ذلك بيان منفصل^(١).

تعرضت الجامعة للكثير من المضايقات ولعدة أسباب، وسوف نأتي على ذكرها لاحقاً، ولكن أول تحدٍ واجهته هو الأمر بإخلاء البناية الأساسية للجامعة وتسليمها إلى السيد محمد سعيد الحكيم، وكان هذا الأمر قد صدر مباشرة من رئيس النظام العراقي، وتوجد تفاصيله والوثائق المتعلقة به في أكثر من كتاب^(٢). مما أدى الى نقل الطلبة إلى بناية مدرسة (البغدادية) التي لا زالت مقر الجامعة الأم حتى الآن.

(١) اليعقوبي، محمد، المعالم المستقبلية للحوزة العلمية، ص ٥١ - ٦٨.

(٢) مثل كتاب عادل رؤوف (مرجعية الميدان)، وكتاب مختار الأسدي (الشاهد والشهيد).

الصدر في قم

من أكثر الساحات تعقيداً هي مدينة قم، التي اعتبرت طوال القرن المنصرم العقدة التي استعصت على حكام الإمبراطورية الإيرانية زمن بهلوي الأب والابن، ولا شك أنها كانت القلعة التي انطلقت منها حوزة قم لإسقاط الشاه وانتصار الثورة الإسلامية في إيران، وتعددت الأمور أكثر بعد انتصار الثورة ووقوع الحرب مع العراق ووفاة الخميني، فقد تداخلت وتعددت المسائل المتفق عليها والمختلف فيها على حدٍ سواء، ونخص بالذكر منها القضية العراقية التي سقطت فيها رموز وكيانات وتواريخ وشعارات لا تعد، وأصل التعقيد أمران الأول: أن محرك الشعب العراقي عبر تاريخه هو القيادة الدينية حيث تركزت المعارضة العراقية، والثاني: غالبية العراقيين المهاجرين والمهجرين كانوا يسكنون إيران حيث يتطلعون في كل يوم الى العودة منتصرين ومحققين لحلمهم المتصل بأربعة عشر قرناً خلت، وقد بلغت النزاعات بين الاحزاب والقيادات الاسلامية هناك أوجهاً، ولم تفلح كل محاولات الاصلاح والترميم في جمعهم مرة أخرى، وأهم الاتجاهات هناك هي: المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق بقيادة السيد محمد باقر الحكيم، الذي كان من المفترض أن يجمع تحت لواءه كل التوجهات الاسلامية في إيران، ولكن لم تفلح هذه الاطروحة التي يمكن اعتبارها - نظرياً - من أفضل ما أنتجته المعارضة الاسلامية، وكان الفشل يعود للتنازع حول القيادة وتشبث البعض بها الى الموت، حتى تحولت ملكاً عضوضاً. وحزب الدعوة الذي رفض الانصياع لإيران، ورفض أن يبقى كتلة متماسكة، ورفض أن يكون تحت قيادة مرجعية، وأصبح شعاره الرفض حتى كاد يضمحل، لولا أن كان هذا الرفض المتواصل عنصر رغبة عند العراقيين الذين سئموا الغربة والجوع والإذلال، هذا الحزب الأُممي الذي كانت له فروع في بعض بلدان

العالم الإسلامي حسب ما يقولون، لا أعرف منها سوى فرع أفغانستان^(١)، والذي كان يذكي كل احتجاج أو تظاهرة ضد قيادة المجلس الأعلى في قم وغيرها من المخيمات التي يكثر فيها العراقيون، أما منظمة العمل الاسلامي فقد أصبحت أثراً بعد عين، واقتصر مؤيدوها على العراقيين الكربلايين ذوي الجذور الإيرانية "أهل الولاية"^(٢) كما يعبرون، وقد انشق من كل حزب ومنظمة عدة أحزاب ومنظمات، لا حاجة الى أن نطيل الحديث بشأنها، ولكن المهم في الأمر أن كل من يتصدر في هذا الجو المحتقن يكون محل شبهة وما أسرع ما يسقط ويذوي الى غير رجعة، فهو إن لم يفشل ذاتياً فستتناوشه سهام التسقيط التي تفنتت بها التوجهات المختلفة حتى يطلق ساقيه للريح. وكان الجمهور يعاني من السأم والإحباط والجوع والقرف ولم يكن باستطاعة أحد إرضاءه.

في هذه الأجواء أرسل السيد محمد الصدر ممثله السيد محمد جعفر الصدر الى هناك، ليمثله كمرجعية دينية، ويفتح مكتباً له إن تمكن من ذلك، وللحفاظ على حياته بعد أن بدأت الأزمات مع النظام، ومنع السيد جعفر الصدر من إقامة الصلاة جماعة في مسجد الكوفة في الأوقات الإعتيادية، وكان الاستقبال حافلاً في البداية لنجل المرجع والمفكر والشهيد الصدر الأول، إبتداءً من قائد الثورة الإسلامية ومروراً برئيس السلطة القضائية السيد محمود الهاشمي في حينها، والى مراجع وعلماء وسياسيين، ولكن أكثر الناس فرحاً به الجماهير العراقية التي احتفت به وتفاثلت بوجوده، ولم يتأخر السيد جعفر الصدر بإعلان الدعوة الى مرجعية السيد الصدر^(٣)، ولقت

(١) شاءت المصادفة أن أسكن في منزل قريب من بناية تابعة للمرحوم الشيخ مهدي العطار، وكنت ألمح بين الفينة والأخرى رجل دين أفغاني سألت عنه بعض كوادر حزب الدعوة فقالوا: أنه مسؤول حزب الدعوة فرع أفغانستان. عباس الزبيدي.

(٢) أي سكان المدينة القديمة عادة.

(٣) في حديث دار بيني وبينه عن سبب التحاقه بالحوزة في النجف وارتدائه الزي الخوزي : أجاب لعدة A

دعوته استجابة منقطعة النظير في هذه المدينة التاريخية المقدسة المعقدة، وقد سبقت مجيئه تهيئة الأرضية ولكن بصورة غير رسمية، فكانت مجرد آمنيات ورؤى غامضة إلا عند أقلية تجاوزت بحماسة، فكان التحرك الأولي إعطاء صورة واضحة عن مرجعية السيد الصدر ورفع ما كان من شبهات وملابسات وغموض، واستمرت الدعوة حتى حانت اللحظات الحاسمة لافتتاح المكتب رسمياً^(١)، ولكن السلطات رفضت أن

=أسباب أولها نصره لمرجعية السيد محمد الصدر. وكان له عمل دؤوب في ظل مرجعية السيد الصدر، فقد تولى عدة مهام في مكتبه في النجف الاشرف، منها الاشراف على منح الوكالات عام ١٩٩٦ أنظر الملحق رقم (١) الوثيقة رقم (٢ أ)، وكان من ضمن كادر إدارة جامعة الصدر الدينية في بداية تأسيسها، إضافة الى ما ذكرناه سابقاً من إمامته للجماعة في مسجد الكوفة الى أن منع، كما كانت له نشاطات أخرى استدعت الرقابة من قبل النظام كما ظهر بعد ذلك من خلال وثائق وتقارير لأجهزة النظام، أنظر الملحق رقم (١) الوثيقة رقم (٢ ب). عباس الزيدي.

وفي لقاء صحفي قال السيد الصدر: ((السيد جعفر في الحقيقة بذل من نفسه كثيراً في سبيلي، فلنقل لمصلحتي أو لمصلحة الدين الذي يراها في، على أية حال، ونستطيع أن نقول إنه هو من أخص أصحابي الآن أو المعتمد عليهم جزاء الله خيراً)).

(١) في لقاء صحفي مع السيد الصدر تحدث عن إرسال السيد جعفر الصدر الى إيران قائلاً: ((أنا أرسلت السيد جعفر الصدر الى إيران لأجل فتح مكتب لأنه في الحقيقة وجدته هو أهل لذلك، أولاً لقربته مني وقربته من والده، وحسن الظن وذياح اسمه ما بين الناس، وإخلاص الناس له، وكذلك هو اجتماعي متحجب الى الناس ومثقف وواعي وطلق اللسان، نستطيع أن نقول "إن" كثير من الشرائط مجموعة به، ... و: هو على صغر سنّه هو له فضيلة وله سمعة وله حسن ظن في أذهان الآخرين. جزاء الله خيراً استجاب بتحمّس، وكان حسب المنقول تحمّل أضراراً الى أن وصل الى هناك. ... أنا قلت له لا تستعجل بفتح المكتب وإنما أنظر الى أصدقائك من يوافقك في الرأي والى من يخالفك في الرأي، والى المصلحة الاجتماعية، والى رأي الدولة، والى رأي الشعب، والى رأي الذي يقلدني، والى رأي الذين لم يقلدوني، والى رأي المراجع، "فإن" حصل من جميع هذه الامور مصلحة فعلية معتد بها في أي وقت، بعد شهر، شهرين، أقل، أزيد، حتى لو وصلت المسألة الى ستة أشهر، حتى تميز المسألة في ذهنك وتتشاور فيها مع من تجده مخلصاً ومن خاصتك هناك، فإذا تمّ المطلب عندك من جميع الجهات، لا بأس هذا هو المتعين فعله، ... وأوصيته بصراحة أنه يمثلني من جميع الجهات، ... لكن الشيء الذي أريد أن أقوله هو عدم تدخله بالسياسة، .. كما أنه لا دخل له بالاختصاص بمرجع معين أو مسؤول معين، .. مثلاً من معارضين الدولة هناك أو معارضين الدولة هنا)).

تعطي موافقتها الرسمية، وزملاء السيد الصدر بين متخوف وطامع وكاره، واستجاب عدد ليس بالقليل من رجال الدين لنصرة السيد الصدر، وعدد ليس بالقليل من المتعاطفين مع حزب الدعوة^(١)، والغالبية العظمى من الجماهير غير المنتمية الى أية جهة، وبالرغم من عدم الموافقة الرسمية على افتتاح المكتب فقد مضى السيد جعفر الصدر قدماً لافتتاحه تنفيذاً لتوجيهات السيد الصدر الذي أرسل خطاباً تاريخياً الى إيران كدولة وحوزة، والى الجماهير العراقية هناك :

نصُ الخطاب الموجَّه من سماحة آية الله العظمى السيد محمد الصدر (دام ظله) الى الشعب والدولة الإيرانيين والى جماهير شعبنا العراقي في أرض المهجر والى طلبة الإمام الشهيد السعيد الصدر (قدس سره) والتي كان من المقرر إلقاؤها في احتفالية إفتتاح المكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له من في السموات والأرض وهو العليم الحكيم. وصلى الله

(١) إلا أن القيادات العليا في حزب الدعوة لم يذكر لها موقف واحد في كل أنحاء العالم خاصة في قم ودمشق ولندن، بل كان معظمهم من ضمن المشككين والعاملين على إجهاض مشروع السيد الصدر من خلال بثّ الشبهات أو التواصل مع الجهات والمرجعيات التي كانت تعمل ضده، باستثناء موقف الشيخ مهدي العطار الذي كان من القلائل الذين دافعوا عن السيد الصدر، وقد أرسل له وكالة عنه، كما كان أحد المدافعين عنه في مؤتمر للمعارضة عقد في مدينة مشهد قبيل الاستشهاد، ومن غير حزب الدعوة السيد فاضل النوري والشيخ مرتضى الساعدي الذي أصبح منزله بمثابة أحد مقرات الدعوة لمرجعية السيد الصدر، يشار الى أن الشيخ الساعدي هو أحد طلبة السيد الصدر الثاني ومن ضمن المجموعة التي حضرت إلقاء البحث الخارج في حياة الصدر الأول إضافة الى القاضي اللبناني الشيخ يوسف عمرو وآخرين. أما الذين وقفوا الى جانبه من كوادر حزب الدعوة والدعاة فمعظمهم كان لغرض مضادة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وقياداته.

على خير خلقه وسيد أنبيائه المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الغرّ الأطياب المنتجبين
واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم أجمعين وعلى كل تابعه لهم الى يوم الدين.

حيا الله الشعب الإيراني الجليل الأخ في الله وفي الإسلام وفي المذهب، وحيا الله
الدولة الإيرانية الجليلة الباسطة شرف الإسلام على العالم، وحيا الله الحوزة الشريفة
في قم خاصة وفي إيران عامة بكل مراجعها وقادتها وفضلائها ودارسيها، وحيا الله
العراقيين النازحين من بلادهم "الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا
ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات
ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولنصرن الله من ينصره إن الله قوي عزيز، الذين
إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ولله عاقبة الأمور".

وحيا الله جهود المؤمنين المخلصين في العالم كله الناصرين لدينه والذابين عن
شريعته والمجاهدين في سبيله، جزاهم الله خير جزاء المحسنين، وحسب اعتقادي إن
أفضل قضية يمكن أن يطبقها المشرعة والمتدينون في العالم اليوم وكل يوم هو الأخوة
في الله سبحانه لنفي كل البغاة الظالمين والحاquدين في العالم ونفي الثالوث
الاستعماري المشؤوم المتسلط على رقاب البشرية المظلومة والمحرومة، وهو الإستعمار
البريطاني - الأمريكي - الإسرائيلي المجرم، ونحن في أشد الافتقار الى الشعور بالأخوة
الصادقة والمخلصة لنكون يداً واحدة تجاه هذا العدو المشترك والاختطوط
الظالم.

ونحن أخوة في كل زمان ومكان ما دما على الايمان وعلى الاسلام وعلى الهدف
المشترك السامي وهو إعلاء كلمة التوحيد، والتوحد موجود إلا أنه في الحقيقة مفقود
أمام الله سبحانه خاصة وأمام العالم عامة وأمام العدو المشترك كذلك.

فلا توجد في هذا الصقع المقدس شعبان أو شعوب مختلفة بل هو شعب مخلص

واحد، ولا توجد مصالح مختلفة بل هي مصلحة واحدة وعمل واحد في سبيل هدف قدسي واحد، ولا توجد هناك حوارات مختلفة ومرجعيات متباينة، وإنما هي قيادة حوزوية متآخية ومتوافقة لأجل نصرته دين الله وإخراج الناس من الظلمات الى النور وهدايتهم الى الصراط المستقيم، أياً كان محل تلك الحوزة أو هذه، في النجف أو في قم أو في خراسان أو في لبنان أو في باكستان أو في الخليج أو في غيرها من بلاد الله العامرة، وبعونه سبحانه تكون عامرة بالتقوى والصلاح والجهاد والتكامل الأرقى.

وبطبيعة الحال يكفي من الأخوة أقل الايمان وهو الشعور بالحب والاخلاص تجاه كل الأخوة في الدين في العالم كله، وهذا موجود لدى الجميع وعلى الدوام لا تحول دونه الحوائل ولا تدفعه المشاكل رغم دسائس الاستعمار ومعاول الهدم والتخريب.

غير أن هذا المقدار من الشعور وإن كان مقدساً وجليلاً إلا أنه غير كاف عملياً لمواجهة المهمة العالمية العظمى وتحمل الحمل الديني الثقيل في أرجاء البشرية ومواجهة العدو المشترك اللدود، "فلا يكون" العمل بلا تنسيق، ولا يكون التنسيق بلا إعلام، ولا يكون الإعلام بلا بدون إخلاص.

ولله عاقبة الأمور ويفعل الله ما يشاء لا معقب لحكمه وهو اللطيف الخبير.

هذا وقد أرسلت الى أخوتي في الله جناب السيد أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي السيد جعفر بن الإمام الشهيد السعيد الصدر (قدس الله روحه الزكية)، ليؤسس هذا المكتب ليكون حلقة وصل في هذه الأخوة الإسلامية وفقرة عمل في المحبة والتنسيق، ولا يحتمل أن يخطر على البال أن يكون نقطة تفرق أو بغضاء أو سكوت على كظة ظالم أو سغب مظلوم.

حيّاه الله وحيّاه جهوده وجهاده وأتعباه، وحيّاه إخواننا المؤمنين من فضلاء ومتشرّعين معاونين له المتجاوبين مع عمله وهدفه.

ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

السادس عشر من رجب الخير عام ١٤١٩ للهجرة المباركة

محمد الصدر.

نلاحظ أن السيد الصدر توخى من هذا الخطاب عدة أمور، أولها أنه لم يرد أن يكون إفتتاح مكتبه سرّاً وبهدوء تام، بل يكون الافتتاح بالتزامن مع حفل تمت دعوة الكثير من المراجع والفضلاء إليه، ولكن لم يلبّ الدعوة واحد منهم، كما أنه وجه هذه الكلمة التي تحمل مضامين عديدة منها :

- إنه وجه خطابه بنديّة تامّة وليس بصيغة التسول والاستجداء، نعم شفّعه بالثناء على الدولة عامّة، وعلى الحوزات العلمية وعلى الشعب الإيراني، وهذا من الضروريات لأهدافه ومشروعه.

- وضّح بما لا يقبل الشك أن توحد العالم الإسلامي وإن كان موجوداً في الإعلام والتضامن القلبي، ولكنه لا يصل الى درجة التوحد أمام الله تعالى، أو أمام العالم عامة الذي ينظر الى المجتمع الاسلامي متشرذماً، ولا يتعامل معه على أساس أنه مجتمع واحد متماسك لا يمكن إغفال أي جانب منه، وأمام الاستعمار البريطاني - الأمريكي - الاسرائيلي الذي يتعامل مع هذا المجتمع كمستضعف يأخذ منه ما يريد ويدع ما يريد، ويعيث فيه فساداً ونهباً، ولو توحد المجتمع الاسلامي حتى بهذا الضعف الموجود على مستوى التسليح لأمكن ردع هذا الاستعمار المستكلب.

- من الواضح أنه قد تجاوز مرحلة الحذر في التعامل مع النظام العراقي، فأول خطوة هنا هي تهريب السيد جعفر الصدر الى إيران، والتصريح بذلك علناً كما مرّ بنا في

اللقاء الصحفي السابق، وإعلان افتتاح المكتب في قم، التي تعتبر خطوة تؤدي الى التوتر إن لم تؤدي الى العداء المعلن، ولا يمكن أن نقول نفس الكلام بخصوص مكتب السيد السيستاني أو محمد سعيد الحكيم في مدينة قم، لأنهما لا يمثلان أي تهديد يذكر سواء لصدام أو للتفكير الجدّي الإيراني الذي يطمح في إغلاق ملف المرجعية لصالحه الى الأبد^(١).

- نلاحظ في الخطاب صيغة الأبوية وليس الإلتماس أو الاستعطاف، فهو يعتبر نفسه (ولي أمر المسلمين) لأسباب علمية وشخصية، وإن كان لم يصدر خطابه بهذا اللقب الذي اشتهر وانتشر في العراق وخارجه منذ مدة سبقت هذا اليوم، فإنما ذلك مراعاة لبعض الشكليات أو حرصاً على عدم إثارة تحسس المسؤولين في إيران، الذين سبق أن ساوموه على حذف هذا اللقب بقضية قد تُعدّ حالياً من الخطوط الحمراء لهذا الكتاب، ولكن يمكن تجاوز مثل هذه الإشكالية فيما لو أراد الإيرانيون التعاون معه بصورة جادة.

- نلاحظ أن السيد الصدر ينصح ويشير ويُرشد ولا يطلب، بل هو قد وجّه في خطابه هذا أكثر من تحذير، حذر من عدم التوحد أما الله تعالى، وهو ما ينتج عنه سخط وعقوبة، وحذر من عدم التوحد أمام العالم الذي يفترض أن ننظر إليه بعين الأبوة والرعاية والهداية ولا يتم ذلك إذا استصغرنا لتشرذمنا، حذر من التشرذم أمام العدو الرئيسي للإسلام "الثالوث المشؤوم" الذي يسيطر على كل أنحاء العالم

(١) وقد تجلّى ذلك في تصريحات بعض المتشددين من بعض خطباء الجمعة في إيران في تصريح له : أن المرجعية والولاية لن تخرج من إيران ولو على بحر من الدماء. والحقيقة أنه لا يوجد معتدل في هذه القضية فكل التوجهات الإيرانية تسير في هذا الطريق. وقد يجد البعض عذراً لذلك باعتبار أن إيران الإسلامية هي الأجدر لحماية القيادة الدينية لسلامة قراراتها من الضغوط الخارجية، ولكن الصدر ومدرسته يرفضان ذلك، كما أن السيستاني يرفض ذلك نظرياً ولكنه يدّعي عملياً، وأما الآخرون فلا يوجد من له أثر فعلي فعكف على محيطه راضياً قانعاً.

الإسلامي من دون إستثناء، والذي لا بد أن يشعر بالقلق من رغبتنا بالوحدة، حذر من العمل من دون تنسيق أي العمل المتفرد المستقل كل على حدة، فتعارض الأعمال وقد تتصادم، وبالفعل هذا هو شأن العمل الإسلامي طيلة القرن المنصرم.

- هناك مهمة عالمية عظمى أشار إليها في خطابه، والحقيقة هو يشير الى الدولة العالمية التي يؤمن بها ويفترض أن تؤمن بها التوجهات الإسلامية عموماً والشيعية خصوصاً، وهذه الدولة ستكون بقيادة الإمام المهدي "عليه السلام" وليس غيره مهما كان حجمه وسلطته، ولكن السعي الى هذا الهدف لا يكون إلا بالعمل المشترك الموحد المخلص بين كل الأطراف المؤمنة بهذا الهدف، والعمل لا يكون ولا يتم إلا بالتنسيق وليس بالعشوائية والعفوية والتفرد، والتنسيق لا يكون إلا بالإعلام أي نشر الأفكار الموحدة المنسقة في كل أرجاء العالم، كما أن الإعلام فيه حفاظ على المشروع من الدسائس، فلطالما أفشل الإعلام الكثير من المؤامرات، وفي الإعلام حفظ على حياة القيميين والمؤمنين بهذا المشروع، ولكن الإعلام موجود على عدة مستويات فلماذا هذا الطلب من الصدر؟، نعم هو موجود ولكنه يفتقر الى الإخلاص، فالإخلاص يستدعي الاعتراف بأحقية المستحق، وليس المجاملات القائمة على أساس المصالح السياسية المؤقتة التي لا تعترف بمبادئ وقيم ثابتة، وإنما كل هدفها هو تحقيق مصلحة دنيوية آنية حتى على حساب ثوابت الإسلام ومصالح باقي أفراد المجتمع المسلم أينما وجد.

- وقد أناب عنه في كل هذا العمل المشترك ليكون حلقة وصل ابن عمه السيد جعفر الصدر، الذي وصفه هنا بما وصف الإمام الحسين (عليه السلام) مبعوثه الى الكوفة مسلم بن عقيل : "أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي"، لا يعبر عن مدى وثاقة وصلات وإمكانات مبعوثه فحسب، وإنما ليضع نفسه موضع الإمام الحسين "عليه السلام" الذي كان في خطر وينتظر النصر، والعجيب أن ما حصل هناك حصل هنا، والله في خلقه شؤون.

- ثم وجه التحية الى عدة فئات وهي حسب الفرض دلالة على السلم والتودد الأخوي، الى زملائه من طلبة الصدر الأول، والى العاملين في سبيل إعلاء كلمة التوحيد في إيران والعالم الإسلاميين، ولكن لم يردّ أحد منهم التحية كما يفترض. - وختم خطابه بالآية الشريفة، التي نستخلص منها أن نصرة دين الله وإن كانت بطرق لا تعد ولا تحصى، ولكن نصرته هو أهم ما يمكن أن يُنصر دين الله به في هذا الوقت، فقد كان السيد الصدر في صميم المواجهة، في قلب الموقع الذي يتم استهدافه دولياً من قبل الاستعمار الغربي، وكل كلام عن استعاضة النجف بأية عاصمة أخرى فهو وهم، وإنما عاصمة الحق ودولة الحق إنما هي النجف، ولو بعد حين.

كان المفترض أن يكون على رأس المحتفلين بافتتاح المكتب أحد العلماء من طلبة الصدر الأول ولكن لم يوافق أحد من الذين عُرض عليهم ذلك، لأن الاطلاعات الإيرانية لم تعطي الموافقة على ذلك، هذا من ناحية، كما أن الكثير منهم استشاره ما حققه السيد الصدر من انجاز كبير في العراق، وهم الذين كانوا يأملون أن يكونوا قادة الثورة الإسلامية أو غير الإسلامية في العراق، كما أن الرجل القوي في حوزة قم (جواد الشهرستاني) لم يكن ليوافق على حضورهم، وكان الكثير منهم حريص على عدم إغضابه وهو الذي "كان ولا زال" يصدق عليهم من عطاياه السخية، من دون حساب.

وفي ليلة ذكرى ولادة أمير المؤمنين "عليه السلام" ١٣ رجب ١٤١٩ هـ الموافق ١١ / ٣ / ١٩٩٨، تمّ افتتاح المكتب بعد صلاة المغرب، ولاحقاً وصلت كلمة الافتتاح الماضية عن طريق مكتب لبنان بالفاكس، وكان التبليغ من قبل السيد الصدر أن تلقى الكلمة ضمن احتفال، ولكن تم إلغاء الحفل بعد رفض أي واحد من العلماء والفضلاء المعنيين إلقتها^(١).

(١) توجد تفاصيل حول هذه القضية مذكورة في كتاب "السفير الخامس، ص ١٨ - ١٩.

واستمر المكتب في عمله مدة سبعة أيام، شهدت حضوراً مكثفاً من قبل العراقيين في إيران، كما كان السيد جعفر الصدر يقيم الصلاة فيه جماعة عند تواجد فيه، وفي اليوم السابع أغلق المكتب من قبل الاطلاعات الإيرانية وختم بالشمع الأحمر، وحصلت تجاوزات على بعض رموز المكتب من قبلهم نحن في غنى ذكرها الآن.^(١)

(١) في لقاء صحفي أجراه الشيخ ستار البهادلي مع السيد الصدر أجابه في سؤال حول صحة ما يقال عن إغلاق المكتب في قم، فأجاب : (هذا صحيح، في الحقيقة السيد جعفر الصدر "وفقه الله"، أنا قلت في تصريحات سابقة، وأصبحت معروفة في داخل العراق وإيران والأماكن الأخرى، أنني أرسلته لأجل فتح مكتب، مكتب مرجعي وليس مكتباً سياسياً، إنما لقبض الحقوق وإعطاء الوصولات وتوزيع الكتب وهذه الأمور، إلا أنه على ما يبدو واجه معارضة - لو صح التعبير - من داخل الحوزة، من داخل بعض الحوزة هناك ومن أتباع هؤلاء خارج الحوزة، وكذلك من بعض دوائر الدولة، والمهم هو المعارضة الحوزوية استطاعت أن تؤثر على الجماعة من خارج الحوزة ومن داخل الدولة على غلق المكتب، وفعلاً أغلق وختم بالشمع الأحمر، إلا أنه قيل أن الشباب هاجموا وكسروا الختم الأحمر وفتحوا الباب وهكذا، إلا أن السيد جعفر لم يرجع الى المكتب حقيقة، وقال أو قيل عنه "أنه إن كان أغلق المكتب ففي كل بيت حصل هناك مكتب، وأنا قلت قبل قليل أن المكتب إنما هو داخلي ونفسي وعقلي وليس مكتباً خارجياً، المهم هو الحصول على النتيجة، سواء جلس (السيد جعفر) وراء طاولة أو لم يجلس وراء طاولة، هذا أمر شكلي في الحقيقة، ومع ذلك أريد أن أؤكد على أن المسألة لا تعود الى أصل السياسة الأصلية أو الرئيسية في الدولة الإيرانية لا، وإنما تعود الى جهات معينة ودوائر معينة في الدولة، لأن هناك قناعات حتى في داخل الدولة تختلف، والسلطات وأوامرها غير مشتركة بالمعنى الذي نجد في خارج إيران، كل واحد من المتسلطين يفكر حسب مزاجه الخاص وينفذ وما عليه من الآخرين، في حين أن العمدة ليس هو هذا، إنما العمدة هي السياسة الرئيسية المتمثلة في الساسة الحاكمين، الى الآن لم نعلم آراءهم، ولم يتدخلوا فعلاً، ولم نعلم تدخلهم فعلاً في إغلاق المكتب، وإنما الشيء الذي حصل هي دوائر متدنية - لو صح التعبير - أو شرطة أو أمن أو شيء من هذا القبيل، لا أعرف اصطلاحاتهم هناك ما هي، الذين أغلقوا المكتب ليس أكثر من ذلك). نلاحظ أن السيد الصدر في تصريحاته هذه أراد أن يخفف من وطأة الأمر أو يترك مجالاً للعودة عن قرار إغلاق المكتب، وكذلك كان حريصاً على عدم تصعيد خطابه تجاه الجهات المسؤولة عن الإغلاق حرصاً على سلامة السيد جعفر الصدر والمحسوين عليه، وأيضاً كانت المواجهة مع النظام محتدمة لأن هذا اللقاء أجري أيام التوتر الذي أعقب أمره بالمسير الى كربلاء في النصف من شهر شعبان، ولم يكن يريد أن تتفرد به الحكومة العراقية، إذ لم يكن يتصور أحد أن يترك لوحده في المواجهة، ولكن الواقع أنه قد ترك لوحده تماماً مع أنصاره.

كان إغلاق المكتب في ذلك الوقت شكلاً ضربياً لكل التوجهات هناك، فقد التفت الجماهير العراقية في المهجر واتفقت كلمتها على نصرة السيد الصدر، فقد لاقى صدى عند كل العراقيين في الخارج، وأصبحت الدعوة إلى مرجعيته الشغل الشاغل لمعظم العراقيين سواء من أصحاب التوجهات الدينية وغيرها، وفي نفس الوقت استمر الآخرون في الطعن في مرجعيته وفي شخصه، ولكن أخطر ما كان يُخطط له في حوزة قم من قبل أطراف معروفة هو توجيه ضربة أخيرة لإسقاطه تماماً، وحاصل هذا المخطط يرويهِ السيد ياسين الموسوي أحد المدافعين عن مرجعية السيد الصدر في رسالة وجهها إليه، جاء فيها :

((سيدي المفدى إن محبتي لكم تجعلني أصرحكم بما تعانيه مرجعيتكم من الإجماع الذي حوى جميع الأصدقاء فضلاً عن الأعداء لمحاربتكم والنيل من هذا المشروع الرباني، ويستعينون بشتى التهم وأخيراً فهناك مؤامرة خطيرة جداً ضدّ هذا الوجود المبارك تبدأ في قم المقدسة ولا يعلم منتهاها إلا الله تعالى، فهناك مشروع جمع فتاوى تدين هذه المرجعية)).^(١)

وكان يترأس هذا المشروع عدد من رجال الدين في حوزة قم، والغريب أن معظم هؤلاء من طلبة الصدر الأول، ولكن لم يكن من بينهم علماء كبار يعول عليهم، وزعامة هؤلاء لبعض رجال الدين الذين يسيرون بركب (جواد الشهرستاني) صهر السيستاني وممثله خارج العراق، ويلازمونه كظله^(٢)، وفيما كانوا يحاولون تحصيل أكبر مقدار ممكن من التأييد لمخططهم استشهد السيد الصدر، ولو قدّر لهذا البيان أن يرى النور قبل رحيل السيد الصدر لكن هؤلاء في مأزق ما استطاعوا الخروج منه، كما أن بعضاً منهم اعتذر بعد ذلك من وكلاء الصدر الثاني بعد استشهادهم، وحاولوا

(١) عادل رؤوف، مرجعية الميدان ص ٤٠٦.

(٢) بعضهم الآن من أساتذة الحوزة في النجف الأشرف، عادوا بعد ما سقط النظام عام ٢٠٠٣.

التعويض أو التصحيح، ولكنه اعتذار مؤقت نتج من الندم الذي رأيناه عند الكثيرين بعد مقتل السيد الصدر، ولم يكن ندماً حقيقياً، لأن مصالحهم لا تزال مرتبطة بالجهات الأخرى من ناحية، كما أنهم كانوا يطمعون بالجماهير الغفيرة التي تابعت السيد الصدر في حياته وبعد استشهاده.

ولعل أبرز الشخصيات التي تراجعت علناً عن مواقفها السيد عبد المجيد الخوئي، الذي زار قم قبل سقوط النظام العراقي بحوالي ثلاثة أشهر، وهو يحاول التسويق لمشروعه لحوزة المستقبل في العراق (المجلس الشيعي العراقي)، فالتقى بالعراقيين في ثلاث مناسبات في الأيام القليلة التي تواجد فيها هناك، واحدة منها في "حسينية الإمام الرضا" الشيرازية التي تقع في (سوق الكزر خان) قرب ضريح السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم "عليهما السلام"، ولكن الحضور الغفير لم يسمح له بإكمال ندوته، مذكرين آياه بموقفه من السيد الصدر، وكما في حادثة "المسجد الأعظم" تعالت هتافات الحاضرين بـ(عاش عاش الصدر)، مما اضطره الى الخروج من الباب الخلفي للحسينية^(١)، وبعدها كان له لقاء آخران في "رابطة

(١) هاجم عراقيون في مدينة قم الدينية المقدسة بايران رجل الدين عبدالمجيد الخوئي وهو نجل الامام ابوالقاسم الخوئي زعيم الطائفة الشيعية الأسبق في العالم، وحالوا بينه وبين محاضرة كان يلقيها في احد المساجد لاقتناع العراقيين بأهمية التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية لاسقاط النظام، ولإقامة مجلس شيعي يهتم بشؤون الطائفة بعد سقوط النظام. ونقل موقع عراقي معارض على الانترنت باسم (العراق للجميع) عن شهود عيان قولهم إن عبدالمجيد الخوئي ممثل المجلس الشيعي العراقي (الحديث التأسيس) أخفق في اقناع الجالية العراقية المقيمة في ايران بمجدوى مشروعه الطائفي الذي يشاركه فيه اخرون وأيده أيضا عدد من أساتذة الحوزة الدينية العراقية في قم، حول تأسيس مجلس للشيعية في العراق يدافع عن الطائفة بعد رحيل الرئيس العراقي الحالي صدام حسين. وقال الموقع إن عددا كبيرا من العراقيين المحتجين ، هاجموا الخوئي ومنعوه من اتمام محاضرة كان يلقيها ليلة الخميس في مسجد الامام الرضا بمدينة قم الايرانية (١٣٠ كلم جنوب العاصمة طهران) ورددوا شعارات ضده، وتنديدا بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية لاسقاط النظام. وأضاف موقع العراق A

الكتاب والمثقفين العراقيين" وهي تابعة لحزب الدعوة أو الدعاة "كما يطلقون على أنفسهم"، فكال المديح لحركة السيد الصدر الثاني وترحم عليه^(١)، ولكن ذلك لم

=للجميع أن العراقيين المحتجين أطلقوا شعارات ضد الخوئي وضد جماعات عراقية متهمه بمحاربة مرجعية شيعية عراقية مثل (يعيش الصدر وارجع الى أمريكا) وطالبوا بمحاكمة الخوئي ومساءلته عن الأموال التي سيطر عليها وهي تعود أساسا للمرجعية الدينية(حقوق شرعية) قالوا انه استولى عليها بالخديعة بعد وفاة والده المرجع الشيعي الأعلى الامام أبو القاسم الخوئي. وبحسب الموقع يقيم الخوئي في لندن وهو أحد المشاركين في مؤتمر المعارضة العراقية الذي عقد الشهر الماضي في العاصمة البريطانية. وقبل مقاطعته من قبل الغاضبين وهم من أنصار المرجع العراقي الراحل محمد صادق الصدر الذي اغتالته السلطات العراقية في ديسمبر عام ١٩٩٩، دافع عبد المجيد الخوئي عن فكرة الاستعانة بالولايات المتحدة لاسقاط النظام، ودعا الى تأييد اعلان الشيعة الذي شاركت في تأسيسه شخصيات سكنت ردحا طويلا من الزمن في العاصمة البريطانية. ويعتقد المعارضون للاعلان أنه أطلق بدفع من الحكومة البريطانية، لتقسيم العراق على أساس طائفي استنادا الى السياسة البريطانية القديمة (فرق تسد).

ويقول موقع العراق للجميع أن الخوئي ورغم مواقفه التي ينتقد فيها بشدة الحكومة الدينية في ايران ورفضه فكرة ولاية الفقيه المطبقة في نظام الجمهورية الاسلامية، الا أن السلطات غضت الطرف عن زيارته الحالية لايران وسمحت باستضافته في قناة تلفزيونية موجهة بالعربية تحدث فيها عن تأييد التعاون بين المعارضة العراقية والادارة الأمريكية، لكنه هوجم من قبل المشاهدين، ونقل الموقع عن سيدة عراقية مقيمة في ايران أنها قالت في مداخلة مع التلفزة الايرانية إن الخوئي لم يعرف عنه أنه كان معارضا للنظام العراقي وهو متهم بالتنسيق مع السلطات الاردنية عبر علاقات خاصة مع الاسرة الهاشمية، للدعوة الى اعادة الملكية للعراق ويستندون الى بروز اسم الحركة الملكية الدستورية في العراق كأحد أبرز مفاصل المشروع الأمريكي لاسقاط النظام، ودعوة الأمير الحسن ولي العهد الاردني السابق، الى الحضور في مؤتمر نظمه المجلس العسكري العراقي، وهو أحد أعضاء مؤتمر المعارضة الذي عقد في لندن. مصدر الخبر: جريدة الوطن الكويتية الجمعة ٢٠٠٣/١/١٠

topic=147028&<http://www.alwatan.com.kw/default.aspx?page=1>

(١) لم يكن تراجع عبد المجيد الخوئي عن مواقفه السابقة تجاه السيد الصدر حقيقياً، فقد استمرت مؤسسته بحملتها ضد السيد الصدر ولكن بشكل أقل من السابق، ففي منشور سنوي يصدر عن المؤسسة وأهم A

يشفع عند العراقيين الغاضبين. ولكنه حظي بحفاوة عدد من رجال الدين الذين التفوا حوله أيام زيارته لإيران، ولكن لم تتضح مدى الاستجابة لمشروعه الغامض، وكانت الأحاديث تتناقل أن مشروعه عبارة عن تحويل الحوزة في النجف الأشرف الى "فاتيكان" شيعي بمباركة بريطانية - أمريكية، ولكنه لم يعلن صراحة عنه، وكان جلّ كلامه يدور حول أن الشيعة لاقت ما يكفي من الظلم والاضطهاد "السني" وأنه أن الألوان للنهوض بمشروع يحيي هذا الكيان، ويعيد له مكانته والانطلاق نحو غدٍ مشرق. وكانت تصريحاته واضحة بخصوص إقليم شيعي يتكون من محافظات جنوب العراق يستقل عن المركز، ومن الواضح أن هذه التصريحات من أساسيات مؤتمر لندن عام ٢٠٠٢، ولكنه كان أكثر صراحة مما تتداوله كيانات المؤتمر المشبوه، والظاهر أنها من ضمن إتفاق قديم نسبياً يعود الى عام ١٩٩٢ وذلك ضمن المحادثات التي كان الخوئي أحد قادتها في واشنطن كما ذكرنا سابقاً.

ولكن الحوزة في قم لم تتفاعل مع مشروعه، ولم تكن هناك بوادر نجاح له خاصة برفضه من قبل السيستاني، الذي لم يستقبله بعد سقوط النظام^(١).

=إنجازاتها في العالم، لا زالت هناك فقرات تقدح بالسيد الصدر ومرجعيته، ولكن من دون الإشارة إليه، وهو ما جاء في ((١٠ - بعد وفاة السيد الإمام "الخوئي" لعب المكتب دوراً مهماً في إثارة استقلال المرجعية الشيعية، وإظهار ضغوط الحكومة العراقية وتدخلاتها في شؤون تعيين المرجع وقد عكس ذلك في الاعلام الرسمي وقد تناقلته القنوات السياسية المهمة مما أفشل محاولات النظام، وساعد في تعريف وتثبيت مرجعية سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله))، مؤسسة الامام الخوئي الخيرية ١٩٨٩-٢٠٠١، ص ٧٣. كما أن الكتاب الذي يؤرخ لحياة محمد تقي الخوئي الذي يصدر تباعاً من المؤسسة أيضاً يحمل نفس التوجهات حتى هذا اليوم، إضافة الى تكريس بعض الأقلام المأجورة مثل رشيد الخيون وغيره لكتاباتهم للتزلف للمؤسسة والسيستاني والطعن بالسيد الصدر لا زال مستمراً.

(١) وكل ما قيل عن تناوله الجبن والشاي على الفطور مع السيستاني بعد ذلك تبين عدم صحته.

فاضطر الى العودة الى بلاده بريطانيا خاوي الوفاض، خاصة بعد الاستقبال البارد الذي قابله به جواد الشهرستاني، الذي لا زال يعيش مرارة فقدان تحالف مرجعيته مع مؤسسة الخوئي^(١).

أصبح السيد الصدر الرمز الأول للجماهير العراقية خارج العراق وخاصة في إيران، وكانت تعقد سنوياً وبشكل واسع مناسبة وذكرى استشهاده، وكانت هذه المناسبة المتجددة إعلاناً سنوياً لشجب كل الذين وقفوا ضد مشروع، ولم تكن هذه هي المناسبة الوحيدة فقد أصبحت كل مناسبة إسلامية إستعادة لاستشهاد السيد الصدر ومظلوميته

استمرت الجماهير العراقية في إيران برفضها كل المحاولات الرسمية وغير الرسمية للنيل من مكانة السيد الصدر، كما رفض ممثلوه في قم كل محاولات السلطة للتكفير عن الخطأ الفادح الذي ارتكب بحق السيد الصدر بغلق مكتبه، وذلك عندما عرض عليهم أن يفتتحو مرة أخرى المكتب بعد استشهاد السيد الصدر، ولم تكن هذه المبادرة اعترافاً بالخطأ (دينيًا)، وإنما كان خطأ سياسياً فادحاً، خاصة بعدما تبين أن النظام العراقي على وشك السقوط، ولكنهم لم يكونوا يعلمون حجم القاعدة الجماهيرية العراقية الفعلية التي يتمتع بها السيد الصدر في العراق، وهو ما فاجئ الجميع، ليس من حيث الحجم والعدد، وإنما من حيث التشبث حد الاستماتة به وبذكراه، وعدم مسامحة الذين وقفوا ضده في يوم ما.

(١) بالرغم من الاختلاف الحاد بين المؤسسة والسيستاني فقد بقي لكليهما مكاناً ومكاتب ومصالح في المملكة المتحدة، وهذا ما لاحظناه بعد سفر السيد السيستاني الى لندن لغرض العلاج المدعى قبل الهجوم الأمريكي على النجف عام ٢٠٠٤.

قبل الشهادة

سبق عملية اغتيال السيد الصدر حركة غريبة ملفتة في المنطقة، ومن يعتقد أن اليد الأمريكية غائبة عن الحدث فهو في غيبوبة عقلية تامة، ((ففي أحد الاجتماعات الأمريكية مع بعض المعارضين العراقيين شدد دجيرجيان أيضاً على تأكيد موقف واشنطن من الجمهورية الإسلامية في إيران، وعلى رفض أي تدخل قد تمارسه بخصوص المرجعية، التي قال دجيرجيان إنها يجب أن تبقى في العراق لردع نظام صدام، من شأن أي حرب إبادة ضد الشيعة. وفي نهاية الاجتماع أبلغ دجيرجيان رجل الدين المذكور حقيقة موقف واشنطن من الموضوع: "نحن نرفض المراجع التي عينتها بغداد وطهران".

الموضوع لم ينته هنا، فمباشرة بعد عودة الوفد المذكور من واشنطن زودت الإدارة الأمريكية عدداً من الناشرين الخليجيين ذوي الارتباط ببعض جهات المعارضة العراقية بمبالغ كبيرة يعتقد أنها من أرصدة العراق أو من أرصدة صدام المحجوزة في الخارج، بهدف طبع كميات كبيرة من الرسائل العملية)).^(١)

ومن المؤكد أن السيد الصدر لم يكن ليعتبر بأي شكل من الأشكال مرغوباً عند الأمريكيين ولم يكن كذلك عند الإيرانيين ولا أية جهة رسمية أخرى في العالم، باستثناء الملايين التي آزرته في العراق، والمتعاطفين معه من العراقيين خارج العراق.

(١) عادل رؤوف، مرجعية الميدان، ص ١٨٩. لم يوضح لنا عادل رؤوف شيئاً عن هذه الرسائل العملية أو أصحابها؟.

في رسالة أرسلت الى الرئيس كلينتون في كانون الثاني ١٩٩٨، موقعة من ثمانية عشر موظفاً حكومياً كبيراً سابقاً، بضمنهم دونالد رمسفيلد وبول ولفوتيز، جاء فيها : ((بالنظر الى حجم التهديد، فإن السياسة الحالية «تجاه العراق» ... لا تفي بالغرض بشكل خطير ... وفي المدى الطويل، «فإن الاستراتيجية الوحيدة المقبولة» تعني إزاحة صدام حسين ونظام حكمه عن السلطة. إن هذا يجب أن يكون الآن هو هدف السياسة الخارجية الأمريكية^(١)). نلاحظ على هذه الرسالة أنها لم تشر الى خطر متوقع من صدام ونظامه، وعبارة مثل (حجم التهديد) أيضاً لا يمكن أن نتوقع أنها تعني صدام من قريب أو بعيد، فقد كان نظامه يترنح ولا يمتلك أن يحرك ساكناً تجاه أي تحرك مضاد، وكان مستعداً تمام الاستعداد لأية تنازلات أخرى، والواقع أنه لم يتبق عنده ما يتنازل عنه، فلم يعد يمتلك أية قوة عسكرية دفاعية فضلاً عن الهجومية، وكان النفط بيد مجلس الأمن أي الولايات المتحدة وحلفائها، فتكون عبارة مهمة مثل (حجم التهديد) و (بشكل خطير) تعني شأناً آخر بكل تأكيد، خاصة لو لاحظنا توقيتها، فهي قد جاءت بعد حوالي شهرين من إقامة صلاة الجمعة في العراق، كما سنلاحظ عدة تحركات مفتعلة في المنطقة لا يمكن تفسيرها بالمصادفة مع اغتيال السيد الصدر.

كما أكدنا سابقاً فإن من السذاجة أن يظن أحد أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن تراقب تطور حركة السيد الصدر في العراق وتنامي قوته، وبالتأكيد هي لم تكن ترغب أن تنتهي الأمور باستحواذ السيد الصدر على السلطة، في الوقت الذي كان النظام غير قادر على التصدي لثورة شعبية على غرار انتفاضة ١٩٩١، خاصة بوجود قيادة قوية ومؤثرة استطاعت أن تحشد مئات الآلاف خلفها، ووصل الأمر الى التأثير على قيادات مهمة في الجيش العراقي، فاحتمال إسقاط النظام وارد جداً في أية

(١) علي عبد الأمير علاوي، مصدر سابق ص ٨٩.

لحظة، خاصة مع تصاعد المواجهة وخروج أتباع الصدر في عدة محافظات بتظاهرات ومواجهات مع أجهزة الأمن والحزب، وهو أمر لم يعهد في العراق منذ انتفاضة ١٩٩١، فقد كُسر حاجز الخوف، وانتقاد النظام أصبح في كل خطبة جمعة تقريباً في العراق، وقد لاحظنا ذلك بوضوح في خطب السيد الصدر.

((خلال أسبوع الاغتيال كانت أبرز محطتين توقف عندهما الاعلام الدولي هما، محطة المطاردة العالمية لاعتقال الزعيم الكردي "عبد الله أوجلان" والتي انتهت فصوله في "نيروبي" عاصمة كينيا في ١٥ / ٢ / ١٩٩٩م باختطافه وتسفيره الى تركيا. ومحطة التصعيد الصدامي المفتعل ضدّ دول الخليج وتركيا ومصر وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، واطلاقه تهديدات ضدّها كأحد الفصول المستتعبة لعملية "ثعلب الصحراء"^(١))).

هذا من ناحية إشغال الرأي العام وصرفه عن الحدث القادم، وهنا نشدّد على تركيا، وزعامتها التي تمقت كل توجه إسلامي ذلك الوقت :

((قرار الاغتيال نُفّذ بعد عودة طارق عزيز من زيارته "المصطنعة" الى تركيا، والتي وصفها الاعلام العالمي بـ"الفاشلة". حيث وصل الى بغداد ليل الأربعاء - الخميس ١٧ - ١٨ / ٢ / ١٩٩٩م عبر شمال العراق، وبعد زيارة لأنقرة استغرقت ثلاثة أيام، اجتمع خلالها برئيس الوزراء التركي "بولند أجاويد" وطلب إليه عدم تمكين الولايات المتحدة الامريكية من استخدام قاعدة "أنجريك" التركية لطيران التحالف الذي يشنّ غاراته على العراق... لم يكن لزيارة عزيز تركيا أي مبرر سياسي مقنع، فتوقيت الطلب الصدامي جاء في أخرج ظرف كانت تعيشه تركيا في تلك الأيام، وهي تنتشي كؤوس النصر لاعتقالها عبد الله أوجلان بمساعدة أجهزة الـ "C.I.A" الأمريكية

(١) الشيخ علي، فائق، اغتيال شعب، ص ١٨٦.

والموساد الإسرائيلي واستخبارات وشخصيات دولية أخرى. فكيف يمكن تصور أنها ستوافق على هكذا طلب^(١))).

هذا ما ذكرته وسائل الاعلام، ومن الصحيح أن طلب طارق عزيز غير منطقي، ولكننا نعتقد أنه لم يكن الطلب الفعلي، وإنما كانت زيارة عزيز الى تركيا لأعلام الجانب الأمريكي بخطة الاغتيال، ووجود المبررات القوية عنده التي ستجد أذان صاغية من قبل تركيا وأمريكا لمواقف هاذين البلدين الصريحة تجاه الحركات والزعامات الإسلامية غير المرتبطة دولياً، وقد نقل عن أكثر من مصدر أن السيد الصدر قال عن زيارة طارق عزيز الى تركيا "إذا عاد هذا اليهودي من تركيا فإنه يعود بإذن قتلي"^(٢). نعم هو لم يحدد الجهة التي سيلتقي بها طارق عزيز، ولكنه قد أكد مسبقاً في أكثر من خطبة أن الغرب وعلى رأسه الثالوث المشؤوم "أمريكا - بريطانيا - إسرائيل" يقفون وراء كل عمل ضد الإسلام خاصة اغتيال القادة المخلصين، ومن خلال تتبع السياسة الأمريكية فهي لا تقدم على الاتفاق على مثل هذه القضايا الحساسة بصورة مباشرة وإنما من خلال وسطاء معينين أو تلميحات وإشارات يمكنها أن تتصل عنها فيما بعد كما حصل مع النظام العراقي حينما ورطته السفارة الأمريكية بأن الولايات المتحدة لا تتدخل في النزاعات بين العرب، وكما رأينا في تصريحات قادة أمريكا وبريطانيا في بداية انتفاضة ١٩٩١ سابقاً، أنهم حثوا على إسقاط صدام من قبل الشعب العراقي، ودعموا هذا الاتجاه أول الأمر من خلال منع صدام من تحليق طائراته فوق المحافظات المتفضة، وبعد ذلك عندما رأوا التوجه الاسلامي للانتفاضة لم يصرحوا بالسماح لصدام بقمعها ولكن سمحوا له بإطلاق طائراته وصواريخه.

(١) المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٢) عباس الزبيدي، السفير الخامس ص ٢١٢.

إن واشنطن ((وحتى لو كانت لم تصدر موقفاً عدائياً علنياً ضد ظاهرة الشهيد الصدر الثاني^(١)، إلا أنه وفق سياق سياساتها المعروفة ستكون قلقة منها، وعليه فإن اغتيال الشهيد الصدر يمثل هدفاً أمريكياً - صدامياً مشتركاً، فهناك خطوط حمراء عبرها الشهيد بشجاعة فأثارت حقد طاغية العراق محلياً، والاستكبار خارجياً، فأصبح الشهيد هدفاً للإثنين، فالأول كان يخشى على حكمه من الاهتزاز والتداعي، أما أمريكا فقد شعرت بأن الشهيد الصدر الثاني قد سحب البساط من تحت المشروع الأمريكي في الساحة العراقية، فيما حقق كسباً ضخماً لصالح المشروع الإسلامي والوطني العراقي، ومن هنا كان إعدام الصدر مطلباً مزدوجاً بين صدام وأمريكا)).^(٢)

ومما يؤكد ذلك الاحتياطات التي اتخذت من قبل التحالف قبل الاغتيال مباشرة :

فقد أرسل الرئيس التركي مباشرة في طريق عودة طارق عزيز الى بغداد ((نحو عشرين ألف جندي مسلح، بدباباتهم ومدركاتهم وطائراتهم يقتحمون كردستان بحجة ملاحقة مقاتلي حزب العمال الكردستاني^(٣))). فما هي المهمة الفعلية لهذا الجيش، هل هي فعلاً ملاحقة أو ردع أية عمليات يقوم بها حزب العمال الكردستاني المفجوع بقيادته الأسيرة؟، ولكن هل يستدعي الأمر كل هذه القوات الكبيرة، أم أن مهمة هذا الجيش هي منع أية تطورات للأحداث بعد الاغتيال

(١) نتحفظ على مصطلح "ظاهرة" بخصوص حركة السيد الصدر التي نعتبرها هي الأصل في القيادة والمنهج الاسلامي، ولكن يمكن تبرير ذلك بأن الأصل الذي لا بد أن تكون عليه المرجعية وحركتها أصبح ظاهرة وشذوذ، بينما أصبح الشذوذ الذي هو السكوت والخنوع هو الأصل.

(٢) عادل رؤوف، مصدر سابق ص ٢٤٣. نلاحظ أن ما تنبأ به عادل رؤوف هو ما تحقق على أرض الواقع، ولكن بصورة أكبر من توقعاته، فقد أصبح الصدر العائق والمشكلة حتى بعد سقوط صدام لسنوات وسبقه مصدر قلق حتى يحسم الأمر لصالحه تماماً.

(٣) فائق الشيخ علي، المصدر السابق ص ١٨٨.

المرتقب بعد يومين؟، والتي قد تشعل العراق بثورة قد تقلب الموازين في المنطقة؟. لذلك تكثر التساؤلات هنا وهناك عن الاغتيال، وكثرتها تدل على أمرين : الأول، وجود تعميم فعلي ومكثف دولياً على حركة السيد الصدر، مما أدى الى غموض لمعرفة الأسباب الحقيقية وراء الاغتيال، الثاني، الشك في المرتكبين والمحرضين وعاقدي الصفقات، أمريكا وبريطانيا، أكدتا في اليوم التالي على الاغتيال أنهما تراقبان الأوضاع عن كثب، رحلة طارق عزيز الى تركيا التي جاء الاغتيال بعدها بيومين، السكوت الإيراني، بل الزيارة التي قام بها أحد المسؤولين في الخارجية الإيرانية^(١)، والذي قام بزيارة الى السيستاني، فهل كانت هذه الزيارة بمثابة الإشارة بالحصانة والدعم للسيستاني لا غير؟. يقف الكثيرون يتسائلون :

((وحكاية اغتيال آية الله محمد صادق الصدر (٥٠) سنة ونجليه، أكان النظام العراقي مرتكبه أم لا، وقد أنكر ذلك رسمياً كما أنكر كل عملية مماثلة قبلها، تبدأ منذ وصول صدام الى الحكم، وازدادت وتيرتها منذ انتفاضة الشيعة في جنوب العراق في العام ١٩٩١، ولكن هذه المرة قد يختلف الأمر وظروف العراق المرحلية على ما هي عليه. إذاً قد لا يمر موت مجتهد شيعي مرور كرام الشهداء الذين سبقوه. فصدام اليوم، ليس بصدام الأمس. وعراق اليوم لا يشبه عراق ما قبل عشر سنوات. فالمسألة العراقية تتأرجح بين ما قبل هذه الجريمة وما بعدها^(٢))).

نلاحظ أن رياض الرئيس على الرغم من عدم دقة بعض المعلومات التي وصلته، إلا أنه من حيث يشعر أو لا يشعر وضع يده على أمر غاية في الخطورة، وهي أن وجه العراق تغير والى الأبد، والمسألة العراقية بالفعل تغيرت كل معالمها بما بعد اغتيال

(١) كان المعروف في النجف أن هذا المسؤول هو محمد الصدر مساعد وزير الخارجية الإيراني لشؤون الشرق

الاطلس، هو نجل السيد رضا الصدر شقيق السيد موسى الصدر.

(٢) رياض الرئيس، مصاحف وسيوف، ص ١٣٠.

السيد الصدر، فالذين اغتالوا الصدر لم يغتالوه وحده، بل سقطت والى غير رجعة رموز وكيانات وأسماء، لم يكن من قبيل المصادفة أن يكون أولها أكبر رموز المعارضة في تاريخ العراق الحديث، وبذلك الصورة التي حدثت في "مسجد أعظم" في مدينة قم بعد الاغتيال بيومين، ومن الذي كان يتوقع أن يجد أن الصدر بعد رحيله ترك إعصاراً يتحفظ في كل بيت فقير من بيوت وسط وجنوب العراق؟، ولم تكن التخمينات صحيحة، ولم تكن مراكز الدراسات الغربية مصيبة هذه المرة، فكان اغتيال الصدر اغتيال لكل أعداءه "حلفاء أمريكا" من دون استثناء.

((ولكن لا بد لأي مراقب أن يتساءل عن توقيت هذا الإغتيال، وما فائدة النظام العراقي منه، في وقت هو في أضعف حالاته العسكرية والسياسية والديبلوماسية والاقتصادية، كما يقوم بحملة ديبلوماسية لوقف الغارات الأمريكية - البريطانية عليه، ورفع الحصار الاقتصادي عنه. فبينما وزير خارجيته محمد سعيد الصحاف في دمشق وبيروت يسعى لنوع من المهادنة بين بلاده والدول العربية، وقبلها نائب رئيس وزراء طارق عزيز سعى مع تركيا لوقف القصف من أراضيها وتكبير فجوة "التهريب" للبضائع التي يحتاجها العراق عبر حدوده، وسط هذا كله يقوم النظام باغتيال أحد أكبر المراجع الشيعية، ليشعل فتيلاً قد يبدأ حريقاً لا يطفأ. صحيح أن النظام العراقي لا يتمتع بمنطق يمكن تعميمه وإن تمتع بالذكاء، ويبقى السؤال لماذا جرى الاغتيال؟. ^(١))).

سؤال لم يطرح عفواً أو جهلاً، وقد أجاب الكثيرون كل حسب انتماءاته، فبعض أفراد المعارضة العراقية في إيران، تماشياً مع أمراضهم المزمنة المستعصية، كان جوابهم المعتاد أن النظام تخلص منه بعدما انتهى منه ^(٢)، وآخرون قالوا أنه على

(١) المصدر السابق، ص ١٣١.

(٢) كالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وقيادات وأعضاء من حزب الدعوة. ونلفت النظر هنا أن

الرغم من عمالته فقد أغاض النظام فقتله^(١)، وآخرون تغيرت لهجتهم كأنهم لم يكونوا من أعداء الأمس.^(٢)

كانت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تعلمان جيداً أن النظام سيقدم على عملية الاغتيال، ففي مقال بعنوان "لماذا تجاهلت واشنطن ولندن تحذيراً من تصفية الصدر" نشرته صحيفة "الحياة" في ٢٠ آذار ١٩٩٩، عن مصدر معارض جاء فيها ((والمرحوم محمد الصدر الذي اغتيل مؤخراً في العراق اتصل بنا قبل أسبوع من مقتله وقال لنا بالحرف الواحد : صدام يريد أن يقتلني فافعلوا شيئاً، وسارعتُ الى الاتصال بالبريطانيين والامريكيين وطلبنا منهم أن يتحركوا لانقاذ الصدر، فلم نجد تجاوباً، بل إن الحكومة البريطانية لم تصدر حتى بيان استنكار)).^(٣) وهذه المعلومات صحيحة

=السيد محمد باقر الحكيم زار الكويت في رمضان ١٤١٩ أي قبل الاستشهاد بشهرين والتقى هناك السفير الأمريكي، ولم يعرف شيء عن طبيعة هذا اللقاء.
(١) كالسيد محمد الغروي في كتابه (مع علماء النجف).

(٢) كتب جواد (نوري) المالكي عضو المكتب السياسي لحزب الدعوة الاسلامية في صحيفة "الموقف" التابعة للحزب في عددها "١٩٢" الصادرة بتاريخ ١٨ آذار ١٩٩٩ تحت عنوان "غياب الصدر الثاني افقد المشروع الوطني الاسلامي قوة هائلة". عادل رؤوف، مرجعية الميدان ص ٢٧٥.
وفي الملتقى الاسبوعي بمدينة قم، حيث يلتقي السيد محمد باقر الحكيم جمعاً من العراقيين، تطرق الى تفاصيل شهادة السيد الصدر، ..الخ. المصدر السابق ص ٢٥٢.

وحسب صحيفة "القدس العربي" ٢٣ شباط ١٩٩٩ شدد السيد محمد بحر العلوم "أنه لا يزال اليوم ثلاثة من كبار رجال الدين الشيعة في النجف، يمكنهم أن يخلقوا آية الله الصدر، هم علي السيستاني ذي الأصل الايراني والذي يصعب أن يقبله النظام!! ومحمد سعيد الحكيم وحسين بحر العلوم". المصدر السابق ص ٢٥٧.
والكثير من التصريحات التي لا تعبر حقيقة سوى عن حالة نفاق مؤقتة لتتماشى مع رغبات وانفعالات الجماهير الغاضبة، التي تعتبر أكبر ردة فعل من نوعها في تاريخ الشيعة ضد المؤسسة الدينية المرتبطة إقليمياً ودولياً.

(٣) عادل رؤوف، مرجعية الميدان ص ٢٥٩. ومن المؤكد أننا لا نتظر أو نطالب بأي استنكار من جانب أمريكا فضلاً عن بريطانيا اللتين وطن السيد الصدر حياته لكشف مؤامراتهما وعملائهما والوقوف ضدهم، وكان A

فقد أوعز السيد الصدر الى ممثليه وأتباعه خارج العراق بتعميم "نداء استغاثة"، بعد أحداث شعبان ١٤١٩هـ على الحكومات والحركات والأحزاب المعارضة التي لم يستجب منها أحد، ووسائل الاعلام الدولية، ولم ينشر هذا النداء إلا في صحيفة "القبس" الكويتية على صورة بيان مختزل، وقام بنشره السيد محمد باقر المهري الذي كان أحد وكلاء السيد الصدر. أما إذاعة الجمهورية الإسلامية فقد أشارت مشكورة الى هذا النداء ولكن بعد مقتل السيد الصدر بيومين؟! (١)

وقد لوحظ أثناء القصف الأمريكي في عملية "ثعلب الصحراء" إطلاق صواريخ أمريكية ضمن الأراضي الإيرانية، وهي ما لا يمكن تفسيره إلا بالرسالة الواضحة بعدم التدخل بالشأن العراقي "إغتيال الصدر"، وقد استوعبت الحكومة الإيرانية الرسالة وتماهت معها بل إن النتائج كانت تنتظرها، والحقيقة أن الرسالة وُجّهت الى الجماهير العراقية الكثيرة في إيران، والى المتعاطفين مع السيد الصدر من أفراد المعارضة وبعض القيادات العسكرية، ومنهم بعض قيادات فرق الفيلق كأبي ميثم الصادقي قائد فرقة الرسول وغيره.

ولم تكن بريطانيا وأمريكا الوحيدتين في ذلك، بل إن عدداً من دول الجوار كانت على علم بالعملية ولو على نحو الإجمال ولكن من دون أن تقوم بأي تحرك، وعلى

=في الخطبة الأخيرة التي عرف أنها ستكون جمعة الوداع قال صراحة أن تشفي أمريكا واسرائيل بموته غاية الفخر في الدنيا والآخرة، أما بريطانيا فهي المؤسس لأول عمالة داخل المؤسسات الدينية في العالم الاسلامي في العصر الحديث، ومن عاصمتها انطلقت أول الهجمات الاعلامية ضد السيد الصدر، وهي تدعم مرجعيات معينة منذ حوالي عام ١٨٢٠م حسب ج.ج. لورير في كتابه الخطير (دليل الخليج). والى هذا اليوم. يكفي أن مواطنين بريطانيين هم الذين تبنا الحملة الاعلامية والتي جاءت بأوامر أو مباركة من الحكومة البريطانية من دون أدنى شك، ومن هؤلاء المواطنين البريطانيين عبد المجيد الخوئي ومحمد بحر العلوم وفاضل الميلاني وليث كبة وغيرهم من المهجنين.

(١) حول نداء الاستغاثة أنظر "السفير الخامس" ص ٢٥ و ٢١٧.

رأس هذه الدول إيران، التي قدّمت لنظام صدام خدمة (ليست مجانية بالطبع) عندما رفضت الصدر وأغلقت مكتبه، ولم تصدر منها كلمة تأييد واحدة قبل استشهادها، بل إن زيارة وزير الخارجية الإيراني ومساعدته بعد ذلك إلى النجف قبل حوالي شهرين من الاغتيال، وحصر الزيارة بالسيستاني إشارة أخرى يفهمها النظام تدل على تخلي الجمهورية الإسلامية عن الصدر، وقد قال السيد الصدر في تلك الفترة "إذا لم يدعموني إعلامياً فهذا معناه إعطاء الضوء الأخضر لصدام بقتلي"^(١). وبالفعل تمّ الأمر كما قال السيد الصدر. أما بعد مقتله فتحول الجميع إلى باكين أو متباكين.^(٢)

ومن المؤكد أن الكثير من التصرفات العفوية والارتجالية التي قام بها بعض أتباع السيد الصدر سواء من المصلّين أو من أئمة الجمعة أدّت إلى تصعيد المواجهة مع النظام، لذلك كان يؤكد في أكثر من مورد على ضرورة أخذ الإذن في أي تصريح أو فعل، وهذا ما لاحظناه في بعض صلوات الجمعة في مسجد الكوفة وغيرها في الأهواز الحماسية التي كانت يرددها البعض من دون تبصّر، ومن أكثر الحركات خطورة ما قام به الشيخ أسعد الناصري في قضية اعتقال الشيخ أوس الخفاجي كما رأينا، فهناك من يرى أن هذا الارتجال والتصرف غير المدروس كان أحد الأسباب العملية الخطيرة في تعجيل النظام بتصفية السيد الصدر، حتى أن البعض يعتبره بمستوى خطورة البيعة التي خرج بها أنصار الصدر الأول والتي عجّلت بإعدام الصدر الأول، فما جرى في مدينة الناصرية بمثابة جرس الإنذار الذي أيقظ النظام إلى احتمالية وجود مخطط أو تفكير قائم عند السيد الصدر في القيام بثورة شعبية لا تعرف عواقبها ولم يكن النظام مستعداً لها، مع أن السيد الصدر كما تأكدنا مراراً

(١) عباس الزيدي، السفير الخامس ص ٢١٤.

(٢) كما قال الشاعر: لألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي مازودتني زاداً.

من ذلك لم يكن من ضمن مخططاته ذلك، وحتى لو كان هناك ما يدور في ذهنه فإن هذا التصرف قطع الطريق أمام أي تفكير وعجل من عملية الاغتيال في مدة شهر واحد، إذ نلاحظ أن حادثة الناصرية وقعت في يوم الجمعة الموافق ١٩٩٩/١/١٥، واغتيال السيد الصدر في يوم الجمعة الموافق ١٩٩٩/٢/١٩.

وحصل حادث مشابه في مدينة النهروان شرق بغداد بعد اعتقال إمام الجمعة هناك الشيخ هيثم الزيدي، حيث خرج مصلو الجمعة في ما يشبه التظاهرة وحصل صدام مع قوات الأمن وأعضاء حزب البعث، وتوقيت هذا الحادث في وقت مقارب لحادث الناصرية.

استشهاد الصدر الثاني ودفنه برواية الشيخ يعقوبي^(١)

اعتادت الحوزة والمشرعة الذهاب إلى كربلاء ليلة الجمعة لزيارة مرقد الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) لما فيها من الفضل العظيم وكُنّا ممن وفقهم الله تبارك وتعالى لهذا الالتزام الشريف فذهبنا كعادتنا عصر الخميس (٢ ذ.ق ١٤١٩) المصادف (١٨/٢/١٩٩٩).

وعلى مشارف مدينة النجف وجدنا طوقاً من المدفعية الثقيلة قد أحاط بالمدينة المقدسة متخفياً وراء السواتر الترابية وقد وجهت فوهات المدافع نحو المدينة وطلّاع من الآليات والجنود التي تنبئ على وجود قطعات عسكرية في عمق الصحراء فرابنا الموقف وسألنا عن ذلك فقليل: إنها ربما كانت احتياطات عسكرية لأن العراق كان يومئذ في أزمة مع الولايات المتحدة وبريطانيا فيخشون من حصول غارات على المدن العراقية، لكننا رددنا عليهم: لو كان الأمر كذلك لكانت فوهات المدافع متجهة إلى حيث تأتي الطائرات المغيرة دفاعاً عن المدينة وليست موجهة إلى نفس المدينة فانقطع الجواب وعدنا ليلاً إلى النجف.

وفي صبيحة اليوم التالي الجمعة (٣ ذ.ق) ذهبنا إلى مكتب السيد الشهيد (قدس سره) الذي كان مقابل الصحن الشريف من جهة باب القبلة وكنت اجلس يومياً في غرفة خاصة مقابل الغرفة التي اتخذها السيد نفسه للإجابة عن أسئلة الناس وقضاء حوائجهم بعد أن اتسعت مرجعيته (قدس سره) في الأشهر الأخيرة وازداد زحام الناس فلم يبق له وقت لهذه المسؤولية فحولها عليّ وبقي هو (قدس سره) لإدارة الأمور العامة.

(١) محمد يعقوبي، الشهيد الصدر الثاني كما اعرفه، ص ٦١.

وقد شهدنا مدينة النجف على غير العادة فالقوات العسكرية منتشرة في كل مكان والأجواء مكهربة وتساءلنا مرة أخرى عن سر ذلك فقليل أن اليوم (٢/١٩) وهو اليوم الذي تحتفل به المدينة رسمياً كيوم للمحافظة، لكننا قلنا إن هذه المناسبة ليست جديدة ولم يكن يحتفل بها بهذه المظاهر من قبل.

وفي كل يوم كنا نبقي في مجلسنا العام في المكتب حتى يرتفع آذان الظهر فندخل مع السيد الشهيد (قدس سره) إلى الحرم الشريف لنؤدي صلاة الظهر جماعة إلا يوم الجمعة فنغادر المكان قبل الظهر بأكثر من ساعة للذهاب إلى مسجد الكوفة المعظم لأداء صلاة الجمعة المباركة المقدسة بإمامة السيد الشهيد (قدس سره) حيث كان يحجز مكان خلف الإمام مباشرة لأعضاء المكتب فان اغلب الصفوف المتقدمة تشغل من وقت مبكر منذ الفجر.

وذهبنا إلى المسجد المعظم وكالعادة كانت النجف تموج بالمؤمنين الذين يقدمون من كل مدن العراق فيحجزون أماكنهم في صلاة الجمعة بفراش ونحوه ثم يأتون لزيارة أمير المؤمنين ومرجعهم الشهيد ثم يعودون إلى الصلاة المباركة وكذلك السيد نفسه (قدس سره) يذهب إلى المسجد قبل الأذان ويبقى في محراب أمير المؤمنين (عليه السلام) يتعبد ويتأمل ويتهياً حتى ينتهي المؤذن من آذانه فيأتي إلى محراب صلاة الجمعة حيث يخلع عبائته ويرتدي البردة البيضاء التي تشبه إحدى قطع الكفن ويتقدم إلى المنصة المواجهة لجمهور المصلين ليلقي خطبتي الصلاة.

وكنت هذه المرة في الصف الأول إلى يمين الإمام فيمر طريقه بين محراب أمير المؤمنين (عليه السلام) ومحراب صلاة الجمعة عليّ فسلم سلامه العام أثناء مروره وأحاطني بسلام خاص بعينه شعرت منه بمعنى خاص لم افهمه.

لكنني فهمت معناه بعد ساعات فقد كان سلام تحمیل للمسؤولية الثقيلة وسلام وداع رغم أن فرص اللقاء به يُفترض أن تكون ما زالت موجودة قبل ساعة

استشهاده فقد كان يجلس مجلساً ليلياً عاماً يوم الجمعة بعد صلاة المغرب والعشاء وكنت احضر في المكتب لأداء وظيفتي التي ذكرتها قبل قليل إلا انني لم اذهب في تلك الليلة لمانع، فقد جرح يدي أثناء ادائي لبعض الأعمال البيتية قبيل المغرب ولم ينقطع الدم حتى أجدد الوضوء حتى صار الأذان فلم اذهب لصلاة الجماعة في مسجد الكرامة الذي كنت أقيم الجماعة فيه منذ عام (١٤١٦) ومن ثم لم اذهب إلى المكتب في تلك الليلة فشاء الله لذلك الجرح البسيط أن يمنع من حصول أمر الله يعلمه.

وبعد المغرب بساعتين وعند عودته (قدس سره) إلى داره حصل الاعتداء الأثيم عليه قريباً من داره في مكان لا يبعد كثيراً عن بناية مدرسة البغدادي التي هي مقر دراسة طلبة جامعة الصدر الدينية فوصل إليهم الخبر مباشرة حيث سمعوا إطلاق الرصاص فأسرع إليّ اثنان هما الشيخ نديم الساعدي معاون العميد لشؤون الطلبة والشيخ علي خليفة من طلبة المرحلة الثانية يومئذ وقالوا ان الناس تتحدث عن عملية اغتيال للسيد (قدس سره) والأخبار متضاربة عن حالته فأسرعت إلى الهاتف لاتصل بيت أولاد السيد (قدس سره) السيد مصطفى والسيد مؤمل (رحمهما الله تعالى) فلم أجد من يرد على الهاتف لان أولاد السيد (قدس سره) وعوائلهم يجتمعون في بيته (قدس سره) حتى الليل يوم الجمعة فذهبت فوراً إلى بيت الشيخ حيدر اليعقوبي لاستطلع منه فوجدت الأخبار المتضاربة لكنني علمت منه أن السيد (قدس سره) الآن هو في المستشفى الرئيسي في البلد فذهبت فوراً إلى هناك وكانت مطوقة برجال الأمن والباب موصدة بوجه المئات من طلبة العلم والمؤمنين الذين هرعوا إلى المستشفى لاستطلاع الخبر واقتربت من الضابط المشرف على الباب وعرفته نفسي وطلبت الدخول فاستمهلني حتى يراجع المقدم فلان الذي كان مشرفاً على القوة الموجودة في المستشفى فأذن لي شرط تخلي الناس عن الزحام على الباب وفرقهم عنها فالتمست منهم ذلك فاستجابوا لي على أن أعود لهم بالخبر الصحيح

وكانوا يتوسلون إلى الله تعالى بالأدعية الماثورة للاطمئنان على سلامة السيد (قدس سره) ودخلت إلى جناح الطوارئ وكان هناك السيد مقتدى والسيد سلطان كلانتر صهر السيد (قدس سره) وآخرين من أعضاء المكتب وحاولت الدخول إلى غرفة العمليات للتأكد من حالة السيد (قدس سره) فمنعوني لكن الوضع كان يشير إلى انتهاء كل شيء فان السيد (قدس سره) وولده السيد مؤمل قضيا نحبهما فوراً أما السيد مصطفى فقد بقي يعاني النزعات الأخيرة ورأيت على يديه بعدئذ اثر (الكانيوالا) التي تشد في عضد المريض ليزرق فيها العلاج فانسحب السيد مقتدى وعدد من الأخوة الموجودين إلى الدار ليكون قريباً من والدته المفجوعة وبقينا نحن في المستشفى حتى استدعينا إلى غرفة الطبيب لإملاء المعلومات عن الشهداء التي تأخذ عادة حين تنظيم شهادة الوفاة كل هذا ونحن لا نريد أن نصدق بالوفاة ونمني أنفسنا بالسلامة وان الله قادر على كل شيء.

ولم أكن أستطيع أن اخرج إلى الناس الذين ينتظروني في الخارج لأنني لا ادري ماذا أقول وأما السيد مقتدى فخرج صامتاً غير أن الشيخ علي البهادلي (المشرف على شؤون العشائر) أشار لهم بما يفهم منه وقوع الحادث الأليم، وبقينا أكثر من ثلاث ساعات على هذا الحال: نحن واجمون صامتون في المستشفى وممنوعون عن الوصول إلى الأجساد المضرجة بالدماء والمخلصون خارج الباب ترتفع أصواتهم بدعاء الفرج وتردد آية (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) وقد أغلقت الشوارع العامة ومنع التجوال وكنا لا نرى ولا نسمع في الشارع إلا أصوات صفير السيارات العسكرية من جيش وشرطة وقوات الأمن والأمن الخاص التي كانت تترى طول الوقت على النجف من اتجاه بغداد.

وأجل إعلان الخبر رسمياً احتياطاً حتى تتكامل قواتهم وفي الساعة الحادية عشر ليلاً استدعي جماعة منا (السيد حسين كلانتر والشيخ محمد النعماني) إلى بناية المحافظة وحاول المسؤولون الإيحاء بخبر الوفاة والطلب منهم السيطرة على المشاعر

لكنهم لم يطمأنوا إلى قدرتهم على أداء هذا الدور فاجلوا إعلامهم صريحاً بالخبر وطلبوا منهم إحضار احد كبار رجال الحوزة إلى هناك لكي يتحمل مسؤولية تسليم الأجساد الثلاثة فحاول البعض الاتصال بالسيد محمد كلانتر والسيد حسين بحر العلوم (رحمهما الله) فرفضوا فحاولوا مع السيد علي البغدادي الذي كان قد تصالح قبل أيام مع السيد (قدس سره) فلم يفتح لهم الباب وكلمهم من وراء الشبايك فضلاً عن الاستجابة لطلبهم ففشلت المحاولات.

وصارت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل الشتوي الطويل وأعيد استدعاء مجموعة منا مرة أخرى إلى مبنى المحافظة حيث كان يتجمع كبار المسؤولين الرسميين متحسبين لأي طارئ وقد اخبروهم هذه المرة صريحاً بنبأ استشهاد الثلاثة واشتروطوا علينا تفريق الناس قبل تسليم اجساد الشهداء فقررنا أن اخرج واقنع الناس بذلك ثم نعود لتسلم الشهداء.

والى الآن لم اصدق كيف تماكنت نفسي -وأنا ذو العواطف الجياشة- فلم تذرف عيني ولم يتلعثم صوتي وأنا اخرج إلى الناس في الساعة الواحدة والنصف من تلك الليلة من ليالي الشتاء القارس المهيئة للمطر بين لحظة وأخرى واطلب منهم التفرق والعودة صباحاً ليعلموا حالة السيد (قدس سره) ونجليه ولم أصرح بالنبأ رغم إصرار البعض وركبت السيارة عائداً إلى البيت ووفروا هم للناس سيارات لنقلهم فقد كانت الشوارع مطوقة ولا احد يستطيع المرور فيها إلا السيارات الرسمية بل ان سيارة النقل الكبيرة التي نقلت طلبة الحوزة اعتقلت قرب الصحن الشريف وأقتديوا إلى مديرية الأمن ولم يطلق سراحهم إلا بعد حصول القناعة بان الدولة هي التي أمرت بنقلهم من المستشفى إلى قرب الصحن الشريف ليعودوا إلى مدارسهم الدينية، وهو ما حدثني به أحدهم وهو الشيخ علي حميد الذي كان يومئذ مديراً لمكتب السيد الشهيد (قدس سره) ويساعده الشيخ علي صادق.

وما ان ابتعدت عن المستشفى مسافة حتى أطلقت العنان للعواطف والآلام التي كانت حبيسة في صدري فأجهشت بالبكاء الحار وبصوت مرتفع ولم أكن قد أخبرت من معي بالسيارة بالخبر فشاركوني البكاء حتى وصلت إلى البيت حيث مكثت اقل من ساعة وعدت بعدها إلى المستشفى وكان هناك أيضاً مجموعة من الطلبة فحملنا الأجساد الطاهرة في سيارة مكشوفة وركبنا في ثلاث سيارات شخصية وتوافقنا حوالي أربعين سيارة ما بين صغيرة وكبيرة تحمل القوات المدججة بالسلاح وذهبنا في موكب صامت حزين إلى المغتسل وقد أذن ولده السيد مقتدى بأن أتولى أنا الصلاة على الأجساد الطاهرة والإشراف على باقي التكاليف الشرعية وبقي هو وعدد آخر في الدار، حيث باشر مجموعة من الطلبة على رأسهم السيد محمد الصافي مباشرة الغسل ولم يسمح لأحد من المنافقين من الدخول إلى المغتسل فبقوا خارجه لكنهم قلقون من مرور الزمن إذ كانت الأوامر موجهة إليهم من قبل السلطات بإتمام الدفن قبل حلول الفجر لكن الغسل تأخر بسبب نزف الدماء التي لم تنقطع من جسد السيد (قدس سره) ورأسه وكانت الإصابة في جبهته قاضية وقاسية ويبدو انه أصيب بوابل من الرصاص وجهه إلى جبهته حيث خرج الرصاص من مؤخره تاركاً حفرة عميقة تدخل منها قبضة اليد وقد انتزعت معها أكثر أجزاء رأسه حيث كان رأسه الشريف ككيس من الهواء تستطيع أن تضغطه كيف تشاء وليس جمجمة عظمية ورصاصات أخرى على بدنه الشريف وكان جسد السيد مؤمل (رحمه الله) غارقاً بالدماء أيضاً ويبدو وقد جف جسمه من الدماء ولم يمكن تكفينهم والحالة هذه فلّفت أجسادهم بقطع نايلون كبيرة وكفنوا عليها بعد ان ملأت جروحهم بالقطن لكنها لم تنفع في قطع الدم.

ويشهد الله بدون مجاملة ولا عاطفة إن وجه السيد (قدس سره) كان يشرق نوراً وكأنه حي، وقد استمرت عملية التغسيل حتى حان موعد صلاة الصبح فصلينا في المغتسل في حين كان أولئك المنافقون على اشد من الجمر ويلحون علينا بين وقت

وآخر بضرورة التعجيل حيث علمت بعدئذ من بعضهم أن قصي صدام كان على خط هاتفي مفتوح يتابع معهم التطورات وكان يأمرهم بالاستعجال وإنهاء الأمر تحت جناح الظلام وبعد انتهاء الغسل حملنا الأجساد الثلاثة إلى الصحن الشريف ووضعت في الرواق في نفس المكان الذي كان يقيم فيه السيد (قدس سره) صلاة الجماعة ولم نطف بها حول الضريح المطهر تنفيذاً لرغبته (قدس سره) التي سمعتها منه (قدس سره) فقد كان يستشكل (معنوياً) من هذا الفعل -أي إطفاء الجناز حول الضريح المقدس- ويقول كيف بي لو مِتُّ ولا أستطيع منع من يطوف بجسدي على الضريح وتقدمت للصلاة عليه بإذن ولي الفقيه وصلى خلفي بحدود خمسة عشر من إخواني الطلبة في حين كان بعض المنافقين ينظرون إلينا وبقي الآخرون منهم خارجاً.

وبعد إتمام الصلاة حملناهم إلى المقبرة الجديدة في النجف حيث كان (قدس سره) قد اشترى أرضاً هناك لتكون مدفناً له ولذويه وبدأنا بدفن الجسد الطاهر للسيد (قدس سره) وأهلنا عليه التراب ونحن لا نتصور كيف يمكن أن يضم قبر هذا الرجل الذي أربع أعتى الطواغيت وأشرسهم ولا زلت أتذكر -وكيف أنسى- آخر نظرة ألقيتها عليه (قدس سره) وهو يفرش التراب في لحده مستقبل القبلة على جانبه الأيمن، وقد نزل في لحده المرحوم الشهيد الشيخ علي الكعبي إمام جمعة مدينة الثورة في بغداد الذي قدم إلى النجف فور سماعه الخبر فنال شرف المشاركة وكان معنا المرحوم الشهيد الشيخ حسين المالكي -الذي كان ملتفتاً إلى بعض السنن الشرعية في مثل هذا الحال- والمرحوم الشهيد الشيخ محمد النعماني والسيد سلطان والسيد حسين ابنا السيد محمد كلانتر والشيخ عباس الريعي والشيخ علي البهادلي وآخرون لا استحضر أسماءهم.

وبدأت السماء تمطر مطراً منهماً وكأنها تشاركنا المصاب وتذرف معنا الدموع وطلبت من السيد محمد الصافي أن ينشدنا -وهو صاحب الصوت الشجي- أحياناً في

رثاء الحسين (عليه السلام) ونحن نهيل التراب فانشد - ونعم ما انشد- عينية
الجواهري:

شممت ثراك فهب النسيم

نسيم الكرامة من بلقع

والكل يبكي والبعض يأخذ من تراب القبر ويدخره لقضاء حوائجه بما فيهم
بعض الضباط والجنود الذين كانوا شاهرين أسلحتهم على رؤوسنا وقبل أن نواري
جسدي الشهيد السيد مصطفى ومؤمل (رحمهما الله) انسحب محافظ النجف
ليزف بشرى!! انتهاء عملية الدفن بسلام !! إلى سيده قصي ثم ووري الجميع الثرى
وشمس يوم السبت أزفت على الشروق لتنتهي أعظم ليلة عشتها وعدت إلى منزلي
وأنا مثقل بالأحزان وأرخت لعيني حتى تفرغ ما تبقى من دموع.

ولم تكن مدينة النجف بمستوى الحدث فقد رأيت -حين عودتي صباح
السبت إلى البيت- الأسواق مفتحة والأعمال جارية والحياة عادية جداً ربما لأن
الخبر لم يصل إليهم بعد لكن الله تبارك وتعالى شاء أن لا يمر الحدث هكذا بل أن
يعيش المجتمع والمدينة واقع المصاب الأليم فقد أقام السيد مقتدى صلاة الظهر
والعصر جماعة في مكان أبيه -والأوضاع ما زالت طبيعية- فانطلقت صيحات
الصلوات على النبي وآله من الموالين واختلطت بدموع وانين المفجوعين بالسيد
الشهيد وارتفعت الأصوات فقام الضابط المشرف على أمن الصحن الشريف
بتصرف عوقب عليه فيما بعد حيث أمر بإغلاق أبواب الصحن الشريف عدا واحدة
فحصل إرباك لدى الزائرين وفرارهم وما إن خرج جمع الفارين إلى خارج الصحن
حتى حصل إرباك واختلال الوضع في الشوارع والأسواق المحيطة فأغلقت الأسواق
وفر الناس - الذين هم أصلاً على وجل - باتجاه خارج المدينة وكلما مر جمع
الفارين بمنطقة أو سوق أو شارع انضم هؤلاء إليهم حتى وصلت مسيرتهم على

مسافة عدة كيلو مترات وهكذا ساد الوجوم والصمت الحذر والأجواء المكهربة
ممتزجة مع مشاعر الحزن والأسى باستشهاد السيد (قدس سره) الذي علقت
الجماهير به آمالها فذهبت أدراج الرياح وانضم إليها الشعور بالندم على التقصير في
نصرته فضلاً عن معاداته والوقوف في وجهه وتشويه صورته وها هو يسقط مضرجاً
بدمائه في سبيل الدين والمذهب وأداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واجتماع هذه العوامل جعل مجلس العزاء الذي أقيم في مسجد صافي الصفا
مما قل نظيره فقد امتدت صفوف المستقبليين من المسجد إلى الصحن الشريف وهي
مسافة مئات الأمتار فضلاً عن المسجد والسراقات التي أقيمت بجانبه هذا ومدينة
النجف مطوقة بالجيش لا يستطيع أحد أن يدخل إليها إلا إذا ثبت أنه من ساكنيها
فعاشت المدينة حصاراً كاملاً لمدة تزيد على أسبوعين ومنع كل من وفد إلى النجف
لحضور المجلس بما فيهم بعض أقربائه (قدس سره) إلا الوفود الرسمية أو من حصل
على إذن خاص من الجهات المختصة.

وكان من المقرر أن يستمر المجلس عشرة أيام إلا أن السلطة قلصته إلى خمسة
ثم إلى ثلاثة مما اوجب امتعاضاً لدى ذوي الفقيه فقرروا إلغاء مجلس قراءة الفاتحة في
اليوم الثاني لكن السلطة أجبرتهم على الاستمرار باعتبار أن وفداً يمثل صداماً سيأتي
يتقدمهم نائبه لرئاسة الوزراء محمد حمزة الزبيدي فأعيد انعقاد المجلس وختم عند
غروب شمس اليوم الثالث ولم يستمر إلى الليل.

وفي أول أيام المجلس (السبت) اجتمعوا على تقديمي لإمامة الصلاة جماعة
ورفضت أولاً لعدم رغبتني في تسليط الأضواء عليّ إلا إنني استجبت لإصرارهم،
وكان الخطيب الذي ختم المجلس بمحاضرة دينية هو السيد محمد الصافي الذي ألهم
عواطف الحاضرين وكانت الجماهير تنتظر لحظة اعتلائه المنبر حتى تطلق زفراتها
وأناثها وأصواتها المرتفعة بالبكاء يحفزهم في ذلك صوته الشجي وطريقته الحزينة.

وقد سجل الدكتور علي حسن أشمري المختص بأمراض الباطنية والقلبية
مشاهداته للحظات الأخيرة من حياة السيد الشهيد (قدس سره) وولديه وهو من

مقلديه ومحبيه وعارفي فضله حيث كان من القلائل الذين حضروها فكتب المذكرة التالية:

(هذا اليوم الجمعة المصادف (١٩٩٩/٢/١٩) يوم اسود في حياة الناس في العراق وخصوصاً شيعة محمد وآله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قتلت الأيدي الأثيمة المجاهد الوطني العراقي الأمامي السيد محمد صادق الصدر وابنيه الأكبر السيد مصطفى والسيد مؤمل، وكان زميلي قد قال لي بان عليّ أن اذهب إلى المستشفى بدلاً منه لتأدية الواجب وعندما ذهبت وجدت قوات الأمن منعت الناس من دخول المستشفى عدا الأطباء ودخلت ردهة الطوارئ وقد علمت أن هناك محاولة اغتيال تعرض لها السيد الجليل زعيم الشيعة السيد محمد الصدر وقد إنصدمت عندما رأيت المنظر كان ابنه السيد مؤمل سائق والده في آخر رمق من الحياة والأطباء حوله كأنهم نخل عاجزين أن يقدموا له أي شيء بعد أن نفذت الطلقات صدره الشريف وعلى السرير الآخر كان هناك السيد مصطفى كان وجهه ازرق وكان في وعي مشوش وكان يقول يا أمي يا أمي ثم بعد حين كان يقول يا الله يا الله قلت لزملائي أين السيد الأكبر أين السيد محمد كانت الوجوه حزينة وهمس احد طلابي قائلاً البقاء في حياتك قلت غير مصدق، هل سمعتم صدره ؟ هل فحصتموه ؟ أريد أن أراه ؟

كانت قوات الأمن تحرس المكان الذي وضع فيه السيد الصدر، قلت لهم إفسحوا لي لكي أراه وافقوا على مضض ودخلت الغرفة وجدت المنظر رهيب وجه السيد محمد الصدر شاحب وخالي من الدم وعندما رفعت رأسه الشريف وجدت الطلق الناري قد دخل رأسه الشريف من الخلف استرجعت وحاولت اعتناق السيد لكن الشرطي قال لي: هل انتهيت يا دكتور وعلمت إنهم كانوا يخفون الخبر عن ولده السيد مقتدى الذي كان في باب الطوارئ لا يدري ماذا يعمل عدت إلى السيد مؤمل الذي ضعف قلبه كثيراً ولا أكاد اسمع ضربات قلبه تعمل حاول زملائي كل شيء ولكنه فارق الحياة. كنت أأمل أن السيد مصطفى حالته أحسن حيث كان تنفسه جيداً

وكان قلبه يعمل بصورة جيدة ولكن النزف أخذه وعندما رأيت ظهره كان هناك منفذ إلى أربع طلقات نارية وكان النزف مستمراً. يا الهي إن حالته غير مستقرة كان بحاجة إلى تداخل جراحي سريع ولكن بدأت حالته تتردى وفقد الوعي نهائياً وفارق الدنيا .. يا الهي ماذا اعمل، هذا أمامي وهذان ولداه قد فارقوا الدنيا، ماذا اعمل لا أستطيع أن اخبر ابنه ولا حتى احد الشيوخ الذين كانوا قريباً من عندي.

وهكذا انتهت حياة السيد الجهادية وحيث انه أقام صلاة الجمعة المعطلة وكان جريئاً في خطابته وانتقد عدة مواقف كانت تقف أمام الدين وانتقد عدة فئات من الشعب وكان يرجو صلاح هذه الفئات وانتقد المارقين عن الدين عدة انتقادات وكان آخر ما انتقده في هذه الجمعة رقم (٤٥) الغجر والذين وضعوا الغجر وجاء السهم سريعاً حيث إن الغجر لم يمهلوا السيد حتى المساء وتربصوا له ووضعوا له فخاً عندما سألت احد الحاضرين أين تم قتل السيد وأبنائه قال لي قرب مركز المدينة، ونحن النجفيون في تلك الليلة مستغربين من وجود التيار الكهربائي في المحافظة حيث إننا ومنذ شهر رمضان كان التيار الكهربائي عندنا بمعدل ساعتين في كل ٢٤ ساعة وكما إن مقتل السيد حصل في وقت قريب بعد انتهاء صلاة العشاء حيث كان السيد محمد مع ابنه السيد مؤمل والسيد مصطفى وبالتقرب من سكنهم في حي الحنانة كان القتلة المجرمون ينتظرون السيد والمكان أظلم وكان اللاسلكي يعمل ويخبر القتلة بأن السيد سيصل بعد قريب بسيارة ميتسوبيشي رصاصي وخلال دقائق صدر صوت الرشاش المدوي وخلال لحظات تجمعت سيارات الأمن الداخلي ومنعت الناس)، انتهى ما ذكره الدكتور علي الشمري.

الوصية والبديل

إن لإستشهاد السيد الصدر أثراً مهماً وبالغاً على الحركة الإسلامية في العراق، وله وقعاً في نفوس المؤمنين. وقد صنع الصدر قاعدة واسعة من الناس الذين إرتبطوا به بصفته قيادة دينية حركية ناطقة، بعد أن كان المجتمع يبحث عن ملاذ يلوذ به وصدر حنون يضمهم إليه، بعد أن وجدوا هذا الملاذ وهذا الكهف الذي آواهم وآمنهم من الخوف، سرعان ما حرمهم الطاغوت من التنعم في العيش تحت ظل هذا الطود الشامخ والمأوى الآمن بقتله هو ونجليه.

فزوال القيادة من الساحة صعب على هذه القاعدة العريضة التي تختلف مستوياتها بطبيعة الحال. إلا أن قتل القيادات شيء متوقع ومعروف على مستوى التاريخ، لكن غير المتوقع هو كيفية استمرار هذه الحركة الإسلامية التي أوقد جذوتها الصدر خلال أعوام قليلة.

كان الصدر مدركاً لأهمية وجود القاعدة الواسعة التي يمكن بها تغيير الواقع، فلا بد من وجود قيادة بديلة تستمر بعده لإنضاج المشروع الذي عمل عليه طوال سنين مرجعيته، كما انه يعلم بأن بدايته مع المجتمع لم تكن من الصفر، بل أنه بدأ من حيث إنتهى الذي كان قبله. وقد أكد هذه الفكرة في كتبه ومتبنياته في الموسوعة المهدوية، في نظرية ترابط الأجيال أو تلازمها، فيقول في مورد رد اشكال التمحيص الذي لا بد منه كشرط لتحقيق الظهور وأن المجتمع لم يحص ولم يصل إلى نتيجته النهائية : (إن هذا الكلام يتضمن جهلاً بمعنى التمحيص والاختبار، فان المراد منه ليس هو تمحيص الأفراد كأفراد خلال أعمارهم القصيرة، لكي نتوقع أن يصل كل فرد خلال حياته إلى النتائج النهائية للتمحيص.

بل المراد تمحيص الأمة أو البشرية في أمد طويل، بشكل منتج لتمحيص الأفراد، في نهاية المطاف. ويتم ذلك عن طريق ما نسميه «قانون الترابط بين الأجيال»^(١) فان كل جيل سابق يوصل ما يحمله من مستوى فكري وثقافي إلى الجيل الذي يليه. ويكون على الجيل الآخر أن يأخذ بهذا المستوى قدماً إلى الأمام. ثم انه يعطي نتائجه إلى الجيل الذي بعده وهكذا...

وكذلك الحال بالنسبة إلى نتائج التمحيص، فان كل جيل يوصل إلى الجيل الذي يليه، ما يحمله من مستوى في الإيمان والإخلاص... فيصبح الجيل الجديد، قد وصل بالتلقين إلى نفس الدرجة - تقريباً - من التمحيص التي وصلها الجيل السابق. ثم إن الجيل الآخر بدوره سيمر بتجارب وسيقوم بأعمال معينة وسيصادف ظروف الظلم والإغراء، فيتقدم في سلم التمحيص درجة أخرى، وهكذا.

وبقانون تلازم الأجيال، سيأتي على الأمة زمان، يكون الجيل الذي فيها، قد أنتج التمحيص الإلهي فيه نتيجة المطلوبة. حيث ينقسم المجتمع إلى قسمين منفصلين: إلى من فشل في التمحيص فاختر طريق الضلال محضاً. وهم الأكثر الذين يملؤون الأرض جوراً وظلماً... وإلى من نجح فيه فاختر طريق الهداية والإخلاص محضاً. وبوجود هذه المجموعة يتحقق شرط الظهور^(١).

كما وأكد هذا المعنى في كتاب آخر فيقول: (إن تمحيص الفرد وتربيته لا يعود فقط إلى الظروف التي يعيشها الفرد خلال حياته... بل يعود جزء كبير منها إلى تربية الأمة كلها متمثلة بالأجيال المتصاعدة، فكل جيل من الصالحين يوصل نتيجة التمحيص إلى درجة معينة ويورثها إلى الجيل الذي يليه ليمشي بها خطوة أخرى... وبقانون «تلازم الأجيال» يبقى التمحيص ساري المفعول على مجموع

(١) محمد الصدر، الغيبة الكبرى، ص ٢٥٣-٢٥٤.

وهذا يعني ان لا انقطاع بين الأجيال ولم تتخلله فترة فراغ للوصول إلى الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق. والمعنى الآخر إن المجتمع وكذلك الفرد لا بد عليه أن يسير ضمن سلسلة مترابطة بشكل مستقيم لا تفرع فيها، وان تكون الحلقات متجانسة لا متباينة. وأوضح مثال يمكننا أن نضربه هو سلسلة الأئمة المعصومين (ع)، فان الذي يوالي أحدا لم ينضم إلى السلسلة الطاهرة وان كانوا من نسبهم الشريف فانه قد ابتعد عن التمسك بالعروة الوثقى، ويخرج عن عنوان المذهب. ولذا فيوجد الزيدية والإسماعيلية والفضحية وغيرهم لكن الذي نجح بالاختبار هو من كان اثني عشرياً، أي انه عرف السلسلة المترابطة وشخص السنخية في ما بينها.

ومن الملفت أن الصدر كان يطبق على الواقع ما يسطره في كتبه، ويمكننا القول إن الذي يريد معرفة وفهم بعض تصرفاته العملية لابد له أن يطلع على كتبه ليفهم المراد. وللأسف يوجد الكثير من يدعي الوصل به اليوم وهو بعيد كل البعد عنه واقعا؛ والسبب هو عدم الاطلاع على آثاره وبالتالي لم يفهموا ولن يفقهوا منه شيئاً إلا الاسم.

ترك الصدر من بعده هذه القاعدة الكبيرة، إلا أن الحاكم الظالم متسلط على رقابهم، فكيف سيشير إلى القيادة البديلة التي ستخلفه؟.

فمن الطبيعي جدا على وفق هذا الظرف العصيب الذي تواجهه الحركة الإسلامية "الحركية" أن يكون هناك شيء من اللحن في القول والرمزية في التعامل، وهذا ما لا يستطيع الجميع فهمه؛ وذلك لاختلاف المستويات في القاعدة، ووجود من يبحث عن المصلحة الدنيوية في الفسحة التي تركها القيادة لإيهام الظالمين. والقيادة البديلة

(١) محمد الصدر، تاريخ ما بعد الظهور، ص ٢٩٢.

ستواجه مصاعب عديدة لتتمكن من قيادة الحركة الإسلامية، أولها عدم التمكن من التصريح بضرورة إتباعها، لعدم زوال المانع وهو الظالم.

وخير مثال على هذا القول هو ما مرت به الحركة الإسلامية بعد استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام).

إن الإمام الصادق (عليه السلام) كان يعيش تقية مكثفة إبان الحكم العباسي وخاصة عند استلام المنصور مقاليد الحكم. وبالرغم من التقية المكثفة التي كان يعيشها (عليه السلام) غير أنه مكلف بتعيين القيادة من بعده.

فاستخدم (عليه السلام) نمطين من النص، نص للتمويه على الظلمة، ونص خاص جداً وفي نطاق ضيق. ونحن نعلم بما أراد أن يقوم به المنصور العباسي عندما قال لواليه على المدينة (انظر لمن أوصى جعفر بن محمد الصادق واضرب عنقه). فكان النص الموضوع للتمويه حاضراً وكانت وصيته (عليه السلام) لم تقتصر على شخص ومن ضمنهم المنصور نفسه ومن ثم تشتت أفكاره، ونجى الإمام وهو موسى (عليه السلام) من أيدي الظالمين.

فعاشت الشيعة حينها فترة من الحيرة : (ويبدو من وصية الإمام الصادق (ع) لهؤلاء الخمسة انه كان يقدر حراجة الموقف ويخاف على خليفته من أولئك الطغاة فصاغ وصيته على هذا النحو واخبر ثقات أصحابه بخليفته الشرعي وأوصاهم بالتكتم حتى عن عامة الشيعة ريثما يتهيأ الجو المناسب)^(١).

واستقبل الإمام الكاظم (عليه السلام) مرجعيته في هذا الجو المحفوف بالمخاطر هو وخلص شيعته، وكانت عيون المنصور تراقبهم وتحصي عليهم أنفاسهم ، والباقون

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، ج ٢، ص ٣٠٢.

من الشيعة حيارى لا يدرون لمن يرجعون. ولعل رجوع من رجع منهم إلى عبد الله الافطح وإلى غيره كان السبب المباشر له عدم إعلان الإمام الصادق (عليه السلام) عن خليفته الشرعي لعامة الشيعة وتكتّم الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) إلا عن عدد محدود من خاصة أصحابه.

والذي يؤكد هذا المعنى ما جاء في رواية هشام بن سالم قال (كنا في المدينة بعد وفاة أبي عبد الله (ع) أنا ومحمد بن النعمان صاحب الطاق والناس مجتمعون على عبد الله بن جعفر على أنه صاحب الأمر بعد أبيه فدخلنا عليه والناس عنده فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ فقال في مائتي درهم خمسة دراهم فقلنا له ففي مائة؟ قال درهمان ونصف قلنا والله ما تقول المرجئة هذا قال والله ما أدري ما تقول المرجئة.

ومضى يقول : فخرجنا من مجلسه ضلّالاً لا ندري إلى أين نتوجه وإلى من نقصد، فبينما نحن كذلك وإذا برجل شيخ لا أعرفه يومي إلي بيده فخفت أن يكون عينا من عيون أبي جعفر المنصور، وقد كان له بالمدينة جواسيس يتحرون له من يجتمع الناس عليه بعد جعفر بن محمد (ع) ليأخذه ويضرب عنقه، فخفت أن يكون منهم ولت للأحوال تنح فاني أخاف على نفسي و عليك وهو لا يريد سواي، فتنحى عني الأحوال عني بعيداً وتبعت الشيخ لظني بأنني لا أقدر على التخلص منه، فما زلت أسير معه وفي ظني أنني أسير إلى الموت حتى ورد على باب أبي الحسن (ع) ثم تركني ومضى، فإذا خادم بالباب فقال لي: أدخل رحمك الله، فدخلت، فإذا أبو الحسن (ع) فقال لي ابتداء منه: إلي لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية، ولا إلى المعتزلة، ولا إلى الزيدية. فقلت له: جعلت فداك مضى أبوك. فقال نعم. قلت: مضى موتاً؟ قال نعم. جعلت فداك فمن لنا من بعده؟ قال هداك الله إلى ما تريد. قلت: جعلت فداك أن عبد الله أخاك يزعم أنه الإمام بعد أبيه. فقال: إن أخي عبد الله يريد أن لا يعبد الله. فقلت: جعلت فداك فمن بعد أبيك؟ فقال إن شاء الله أن يهديك هداك. قلت: جعلت فداك فأنت هو؟ قال: لا أقول ذلك. فقلت في نفسي لم اصب طريق المسألة،

قلت له عليك إمام ؟ قال لا . فدخلني منه شيء لا يعلمه إلا الله أعظاما و هيبة . ثم قلت له : جعلت فداك أسألك كما كنت أسأل أباك ؟ قال : تخير ولا تدع فان أذعت فهو الذبح . فسألته فإذا بحر لا ينزف ، ثم قلت له : أن شيعة أبيك ضلال فألقي إليهم هذا الأمر وادعهم إليك ، فقد أخذت علي الكتمان ؟ قال : من أنست منهم رشدا فألق أليه وخذ عليه الكتمان ، فان أذاع فهو الذبح وأشار بيده إلى حلقه . ولما خرجت من عنده لقيت أبا جعفر الأحول فقال لي ما ورائك ؟ قلت الهدى ، وحدثه بما جرى معي ، ثم التقينا زرارة وأبا بصير فدخلا عليه وسمعا كلامه وسألاه وقطعا عليه^(١) .

لاحظ كيف أن القاعدة ظلت محتارة في من القيادة ، ولم يقتصر الأمر على عامة المؤمنين بل انك قرأت الأسماء التي مرت عليك وهم من خيرة صحابة الإمام الصادق (عليه السلام) ولم يكونوا يعلمون من هو الحجة من بعده . وما هذه الحيرة التي مرت بها القاعدة إلا لوجود الظالم ، والحفاظ على الحجة من القتل من المسائل المهمة .

لم يستطع الإمام الكاظم (عليه السلام) أن يصرح بإمامته بعد أبيه في بادئ الأمر لان المانع الذي دفع بالصادق (عليه السلام) لاتخاذ أكثر من شخص يوصي إليهم ما زال موجوداً .

لعل بعضهم يقول ان الصادق (عليه السلام) أشار إلى موسى (عليه السلام) في أكثر من موقف بأنه الحجة بعده ، فلماذا وقعت الحيرة ؟ .

صحيح إن الإمام الصادق (عليه السلام) قد أشار ولمح في كثير من المواقف ، إلا أن الآخرين لم يتمكنوا من فهم هذه الإشارات لوجود الأصوات العالية الكثيرة وتعدد

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ .

الجزئيات التي جعلتهم يغفلون عنها.

ولو دققنا النظر في هذا الرجل الغريب الذي دلَّ هشام بن سالم على الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) لوجدناه رجلاً من أهل الكوفة^(١) وهو بعيد عن أنظار الظالمين وهو لم يكن مراقباً؛ لأنه لم يكن محسوباً على صحابة الإمام الصادق (عليه السلام)، إلا أنه مؤتمن على سر من الأسرار المهمة التي لها الدور الأساسي في اهتداء جلِّ صحابة الإمام الصادق (عليه السلام) للحجة من بعده.

فعل الصدر كما فعل الإمام الصادق (عليه السلام) في وصيته كي يحافظ على البديل الذي سيخلفه لقيادة الحركة الإسلامية، وبدونه لا تكون الحركة الإسلامية ذات فائدة مهما توسعت دائرتها.

فكانت له وصيتان، واحدة منها ظاهرية، كلُّ يعلم بها وقد كان قاصداً لها، وعلى رأس الذين علموا بها هم أجهزة النظام الطاغوي، فليس من المعقول أن يكون الصدر بهذه السذاجة حتى يمكن الحكومة الطاغية من القضاء على الحركة الإسلامية التي ضحى بكل ما يملك من أجل إحيائها بالإشارة بهذا الوضوح للقيادة البديلة. فأعلن في اللقاء الصحفي الرابع بالوصية الأولى الظاهرية: (من ناحية التقليد أنا اعتقد أن الأعلام على الإطلاق بعد زوالي عن الساحة جناب آية الله العظمى السيد كاظم الحائري الشيرازي، ولكنه حسب فهمي انه لا يتسنى له النظر في أمور الشعب العراقي، لأنه غير موجود هنا ولا اعتقد انه يتيسر له الرجوع إلى العراق، فمن هذه الناحية يحتاج الشعب العراقي لو صح التعبير إلى قيادة لا تمثل التقليد يقلدون شخصاً ويأتمرون بأمر شخص آخر بعنوان الوكالة أو بأي عنوان لكي يرتبهم، الشيعة والحوزة لا تكون بدون ترتيب وإذا لم ترتب تقع بأيدي ناس ليسوا لهم أكفاء

(١) يمكن مراجعة كتاب الإمامة والتبصرة، لابن بابويه أُلقي، ص ٦٧ وما بعدها.

ماكرين وطلاب دنيا بشكل من الأشكال، على أية حال فتوخيا لدفع أمثال هذه النتائج المؤسفة والمزعجة ينبغي إيجاد قيادة دينية في داخل الحوزة، لأجل التفاف الناس حولها واستفادة الناس منها، فإن الله تعالى - يعني - مد في عمري لو صح التعبير وبقيت عدة سنوات أخرى فيوجد بالتأكيد هناك من طلابي ومن أتوخي منهم الإخلاص والتعب على نفسه والاجتهاد يحصل هناك عدة مجتهدين بعون الله سبحانه وتعالى، جملة منهم نستطيع أن نقول طيب القلب وخبير وورع ونحو ذلك قابل لان تحول عليه القيادة الحوزوية ولربما في ذلك الحين يكون هو الأعلّم نحن لا نعلم بالمستقبل من الذي يكون اعلم أنا قلت أن جناب السيد كاظم الآن هو الأعلّم له باب وجواب، أما في حينه لعله سيكون بعض طلابي هو الأعلّم ليس مجتهدا فقط بل الأعلّم، فحينئذ يجب الرجوع إليه تقليدا وقيادة لو صح التعبير وانتهى الحال، لكن إذا صادف والله العالم بما يقضي ويقدر أنني زلت عن الساحة بزمن سريع الله العالم كما قتل هذان الشهيدان ربما انه أكون ثالثهما كما يقول المثل (ما ثني إلا وثلاث) على أية حال محل الشاهد ليس هذا، فحينئذ نحتاج إلى قيادة توجيهية طبعاً غير سياسية أكيدا، حوزوية ودينية لأجل المجتمع في حدود الفراغ المرجعي الموجود في العراق أنا نصحت وان كان إلى الآن لم تفحص المسألة بدقة، ولكنني أجد أن أطيّب المجتهدين قلبا من الموجودين هو الشيخ محمد إسحاق الفياض بالرغم من انه منزوي وبالرغم من انه يمثل الطريقة القديمة بالمرجعية، ولكنني ابحت عن طيب القلب وعن المنصف وعن المتورع وهو من هذه الناحية جيد بشكل معتد به..... وأقول حتى لو كره ذلك انتم التفوا حوله خير من أن تلتفوا حول غيره بطبيعة الحال، ربما الالتفاف حول غيره يؤدي إلى نتائج وخيمة وصرف المال في فيافي بني سعد كما يقولون، لكنه لا بالنسبة إلى شخص متورع بمقدار ما يعني، جيد نستطيع أن نقول ليس أكثر من ذلك هو يفي بالحاجة على أية حال).^(١)

(١) لقاء مسجل مع ائمة الجمعة في انحاء العراق بتاريخ ١٩٩٨/٩/٢١.

والملاحظ أنها وصية يراد بها تضليل السلطة والمتربصين عن الوصية الحقيقية؛ لأن السيد الصدر يجزم بعدم تحقق كلا الأمرين سواء رجوع الحائري للعراق أو تصدي الفياض.

مؤكد أن السيد الصدر حينما كان متيقناً أنه سيرحل قبل تحقيق الأهداف التي ينشدها، فعليه أن يوضح شكل القيادة أو المرجعية التي ستخلفه، ولكنه أخذ بنظر الاعتبار الاختلاف في الظروف التي سيواجهها المرجع القادم، وأيضاً كانت لدى الصدر مواصفات خاصة بالقيادة والمرجعية، منها :

- أن لا يكون منتمياً لما كان يسميها بالحوزة التقليدية، التي تهتم أولاً وبالذات بأربعة أمور كما سمعنا منه مراراً "الدرس، والاستخارة، وقبض الحقوق، وصلاة الجماعة" لا غير، وهذا الاتجاه شئ عليه الصدر حرباً امتدت سنوات حياته كمرجع.

- أن يكون من النجف وفي النجف، إذ كان يرفض أن يأتي شخص مجهول لا يعرف عنه وعن تاريخه وعن توجهاته أي شيء، ويتسنى منصب المرجعية، وقد قال السيد الصدر ذلك صراحة في اجتماعه الأول مع أئمة الجمعة بتاريخ ٢١ / ٩ / ١٩٩٨ : ((الجمعة «أي صلاة الجمعة» بالرغم من أهميتها لكن الدراسة أهم، لأن فيها مستقبل الحوزة ومستقبل الشيعة ومستقبل المجتمع، إنما أنا استهدفت إيجاد المراجع للمستقبل، وإلا يبقى المجتمع وتبقى الحوزة بدون مجتهد، فلربما تسلط علينا غيرنا بعنوان أن الأعلام في إيران أو في الهند أو في باكستان أو في الخليج، لا، فليكن الأعلام في النجف وليس في غيرها. ... كثيرون يقولون بأنه بعد السيد محمد الصدر أين نولي وجوهنا، أقول لهم: إلى الآن لا يوجد شيء، إلى الآن أي تخطيط لا يوجد، إنما نحتاج إلى بقية الحياة، لعدة سنوات، ربما خمسة أو إلى عشرة سنوات يوجد هناك أكثر من مجتهد، خمسة، ستة، عشرة، حينئذ في ذمة المجتمع وفي ذمة الحوزة تعيين أعلمهم من هذه الناحية، وتعيين أخلصهم من ناحية أخرى، قلّدوا أخلصهم كائناً من كان)).

وإصرار السيد الصدر على كونه في النجف ليس سكتاً فحسب، إذ كان يأخذ بنظر الاعتبار الجانب العلمي والجانب الروحي، فكل المرجعيات المعتمدة في العالم الشيعي أخذت اعتبارها وأهميتها لكونها أخذت علومها من النجف، وهذا يشمل كافة المدارس، وفي الحقيقة هما مدرستان في العصر الحديث، مدرسة السيد الخوئي، ومدرسة السيد محمد باقر الصدر، وهو يرفض تماماً أية مرجعية لم تتلق علومها من مدرسة السيد محمد باقر الصدر، بشكل مباشر، أو عن طريقه هو، وذلك لأنه اعتبر نفسه المرجعية المكتملة لمنهج وطريق الصدر الأول، مع احتفاظه بحق التفكير والمنهج الخاص الشخصي، فالصدر الثاني بالرغم من اختلافه مع أستاذه في عدة موارد نظرية وعملية، إلا أنه يسير في نفس الاتجاه، أي الخوض والتعامل مع كافة مشاكل المجتمع على الأصعدة الفقهية والاجتماعية والسياسية وغيرها وهو ما أسماه (المرجعية الناطقة).

- أن يكون مصداقاً لـ (المرجعية الموضوعية) التي تبدأ من حيث انتهت المرجعية السابقة، وليس أن تبدأ من الصفر^(١).

- كان الصدر يعتبر سيرة أئمة أهل البيت هو المنهج المثالي بل المنهج الوحيد الواجب إتباعه، وعلى رأس هذا التوجه هو عدم إيمانه بالعمل المسلح لمواجهة الحكومات الظالمة (بشكل أساسي ودائم)، بل يعتبر العمل الأساس والفعل هو هداية المجتمع، ناهيك عما نظر له في كتابه (اليوم الموعود) والذي ارتكز فيه على (التخطيط الإلهي) وتطبيق الموارد القرآنية، التي من أهمها (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، وقد يجيب أصحاب التوجه المسلح أن المقاومة المسلحة هو أهم عناصر التغيير، فوجب أن المقاومة متى ما كانت بعد وصول المجتمع إلى المستوى الذي يعرفون لأي شيء يضحون، وليس مجرد الوصول للسلطة، وسيرة أئمة البيت هي الهداية

(١) لقاء صحفي مسجل.

والتوعية لهدف أعلى من مجرد استلام السلطة، ونموذجا الإمام الصادق والإمام الرضا (عليهما السلام) أوضح المصاديق في ذلك، فهما كانا يدركان من ناحية الفشل الذي سيحقيق بالثورة المسلحة أو الوصول المؤقت للسلطة، وماذا بعد ذلك؟، لا شيء غير النكوص وردة الفعل الاجتماعية تجاه الإسلام بعد الفشل في قدرة الجماهير على استيعاب الأهداف الإسلامية، أو فشل أدوات القيادة في التمحيص، وليس نموذج تولي أمير المؤمنين (عليه السلام) آخر ما يمكن الاستدلال به، فهو قد أعطى الناس ما يريدون عندما انثالوا عليه لمبايعته، وحذرهم بقوله (أنا لكم وزير خير لكم مني أمير) فأبوا عليه، وعندما عمل فيهم بما يعلمه نكصوا وتفرقوا حتى تسلط عليهم أراذل هذه الأمة.

أما الصدر فهو يؤمن بالتقية وفق ما ذكرناه سابقاً، بأن التقية لا تجوز مخالفتها، ولكن يجب أن نقيم ميزاناً لمعرفة الموارد التي تتفق مع مورد التقية، فليس كل أذى مهما صغر حجمه مما يمكن اعتباره مخالفاً للتقية، ولكن ليس أكثر من ذلك إلا إذا توقف الحفاظ على بيضة الإسلام على التضحية بالنفس وغيرها مما أكدت الشريعة على ضرورة الحفاظ عليها، وفي نفس الاتجاه كان يرفض المنهج المسلح الذي سارت عليه المعارضة الإسلامية، إذ لاحظنا سابقاً العنف والقسوة في التعامل مع الجنود العراقيين حتى في حالات السلم من قبل بعض القيادات والمرجعيات التي تتبنى العمل المسلح^(١)، بل شمل القتل والنهب حتى أصحاب المهن المدنية والمستشفيات والمدارس ومخازن الغذاء والدواء، والمكرهين على بعض الأعمال كسائقي السيارات الذين يسخرون للعمل لبعض شؤون الحكومة في ذلك الوقت، كما رأينا بشكل جلي. ولكن السيد الصدر تبنى منهج التغيير والاحتواء لكل هذه الاتجاهات، فخطابه الذي شمل موظفي الدولة وكافة التوجهات الاجتماعية وحتى العجزة، لا يتناغم مع

(١) ذكرنا سابقاً فتاوى السيد كاظم الحائري التي تنتمي إلى هذا الاتجاه الثوري الحماسي.

التوجهات المسلحة بأية صورة، ، ونستذكر هنا مرة أخرى مقولته المهمة في هذا الصدد : ((إن الأصوب والأحجى لكل جيل هو أن ينظر إلى تكليفه الشرعي أمام الله سبحانه هل هو التضحية أو التقية. ولا شك أن التكليف الغالب في عصورنا هذه عصور الغيبة الكبرى هو التقية وليس التضحية لمدى تألب الأعداء وترصدهم في العالم ضدنا من كل صوب وحذب. بدون وجود طاقة فعلية عند ذوي الإخلاص لمقابلتهم ومضادتهم. ومن تخيل فيه هذه القابلية، فهو متوهم سوف يثبت له الدهر - أعني بالتجربة - وهمه. والأفضل له العمل بالتكليف الفعلي وهو التقية المنتجة لحفظ أهل الحق من الهلاك المحقق في أي نقطة من نقاط هذا العالم المعروف))^(١).

((والمرجع الجديد وإن لم يكن متفقاً مع السيد محمد الصدر بكل التفاصيل، إلا أن المهم فيه هو الاتجاه نحو العدالة الاجتماعية، وإنصاف الناس من نفسه، كما قيل في الحكمة "قل الحق ولو على نفسك" وإدراك المصالح العامة، فإن وجدتموه شخصاً من هذا القبيل فتمسكوا به، وإلا فدعوه إلى غيره، فإن الأثانية في المرجعية هي العنصر الغالب - مع الأسف - جيلاً بعد جيل، وهذا هو المضر حقيقة في الحوزة خاصة، وفي المجتمع عامة، فاتبعوا شخصاً من المجتهدين ليس له مثل هذا الطبع، بل له اتجاه التضحية في سبيل الآخرين، وبذل النفس والنفيس في سبيل دينه ومذهبه))^(٢).

فهذه المواصفات لم تنطبق لا على الفياض الذي يعد من المدرسة الكلاسيكية، ولا على السيد الحائري للاختلاف الواضح بين ما يتبناه من تكليف في حمل السلاح، وبين ما أكد عليه السيد الصدر كما مر علينا. وبذلك يتأكد أن وصيته هذه مرادها تضليل الظالمين عن القيادة الحقيقية.

(١) الصدر، محمد، أضواء على ثورة الإمام الحسين (ع) ص ١٠٠.

(٢) خطبة الجمعة ٢٧ بتاريخ ٢٤ جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩/٩/١٩٩٨ م.

والوصية الثانية التي اقتصرت معرفتها على القلة القليلة، فهي في مقام الوصية الباطنية، لأن الصدر لم يرد لها الظهور إلا بعد أن يكون البديل الحقيقي مطمئناً على إمكانية الإعلان ولم يكن الظالم مطلق اليد. فقال الصدر في لقائه الأخير لقاء الجامعة بتاريخ الخامس من جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ :

(والآن أستطيع أن أقول إن المرشح الوحيد من حوزتنا هو جناب الشيخ محمد موسى اليعقوبي إذا كان الله تعالى أمد لي في العمر إلى وقت شُهدَ باجتهاده فانا لا أعدو عنه هو الذي ينبغي أن يمسك الحوزة بعدي).^(١)

إلا أن الظرف كان صعباً جداً على القيادة البديلة؛ لأن جهات المواجهة متعددة، وعليها أن تعمل بسكون وهدوء وعدم إثارة الآخرين - أعني تعمل دون الحديث

(١) لقاء السيد الصدر بطلبة الجامعة المرحلة الأولى والثانية، وقد حضر هذا اللقاء وشهد وصية السيد الصدر كل من:

السيد مصطفى الصدر (رحمه الله)، السيد مؤمل الصدر (رحمه الله)، السيد مقتدى الصدر، الشيخ اسعد الناصري، السيد عقيل الموسوي، الشيخ محمد النعماني (رحمه الله)، ومن المرحلة الأولى من طلبة جامعة الصدر الدينية: السيد ياسر محمد حمادي الياسري (الديوانية)، الشيخ علي كاظم علي الخفاجي (الناصرية)، السيد جعفر حسن عبد الصاحب الموالي (الحلة)، السيد عواد قاسم رسن الماجدي (بغداد)، الشيخ أسامة سلمان مجيد البياتي (موصل)، الشيخ احمد جاسم محمد العامري (بغداد)، الشيخ حيدر مسلم جبر الحمداني (بغداد)، الشيخ ماجد محمد خلف الحارثي (بغداد)، الشيخ زياد خلف ناشور العبودي (بغداد)، الشيخ علي بنيت دشر المحمداوي (بغداد)، الشيخ وسام حنون جعفر الكعبي (بغداد)، الشيخ حيدر صالح مهدي الجليحاي (رحمه الله) (كربلاء)، الشيخ صلاح جاسم محمد العبيدي (بغداد)، ومن طلبة المرحلة الثانية: الشيخ علي خليفة جابر (بصرة)، الشيخ ميثم طالب كاظم الفريجي (بصرة)، الشيخ عادل مطر الساعدي (بغداد)، الشيخ علي كاظم عبد العامري (بغداد)، الشيخ ظافر محمد باقر الجصاني (نجف)، السيد نادر ياسر الياسري (سماوة)، الشيخ رعد هاشم عطوان الربيعي (بصرة)، السيد احمد جبار علي الياسري (سماوة)، الشيخ احمد مهدي حميد جندلة (ديوانية)، الشيخ عبد الأمير فالح حسين الزيداوي (بغداد)، الشيخ علي ناهي جبار البحراني (بغداد)... (ملحق رقم (١) وثيقة رقم (٤) صورة.

عن أحقيتها بالقيادة - وهذه الطريقة بالعمل تجعل الآخرين يتوهمون بقيادتهم، وتتيح الفرصة لبعضهم أن يدعي ما ليس له.

يمكن القول إن الوصية بالقيادة وإلزام المجتمع بإتباعها ليس في المرجعية وإنما في الأئمة المعصومين (عليهم السلام) فلم هذا التركيز على ما أوصى به الصدر وضرورة إتباع من أوصى به؟.

قلنا : إن المنطلق في فكرة تربية البديل وضرورة استخلافه في الأمة ليس من نسج الخيال، وإنما هو مبدأ أسسه الأئمة المعصومون (عليهم السلام) وعلى رأسهم الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه واله) وذلك لحفظ الكيان الإسلامي من السقوط بيد من وصفهم كما رأينا : (الشيعة والحوزة لا تكون بدون ترتيب وإذا لم ترتب تقع بأيدي ناس ليسوا لهم أكفاء ماكرين وطلاب دنيا بشكل من الأشكال).

وعن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، قال سمعته يقول : إن الأرض لا تخلو إلا وفيها عالم كلما زاد المؤمنون شيئاً ردهم ، وإن نقصوا شيئاً تمه لهم^(١).

عن فضالة عن شعيب عن أبي حمزة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : لن تبقى الأرض إلا وفيها رجل منا يعرف الحق فإذا زاد الناس فيه قال قد زادوا، وإذا نقصوا منه قال : قد نقصوا، وإذا جاؤوا به صدقهم ولو لم يكن كذلك لم يعرف الحق من الباطل^(٢).

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إن الله لم يدع الأرض إلا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان في الأرض فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردهم، وإذا نقصوا

(١) بصائر الدرجات، ص ٣٥١.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

أكمله لهم فقال خذوه كاملاً، ولولا ذلك لالتبس على المؤمنين أمرهم ولم يفرقوا بين الحق والباطل.^(١)

هذه الروايات تنطبق على المعصومين (عليهم السلام) وكذلك تنطبق على المرجعية الرشيدة المخلصة في زمن الغيبة؛ لأنها هي القيمة على المشروع الإسلامي في هذه المدة. ومن أهم وظائف المرجعية الرسالية إعداد البديل الذي يستمر في إيصال المجتمع إلى درجات أعلى في سلم الكمال؛ لأنها تؤمن في أنها استمرار للمعصومين (عليهم السلام) في القيمومة على المشروع الإسلامي.

وبما أن المعصومين (عليهم السلام) أوجبوا إيجاد من يكمل الطريق بعدهم فهو حجة على من يأتي بعدهم.

وقد قال بعض الفلاسفة بضرورة وجود من يستمر بقيادة المشروع بعد غياب القيادة الأصلية وضرورة توافر شروط معينة فيه

يقول ابن سينا في كتاب الشفاء (يجب على واضع السنة أن يأمر بإطاعة خليفته وتعيين الخليفة أما أن يكون من قبله أو بإجماع أهل السابقة على تولية من اثبت للناس علانية انه صاحب سياسة مستقلة وعقل راجح وأخلاق شريفة كالشجاعة والعفة وحسن التدبير وانه اعلم الناس بأحكام الشريعة ولا احد اعلم منه واثبات هذه الصفات بالشخص المختار يجب أن يكون واضحاً وعلنياً ومقبولاً من الجمهور ومتفقاً عليه وإذا وقع اختلاف وتنازع بينهم بعلّة انقيادهم للهوى والهوس واختاروا آخر لا يستحق الخلافة ولا يليق بها فقد كفروا بالله عز وجل وتعيين الخليفة بالتنصيب أفضل لأنه يبعد النزاع والخلاف)^(٢).

(١) المصدر نفسه .

(٢) حسين بن عبد الله (ابن سينا)، الشفاء (الإلهيات)، نقلا عن المنهاج عدد ٢٥ السنة السابعة.

ويقول الفارابي في هذا الحقل نفسه في المدينة الفاضلة (رئيس المدينة الفاضلة هو أما الرئيس الأول أو الرئيس الثاني أما الرئيس الأول فهو الذي يوحى إليه وهو الذي يضع القوانين وينظم الأحكام و الشرائع والسنن التي شرعها هذا الرئيس وأمثاله تقرر وتنفذ. ولكن المدينة لا يتيسر لها دائماً مثل هذا الرئيس إذ (لا يوجد من فطر على هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والأقل من الناس) فإذا اتفق أن فقد مثل هذا الرئيس في وقت من الأوقات فالرئيس الثاني يخلفه يجب أن يتمتع بكثير من الصفات وان يكون عالماً بالشرائع والقوانين والأساليب التي شرعها الرئيس الأول حافظاً لها وان يكون حكيماً ذا عقل وقوة استنباط كما ينبغي أن يعرف ويستنبط أحكاماً من الأمور المستحدثة التي تطرأ بمرور الزمان ولم يواجهها السابقون مثلها قاصداً في ذلك صلاح المدينة ومصلحته.^(١)

إذن فلا بد من وجود من يكمل المسيرة ويحمل أعباء الرسالة.

(١) الفارابي أبو نصر، آراء أهل المدينة الفاضلة، نقلا عن المنهاج عدد ٢٥ السنة السابعة.

مشهد الحركة الإسلامية بعد الاستشهاد

بعد استشهاد السيد الصدر أراد أتباعه أن ينفذوا وصيته في من يتبعون - وبطبيعة الحال فإنهم اتبعوا الوصية العلنية - وهي التوجه إلى الفياض. وقد ذهب إليه بعض العاملين في مكتب السيد الصدر ليعرضوا عليه إعطائهم إجازة لقبض الحقوق الشرعية، ولمواصلة العمل تحت ظل مرجع يقود الجموع الغفيرة التي خلفها الصدر.

ومن المعلوم أن المكاتب التابعة للمرجعيات والوكالات والإجازات وغيرها كلها تسقط بموت المرجع (المأذون والوكيل عن المجتهد ينعزل بموت المجتهد سواء كان وكيلاً عاماً أم خاصاً كالتوكيل في بعض الأوقاف أو في أموال القاصرين)^(١).

وبما أن الفياض ينتمي إلى المدرسة الكلاسيكية فإنه غير قادر على مجاراة القاعدة التي كانت تأتمر بقيادة الصدر، وقد أعطى الوكالة للمكتب لقبض الحقوق الشرعية، إلا أنه وبنفس اليوم قد قام بسحبها. هذا ما قاله مكتب السيد الصدر بعد سنين.^(٢)

إلا أن الحقيقة غير ذلك، لأن الوكالة لا تعطى بعنوان براني أو مكتب، بل لا بد من إعطائها لشخص بعينه معروف وتحدد صلاحياته وفق الوكالة التي يعطيها المرجع.

كل ما حصل هو أن أموالاً كانت متبقية في عهدة الصدر قبل استشهادها، وبعد أن استشهاد احتيج في صرفها إلى إذن المرجع الحي الذي أوصى الصدر بإتباعه (ظاهراً)، وفعلاً أذن الفياض بصرف هذه الأموال بحسب الموارد التي كان يصرفها بها الصدر قبل استشهادها.

(١) محمد الصدر، منهج الصالحين، مسألة ٢٨.

(٢) الخطبة الموحدة رقم ١٤٣١، ملحق رقم (١) وثيقة رقم (٥).

لكن الشيخ يعقوبي أدرك صعوبة استمرار العمل مع كيان اسمه (مكتب الصدر) وهذا المكتب يقوم باستلام الحقوق الشرعية والتصرف بها، إلا إذا كان ضمن الأسلوب الصحيح الذي سارت عليه الحوزة منذ الزمان القديم، مع الأخذ بنظر الاعتبار عدم قدرة الشيخ يعقوبي على العمل بصفته مجتهداً، فهو لم يعلن بعد عن اجتهاده.

وقد أعطى الفياض وكالة شفعية للشيخ يعقوبي لقبض الحقوق والتصرف بها وتمشية أمور مكتب الصدر، وبهذه الطريقة خلّص الشيخ يعقوبي مكتب الصدر من الإندراس، سواء أمام الحكومة، أو أمام الحوزة العلمية؛ لأنها لم تكن لتترك هذا الوجود يستمر لولا الطريقة التي اتبعها الشيخ يعقوبي.

وقد لجأ بعض من كان يقلد الصدر إلى الفياض ظناً منهم بأنه سيستمر في المشروع الذي سار عليه الصدر، لكن الفياض لم يغير من مسيرته التي سار عليها منذ سنين وهو إتباع طريق التقليدية وعدم التصدي للمسائل الاجتماعية التي كان يتصدى لها الصدر. وقد ترك الكثير منهم الفياض ولجأوا للشيخ يعقوبي لأنهم وجدوه يمثل الصدر في فكره وتحركه وقيادته للمجتمع. مع ان الشيخ يعقوبي أسهم بشكل كبير في تأسيس مرجعية الشيخ الفياض، على الرغم من عدم تغيير مساره.

موقف السيد حسين بحر العلوم

من المرجعيات الدينية التي كان لها دور أفضل من المرجعيات الأخرى في دعم المسيرة لأتباع الصدر بعد استشهاد هو حسين بحر العلوم، وذلك من خلال إصداره بيان لمصلي الجمعة وأئمتها، وكان يحاول من خلاله تهدئة الأوضاع في المحافظات العراقية التي كانت تقام بها هذه الصلوات، جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين. أوجه نصيحتي ورجائي - أولاً - إلى أبنائي البررة من أفاضل الحوزة الشريفة أئمة المساجد الذين كانوا - ولا زالوا - يقيمون صلاة الجمعة والجماعة بالمؤمنين في - كل أنحاء القطر من عراقنا الحبيب - أعانه الله من فتن الخارج والداخل - أنصحكم وأرجو منكم وأدعوكم - يا أبنائي - أن تستمروا - كما كنتم - في القيام بأداء صلاة الجمعة تلك الفريضة المقدسة في الإسلام، وان تؤدوها بنحو هادئ يطمئن، بعيداً عن الإثارات الفضولية، والحساسات الجانية - بما لهذه الكلمة من مفهوم شامل - من خلال خطبتي الجمعة. ومغزاها الديني والاجتماعي والتربوي. وأدعوكم - برجاء - إلى نشر الهدوء والطمأنينة والدعة في نفوس المصلين المؤمنين..... في الخطبتين إلى حث الناس على الالتزام بتقوى الله، والصالح والإصلاح والوعظ والرشاد والتوعية إلى ما يحث إلى الخلق الإسلامي الرفيع وإلى التمسك بكتاب الله وسنة نبيه، وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام)..... التآلف والتوادر في قلوب الأمة الإسلامية، وتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد بين أبناء الشعب الواحد، والأخذ بأيديهم وتوعيتهم إلى ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم من دون تعرض إلى الإحراجات الجانية،.... المثيرة إلى الحساسية - من قرب ومن بعد - التي لا تؤول من قبل الأعداء المتربصين - إلا إلى النتائج الوخيمة والخصال السيئة، وفي ... المسلمين ... ذلك التأويل والتحريف و.... النبي (ص) وأهل بيته المعصومين - عليهم السلام - كما أوجه نصيحتي ورجائي - ثانياً - إلى أبنائي المؤمنين الملتزمين بأداء صلاة الجمعة والجماعة في عامة أنحاء القطر الحبيب الذين يحرصون على استمرارية هذه الفريضة المقدسة، أن يخلدوا إلى الهدوء والسكينة، والدعة والطمأنينة، والاتجاه إلى الله في أداء فرائضه والاستعاذة به من هفوات الشياطين وعدم تشويش الآفاق الوضاعة، والأفكار البناءة - بما يؤثر - بالنتيجة على قدسية

هذه الفريضة المقدسة، من حيث التناحر والتشاجر والصخب الاجتماعي، واستغلال العبادة المقدسة لإشاعة الفتن التي سيكون دخانها أكثر من نارها فيؤول الأمر - بالنتيجة - إلى فسح المجال أمام المتصدين في الماء العكر، فتتقلب الرحمة إلى الفرقة، ويحور النور إلى ظلام - والعياذ بالله - يا أبنائي المؤمنين إن الاستقامة الوادعة، والسلوكية... هما اللتان تبعثان على إتباع الهدى، وكبح الهوى، والاستعاذة بالرحمة من الله تعالى، وتجنب نقمته الا وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا - صدق الله العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٢ ذي القعدة ١٤١٩ هـ ، صدر عن مكتب السيد بحر العلوم - النجف جامع الطوسي، من أبيكم الروحي : الحسين بن التقي آل بحر العلوم^(١).

من الملاحظ أن هذا البيان جاء قبل أسبوع من اندلاع انتفاضة ١٧ / ٣ / ١٩٩٩ ولعل بحر العلوم شعر بوجود من يهيء لها وأراد منع وقوع ذلك لما كان يراه من بطش الحكومة الظالمة التي مازالت مهيمنة ومسيطرة على زمام الأمور.

لكن بعضهم حاول أن يصور صدور هذا البيان بسبب تدخل من الحكومة وانها هي التي دفعته إلى إصداره وبهذا الوقت تحديداً.

يذكر عادل رؤوف في تعليقه على إحدى الوثائق الأمنية التي نشرها في كتابه (أنبياء وأصنام)، وهي عبارة عن دراسة عن الحوزة العلمية ينسبها لملفات المخابرات العراقية :

(المثال الثاني : وهو يرتبط بـ (مرجعية) السيد حسين بحر العلوم، الذي رشحته

(١) عادل رؤوف، أنبياء وأصنام، ص ٦٢٢، الملحق وثيقة رقم (٣٤).

الدراسة لان يكون البديل المحلي لموقع (المرجعية العليا)، بعد استشهاد محمد محمد صادق الصدر، فما حصل على الأرض بعد هذا الاستشهاد هو أن بحر العلوم، الذي كان كرفاقه الآخرين يقفون موقفاً سكونياً من صلاة الجمعة، التي أقامها الصدر الثاني.. تصدى هو إلى الدعوة إلى إقامة هذه الصلاة في أجواء غير صدامية، إن لم نقل تصالحية مع النظام الحاكم آنذاك، مما يؤشر إلى أن تصديه لهذا الأمر لم يكن هو الآخر عفواً أو انه يقع في سياق التنافس الطبيعي أو حتى السلبي، الذي يحكم في بعض الأحيان العلاقات (المرجعية – المرجعية) ^(١).

والظاهر أن رؤوف حكم على الرجل دون أن يدقق في القضية، أو انه انطلق من منطلق سوء الظن بالرجل. ولأن القضية تتعلق بالشهادة للتاريخ فلا يمكن أن يكتب عن الناس بطريقة تشوه حقائقهم أمام الأجيال اللاحقة، وليس بدواعي إرضاء جهة على حساب تسقيط جهة أخرى لا نمنع النظر في الحقائق المتوفرة بأيدينا ونكتفي بالنظر للأمور بعين واحدة، ولذا فإننا نريد أن نسجل بعض الإشكالات على هذه الدعوى، لنبين أن الحكم الذي أطلقه رؤوف على الرجل فيه الكثير من الابتعاد عن الحقيقة :

أولاً : لم يقف بحر العلوم من صلاة الجمعة موقفاً سكونياً كما يدعي رؤوف، لأنه أفتى بشرعية صلاة الجمعة ومؤازرتها.

ثانياً : إن الوثيقة التي استدلت بها رؤوف على أن موقف بحر العلوم من صلاة الجمعة كان بتحريض من الحكومة لم تذكر لنا تأريخ اتصال الحكومة به لإعداده ليكون المرجعية العليا المرحلية، بل إننا نملك وثيقة من وثائق النظام البائد ^(٢) تؤكد انه لم يتم

(١) عادل رؤوف، أنبياء وأصنام، ص ٣٨٤.

(٢) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (٦).

الاتصال به من قبل أزالام النظام السابق قبل نيسان ١٩٩٩، ومن الملاحظ أن تاريخ البيان الذي صدره بحر العلوم في بداية الشهر الثالث، وتحديد الأُسبوع الأول منه. والوثيقة الموجودة يمكن أن يتعرف أي قارئ على أن النظام السابق كان يفكر في طرح مسألة صلاة الجمعة من ضمن المسائل التي تناقش معه.

ثالثاً: إن الوثيقة نفسها التي يستدل بها رؤوف على تبعية السيد بحر العلوم في دعمه لصلاة الجمعة إلى الحكومة نتيجة حركة الحكومة تجاهه، تنقض استدلاله وتؤكد أنه تحرك لدعم صلاة الجمعة وهم في طور إعداد هذه الدراسة. فقد ورد في الوثيقة : (أعطى محمد محمد صادق الصدر إجازة عامة لخطبائه تشمل (استلام الحقوق الشرعية والتصرف بها). واستمر من بعده السيد حسين محمد تقي بحر العلوم الذي أفتى هو الآخر باستمرار صلاة الجمعة بعد غياب المرجع الذي أفتى بوجوبها واخذ يزود الخطباء بوكالة للخطابة وأداء صلاة الجمعة).^(١)

وبعد إن أكدت الوثيقة قيام بحر العلوم بهذا الدور جاءت بعد ذلك على المقترح الذي قدمته، حيث جاء في - الوثيقة - وتحت عنوان الخطة المرحلية (التكتيكية) ما هذا نصه :

(لما كان لا بد للحوزة من مرجع أعلى فإننا نرى أن أفضل الموجودين حالياً هو (السيد حسين بحر العلوم)، لذا نوصي بدعمه ليكون المرجع الأول في الحوزة العلمية، وإشعاره بفضل الدولة عليه، وما هو مطلوب منه لخدمة العراق).^(٢)

رابعا : لماذا يعترض رؤوف على الطريقة التي صيغ بها البيان، ألم يطلع على فكر الصدر الثاني وهو يحاول جاهداً أن يحافظ على الثلة المؤمنة التي أنشأها، وما هو

(١) عادل رؤوف، المصدر السابق، ص ٣٥٥.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٧١.

رأيه في تكليف المجتمع في عصور الغيبة الكبرى؟! (١)

فلما هذا الإصرار من هذا الكاتب على أن كل الموجودين داخل العراق عملاء لحكومة صدام وتناسى أن المفكر العظيم نفسه الذي يشهد هو بحكمته ومدى درايته بالوضع الخارجي والداخلي قد شهد بان القيادة التي يجب أن تقود الأمة لا بد من وجودها في العراق وليس في مكان آخر مهما كانت المدعيات، فهل سمع رؤوف قول الصدر الثاني؟ :

(أنا قلت أكثر من مرة أن النجف هي أعلم المناطق على وجه الأرض حتى لو قيست بقم). (٢)

حاول البعض ممن يتصيدون في الماء العكر أن يُقحموا السيد بحر العلوم في الهجمة التي شنت ضد الشيخ اليعقوبي محاولين تسقيطه بها وانفضاض الناس من حوله.

فأستفتي السيد بحر علوم قبل أسبوعين من وفاته تقريرا عن ظهور بعض طلبة الحوزة (الجدد) (٣) كما يسمونهم، وكان العنوان عاما، إلا أنهم كانوا يوجهونه بالاتجاه الذي

(١) يمكن مراجعة كتاب أضواء على ثورة الحسين (ع). للصدر الثاني، ص ١٠٠.

(٢) لقاء صحفي مسجل.

(٣) وقد جاء فيه: سماحة آية الله العظمى السيد الحسين ال بحر العلوم دام ظله الشريف

مولانا:

ظهر في الآونة الأخيرة بعض الطلاب من الحوزة الدينية الجدد ومنهم من اخذ يقبض الحقوق الشرعية باسمه ويطلق بعض الأشخاص المفقودين ويأذن لبعض وكلائه المأجورين لقبض الحقوق الشرعية وإجراء المصالحات الشرعية واستخدام الحيل الشرعية علما انه اليوم يدعى له بالاجتهاد قد اصدر بعض الكراريس الفتوائية أفتى في بعضها بفتاوي مخافة للضرورة وقد نشرت في اغلب مدن وأنحاء العراق وبعض المدارس الدينية عن طريق بعض أعوانه الفسقة.

وبعد هذا كله نسأل ما رأي سماحتكم في هذه الأعمال التي تنخر في جسد التشيع؟
علما انه قد أجاب بعض المراجع الأعلام (دام ظله) بجواب تصدر بجملة (اتقوا الله) A

يريدونه، فكانوا عند توزيعهم هذا الاستفتاء يقولون بان المقصود من هؤلاء الطلبة الجدد هو الشيخ يعقوبي.

وعندما وصل الخبر إلى السيد بحر العلوم ما كان يقوله هؤلاء، قال: أنا لم اعن بذلك الشيخ يعقوبي، إنما عنيت غيره. وقبل أن يتوفاه الله بثلاثة أيام أصدر بياناً يوضح هذه المسألة ويرى ساحة الشيخ يعقوبي من هذه الاتهامات.

والملاحظ في هذا الاستفتاء، هو حجم تأثير الشيخ يعقوبي في الساحة العراقية، وهذا ما لا يُعجب الكثير. وعلى الرغم من نواياهم الخبيثة التي دفعتهم إلى هذا الفعل، إلا أنهم ثبتوا حقيقة لا غبار عليها للتاريخ وللأجيال المقبلة، وهي مدى تأثير الشيخ يعقوبي في الساحة العراقية، في وقت سكتت فيه جميع الأفواه، وجفت كل الأقلام.

توفي بحر العلوم بعد معاناته من المرض مدة من الزمن. كان ذلك مساء الجمعة ٢٨ ربيع الأول ١٤٢١ هـ الموافق ٢٠ حزيران ٢٠٠١ م ، في منزله في النجف الأشرف.

=ولعل الكلام اذا صدر من يراكم الشريف كان الصق بالنفس وادعى لمكافحة الضلال هذا وفاضل دعواتنا لكم بالصحة ودوام العافية.

احد طلبة الحوزة العلمية

بسمه تعالى : إن هؤلاء من الضالين الضالعين وراء الشيطان الرجيم. اسأل الله لهم الهداية والمغفرة والله العالم. بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٤٢٢ انتهى

أما المراجع الأعلام الذين ذكروا في الاستفتاء، فهو الشيخ بشير الباكستاني، حينما رفع له نفس الاستفتاء تقريباً بتاريخ ٩ ربيع الأول ١٤٢٢، فأجاب :

بسمه تعالى : اتقوا الله وهو مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والله الهادي. ملحق رقم (١) وثيقة رقم (٧).

الصعوبات التي واجهت القيادة البديلة

من الصعوبات التي تواجهها القيادة البديلة هي السيطرة على العواطف الجياشة لدى القاعدة تأثراً بالأسباب التي أدت لزوال القيادة الماضية، وغالباً ما تؤدي هذه العواطف إلى ما لا يحسن عقباها، ومن المؤكد أن القيادة البديلة ستكون ضد توجيه هذه العواطف باتجاه الانتقام واخذ الثأر؛ لأن هذه الحركة ستكون عفوية وغير منظمة وليست مدروسة، وما هي إلا ردة فعل شعب يغضب لقتل قيادته، والنتيجة صعوبة فهم موقف القيادة البديلة، لان المجتمع ما يزال يعيش حالة التصعيد التي مارستها القيادة السابقة في أواخر حياتها. وهذا حصل على مستوى التاريخ سواء مع الإمام الحسن (عليه السلام) بعد أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) أو مع الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعد أبيه الحسين (عليه السلام).

بعد أن استشهد السيد الصدر لم يكن الناس يعلمون بالوصية الأخيرة للسيد الصدر وما هو محتواها، وظلوا يعملون بالوصية الظاهرية، فلم تكن الرؤية واضحة لدى الجميع. اتجهت القاعدة إلى مكتب الصدر لاستمداد العون لمحاولة إقامة ثورة ضد نظام الحكم والأخذ بثأر الصدر. وكان الوحيد الذي رفض هذا التوجه هو الشيخ اليعقوبي، لأنه لم يرَ في سيرة الأئمة الأطهار من عمل بهذه الطريقة، أي انه استثمر دم الإمام الذي سبقه. ولان ثأر الصدر لا يعني ملاحقة أتباع النظام الحاكم لقتلهم ومحاسبتهم وحسب، وان كان هذا الأمر حقاً مشروعاً، لكن الثأر الحقيقي هو استكمال المشروع الذي كان يعمل عليه الصدر وهو بناء مجتمع يصلح أن يقوده الإمام المهدي، مجتمع يسوده العدل والقسط.

والمنطلق الأساسي الذي انطلق منه الشيخ اليعقوبي هو المفهوم الذي أسس له الصدر في تكليف الفرد في عصور الغيبة الكبرى : (إن الأصوب والأحجى لكل جيل هو

أن ينظر إلى تكليفه الشرعي أمام الله سبحانه، هل هو التضحية أم التقية. ولا شك أن التكليف الغالب في عصورنا هذه عصور الغيبة الكبرى، هو التقية وليس التضحية، لمدى تألب الأعداء وترصدهم في العالم ضدنا من كل صوب وحذب. بدون وجود طاقة فعلية عند ذوي الإخلاص لمقابلتهم ومضادتهم. ومن تخيل فيه هذه القابلية، فهو متوهم، سوف يثبت له الدهر أعني بالتجربة وهمه. والأفضل له هو العمل بالتكليف الفعلي وهو التقية المنتجة لحفظ أهل الحق من الهلاك المحقق في أي نقطة من نقاط هذا العالم المعروف^(١).

فالحفاظ على الثلة المؤمنة من المهام الرئيسة الملقاة على عاتق القيادة الحقيقية. وهذا ما رأيناه وسمعناه من الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، (فكان الهدف الأساسي للأئمة (ع) ينقسم إلى أمرين مترابطين :

أحدهما : حفظ المجتمع من التفسخ والانحيار الكلي، أو بتعبير آخر: حفظ الثلة المشعة من الحق، المتمثلة بهم وبمواليهم وقواعدهم الشعبية.

ثانيها : السعي إلى تأسيس المجتمع الإسلامي الواعي، ورفع المستوى الإيماني في نفوس أفرادها، تمهيداً لنيل الخلافة الحقة وتطبيق المنصب الإلهي الذي يعتقدون استحقاقه.

وكانوا يعملون على تنفيذ ذلك، في حدود الإمكان الذي يناسب مع الحذر من الجهاز الحاكم وتجنب شره. إذ لم يكن من المصلحة أن يقوم الإمام (ع) بحركة ثورية عشوائية بجماعة قليلة تؤدي به وبجميع أصحابه إلى الاستئصال التام، ولا يتحقق شيء من ذينك الغرضين^(٢).

(١) أضواء على ثورة الإمام الحسين (ع). محمد الصدر، ص ١٠٠.

(٢) الغيبة الصغرى، محمد الصدر، ص ١٠٤.

والمعنى الآخر أن النظام كان هو المهيمن على الوضع الأمني في العراق، صحيح أن الناس نزعَت الخوف من صدورها إلا أن هذا لا يكفي، خصوصاً أن السلاح الذي يمكن توفره بأيدي المؤمنين كان يسيراً بشكل واضح لا يخفى على الجميع، ولا يمكن أن يقف أمام دبابات النظام الحاكم ومدافعه. وحتى التوجه الدولي العالمي لا يسمح بذلك على فرض توفر القدرة لدى الثوار العراقيين؛ لأنهم لا يريدون ثورة عراقية تقلب نظام الحكم في العراق، بل المطلوب أن يكون العراق محرراً بأيدي أجنبية لا غير.

وكان لبيانات السيد كاظم الحائري الدور الفعال في تأجيج عاطفة أتباع السيد الصدر، وكانت هذه البيانات ترسل من مدينة قم من دون تدبر ونظر الى وضع العراق الداخلي، وكانت العبارات الرئيسية في هذه البيانات (أغيروا عليهم، أقتلوهم، أييدوهم، ...الخ).

ولأن الناس كانت تعتقد بأنه وصي السيد الصدر راحوا ينفذون ما ورد في كتابه هذا من فتاوى، دون حساب ما سيؤول إليه مصير هؤلاء الشباب الذين ملأوا سجن أبو غريب والكثير منهم اعدموا. وقد خلت الساحة العراقية من الشباب الرسالي الذين رباهم الصدر وفداهم بدمه الطاهر، وفي مستقبل البحث سنتكلم عن سجناء أبو غريب وكيف كان وضعهم المعيشي.

وقد طلب العاملون في مكتب الصدر من الشيخ اليعقوبي أن يصلي الجمعة في الكوفة استمراراً لما بدء به الصدر. فلم يستجب لهم الشيخ وذلك لعدة أسباب :

السبب الأول : إن الذين طلبوا من الشيخ اليعقوبي التصدي لإمامة الجمعة لم يكونوا مؤهلين لقيادة الأمة ومعرفة التصرف الصحيح وتشخيصه والعمل على وفقه، الذي به يحفظ كيان الأمة من التمزق والتشردم، فكانت العواطف هي التي تدفع بهم نحو هذا الطلب من دون النظر للمستقبل وما ستؤول إليه الحركة الإسلامية

التي أيقضها الصدر الثاني، أما الشيخ اليعقوبي فكان ينظر بعين المسؤول عن حفظ هذه الأمة وصون دمائها من الظلمة والطواغيت، فهو المجتهد الذي لا يفتي برغبة نفسية أو عاطفة مهلكة.

فعن أبي جعفر عليه السلام (أن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام دخل على أبي جعفر محمد بن علي ومعه كتب من أهل الكوفة يدعونه فيها إلى أنفسهم ويخبرونه باجتماعهم ويأمرونه بالخروج ، فقال له أبو جعفر عليه السلام : هذه الكتب ابتداء منهم ، أو جواب ما كتبت به إليهم ودعوتهم إليه؟ ، فقال : بل ابتداء من القوم لمعرفتهم بحقنا وبقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله ولما يجدون في كتاب الله عز وجل من وجوب مودتنا وفرض طاعتنا ، ولما نحن فيه من الضيق والضنك والبلاء ، فقال له أبو جعفر عليه السلام ، إن الطاعة مفروضة من الله عز وجل وسنة أمضاها في الأولين وكذلك يجريها في الآخرين ، والطاعة لواحد منا والمودة للجميع ، وأمر الله يجري لأوليائه بحكم موصول ، وقضاء مفصول ، وحتم مقضي وقدر مقدور ، وأجل مسمى لوقت معلوم ، فلا يستخفك الذين لا يوقنون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ، فلا تعجل ، فإن الله لا يعجل لعجلة العباد ولا تسبقن الله فتعجزك البلية فتصرعك ، قال : فغضب زيد عند ذلك ، ثم قال : ليس الإمام منا من جلس في بيته وأرخى ستره وثبط عن الجهاد ، ولكن الإمام منا من منع حوزته ، وجاهد في سبيل الله حق جهاده ، ودفع عن رعيته ، وذَبَّ عن حريمه . قال أبو جعفر عليه السلام : هل تعرف يا أخي من نفسك شيئاً مما نسبتهإليه فتجئ عليه بشاهد من كتاب الله أو حجة من رسول الله صلى الله عليه وآله أو تضرب به مثلاً ، فإن الله عز وجل أحلّ حلالاً ، وحرّم حراماً ، وفرض فرائض ، وضرب أمثالاً ، وسنّ سنناً ، ولم يجعل الإمام القائم بأمره شبهة فيما فرض له من الطاعة أن يسبقه بأمر قبل محله ، أو يجاهد فيه قبل حلوله).^(١)

(١) الكافي ، الكليني ، ج ١ ، ص ٣٥٧ .

فلاحظ كم هو الفرق بين من يفكر وهو المسؤول عن المجتمع وبين من لم يكن كذلك، ولعل الرواية لا تحتاج إلى تعليق إلا تعليق واحد : إن الإمام (عليه السلام) يلفت النظر إلى التفريق بين الطاعة التي يجب أن تكون لواحد وبين المودة التي يمكن أن تكون لكثير، فتأمل كيف تؤول الأمور لغير ما أريد لها، وكيف تتحول المودة والعاطفة والحب الى طاعة عمياء تؤدي بسبب المودة الأول وتتحول الى كارثة.

إن كل الدلائل الفكرية والعملية تؤكد أن الشيخ يعقوبي على مستوى استحقاق المرجعية منذ أمد ليس بالقصير، ولم يكن السيد الصدر لتفوته إمكانيات تلميذه وهو الذي تربى على يديه لمدة أربعة عشر عاماً، إضافة الى مشاركته الأفكار في وقت لم يكن من يتصل بالسيد الصدر غيره ونفريسير، أما ملامح الاجتهاد عند الشيخ يعقوبي فقد ظهرت مبكراً في حياة السيد الصدر.^(١)

ينقل إسماعيل الوائلي حادثة وقعت في حياة الصدر، يقول : (إن الشيخ يعقوبي يفتي برأيه في عدد من المسائل التي عرضت عليه، فوصل الأمر إلى بعض العاملين في البراني الذين وصفهم الصدر بالفئة المتطرفة، فلم يعجبهم الحال، فحاولوا الاعتداء عليه والانتقاص منه كما فعلوا ذلك مع آخرين. فتوجه إسماعيل (الذي كان موفد هؤلاء المتطرفين تلك الفترة) إلى السيد الصدر ليتحدث معه بالأمر، فكان رده : الذي يتعرض للشيخ فانه اعتداء على حرمتي).^(٢)

(١) بعد صدور بحث المشتق كثر همس بين الطلبة عن اجتهاد الشيخ يعقوبي، فكنت يوماً أتحدث مع الشيخ محمد كاظم الحميداوي في مكتب السيد الصدر عام ١٩٩٧، ورأينا الشيخ يعقوبي قادماً فدار حديث بيننا فسأله الشيخ محمد كاظم عن السبب في عدم إعلان الاجتهاد، فكان جوابه لذلك عدة أسباب أعرض عن الخوض فيها ذلك الوقت. عباس الزيدي.

(٢) ذكر هذا الكلام في مناسبة افتتاح جامعة الصدر الدينية في العمارة برفقة الشيخ عباس الزيدي وهو مسجل على قرص ليزري .

هذا الرد لا يدل على اجتهاد الشيخ في آنذاك فحسب، بل يدل على مدى احترام السيد الصدر واعتزازه بالشيخ يعقوبي.

وقد استغرب بعضهم ومنهم الكاتب رشيد الخيون من عدم إعلان الشيخ يعقوبي لاجتهاده في تلك الفترة، فعلق على كلام ورد على موقع حزب الفضيلة الإسلامي ضمن سيرة الشيخ يعقوبي (إذا علمنا بان بعض هذه الكتب ألف عام ١٤٢٠ فهذا يعني حصول الملكة منذ ذلك التاريخ، وهو ما كان يعتقد الشيخ في نفسه، إلا انه لم يصرح به لعدم الحاجة إليه بوجود من يؤدي هذا الواجب الكفائي، اعني لوازم الاجتهاد وآثاره، ومراعاة لبعض القواعد الحوزوية، ولم يعلن ذلك إلا من على منبر صلاة الجمعة في صحن الكاظمين بعد سقوط صدام يوم ٢٢ صفر ١٤٢٤ لحدوث الحاجة إلى هذا المستند الشرعي للأعمال التي تتطلبها المرحلة الجديدة). ويبدو انه استشهاد سياسي أكثر منه فقهيا، والسؤال: هل أن المجتهدين لم ينالوا التأييد والتزكية بوجود غيرهم من الذين يكفونهم؟!.

وهل من العادة أن يعلن نبأ درجة الاجتهاد على الجمهور؟! ^(١).

ولنا في جواب إشكال الخيون نقطتان :

١ : أن عدم طرح الاجتهاد بصورة علنية في حياة أستاذه الصدر كانت لسببين، الأول: حفاظاً على القيادة البديلة من النظام المتربص ومن الاتجاه التقليدي الذي سيعد العدة للاجهاز على البديل واجهاز حركته في مهدها، فكانت تلك الفترة التمهيدية التي اثبتت كفاءة يعقوبي في الإدارة والدرس (وخاصة تدريس كتاب كفاية الأصول، للشيخ محمد كاظم الخراساني) وهو الكتاب الذي تعارف في الحوزة أن القادرين بكفاءة على تدريسه يكونون قد وضعوا القدم الاولى على طريق

(١) لاهوت السياسة، رشيد الخيون، ص ٢٣٢-٢٣٣.

الاجتهاد، لأن مادة هذا الكتاب فيها عدة عقبات (العبارة القديمة والمركزة التي تحتاج الى تفكير دقيق وتفهم المطلب وتبسيطه، كما أنه ليس مادة لأصول الفقه فحسب بل يحتوي على موضوعات عقائدية (فلسفية وعلم الكلام) كالبداء والجبر والتفويض، كما أن الشهيد الصدر قد تصدى لتدريسه مع أنه أقل من مستواه لسبب رئيسي أن القادرين على تدريسه ذلك الوقت معظمهم غير قادرين حقيقة على فهمه فضلاً عن توصيل مادته الى الآخرين، وفي مضمون كلمة قالها عند افتتاح الدرس (يجب أن ندرس وندرس الكفاية لأنها من أصعب الدروس عند الحوزة التقليدية، بالتالي لا نريد أن "حايط نصيص" يعبرنا كل من هب ودب، بل يجب أن نكون على مستواه وأعلى منه)، ولم يكمل السيد الصدر تدريس الكتاب فقد استشهد قبل إكماله فتكفل الشيخ اليعقوبي بجدارة إكمال الجزء المتبقي منه، ونلاحظ أن حلقة درسه كانت من أوسع الحلقات في النجف الأشرف، ولا تكون مثل هذه الحلقات بمثل هذه السعة إلا للقلة النادرة من الدروس، لأن حلقات الدروس في النجف معروفة بتذمرها وطرحها مختلف الاشكاليات، بالتالي لا يصمد إلا من كان على مستوى أعلى من مستوى المادة التي يلقيها.

كما أنه أثبت أنه من القلائل الذين كانت دروسهم الفقهية على مستوى السطوح الممهدة لحضور بحث المجتهدين تحظى بالتوسع والتبسيط حتى أنك تجد أن معظم طلبة الحوزة في النجف الآن ممن تتلمذوا على يديه في تلك المراحل ومنهم أكفأ الطلبة في حوزة النجف، يضاف الى ذلك أنه من أفضل وأكفأ طلبة البحث الخارج عند المراجع المعروفين كالشيخ الفياض والشيخ الغروي والسيد السيستاني، وهذا الاخير هو الذي قال له منذ وقت مبكر (أنت ستكرر معجزة الانصاري)، بعد بحث قدمه له عن مطهرية الكر، كما شهد له الشيخ الغروي أنه من أهل الخبرة القادرين على تشخيص المجتهد والاعلم من بين المجتهدين. ولم ينس طلبة النجف الاشرف طيلة عقد من الزمن أنه كان الشاهد الرئيسي على أعلمية السيد الصدر في وقت كان

الحديث عن هذا الامر من الممنوعات في حوزة النجف، وعلى خلاف ما يقال أن الحديث عن غير الصدر ممنوعاً، وهذا تلفيق، فقد كان الحديث عن علمية الصدر بل واي مستوى من آراءه مشوباً بالخوف من قطع الراتب والعزلة والتسقيط، ولكنهم لم يثيروا يوماً أية إشكالية حول نزاهة وعلم الشيخ اليعقوبي، حتى في أيام كان فيها محمد تقي الخوئي صاحب اليد الطولى في النجف الاشرف.

الثاني : ليتسنى للبديل الحصول على اعتراف الاتجاه الآخر "قدر الامكان لتلافي المشكلة التي واجهت الاستاذ الذي كان زاهداً في قضية المطالبة بالاجازة بالاجتهاد، ولو كان طلبها من اساتذته لما تأخروا في اعطاءها اياه، وبالفعل فقد حصل الشيخ اليعقوبي لاحقاً على اعتراف من حوزة قم من الكثير من اساتذة الحوزة واحدهم الشيخ الكرامي^(١) حاصل على اجازة اجتهاد من الخوئي والخميني، وأما في النجف فلم نشهد إعتراضاً أو رفضاً معتداً به لاجتهاده، كل ما في الامر أن البعض رأى فيه مزاحماً فتكلموا عن مرجعيته (أي الأعلمية ووجوب التقليد، وهذا طبيعي ومتعارف، فمن النادر أن ترى أحدهم يقر لآخر بحق الأعلمية فكل يراها في نفسه)^(٢) وليس عن اجتهاده، ولم يصرح أحد منهم يوماً ليطعن في أصل إجهاده.

(١) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (٢٧).

(٢) فمثلاً لم نسمع أن الشيخ الفياض أقر للسيد السيستاني بالأعلمية أو العكس، وهذا تحصيل حاصل، لأن أحدهما إذا أقر للآخر بالأعلمية لما جاز له طرح نفسه للتقليد، وكلاهما طرح نفسه للتقليد والمرجعية بالتالي كل منهما يرى نفسه الأعلم من صاحبه فيكون تقليد الآخر باطل وفق ذلك، وهكذا الكلام في باقي الحوزات، فالنص الصريح في رسائلهم (يجب تقليد الأعلم) أي حرمة تقليد غير الأعلم، وفي بداية الرسالة يصرحون (العمل بهذه الرسالة مجزي ومبرئ للذمة). ولو سألت أحدهم لأمتنع عن الاجابة فضلاً عن الاجابة التحريرية، ولكن متى كان المتصدي لا يمتلك القوة (دولية أو محلية) والمال والإعلام كالشيخ اليعقوبي ترى البعض يجيب من دون تبصر أو يورطه الآخرون لأنه قد أمن صولته عليه، ولكن سيقفون في يوم طويل ويسئلون.

أما الاعلان على الجمهور فقد كان من اللازم قطع الطريق امام المتقولين في تلك الفترة الحرجة، خاصة أننا شهدنا أكبر هجمة في تأريخ البلاد، ودخول فئات من كل حذب وصوب، وكلهم أتوا ليلتهموا البلاد والعباد، فكان من اللازم على العالم أن يظهر علمه، لأن الخطر القادم ليس طاغية مثل صدام لا يأبه لدين أو دنيا، وإنما طاغية يفترس البلد وثرواته بأسم الدين، ولاحظنا مصداق ذلك عندما تصدى الشيخ اليعقوبي للفساد الحكومي الذي تقوده "الأحزاب الإسلامية" بمقولته (إن العمامة الشيعية تعطي الشرعية للحكومة ظالمة منحرفة)، فما كان من هؤلاء المنحرفين إلا أن أجابوا من على منابر الإعلام (إن الحكومة تستمد شرعيتها من المرجعيات المعترف بها^(١))، ولم أعرف الى الآن ما هو المقصود بكلمة (المعترف بها) هل يقصد المعترف بها دولياً (كالأمم المتحدة مثلاً؟) أو يقصد يعترف بها هو وحكومته الفاسدة، وقد أثبتت السنوات الماضية أن المرجعية الوحيدة في كل الحوزات التي تصدت للفساد والمفسدين وللمؤامرت في العراق هي مرجعية الشيخ اليعقوبي، ولو انتظر الشيخ اليعقوبي اعتراف الآخرين لأمضى حياته بلا طائل، ولتعرضت البلاد لأخطر عملية تخريب في مقدراته السياسية والاقتصادية والاخلاقية والعقائدية، وها نحن نرى الفشل الذريع في المشاريع (فيما كانت هناك مشاريع) التي تبنتها المرجعيات الأخرى، ولا نريد أن نقتل الوقت في الإجابة على الخيون وأمثاله من شواذ الفكر الذين حملوا قلباً شرقياً ماركسياً تحت ثوب أمريكي برغماتي، لكن التأريخ عندما يكتبه هؤلاء وأمثالهم هو الوحيد المقروء والمسموع بعد أن منع صوت الحق وأهله من الوصول الى العالم، وسط حصار مطبق من الشرق والغرب، ولكن لا بد من

(١) نلاحظ أن العهد الجديد جاءنا بمصطلحات غير مفهومة على غرار (المرجعيات الأربعة)، مع العلم أن واحداً من الأربعة لا يعترف بمرجعية الآخر، كما أن مثل هذه المصطلحات التي لم تكن معروفة (كالمرجع الأعلى) تحتاج الى تفتيش عن مصدرها.

الصمود حتى اللحظة الأخيرة، ولا بد للحق من دولة ولو بعد حين، وإلى ذلك الوقت سيجد هؤلاء وأمثالهم أمامهم ألسنة حدادا وقلوباً شداداً.

إن آليات القيادة والطرق التي تستخدم لقيادة الأمة ومواجهة الظلمة تختلف من وقت لآخر ومن شخص لآخر، فليس بالضرورة أن تكون الآليات واحدة أو متشابهة.

ولذا فإن هذا المفهوم من المفاهيم التي عمل بها الأئمة أيضاً وعمل بها العلماء الصالحون الرساليون وركزوا على دور الأئمة في الحياة الإسلامية، أي أن الأدوار والآليات تختلف إلا أن الهدف واحد، وبمجموعهم يشكلون نظرية متكاملة تدعى (تنوع ادوار ووحدة هدف).

فلو لاحظنا سيرة كل إمام من الأئمة المعصومين (عليهم السلام) لرأينا اختلافا واضحا في الآليات التي استخدمها كل واحد منهم تبعا للظروف الموضوعية التي تحيط بهم، فمرة تحتاج الأمة لمواقف حاسمة وليس أنصاف حلول لان الظروف الموضوعية التي يعيشها المجتمع لن تحتل أنصاف الحلول لأنها تهدد وجود الإسلام. ومرة يُصالح الظالم للحفاظ على الثلة المؤمنة ولولا الصلح لمحق الإسلام. ومرة تحتاج الأمة للدم لإحياء الأمة لان الظرف يتوجب على القيادة التضحية والشهادة، ولولاها لقضي على الإسلام. ومرة تحتاج الأمة لنشر العلوم الحققة، ولولاها لقتل الإسلام بانتشار علوم ليس لها أي صلة بالإسلام الحقيقي. وهكذا يكون التعدد في الأدوار بحسب الظروف ومستوى الأمة إلا أن الهدف واحد وهو إيصال المجتمع إلى دولة العدل الإلهي التي لا يوجد بعدها دولة للظالمين والكافرين.

إذن لا يمكن للشيخ يعقوبي أن يسير بالطريقة نفسها التي سار عليها الصدر وخصوصا في الجزء الأخير من حياته، حيث أصبحت المواجهة مباشرة مع الحكومة الظالمة.

إلا أن المجتمع ولحد هذه اللحظة يريد تكرار الصور وكأن القيادة بأيديهم وهم الذين يملون عليها ما يريدون، وهذا الكلام باطل لان تشخيص المستوى الذي يعمل به القائد هو من مختصاته كما مر علينا، وللزيادة في الإيضاح نضرب مثلاً واحداً.

عندما أراد الإمام الحسين (عليه السلام) الخروج من مدينة جده رسول الله (صلى الله عليه واله) متوجهاً إلى العراق فأعرضه محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وقد أشار عليه الأخير صلح أهل الضلال، وكذلك في الطريق اعترضه الفرزدق، وكلهم حاولوا ثني الحسين (عليه السلام) عن الخروج.^(١) قد لا يعده بعضهم انه اعترض على رأي الإمام وإنما هو من الخوف عليه والتأثر عليه ولما سيصيبه إذا ما استمر على رأيه!

إلا أن الصحيح ان هذا المستوى من الاعتراض يعد في مقام عدم الفهم الواعي للحركة الإسلامية، والطاعة يجب أن تكون في كل أمر يقدم عليه الإمام وهو المفترض الطاعة. ومن ناحية أخرى لم يكن الإمام الحسين (ع) غير واضح في مطالبه وأهدافه، فهو صرح لكل هؤلاء أنه يرفض بيعة يزيد تحت أي ظرف، وما كان هؤلاء في اعتراضاتهم وبالأحرى خذلانهم الذي جعلوه في قالب النصيحة إلا نماذج للمصطفين ضمن طوابير التأقلم الذي عبر عنه ابن عمر (لا بت ليلة سوداء ليس عليّ فيها أمير)، وهذا هو التكريس الخطر الذي عجل من تصدي الشيخ يعقوبي لهذا الأمر الذي لم يجد من يكون أهلاً له، وإلا فإن ما صدر من الآخرين لا يختلف كثيراً عن مقولة ابن عمر، ناهيك عن الخزانات التي إمتلأت حتى كادت تتقيأ من التخمّة من دولارات النفط وغيره من ثروات السواد الذي عدّوه بكل صلف (بستاناً لهم ولأبناء جلدتهم ولحماتهم من مستعمري البلاد وناهبي خيراتها).

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٤.

الكلام الذي تقدم يضم بين طياته مسألة في غاية الأهمية لابد من الالتفات إليها والوقوف عليها وهي:

أن المرجعية الرسالية الشاهدة لا بد أن تختلف آلياتها؛ وذلك تبعاً لاختلاف مستوى الوعي الذي تصل إليه الأمة، فمن المستحيل أن تقاس أفعال الصبي وطريقة تهذيبها مع أفعال الشاب المدرك وتهذيبها بالطريقة نفسها. وكذلك عندما يدخل الطفل إلى المدرسة الابتدائية فإنه يتعلم القراءة والكتابة، ولا يمكن أن يتعلم طريقة رسم خارطة لناطقة سحاب، فكل يتعلم ما يلائم سنه وحجم العلوم التي درسها.

واعني أن المجتمع يختلف من زمن إلى زمن، ومن مكان إلى آخر. فالقيادات المرجعية عندما تتصدى لبناء مجتمع فإنها تحقق نسبة من تقدمه مهما كانت هذه النسبة، وذلك بإتباع آليات معينة، أما إذا أريد تحقيق نسبة أعلى واكبر فلا بد من استخدام آليات أخرى كفيلة بإيصال المجتمع إلى النسبة المطلوبة، وهكذا دواليك.

فالمرجع يظهر من الشريعة ما يلائم مستوى المجتمع بالتحديد، لا يعطيه اقل من استحقاقه فيظلمه، ولا يعطيه أكثر فيقتله. وقد قال تعالى في كتابه العزيز: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} {الرعد ١٧}.

فالذي ينتظر من المرجع اللاحق أن يفعل كما فعل المرجع السابق فإنه متوهم ولم يفهم سيرة الأئمة (عليهم السلام) بالشكل الصحيح؛ لأن القيادة اللاحقة تبدأ من حيث انتهت إليه القيادة السابقة. ولذلك قال الصدر الأول: (نحن ربنا الناس وأوصلناهم إلى نصف الطريق).

كيف يكون اللاحق مطابقاً للسابق والقائد الواحد نفسه يستخدم أكثر من مستوى على طول مدة تصديه لتربية الناس تبعاً لاستجاباتهم للدروس التي يعطيها في تكاملهم، فما بالك باثنين أو أكثر، فمن الأولى أن يكون الاختلاف واضحاً بينهما أو بينهم، ولا يعني ذلك خروجاً عن المألوف، بل هو المتوقع والطبيعي في هذا المجال.

ونضرب لذلك مثلاً من سيرة المعصومين (عليهم السلام) في كيفية اختلاف أجوبتهم في مسألة واحدة تبعاً لتطور الفهم لدى الناس.

عن محمد بن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قيل لأمر المؤمنين عليه السلام : هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا أو يكبر البيضة ؟ قال : إن الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز ، والذي سألتني لا يكون .^(١)

في هذه الرواية ولأنها عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم يكن المجتمع قد تركزت فيه بعض العلوم الإسلامية، فكانت الإجابة نقضية.

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، قال : جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال : هل يقدر ربك أن يجعل السماوات والأرض وما بينهما في بيضة ؟ قال : نعم ، وفي أصغر من البيضة ، قد جعلها في عينك وهي أقل من البيضة ، لأنك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض وما بينهما ، ولو شاء لأعماك عنها.^(٢)

أما في هذه الرواية فالإجابة جاءت بالطريقة الحليّة؛ لأن المجتمع في زمن الإمام الرضا بدأ يفهم بعض العلوم ولو أنه أجابه بإجابة أمير المؤمنين لكان من المحتمل أن يرد الإجابة عليه.

ومن الأمثلة المستقاة من حركة المرجعية الرسالية في إصدار بعض الأحكام لكسر قيود معينة فرضها العرف والزمن، وليس بالضرورة أن يأتي المرجع اللاحق ويسير على الحكم نفسه الذي أصدره المرجع السابق الذي كان الغرض منه إيجاد حركة معينة في المجتمع، فأفتى الصدر بجواز التدخين في نهار شهر رمضان، ولم يعد

(١) التوحيد ، الشيخ الصدوق، ص ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه.

الدخان اللطيف من المفطرات. وبعد أن تحققت الغاية من إصدار هذا الحكم^(١)، جاء الشيخ اليعقوبي ومنع التدخين في نهار شهر رمضان. وهذا لا يعني خروج عن المدرسة الواحدة كما حاول بعضهم أن يوهم الناس بأن الشيخ اليعقوبي خرج عن المدرسة الصدرية^(٢).

ومن أروع ما قرأت مما يدل على أن المرجع اللاحق ليس بالضرورة يستنسخ ما قاله المرجع السابق، ما جاد به يراع الشيخ اليعقوبي، حين قال: (فلا عجب إذن أن نتعرض بالنقد والتمحيص لآراء أساتذتنا، لأن هذا مقتضى القاعدة ومن غير المتوقع أن نعود إلى آراء وأفكار قبلها تكون انتهى دورها وأدت مفعولها).^(٣)

وقال في مكان آخر: (ولا نعني باستلهاام التجربة والاستفادة منها استنساخها وتكرارها مهما كان صاحب التجربة عظيماً لأن الظروف الموضوعية وتغير الزمان والمكان لها كل التأثير في رسم خطة العمل وهذه ليست متطابقة وإذا كان الأئمة (عليهم السلام) وهم معصومون لهم أدوار متنوعة وإن كان الهدف واحداً مشتركاً فما بالك بغير المعصوم؟).

إذن ليس من المعقول أن يعيش اللاحق نفس منهج السابق وبرنامجه فالشهيد الصدر الأول (قدس سره) له ظروفه ومنهجيته والشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وكذا من يأتي بعده).^(٤)

(١) وإن كان السيد الصدر منع منها بعد مدة من انتشار هذه المسألة .

(٢) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (٨).

(٣) القول الفصل في أحكام الخل، محمد اليعقوبي، ص ٧.

(٤) خطاب بالذكرى السابعة لاستشهاد الصدر الثاني (قد) تحت عنوان: الشهيدان الصدران تنوع ادوار ووحدة هدف.

نلاحظ أن التقية التي كان يعيشها الشيخ يعقوبي زمن النظام البائد منعتة من التصدي بهذا الشكل وفي هذا الوقت. ومعنى ذلك بأن تصديه لإمامة الجمعة تجعله بالمواجهة مع الحكومة العراقية التي كانت تبحث وقتها عمن سيخلف الصدر. وبما أن الشيخ يعقوبي لم يكن وقتها قد أعلن عن اجتهاده فهذا يعني أن فرص مواجهته معهم منعدمة؛ لأن الحصانة لا تكون إلا للمرجع - وإن كانت بشكلها الظاهري - فما دون المجتهد يمكنهم أن يلفقوا له أي تهمة لإزاحته عن طريقهم. في حين أن الشيخ يعقوبي كان يرى أن تصبح هناك قناعة لدى الناس وبعدها تترسخ فكرة مرجعيته لدى الحكومة، بعد ذلك لا يمكن للحكومة أن تتعامل معه إلا على أساس التعامل مع المرجعيات. وهذا ما حصل بعد ذلك. وهذه النتيجة لا يمكن أن تأتي ما لم يتعامل الشيخ يعقوبي مع المعطيات بهذا الشكل. ولولا هذا لاندثرت حركة ومدرسة الصدر الثاني؛ لأنه المرشح الوحيد من حوزة الصدر القادر على مسك الحوزة من بعده.

ولا يمكن لأحد القول ان الصدر لم يستخدم التقية، فريد من الشيخ يعقوبي ان يسير على نهجه - بحسب فهم القائل - ويجعلون الشطر الأخير من حياة الصدر هو المقياس.

لأن المقايسة بين قيادة الصدر قبيل استشهاده وبين بداية تصدي القيادة التي تلتها مقايسة ليست منطقية. فإذا جاز لنا المقايسة بين كلتا القيادتين فلا بد من اخذ المرحلة التي تمر بها القيادة بنظر الاعتبار، هل هي مرحلة التأسيس، أو مرحلة التوسع العمودي والأفقي^(١)، أم انها مرحلة مواجهة صريحة. فالذي يقيس القيادة البديلة

(١) ونعني بالعمودي الارتقاء بمستوى فهم الامة ووعيتها الى مرحلة أعلى منها بصرف النظر عن حجم القاعدة، اما الافقي فهو الذي يركز على توسع القاعدة مع التوقف عن تصعيد مستوى المجتمع الى مرحلة أعلى مما وصل اليها، ونلاحظ أن الشيخ يعقوبي وبكفاءة نادرة عمل على كلا الأمرين، فهو تعامل مع A

بقيادة الصدر فانه يقيس على مرحلة المواجهة وهي المرحلة الأخيرة من حياته، فعندما وصل الصدر إلى هذه المرحلة أصبح من الضروري عليه عدم التراجع، لأن ذلك سيحسب بحسابات مردوداتها سلبية على النظرة المجتمعية لقيادته. وقد قال الشيخ اليعقوبي في أكثر من مرة للسيد الصدر بأن : الحكومة جادة في تهديداتها لك، فأجابه : لا يمكن الرجوع بعد أن وصل الحال إلى هذا المستوى.

وهنا لا بد من الإشارة إلى مسألة مهمة، هي : على الأمة عموما والحلقة الوسطية خصوصا أن لا يجعلوا القيادة تصل إلى مستوى من المواجهة لا رجعة فيه، بل عليهم ان يسكوا بزمام الأمور وبينون أفعالا من شأنها أن تغني القيادة عن اللجوء إليها. وهذا لا يمكن أن يأتي إلا إذا وعى المعنيون ما عليهم فعله بالقراءة الصحيحة لما تريده منهم قيادتهم.

فأكثر القيادات كانت تضحي بنفسها وتنتقل إلى المرحلة الأخيرة بسبب عدم وعي الأمة لمقاصدها الحقيقية، وبالنتيجة فأنها تضطر إلى اتخاذ قرار الانتقال إلى الخطوة الأخيرة وهي الشهادة. من أمثلة هذا الواقع، قول الصدر الأول : لو بقيت الحياة لصرفت جزءا كبيرا من الحقوق على تربية هؤلاء. وهم بعض أصحاب المهن في الأسواق؛ بسبب ما رأى منهم من موقف مشرف مع قيادتهم متمثلة به، ولم يره ممن أفنى حفنة من السنين في سبيل تربيتهم الذين تخلوا عنه في أصعب الظروف. ولو لم يكن مضطرا للانتقال إلى المرحلة الأخيرة - وقد أخذ القرار الفعلي - لأمكنه البقاء لتربية هؤلاء الثلة.

=كافة الشرائع ولم ومن كافة التوجهات تحت شعار مهم (الاسلام محتاج الى جميع ابناءه)، وبهذا تجد ضمن مساعديه أو من يعملون في مؤسساته من أتباع المرجعيات المختلفة، وهذا لم يحصل في أي مرحلة وفي ظل أي مرجعية، وفي نفس الوقت استمر في توجيه الافكار القديمة مع احترامها ولكن مع التقدم بها الى فهم جديد ووعي جديد.

فالذي يفكر بشكل منطقي وجازت له المقايسة فانه لا بد أن يقيس بين بداية تصدي المصدر كيف كانت وبين بداية القيادة البديلة. فلا يمكن للقيادة البديلة أن تبدأ بالمرحلة الأخيرة مع المجتمع، وإلا لم تكن هناك مراحل تخوض غمارها هذه القيادة كسابقاتها.

لعل بعضهم يقول : كيف إذن قلتم قبل هذا أن هناك ترابطاً بين الأجيال وان الجيل السابق يسلم ما وصل إليه إلى الجيل اللاحق! ألا يكون هذا تهافتاً؟.

قلنا : إننا ما زلنا نسير مع نظرية ترابط الأجيال ولم نخرج عنها، إلا إننا عنينا من عدم إمكانية مقايسة الفترة الأخيرة والمرحلة الأخيرة للقيادة السابقة بالمرحلة الأولى للقيادة اللاحقة؛ لان الآليات التي استخدمها القادة تختلف، فهناك أشياء مختلفة في مدى جدوائيتها في المجتمع وهناك أشياء متفق على ضرورة وقوعها، أما المختلف فيها هي بعض الآليات المتاحة بيد القيادة التي تكون محكومة للظروف الموضوعية المحيطة بالدرجة التي وصل إليها المجتمع، فترى حصول الاختلاف بين القيادات المتتابعة على المجتمع. اما المتفق على ضرورة وقوعها، فهي النهاية للحياة الدنيوية للقيادة، فكل القيادات الحركية الناطقة تكون نهايتها الشهادة. وهي مرحلة بحد ذاتها؛ لأنها ستسهم بدرجة معتد بها في بناء المجتمع وتقدمه نحو الامام. وفي هذا المعنى وردت الروايات الكثيرة عن أهل البيت (عليهم السلام)، منها : ما جرى على الإمام الحسين (عليه السلام) في الطف. (فمن كلامه عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال الحمد لله وما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله صلى الله على رسوله وسلم خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن منى أكراشا جوفاً وأجربة سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين لن يشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته وهي مجموعة له في

حظيرة القدس تقر بهم عينه ويتنجز لهم وعده من كان فينا باذلاً مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل فإني راحل مصباحاً إن شاء الله).^(١)

ومع علمه انه شهيد لا محالة إلا انه جعل هذه الشهادة هي الطريقة الوحيدة للوقوف أمام الظلم والطغيان، والإصلاح في أمة جده محمد (صلى الله عليه واله)، فيقول: (وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين).^(٢)

وهذا يعني إن هذه الطريقة الوحيدة التي تنتقل بها كل القيادات إلى عالم آخر. فليس المطلوب من القيادة اللاحقة أن تفعل منذ البدء في قيادة المجتمع بالخطوة الأخيرة، ولو كان الحال هذا لما وجدت عندنا مثتان وستون عاماً من حياة المعصومين (عليهم السلام) ليستوعبوا كل الأحداث التي يمكن وقوعها في المستقبل، ووفقها تربي المجتمع و بها تم الدين وأصبحت حياتهم (عليهم السلام) حجة على من جاء بعدهم.

ومن هذا المعنى يتبين لنا مدى أهمية إعداد البديل والمحافظة عليه؛ لان القائد لا يُقبل على الشهادة ما لم يطمئن على البديل.

أما الفكر واستيعاب التجارب السابقة والمستوى الذي وصل إليه المجتمع نتيجة التربية التي تلقاها على يد قيادته الصالحة التي جاءت نتيجة اختلاف الآليات

(١) كشف الغمة، ابن أبي الفتح الاربلي، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.

المستخدمة، هي التي تنتقل من جيل إلى جيل ولا عودة فيها إلى الوراء — وان لم يشخصها الجميع —، وهذه هي فكرة ترابط الأجيال. وليس ترابط الأجيال بالآليات التي تستخدمها القيادة.

مهام القيادة البديلة

إن مسؤولية الاستمرار بتقديم نضج الحركة الإسلامية بعد استشهاد الصدر من المهام الجسام، التي تحتاج إلى شخصية عارفة بطرق التعامل مع أطراف متعددة ممن كانت تمثل جهات مختلفة كلها تعمل على الساحة العراقية، وعلى القيادة البديلة مواجهة كل هذه الجهات المختلفة.

فإثبات الوجود الحوزوي كان من المهام الأولى في أجندة القيادة البديلة؛ لأنها لم تكن مطروحة سابقاً على الشكل الذي يراد لها أن تكون عليه للأسباب التي مر ذكر بعضها.

مع الأخذ بنظر الاعتبار وجود الأسماء الكثيرة، وان كانت من نمط حوزوي آخر، إلا أنها موجودة على كل حال.

ومن جهة أخرى كان هناك نوع من أنواع التصارع على قيادة أتباع الصدر، سواء كانوا من داخل الخط نفسه، اعني بهم الذين توهموا أنهم من المجتهدين، والحقيقة خلاف ذلك. أو من كان من خارج الخط الذين حاولوا أن يركبوا الموجة كي يثبتوا لأنفسهم وجوداً بعد أن عراهم السيد الصدر وأظهرهم بشكلهم الحقيقي.

ومن المهام الأخرى التي لا تقل أهمية عن سابقتها، هو العمل بوجود حكومة ظالمة وحاكم جائر لا يريد للحركة الإسلامية أن تنمو وتزدهر، وهو يحاول جاهداً أن

يضيق عليها والنتيجة القضاء عليها تماماً، وإما السكوت التام، أو السير وفق ما يرى هذا الحاكم.

فقيادة الحركة الإسلامية مصيرها مجابهة هذا الظالم.

والمهمة الأخرى، هي المسؤولية التاريخية والواجب الشرعي في الحفاظ على الانجازات التي أريق من أجلها دماء الأنبياء والأولياء الزكية.

فكل هذه المهام والمسؤوليات تستلزم وجود شخصية تربت تربية خاصة لقيادة الأمة في هذه المدة العvisية. لعل هذه المرحلة التي نتحدث عنها من أصعب المراحل التي مرت بها الحركة الإسلامية في العراق.

محاور عمل القيادة البديلة

استطاع الشيخ يعقوبي أن يسير بالحركة الإسلامية بخطى حثيثة نحو الأمام، فبعد استشهاد الصدر حصل فراغ في الساحة الإسلامية العراقية خصوصاً والعالمية عموماً، وهو يعلم علم اليقين أن هذا الفراغ الذي حصل لن يملأه غيره، فكتب لنفسه برنامجاً متكاملأ يشمل كل مفاصل الحركة الإسلامية، جعله في ثلاثة عشر نقطة للعمل على تحقيقه على أرض الواقع، وسنحاول تسليط الضوء على هذا البرنامج بشكل كامل قدر المستطاع. إلا أننا سنتحدث عن هذا البرنامج بشكل محاور ثلاثة :

المحور الأول : إثبات الوجود الحوزوي، والاهتمام بتطوير المناهج التي تدرس في الحوزة العلمية، رعاية طلبة العلوم الدينية.

المحور الثاني : الوقوف ضد مشاريع الحكومة الظالمة لحرف المجتمع، والعمل على إفراغها من محتواها.

المحور الثالث : بناء المجتمع الإسلامي النظيف، والاهتمام بكل شرائحه، لخلق حركة اجتماعية منظمة سليمة من آفات المتطفلين.

أما الكلام في المحور الأول :

انطلق الشيخ اليعقوبي في قيادته للحركة الإصلاحية من المؤسسة الدينية، فقد أدرجها في أولويات التحرك لأنه كان يرى أن صلاح الأمة بصلاح الحوزة العلمية، مرتكزاً على قول الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه واله) حيث قال : (صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل يا رسول الله ومن هما؟، قال (ص) : الفقهاء والأمرأء).^(١)

ولذا فانه يقول شارحاً لهذا الحديث : (والذي افهمه أن علاقة هذين الصنفين بفساد وصلاح المجتمع ليست بمرتبة واحدة من حيث العلية والمعلولية، ففساد العلماء علة لفساد المجتمع، وفساد الأمرأء معلولة لفساد المجتمع، فيكون فساد العلماء متقدماً برتبتين على فساد الأمرأء، وكذا صلاحهم طبعاً، لان الأمرأء حصيلة ونتاج المجتمع نفسه ولا يمكن لأمرأء فاسد أن يبقى ويستمر إذا لم يكن المجتمع الذي يحكم فيه فاسداً، وإلا كيف يتسنى للمجموعة الحاكمة القابعة في مركز الحكم كالأمويين والعباسيين أن تبسط سلطتها على المجتمع بدون اذرعها المتعددة من الجلاوزة والعملاء والمأجورين وضعاف النفوس، وقوام هؤلاء هم أفراد المجتمع نفسه ولا يستوردهم الحاكم من بلد آخر فلو كانوا صالحين لما بقي للأمرأء ذراع يصلون به، فتحصل من ذلك أن فساد العلماء هو سبب فساد المجتمع أما فساد الأمرأء فهو كاشف عن هذا الفساد لأنه اثر من آثاره.

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٣٧.

فمن أراد إصلاح الأمراء وتغييرهم فليبدأ بتغيير المجتمع ومن العبث وإلقاء النفس في التهلكة التفكير في الأول أي بالتزام المقاومة المسلحة ونحوها لتغيير أنظمة الحكم من دون السعي لتحقيق الثاني أولاً، فإن هذا وعد الله سبحانه {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} الرعد ١١. (١)

انه فعلاً لتشخيص دقيق لما يصيب المجتمع ومن أهم ما يتحلى به القائد هو التشخيص الدقيق لما يحتاج إليه المجتمع لإخراجه من الأمراض التي أوقعها فيه من لا قدرة له على التشخيص الدقيق. وعليه نرى الأولويات التي يوليها القائد اهتماماً عالياً، ولذا فإن بعض من ليس له الدراية قد يوهم الآخرين بالطرق التي يعالج بها المرض الاجتماعي ويحسب انه يحسن صنعا، وقد يتهم من كان تشخيصه مختلفاً باتهامات شتى أبسطها الجبن.

وقد كان الشيخ اليعقوبي مُشخصاً لفساد المجتمع وذلك بسبب فساد علمائه لأنهم مقصرون في أداء مهامهم تجاهه من إرشاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر. وانحراف رجال الدين عن المسار الحقيقي لهم وتغيير أهدافهم من أهداف ربانية إلى أهداف دنيوية بحتة وانتشار مفاسد عدة بينهم من تباغض وتحاسد وقطيعة وغيرها من الصفات الرديئة، جعلت المجتمع يخافهم على دينه.

وإذا كان علماء هذه الصفات المتدنية فلا بد من وجود الأمراء الفاسدين وهو نتيجة طبيعية كما تقدم.

فبات من الضروري الاهتمام بهذه المؤسسة وإصلاح ما أفسده الدهر، وإن كانت مرجعية الصدر الأول والثاني حركية، أي أنها تعمل على الوعي الاجتماعي والحركي، إلا أنها لاقت صدوداً من المرجعيات الأخرى التي كانت متصدية،

(١) المعالم المستقبلية للحوزة العلمية ، محمد اليعقوبي، ص ١٣.

فمرجعية الصدرين على عظمتها إلا أنها لم تأخذ دورها الحقيقي بسبب كثرة الصخب والضجيج الذي أثير حولها ومن قوى دولية كانت لها مصالح معينة.

فقد عمل الشيخ يعقوبي في هذا الحقل بخطوط متعددة :

الخط الأول : تثبيت المدرسة الصدرية، بمعنى الاستمرار بالمشروع الذي كان في فكر الصدر الأول، ونفذه الصدر الثاني، وحافظ عليه الشيخ يعقوبي ووسعه، وهو المشروع الحوزوي المتطور (جامعة الصدر الدينية)، وقد مر عليكم موضوع تأسيس الجامعة ونظامها الداخلي في زمن السيد محمد الصدر.

إلا أن هذا المشروع بقي يراوح في مكانه ولم يحقق الأهداف التي من أجلها تأسس هذا المشروع؛ لأن مرجعية الصدر في تلك الفترة قد اتسعت وتعددت المهام التي كان يؤديها الصدر، وقد أوكل مهمة إدارة الجامعة إلى ولده السيد مقتدى ويعاونه بعض الطلبة. بعد سنتين تقريباً من انطلاق هذا المشروع، وتحديداً يوم الثلاثاء الموافق ٢١ صفر ١٤١٩، استدعى السيد الصدر تلميذه الشيخ يعقوبي ليكلفه بإدارة الجامعة فقال له : (أن جامعة الصدر لا يستطيع أحد أن يتقدم بها غيرك، وقد كانت تحوطها قبل الآن الكثير من المشاكل وقد زالت الآن)^(١)، وهذه المشاكل كان يعني بها المواجهة مع السيد محمد سعيد الحكيم حول البناية التي كانت تشغلها الجامعة التي لجأ للحصول عليها إلى الطاغية صدام^(٢). ومن جهة أخرى المواجهة مع الحكومة؛ لأن المشروع قد أربعهم. فلم يُرد الصدر للشيخ يعقوبي أن يكون في المواجهة خوفاً على مستقبله وما كان يراه فيه من صفات للقيادة البديلة. وقد استجاب الشيخ يعقوبي لطلب أستاذه لتولي هذه المهمة.

(١) المعالم المستقبلية للحوزة العلمية، محمد يعقوبي، ص ٥٥.

(٢) راجع الوثيقة عند عادل رؤوف (مرجعية الميدان)، والسفير الخامس، ص ٣٣٨.

ولم تكتف الإدارة السابقة بالتقصير في إدارة هذا الصرح الشامخ الذي يكفيه فخرا انه يحمل اسم له وقعه في القلوب، فقد حاولت الإدارة السابقة جاهدة أن تفشل عمل العميد الجديد لأنه يعد من المعتدلين من براني الصدر وليس من المتطرفين. وبعد عدة أشهر من تحمل هذا الوضع أرسل الشيخ يعقوبي رسالة للصدر يشرح بها الموقف الذي واجهه في الجامعة. وقد أجابه الصدر بان له مطلق التصرف في الجامعة يفعل ما يراه مناسباً.

وقد تحمل الشيخ يعقوبي الكثير من المضايقات التي مارسها النظام السابق ضده؛ لأنهم كانوا متخوفين من المناهج التي تدرس في الجامعة، لأنها لم تكن معهودة في الدراسة الحوزوية، فكان مدير أمن النجف يستدعيه إلى الدائرة المعنية ليتحدث معه في هذا الحديث، إلا أن الشيخ يعقوبي كان دوماً يطمئنه (أن المشروع ليست له صلة بالسياسة)، لغرض استمرار المشروع.

وقد حاول أزالام النظام أن يغلقوا هذا المشروع ولأكثر من مرة بعد استشهاد الصدر. ففي إحدى المرات كانوا يضغطون على الشيخ يعقوبي لإغلاقه بدواعي مصدر تمويله، فقالوا إما أن يكون تمويلكم من الخارج - والتمويل الخارجي يعد تهمة يعاقب عليها القانون - أو نزودكم نحن بالأموال لاستمرار الجامعة واستمرار عملكم. وهذا يعني أن الحكومة بعد مدة من الزمن تقطع الإمداد عنها فيصبح لزاماً على الشيخ يعقوبي أن يرضخ لغاياتهم. إلا أن الشيخ كان ملتفتاً لهذا المخطط، فكان رده الرفض القاطع، وقد خرج من هذا المأزق بأن قال لهم إن إدارة الجامعة قللت الحصص الدراسية وحصرناها في الأيام الثلاثة الأولى من الأسبوع، وباقي أيام الأسبوع يعطل الطلبة ويغادرون النجف الأشرف للعمل في باقي أيام الأسبوع، وبذلك يكون الاحتياج للأموال قليلاً ويقتصر على الاعتناء بالبنية وبعض المستلزمات فقط.

وبهذه الطريقة حافظ الشيخ يعقوبي على استمرار وجود الجامعة واستقلالها. في حين أن الحوزة العلمية في النجف لم يكن لها وجود حقيقي فقد كانت فترة ركود، فلم نر منها أي تحرك أو اهتمام بشؤون المجتمع، فكان الأمل معقودا على طلبة الجامعة التي حماها الشيخ يعقوبي من كل الأخطار الخارجية.

وقد مرت الإشارة إلى الانجازات التي حققها الشيخ يعقوبي في تطور الجامعة فراجع.

الخط الثاني : إتمام ما بقي من مسائل فقهية لم يتمهن الصدر في حياته، ومواصلة التدريس.

قد سبق أن ذكرنا أن الشيخ يعقوبي بلغ الاجتهاد في حياة الصدر وقد أقر له الصدر بذلك. إلا أن هذه الحقيقة لم تكن معلنة، وكان الصدر متعمدا في عدم الإعلان بالشكل الصريح؛ حتى يحافظ عليه، ولذلك فإنه قال في وصيته (إذا شهد له بالاجتهاد) أي متى ما أراد هو (اليعقوبي) أن يُشهد له بذلك، فترك المسألة بحسب تقديره متى ما رأى المصلحة بالإعلان فإن الشهادات ستكون متوفرة في وقتها. فعامة الناس لا يعلمون بهذه الحقيقة بعد استشهاد الصدر. فكان من الضروري على الشيخ يعقوبي أن يتصدى للمرجعية إلا أنه لم يعلن عن ذلك وإنما قام بمهام المرجع بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وكان أيضا لا بد عليه أن يمهّد الذهنية للإعلان عن مرجعيته ما أن تحين الفرصة. ولأن هناك قناعة كبيرة أصبحت لدى الناس باجتهاد الشيخ يعقوبي ومرجعيته، حاول بعضهم أن يستحصل منه على إجابة من خلال استفتاء وجه إليه حول العنوان الذي يجب به الشيخ يعقوبي على الاستفتاءات الموجهة إليه، وهذه الإجابة مهما كان شكلها فإنها ستستخدم وثيقة ضده. إذا كان الرد بأنه يجب بعنوان المجتهد فإن الوقت لم يحن لإعلان اجتهاده والمانع لم يزل بعد وبالنتيجة فإنه يقع في المحذور. وإذا كانت الإجابة بأنه يجب على الاستفتاءات كونه

ناقلاً لفتاوى الآخرين - وهي الطريقة التي أجاب بها على السائل^(١) - فان البعض سيحتج بها على من قال باجتهاده، والنتيجة سيسكت من كان يقول بذلك. والمهم من هذه القضية أن هناك قناعة كاملة باجتهاده مما دفع ببعضهم لاستفتائه.

وهناك حقيقة لا بد من ذكرها : أن معظم الذين كانوا يعملون في مكتب السيد الصدر يعتقدون باجتهاد الشيخ يعقوبي وكانوا يراجعونه على هذا الأساس، وقد شهد بذلك الشيخ قاسم الطائي في محاضرة ألقاها على جمع من طلبة الحوزة حيث قال : (الكثير من طلبة الحوزة كانوا يحثوننا على إعلان الاجتهاد، وخصوصاً الشيخ محمد قد يكون الحث أكثر مني لأنهم كانوا يعتقدون بذلك، حتى ما (إذا) أعلن رفضوا ذلك ونفس هذا المعنى حصل مع رسول الله عندما دعى عشيرته الأقربين.....^(٢)). ومن الإقرارات المهمة من قبل أعضاء سابقين لمكتب السيد الصدر الشيخ أسعد الناصري، الذي نسمعه يقول في إحدى خطبه بمدينة الناصرية : (وهذا ما وجدناه واضحاً في مسيرته العلمية وكتابات الشريعة في مختلف المجالات، أنا مسؤول عن كلمتي أمام الله سبحانه وتعالى بل (لاحظ) أن الأمر أكثر من ذلك وهو أنني عندما رجعت إلى العراق بعد سقوط النظام البائد (لاحظ) وبسبب عدم وضوح الصورة في داخل العراق لخارجه أحببت أن لا أستعجل في تحديد موقعي من الرجل (الشيخ يعقوبي) حتى أستبين الحقائق عن قرب (وهذا من حقي محدي يگلي لا) وبعد أن عملت على الارتباط بالسيد الحائري (دام ظله) وذلك لشعوري بأن الوضع المستقبلي خصوصاً هو لا بديلة الارتباط بمرجع لأجل قيادة المجتمع القيادية الصحيحة وعدم وضوح الصورة كاملة عندي فيما يخص الشيخ يعقوبي (دام ظله) ولو كانت الصورة واضحة كما هي الآن فإنني لا أختار غيره بكل تأكيد، وبعد عهود

(١) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (٨).

(٢) المحاضرة مسجلة على قرص ليزري.

أطلقها بعض العاملين في مكتب السيد الحائري في قم حول بعض القضايا التي لم يتم تنفيذ أي واحد منها (كلها راحت لاحظ) والتي منها عودته إلى العراق بعد سقوط النظام، حتى قال لي أحدهم بصراحة (وهو من العاملين معه مما يقارب العشرين سنة) أنه إذا رآه يسير بنشاطه السابق نفسه ولا يتغير عنه بعد سقوط النظام فإنه سوف يكون أول المنسحبين عنه وعلى أي حال وبعد ذلك كله وبعد الجلوس مع الشيخ (دام ظله) والتعامل معه عن قرب ومعرفة إحاطته بالأمر الفقهي والاجتماعية وغيرها بشكل ملفت للنظر حصل الجزم بأنه من المستحقين للمرجعية وقيادة المجتمع بجدارة، بل أنه المستحق الحقيقي والرئيسي لمنصب الولاية العامة للفقهاء، وأنا مسؤول عن هذا أمام الله).^(١)

أما الشيخ أوس الخفاجي الذي كان إمام الجمعة في زمن الصدر، والمشرف على صلوات الجمعة في العراق إلى حين اعتقاله كما ذكرنا سابقاً، فيشهد شهادة مهمة عن تلك الفترة في تجمع ضم أكثر أئمة الجمعة في العراق، وكان هذا الاجتماع بعيد سقوط النظام وقال فيهم :

إذا أعلن الشيخ اليعقوبي انه تحت ولاية السيد الحائري فسوف نعمل مع الشيخ اليعقوبي يدأ بيد، وتوجيهات الشيخ تؤخذ بعين الاعتبار كما كنا نأخذها أيام المكتب أيام جامع الرأس، كلنا كنا نحيط بالشيخ اليعقوبي، وكلنا كنا نستشير الشيخ اليعقوبي، بل بأمورنا الشخصية والعائلية نستشير ... ولا سامح الله أن السيد الحائري لم يرض تطلعاتنا أو لم يرض ما يريده خط السيد الصدر نكله (نقول له) سيدنا جزاك الله خير نحن أتباع الشيخ اليعقوبي.

(١) خطبة صلاة الجمعة في مدينة الناصرية مسجلة على قرص ليزري.

وقد تكلم أمام الشيخ يعقوبي عندما ذهبوا إليه قائلاً : نحن أئمة جمع العراق نعاهدك إن رأينا أن السيد الحائري إذا (كان) لا يلبي رغبات العراقيين ولا يلبي رغبات المجتمع العراقي فنحن نعلنها منذ الآن نحن تحت قيادتك لكن بعد أن نمحص الأمر.^(١)

فلاحظ كيف أن الجميع كانوا يلجأون إلى الشيخ يعقوبي في زمن النظام السابق، وإنهم كانوا يرون القيادة الوحيدة هي قيادة الشيخ يعقوبي، وإنهم أتباع له. ونلاحظ أن عبارة الشيخ أوس الخفاجي حول عدم تلبية السيد الحائري لرغبات المجتمع العراقي لها جذور في وصية السيد الصدر التي قال فيها (لا أعتقد أنه يستطيع الرجوع الى العراق ولا أعتقد أنه يتيسر النظر في أمور الشعب العراقي). وهكذا صدقت نبوءة السيد الصدر قبل خمسة أعوام من سقوط النظام وهي تدل على دقته في تشخيص المستقبل.

من أهم المسائل التي بقيت ولم يتم السيد الصدر البحث فيها هي طهارة الخل (المدبس) أو نجاسته. وهذه المسألة أثارت الجميع لأنها تهدد وجود الكثير، منهم من يريد العيش على ما يحصده من اسم الصدر ويعد نفسه من القيادات التي تسيّر عمل هذه القاعدة العريضة التي خلفها الصدر، وهؤلاء الذين ليس لهم القدرة على ادعاء الاجتهاد. فراح هؤلاء يروجون لخروج الشيخ يعقوبي عن الخط الصدري وانه أنكر فضل الصدر عليه، ولا يخفى أن العزف على الجانب العاطفي يأتي بنتائج ايجابية بالنسبة لهم، زيادة على ذلك، ليس كل القاعدة تعرف الشيخ يعقوبي حق معرفته وما هي منزلته في نصرة الصدر وخطه. وقد صدرت الاستفتاءات اللاذعة من بعض أعضاء البراني وهي تعتمد إلى تحجير عقول الناس، والحكم بالمروق على كل من خالف الصدر بفتوى مع العلم انه من مدرسة الصدر نفسه. وكان الذين

(١) لقاء أئمة الجمعة، قرص ليزري.

يروجون هذا الاستفتاء كانوا يشيرون لمن يوصلونه إليه بان المقصود منه الشيخ
اليعقوبي.

ومنهم من ادعى الاجتهاد أو يحاول ذلك، فاختلاف الشيخ اليعقوبي في الفتوى عن
الصدر ينذر باجتهاده الحقيقي وتفرد به بأحقية قيادة هذا الخط. وهذا ما لا يرضي
الآخرين لأنهم حاولوا جاهدين إلفات النظر إليهم لكن دون جدوى. فمثلاً نرى
الحسني الصرخي ثارت ثورته عندما طُبِعَ كتاب (القول الفصل في أحكام الخل)
للشيخ اليعقوبي، الذي هو إتمام للمسألة التي احتاط بها الصدر. فكتب الصرخي
(الفصل في القول الفصل)، وهو محاولة منه للوقوف أمام بروز الشيخ قائداً مجتهداً
للخط الصدري، قال في المقدمة :

(من الأغراض التي من أجلها كتب هذا، هو لبيان الحق والصواب الذي اعتقده
وأرجح بأنه المنهج الذي سار عليه أئمة الفقه ومهرة الفن بل هو الذي أشار إليه أئمة
الهدى سلام الله عليهم أجمعين في منهجة البحوث الفقهية، وكذلك لبيان بطلان ما
طُرِحَ من أفكار تخالف تلك المنهجية، هذا لكوني أستاذاً يرى من واجبه أن يدافع
عن المنهج الصحيح ويرفع ما يراه من الشبهات العلمية أو الاجتماعية أو الأخلاقية
بقدر ما يستطيع بعون الله سبحانه وتعالى)^(١).

ثم يقول : (سنرى خلال البحث ونتائجه وفي الخاتمة انه يحتمل القول ان ما طرح من
أفكار (جديدة) في كتاب (القول الفصل) بعضها غير تام خاصة المطالب الفقهية
والبعض الآخر لو تم فانه ليس من شغل الفقيه بل ليس له علاقة ولا مدخلة في
استنباط الأحكام الشرعية، والأولى أن تكون في بحوث علوم أخرى وكتب أخرى
فكما كتب في إعجاز القرآن وفي التفسير العلمي للقران فلتكتب هذه ضمن بحوث

(١) الفصل في القول الفصل، الحسني الصرخي، ص ٥.

كتب تحمل اسم إعجاز السنة أو التفسير العلمي للسنة أو الرياضيات للفقيه أو الكيمياء للفقيه أو غيرها).^(١)

في حين نسمع شهادات من كبار الفقهاء بعد أن اطلعوا على هذا الكتاب شهدوا له بالفقاهة والجدارة بالبحث، وقد دونوا شهاداتهم خطياً، منهم آية الله الشيخ الكرامي، وآية الله الشيخ الصادقي الطهراني، فضلاً عن شهادات الكثير من أساتذة الحوزة وفضلائها.^(٢)

وهذا الكلام الذي أطلقه الصرخي قد أثر فعلاً على بعض الذين أصبحوا فيما بعد أتباعاً له، خصوصاً أنه أدخلهم في دوامة لا يعرف لها مخرج، واستطيع أن أشبهها بالبحث عن ماهية الشيطان وهل أنه خلق من نار أو غيره وتركوا التكليف الأساسي تجاهه وهو الاحتراز منه وعدم السقوط في مكائده.

وهناك من عمل على تشويه صورة الشيخ يعقوبي في أنظار المؤمنين وهو من خارج الخط الصدري، وكان يتهمه بأبشع الاتهامات. على رأسهم علي البغدادي، الذي لم يتهاون في إجابة أي سؤال من شأنه أن يبعد الناس عن الشيخ يعقوبي؛ لما كان يراه من التفاف المجتمع حوله وخصوصاً شريحة الشباب، وما يراه من حركة دؤوبة في التدريس واتساع حلقاته بشكل مذهل فاق التصورات. وهو الذي سعى لأن يتصرف بالأمر بعد الصدر، إذ جاء لبراني الصدر وجلس في مكانه، إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، فترك المكان وعاد من حيث جاء.

وقد ادعى بأنه اعلم من السيد الصدر الثاني وقد شهد له بذلك الشيخ الغروي^(٣).

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) ملحق شهادات.

(٣) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (٩).

وللأسف فإن هناك الكثير ممن يعيشون عُقداً من الصعب عليهم أن يتجاوزوها، منها عقدة العوائل العلمية وأنهم يعيشون على ما قدم آباؤهم وأجدادهم، فكلما تكلموا قالوا فعل جدنا وفعل فلان. وقد نبذ أمير المؤمنين (ع) هذه الحالة السلبية في ما نسب إليه من أبيات :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب
فليس يغني الحسيب نسبته بل لسان له ولا أدب
إن الفتى من قال ها أنا ذا ليس الفتى من قال كان أبي^(١)

وهذه العقدة كان يعيشها البغدادي وحاول أن يركز على الحداثة في الحوزة وان القدم هو المناط في المسألة. فلذلك نجد في كل الاستفتاءات التي رفعت إليه بأن هناك طلبة جدد وهناك متطفلين على الحوزة. وقد أثاروا مسألة تعرضوا بها للفياض وليعقوبي في آن واحد.

والسؤال : هل يجوز للمرجع الديني منح وكالة مالية شفوية أو خطية من اجل جلب الحقوق الشرعية لمن يدعي الاجتهاد من الطلاب الجدد كذباً وبهتاناً، بدعوى أن الجابي للحق الشرعي لا يشترط فيه العدالة، بل يكفي إحراز الوثيقة فيه حتى ولو كان من الجماعة الكافرة، مع العلم أن هذه الوكالة قد استغلت من قبل هؤلاء المتطفلين في دعم مسيرتهم الضالة؟.

مع العلم أن الشيخ اليعقوبي لم يكن يدعي الاجتهاد في وقتها. علماً إن ناشري هذا الاستفتاء كانوا يصرحون بأن المقصود من هذا المدعي هو الشيخ اليعقوبي.

(١) نهج السعادة، الشيخ المحمدي، ج ٧، ص ٢٧٠.

وبطبيعة الحال فان الإجابة كانت : الحرمة بالعنوان الثانوي، فان الإجازة المالية لها عنوان اعتباري من لدن السذج البسطاء في صلاح الجابي وعدله وهم لا يفهمون مصطلحات الفقهاء من ان النسبة بين الوثاقة والعدالة عموم وخصوص من وجه، وفي الواقع أن الدعوى المتقدمة ما هي إلا مخادعة وتمويه على الحقيقة من اجل اقتناص المغام والمكاسب والمصالح.^(١)

ولا نعلم ما هي الحقيقة التي لم يقلها البغدادي ولم يفصح عنها؟! وكيف يكون الشيخ اليعقوبي متطفلاً وهو من داخل الأجواء الدينية – ولا نريد القول من عائلة دينية – أما من الناحية العلمية فهو درس ما درسه غيره ممن يعدون أنفسهم مجتهدين، أم إن الاجتهاد حكراً على فئة معينة دون غيرها؟! وليس ذنب الشيخ اليعقوبي أن يكون قد أجهد نفسه وقطع ما يقطعه غيره في عشرات السنين في ثمان سنين، ولو حسبناها بحساب دقيق لوجدنا هذه الثمان سنين أربع وعشرون سنة؛ لأنه كان يدرس في اليوم ما يدرسه غيره في ثلاثة أيام. فضلاً عن الخلفية الثقافية التي اكتسبها من خلال فترة طويلة كان فيها جليس الدار لعدم التحاقه بالخدمة العسكرية الإلزامية. وهذه الحصيلة جعلته يختلف عن الآخرين، لأنه دخل لمرحلة متقدمة في جامعة النجف. فيقول الشيخ اليعقوبي : (ونظراً للحصيلة العلمية والثقافية التي كانت لدي فقد قبل السيد كلانتر (قدس سره) المعروف بحزمه الشديد في الإلتزام بالمنهج الدراسي المخصص بالترتيب ان أبدأ دراستي مباشرة من اللعة وأصول الفقه للمظفر وكنت أخذ درسي لمعة في اليوم ودرساً في الأصول وامتحنت مباشرة بعد انتهاء تعطيل شهر رمضان في مكتب السيد الخوئي (قدس سره) وكانت درجتي (٩٥٪) (٢).

(١) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (١٠) .

(٢) الشهيد الصدر كما اعرفه، محمد اليعقوبي، ص ١٠.

فوق هذا كله فإن العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء، ونحن نجد الكثير ممن قضى عمره في الدراسة ولم يبلغ درجة الاجتهاد، فهل يعني أن الأكبر سناً من رجال الدين هو الذي ينبغي أن يُقلد؟!، وهذا مما لا يقول به عاقل.

وقد ذاع صيت الشيخ يعقوبي بين أوساط الحوزة العلمية في النجف، على الرغم من المدة القصيرة التي قضاها فيها. من الشواهد على إمكاناته العلمية، عرض الشيخ الغروي (رحمه الله) عليه تولي الإجابة عن الاستفتاءات التي تقدم إليه، على الرغم من معرفته بتوجهه وأنه يشهد للسيد الصدر بالأعلمية. تعذر الشيخ عن أداء هذه المهمة بسبب انشغاله بالدرس وممارسه دوره الاجتماعي، لكن مع هذا أصر الشيخ الغروي (رحمه الله) على طلبه، فكان يرسل الاستفتاءات إلى بيت الشيخ يعقوبي بواسطة سائقه الخاص، فيجيب عنها ويعود ليأخذها. ولثقتة بالشيخ يعقوبي طلب منه أن يدرس ولده جواد.

في استفتاء ثان رفع للبغدادي أيضاً هي محاولة للنيل من الشيخ يعقوبي وتاريخه تاريخ الاستفتاء السابق نفسه جاء فيه:

شاع في عصرنا المؤلم بين أصاغر الطلاب المتطفلين الجلوس على الكراسي والمنابر لإلقاء بعض الدروس من أجل أهداف شيطانية معروفة، ما رأيكم بذلك؟.

وللأسف فإن الجواب سلبي بشكل مزعج بحيث انه يعكس صورة متخلفة للحوزة، ويصور للناس إن الحوزة هو التمسك ببعض الشكليات وان من يخالفها فإنه انحرف عن مسار السلف الصالح. في حين مغادرة أخلاق السلف الصالح وعدم الالتزام بها، مثلاً تسقيط الآخرين وتشويه صورهم أمام الناس والبهتان والافتراء، لم تُنتقد ولم يؤخذ عليها صاحبها. فقال في جوابه: (كانت السيرة العملية بين الأوساط العلمية في العصور السالفة هو التورع عن الجلوس على الكراسي والمنابر لإلقاء

المباحث العلمية^(١) وكأن الجلوس على الكرسي جريمة لا تغتفر، نحن نعلم أن الجميع يستخدم أجهزة تكبير الصوت في الوقت الحالي، في حين ولوقت ليس بعيد كان يعد هذا الفعل جرماً كما يصوره البغدادي لنا. مع العلم أن الطلبة هم الذين طلبوا من الشيخ اليعقوبي أن يجلس على الكرسي لأنهم لم يروه في الدرس لكبر الحلقة. والقضية الأخرى ألا يستطيع البغدادي أن يحمل أخاه على محمل حسن ويقول يمكن أن يكون الرجل مصاباً بمرض يمنعه من الجلوس بالطريقة المعتادة؟!.

ولم يكتف بهذه الإجابة بطبيعة الحال، بل راح يتهمه بأن الدولة أو الحاكم هو الذي نصبه، فيقول : (وكان سلطان المسلمين هو الذي يمنح ذلك الوسام العلمي لمن حاز الزعامة العلمية المطلقة، كما حصل ذلك بالنسبة إلى شيخ الطائفة الشيخ الطوسي، حيث إن سلطان عصره (القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله أحمد الخليفة العباسي)، نصب له كرسي الكلام والإفادة، بل كان فقهاؤنا الفطاحل في ما مر من الزمن يجبرون على التصدي لمثل هذه الأمور الحساسة). وكلامه واضح في ما يرمي إليه.

من المؤكد إن البغدادي هو الذي يسأل هذه الأسئلة لنفسه، بدليل انه يستخدم هذه العبارات في كتبه وأجوبته : (ولكن في عصرنا المؤلم شاع بين الأوساط العلمية دعوى الاجتهاد كذبا وبهتاناً لا سيما بين الأدباء وهواة الفلسفة والكلام والسياسيين والطلاب الجدد وأبناء المراجع ومن المسلم أن هؤلاء لا يفهمون بعض المصادر الفقهية كالروضة والرياض فكيف يتصدون لتدريس البحث الخارج)^(٢).

(١) ملحق رقم (١١).

(٢) اجوبة المسائل، البغدادي، ص ١٥٧.

لاحظ كلمتي (الطلاب الجدد) كيف إنها تتكرر دوماً، فإنهم ظلوا عنده جدداً ولا نعلم ما علامة الطلبة القدامى؟! مع الأخذ بنظر الاعتبار إن هذا الكتاب طبع سنة ٢٠٠٨.

ولاحظ معي إجابته عن سؤال وجه إليه (ظاهراً) حول بعض المعممين المتطفلين الجدد التصدي للإفتاء والقضاء من غير علم ولا هدى، حيث جاء فيها : (ولكن ظهر في عصرنا الحاضر بعض الطلاب المتطفلين الذين تقمصوا منصب القضاء والإفتاء بغير علم ولا هدى...)^(١).

فهو نفسه الذي يستخدم هذه الألفاظ، وإن كان صحيحاً بأنها استفتاءات وجهت إليه فلا يمكن أن يكون التلميذ خارجاً عن ثقافة أستاذه.

وجاء كل هذا محاولة لمنع الشيخ يعقوبي من قيادة المجتمع، إلا أنه دون جدوى. وقد أهمل الشيخ كل هذه الاتهامات وحملة التشويه التي شنت ضده، ولم يرد عليهم بحرف واحد. وقد جسد وصية الإمام الصادق (عليه السلام) لأحد أصحابه حيث قال : (وأما اللواتي في الحلم : فمن قال لك إن قلت واحدة سمعت عشرة ، فقل : إن قلت عشرة لم تسمع واحدة ، ومن شتمك فقل له : إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي ، وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك ، ومن وعدك بالخنا فعده بالنصيحة والدعاء).^(٢)

وقد واصل الشيخ يعقوبي التدريس في مسجد الرأس الشريف، وكان يدرس الكفاية والمكاسب. وكان يمتاز بطريقة خاصة في التدريس مما جعل الطلبة يتوافدون عليه من شتى الاتجاهات. ولم يقتصر حضور الطلبة على طلاب الكفاية والمكاسب،

(١) ملحق رقم (١٢).

(٢) بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٢٤.

بل حتى الطلبة من مراحل أخرى يحضرون درسه لما وجدوا من مطالب تنفعهم كان يلقىها الشيخ اليعقوبي بين طيات الدرس للمنفعة الاجتماعية. وقد أصبحت حلقة من أكبر الحلقات في النجف الأشرف^(١)، فكان المسجد الشريف يمتلئ عن آخره ولم تجد لك مكانا لتضع فيه رجلك لشدة زحام الطلبة. وعلى مدى أعوام كان ملتزما بوقت الدرس ولم يتغيب ولم يتأخر عنه إلا مرة واحدة، وكان الطلبة بانتظاره وقد استغربوا لتأخر الشيخ، وما أن مر بعض الوقت حتى حضر الشيخ، وعندما سأل عن السبب قال : رزقنا الله قبل قليل بمولود جديد.

الشيخ اليعقوبي و الفقه الاجتماعي

من أروع ما أنتجته حوزة النجف الأشرف في العصور المتأخرة وفاق هذا الإنتاج كل نتاجات الحوزات في العالم، على الرغم من أنها عاشت مرحلة خطيرة وحساسة في آن واحد، هي نظرية الفقه الاجتماعي. مع أن الحوزات الأخرى لم تتعرض للضغوطات التي تعرضت لها حوزة النجف، وكل وسائل الإبداع متاحة لها، إلا أنها لم تتمكن من الوصول إلى المستوى المطلوب. قد لا أكون مبالغا إذا قلت إن كل النتاجات الجديدة والإبداعات العلمية هي من نتاج النجف الأشرف، وما على الباحث إلا أن يلقي نظرة على كل ما ظهر من إبداعات فسيجدها من حوزة النجف. الشيخ اليعقوبي الذي عرفنا عنه تفكيره في إجراء الإصلاحات والتطوير والتجديد في الحوزة العلمية منذ أن كان يتصل بالصدر الثاني في أواسط الثمانينات من القرن المنصرم، وهو لم يرتد العمة المباركة، حيث قال للصدر في رسالة راسلها له يقترح عليه بعض الإصلاحات. ومن العجيب أن أساس نظرية الفقه الاجتماعي كانت

(١) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (١٣) صورة.

تجول في ذهنه منذ تلك الفترة، حيث يقول :
- ولأن المجال الفردي الضيق الذي سلكه الفقهاء أعطى انطباعاً بأن الشريعة ككل فردية وهي إنما جاءت لمعالجة وضع الفرد المسلم ولا يمكن الاستفادة منها في مجال قيادة المجتمعات البشرية.
- تجاوز الحيل الشرعية خصوصاً بما يمس النظم الاجتماعية لأنها إحدى نتائج تضيق نظرة الفقيه للفرد المسلم دون اخذ الجانب الاجتماعي بنظر الاعتبار عند ممارسة اجتهاده

وفي الحقيقة فإن هذا المنحى في البحث الفقهي (المنحى الاجتماعي) جدير بأن يعمل العلماء فيه اجتهادهم واستنباطهم خصوصاً بعد أن وصل الاتجاه الآخر في البحث الفقهي ويقصد به عمق المادة قمته منذ عهد الأنصاري والآخوند (قدس الله سريهما) وعلى أية حال فإن البحث الفقهي في هذا الاتجاه ليس جديداً تماماً ولا انه غريب على العلماء ولا انه باب مغلق لم يطرق من قبل فهناك جوامع الحديث الغنية بالأحكام الاجتماعية وعلى رأسها العهد الخالد الذي كتبه أمير المؤمنين لملك الأشر (رضي الله عنه) عندما ولاه مصر وهناك بعض التجارب المتفرقة لعلمائنا الأقدمين وتجارب رائعة لبعض علمائنا المتأخرين، ونود التنبيه هنا إلى المحاولات المفيدة لعلماء إخواننا أهل السنة في المجال الاجتماعي للفقهاء الإسلاميين ككتاب (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) لابن القيم الجوزية.^(١)

ولا يُتَصَوَّر أن هذه النظرية ظهرت بعد سقوط النظام، بل أعلن عنها بعد استشهاد الصدر الثاني أبان حكم الطاغية صدام.

ولو نظرنا بنظرة المنصف لوجدنا أن الشيخ يعقوبي من اكبر المجتهدين الذين عرفهم العصر الحالي. ولو نظرنا بنظرة الممحص لوجدنا أن كل القيادات الرسالية الشاهدة

(١) الشهيد الصدر كما اعرفه، محمد يعقوبي، ص ٥٣.

لا بد أن تكون مجددة؛ لأنها تكون مكملة لمسيرة القيادة التي كانت تسبقها، ولم تبدأ من الصفر. لعل أوجه التجديد تختلف أو هناك من تتسنى له الفرصة لعرض جديده وهناك من لم تتسنى له الفرصة. وقد قدمنا لهذه الفكرة في موضوع سابق.

وكما مر عليكم كيف ان التجديد كان يفكر به الشيخ اليعقوبي قبل دخوله الحوزة، فان هناك مسألة أخرى جدد فيها وكانت في فكره قبل أن يحين أوانها، حيث نسمعه يقول قبل أن يشرع بتدريس البحث الخارج بأكثر من خمس سنين : (وفي عقيدتي إن فقاها الفقيه لا تُعرف من خوضه في المسائل التي خاض فيها السابقون حتى ملأت الكتب ولم يتركوا مجالاً سوى الدوران بين تلك الآراء والرد على بعضها ببعض وتقض بعضها ببعض فمثل هذا (البحث الخارج) لا قيمة له وصاحبه مقلد لأولئك لا مجتهد ودوره انتقاء أحد تلك الآراء، اما الفقيه الحقيقي فهو الذي يأتي بجديد سواء على مستوى طرح الأفكار أو على مستوى تعميقها وإضافة لبنة جديدة في البناء الشامخ)^(١).

فلاحظ كيف انه يضع الإصبع على أماكن الخلل التي تنخر جسم الحوزة التقليدية، ويشير لما لم يستطع احد أن يشخصه. علما إن هذا الكلام صدر منه منذ عام ١٤٢١هـ.

ولاحظ معي كيف انه يخطط للمنهج الذي يمكن أن يكون نافعاً وجديداً ومثمرا، ليس إبراز عضلات وترفا فكريا والخوض في مسائل لا يعرف من خلالها المجتهد الحقيقي. فيقول:

(من الدروس التي آمل أن أضيفها إلى المنهج الدراسي في الحوزة الشريفة هو درس في (الفقه الاستدلالي المقارن) بين محتملي الأعلمية من المراجع المعاصرين، ويلقى على الطلبة الذين أكملوا السطوح العالية وبدأت تتفتق ذهنيته عن ملكة نورانية

(١) القول الفصل ، ص ١٥-١٦.

ولابد في هذه المسائل بان تكون جديدة ومحل ابتلاء الناس لتكون الفائدة علمية وعملية، ولا ينبغي أن تكون مادة البحث مسائل مكررة ملّت البحث وملّها البحث^(١).

وما أن حانت الفرصة والظرف بات ملائماً حتى شرع في إعطاء درس البحث الخارج، وكان عنوان الدرس (بحوث استدلالية في مسائل خلافية). والملاحظ انه هياً لكل الأمور ومنذ أعوام. فهو مجدد بكل ما تحمل الكلمة من معنى. ولم تكن أفعاله في يوم ما عبارة عن ردة فعل حول مسألة ما، أو فعل ما بل نراه يسير بخطى ثابتة متوالية وموثوقة. ولعل هذا الاتزان وتحقيق ما كان يفكر به مسبقاً من أوضح الدلائل على انه القائد المذخور لقيادة المرحلة. فلا تجد في كل خطواته أي التباس أو تخبط أو عدم وضوح، وهذا لا يمكن حصوله إلا مع الكُمل.

ومن الملفت حقاً ويؤثر على قضايا مهمة جداً لا يجدر بالباحث عن الحق أن يهملها، أن يكون الشيخ اليعقوبي متفوقاً بالرياضيات منذ أن كان طفلاً صغيراً، فكان يعطي نتائج لحاصل ضرب أعداد كبيرة يمثلها، وبشكل سريع جداً. وقد نقل الشيخ أن أباه كان يصحبه لبراني السيد محسن الحكيم فيسأله السيد عن مسائل يجيب عنها بشكل أذهل الموجودين. وما أن كبر الشيخ حتى رأيناه رياضياً ماهراً بالرياضيات الحديثة، ومن نتاجاته الرياضيات للفقهاء. فلاحظ!.

نتعرض لذكر هذه النظرية بشكل مختصر، والذي يريد الاستزادة يمكنه مراجعة كتاب (الأسس العامة للفقهاء الاجتماعيين): (يستفاد من النصوص الشرعية كتاباً وسنة إن للأمة كيانه وماهية وحقيقية ووجود غير مجرد كونه تجمع أفراد وبلحاظ هذا الكيان توجه إليه تكاليف شرعية فمن الكتاب قوله تعالى {مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ} المؤمنون ٤٣. فللأمة أي وجود الأمة كأمة اجل بغض النظر عن آجال

(١) المصدر نفسه، ص ١٧.

أفرادها وقوله تعالى { لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } يونس ٤٩.

وفي السنة الشريفة ، قوله (صلى الله عليه واله) (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، فشبّه الأمة بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) وفي حديث آخر شبه أفراد المجتمع بركاب السفينة الذين يملك كل منهم جزءا منها فلا يستطيع احدهم أن يقلع جزءه ويقول هذا لي وأنا حر في أخذه ؛ لان نتيجة ذلك غرق السفينة كلها بما فيها ، فلو كانت الأمة مجرد عدد رقمي للأفراد لما نبه (صلى الله عليه واله) إلى هذه الرابطة فان الجسد ليس مجرد مجموعة عدد من الأجزاء بل هو مركب له وجود وحقيقة وماهية وكذا السفينة ، وهما مثالان واضحان يقربان فكرة إن الأمة أيضا كيان مركب من عدد من الأفراد وكما إن الفرد له خصائص ومميزات تكسبه الصورة الخاصة به كذلك المجتمع وكما إن الفرد يولد وينمو ويمتلك مقومات القوة والبقاء ثم يضعف ويموت كذلك الأمم تولد وتنمو وتحصل لها عناصر الديمومة والبقاء أو تحل في جسدها آفات العلل والأسقام فتموت وهو ما أشارت إليه الآية المتقدمة والتاريخ أمامنا يشهد على حصول ذلك قديما وحديثا فكم من أمة وحضارة ولدت وازدهرت ثم نخرت في جسدها الآفات والأسقام الاجتماعية حتى فتكت بها واندثرت .

وكما إن للفرد مصالحه وملاكاته بحسب التعبير العلمي التي أوجبت أن يكلف بأحكام شرعية فإوجب المولى تبارك وتعالى عليه الصلاة لتنهائهم عن الفحشاء والمنكر وإوجب عليه الصوم ليقوي إرادته ويتدرب على أن يملك زمام نفسه مثلا فكذلك الأمة لها مصالح وملاكات توجب أن يكون لها أحكام من نوع آخر متوجهة إليها كأمة مجتمعة لا كأفراد غير ما ألفتها في الأحكام الفردية . والفرد مسؤول عن التكليفين معا لكنه في أحدهما مسؤول عنه شخصا بغض النظر عن قيام غيره به وعدمه أما الآخر فهو مسؤول عنه بما هو جزء من هذا الكل المركب الذي سميناه

وهذه النظرية لها أغراض منها:

(إن نتيجة التفكير الاجتماعي في استنباط الأحكام الفقهية تكوين نظريات اجتماعية للمجتمع سواء على صعيده العام أي المجتمع أو على شكل خطابات لشرائحه المتنوعة المهنية كفقه الحلاقة وفقه سائق السيارات أو الاجتماعية كفقه العشائر أو فقه طلبة الجامعات أو الثقافية.. إن هذا التفكير يستحق أن يُبذل الجهد الكبير من اجل انجازه لأكثر من غرض:

الغرض الأول: إن اهتمام الشريعة بالمصلحة العامة أكثر من المصلحة الشخصية بحيث نضحي بالمصلحة الشخصية عند معارضتها للأولى. فلماذا لا نهتم بالتفكير الاجتماعي أكثر من التفكير الفردي وتجد أن دليل حفظ النظام من أوضح المستندات للأحكام الاجتماعية وقد قلنا إن المائز بين التفكيرين هو القواعد والأدلة والأصول وغير ذلك. فنجد إن دليل حفظ النظام من أوضح الأدلة للأحكام الاجتماعية وكذا ولاية الفقيه من أدلة الأحكام الاجتماعية حاکمة على جميع الأدلة الأخرى فان الأحكام الفردية تضحل وتذوب إذا عرض عليها حكم من هذين الدليلين.

الغرض الثاني: إننا نعيش في عالم تتصارع فيه الحضارات والثقافات هو ما يسمى بصراع الحضارات الذي ما زال يشغل الغرب الذي طرح في بداية التسعينات) ونحن هنا في النجف الحمد لله نائمون) لا ندري ما يدور في العالم من تيارات فكرية ونجد في الفترة الأخيرة تطبيقات. ونواجه فيه تحديات كثيرة ولا تواجه النظريات إلا بنظريات مثلها وأما المسائل المتفرقة التي لا تصاغ بشكل نظرية كما هو موجود في

(١) من وحي المناسبات ، محمد اليعقوبي ، ص ٥٤- ٥٥ .

رسائلنا العملية فهي لا تصلح لتواجه تلك التحديات ويقف صاحبها عاجزا وان كانت تحتوي في نفسها اكبر النظريات المشكلة في الطرح والصياغة وجرب بنفسك أن تلم بجميع مسائل الفقه بشكلها المتداول هل يكفي ذلك للخروج بنظام اجتماعي أو اقتصادي إلا أن تعيد صياغتها من جديد وتجمع جزئياتها من الأبواب المختلفة ثم تنظر لها نظرة كلية لتحصل على المطلوب؟

الغرض الثالث: إن كثير من المشاكل التي تواجه جميع أفراد المجتمع اليوم لا يمكن حلها ولا مواجهتها إلا بالانطلاق من نظرية متكاملة .مثلاً عندما تعاني من الانحراف الجنسي والأخلاقي فلا تحل هذه المشكلة بإصدار فتوى بالحرمة بل لا بد من وضع نظرية كاملة للحل تستند للشرعية المقدسة وتعالج المشكلة من جميع جوانبها عندما نريد أن نعالج معاملات مصرفية مخالفة للشرعية فلا بد أن تستند بالحلول إلى نظرية إسلامية من للنظام المصرفي فالمسائل الفردية تعجز عن حل بعض المشكلات بينما النظرية الاجتماعية عند تقديمها تعطيك حلاً متكاملًا.

الغرض الرابع: إنها تثري الفكر البشري بعباء لا حدود له (أي هذه الشريعة بالمنظور الاجتماعي) لأنها صادرة من اللامتناهي فلماذا نجبسها في قمقم التفكير الفردي لماذا لا ندعها في التفكير الاجتماعي وفيها قابلية الاستمرار على الحياة والخلود واستيعاب كل الوقائع (ما من واقعة إلا والله فيها حكم) ونحن أمام واقعة اسمها اصطدام الحضارات والغرب مشغول بها والدنيا قامت ولم تقعد وهي واقعة واهم من الأحكام الفردية فما حكم الشريعة بهذه المسألة الاجتماعية بل هي أوضح الحوادث الواقعة كما في مكاتبة إسحاق ابن يعقوب (وأما الحوادث الواقعة..). أليست هذه أهم الحوادث الواقعة لأنها تمثل مشكلة بشرية وليست على مستوى مجتمع محدود).^(١)

(١) الأسس العامة للفقه الاجتماعي، ص ٢٩-٣٤.

وهذه النظرية حلت الكثير من المشاكل التي واجهت الحوزة والعاملين في حقل الإصلاح الاجتماعي، لتبويب كل القضايا التي يواجهها المجتمع ووضع الحلول لها بشكل متكامل لا جزئي و فردي. وقد صدرت للشيخ اليعقوبي كتب كثيرة على أساس هذه النظرية، منها: (فقه العائلة، فقه العتيق، فقه الجامعات، فقه المصورين، شباب في مقبرة الجنس، سلسلة ظواهر اجتماعية منحرفة، قيادة السيارات، فقه المرأة المسلمة، ...)، وغيرها الكثير.

وعلى أساس هذه النظرية فان الشيخ اليعقوبي احيى الكثير من الفرائض التي كانت معطلة بسبب الفهم الخاطئ لها، الذي سببته الرسائل العملية. منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعطيل هذه الفريضة هو قتل حياة الإسلام، فقد ورد عن الأئمة (عليهم السلام) في هذا الباب:

عن محمد بن عرفة قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : لتأمرن بالمعروف ، ولتنهين عن المنكر ، أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم .^(١)

عن يحيى بن عقيل ، عن حسن قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنه إنما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك ، وإنهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات ، فأمروا بالمعروف ونهوا "أنهوا" عن المنكر ، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقربا أجلا ولن يقطعاً رزقاً. الحديث.^(٢)

(١) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ١١، ص ٣٩٥.

عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : كيف بكم إذا فسدت نساؤكم ، وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ، ولم تنهوا عن المنكر ؟ فقيل له : ويكون ذلك يا رسول الله ؟ فقال : نعم وشر من ذلك ، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ فقيل له : يا رسول الله ويكون ذلك ؟ قال : نعم وشر من ذلك ، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ؟^(١)

الى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا الخصوص.

(إن هذه الفريضة شرعت لتكون صمام أمان للمجتمع من الانحراف والفتن وتحصينه من الأعداء الداخليين الذين ينشرون البدع والضلال والانحراف في مجتمع المسلمين والذين وقعوا في شراكهم عن جهلهم . فهي كالجهاد الذي شرع ليحامي بلاد المسلمين من الخارج . فإن الله تبارك وتعالى لما بنى أمة الإسلام وجعل لها ملامح وأطر وسُمت وأحكام تتميز بها عن غيرها هو يعلم أن هذا البناء يحتاج إلى تشريع يحميه ويحصنه فوضع الجهاد لحماية حدوده الخارجية من الاعتداء ووضع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحمايته من الداخل إذن كلاهما بمستوى واحد ضد الآفات والأمراض الاجتماعية التي تفتك بنيانه وتجعله يتآكل .

وهي بذلك من الوظائف الموجهة إلى المجتمع ككل وليس تطبيقاً للأفراد والمستقلين فيحاسب الجميع عن أي تقصير وقع^(٢) .

وبهذه الطريقة يكون الشيخ اليعقوبي قد جعل كلا الطرفين، المرجعية، والمجتمع أمام أمر واقع لمكافحة كل الأمراض التي أصابت المجتمع الإسلامي. وخلص الخوذة من

(١) المصدر نفسه، ج ١١، ص ٣٩٦.

(٢) الأسس العامة للفقهاء الاجتماعيين، ص ٤٢.

موروث عاشت عليه مدة من الزمن، وان كان هذا حمل على عاتق الحوزة والمجتمع في الوقت نفسه، لكن هو الطريق الوحيد للإحساس بالمسؤولية كل بحسبه.

الخط الثالث : معالجة النقائص الموروثة في الحوزة العلمية، وإدخال بعض العلوم التي من شأنها أن تسهم في بناء رجل الدين :

الشيخ اليعقوبي والقرآن

فلم تدرس علوم القرآن مع انه من المصادر الأساسية لاستنباط الحكم الشرعي، ولعل الطالب يصل إلى مراحل متقدمة في الحوزة وهو لم يتقن قراءة بعض الكلمات من القرآن الكريم، أو لم يحفظ شيئاً من الآيات. وعدم إدخال علوم القرآن في الدراسة الحوزوية أدى إلى إهماله وركنه جانبا، وتمر الأيام والأسابيع والأشهر ولعله لم يمسك الطالب القرآن الكريم إلا للاستخارة. وإذا لم يكن طالب العلوم الدينية مهتما بالقرآن فكيف سيهتم المجتمع به؟. لان المجتمع يتأثر برجال الدين بالدرجة الأساسية. والنتيجة أن الحوزة والمجتمع قد أهملوا القرآن. وهذا الإهمال سبب في فساد الأمراء لأنه كما مر علينا فساد الأمراء أثر من آثار فساد العلماء. وقد وردت الروايات في ضرورة إحياء القرآن وعلومه :

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل : مسجد خراب لا يصلي فيه أهله ، وعالم بين جهال ، ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه .^(١)

(١) الكافي، ج ٢، ص ٦١٣.

وعن الحسن بن راشد ، عن جده ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قراءة القرآن في المصحف تخفف العذاب عن الوالدين ولو كانا كافرين .^(١)

وعن إسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قلت له : جعلت فداك إني أحفظ القرآن على ظهر قلبي فأقرأه على ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف؟ قال : فقال : لي : بل أقرأه وأنظر في المصحف فهو أفضل ، أما علمت أن النظر في المصحف عبادة.^(٢)

فركز الشيخ اليعقوبي على إحياء القرآن وعلومه فألقى المحاضرات مستغلا بعض المناسبات وبعض الأيام من الأسبوع، وقد كان يحضر هذه المحاضرات من لم يكن له درس في جامع الرأس الشريف أو من عوام الناس الذين كانوا يأتون للمراجعة في بعض القضايا، فضلا عما كان ملازما له.

وكانت هذه المحاضرات تسجل على أشرطة صوتية (كاسيت) وتصل إلى المجتمع، وقد راجت هذه الأشرطة بين أوساط المجتمع، ولم يكن أسلوبه أقل تأثيرا من صلاة الجمعة، لأنه كان يباع ويوزع بشكل كبير. ولعل واحدا من الباعة وهو صاحب تسجيلات (السفينة) في كربلاء المقدسة كان يبيع في ليلة الجمعة أكثر من ثلاثة آلاف شريط (كاسيت) وهو عدد كبير إذا ما علمنا أن الشريط الواحد كان يسمعه أكثر من عشرة على طريقة الاستعارة، فضلا عن الذين يعيدون استنساخه مرة أخرى.

وكان هذا المحل (التسجيلات) يوزع على كل المحافظات، إذ كان الطلب على هذه الأشرطة كبيرا جدا.

(١) المصدر والصفحة.

(٢) المصدر نفسه.

وفي إحدى المرات جاء شخص يعرفه صاحب المحل ليشتري منه آخر محاضرة للشيخ
اليقوي. وكانت قوات الأمن للنظام المقبور قد اشترطوا على كل محل من محلات
التسجيلات انه إذا أراد أن يبيع شريطاً فلا بد من فحصه للمشتري، فاشترطوا عليهم
أن يربطوا سماعة خارجية مع الجهاز الداخلي حتى يتمكنوا من سماعه. وفي إحدى
المرات حاول إعطاء الشريط من دون فحصه وبسبب معرفة البائع بالمشتري فحاول
إعطاءه الشريط دون فحصه. وفجأة دخل رجل الأمن المكلف بالمراقبة وقال له شغل
الشريط الذي بيدك لأسمعه، فلم يكن أمام البائع إلا أن يشغل له هذا الشريط، إلا
انه اعتقد بينه وبين نفسه بأنه قد هلك، إلا أن أشبه بالمعجزة حدثت فأنقذت الرجل،
فما أن دار الشريط وإذا بالشيخ يتحدث قائلاً: (الآن المجتمع يعيش الحملة الإيمانية
التي تقودها الدولة) قال له رجل الأمن أطفأه. ظناً منه بان الحديث هو لتمجيد
القيادة والثورة، إلا أن الحقيقة كان الشيخ اليقوي ينتقد الحكومة بسبب الدعوة
للتخلي عن الحجاب، وكان الحديث الذي سبق هذه العبارة (نرى الآن الحكومة
تدعو لنزع الحجاب وهذه وزارة التربية تصدر كتاباً بضرورة خلع الحجاب في
الصور. ثم يشكل عليهم بالحملة الإيمانية).^(١) فيالها من مفارقة عجيبة أنقذت
الرجل.

وهنا يظهر اختلاف الآليات بين مرجع وآخر تبعاً للظروف الموضوعية التي تحيطه كما
قلنا.

وقد أثرت هذه المحاضرات في الكثير من طلبة العلوم الدينية حتى من المنتمين إلى
مدارس أخرى، وجمعت هذه المحاضرات في كتاب سمي بـ (شكوى القرآن).

(١) حدثني بذلك الشخص الذي أراد الشراء. عبد الهادي الزيدي.

الشيخ اليعقوبي والإمام المهدي (ع)

لم يقتصر الشيخ اليعقوبي على إحياء علوم القرآن فحسب، بل كان يلقي محاضرات حول الإمام المهدي (عليه السلام) القائد الأول للحوزة العلمية ومن المفروض أن المرجعية الدينية تستمد شرعيتها وإتباع الناس لها على أساس أنها نائبة عنه. إلا أنها لم تذكره يوماً لا في محاضرة ولا في كتاب، حتى أن مقلديهم يريدون أن يعرفوا آراءهم حول هذه العقيدة التي أصبحت مسألة إبتلائية فلم يجدوا لهم أي رأي فيها.

فانبرى الشيخ اليعقوبي لرفع شكوى بالنيابة عن الإمام المهدي (عليه السلام) على هيئة مجموعة محاضرات ألقاها على طلبة العلوم الدينية، أيضاً في مسجد الرأس.

وكانت أول شكوى قد رفعها هي : الجهل بقضية الإمام (عليه السلام).

حيث قال : فأول شكوى يرفعها الإمام (عليه السلام) هي الإعراض عن أمره والجهل بقضيته والغفلة عنه إذ ليس المقصود بالمعرفة المطلوبة هو العلم باسمه فهذا يشترك فيه حتى غير الموالين له بل إن كتب أولئك التي ذكرت تفاصيل حياته (عليه السلام) وأخباره المستقبلية أكثر مما كتب عنه موالوه.^(١)

ولم يقصد الشيخ اليعقوبي ألفات نظر المجتمع إلى هذه المسألة فقط، بل الظاهر أنه أراد الضغط على المرجعيات الأخرى القابعة في النجف الأشرف التي لا تحرك ساكناً. وفعلاً خلق الشيخ بآرائه حول القضية استفسارات وتساؤلات إلا أنهم لجئوا إلى من يظنون بأنه سيحييهم ولكنهم ظلوا على صمتهم.

(١) شكوى الإمام ، محمد اليعقوبي، ص ١٧.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يضيق عليهم الخناق وليست آخر مرة. لكنهم لم يسكتوا على هذه الرسائل فراحت التهم والبيانات التي تنتقص من الشيخ اليعقوبي ما إن تمر بضعة أيام حتى يصدر بيان أو استفتاء يوزع على زوار أمير المؤمنين^(١).

وعندما أعلن مكتب السيستاني عن بدء الامتحانات في مراحل معينة، ذهب مجموعة من طلبة جامعة الصدر الدينية لغرض خوض هذا الامتحان من اجل الراتب الذي يعطى على هذا الأساس، فأملوا الاستمارة التي وزعت لهم، فكتبوا بها أنهم طلبة في الجامعة، إلا أن رد المكتب هو أنه لا يوجد شيء اسمه جامعة نحن نعلم بوجود الحوزة فقط، وبالتالي لم يعط لهم الراتب.

لكن الشيخ اليعقوبي يعلم أنها ردة فعل على من يحاول أن يوقضهم من رقادهم الطويل، فلم يعر لهم اهتماما فهو ماض بمشروعه الإصلاحية.

وبسبب التقصير في قضية الإمام المهدي (عليه السلام) وخلو الحوزة الكلاسيكية من أي درس أو محاضرة تبين للناس أهم الخطوط التي يمكن أن يسير عليها المكلف، رأينا ظهور الكثير من الحركات المنحرفة ومدعي المهدوية، ورأينا كيف أن هناك الكثير من المؤمنين والمتقنين ظاهرا وهم من أتباع المرجعية الكلاسيكية اتبعوا هذه الحركات المنحرفة. وكلنا رأى كيف كان مصير هؤلاء المسلمين من التقتيل والتشريد والنبذ في المجتمع. ولأن المرجعية الكلاسيكية كانت عالمة بتقصيرها تجاه هؤلاء الناس كان موقفها من هؤلاء الذين قتلوا في (الزركه) في أطراف الكوفة مع المدعي ضياء الكرعاوي أن ادفنوهم وكرمواهم لأنها اعتبرتهم غير مذنبين.

وقد جمعت المحاضرات التي كان يلقيها الشيخ اليعقوبي في كتاب سمي (شكوى الإمام).

(١) لاحظ استفتاءات البغدادي مثلا .

فضلا عن أن الشيخ اليعقوبي كان يتوجه إلى كربلاء كل ليلة جمعة من الأسبوع. وكان يرد على أسئلة الكثير من الشباب الذين يعلمون أنه يحضر لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) كل أسبوع. وهذه إحدى الطرق التي اتبعها الشيخ لإيصال الحكم إلى المجتمع. فضلا عن أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان يعطيه القوة ويلهمه الإصرار على متابعة المسير بالمجتمع نحو الكمال.

موروثات خاطئة

من الموروثات في الحوزة الفهم الخاطئ للتصرف بالأموال (الحصة) التي يأخذونها الوكلاء من الحقوق الشرعية ونقل المتبقي إلى المرجعية، وقد رسخ في أذهان الكثير من الوكلاء أن هذه (الحصة) التي تُعطى إليهم هي ملك لهم يصرفونها كيف يشاؤون لذا توسع بعضهم في ظروف معيشتهم عدوا سعة ما يصل إليه من الحقوق الشرعية. فسكنوا البيوت الفارهة وركبوا السيارات الحديثة، مما سبب ردة فعل سلبية في المجتمع وهي الامتناع عن إعطاء الحقوق الشرعية، وعدوا هؤلاء الوكلاء ليسوا إلا سارقين يعيشون على أموال الناس.

وعلى عادته انبرى الشيخ اليعقوبي للتصدي لهذه المشكلة ووضع الحلول الناجعة للخروج من هذا المطب الذي وقعت فيه الحوزة نتيجة طمع بعض أصحاب النفوس الضعيفة. فجاء في الحل:

إن الحل يشترك فيه جميع الأطراف المعنية بالأمر وهم :

١- المرجعية من خلال عدة نقاط :

أ- متابعة الوكلاء والإشراف على تصرفاتهم والسؤال من الثقات عن استقامتهم وحسن أداء دورهم كما أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) عامله على مصر - مالك

الأشتر - في عهده الذي كتبه إليه، ومدح المحسن والثناء عليه والإشادة به ومحاسبة المقصر وتوبيخه.

ب- تقييد فاعلية الوكالة بسنة واحدة قابلة للتجديد لتكون فرصة لسحب وكالة من يسيء التصرف.

ج- تسجيل حسابات لكل وكيل وإجراء كشوفات عن مقدار الأموال التي ينقلها ومقارنتها مع الحوائج التي يتولى قضاءها على الصعيدين الشخصي والاجتماعي فيحرم من الزائد أما الوكيل الذي لا تفي موارده بقضاء حوائجه أو المجتمع الذي هو فيه متعب اقتصادياً فتحول المرجعية إليه أموالاً غير التي توسط في نقلها ولا ينبغي أن يضيع المجتمع لمجرد أن المنطقة ليس فيها حقوق شرعية.

د- عدم إعطاء الوكالة إلا للفضلاء الذين يحملون قلوباً صافية ونفوساً نظيفة وشعوراً ناضجاً بالحال الاجتماعي وحساً مرهفاً لمعاناة الآخرين وبعيدين عن الأنانية وحب الذات وسيطرة النفس الأمارة بالسوء.

٢- الوكلاء الناقلون : من خلال عدة نقاط :

أ- أن يجعلوا هدفهم رضا الله سبحانه ويدوسوا بأرجلهم الأهداف الدنيوية الزائلة وهم قبل غيرهم يعلمون بأن قيمتها صفر أمام ما أعد الله سبحانه للعاملين في سبيله (وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (التوبة ١٠٥).

ب- ان يعلموا أنهم بوكالاتهم عن المرجعية التي هي وكالة عن الإمام صاحب العصر (عليه السلام) فهم وكلاء لصاحب العصر (عليه السلام) (والوكيل كالأصيل) كما يقال ويعتبر صورة له فليحاسبوا أنفسهم باستمرار هل هم يمثلون بتصرفاتهم صاحب الأمر (عليه السلام) وهل يعكسون صورته فان كانوا كذلك فطوبى لهم وحسن مآب وإلا فانه أول خصم لهم وحجتهم داحضة عند ربهم.

ج- إن الحديث الشريف يقول (من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم) هذا في المسلم العادي فكيف بمن تصدى لمسؤولية المجتمع مهما كان واسعاً أو ضيقاً، فملتصدي الذي لا تحرك مشاعره آهات الناس وآلامهم ولا يندفع لقضاء حوائجهم خارج عن ربة الإسلام بنص الحديث الشريف فليبحث له عن ملة أخرى.

د- ان يتعدوا عن المنافسات والمشاحنات فما داموا مخلصين في عملهم فالمفروض أن يفرح احدهم بمعونة الآخر ويشد بعضهم أزر بعض ، وأي خلاف وتناحر يعني أن الهدف ليس مخلصاً وان حاول أن يظهر بذلك، وقد قلت في مناسبة سابقة إن الشاهد على ذلك أن الأنبياء - وهم مئة وأربعة وعشرون ألف نبي - لو اجتمعوا في مكان واحد وزمان واحد لوجدت قلوبهم واحدة وما هذا إلا أن هدفهم واحد وهو الله سبحانه فما بالنا نختلف ونحن شردمة قليلون.

هـ- ان يقربوا إليهم المخلصين من الرساليين العالمين ليكونوا لهم عيوناً تشخص ذوي الحاجات وأيدي توصل إليهم ما يسد احتياجاتهم وليأخذوا بالنصيحة منهم ويشجعوهم على تقديم المقترحات والمشاريع النافعة.

٣- أبناء المجتمع : من خلال عدة نقاط :

أ- ان يكونوا واعين ومتفهمين لمسؤوليتهم ودورهم ودور الوكلاء في المجتمع ليحاسبوا المقصر ووعظه بالحكمة والموعظة الحسنة فان خير ما أهدى المؤمن إلى أخيه النصيحة.

ب- عدم دفع الحقوق الشرعية إلى الوكلاء الذي ثبت لديهم سوء التصرف بالأموال ونقلها إلى مركز المرجعية مباشرة.

ج- الاتصال المباشر بالمرجعية وإيصال صوت المجتمع إليهم رأساً خصوصاً عندما لا يقوم الوكيل بدوره كحلقة وصل مخلصة بين المرجع وأبناء المجتمع.

د- الالتفاف حول الفضلاء المخلصين لله سبحانه وعزل المسيئين لتأديبهم وإعطاء
الدرس لهم ولغيرهم.

الخط الرابع : التركيز على الوعي الاجتماعي والحركي :

تنقسم القيادة الدينية (المرجعية) الى قسمين : مرجعية حركية واعية اجتماعيا،
ومرجعية كلاسيكية لا تهتم بالوعي الاجتماعي والحركي. وقد خضعت حوزة
النجف الاشرف على مدى عقود من الزمن للمرجعية من القسم الثاني، وللأسف
ترسخت أفكار بعيدة عن المنهج القرآني الذي أكد على ضرورة الوعي الاجتماعي
والحركي. ومالت إلى الدعة والسكون وترك المجتمع وحده، في حين المفروض أن
القيادة الدينية هي التي تنهض بالمجتمع وتقوده وتأخذ بيده إلى سبيل الرشاد.

والملاحظ أن المرجعية الكلاسيكية لم يكن لها أي اثر في هذا الجانب، وظلت تجتر
الفقه والأصول والمنطق واللغة وبشكل إجمالي تنظيم علاقة الفرد بمخالقه، على
الرغم من أهمية هذه العلوم إلا أن هناك مواقف اجتماعية وسياسية تدرك بالاطلاع
على سيرة الأئمة (عليهم السلام) وكيف كانوا يتصرفون إزاءها، وفهمها بالشكل
الصحيح.

وقد عد الشيخ اليعقوبي هذه الفقرة واحدة من أهم عوامل نجاح الحركة الإصلاحية
التي قام بها الصدر الثاني حيث قال: (٤). دراسة سيرة الأئمة (عليهم السلام) بدقة
وعمق وشمولية لمعرفة أدوارهم التي أدوها والمسؤوليات التي قاموا بها، وكيف
كانوا يتخذون المواقف المناسبة اتجاه مختلف القضايا ، ومن حكمة الله تعالى وعظيم
مننه على الأمة جعل أدوارهم تجربة للأمة وظروفهم مختلفة ومدة إمامتهم طويلة
(مائتين وخمسين عاماً) لتتضح تجربة الأمة وتحصل على كل ما تريده من سيرتهم
المباركة ، فعرف (قدس سره) متى ينكمش ومتى يتحرك ، وماذا عليه أن يفعل ،
وكيف يتعامل مع الآخرين افراداً أو طوائف أو سلطات ، فبينما يكتب لي في

منتصف الثمانينيات وكنت شاباً متحمساً للعمل الإسلامي فيقول : إننا في ظروف
لعلها أشد من ظرف الإمام الحسن (عليه السلام)، وحاجته إلى الصمت والتقية
تجده في سنته الأخيرة يقود تحركاً جماهيرياً مليونياً في وجه نفس السلطات
العاتية^(١).

ومن الأمثلة الواضحة التي لا تحتاج إلى تكلف، المبادرة إلى هداية الناس وعدم
الانتظار في الدار متى ما حضر مكلف يسأل أجيبه؛ لان رسول الله (صلى الله عليه
واله) كان طبيباً دواراً بطبه. لم يترك المجتمع وحده! وهذا خلل واضح سيؤدي
بدوره إلى خلق مجتمع يغط في سبات عميق وحالة ركود حتى يألفوا هذه الحالة
وتكون مسألة طبيعية، وتكون الحركية والوعي الاجتماعي، والسعي للتغيير حالة غير
مألوفة يحاولون الوقوف ضدها. كما فعلوا مع الأنبياء.

وقد شخص الصدر الأول هذه المسألة ونوه بها قائلا: ((وهذه الحالة السلبية هي
حالات نفسية يعتاد عليها المجتمع ويألفها، وإذا انتشرت هذه الحالة النفسية، حالة
الخمول والركود والألفة والضياع في قوم، في مجتمع، حينئذ يتجمد ذلك المجتمع
لأنه سوف يصنع إلها من واقعه، سوف يحول هذا الواقع النسبي المحدود الذي يعيشه
إلى حقيقة مطلقة، إلى مثل أعلى، إلى هدف لا يرى وراءه شيئا. وهذا في الحقيقة
هو ما عرضه القران الكريم في كثير من الآيات التي تحدثت عن المجتمعات التي
واجهت الأنبياء. حينما جاء الأنبياء إلى تلك المجتمعات بمثل عليا حقيقية ترتفع عن
الواقع وتريد أن تحرك هذا الواقع وتنتزعه في حدوده النسبية إلى وضع آخر، واجه
هؤلاء الأنبياء مجتمعات سادتها حالة الألفة والعادة والتميع فكان هذا المجتمع يرد
على دعوة الأنبياء ويقول بأننا وجدنا آباءنا على هذه السنة، وجدنا آباءنا على هذه
الطريقة ونحن متمسكون بمثلهم الأعلى، سيطرة الواقع على أذهانهم وتغلغل الحس

(١) خطاب المرحلة رقم (٣٣) بعنوان: عوامل نجاح الحركة الإصلاحية المباركة للسيد الشهيد الصدر الثاني
(قد).

في طموحاتهم بلغ إلى درجة تحول هذا الإنسان من خلالها إلى إنسان حسي لا إلى إنسان مفكر ، إلى إنسان يكون ابن يومه دائماً، ابن واقعه دائماً لا أبا يومه ولا أبا واقعه، ولهذا لا يستطيع أن يرتفع على هذا الواقع . استمعوا إلى القرآن الكريم وهو يقول : (قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ) البقرة ١٧٠و (قَالُوا أَجِئْتَنَا لْتَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) يونس (٧٨)).^(١)

كان الشيخ اليعقوبي يعيش هذه المأساة نتيجة هيمنة المرجعية الكلاسيكية وسطوتها التي أوصلت المجتمع إلى الاحتضار – ولولا دماء المرجعية الشاهدة لمات المجتمع منذ زمن بعيد – فجعل التركيز والعمل على تثبيت الحركية والوعي الاجتماعي من الأولويات التي يعمل عليها لإحياء المجتمع.

الشيخ اليعقوبي مترجماً لسيرة المعصومين (عليهم السلام)

كان الشيخ اليعقوبي يلقي المحاضرات بشكل يومي وأسبوعي بعنوان (دور الأئمة في الحياة الإسلامية) في جامع الرأس. والفكرة تعود في أصلها لبحث صغير للصدر الأول نشرته مجلة الإيمان النجفية في العدد (٧-١٠) من السنة الثالثة. وهذه المحاضرات لم تكن مقتصرة على رجال الدين الذين كانوا يحضرونها، فقد كانت موجهة لكل شرائح المجتمع. ومن اللطيف ذكره أنه كان يعني بهذه المحاضرات التي كان يلقيها المراجع الذين كانوا متصدين. قال اليعقوبي في مقدمة الكتاب الذي جمع المحاضرات بعد سقوط النظام في نيسان ٢٠٠٣، وسمي بالاسم نفسه، قال:

(١) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ص ١٢٢-١٢٣.

(فهذا الكتاب مما لا يستغني عنه القادة ليعرفوا كيف يتصرفون في المواقف وما هي مسؤولياتهم ووظائفهم.

والمربون ليتعلموا الطرق السليمة والمنافذ الدقيقة لتربية الأمة وإصلاح مفاسدها. والعلماء والفقهاء ليتعرفوا على الاتجاه العام لسيرة الأئمة (عليهم السلام) والمنهج الذي ساروا عليه والذوق الذي من خلاله نقيم ما يمكن نسبته إليهم (عليهم السلام) أو عدم نسبته.

والرساليون الذين حملوا هم العمل الإسلامي المبارك وسعوا إلى نشر راية الإسلام وبسط نظامه العادل السعيد في كل مكان).^(١)

وقد كان الشيخ اليعقوبي يستغل المناسبات الدينية من وفيات وولادات للمعصومين (عليهم السلام) لإلقاء المحاضرات وإقامة الاحتفالات الدينية، وكان يحضر إحياء المناسبات التي يقيمها الطلبة في المدارس ويشاركهم فيها.

ولم يكن إلقاء المحاضرات بشكل متسلسل وفي مواضيع محددة وإحياء المناسبات والمشاركة فيها، طريقة مألوفة لدى حوزة النجف إلا من الصدر الأول والصدر الثاني واليعقوبي.

ويأتي تركيز الشيخ على دور الأئمة وسيرتهم (عليهم السلام) ليتمكن المجتمع من تشخيص القيادة الحقيقية وما يجب أن تكون عليه. وقد كشفت هذه المحاضرات للكثير زيف كثير من القيادات الدينية التي لم يكن يتجرأ أحد على أن يشكل عليها أو يستفسر منها حول قضية ما.

والملاحظ إن الحوزة التقليدية قد ركزت في أذهان الأمة ان سيرة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) إن قرأت فتقرأ للاطلاع على التاريخ وحسب، وليس للاستفادة منها في الحياة اليومية. وهذا ما نشاهده وما نعاينه مع المجتمع في محاولة إفهامه بعض الأحداث الجارية في الوقت الحالي؛ لأنهم لا يشعرون بالارتباط بسيرة الأئمة (عليهم

(١) دور الأئمة في الحياة الإسلامية، ص ٧.

السلام) ومعايشة الأحداث على وفق ما جرى من سنن مع الأقوام السابقة. فعندما تستشهد بفعل لأحد الأئمة (عليهم السلام) فإنهم سيجيبونك مباشرة بأن أولئك أئمة ولا دخل لنا بهم! في حين ان الصحيح إننا اليوم نعيش في كل أفعالنا و تروكنا على وفق تاريخ الأئمة وما فعلوه وما تركوه؛ لان فعلهم قولهم وتقريرهم حجة علينا. وهذا ما أراد الشيخ العنقوبي إفهامه للمجتمع، وان الأئمة (عليهم السلام) هم مقياسنا لمعرفة وتشخيص ما يدور حولنا، سواء على مستوى تشخيص القيادة الحقيقية أو معرفة الموقف السليم في الأحداث الواقعة. وإذا انقطع المجتمع عن معرفة سيرة الأئمة (عليهم السلام) فان الأمور ستخلط عليه بشكل يسير وسهل جدا، كما فعل معاوية مع أهل الشام عندما ضللهم عن معرفة أمير المؤمنين (عليه السلام). فتتجهت بهم ان قاتلوه وهم يظنون انه الباطل بعينه حاشاه. فالمضلون دوما يعملون على تجهيل المجتمع.

وان تكلموا عن حياة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وسيرتهم فإنهم يتكلمون بالجانب العاطفي والفهم البسيط الساذج والقديم الذي أكل الدهر عليه وشرب. ونتيجة لهذه الممارسات التي مارستها المرجعية الكلاسيكية أصبح هناك فرق شاسع في فهم المجتمع للطرح الحديث، وأصبحت البديهيات عندهم من النظريات التي تحتاج الى توضيح ومقدمة ليفهمونها، وهذا يعني أن بعض المجتمع يعيش حالة تخلف وسيكون بذلك سلاحا تحارب به المرجعية الكلاسيكية كل من يأتي بجديد كما عبر القرآن عن هذه الحالة عند إرسال الرسل (عليهم السلام)، فيقول تعالى :

(قَالُوا أَجِئْتَنَا لْتَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ) يونس ٧٨

(قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) هود ٦٢

محنة (البراني)

الخط الخامس: الحفاظ على براني الصدر واستمرار عمله، وعدم تشتت القاعدة المرتبطة به.

لا يخفى أن المكان الذي يرتبط بأشخاص مقدسين فانه يأخذ شيئاً من قدسيته، ويبقى يذكر بمواقف وأيام خلت، والكثير من المؤمنين الذي عاشوا حقبة تصدي الصدر لهم ذكرياتهم فيه. فضلاً عن ذلك فان الاستمرار بالعمل في هذا المكان فيه شيء من الامتنان والعرفان بالجميل لرجل أعطى كل ما يملك للإسلام. لكن الأهم من المكان هو الاستمرار بالنهج الذي سار عليه صاحب المكان، والاهتمام بما أوصى به وعدم مخالفته بما يجعله يتألم وهو في قبره.

والاستمرار ببقاء هذا البراني رسالة إلى جهتين أساسيتين :

الأولى، وهي موجهة إلى كل من كانت له يد في قتل الصدر سواء كان القتل المعنوي والذي هو اشد من القتل المادي، أو من قتله بيده وهو القتل المادي، وفي مقدمتهم رأس الحكومة الجائرة في العراق صدام. وهي تعني أنكم وان قتلتم الصدر إلا أن مذهب أمير المؤمنين (عليه السلام) لازال باقياً وسيستمر وستبقى الحوزة الناطقة إلى ما شاء الله.

والجهة الثانية : وجهت الرسالة للقاعدة المؤمنة التي رباها الصدر لتكون الحوزة الناطقة موحدة وليست جهات متعددة؛ لان تفرق الحوزة يعني تفرق المجتمع، والنتيجة ضعفها وخوارها، وهذا مما لا يريده ولا يرضاه الشيخ اليعقوبي. ومن جهة أخرى فإن الشيخ اليعقوبي كان عارفاً بالساحة الحوزوية العراقية فهي لم تطبق الوصية التي أوصى بها الصدر، وهي اللجوء إلى الفياض ظاهراً؛ لأنه ينتمي إلى الحوزة الكلاسيكية ومع كل الضغوطات التي ستمارس عليه من أتباع الصدر فانه لن يستجيب لهم، ولن يلبي لهم ما يصبون إليه.

وأما الحائري فانه من المستحيل أن ينظر بشؤون الشعب العراقي، فهو لم ينفع العراقيين بصفته مرجعاً وقائداً.

لذلك فان بقاء براني الصدر بات من الضرورييات، وليس المقصود من بقاءه أن يكون مجموعة من رجال الدين الذين يديرون بعض المؤسسات والمدارس الدينية، وإنما لابد من وجود شخص فيهم قد بلغ درجة الاجتهاد وان لم يكن بالشكل المعلن.

وقد حققت هاتان الرسالتان الغاية التي كانت مرجوة منهما. فالتف الناس حول البراني الذي كان يقوده الشيخ يعقوبي بكل جدارة، وهذا غاية الرسالة الثانية. أما الأولى فقد وصلت إلى النظام الحاكم مما جعلهم يتحينون الفرص إلى أن يغلقوا البراني، حتى وقعت حادثة محاولة اغتيال المجرم محمد حمزة الزبيدي في النجف الأشرف في أواسط الشهر الثامن من السنة نفسها التي اغتيل فيها الصدر. فكانت خير ذريعة لإغلاق البراني فمُنِعَ العاملون فيه من الاستمرار بالعمل.

وقد استدعى مدير الأمن العامة كل من الشيخ محمد يعقوبي والسيد مقتدى الصدر والسيد رياض النوري والسيد سلطان كلانتر، للحضور إلى بغداد لشرح لهم الظروف التي دعتهم لغلق البراني.

وكان لقاءهم بمدير الأمن العام يوم ١ / ٩ / ١٩٩٩.

وقد كان حديثه موجهاً إلى السادة على أساس أنهم من الشباب الذي ليس له خبرة كافية في الحياة، ولم يكن كلامه يشمل الشيخ يعقوبي؛ لأنه لم يعرفه شخصياً، فهو يسمع بإسمه فقط. بعد أن أنهى حديثه تكلم الشيخ يعقوبي مما حظى بانتباه هذا المجرم، من ضمن الكلام الذي تحدث به هو: (إن إغلاق المكتب سيعرضكم لإحراجات كبيرة، وهي خطوة ليس بصالح الجميع، لان الأمور ستخرج عن السيطرة وسيكون هناك من يتحكم بها عن بعد). فرأى أن الشيخ قد وضعه أمام منطق سليم. فلم يكن أمامه إلا القبول بالرأي الذي طرحه الشيخ، وهو ممارسة مهام مكتب السيد الشهيد من مسجد الرأس. وبهذه الطريقة حافظ الشيخ على استمرار

عمل المكتب وأداء دوره في هداية المجتمع.
إن محاولة إغتيال الزبيدي قد صورتها منفذوها ونشرت في العراق بشكل كبير على أقراص ليزرية إلا أنه لم يتم الإعلان عن هوية الجهة المنفذة.
صحیح أن جريدة الصباح العراقية اختصت بنشر اللقاء الذي اجري مع يوسف (سناوي) الموسوي أمين عام (حركة ثار الله)، وقد أعلن في هذا اللقاء عن تنفيذ حربه محاولة لاغتيال الزبيدي اثر حصولهم على معلومات تشير الى إشرافه المباشر على اغتيال الصدر ونجليه، لكنها لم تكن المحاولة نفسها التي على إثرها أغلق البراني. فالموسوي يذكر أن محاولتهم كانت في كربلاء في محل إقامة الزبيدي، لكن المحاولة التي نشرت كانت في النجف عندما مر موكب المقبور وكانت توجد سيارة مفخخة قد ركنت إلى جانب الطريق التي يمر به المقبور وتم تفجيرها إلا أنها لم تصبه بشكل مباشر.

فيوجد احتمالان قريبان من الواقع، الأول : الذي كان مسؤولاً عن هذه العملية هم أتباع الصدر، وعادة فإن العمليات التي كانوا ينفذونها لم يعلن عن الجهة الحقيقية المنفذة، أو كانت تنسب إلى جهة معارضة خارج العراق؛ حتى تخف وطأة الاعتقالات والملاحقات لأتباع الصدر داخل العراق، ومن الممكن أن تكون هذه المحاولة لأتباع الصدر فعلاً^(١).

(١) لأن المؤكد أن الحكومتين العراقية والإيرانية كانتا أبرمتا إتفاقيات قبل وبعد استشهاد السيد الصدر بعدم استهداف المسؤولين وذويهم، وقد رأينا أن الشباب الذين نفذوا محاولة اغتيال عدي صدام تبرأت منهم كل اتجاهات المعارضة في إيران بعد العملية، مما تركهم من دون حماية وتم تسريب معلومات عنهم فاعتقل أحدهم وتم اعدامه وهو (عبد الحسين جليلد عاشور، أبو سجاد) وأعدم أبيه واعتقلت أمه وزوجته، واغتيل الثاني في الأهواز وهو (تحسين مجيد، أبو زهراء)، وتعرض الثالث الى محاولة اغتيال فاشلة ولكنه خرج منها بإصابات خطيرة وهو (مؤيد راضي نعمة، أبو صادق) وأعدم عدد من أفراد أسرته، و(سلمان شريف دفار، أبو أحمد البزاز) وتم اعدام أبيه وستة أو سبعة من أخوانه. ومن الواضح أن تسريب المعلومات عن أسمائهم وأماكن تواجدهم نتيجة إختراق واضح من قبل أجهزة أمن الحكومة العراقية للمعارضة المسلحة في إيران أو لوجود

الثاني: أن تكون الحكومة العراقية الجائرة هي التي نفذتها لتكون ذريعة محكمة للخلاص من البراني الذي يحمل اسم الصدر الشهيد، وخصوصاً أن هذه العملية دون غيرها قد انتشرت بين أوساط العراقيين حتى يوجدوا المسوغ لما سيأتي بعد ذلك عندما يغلق البراني. خصوصاً إذا علمنا أن الأجهزة الأمنية كانت قلقة من بقاء البراني مفتوحاً ويستقبل الناس.

وبدأت تدار شؤون المجتمع من جامع الرأس، من ردود على الاستفتاءات وقبض حقوق شرعية وإدارة جامعة الصدر إلى غير ذلك من الشؤون المتعلقة بإدارة الحوزة. وكان المحور والأساس في إدارة هذا المكتب هو الشيخ اليعقوبي، وكان يساعده بعض رجال الدين من أتباع الصدر.

وكان جامع الرأس يعج بالعاملين بين من يستلم الحقوق وبين من يعطي الدرس وبين من يقوم بالتسجيل إلى غير ذلك.

واستمر الوضع على ما هو عليه من عمل في جامع الرأس، إلا أن هذه الاستمرارية ولدت ضغطاً على كثير من العاملين في هذا المكتب. رأى الجميع أن الشيخ اليعقوبي هو الذي أصبح المرجع الفعلي لهذا الخط، وإن حلقة درسه في الكفاية أو المكاسب أصبحت من أكبر الحلقات الدراسية في النجف الأشرف. حتى أنه عندما يشرع في درس الكفاية فإن جميع من في الجامع يترك ما بيده من عمل وينتبه لدرس الشيخ، ومن عنده مراجعة عند أحد العاملين فلا يرد عليه لأنهم متبهون ومصغون للدرس. وبعد انتهاء الدرس يجلس الشيخ لمقابلة المراجعين، وهم صنفان، طلبة الحوزة على جهة، وباقي الناس على الجهة الأخرى. ولكثرة المراجعين يطلب الشيخ اليعقوبي من الناس في كثير من الأحيان أن يراجعوا أحد الموجودين في المكتب، إلا أنهم يرفضون ذلك ويتجشمون عناء الانتظار على أن لا يذهبوا إلى غيره.

=تعاون مع بعض جهاتها أو تم تسليم المعلومات من قبل جهة رسمية؟؟.

كان الشيخ يعطي الدرس في الجامعة صباحا وبعد ذلك يتوجه إلى جامع الرأس ليمارس مهامه.

وبدأت المضايقات تظهر بشكل واضح للشيخ يعقوبي في الجامع من خلال الدرس الذي كان يلقيه؛ لأنه بالنظر لحجم الحلقة الدراسية فإن الطلبة لا يسمعون صوت أستاذهم ما لم يكن هناك مكبر للصوت، فكان المكبر في جهتين من الجامع كي يفي بالغرض. فرفع المكبر من إحدى الجهات بإيعاز من بعض أعضاء المكتب (قسم المتطرفين)، واعترض الطلبة والشيخ لكن دون جدوى. وبعد مدة من الزمن رفع الثاني من الجهة الأخرى.

وكانت الاستفتاءات التي تمس الشيخ يعقوبي توزع داخل مسجد الرأس، وهناك من يطلق الاتهامات حول الشيخ من المسجد أيضا. ووصل الحال إلى أن منع بعض الأشخاص الذين يعدون مقربين من الشيخ يعقوبي من دخول المسجد، محاولين بذلك الضغط على الشيخ لترك العمل في المسجد. على الرغم من كل ما فعلوه إلا انه لم يكن يكثرث وواصل عمله في إدارة المكتب، وفاء للسيد الشهيد وخوفا على الأمة من الضياع والتهيه.

في احد الأيام أرادت قناة (الجزيرة) أن تنتج برنامجاً عن حوزة النجف الأشرف، عن تأريخها وإعلامها وغير ذلك. وقد وقع اختيارهم على الشيخ يعقوبي ليكون ضيف هذا البرنامج. وافق الشيخ على تسجيل البرنامج؛ لأنها فرصة لتعريف العالم بالحوزة النجفية. وقد كان مكان التسجيل في مسجد الرأس، لكن بعض أعضاء المكتب ثارت حفيظتهم واعترضوا اعتراضا شديدا، وادعوا أن السيد الصدر تكلم على هذه القناة ولا يجوز التعامل معها. فلذلك أغلقوا المسجد في اليوم الذي تقرر فيه التسجيل، مما اضطر الشيخ أن يسجل البرنامج في جامعة الصدر الدينية. لكن بعد مرور مدة من الزمن رأينا المعارضين يظهرون على شاشة الجزيرة، وقد تناسوا اعتراضهم على الشيخ يعقوبي!

وعندما لم تؤثر كل الأساليب التي مر ذكرها من ثني الشيخ عن مواصلة عمله، جاء دور الأسلوب الأخير لأبعاد الشيخ يعقوبي عن مسجد الرأس، فجاء موظفان معروفان في المكتب إلى الشيخ وقالاه : أنت ممنوع من دخول المسجد. وكان هذا الحدث أواخر شهر ذي القعدة ١٤٢٣ هـ.

وبقي يعطي الدرس في الجامعة فقط، واستمر على هذه الحال مدة أربعين يوما. بعدها انتقل الدرس إلى جامع كاشف الغطاء. وقد قام أزام النظام المقبور بالضغط على عائلة كاشف الغطاء لمعرفة نشاطات الشيخ يعقوبي ولإبعاده أيضا من جامع كاشف الغطاء لغرض منعه من التحرك وإيقاف الحركة الإسلامية التي رعاها الشيخ يعقوبي، لكن دون جدوى.

عندما تعذر وجود الشيخ يعقوبي في مسجد الرأس بدأت الناس تسأل عن أسباب خروجه وانفصاله، وكانت الإجابات مختلفة.

وفي الوقت نفسه أثارت مسألة أخرى، وهي التساؤل عن شرعية قبض الحقوق الشرعية إذا لم يكن الشيخ يعقوبي هو المستلم.

فرفع الكثير من الاستفتاءات إلى مكتب الصدر مطالبهم بالأدلة التي على أساسها يتم قبض الحقوق الشرعية وصرفها. ولم تكن الإجابات تأتي بالشكل المطلوب الذي يقنع السائلين. كما إنها مخالفة لما أراده الصدر في بعض وصاياه. ففي لقاء أئمة الجمع قال : (إنما أنا استهدفت إيجاد المراجع للمستقبل وإلا الحمد لله، جملة من مراجعنا ذهبوا والباقي أيضا يذهبون، يبقى المجتمع وتبقى الحوزة بدون مجتهد؟، بدون اجتهد هل يصير تقليد؟، لا يصير تقليد، لأن غير المجتهد لا يقلد، إذا لا يقلد معناها لا يوجد مرجع، فمن الذي يقضي؟ من الذي يقبض حق الإمام؟...).

ومحل الشاهد أن المجتهد هو الذي يقبض حق الإمام. وبإنعزال الشيخ لا يبقى مجتهد ليقبض حق الإمام. لكن المكتب كان يقبض حق الإمام!

وبدأ الشيخ يعقوبي باستلام الحقوق عن طريق الجامعة، وكانت الوصولات تصدر تحت عنوان الجامعة.

فهل يصح التساؤل : كيف أمكن للشيخ أن يستقل عن الآخرين، ألم يخش الحكومة؟.

وواقع الأمر أن الشيخ اليعقوبي في هذه الآونة أصبح يمثل كيانا قائما بنفسه ولا يمكن للحكومة التعرض له كما يتعرضون لأي طالب في الحوزة؛ لأنهم بدأوا يتعاملون معه على أساس التعامل مع المرجعيات.

نقل لي احد الأخوة^(١) أن السيد عبد القادر البطاط الذي كان يعيش في الحلة مدة من الزمن، كان الأمن يرسلون بطلبه للمثول أمامهم بين الحين والآخر. فحصل ان سألوه في إحدى المرات عن اليعقوبي فقال لهم انه ليس مرجعا (قال ذلك بداعي الخوف عليه). فكان رد ضابط الأمن : كيف يكون المرجع! إن الناس تراجعوه في كل شيء، وتعطى له الحقوق الشرعية، أليس هو هذا عمل المرجع؟!.

وفي إحدى المرات تم إلقاء القبض على احد المؤمنين الحركيين من أهالي الحلة وجابوا به الكثير من مديرات الأمن، سألوه عن تقليده، فأجابهم بطريقة اعتقد إنها تخلصه من المسألة الشديدة. ثم سألوه عن اليعقوبي، فأجابهم بعدم معرفته له. فقالوا له : لا تعرفه وهذه الاستفتاءات الطويلة ملأت العراق وأتعبتنا كثيرا!.

والأمر الآخر إن الحكومة في الفترة الأخيرة أصبحت حكومة هزيلة شغلها الشاغل محاولة الحفاظ على وجودها وليس في صدد متابعة خليفة الصدر في العراق.

الشيخ اليعقوبي في مهمة الإنقاذ

عندما بدأت تتضح معالم واحدة من المشاكل التي تصيب الكتل الرسالية بعد غياب قيادتها الأصيلة، وهي التوقف وعدم الاستمرار بالمشروع الرسالي تحت القيادة البديلة والتمسك بالقيادة السابقة كما حصل ذلك على مستوى التاريخ للكتلة

(١) وهو السيد حسين هادي كرم من أهالي الحلة. عبد الهادي الزيدي.

الرسالية في زمن بعض الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وخصوصا مع الإمام الرضا (عليه السلام) عندما توقف بعضهم على إتباع قيادة موسى بن جعفر (عليه السلام) بعد وفاته.

وقد روي السبب الذي دعا قوما إلى القول بالوقف، فروى الثقات أن أول من أظهر هذا الاعتقاد علي بن أبي حمزة البطائني، وزياد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي، طمعوا في الدنيا، ومالوا إلى حطامها، واستمالوا قوما فبدلوا لهم شيئا مما اختانوه من الأموال، نحو حمزة بن بزيع وابن المكاري وكرام الخثعمي وأمثالهم.^(١)

فروى محمد بن يعقوب ، عن محمد بن يحيى العطار ، عن محمد بن أحمد عن محمد بن جمهور ، عن أحمد بن الفضل ، عن يونس بن عبد الرحمن قال : مات أبو إبراهيم عليه السلام وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته ، طمعا في الأموال ، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار ، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار ، فلما رأيت ذلك وتبينت الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا ما علمت ، تكلمت ودعوت الناس إليه فبعثنا إلي وقالوا : ما يدعوك إلى هذا؟، إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار ، وقالوا لي : كف ، فأبيت وقلت لهما : إنا روينا عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا : إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه ، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان ، وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله على كل حال ، فناصباني وأضمر لي العداوة .^(٢)

(١) بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٥٢.

(٢) المصدر والصفحة.

فلاحظ كيف أن هؤلاء الذين وقفوا هم الذين كانوا يعدون من ثقات الإمام الكاظم (عليه السلام) وكان يعتمد عليهم لإدارة شؤون المجتمع المسلم. إلا أن هذا لم يشفع لهم لعدم إتباعهم القيادة البديلة.

فضلا عن ذلك فإن هؤلاء الذين يعدون في مقدمة الحركة الإسلامية، فإن تقدمهم هذا جعلهم يتوهمون أنهم من قادة الحركة الإسلامية، وإن كان هذا التقدم على حساب إتباع القيادة الحقيقية التي كانت متمثلة بالرضا (عليه السلام). وراحوا يجتهدون أمام نص الإمام، فاعتمدوا على روايات توهموا في تطبيقها، واستدلوا بها على أن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) حي لم يمت وهو المهدي القائم. أو لعل ما رأوه من الإمام الكاظم (عليه السلام) وتأثروا به بما ظهر منه من كرامات، حسبوا أن الباري عز وجل يعجز عن الإتيان بمثله، وهو القائل عز وجل : (مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) البقرة ١٠٦.

انبرى الشيخ اليعقوبي ليسلط الضوء على هذه المشكلة التي أصابت بعض أتباع الصدر فقد كانوا يقولون بلسان الحال أو المقال: بعدم مجيء شخص يكمل ما كان عليه الصدر. وهذا خلاف المبدأ الذي سار عليه الصدر نفسه. فكان علاجه لهذا المرض كما هو المعهود منه في علاج الأمراض الاجتماعية وبكل هدوء وروية. فكانت إحدى محاضراته من سلسلة محاضرات (نحن والغرب) قد خصصت لهذا الغرض. وجاء فيها :

إن ارتباط التاريخ المسيحي بميلاد السيد المسيح (عليه السلام) يعني فكرة حاول قادة الإسلام إزالتها من الأذهان وهي فناء الإتيان في شخص القائد وذاته لا في مبدأه وفكره الذي جاء به، والصحيح هو العكس لأن الارتباط بذات القائد مهما كان عظيما — كالرسول (صلى الله عليه واله) — يؤدي إلى نتائج سلبية عديدة وتكون المشكلة أعظم لو لم يكن هذا القائد من المعصومين ومن الأخطاء التي تمخض عنها هذا التقديس للذات : التأليه وهذا تيه عظيم أدى إلى الضياع والانحراف لأنهم

ضيعوا الرسالة التي جاءهم بها الرسول وذابوا في الشخص لذلك كان رسول الله (صلى الله عليه واله) حريصا على أن لا يقعوا في هذا الخطأ فعندما دخل عليه رجل فأخذته هيئته (صلى الله عليه واله) وارتعدت فرائصه قال له (صلى الله عليه واله) : (هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد في هذه البطحاء)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (لا يُعرف الحق بالرجال، إعرف الحق تعرف أهله) وقد أسس القرآن الكريم هذه الحقيقة (وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) الزمر ٦٥. وقال تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) الحاقة ٤٦.

لذا لم يسم أتباع النبي (صلى الله عليه واله) بالمحمديين وإنما سماهم المسلمين قال تعالى: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) الحج ٧٨. كما لم يذكر أتباع السيد المسيح باسم المسيحيين بل النصراني في موارد عديدة من القرآن الكريم.

وكاد صحابة النبي (صلى الله عليه واله) أن يقعوا في هذا الخطأ حينما اجتمعوا لوضع تأريخ لهم فاقترح بعضهم أن يبدءوا من سنة ولادة النبي (صلى الله عليه واله) إلا أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أقنعهم بأن يبدءوا التاريخ من هجرة النبي (صلى الله عليه واله).

من اجل أن لا يرتبطوا بشخص النبي (صلى الله عليه واله) بل بالإسلام؛ لأنه بداية حقيقية لتأريخ الإسلام وانتصاره حيث حصل فيه المباينة الكاملة بين معسكر الحق ومعسكر الباطل الذي هو شرط مهم لتحقيق النصر وبهذه المحاولة ربط أمير المؤمنين (عليه السلام) المسلمين بعقيدتهم ومبادئهم وصالهم من الوقوع في تأليه الذوات وتقديسها.

ولذا كان يوم الغدير أعظم عيد في الإسلام وبه تمام الرسالة لأنه يوم انتقال ولاية أمر المسلمين من القائد الشخصي وهو رسول الله (صلى الله عليه واله) إلى القائد

النوعي أي كل من حمل صفات ومؤهلات حامل الرسالة فحافظ على ديمومة الرسالة وحمايتها من الانحراف، وكان يمكن أن تندثر لو ارتبطت بالشخص فمات أو قتل فهذه فكرة مهمة يجب الالتفات إليها.^(١)

وبهذا الأسلوب العلمي والأخلاقي قد عالج الشيخ اليعقوبي المشكلة التي انتشرت بين أوساط العراقيين، فدين الله لا يتوقف على شخص مهما علا شأنه، وإن جميع الشخصيات التي أسهمت في تكامل البشرية إنما هم يسعون لتطبيق حكم الله في الأرض وهم ليسوا ملوكا أو أن مكائهم التي استحقوها في قيادة المجتمع تورث بالنسب كما يرث الأمير أباه في ملكه. إنما الوراثة للقيادات تكون بحسب الاستحقاقات والكفاءة.

لم تكن هذه المشكلة وليدة هذه المدة الزمنية وإنما ظهرت بواورها في حياة الصدر الذي بدوره حاول أن ينصح من كان يتبنى التطرف للصدر. أي بمعنى من كان يتطرف للصدر لا على أساس أنه صاحب حق في مدعاه وأنه مرجع أراد الخير للناس، أو لأنها نصرة له لأنه ظلم كثيرا من الآخرين، بل أن هناك تصريحات ومتبنيات تبناها بعض من عمل في براني الصدر لم تنسجم مع ما أراد الصدر؛ لأنها كانت دعاوى ليس عليها دليل. هذا لا يعني أن أي نصرة للصدر تعني تطرفا، بل المطلوب أن تكون النصرة واعية حتى تأتي بنتائجها المرجوة. والنصرة الواعية للصدر هي الاعتدال بعينه.

وقد تحدث الصدر عن هذه المسألة وحذر منها في اللقاء الذي سمي (لقاء البراني) الموافق ليلة ولادة الزهراء (عليها السلام) ٢٠ جمادى الآخرة ١٤١٩ أي قبل استشهاده بأربعة أشهر ونصف، قال :

((نحن نشير إلى الانشقاق في أصله (يقصد الاختلاف الذي حصل بين جماعتين في البراني) كأنما جماعة يعتقدون بي بشكل مبالغ فيه ومتطرف ومكثف حتى كأن ما

(١) نحن والغرب، اليعقوبي، ص ٢١١-٢١٢.

أقول هو قرآن منزل أو وحي يوحى، في حين أن جماعة آخرون يأخذوني جزاهم الله خيراً على الشكل الاعتيادي الحوزوي وغير الحوزوي، وليس هناك شيء أكثر من ذلك ولا حاجة إلى شيء أكثر من ذلك، فانا مع احترامي لهؤلاء الذين هم متطرفون في الحقيقة جزاهم الله خيراً أيضاً، لكنه مع ذلك (هم) قابلون للمناقشة، أولاً: لأنه لا دليل على صحة اعتقادهم، وأنا لم أدع شيئاً من هذا القبيل، وربما صدر مني بالغلط أو (من) نفسي الأمانة بالسوء، إذا كنت قلت ذلك أحياناً نادرة أو لم يصدر مني إطلاقاً في حين انه إذا كان شيء لا دليل عليه ومع ذلك انتم تصرون عليه أو آخرون يصرون عليه من قبيل هؤلاء الذين يقولون بأنني النفس الزكية أو أنني المهدي لا، طبعاً (هذا) مما لا دليل عليه، يكفي نقضاً بالقول انه لا دليل عليه، بل الدليل على خلافه. وأجلّ أياً منكم أن يكون على ذلك. وأنا عارض نفسي للمجتمع بصفتي شخصاً اعتيادياً وليس بصفتي شخصاً باطنياً أو لاهوتياً أو أي شيء تسموه، لا ليس الأمر كذلك، فمن ناحية جانب الثبوت هكذا بيني وما بين الله أنا فرد اعتيادي. والجانب الآخر الذي هو للمناقشة جانب الإثبات نستطيع أن نسميه الدعوة لي أو العرض. عرضي للآخرين بأي لسان؟، إنما هو باللسان الاعتيادي وليس باللسان المتطرف. يعتبر السيد محمد الصدر واحداً من المراجع ربما أنفعهم ربما أعلمهم ربما أي شيء آخر... إلى الآن استنتجنا أن الطائفة الأخرى غير المكثفة أو غير المتعصبة - لو صح التعبير - هي أكثر حقاً. والشيء الآخر الذي هي على حق فيه هي انه أننا في هذه المرحلة التي نعيشها حوزوياً لسنا بحاجة إلى التطرف، بل في حاجة إلى التنازل مهما كان التنازل، يعني التحجب للناس بهذا المعنى مهما كان حتى مع أعدائنا أو حتى مع البعيدين عنا ليش (لماذا) لأننا وان كنا صرح نفع أنفسنا في الجملة ولكننا سوف نفعهم أيضاً بطبيعة الحال، حتى نشعرهم بواقعهم الذي لا يشعرون به بمعنى من المعاني. فمن هذه الناحية هذا هو الأرجح وأنا فكرت فيه وربما قبل أكثر من ستة أشهر، ولازلت بمعنى من المعاني ارتكازي أو غير ارتكازي أطبقه، وربما أنتم تعلمون بذلك والمفروض أن تكونوا مثلي في هذه الناحية لا حاجة إلى

التطرف... وكانت المزية الرئيسية التي يُشكى منها والتي الى حدٍ ما أضرت، هو هذا التطرف سواء كان في ذكر صفات إلهي إضافية أو صفات لغيري من نواقص وصفات إضافية كذلك لا حاجة له، ينبغي أن يكون واضح العدم ومتروكا ومسكوتا عنه بالمرّة. هسة (الآن) نفترض بدرجة من الدرجات نكول (نقول) هذا حسن توفيق للآخرين فليكن حسن توفيق نحن نريد لهم حسن التوفيق هذا هم كلش (جدا) كافي. فالمهم انه من هذه الناحية هذه الطائفة أيضا على حق. فإذا ما بقيت مناقشاتكم وخطابي للطائفة الأخرى، إذا ما بقيت مناقشاتكم لهؤلاء الذين تعتقدون أنهم متساهلين جزاهم الله خيراً (فلد) يزدادوا تساهلاً، من هذه الناحية أنتم كلکم (عليکم أن تصبحوا) أصبحوا متساهلين جزاكم الله خيراً، والعناد لا يجدي شيئاً^(١). وجاء هذا الكلام بعد يومين من وصول الرسالة إلى السيد الصدر التي أرسلها له الشيخ اليعقوبي، التي يشرح له بها الأوضاع في الجامعة وما فعلته الإدارة السابقة فقد كان تأريخ الرسالة ١٨ جمادى الآخرة ١٤١٩.

وكان الشيخ اليعقوبي هو الذي يقود الجهة المعتدلة، أما المتطرفون فظلوا على تطرفهم ولم يغيروا من منهجيتهم التي كانوا يتبنونها، وهم الآن الذين يطلق عليهم (مكتب الشهيد الصدر).

وقد اعتبروا الشيخ اليعقوبي قد خرج عن الخط الصدري، بمعنى انه هو الذي فرق أتباع الصدر.

ومن كلام الصدر الذي تقدم يتبين للجميع حتى لمن له نظرة بسيطة انه أراد من الجميع أن يسير على وفق المنهج الذي يسير عليه الشيخ اليعقوبي. ويتضح أن الصدر في الآونة الأخيرة غير من طبيعة طرحه وخفف من لهجته بالتعامل مع الآخرين؛ لأنه كان ينبغي مسألة معينة وعندما تحققت انتهت تلك المرحلة، وهي كسر الهالة التي أضفيت على الشخصيات الدينية وهي ليست أهلاً لأن تحترم وتتبع،

(١) كلام للسيد الصدر نفسه مسجل (لقاء البراني).

ومنهم من لم يبلغ درجة الاجتهاد إلا أن الأموال الطائلة التي جمعت بأيدي بعضهم سُخرت للترويج لبعض رجال الدين الذين يراد لهم أن يسيطروا على الحوزة العلمية في النجف. ويتضح ذلك من خلال الاستفتاءات التي كانت ترفع إليه بمواضيع معينة واعني بها منع الكلام عن المراجع.^(١)

وقد أكد هذا المعنى وركز عليه في لقاء أئمة الجمعة حيث قال: (الشيء الآخر الذي كنت أيضا أود الإشارة إليه، إنني في السنين السابقة طبعا كنت اضعف من الآن، فكان في المصلحة اني ابرز نفسي أو يبرزني محبيني، أي ننتقد الآخرين نبرز نقاط ضعفهم – وان كان العبارة فيها مبالغة – مثلا ان فلانا على باطل، لأجل كذا وكذا وكذا وكذا فلان على باطل، لأجل كذا وكذا وكذا وكذا، إذا فالمسألة منحصرة مثلا بشيء معين وينبغي المشي بهذا الاتجاه، لكنه حينما الله تعالى فتحها بشكل أكثر من المتوقع والحمد لله، من الآن فصاعدا يكون ان نغلق أفواهنا لا حاجة إلى النقاش في شيء من ذلك، نذكر الناس بسوء، لا، الآن كلما نستطيع ان نجرهم ونستخدمهم لنفع الله ورسوله يكون أحسن، لأنه حتى لو شتمونا نحن لا نهتم بهم لا أنت ولا أنا ولا أي واحد ولا الحوزة، لان الناس كلهم فهموا ولربما كل العالم فهم بمعنى من المعاني اننا نافعون ولسنا مضرين.... وبمقدار ما نستطيع ان لا تناقش إطلاقا، وإذا ناقشته بالحكمة والموعظة الحسنة والأخلاق والقلب السليم والقلب الواسع والتحمل والصبر وتصل من قطعك...).^(٢)

لأنه لا يريد من المجتمع أن يبقى قابعا في مرحلة انتقالية من المفروض أن تكون قد أدت غرضها، فيجب أن تنتهي وينتقل العمل إلى مرحلة أخرى. لكن القوم ظلوا متعلقين بمرحلة من المراحل ولم يغادروها مع الذين غادروها، وتمسكوا بالشخص لا بما يريده الشخص.

(١) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (١٤).

(٢) لقاء صحفي مسجل.

الشيخ اليعقوبي ورعاية طلبة الحوزة

إن كل إنسان تمر عليه أزمات ومواقف يحتاج فيها إلى من يكون له سند وعون حتى يتمكن من تجاوز هذه الأزمة والموقف. خصوصاً إن طلبة الحوزة كانوا من أكثر الناس عرضة للمشاكل والأزمات، والأسباب كثيرة :

أولاً : مشاكل وأزمات بسبب الوضع الأمني، ولعل الذي عاش تلك الظروف التي عاشها طلبة الحوزة يدرك أن الوضع الأمني كان حرجاً بشكل أنه يضع الطالب في مواقف لا يُحسد عليها، فملاحقة رجال الأمن والمراقبة المستمرة، والإحساس بوجود من يعد عليه أنفاسه، فضلاً عما توجده عليه مؤشرات لدى الجهات الأمنية، فكم يحتاج من الأموال حتى يمكنه أن يغير هذه المؤشرات. خصوصاً إذا علمنا بأن جهاز الأمن في السنين الأخيرة من حياة الحكومة الصدامية أصبح يخلق التهم لابتزاز المؤمنين. فضلاً عن الشكوك التي تدور حول بعضهم والخوف منهم فيما إذا خرجت منه كلمة يؤولها البعض ويتم نقلها بشكل تجعله مطلوباً عند الحكومة. فكل هذه الظروف التي تحيط بطلاب الحوزة تجعله يحتاج صدراً رحباً يضمه ويرشده للحلول والخروج من المأزق الذي يقع فيه.

ثانياً : مشاكل وضائقات اقتصادية، إذ لا يوجد لطلبة الحوزة مورد اقتصادي - في الغالب - غير الذي يتقاضونه من بعض المرجعيات وهو لا يتجاوز وجبة غداء في أحد المطاعم الراقية في بغداد أو غيرها. وقد وصل الحال ببعضهم إلى أن يعمل في البناء بالأجر اليومي؛ لأنه يعيل عائلة، فهو أمام خيارين، أما أن يترك الدراسة، أو أن عياله يقتلهم الجوع والعوز. وتعرض الطلبة لضغوطات شديدة من قبل المجتمع على اعتبار أن الحوزة غير قادرة أن توفر لكم الخبز لتقتاتوا عليه، وغير ذلك من الضغوطات. ناهيك عن الطلبة الذين كانوا بحاجة للزواج، ولكن الوضع الاقتصادي لم يكن يسمح لهم بذلك.

فكان الملجأ الوحيد هو الشيخ يعقوبي، فكان دوما الصدر الرحب والأذن الصاغية لكل مشاكل الطلبة صغيرها وكبيرها. فكان يهبهم صنفين من العون، العون المادي، والعون المعنوي. فكان دوما ينصح بالصبر ويذكر بحياة الأئمة (عليهم السلام) وكيف كانت معيشتهم وإنهم يطلبون بذلك التقرب إلى الله. وفي إحدى المرات أراد احد الأخوة أن يتزوج وهو مسيحي قد اسلم، فذهب إلى المرجعيات الأخرى فلم يحصل إلا على خمسة وعشرين ألفاً (ما يعادل ١٠ دولار)، وهذا هو المبلغ الذي كانوا عادة يعطونه لمن أراد الزواج. وبعدها جاء للشيخ يعقوبي فأعطاه ثلاثمائة ألف، على الرغم من قلة الموارد التي تصله، فاستغرب للأمر؛ لأنه كان يظن أن العطاء يكون بحجم ما يشاع عن حجم المرجعية. وقد كان الشيخ يعقوبي يستغرب من المبلغ الذي تعطيه بقية المراجع لمن يلجأ إليهم في قضاء حاجته؛ لأنها مبالغ زهيدة قياسا لما وصلت إليه أسعار البضائع في السوق، وماذا يمكن ان يفعل هذا المبلغ. وهذا يدل على أن بقية المراجع لا يعلمون الواقع الذي يعيشه المجتمع. مع الأخذ بنظر الاعتبار حجم المبالغ التي تصل إلى مكاتبهم حيث تجبى لهم الأموال من كل بقاع الأرض!. ونظرا لحصول الفارق الكبير في دخل من يعمل - لو حملاً في احد الأسواق - وبين دخل طالب الحوزة الذي لا يتجاوز خمسة عشر ألف دينار الذي يحصل عليه من المرجعيات الكبيرة. بات النفور من الحوزة واضحا جدا واللجوء إلى الأعمال الحرة وغيرها.

وقد حاول الشيخ يعقوبي أن يعالج هذه المشكلة بكثير من الطرق، منها الدورات السريعة، والمحاضرات التي تحفز الشباب للانضمام إلى الحوزة، فقد جاء في إحدى المحاضرات التي طبعت في كتاب الحوزة وقضايا الشباب، حيث قال : (وأكرر القول أنني أعد من أعظم النعم عليّ وجودي ضمن هذا الكيان الشريف، وكلما استمعت إلى الآية الشريفة : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، أعيش سعادة روحية ما بعدها سعادة شكراً لله تعالى أن جعلني من أهل هذه الآية، وأقول كم أن مجتمعنا مقصر في

تطبيقها فإذا كان الله تبارك وتعالى يحث على ان ينفر من كل فرقة طائفة (وهي لا تقل عن ثلاثة) إلى مراكز العلم والحوزة الشريفة ليتفقهوا في الدين ومن ثم يعودون إلى قومهم يعلمونهم أحكام دينهم ويدلونهم على طاعة الله تبارك وتعالى ويجنبونهم معاصيه، فلماذا نرى مدنا كبيرة وعشائر عظيمة ولا يوجد واحد من أبنائنا من النافرين إلى الحوزة الشريفة، أترى كيف حرمانا أنفسنا من هذه النعمة الكبيرة وحرمانا مجتمعنا الذي يحرص على سماع كلمة الحق في مواجهة أبواق الضلالة ودعاة الفساد والانحراف فلماذا نصد أسماعنا عن هذه الآية المباركة الشريفة؟!.

إن حبي للناس يدفعني أن أدعو الله تبارك وتعالى لهم جميعاً بالالتحاق بهذا الكيان الشريف ذكوراً وإناثاً، فالإسلام يحتاجهم جميعاً ليوصل صوته إلى البشرية جمعاء حتى تعيش بسعادة وسلام وطمأنينة، ولكنني أعلم أن الفرصة ليست متاحة للجميع وحينئذ يمكن أن يؤدي كل دوره في الهداية والإصلاح بالطريقة التي تناسبه).

وعالج هذه المشكلة بتحسين رواتب الطلبة وإيجاد المعونات للطلبة الراغبين بالزواج.

فكان الشيخ اليعقوبي دوماً قلبه قبل بابه مفتوحاً لكل من قصده بأي قضية، ومسجد الرأس يشهد بذلك فقد كان المراجعون يقفون في طابور كبير، حتى انه في كثير من الأحيان يحيل بعض المراجعين إلى بعض العاملين في المكتب محاولاً بذلك أن يعير بعض الاهتمام للآخرين، إلا أنهم لم يقبلوا بالذهاب إلى غيره.

ثالثاً: مشاكل اجتماعية، مثل الشيخ اليعقوبي الأب الحقيقي للحوزة وللمجتمع وكل من راجعه في قضية يشعر بذلك جلياً. فكان الطلبة يستشيرونه بكل صغيرة وكبيرة تتعلق بحياتهم الاجتماعية. وكان لا يقصر بأي مشورة أو نصيحة أو مساعدة. ووصل الأمر في استشارتهم له إلى اختيار أسماء أبنائهم أو بناتهم، ولم تقتصر هذه المسألة على طلبة الحوزة فقط، وإنما كل من يشعر بالتزام أخلاقي تجاهه يفعل كذلك. وفي بعض الأحيان قد يتأخر اسم المولود فترة من الزمن المعتاد لأن أباه لم تتح له

فرصة بلقائه.

وقد حل الشيخ اليعقوبي الكثير من القضايا التي كان يلجأ الناس إليه بها، حتى إن بعضهم راح ينعته بالقاضي، وانه نصب نفسه لحل المنازعات. في حين انه كان يسد نقصا كبيرا عند المجتمع سببه ابتعاد المراجع الآخرين عن الناس وعدم الاهتمام بشؤونهم. وقد وصل الأمر أن الناس لحقوه حتى في داره ليستشيروه في قضاياهم، ولم نسمع انه رد أحدا منهم بحجة انه نائم أو هو في خلوة أو غيرها مما يتحجج به غيره.

لقد قرأنا الكثير من الروايات الواردة عن أهل بيت الرحمة (عليهم السلام) وكيف إنهم كانوا يتعاملون مع الناس وكيف إنهم كانوا الملاذ الآمن والصدر الدافئ الذي يوجد فيه مكانا للجميع، حتى لأعدائهم ومن نصب لهم العدا، لكننا لمسنا وأدركنا هذه الصفات من خلال ما جسده الشيخ اليعقوبي في سيرته، وما هو إلا تلميذ تلك المدرسة الخالدة. وروايات الأئمة (عليهم السلام) كثيرة في ضرورة رعاية شيعتهم من كل الجوانب، وليس تركهم وحدهم يجابهون كل الأعاصير التي تعصف بهم.

الكلام في المحور الثاني: الوقوف ضد مشاريع الحكومة الظالمة لإفساد المجتمع، والعمل على إفراغها من محتواها.

عاش العراق مدة من الزمن صعبة جدا إذ كان النظام ألبعثي هو الحاكم فيه، وقد احكم قبضته عليه بشكل يكاد يكون كاملا. وقد مر ذكر جانب مهم منها، لكن مع كل هذا الظلم والقسوة الذي كان يتصف به النظام، إلا انه لم يمنع القيادة الإسلامية من العمل والاستمرار في السير بالحركة الإسلامية نحو الامام. وهذا البصيص من الأمل لم يستطع احد من الظالمين والطغاة على مر العصور ان يقتلوه في قلوب المؤمنين على الرغم من كل ما فعلوه وطرق شيطانية قد اتبعوها.

في نهاية التسعينات من القرن الماضي أقدمت الحكومة العراقية على قتل عدد من مراجع الدين في العراق منهم : الشيخ البروجردي، والشيخ الغروي، والحادثة الكبرى هي اغتيال الصدر الثاني. والحادثة الأخيرة ألهمت قلوب المؤمنين نارا وحنقا على الحكومة الظالمة التي قتلتها، لان الشعب العراقي شعر بأبوة الصدر فعليا بأطيافه وأديانه كافة، فالمسيحي حزن عليه قبل المسلم والسني قبل الشيعي. ففقدوه أبا رؤوفاً ومصالحاً يأتزر كفته ويحمل هم العراق على عاتقه. وبطبيعة الحال لا بد من وجود ردة فعل لهذا الشعب الذي جرح جرحاً عميقاً بفقد الأب والراعي لكل أبناء العراق.

ف (كان يوم السبت الذي تلا جمعة الشهادة مظلماً ممطراً كليلته السابقة ويبدو ان نبأ الشهادة قد وصل إلى بعض الأماكن في نفس الليلة ومع تأكيد الخبر نهار السبت كان العراق في حالة اضطراب والإحساس بالضيق يعم الأجواء والرغبة في الانتقام كانت الهاجس الأول في الأذهان وهذا ما حصل، ففي صباح يوم السبت احتشدت مجاميع من شباب بغداد في مسجد المحسن (ع) في مدينة (الصدر) (الثورة) سابقاً، وعندما تأكد الخبر عندهم خرجوا من المسجد وحصلت مصادمة مع جلاوزة النظام سقط على أثرها عدد من الشهداء وقُتل عدد من المجرمين.

وكانت المحافظات جنوباً ووسطاً في حالة انتظار اللحظة المؤتية للقيام بانتفاضة جماهيرية وقد كان هذا الشعور موجوداً كذلك عند الجيش بضباطه وجنوده حسب معلوماتي الأكيدة.

وقد أوعز رأس النظام في اليوم التالي بنزع أسلحة ضباط الأمن الذين ينتمون إلى أسر شيعية. وحدث خلال الأسبوع الأول بعد الشهادة عدة عمليات غير منظمة وكل

العمليات قام بها شباب غير منظمين إلى أي جهة أو حزب أو حركة كما إدعى الكثير من المعارضة مسؤوليتهم عن تلك العمليات وإنما كان يجتمع الثلاثة والأربعة ويحاولون الحصول على مبالغ بسيطة أما بتجميعها من عدة أطراف أو بيع سلعة من سلع البيت.

وذلك لشراء قطع من السلاح أو باستخدام أموال الحقوق الشريعة لهذا الغرض وهذا ما حدث في كل المحافظات إلا إذا استثنينا انتفاضة البصرة التي كانت شبه منظمة.

وحسب المعلومات الموثوقة فإن أجهزة النظام منعت إقامة الفاتحة في النجف أول يوم ولكنها عادت فسمحت بذلك في اليوم التالي وقد أقيمت صلاة الجمعة في معظم المناطق في الجمعة التالية وكانت الحالة السائدة هي انتظار المطلوب وقد كانت كلمات الخطباء مليئة بالشجاعة والإيحاء بالصبر والحفاظ على المذهب بل وصل الأمر إلى بعض الأماكن باتهام النظام بالجريمة بشكل مباشر وقال بعضهم : ان دم الشهيد لن يضيع^(١)، وقد كان جلاوزة النظام كمدراء الأمن في المحافظات وأمناء سر الحزب العفلقى يتخضعون للناس ولا يجيبون على بعض الكلمات التي تحتوي على طابع التهديد الواضح وكان أعضاء الحزب والأمن متخفين ولم يستطع احد منهم ان يبيت ليلة في منزله وحدثت حالات موت فجائي عند الكثير منهم بسبب الخوف وأغلقت الشعب والفرق الحزبية وصاروا يجتمعون في أماكن مجهولة.

وبشكل علني في المدن ومع ذلك كان رأس النظام في حالة خوف مستمر ولم يستطع حماية احد جلاوزته بل كان هدفه حماية نفسه فحسب، المهم إن أبناء الشعب العراقي كانوا متأهبين للانتفاضة وحسب معلوماتي الأكيدة فان العديد من قادة المعارضة داخل العراق قد اتفقوا مع الكثير من أبناء المحافظات حول مساعدتهم في

(١) وهو الشهيد الشيخ رزاق كوكز من على منبر الجمعة في قضاء الكوت.

الانتفاضة ولكن حدث ان بعض المناطق حينما ثارت وهاجمت مقرات النظام تم خذلانهم بشكل تام وبعد ذلك اكتشفنا أن الأمر كان مقصودا وحسب الظاهر أن الهدف كان هو انه في حالة انتصار الشعب فان هؤلاء يأتون ليستلموا الأمور بشكل مريح وفي حالة الفشل فإنهم يتخلصون بذلك من عدو خطر وهو خط السيد محمد الصدر وقد اتضح ذلك بشكل علني في عدد من المحافظات بعد ذلك إذ قد أحبطوا محاولات عديدة في الجنوب كانت على وشك الثورة وقد امتصوا غضب الجماهير بالوعود الكاذبة وبعد ذلك أعلنوا عدم استعدادهم للدخول في هذا الأمر بذرائع وهي من أهمها إن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تقوم بمهاجمة المعارضة والقضاء على المد الإسلامي ولو أنهم طرحوا هذه الذريعة في بادئ الأمر لسارت الأمور بشكل آخر... ولكن يريد الله سبحانه أن يُبَصِّرَ هذا الشعب بان هؤلاء مجرد طلاب مناصب وكانوا يقولون ويرددون بان لنا سابق خبرة مع الشعب وانه سوف يخذلنا كما فعل سابقا ولم يثبتوا إلى الآن هذه الأسبقية فالانتفاضة الشعبانية قامت بالجماهير ولم يساعدهم احد إلا في بعض الأماكن الذي أشعل المجاهدون فيها الانتفاضة وانسحبوا بعد ذلك وحسب الوعود التي أبدوها فإنهم قد اتفقوا مع الجماهير فقد ثارت عدة مدن ولكنها تركت عزلاء تواجه النظام الكافر فأين كانت المعارضة عن الكوت والبصرة وبعض مناطق الناصرية والسماعة وبغداد وهنا لا يعني أن أفراد المجاهدين كلهم كذلك بل كانت هناك فئات عديدة وهي الغالبية مستعدة للموت والشهادة ولكن القادة في الخارج اتخذوا سياسة المماطلة والسبب كما ذكرته آنفا فان حركة الشهيد كانت خطر على مستقبلهم السياسي وهي بالفعل كذلك إذ لا مكان بعد اليوم في العراق لعبيد الدنيا الانهزاميين فكانوا يسعون جاهدين للقضاء على هذه الحركة ووأدها حتى بعد الشهادة والتشكيك ما زال مستمرا حتى ساعة كتابة هذه الكلمات).^(١)

(١) السفير الخامس ، عباس الزيدي، ٢٥٧-٢٦٠.

(في يوم الأربعاء ١٧ / ٣ / ١٩٩٩ المصادف ٢٩ ذي القعدة ١٤١٩ في الساعة الحادية عشر ليلاً خرجت البصرة^١ بانتفاضة جماهيرية شملت :

١. الحيانية ٢. خمسة ميل ٣. الجمهورية ٤. القبلة ٥. الأمن الداخلي ٦. أبو الخصيب ٧. الكرمة ٨. القرنة .

وكانت أهم المراكز التي هاجمها الصديريون الشعب والفرق الحزبية ودوائر الأمن والوحدات العسكرية. استمرت الانتفاضة وسيطرة الثوار إلى الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس.

وكان السلاح قليلاً جداً بحيث أن كل مجموعة لا تمتلك أكثر من بندقيتين أو ثلاثة وباقي أفراد المجموعة عُزل وإنما يذهبون معهم لعلهم يحصلون على سلاح ممن يمكن قتله من أزام النظام. وقد قُتل المئات من أزام النظام وبقيت جثثهم تملأ الشوارع. وكان سبب انسحاب الثوار وعدم استمرار المقاومة هو عدم توفر السلاح والعتاد الكافي وكانوا قبل ذلك قد اتفقوا مع بعض قادة فيلق بدر ولكن لم يصل منهم أحد ولم يدوا الثوار بالسلاح أو العتاد الذي يكفي لاستمرار الانتفاضة. وفي الصباح تم تطويق المدن الثائرة بالمدرعات وقوات الطوارئ والفدائيين^(٢).

بدأت الاعتقالات بالشباب المنتمين إلى الصدر وقد استخدمت السلطة في وقتها أبشع الوسائل للقتل والتمثيل بالشهداء الذين سقطوا على أيدي الظالمين. (كان أحد المنتسبين للفدائيين ومن مقلدي المولى الصدر قد خرج مع الثوار فأصيب واعتقلوه، وبعد مدة أخبروا أهله بأنهم سيطلقون سراحه، وذلك في شارع الترية أمام الناس،

(١) صدر مؤخراً أحد الكتب التوثيقية المهمة عن انتفاضة البصرة هذه من تأليف أحد المشاركين فيها (عبد الكريم خليفة).

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٨.

فتجمع الناس هناك وجاء أهله فأخرجوه الجلاوزة وهو يهتف باسم الإمام الحسين (ع) وبأسم الصدر، فقطعوا رأسه بالسيف أمام أهله وأمام المجتمع^(١).

فهل هناك إرهاب للناس أكثر من هذه الطريقة بالقتل؟، وعمدوا إلى بيوت عوائل الذين شاركوا في هذه الانتفاضة التي سميت انتفاضة الصدر وهدموها.

وقد كان المشرف على المجازر التي حصلت في البصرة علي حسين المجيد (علي كيمياوي) حيث كان هو مسؤول قاطع الجنوب.

وقد جاء في تقرير لمنظمة هيومان رايتس ووتش (بدأ المسلمون الشيعة انتفاضة شكلت واحداً من أخطر التحديات الداخلية التي واجهت نظام صدام حسين منذ حرب الخليج عام ١٩٩١. وقتها نزل آلاف المسلمين الشيعة في كافة أنحاء العراق إلى الشوارع، وفي بعض الحالات اعتدوا على مسئولين حكوميين ومبانٍ حكومية احتجاجاً على اغتيال آية الله العظمى محمد صادق الصدر، أحد أبرز أئمة شيعة العراق. وكانت مسئولية عملاء الحكومة العراقية عن هذا الاغتيال شبه مؤكدة. ورد صدام حسين على الانتفاضة (والتي أصبحت تعرف بـ"انتفاضة الصدر") بسرعة ووحشية. فقد قامت الحكومة في الهجوم الذي تلا الانتفاضة بتنفيذ إعدامات سريعة للعشرات وإلقاء أجسادهم في قبور جماعية حفرت بتعجل. كما أخضعت الآلاف من أفراد عائلاتهم للسجن التعسفي والتعذيب، وفي حالات كثيرة قامت بتدمير منازلهم وسبل إعاشتهم)^(٢).

(وقد حصل باحثون من منظمة هيومن رايتس ووتش على أربع صفحات من هذه الوثيقة في أبريل/نيسان ٢٠٠٣ ورغم أن الوثيقة لا تحمل أية علامات رسمية إلا أن

(١) المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٢) ملحق رقم (١٥).

الأدلة الظرفية التي سيتم تفصيلها أدناه ترجح بقوة أنها وثيقة أصلية صادرة عن الحكومة العراقية. وتضم الصفحات الأربع من الوثيقة التي حصلت عليها منظمة هيومن رايتس ووتش ١٢٠ اسماً لرجال تم إعدامهم خلال شهور مارس/آذار وإبريل/نيسان ومايو/آيار من عام ١٩٩٩ بسبب الاشتراك (بأحداث ليلة ١٧ - ١٨/٣/١٩٩٩" - أي انتفاضة الصدر).

(تذكر الوثيقة أن إعدامهم قد قام بتنفيذه "ضباط مديرية الشرطة". بينما تشير صفحات أخرى إلى أن مجموعة أخرى من الشباب تم إعدامهم على يد أقارب لمسؤولين بعثيين قتلوا في أثناء الانتفاضة، في حين تعرضت مجموعة ثالثة للقتل على يد قيادات بعثية من البصرة ومدينة أم المعارك المجاورة لها. ولكن الأهم من كل هذا أن الصفحتين الأوليين من الوثيقة تحملان ملاحظات تشير إلى أن الإعدامات قد تمت "بناء على أمر السيد قائد القطاع الجنوبي المحترم". وكان من يحتل هذا المنصب في ذلك الوقت هو قريب صدام حسين ومرافقة المقرب علي حسن المجيد، والشهير بـ"علي الكيماوي").^(١)

(واعتمدت حملة الحكومة العراقية القمعية التي تلت انتفاضة الصدر الإجراءات الوحشية وغير القانونية نفسها. فقد أظهر التحقيق الذي أجرته منظمة هيومن رايتس ووتش في البصرة عام ٢٠٠٣ بشكل قوي أن قوات الأمن العراقية وأعضاء حزب البعث، تحت الإشراف المباشر لـعلي حسن المجيد، قد تورطت في إعدامات منهجية خارج نطاق القضاء، وحمولات واسعة من القبض والاعتقال التعسفيين، والتعذيب، والعقاب الجماعي. وتشكل هذه الأفعال انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان وجرائم ضد الإنسانية).

(١) www.iraqmemory.org/inp/vie.asp?id=24 وكذلك www.iraqcenter.net/vb/15349.html

بعد ان سقط النظام توقع ذوي الشهداء والمقابر الجماعية بان حقهم سيُعاد إليهم وان يكرموا من الحكومات التي انتخبت على أساس نصرة المظلومين ورفع الحيف عنهم، إلا أنها لم تسترد حقوقهم لا من الناحية المعنوية ولا من الناحية المادية، فدورهم التي هدمت والتي صودرت بقرار من المجرم علي حسن المجيد لم يتم استردادها لهم ولم يكسر قرار المجيد إلى الآن!، وكأنها عقوبة لهم لحبهم وولائهم للصدر ولأنهم طلبوا بثأره. لم تسترد حقوقهم ما عدا النصب الذي شيد بأمر من مجلس المحافظة ليخلد هذه الانتفاضة في البصرة فيه صور الشهداء وبعض المعلومات عنهم، إلا أن الناحية الإعلامية لم تكن بالشكل المطلوب ولعل هناك يدا خفية تعتمد إخفاء هذه الحقيقة.

السجناء في سجن (أبو غريب)

أما الذين وقعوا بيد قوات الأمن فمنهم من أعدم ومنهم من حكم بإحكام مختلفة تتراوح بين الثلاث سنوات وبين المؤبد مدى الحياة.

وقد كان معظمهم يعانون شظف العيش، إذا لم نقل إن عوائلهم فقدوا المعيل لان المعيل قد غيب في السجون. لكن تأثرهم على فقدان الصدر جعلهم ينسون كل همومهم والمعيشة الصعبة التي كانوا يعيشونها.

فأودع في السجن الكثير من طلبة العلوم الدينية والشباب الرسالي الحركي، وكان سجن أبو غريب (قسم الخاصة) قد امتلأ بأتباع الصدر. ونظرا لخوف النظام وتخطيطه في التعامل مع الأحداث التي تبعت استشهاد الصدر، راح الكثير من الأبرياء الذي لم يكن لهم دخل بأي حدث مما وقع.

وكان السجن يضم العديد من التوجهات سواء كانت من مذهب واحد أو من مذاهب أخرى، وكل يعمل بالاتجاه الذي ينتمي إليه، فكانت روح الفرقة تملأ أجواء القاعات والأقسام، والخوف من العيون المبتوثة في أروقة السجن والشكوك التي

تتبادر للبعض جعلت السجن جحيماً عليهم.
ولا يمكن أن نغفل دور الوهابية في محاولة التأثير على البعض بالأموال وزرع الفتن
ومحاولة شق صفوف المسلمين الشيعة. فكانوا يمتلكون الكثير من الأموال التي
يستخدمونها لهذا الغرض. وفعلاً تحول بعض ضعفاء النفوس من موال لأهل البيت
(عليهم السلام) إلى مُعادٍ.

وقد كان بعض الأخوة الفضلاء يزورون أقاربهم في السجن ويسمعون ما يجري
خلف القضبان، ومن هؤلاء الفضلاء كان السيد ياسر الياصري وهو من أبناء
الديوانية يزور أخاه السيد حسن الذي كان نزيلًا في أبي غريب، وقد قام السيد ياسر
بنقل ما يحدث في السجن إلى اليعقوبي وأوضاع السجناء النفسية والاقتصادية.

وكما تعودنا من المرجعية الناطقة ألا تسكت ولا تدير بوجهها عن المشكلة، بل
تواجهها بالحللول الناجعة التي تفي بالغرض. فكتب الشيخ اليعقوبي رسالة إلى
السجناء في أبي غريب، لكن لم تكن الرسالة بخط يده وإنما بإملائه، والغرض من
إتباع هذه الطريقة هو أنها إذا وقعت هذه الرسالة بأيدي الظلمة فأنها لا تكون دليل
إدانة ضده، وسيأتي بعد قليل دليل نظرة المرجع إلى مسألة عدم ترك دليل إدانة ضده
لان الشهادة لم تحن بعد؛ حتى يحافظ على نفسه لقيادة المجتمع.

وقد كان مضمون هذه الرسالة عدة نقاط :

- أولاً : نزع روح الفرقة التي سادت بين صفوف المؤمنين بالتأكيد على صلاة الجماعة.
- ثانياً : الحثُّ على التكاتف وتوحيد صفوف المؤمنين بنشر ثقافة الإخاء والسلام
والتسامح. واستثمار الوقت في العبادة وطلب العلم.
- ثالثاً : استشعار المظلومية الحقيقية وهي وجود الظالم والهيمنة على رقاب المسلمين.

رابعاً : التكافل الاجتماعي بين السجناء لردع كل من يحاول أن يصطاد في الماء العكر.

وقد وصلت هذه الرسالة إلى السجناء وقد اطلع عليها عدد كبير منهم، لكن بحرص شديد خوفاً من وقوعها بأيدي جلاوزة النظام.

وبالفعل كان لهذه الرسالة الأثر الإيجابي في نفوس السجناء، لأن الشيخ اليعقوبي كان يمثل لرجال الدين قبل غيرهم الأب الثاني بعد الصدر.

ولم تكن طريقة إرسال الرسائل إلى أبي غريب جديدة على الشيخ اليعقوبي، وإنما كان يكتب الرسائل المفيدة والمؤثرة من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) إلى سجناء أبي غريب في بداية الثمانينات عندما كان شقيقه الشيخ علي (رحمه الله) في السجن. فكان يكتبها بخط صغير جداً وبقصاصة ورق صغيرة أيضاً وتودع بين طيات أقراص الخبز العراقي الذي تأخذه عائلته عند الزيارة المقررة، وبهذه الطريقة أوصلت الكثير من الرسائل التي جعلت السجناء ينتقلون نفسياً من حال إلى حال^(١). ولا يخفى ما مدى خطورة هذا العمل سواء على اليعقوبي نفسه أو على عائلته، في زمن كان الإعدام حكماً طبيعياً على من يقوم بهذا العمل. واستمر الشيخ اليعقوبي على إرسال الرسائل بهذه الطريقة إلى أن حصل العفو العام للسجناء في عام ١٩٨٦. ونتيجة لهذه الرسالة، توزع رجال الدين الذين كان محكوماً عليهم بأحكام مختلفة على الأقسام ليصلوا صلاة الجماعة.

ونظراً لوجود الكثير من السجناء ممن لم يستطع أهله أن يزوروه كل موعد زيارة؛ لعدم وجود الإمكانية المادية، لأن الزيارة الواحدة كانت تكلف الكثير من المال،

(١) حدثني بذلك الشيخ اليعقوبي. عبد الهادي الزيدي.

خصوصا بالنسبة للمحافظات الجنوبية كالבصرة وميسان وذي قار. فلعل بعضهم لا يستطيع أهله أن يزوروه إلا كل ثلاثة أشهر أو أكثر من هذه المدة. فأعطى الشيخ اليعقوبي إذناً شفهيًا للشيخ ميثم طالب الفريجي الذي كان هو الآخر سجيناً في أبي غريب بالتصرف بالحقوق الشرعية التي تصل إلى الوكلاء وهم في السجن وصرفها على المحتاجين من السجناء.^(١)

ولم يقتصر الشيخ اليعقوبي على السجناء أنفسهم وهم في السجن، بل إنه كان يوصل رواتب بعض الطلبة السجناء إلى عوائلهم؛ لأنهم فقدوا معيلاً لهم الوحيد.

وكانت تصل إليهم كل الفتاوى التي أفتى بها الشيخ اليعقوبي وهم في داخل السجن، وكل رجال الدين كانوا يعتقدون بأنه المرجع الوحيد الذي يهتم بشؤونهم، ويعملون بفتاويه. لكن ما إن خرجوا من هذا السجن حتى خضعوا لتأثيرات خارجية غيرت من قناعاتهم التي كانوا مقتنعين بها. مع الأخذ بنظر الاعتبار وجود الكثير ممن لم يغيروا هذه القناعة؛ لأنهم لم تنطل عليهم الافتراءات التي أطلقها بعضهم على الشيخ اليعقوبي، وظلوا يعملون تحت لوائه إلى الآن.

القيادة وكيفية الحفاظ على الحركة الإسلامية بوجود الحاكم الظالم

وقد انعكست هذه الأحداث (الاغتيالات) على المرجعيات الدينية في النجف الأشرف سلماً، بمعنى إن عزلتها أصبحت شبه تامة، ولم يبق منها إلا الاسم فقط، وقد انقطعت عن أي وظيفة من وظائف المرجعية، ما عدا قبض الحقوق الشرعية، فالدرس الذي كان يعطيه السيد السيستاني في بحث الخارج (الفقه) قد توقف عنه

(١) نقل لي الشيخ ميثم طالب هذا الكلام إذ كان معتقلاً في أبي غريب. عبد الهادي الزيدي.

بعد استشهاد الصدر بما يقرب الثلاثة أشهر، وتحديدًا يوم ٢٠ صفر ١٤٢٠ واستمر الانقطاع إلى يومنا هذا.

وقد أصبح هذا الانقطاع مسوغاً عند المجتمع بقتل من كان متصدياً لبناء المجتمع، وهذا هو غرض الحاكم الجائر من القتل، أي إن الحكومة لا تريد للحوزة العلمية أن تتدخل بالشأن السياسي أو غيره من شؤون البلد الذي يعد من التهديدات الصارخة لوجود الحكام الظلمة.

وبهذه الطريقة غُيب الدور الأساسي للعراق في قيادة العالم الإسلامي — لعدم وجود المرجعية الحركية الناطقة — وبروز عواصم علمية أخرى كقم المقدسة، على أساس خلو النجف من القيادات الدينية التي يمكنها أن تقود المجتمع العراقي والعالمي.

قد يظن بعضهم أن النظام ألبعثي كان يدعم المرجعيات العربية وخصوصاً العراقية منها لأجل ضرب المرجعية من الجنسيات الأخرى وخصوصاً الإيرانية.

والحقيقة إن هذا الظن ليس في محله؛ لأن الواقع يثبت أن الحكومة فسحت المجال لكثير من المرجعيات وهي من جنسيات أخرى غير العراقية. والحقيقة إنهم يدعمون من ينفذ إرادتهم وغاياتهم وليس مهماً إن كان عربياً أو غيره. يذكر الفريق طاهر جليل الحبوش وقد شغل منصب مدير المخابرات العراقية إلى وقت سقوط النظام، ولا يخفى أنه مجرم سفاح، في مذكراته :

(كنت زائراً مداوماً للسيد السيستاني سواء بتوجيه من الرئيس صدام حسين أو بمبادرة شخصية مني وذلك لتفقده وتقصّي أحواله عسى أن يكون بحاجة لأمر ما من الدولة، وكان يقابل ذلك دائماً بالدعاء لرئيس الجمهورية. وفي إحدى زيارتي له تفضل بإهدائي قرآناً وسجادة صلاة من حرير كاشان. وقد تعاملت الدولة معه بهذا التقدير العالي احتراماً للإجماع على مرجعيته برغم أن إنتاجه العلمي والفقهّي يُعتبر

ضحلاً فيما لو قورن بمثيله لدى بعض المجتهدين كالمرجع الشهيد محمد صادق الصدر والسيد محمد حسين فضل الله مما يعطي سبباً للإعتقاد بأن السيستاني قد جرى إعدادُه للعب دور خطير^(١).

كما لا يخفى كيفية حصول بشير الباكستاني على الإقامة رغم أن الصدر الثاني هو من أوكلت إليه مسؤولية تجديد الإقامة للطلبة الأجانب، كما كانت قبل ذلك موكولة لأبي القاسم الخوئي. فعلى الرغم من أن الصدر لم يعطه الموافقة على تجديد إقامته إلا أن الدولة أصرت على بقاءه وتجديد إقامته.

يقول الصدر الثاني بهذا الخصوص : (أنا قلت له مباشرة^(٢) بأنني لا أستطيع أن أوقع لك؛ لان تكليفي الشرعي يقتضي أن لا أوقع له، قال : لماذا؟، قلت له بأنه إذا قلت لك لماذا، تحصل مفسدة، والآن أيضا أقول إذا قلت السبب الحقيقي الذي اعرفه بيني وبين الله تحصل مفسدة، ولكنني أعطي على ذلك الدلالات وهي تدل على ما في نفسي، بمعنى هذا الشيء الذي تعرفه وما خفي عليك أكثر في الحقيقة، إن الشيء الذي اعرفه أكيدا على أن هذا الشيخ يوصل إلى كثير من الوكلاء في العراق في المدن العراقية أموال طائلة جدا ربما تعد بالملايين وتقضى بها الكثير من حاجات الناس في البصرة وفي الزبير وفي القرنة وفي الناصرية وفي العمارة.... الخ، محل الشاهد مع العلم على انه ليس له مُقلد وربما ولا واحد، لا نعلم أن له مقلدا ولا واحد فمن أين تأتية هذه الأموال؟، مع العلم انه مستمر على ذلك ردحا طويلاً من الزمن، مضافا إلى أن ثقات ذكروا - أكثر من ثقة - عدد من الإخبارات وصلت -

(١) أوراق طاهر الحبوش الورقة الرابعة الحوزة العلمية / نشرت في ١٨ / ٤ / ٢٠١٠ على الرابط :

<http://www.kitabat.com/i69780.htm>

(٢) أي لبشير الباكستاني أحد أركان المراجع الأربعة وفق تصنيف سلطات ما بعد صدام، ويبدو أن هذا من ضمن تصنيفات مؤتمر لندن الذي عقد بإشراف زلماي خليل زاد عام ٢٠٠٢.

على انه له عقارات وله أراضي وله بساتين وله حيوانات وأبقار.... الخ موجودة، فمن أين حصل على هذا المال؟، محل الشاهد الشيء الآخر الذي ينبغي روايته انه بعد يومين من تاريخ عدم التوقيع لو صح التعبير رن جرس التلفون في بيتي في الحانة وقيل لي أن محافظ النجف يتكلم معك فقال : السلام، قلت له وعليكم السلام، قال كيف حالك سيدنا، قلت له : الحمد لله، المحافظ يقول: أنا سمعت بأنك لم توقع - ما مضمونه - انه لم توقع للشيخ بشير، فقلت له نعم، قال : لماذا، فذكرت له بعض الأمور التي يناسب المقام ذكرها وطبعا الواقع لا يمكن التصريح فيه، قال لي : على أية حال الدولة فحصت عن الأمر وعزمت على إبقائه فانا أنصحك وأقول لك بأنك توقع على ورقته^(١)، قلت له : هذا أمر أم اقتراح ونصيحة، قال : لا، اقتراح وليس أمر، قلت له : إذن تعفيني، وانتهت المكالمة ولم أوقع له إلى الآن لكنه أنتج نتيجة جيدة، نفس تلفون المحافظ أنتج نتيجة جيدة، لأنني قلت بعد ذلك بصراحة ووضوح على انه إذا بقي فالحق معي، وإذا سافر فالحق معه إذن أنا ظالم له، وبقي إذن الحق معي وهو من الناحية تبع للفلايين والفلايين ليس أكثر من ذلك، إذن فانا إن شاء الله لم أخالف تكليفي الشرعي من هذه الناحية إطلاقا^(٢).

ومما يؤكد كلام الصدر ويؤكد دعم الحكومة للمراجع من غير الجنسية العراقية أو العربية ما ذكره الحبوش بخصوص الشيخ الباكستاني:

(زرت في العام ٢٠٠٠ المراجع الكبار في النجف ومن بينهم آية الله بشير النجفي، وسألته مداعباً عن استبدال لقبه النجفي بالباكستاني ، فرد عليّ أنه يعشق النجف ويُلقب بالباكستاني لأنه لم يحصل على الجنسية العراقية. ولدى عودتي إلى بغداد

(١) هذا المحافظ هو المجرم قائد العوادي أحد أعضاء غرفة عمليات إغتيال السيد الصدر، والغريب أن سلطة

دولة القانون وقضاتها أطلقوا سراحه وبرأوه تماماً من الاشتراك في اغتيال السيد الصدر.

(٢) لقاء صحفي مسجل.

حررت رسالة إلى الرئيس صدام حسين بينت له فيها رغبة آية الله الباكستاني بالحصول على الجنسية العراقية ، وقد جاء الجواب بعد أيام على شكل مرسوم جمهوري يلبي للشيخ رغبته).^(١)

والنتيجة إن العراقي أزيل من الساحة وظل في النجف من هو ليس عراقياً ولا عربياً، فكيف يظن أن حكومة صدام تدعم المرجع العربي!.

عملت الحكومة على القضاء على كل من كان ناشطاً في زمن الصدر أما باعتقاله وأما بالتضييق عليه والنتيجة توقفه عن التحرك الذي كان عليه سابقاً.

فهذا الإرهاب الذي مارسته الحكومة لقمع الحركة الإسلامية بات يهددها بشكل واضح.

وبين الإرهاب الحكومي وسكوت المراجع الكلاسيكيين بات من الضروري وجود من يتصدى لمواجهة هذه الحكومة الطاغية لإفشال كل المخططات التي تهدد الوجود الإسلامي الواعي، لكن يجب أن تتوافر صفات معينة بمن يقوم بهذه المهمة الخطيرة، حتى يتمكن من العمل وسط هذه الظروف العصيبة.

إن كل قائد حركة إسلامية وخصوصاً إذا كانت الظروف حرجة جداً لوجود حاكم ظالم جائر، لا بد أن يكون من طراز خاص حتى يستطيع أن يقود ويؤثر؛ لأن الحركة الإسلامية إذا كانت واعية ومنظمة وخطواتها محسوبة ومدروسة فإنها ستتهز عروش الظالمين، وهذا لا يرضى الظالمين به بطبيعة الحال. فيلجأون لاستعمال كل الوسائل المتاحة لمنع حركة هذا القائد من الاستمرار.

(١) أوراق طاهر الجبوش، مصدر سابق.

هل الحل الخروج من العراق أو البقاء فيه ؟

لعل هناك من يتصور أن الخروج من البلد الذي يهيمن عليه الحاكم الظالم هو الحل الوحيد، وهناك من يعتقد أن الهروب إلى بلد آخر هو قمة الشجاعة ومنتهى البطولة!.

والحقيقة أن الخروج من البلد الذي يهيمن عليه الحاكم الظالم ليس هو الحل الوحيد، بل انه الحل الأخير، هذا مع علمه بان خروجه لا يؤثر على استمرار الحركة الإسلامية. ولو علم بان خروجه يؤثر سلبا على الحركة الإسلامية — أي إن الحركة الواعية تنتهي في المكان المعين بسبب تركه له — فالشهادة هي الحل.

والهروب إلى بلد آخر ليس فيه شيء من الشجاعة إذا كان يقدم نجاة نفسه على حساب استمرار الحركة الإسلامية الواعية إذا كانت الحركة متوقفة عليه. فالمكوث ومواجهة الظالمين هي الشجاعة، لان المكوث في البلد الذي يكون في قبضة الحاكم الجائر هو الأصعب.

إن البقاء في البلد الواقع بيد الحاكم الجائر يتطلب من القائد اتخاذ طريقة مثلى للتعامل مع الظروف المحيطة به؛ لأن المطلوب منه أن يقود المجتمع ويحصن الأمة من المسير مع هذا الظالم وتكامل الأمة نحو تغيير الواقع المر الذي يعيشه وهو الخلاص من الظلم.

ولا بد أن يمتاز هذا القائد بدراسته لسيرة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) بشكل دقيق ومفصل كي يتمكن من اتخاذ الموقف الصحيح مهما كلف ذلك من خسائر.

قد يقال إن الذي يغادر إلى بلد آخر يشعر فيه بالأمان إنما يريد الحفاظ على نفسه وعلى ما يحمل من علم؟.

لكن القائد الواعي والحكيم يحسب الأمور ويدرسها بدقة، ولا يقتصر بدراسته على الوضع الآني وحسب، بل يلحظ في اتخاذ المواقف تأثيراتها المستقبلية، ولا بد أن يشارك في صناعة المستقبل.

وخير مثال هو رسول الله (صلى الله عليه واله) عندما بنى شخصيته منذ نعومة أظفاره على أن يكون عند الناس شخصية مقبولة محترمة من الجميع؛ لأن المستقبل متوقف على مدى تأثيره على الآخرين، لذا فانه أول ما دعا عشيرته قال : أو لست أنا الصادق الأمين؟.

والمثال الآخر، المواقف التي جسدها علي بن أبي طالب (عليه السلام) منذ بدء الدعوة الإسلامية لتكون حجة على من رفض قيادته بعد الرسول (صلى الله عليه واله)، وثبتت هذه المواقف انه الوحيد المؤهل للقيادة. فأنظر كيف أن القيادة تنظر للمستقبل وكل ما يحتاجه القائد كي يكون قائداً للأمة.

وكل الأئمة (عليهم السلام) لم يكتفوا بالحكام الظلمة من العثور على أي دليل يدينهم، على الرغم من كثرة الثورات التي قامت ونادت بالطلب بثور أهل البيت (عليهم السلام) وبعدها بالرضا من آل محمد. فكانت السلطات تدهم بيوت الأئمة وتستدعيهم، ليحاولوا أن يجدوا ما يبرر ارتكابهم لأي جريمة يريدون القدوم عليها. إلا أنهم متأكدون من عدم حصولهم على أي دليل يدين الأئمة (عليهم السلام). على الرغم من الأعمال الجليلة التي كان يقوم بها الأئمة (عليهم السلام) لكشف وتعرية الحكومة الظالمة.

فقيادة الأمة في هذا الزمن لا بد أن تفكر بطريقة تحافظ بها على وجودها لنفع المجتمع، ولو خلت الأرض من الحجة ساعة لساخت بأهلها.

ولذلك بعد أن اندلعت انتفاضة في ٣/١٧ في البصرة ومعظم المحافظات العراقية، وبعد أن قمعها النظام السابق وألقي القبض على الكثير من الشباب الرسالي ورجال الدين، حاول جهاز الأمن والمخابرات أن يستحصلوا وينتزعوا اعترافاً من رجال الدين لإدانة الشيخ يعقوبي.^(١) فكانت أسئلتهم منصبة على معرفة الداعم لهم بالأموال أهو الشيخ يعقوبي؟ وهل لديه ارتباطات خارجية؟ وغيرها من الأسئلة. وقد شعر رجال الدين الذين تمّ التحقيق معهم بهذه الطريقة أن الأجهزة الأمنية تحاول بشتى الوسائل أن تدين الشيخ يعقوبي لأنهم شعروا بالخوف من عدم ورود اسمه بأحد الاعترافات، وهم يدركون يقيناً أن الشيخ يعقوبي هو العنصر الأساسي وراء كل حركة تجري في الساحة العراقية. وقد حاول ضباط الأمن في أثناء التحقيق أن يرغموا بعضهم على الاعتراف بأن الشيخ يعقوبي له يد بما حصل من مواجهة مسلحة وعمليات اغتيال طالت الكثير من المسؤولين والشخصيات الحكومية. ولأنهم كانوا يعتقدون بأن الشيخ يعقوبي بإتباعه طريق معين يشكل خطراً عليهم. ولم تكتف الأجهزة الأمنية بمحاولة انتزاع اعتراف ضده، بل أصدرت أمراً لمراقبة تلفون منزله علّهم يتمكنون من التوصل لما يمكنهم من اعتقاله.

إلا أنهم لم يتمكنوا من انتزاع أي اعتراف يدينه، والسبب إن الشيخ عرف كيف يحفظ للأمة قيادتها حتى لا تخلو الأرض من حجة ظاهر مشهور، وكان مدركاً لدوره المناط به لقيادة الأمة، ولم يُمكن أجهزة الأمن في الحكومة العراقية من إمساك أي شيء ممكن أن يستخدم دليلاً ضده واعتقاله لإيقاف حركته باتجاه إصلاح الأمة.

ولو فرضنا أن كل القيادات التي كانت موجودة قبل سيطرة النظام وفرض هيمنته على الجميع قد ارتكبت بعض الأخطاء التي توجب على النظام الحاكم أن يلاحقها،

(١) من المشايخ الذين حاول رجال الأمن أن يستحصلوا منه على اعتراف الشيخ يوسف الكناني، والسيد خماس.

فالتنتيجة خلو الساحة من القيادة . فأين يكون مصير المجتمع بأجمعه؟ خصوصا إن هذا النظام الحاكم الظالم سيفرض عليه حصاراً ثقافياً، فهل يبقى هذا المجتمع فيه من يهديه ويرشده لطريق الصواب؟.

لذلك قال الصدر الثاني : إن بقائي في العراق أعلم جاري سورة التوحيد أفضل من جبال من الأعمال خارج هذا البلد.

قال الصدر هذا لأنه كان ملتفتا إلى ان العراق في بعض الاوقات قد خلا من العلماء الذين يحافظون على الامة من الضياع والتشتت والتشردم. لكن هذه القيادة التي تبقى تعيش في جو يسوده الظلم والطغيان يجب ان تتعامل كما قلنا بطريقة تختلف عن الوضع الطبيعي، والهدف الاول من عدم الخروج إلى بلد آخر هو هداية الناس. وخير ما يستدل به على ان القيادة يجب ان يكون تعاملها مع الظروف المحيطة بحذر شديد، هو دور بعض الائمة (عليهم السلام) في دعم بعض الثورات العلوية (رغم ان كل الثورات الاصلاحية التي كانت تنفجر في وجه السلطات الحاكمة كانت تنطلق من تعاليم اهل البيت في رفض الظلم والطغيان والاستبداد والثورة عليه ووجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاصلاح بكل الوسائل حتى المواجهة المسلحة بحيث ان الامام (عليه السلام) كان يقول (لوددت ان الخارجي يخرج من آل محمد وعليّ نفقة عياله) الا ان السلطات التي قمعت تلك الثورات بقساوة لم تستطع ان تحصل على أي دليل يثبت ارتباط الائمة (عليهم السلام) بهم حتى اشد القادة قسوة كمسلم (الذي سموه بعدئذ مجرم) بن عقبة المري الذي قاد جيش يزيد بن معاوية لقمع ثورة الصحابة والتابعين في المدينة وأبادهم في واقعة الحرة واستباح نفوسهم واعراضهم واموالهم لم يستطع ان يمس الامام السجاد (عليه السلام) بسوء.

إعلان الأئمة (عليهم السلام) ما يشعر بتصلهم من تلك الثورات وعدم تأييدهم لها كالإخبار عن انتهائها بقتل اصحابها وعدم الجدوى منها، بمعنى عدم قدرتها على إزالة الحكام المعاصرين لكن الثوار يعلمون ان الهدف الذي يريدونه هو إيقاظ الأمة

وشحذ هممتها وإبقاء جذوة الحق في نفوسهم والاصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما إزالة الحاكم وغيرها من النتائج فهي بيد الله تعالى مسبب الاسباب ومنتج النتائج فلم يكونوا يفهمون هذا الموقف من الأئمة (ع) بإخبارهم بمقتلهم مانعاً منهم (ع) عن الثورة بل هو الى التعاطف معهم اقرب كما تشهد الرواية بوقوف الامام الصادق (ع) يبكي وهو يرى جلاوزة المنصور يركبون بني عمه من ذرية الامام الحسن (ع) ورسالته الى بني الحسن في السجن رغم أنه (ع) بين لهم هذه النتائج في الاجتماع الذي عقده الهاشميون من علويين وعباسيين قبيل إنهيار الدولة الأموية، وكان من بين الحضور الامام الصادق (ع) وعبد الله المحض شيخ بني الحسن (ع) وأبو جعفر المنصور، وطالبوا بمبايعة محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض فأخبرهم الامام (ع) بمقتله وأن الخلافة ستصل الى أبي جعفر فلم يفهم الثوار هذا الكلام من الإمام كمانع لهم عن حركتهم وان بدا هكذا امام الحكام.

عدم الاحتفاظ بأي وثيقة أو رسالة تتصل بشؤون السلطة او سلاح، وكانت قوات السلطة تداهم باستمرار دور الأئمة ويطالب الحاكم بأن يفتش بيت الامام، ويؤتي به على الهيئة التي يجده عليها جلاوزته فلا يجدون في الدار غير المصلاة والمصحف والمطهرة).^(١)

فلم يثبت على أي واحد من الأئمة (عليهم السلام) أي إثبات أو وثيقة تثبت دعمهم للثورات العلوية. وهذا يلزم القيادة وان كانت في زمن الغيبة أن تحافظ على وضعها الأمني والاجتماعي لكي تبقى لقيادة المجتمع، والضغط على الحكام الظلمة.

قد ينطلق بعضهم لترجيح الخروج من البلد الذي يهيمن عليه الحاكم الظالم من الآية المباركة {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَأَسِعَةَ فَتَهَا جَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ

(١) دور الائمة ، محمد اليعقوبي، ص ٢٦١.

مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا {النساء ٩٧}.

ومع إن الأئمة (عليهم السلام) استضعفوا إلا إننا لم نسمع بان أياً منهم قد خرج من بلده وذهب إلى بلد آخر مع كل ما لاقوه من ظلم وقسوة من الحكام الظالمين. بل نجد العكس كما مر علينا كيف أن بعضهم اقترح على الإمام الحسين (عليه السلام) أن يخرج إلى بلد آخر يوجد فيه أنصار لأبيه ويتخلص من بطش يزيد وأعدائه. إلا أننا رأينا الإمام اختار المواجهة والشهادة. لأنه كان يشعر بواجبه تجاه أمته وإن خروجه سيؤثر على الحركة الإسلامية، بل والقضاء عليها، ولذا فإنه قال مقولته المشهورة (إن كان دين محمد لا يستقيم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني).

قد يستشهد بعضهم بخروج الرسول (صلى الله عليه واله) من مكة إلى المدينة ويستدل على ضرورة الخروج من البلد الذي يكون فيه الظالم مهيمناً على مقاليد الحكم فيه!

وهذا التطبيق ليس صحيحاً؛ لأن الرسول (صلى الله عليه واله) لم يخلف وراء ظهره أشخاصاً مؤمنين، بل هو لم يخرج من مكة إلا بعد أن خلت من المؤمنين تقریباً. فالخروج أصبح ضرورياً عليه لأن المؤمنين في مكان آخر. أما في الحالة التي نتحدث عنها فإن الأمر يختلف اختلافاً واضحاً، وإن العراق لم يخل من المؤمنين حتى يمكن للقيادة تركه والذهاب إلى مكان آخر بقصد الحفاظ على النفس وعلى ما يحمل من علم كما يدعى.

لذا فإن العراق الذي كان يخضع لهيمنة الحكم الظالم المتمثل بحكم البعث بقيادة صدام حسين يحتاج إلى قيادة دينية حكيمة تتمتع بصفات خاصة تؤهلها إلى أن تقود الإسلام وتحافظ على نفسها ومن تقوده من بطش الظلمة، وفي الوقت نفسه تعمل على بناء المجتمع المؤمن ولا تسكت على فعل الظالمين.

بعد استشهاد الصدر الثاني احتاجت الأمة لقائد يسير بالنهج الذي سار عليه الصدر في بداية حركته، وهو الوصول للغايات التي يبتغيها في إنضاج حركة الأمة دون أن يعرض نفسه ومن معه للخطر. ويتم ذلك من خلال مواجهة الحكومة الظالمة والعمل على إفشال كل مخططاتها الشيطانية التي تبتغي من خلالها القضاء على الوجود الإسلامي. ولا يمكن الاكتفاء بالسكوت واتخاذ موقف إيجابي. وعلى هذا الأساس جاءت مواجهة الشيخ اليعقوبي للسلطة :

المواجهة الأولى

لعلي أستطيع القول أن أفضل ما يمكن أن يدرس في مجال تعامل القيادة الدينية مع الواقع في ظل وجود حاكم ظالم يحكم بالنار والحديد، هي الرسالة التي ظهرت بعد سقوط النظام، ونشرها بعضهم لمحاولة تسقيط اليعقوبي بدواعي أنه متعاون مع النظام السابق. وهي رسالة موجهة بحسب الظاهر من الشيخ اليعقوبي إلى (عزيز عبد الصمد الراوي) ^(١) مدير شعبة الدراسات السياسية الخاصة بشؤون المرجعيات. فضمت هذه الرسالة بين أسطرها أروع الدروس للتعامل مع الظرف الذي كان يحيط بالحركة الإسلامية وقيادتها. ومن اللطيف ذكره أن أحدهم جاء بهذه الرسالة إلى الشيخ اليعقوبي وطلب منه مليون ونصف دينار عراقي كي لا تنشر وكان يظن أنه سيرضخ لهذا الابتزاز، إلا أنه قال : أنا أعطيك أموالاً لكي تنشرها لأنها تثبت مواقفنا في تلك المدة التي كان فيها الجميع سكوتاً لا ينبسون ببنت شفة. ^(٢)

(١) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (١٦).

(٢) حدثني بذلك الشيخ اليعقوبي. عبد الهادي الزبيدي.

قبل الدخول في الكلام عن تفاصيل هذه الرسالة لا بد لنا من الحديث عن الظروف التي دعت الشيخ يعقوبي لإرسال هذه الرسالة. وهي أن الأجهزة الأمنية للنظام الحاكم بدأت باعتقال العديد من تلامذته بحجة إنهم ينشرون الاستفتاءات التي تصدر منه وكذلك المنشورات الصادرة عنه أيضاً، ومضايقتهم بشكل واضح، وهم الذين كانوا يمثلون الحلقة الواسطة بينه وبين المجتمع.

تحدث الشيخ يعقوبي في رسالته هذه عن احترامه للدولة ومؤسساتها، وقد كان دقيقاً في تعبيره عندما ميز بين الحكومة والدولة، فالدولة هي مجموعة المؤسسات التي تدير شؤونها ولولا هذه المؤسسات التي تنظم شؤونها لاختلط الحابل بالنابل، بالإضافة إلى الإقليم الذي يعيش عليه هذا الشعب الذي تقام عليه هذه المؤسسات، وهي من الثوابت التي لا تتغير. أما الحكومة فهي مجموعة أشخاص أو أحزاب سياسية هي التي تحكم البلد سياسياً، أو هو النظام السياسي الذي يحكم البلد، وهي متغيرة وليست ثابتة، والثابت فيه حتمية وجوده أما شكله فمتغير، فمثلاً العراق عندما أصبح دولة حديثة كان نظام الحكم فيه ملكياً، ثم انقلب إلى جمهوري وجاءت حكومة جديدة ثم أطيح بهذه الحكومة وجاءت حكومة البعث ثم سقطت وجاءت حكومات غيرها. أما الدولة فمؤسساتها ثابتة لا تغير فيها فولاء هذه المؤسسات ليس للحكومة وإنما هي تعمل مع كل الحكومات المتعاقبة.

ولم نجد أي واحد من المراجع الذين عاشوا في العراق لم يتعامل مع هذه المؤسسات، بدليل أنهم إذا احتاجوا إلى أي وثيقة رسمية فإنهم يراجعون المؤسسة المختصة، أو يرسلون شخصاً يمثلهم إلى المؤسسة المعنية لإنجازها. وهذا الأمر لا يختلف عليه اثنان. وتوجد استفتاءات صدرت من بعض المراجع في هذا الشأن.

قد يصل الأمر إلى أبعد من ضرورة احترام المؤسسات التي تكون بمجموعها الدولة، بل وجوب الحفاظ على المؤسسات لأنها تساهم في قوة ومنعة المؤمنين، وكلما قويت هذه المؤسسات فإن الإسلام سيظهر بمظهر القوة التي يرهب بها الأعداء.

ولنا أن نفهم من سيرة الأئمة (عليهم السلام) كيف كان لهم الدور الرئيسي في الحفاظ على الدولة. فقصة عبد الملك بن مروان التي جرت مع ملك الروم عندما أراد أن يسك نقودا فيها هتك لحرمة رسول الله (صلى الله عليه واله)، فكان المنتقد للدولة هو الإمام الباقر (عليه السلام).

فلاحظ كيف ان الإمام (عليه السلام) أنقذ الدولة الإسلامية ولم يكن يلحظ في ذلك مدى انحراف رئيس الحكومة، لان حفظ كيان الدولة من المسؤوليات الضرورية الملقات على عاتق من يشعر بالمسؤولية تجاهها.

وعند سقوط الشاه الذي كان يحكم إيران، لم تهدم الدولة أي إزالة المؤسسات، بل تم الحفاظ عليها واستقوت بها الحكومة التي حكمت بعده.

ولا أبالغ إذا قلت إن الحالة المتردية التي يعيشها الشعب العراقي بعد سقوط نظام صدام، هي بسبب إسقاط الدولة وليس الحكومة فقط. لأنهم عمدوا إلى أهم المؤسسات التي تشكل الدولة وأزالوها من الوجود، فاحتاج السياسيون بعدها إلى البناء من نقطة الصفر، وهذه العملية أي استرداد مؤسسات الدولة إلى حالتها الطبيعية استلزم التضحية الكبيرة والوقت الطويل والأموال الطائلة. والذي يُعتقد أن هذه العملية التي أرجعت الدولة إلى البدائية مقصودة وليس اعتباطية، والسبب إنهم أرادوا للعراق الجهل والتخلف والانشغال بدوامه اسمها الاتهامات المتبادلة واللهث وراء تحصيل المكاسب من جراء تسابق البُناة الجدد للعراق.

بعد ذلك ينتقل الشيخ اليعقوبي في الجزء الآخر من الرسالة إلى مسألة مهمة أراد أن يغلّق بها الباب على المسؤولين عن اعتقال بعض الطلبة. استشهد اليعقوبي بأن كتبه لم تطبع إلا بعد أن يطلع عليها المختصون في الحكومة العراقية. ولم يكن هو أول من فعل ذلك بل كل من سبقه كان يأخذ الإجازة من وزارة الإعلام أو الثقافة، كي يمكن تواجدها في الأسواق؛ لان الكتاب الذي لا يحمل رقم إجازة ورقم إيداع في

المكتبة الوطنية فانه سيسبب المشاكل الكثير للمتلقي والبائع. لاحظ كل كتب المراجع الذين سبقوه أو الذين عاصروه فإنها تحمل رقم إيداع ورقم إجازة.

بعد هذا الجزء يبدأ الشيخ يعقوبي بنبرة التهديد وكل عاقل يمكنه ملاحظة هذا التهديد، وفعلاً فإنهم فهموا واستوعبوا ما ذكرهم به. وقد ضيق عليهم الخناق بوضعهم بين نارين أما أن يمنعون إصداراته التي تعالج المشاكل الاجتماعية والتي تسير بالمجتمع نحو نجاحه بالجهاد الأكبر وهو الأهم بنظر يعقوبي وهم يخافون من تنامي الوعي لدى الشباب واندفاعهم نحو الالتزام بالمبادئ والقيم السامية، التي تجعل منهم قبلة موقوتة يمكن انفجارها بوجه الظلمة في أي لحظة. وبين ورود الاستفتاءات والكتيبات التي تحرض الشباب على رفع السلاح واستخدامه كعلاج للوضع المتردي، من دون المرور بمرحلة الجهاد الأكبر الذي يضمن النجاح في الجهاد الأصغر واعتدال مسيرته بالشكل المطلوب. وقد ذاق أضرار النظام مرارة العيش من جراء غضب الشارع الإسلامي بعد استشهاد الصدر الثاني، فهم يحاولون جاهدين أن لا يثار الشارع ضدهم.

وفعلاً أرغمهم الشيخ يعقوبي على القبول بما رأوه هم أفضل بالنسبة لهم، وهو ترك يعقوبي يعمل وإن كان ليس بالحرية الكاملة. ولعل ما حصل مع الشيخ يعقوبي والموقف الذي وقعت فيه الحكومة العراقية يشابه إلى حد ما، ما مرت به سابقاً عندما فسحت المجال للشيوعية أن تنتشر في العراق، إلا أنها أصبحت تمثل خطراً عليها وأرادت الحكومة أن تقمعها لكنها اختارت طريقاً يختلف عن طرقها المألوفة. فوقع الاختيار على كتاب (فلسفتنا) لمحمد باقر الصدر لتجهز على الشيوعية، لكن الكتاب الموسوم يضرب النظرية الاشتراكية أيضاً وهي النظرية التي يتبناها حزب البعث (فكان من غير المنطقي أن تسمح السلطة بتداول كتاب (فلسفتنا) بشكله الحالي من دون إجراء تعديلات عليه تنسجم مع طبيعة متبنياتها الفكرية. فبعثت مدير الأمن العام فاضل البراك ليبحث مع السيد الشهيد

(رضوان الله عليه) فكرة السماح بطبع كتاب (فلسفتنا) بعد إجراء تعديلات عليه. وكان السيد الشهيد يعلم بالمأزق الذي وقعت السلطة فيه، إلا أنه تجاهل ذلك أمام فاضل البراك، واخبره بأنه لا يشعر بضرورة لطبع كتاب (فلسفتنا)، إلا أن فاضل البراك أصر على طبع كتاب (فلسفتنا)، مبرراً ذلك بأن الفكر الإلحادي بدأ يتفشى في العراق، ولا بد من مواجهته بكل الوسائل المتاحة. وقد تحدث البراك عن أهمية هذا الموضوع، وعن اهتمام (القيادة) به.

وأحسن السيد الشهيد (رحمه الله) بأن السلطة مصممة على تنفيذ هذه الفكرة، وسواء أقبل بذلك أم لا فإنها ماضية في عزمها. ولكن هل الأفضل أن يترك السلطة تتصرف بالكتاب كيف تشاء، أو أن يختار بنفسه الجزء الذي سيحذف الذي لا يؤثر كثيراً على ما استهدفه كتاب (فلسفتنا) من حقائق؟.

ووجد أن الخيار الثاني هو الأفضل، وعلى هذا الأساس جرى الحديث مع البراك على المقدار الذي سيحذف من الكتاب، وإن الإشراف على طبع الكتاب يجب أن يكون للسيد الشهيد.

ووافق فاضل البراك على هذه الشروط، وطبع الكتاب في مطبعة الميناء في بغداد.^(١)

لعل بعضهم تصور أن هذا اعتراف من السلطة بعلمية الصدر! إلا أن الدافع الحقيقي للسلطة هو محاربة العدو بأي سلاح تراه ينفعها ويؤدي الغرض. والصدر لم تمر عليه هذه اللعبة، إلا أنه مررها لتقليل الخسارة التي يمكن أن تنتج من اتخاذ الحكومة للخطوة التي أجبروا على اتخاذها. والموقف نفسه هذا واجه الحكومة مع الشيخ يعقوبي، لكن الفرق في هذه المرة هو أن الشيخ يعقوبي يمسك بزمام الأمور (من

(١) الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، محمد رضا النعماني، ص ٧٤.

هذا الجانب) وما على الحكومة إلا أن ترضخ له.

في نفس هذا الجزء من الرسالة يثبت للجميع مدى تأثير الشيخ يعقوبي في الساحة العراقية وكيف أن إصداراته المكتوبة والمسموعة كانت تحتل المرتبة الأولى لدى المجتمع الإسلامي والثقافي، وإنها طغت على كل ما كان موجوداً – إن جاز لنا أن نقول ذلك – علماً أن تلك المدة قد خيم فيها الصمت على الجميع.

ومن الغريب أن هذا الدور قد تناساه الكثير ممن كان يشهد بدور الشيخ يعقوبي في إدارة تلك الفترة وغزارة نتاجاته بعد أن سقط النظام في ٢٠٠٣.

بعد أن قدم الشيخ مقدمة طمأنت الجهات الأمنية ومن يقودها، وعرض حجم الخطر الذي يمكن أن تتعرض له الحكومة باستمرارها في الاعتقالات ومحاولة التضيق على العاملين، جاء القرار الذي اتخذته الشيخ يعقوبي في النهاية وهو على قسمين :

الأول : انه لا يمكنه أن يتخلى عن وظيفته الشرعية في قيادة الأمة والتصدي لكل ظاهرة اجتماعية منحرفة، والإجابة عن كل ما يصل إليه من استفتاء، ولا التلثة الذين نذروا أرواحهم فداءً للدين والمذهب يمكن لهم أن يتقاعسوا عن الوقوف إلى جنبه ونصرته بكل استطاعتهم، وهو إشعار منه إلى الحكومة بأنه يقود مجموعة من رجال الدين والشباب الرسالي همهم إنقاذ الأمة من الواقع المأساوي الذي يعيشه تحت سطوة الجبابة، وهذا يعني بأنه ليس وحده.

الثاني : إن كل من يتحرك في الساحة العراقية ويؤثر فيها فانه من أتباعي وليس غير، حيث قال : (نعم يوقفها كلام مني إن حصلت القناعة بذلك).

وفي المحصلة النهائية حصل الشيخ يعقوبي على بعض المكاسب التي يحفظ بها المؤمنين وفي الوقت نفسه الاستمرار في دعم الحركة الإسلامية، مع العلم أنه كان بإمكانه أن يفعل كما فعل غير، يغلق بابه ويترك المجتمع. إلا أن هذه الطريقة في

التعامل لا تليق بالقيادة الدينية الحركية.

بعد هذا الكلام الذي تقدم وهو مختصر بشكل واضح، أصبح أن يتهم هذا الشيخ بتعاونه مع النظام البائد كما حاول بعضهم أن يقول ذلك؟.

الحقيقة إن هذه الرسالة تستحق أن تُدرس لكل القادة ليتعلموا كيف يكون التعامل مع الظرف الذي عاشه الشيخ اليعقوبي والشعب العراقي في ظل حاكم جائر.

ولو تتبعنا سيرة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) لوجدنا رسائل يكون وقعها أكثر مما مرّ بنا، والهدف منها هو اما الحفاظ على الإمام نفسه من بطش الظالمين، أو الحفاظ على الثلة المؤمنة، أو كليهما معا. وربما لو وقعت بعضها بأيدي من يحقد عليهم لبدأ بالتشنيع عليهم وحاول أن يسقطهم؛ لأن شيعتهم كانوا يظهرون للآخرين من خلال نقاشاتهم ومناظراتهم أن الأئمة يعادون الظلمة ويحاربونهم ولا يقبلون بوجودهم لو ثبت لهم الوسادة.

ولنقرأ هذه الرسالة التي أرسلها الإمام الكاظم (عليه السلام) إلى الثائر العلوي يحيى بن عبد الله صاحب الديلم جاء فيها : (أما بعد فإني أحذرك الله ونفسي وأعلمك أليم عذابه وشديد عقابه ، وتكامل نعماته ، وأوصيك ونفسي بتقوى الله فإنها زين الكلام وتثبيت النعم ، أتاني كتابك تذكر فيه أنني مدع وأبي من قبل ، وما سمعت ذلك مني وستكتب شهادتهم ويسألون ولم يدع حرص الدنيا ومطالبها لأهلها مطلباً لآخرتهم ، حتى يفسد عليهم مطلب آخرتهم في دنياهم وذكرت أنني ثبتت الناس عنك لرغبتني فيما في يديك وما منعني من مدخلك الذي أنت فيه لو كنت راغباً ضعف عن سنة ولا قلة بصيرة بحجة ولكن الله تبارك وتعالى خلق الناس أمشاجاً وغرائب وغرائز، فأخبرني عن حرفين أسألك عنهما ما العترف في بدنك وما الصهلج في الإنسان، ثم اكتب إلي بخبر ذلك وأنا متقدم إليك أحذرك معصية الخليفة وأحثك على بره وطاعته وأن تطلب لنفسك أماناً قبل أن تأخذك الأظفار ويلزمك

الحناق من كل مكان ، فتروح إلى النفس من كل مكان ولا تجده ، حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ورقة الخليفة أبقاه الله فيؤمنك ويرحمك ويحفظ فيك أرحام رسول الله والسلام على من اتبع الهدى ، إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى .

قال الجعفري : فبلغني أن كتاب موسى بن جعفر عليه السلام وقع في يدي هارون فلما قرأه قال : الناس يحملوني على موسى بن جعفر وهو برئ مما يرمى به (١).

ومن المقتطوع به أن الإمام (عليه السلام) كان عالماً بأنها ستقع بيد هارون العباسي. وهي فعلاً أدت الغرض الذي كان يبتغيه الإمام منها. لكن السؤال هنا إنها لو وقعت بأيدي شيعة مستوياتهم ضعيفة ولم يدركوا الأبعاد التي كان يرمي لها الإمام، فماذا سيكون ردهم وكيف سيتصرفون؟، استطيع أن اجزم بأنهم سيسئون الظن بالإمام، ولعل بعضهم سيستخدمها لتسقيطه أمام شيعته.

كما إن الإمام الهادي (عليه السلام) كتب إلى المتوكل بعد أن سعى به عبد الله بن محمد الذي كان يتولى الحرب والصلاة في مدينة الرسول عليه السلام، وكان يقصده بالأذى، وبلغ أبا الحسن سعايته به، فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد ويكذبه فيما سعى به. (٢)

وهذا موقف آخر من مواقف الأئمة (عليهم السلام) ودرس جديد في سياسة الأمة التي تستحق أن تدرس. وبعد هذا أصبح أن يؤاخذ من أراد أن يحفظ دماء المسلمين ويسير بالحركة الإسلامية نحو بر النجاة؟.

(١) الكافي ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .

(٢) الإرشاد ، الشيخ المفيد ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .

ومن الموارد التي ينبغي ملاحظتها في هذه الرسالة أنه رفض أي دعم من قبل الحكومة التي ربما تجعله سبباً لاستغلال المرجعية.

المواجهة الثانية

من المواقف التي جسدها الشيخ اليعقوبي في مواجهة النظام البعثي عندما حاولت الحكومة العراقية أن تفرض على الطالبات خلع الحجاب في الصور التي تثبت على بطاقة دخول الامتحان الوزاري. وما هي إلا خطوة أولى لقرارات جديدة تفرضها الحكومة على المجتمع العراقي المحافظ، وهتك حرمة الإسلام.

وقد تسبب هذا القرار في وقوع كثير من العوائل المؤمنة والمحافضة في الحرج، لان إيمانهم يمنعهم من تنفيذ هذا القرار، ومن جهة أخرى فان مستقبل الجامعات سيخلو من المتدنيات أو المحافظات، وسيكون مصير بنات العوائل المتدينة ربوات بيوت لا غير، ولا يمكن لنا أن نجد طبيبة أو مهندسة أو أستاذة جامعية تنتمي إلى العوائل المتدينة. وهذا ما كان يفكر به النظام الحاكم بالفعل.

انتظر المجتمع من الذي سيغير ويكسر قرار الحكومة المجحف بحق الإسلام والمسلمين، لم يكن أمامهم إلا المرجعية الدينية فهي الجهة الوحيدة القادرة على كسر هذا القرار، لكن شريطة وجود الرغبة والطريقة التي تكسر القرار.

استفتي المرجع (الأعلى) في النجف الأشرف عن رأيه في هذه المسألة فكان جوابه الجواز بشروط :

- ١- أن يكون الملتقط للصورة ممن يحل له النظر إليها كالأخ أو الزوج.
- ٢- أن لا يطلع الرجال على الصورة وإنما تحفظ عند مديرة المدرسة فقط.

فلم يقتنع السائل بالإجابة فعاد ليستفتي الشيخ يعقوبي عن المسألة نفسها مع ذكره
لجواب ذلك المرجع، فكان من ضمن جوابه :

بعد هذه المقدمة أقول - والكلام للشيخ يعقوبي - إن الجواب الذي ذكره أحد
المراجع يمكن أن يكون صحيحا وفق القواعد التي ذكروها في علم الأصول، ولكنها
إجابة ليست واعية وتفتقر إلى الرؤية المعمقة والبصيرة الثاقبة، وقد نبهنا في المحاضرة
التي ألقيناها بمناسبة ميلاد الإمام الحسين (ع) في الثالث من شعبان من العام الماضي
١٤٢٢ هـ إلى ما سميناه بالفقه الاجتماعي الذي يضيف رؤية جديدة إلى الفقه الفردي
المتعارف والمتداول في الرسالة العملية فإن إلقاء مثل هذه الإجابة إلى العامة ستفتح
الباب واسعا أمامهم إلى المعصية لأنهم سوف لا يقولون إن الحكم في هذه المسألة هو
الجواز بشروط وإنما سيقولون لقد أجاز العلماء ذلك بدليل إن نفس السائل حينما
أجبهته بالمنع قال لكن بعض المراجع أجازوه واكتفى، ولا بد أن نكون واعين وذوي
رؤية معمقة وبصيرة ثاقبة في عواقب الأمور ولا نكون كالنعامة التي إذا داهمها خطر
دفنت رأسها في التراب لكي لا ترى الخطر وهي واقعة فيه لا محالة بل لا بد أن نعمل
على الحذر منه وتجنبه فحينما تواجهنا مثل هذه المسائل لا نحاول أن نجد لها المبررات
بما يسمونها بالحيل الشرعية بل نقف بوجهها بحزم واذكر كلمة لبعض أساتذتي (
قدس سره) أجلها واحترمها قال: (لا ينبغي أن ننزل الشريعة إلى مستوى الواقع بل
علينا أن نرتفع بالواقع إلى مستوى الشريعة)^(١). فإذا كانت الحالة منحرفة وفاسدة أو
أنها تؤول إلى ذلك فلا نعمل على تبريرها بل تصحيحها وعلاجها ورفع الواقع
المعاش من مستواه البعيد عن الشريعة إلى قمة الكمال الذي تعمل الشريعة على
تحقيقه.

(١) وهذه الكلمة للشهيد الصدر الثاني ذكرها في أكثر من مورد، أنظر مناقشته للسيد محمد حسين فضل الله
حول هذا الأمر بالتحديد.

{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا}
النساء ٢٧

فهل سألنا إدارات المدارس لماذا تتخذ هذه الخطوة الخطرة وما المبرر لذلك قد يقولون – وقد قالوا – لكي يتميز وجه الطالبة ولا تختلط بغيرها ويحصل تزوير ولكن هل الإنسان يعرف بشعره أم بوجهه! فما هذا الكلام غير المقبول ولماذا يتسببون في حرمان المؤمنات من مواصلة التعليم لأنهم يعلمون جيدا أن المؤمنة العفيفة لا تخطو هذه الخطوة فان الشرف والحياء والعفة لا يمكن التخلي عنه ولو لحظة ومن هان عليه هذا الأمر مرة هان عليه مرات عديدة . وأنا أناشدهم بالله تعالى أن يسألوا وجدانهم لو أن الصديقة فاطمة الزهراء أو السيدة أم المؤمنين عائشة (لان كلامي هذا موجه إلى جميع المسلمين من السنة والشيعة) عرض عليها هذا الأمر أكانت تقبل به؟ كلا طبعاً لأنهما يفهمان جيدا قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} الأحزاب ٥٩

فإذا كنا لا نقتدي بالأسوة الحسنة فبمن نقتدي؟! ولماذا هذه الجراءة على انتهاك حرم الله تبارك وتعالى قد يقولون يمكن أن نلتزم بشروط الحكم بجواز المذكورة أعلاه لكن قل لي بربك كم نسبة الذين يلتزمون بهذه الشروط؟ لو أصرت إدارات المدارس على المطالبة بهذا الشيء ، لا اعتقد أن واحد بالمئة سيلتزمون وهل يضمن الملتزمون أن لا تعرض صور الطالبات على الرجال خصوصا بنات العلماء والفضلاء وذوي الشرف والجاه في المجتمع حتى تصبح صورهن عرضة للتندر بان هذه صورة بنت العالم الفلاني وهذه صورة بنت الوجيه الفلاني.

والذي اعتقده إن هذا القرار الذي علمت بكل أسف تعميمه على جميع إدارات المدارس في جميع محافظات العراق ليس صادراً من الجهات العليا لأكثر من أمر:

١ - إن القيادة تتبنى الحملة الإيمانية وتعير الاهتمام الواسع بالقران الكريم وهو عمل محمود استفاد منه المجتمع كثيرا وهذه الخطوة - خلع الحجاب ولو لالتقاط صورة فقط - مناف بالتأكيد لتعاليم القرآن وصفات المؤمنين بالله حقا.

٢ - إننا نتعرض لأشرس هجمة ضد الشعوب العربية والإسلامية بقيادة الولايات المتحدة وقد قلنا في مناسبة سابقة أن مواجهة أمريكا والصهاينة لا تكون إلا بالعودة إلى الإسلام لأنهم إنما يحاربوننا من أجل سلخنا عنه، قال تعالى { وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } البقرة ٢١٧.

فأي ابتعاد عن الإسلام إذن هو انهزام أمام هذا العدو المتغطرس واعتراف له بالنصر علينا لأنه يكون قد حقق مراده فينا ولا ان عاقلا يعين عدوه على نفسه.

١ - إن الوزارة المشرفة على المدارس تسمى (وزارة التربية والتعليم) فهي مسؤولة أولا عن التربية ثم عن التعليم كما شهد ترتيب الاسم وليس من التربية الصحيحة التي تقود الناس إلى حياة الطهر والعفاف أن تجبر الطالبات على خلع الحجاب.

٢ - إن هذه الخطوة يمكن أن تؤدي في المدى البعيد بل القريب في الفساد والانحراف والتحلل الخلقي وهو ما يجب أن نتعاون جميعا على سد المنافذ إليه وكل ما يصب في تحقيقه كما يقول المثل الدارج "الباب الذي يأتيك منه الريح سده واستريح"، والذي يطلع على ذوق الشريعة المقدسة يجدها شديدة من هذه الناحية فمثلا يحكم بكراهة الجلوس في المقعد الذي قامت عنه المرأة إلا بعد أن يبرد وكل ذلك احتياط من الشارع المقدس وسد لمنافذ الفساد وهو من أدلة التشريع عند إخواننا أهل السنة ويسمونه (سد الذرائع). وها أنت ترى العالم كله حتى أكثر الشعوب انغماسا بالماديات كالولايات المتحدة وأوربا يطالب بالعودة إلى القيم الروحية والأخلاق بعد أن ذاق الأمرين من الفساد والانحراف ولا يرى علاجا لها إلا بتعميق الدين

والارتباط بالله تعالى في نفوس الناس فإذا كانوا هم كذلك فكيف نعمل نحن على تميع هذه الأخلاق والتعاليم الإلهية في النفوس؟ ١٩.

لذا أدعو باسم الحوزة العلمية الشريفة في النجف الأشرف إدارات المدارس أن تعزف عن هذا القرار ولا تورط نفسها في هذه المعصية الكبيرة فهم يحملون وزر أنفسهم وأوزار كل من سيعصي الله بسببهم من أجل لا شيء بل الأدهى من ذلك سيصلون { نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } {التحریم} ٦.

وأذكرهم ببعض مشاهد يوم القيامة كما يعرضه القرآن الكريم {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ. وَلَمْ أَدْرَ مَا حِسَابِيهِ. يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ. مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ. هَلَكْتُ عَنِّي سُلْطَانِيهِ. خَذُوهُ فَعْلُوهُ. ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ. ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ } {الحاقة} ٣٢.

فسوف لا ينفع الندم {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ } {الأنعام} ٢٧-٢٨.

لأنهم سيرون حقيقة أن ما عملوا من أجله كان سرايا تافها زائلا أورثهم حسرة وندامة وعذابا خالدا هم فيه مقيمون.

ولا اعتقد أن إدارات المدارس ستصر على هذا الطلب غير المشروع وغير المبرر بعد الالتفات إلى هذه المعاني التي ذكرناها وربما كانوا غافلين عنها لكن واجب العلماء بيانها والتذكير بها ولا اعتقد إنهم — وهم الحريصون على تقدم المجتمع ورقية — سيتسببون إلى حرمان عدد كبير من الطالبات من مواصلة الدراسة ليساهموا في إعمار البلد هذا الحرمان الذي ينتج من عدم استجابة المؤسسات العفيمات لهذا الأمر فيترك الدراسة قربة إلى الله تعالى (وما عند الله خير وأبقى) فان المستقبل الذي

يتحدثون عن تحقيقه ليس هو نيل الدنيا الزائلة الزائفة ولو بمعصية الله تعالى وإنما المستقبل هو نيل رضى الله تبارك وتعالى (ورضوان من الله اكبر) {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} يونس ٥٨ {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} المطففين ٢٦.

لان نساءنا أولى بالمحافظة على تعاليم الدين من السيدة "مريم قاوقجي" عضوة البرلمان التركي التي أثرت رضى الله تبارك وتعالى والفصل من البرلمان على أن تخلع حجابها وتسخط الله والعياذ بالله، وأصبحت قضيتها رمز للشعب التركي المسلم، اسأل الله تعالى أن يكون جميع المسلمين بمستوى التحديات المعاصرة وان يؤدوا تكليفهم الشرعي بحزم ولا تأخذهم في الله لومة لائم لينالوا الطاف الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ويحظوا بنصره وتأييده.

{وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} التوبة ١٠٥.

٣ / صفر / ١٤٢٣ هـ

لاحظ كيف كانت إجابته قوية ومخرجة للحكومة ولا يمكن لها أن تغض النظر عنها أو تتجاهلها؛ لأن تأثيرها بات واضحا وتفاعل معها المجتمع بشكل واضح، وخيف بالنسبة للحكومة. هذا النمط من الخطاب المتقن والمدرّس من كل الجوانب هو الطريق الوحيد القادر على تغيير سياسات الحكومة الهدامة. فهل يستوي من أجاب بالجواز بشروط ومن قطع كل يد تحاول أن تعبت بالدين وبمقدرات الناس؟ فمن منهم يصح أن يطلق عليه مرجعا للناس؟.

قبل أن يستفتى الشيخ اليعقوبي عن هذه المسألة كان قد خصص محاضرة لمناقشة هذا القرار الذي أصدرته وزارة التربية وقد وجه نقداً لاذعاً للحكومة بسبب هذا القرار. وقد حاول بعض رجال الأمن أن يقنعوه بأنهم لا يقصدون خلع الحجاب بالشكل

الكامل، وإنما يقصدون التسامح بالحجاب حتى تتبين معالم الطالبة وتمييزها عن غيرها. إلا أن الشيخ يعقوبي لم تنطل عليه هذه الأكذوبة وكما سمعنا من إجابته عن الاستفتاء. وقد سببت هذه المحاضرة وتبعها الاستفتاء ضجة في الوسط الحوزوي والاجتماعي، لأن بنات المراجع وبنات كبار الشخصيات الاجتماعية ستكون مشمولة بهذا القرار. وبهذه الطريقة قد أخرج الشيخ يعقوبي كل الأطراف حتى المراجع منهم وفضلاء الحوزة.

ولم يبق أمام الحكومة إلا أن تستسلم للضغط الذي ولّده الشيخ عليها وتتخذ قرارا يلغي القرار الأول.^(١) ولم يأخذ من الوقت إلا أربعة أيام تقريبا. وهكذا واجه الشيخ يعقوبي الحكومة وأفشل مخططها في القضاء على واحد من أهم الأساسيات التي يرتكز عليها الإسلام.

المواجهة الثالثة

الدورات السريعة :

لعل هنا من يستغرب عندما نذكر هذا الموضوع تحت عنوان مواجهة الحكومة، ولإمكان إدراجه تحت عنوان آخر، مثل رعاية طلبة العلوم الدينية، أو تنظيم شؤون المجتمع، أو غيرها. إلا إننا ارتأينا أن ندرجه تحت هذا العنوان لما له من تماس مباشر مع أجهزة الأمن الحكومية وما كان لهذه الدورات السريعة من وقع أقص مضاجع هذه الأجهزة. وأنه كان لها تأثير كبير جدا على زيادة ثقافة الشباب الرسالي، ونشر العلوم في أوساط طلبة الجامعات والمعاهد التي تمثل الطليعة لكل المجتمعات.

(١) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (١٧).

لا يخفى على الذي عاش حكم النظام البائد ما كان يفعله هذا النظام لمحاولة السيطرة على الشباب والهيمنة على عقولهم، وكذلك جُلْ أوقاتهم. ولم يقتصر الأمر على الشباب فقط وإنما حتى الصغار وهم ما زالوا براعم يدخلونهم في تشكيلات سموها (أشبال صدام)، أما طلبة الجامعات والمعاهد فحاولوا إشغالهم بأكثر من طريق، مرة بالفرق الرياضية ومرة بمحاولة عسكرتهم بفرض الانضمام إلى جيش القدس، وكانت التدريبات العسكرية تجرى على حساب المحاضرات المقررة.

فبات من الضروري على القيادة الدينية الواعية أن تأخذ دورها في الحفاظ على الأمة وخصوصاً شبابها من الانزلاق بمكائد الأعداء والمغرضين.

وأي محاولة من أية جهة تنافس الحكومة على كسب الشباب خصوصاً، مهما كانت هويتها فإنها تعد مخططاً ضد الحكومة. فكانت الحكومة ترفع شعار نكسب الشباب لنضمن المستقبل. وهذا هو منشأ إدراجنا لهذا الموضوع تحت هذا العنوان.

بعد أن شخّص الشيخ اليعقوبي انتشار كثير من الظواهر السلبية بين أوساط الشباب الجامعي ومنها ما ذكر قبل قليل وغيرها مما لم نأت على ذكرها، ألقى الشيخ اليعقوبي محاضرة بعنوان (الحوزة ومشاكل الشباب)، التي سجلت على شريط كاسيت ووزعت منها كميات كبيرة وانتشرت بين أوساط الطلبة الجامعيين والمدارس الثانوية. ولأنه من الأكاديميين فانه يشعر بما يحصل في أروقة الجامعات، ويعرف كيف يمكن أن يعالج المشاكل التي تنشأ فيها.

وقد استجاب ثلة من الشباب الواعي لدعوة الشيخ، وان لم تكن الدعوة بشكل صريح إلا أن القصد يمكن أن يفهم. فالتحقوا بالنجف الأشرف في العطلة الصيفية ليأخذوا الدروس الحوزوية، ويتعلمون الأساسيات ويتفقهوا في دينهم وينقلوا ما تعلموه إلى الآخرين الذين لم يتسن لهم الالتحاق بأقرانهم. لأن الكثير من الطلبة الذين كانوا يرغبون بالالتحاق بهذه الدورات مع أقرانهم، لكن خوف أهاليهم من

بطش النظام حال دون التحاقهم. وهناك فئة من الطلبة الآخرين لم تسمح لهم إمكانياتهم المادية وانشغالهم في العطلة الصيفية لكسب بعض المال ليعينهم في السنة الدراسية المقبلة أيضا منعهم من الالتحاق. لكن هؤلاء الثلة من الشباب المؤمن لم يحرّموا من فيوضات هذه الفرصة، فالكثير منهم عمد إلى طريقة تدل على حرص هؤلاء الشباب، وهي، أنهم اختاروا شخصا من بينهم ممن له الرغبة بالالتحاق ولكن يعيقه وضعه المادي، وجمعوا له المال الذي يكفيه حتى يزول سبب التخلف عن الالتحاق، وهو بدوره ينقل لهم كل الدروس التي أخذها، وينقل لهم كل ما يشاهده من أحداث ومواقف بالإضافة إلى كل الاستفتاءات التحريرية والشفهية. فلا يخفى فان متابعة أخبار المرجعية وما يستجد من أحداث من المسائل المهمة التي تؤكد لها المرجعية الحركية.

بدأت هذه الدورة بتاريخ ٢٠٠٢/٧/١، ووزع الطلبة على خمس شعب كل شعبة ضمت ستين طالبا، والعدد الكلي يقرب من الثلاث مئة طالب. وقد أشرف على هذه الدورة الشيخ علي الغراوي. وقد كان الأساتذة كل من:

الشيخ كريم العسكري : في أحكام التلاوة.

الشيخ حسن الهليجي : في درس الأخلاق.

الشيخ علي الغراوي : في دروس العقائد، الفقه، السيرة.

الشيخ تحسين : مادة النحو.

الشيخ مصطفى البهادلي : في درس المنطق.

وكان من ضمن الأساتذة : الشيخ ميثم العقيلي، والشيخ محمد العبودي، والشيخ مازن الكربلائي.

وكان الطلبة متوزعين على محافظات العراق المتعددة، ولعلها شملت كل المحافظات.

وقد سكن هؤلاء الطلبة في أماكن متعددة، فمنهم من سكن عند أقربائه ممن له أقرباء في النجف الأشرف، ومنهم من سكن في غرف استأجروها في فنادق، وكان يسكن في الغرفة الواحد أكثر من ستة طلاب، وإن لم تكن بالشكل اللائق، ومن كان من المحافظات القريبة نسبياً كالحلة وكربلاء والديوانية، فإنهم لم يسكنوا بل كانوا يذهبون إلى بيوتهم كل يوم.

فلم يقتصر التعلم على دراسة بعض العلوم الدينية، وإنما حصلوا على دروس عملية من خلال تعايشهم مع بعضهم وإيثارهم على أنفسهم وتراصهم وتوادهم في ما بينهم. لأن الدرس العملي من أهم الدروس التي يمكن أن يتعلمها الإنسان. كما لا يخفى فإن التحدي للظالمين وتوطيد النفس على تقبل كل ما يمكن توقع صدوره من الحكومة الظالمة من أعظم أنواع تربية النفس.

وكان يبدأ الدوام من الساعة السادسة صباحاً ويستمر إلى صلاة الظهر. وتعدّد حلقات الدرس في كل من المساجد (مسجد الرأس، مسجد الطوسي، مسجد آل كاشف الغطاء، مسجد الترك، ومدرسة الاخوند، مسجد الهندي) وغير ذلك من مساجد النجف الأشرف.

أما الكتب التي كانت تدرس، كتاب الصراط القويم للفقّه، وهو رسالة عملية مختصرة للصدر الثاني. وفي العقائد كان يدرس كتاب عقائد الإمامية للشيخ المظفر. وفي المنطق كتاب دروس في علم المنطق لجعفر محمد علي الباقري. وفي النحو التحفة السنية بشرح المقدمة الاجرومية لمحمد محي الدين عبد الحميد. وفي أحكام التلاوة النور المفيد في أحكام التلاوة والتجويد، إعداد الشيخ كريم العسكري. أما في السيرة فقد درس كتاب في السيرة لمجموعة مؤلفين. وفي الأخلاق كتاب مرآة الرشاد، للمامقاني.

ولم يكتف الطلبة بالدروس التي تعطى لهم، بل إنهم يستثمرون كل فرصة تتاح لهم ليتحلّقوا^(١) حول الشيخ اليعقوبي ليسألوه عن أي مسألة تمر عليهم، ويستنيرون بمواعظه وإرشاداته. وهو لم ييخل عليهم بأي نصيحة أو إرشاد؛ لأن الغاية من دعوتهم هي تزويدهم بأكبر عدد ممكن من المعلومات التي يمكن نقلها من خلالهم إلى الآخرين. فضلاً عن اتصالهم واحتكاكهم بطلبة العلوم الدينية ذوي المراحل المتقدمة، جعلهم يطلعون على تجارب أوسع وإطلاع على خبراتهم ومعرفة أهم المشاكل التي يتعرض لها المجتمع. وقد ولد عندهم حب الإطلاع على تجارب أكثر من خلال الإطلاع على سير العلماء الأعلام.

وقد أصبح جامع الرأس في أثناء الدورات السريعة كخليفة نحل لا تهدأ، فالاستفتاءات والكتيبات والمواظ بدأت تصل بشكل سريع وكبير من خلالهم عند ذهابهم إلى مدنهم ومحال سكناهم.

قام الشيخ اليعقوبي بمساعدة طلبة الدورات السريعة بمبلغ مالي قدره (٨٠٠٠) دينار لكل طالب مع هدية كتاب عن سيرة الأئمة. وتم تكريم الطلبة الأربعة المتفوقين بمقدار بسيط من المال قد وهبته إحدى النساء البسيطات، ولعل هذا المبلغ كل ما تملكه. وقد كان هذا التكريم وهذه المساهمة لها وقع كبير في نفوس الأساتذة والطلبة.

قام الشيخ بهذه الخطوة الجبارة وتحت أنظار الحكومة وسلاحها وكل ما حَفَّ به من مخاطر إلا أنه مطمئن لقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقرباً أجلاً ولن يقطعاً رزقاً).

إن هذه الدورات السريعة وتوافد الشباب الجامعي على النجف الأشرف وبهذا الكم الذي بلغ المئات منهم، قد أقصّ مضاجع أزلام النظام وجلاوزته، وراح الرعب يملأ

(١) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (١٨) صورة.

قلوبهم بما رأوه من نتائج طيبة تحققت بفضل الله تعالى. فراح بعضهم يرفع التقارير والآخر يحلل والآخر يحار في ما يمكن فعله لإفشال هذه الظاهرة الايجابية في المجتمع والحوزة. علماً بأنهم لم يسجلوا حالة مشابهة في السابق؛ لأنها سابقة جديدة.^(١)

ومن ضمن توقعات القوى الأمنية أن هذه الدورات سيتضاعف عددها إذا استمرت بهذا الشكل.^(٢) وقد اتخذوا خطوات معينة للوقوف ضد انتشار هذه الظاهرة، واحدة منها محاولة التقليل من شأن الشيخ اليعقوبي في الحوزة والتقليل من جدوائية هذه الدورات، فأصدروا الأوامر لبعض التابعين لهم في كيان الحوزة لينشروا بعض الإشاعات والشبه.

وقد روج رجال الأمن إشاعة بين أوساط الحوزة أن الشيخ استقطب هذه الثلة من الشباب بالمال وزواج المتعة، وقد بثوا هذه الإشاعة بعد أن عجزوا عن تفسير انجذاب الشباب بهذا الشكل لنداء الشيخ اليعقوبي. وحاولوا الضغط على الطلبة وإرهابهم أمنياً لكسر عزيمتهم وثنيهم عن القدوم إلى النجف لمواصلة الدراسة. فكانوا يشددون في طلب الهويات والمستمسكات الثبوتية معرقلين بذلك انسيابية تواجدهم في النجف الأشرف. وقد منعوا أيضاً أصحاب الفنادق من استقبال الطلبة الوافدين إلى النجف الأشرف.

وقد حصل ذات مرة أن أحد ضباط الأمن الذين يعملون متخفين، فكان ملتجياً ويرتدي الدشداشة ومتختماً بخاتم بيده اليمنى، أن اعترض الشيخ علي الغراوي عند ذهابه من جامع الطوسي إلى مسجد الرأس، وكان هذا الضابط يدخن السيكارة وكان ينفخ دخان السيكارة بوجه الشيخ الغراوي بهيأة المستهزئ، وكان قد ألح على

(١) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (١٩).

(٢) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (٢٠).

الشيخ بضرورة تزويده بقائمة بأسماء طلبة الدورات السريعة، وكان الشيخ يجيبه أن هناك ضباطاً كبار من الأمن ودرجات عالية من الحزب قد تكلموا مع الشيخ اليعقوبي وقد أقنعهم بعدم وجود الخطر من هؤلاء الطلبة، وما هي إلا مدة قصيرة وسيغادرون النجف إلى مدنهم ومحال سكنهم، وهم ليسوا من طلبة الحوزة المنتظمين حتى يمكنكم طلب المعلومات عنهم. والشيء الآخر أن الطلبة لا يعطونا أسماءهم الحقيقية - وهي محاولة لدفع شره - إلا أنه كان يصبر بشكل غريب على طلبه.^(١)

على الرغم من كل المضايقات التي سببها أزالام النظام السابق سواء للشيخ اليعقوبي أو للطلبة إلا أنهم لم يتمكنوا من ثنيهم عن عزيمتهم وإصرارهم على إكمال هذه التجربة وإيصال هذه الرسالة إلى كل من يحاول أن يتعرض للإسلام من بعيد أو قريب. والنتائج التي حصلت من هذه الدورات كثيرة أهمها إحساس الطلبة بأن هناك من يرعاهم ويتابعهم ويحافظ عليهم، ويحثهم على التفوق علمياً والحصول على أعلى الشهادات. ويمكنني القول أن الاهتمام بشريحة الطلبة ورعايتهم بشكل خاص لم نألفه منذ أن استشهد الصدر الأول، فقد كان يولي اهتماماً خاصاً بالطلبة.

ومن النتائج أيضاً، أثر هؤلاء الطلبة على أساتذتهم الذين يدرسونهم في الجامعة أو في المعاهد فضلاً عن أقرانهم، وأصبحوا في عداد همزة الوصل بين المرجعية وبين الأساتذة، وقد استجاب الكثير منهم للانخراط بمشاريع خيرية وثقافية في ظل نظام كظلم صدام. وبذلك أعاد الشيخ اليعقوبي الحركة الإسلامية إلى الجامعات والمعاهد بعد أن قضى عليها النظام بعد اغتيال الصدر.

(١) نقل لي هذه الحادثة الأخ أحمد عدنان الغريباوي فهو كان يرافق الشيخ الغراوي في الحادثة. عبد الهادي الزيدي.

وأصبح هناك من يرفع الاستفتاءات إلى الشيخ يعقوبي وهناك من ينشرها بين صفوف الطلبة على الرغم من عيون الظلمة المنتشرة في الجامعات والمعاهد.

فكان رجال الأمن يقفون على أبواب الجامعات يفتشون كل من يدخلها خوفاً من إدخال الكتب الدينية أو الاستفتاءات، إلا أن الطلبة باتوا يتفنون في كيفية إدخال وإيصال الاستفتاءات إلى داخل الجامعة، متحدّين بذلك كل العقوبات المفروضة على من يجدون عنده استفتاء أو غيره. وهذه الهمة وهذه الشجاعة اكتسبوها من خلال ما سمعوه من كلمات للشيخ يعقوبي في ضرورة إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واختتمت هذه الدورة في يوم ٢٧/٨/٢٠٠٢ والموافق ١٨ جمادى الثانية ١٤٢٣ هـ .

وفي الختام أمر الشيخ يعقوبي بجمع الطلبة في جامع كاشف الغطاء للإلقاء كلمته، إلا أن الكلمة قرئت بالنيابة عنه؛ لأنه انشغل بسبب وفاة الشيخ علي يعقوبي الأخ الأكبر له. وألقى الكلمة الشيخ علي الغراوي نيابة عنه، ووزعت هدايا للطلبة المتفوقين وكانت رمزية أكثر منها مادية. وهو مبلغ من المال قد يبلغ ١٢٥٠ دينار، وهو مقدم من إحدى النساء المؤمنات وهو حصيلة ما جمعته من عملها المنزلي الذي تقّات منه. وهو موقف لاقى كل الاحترام من لدن الشيخ يعقوبي. وقد قام بتوزيعه على بعض الطلبة ليكون دافعا لهم ولغيرهم. وهذا هو نص الكلمة :

من سماحة الشيخ يعقوبي (دام ظلّه) إلى طلبة الدورات السريعة^(١)

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم وصلى الله على سيد خلقه ومظهر رحمته وباب إفاضاته محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) المعالم المستقبلية للحوزة العلمية ، الشيخ محمد يعقوبي ، ص ١٨٧.

حينما تحدثت في محاضرة بمناسبة حلول العطلة الصيفية عن كيفية جعل العطلة مثمرة ونافعة بدلاً من أن يقضيها أحبابي الطلبة بالضياء والتسكع كما يوحي اسمها بأنها (عطلة) والمفروض أن الإنسان الواعي لا يعرف التعطيل بل هو في عمل دؤوب ما دام انه يستطيع أن يستثمر كل لحظة في طاعة الله تعالى وفي تجارة لن تبور فلماذا تكون بعض أوقاته عاطلة عن الاستثمار؟، هذه خسارة ياباها كل عاقل.

وقد روي في سبب تسمية يوم القيامة بيوم التغابن لان الجميع يشعرون بالغبن والتقصير وضياء الفرصة حتى المؤمنين لأنهم أضاعوا شيئاً ولو يسيراً من عمرهم من دون استثمار أي (عطلوهم) وكان يمكنهم أن يستثمروه فينالوا درجة أعلى وقد عبر الله تعالى عن هذا الجهد المتواصل في الحياة الدنيا والممزوج بالعنت والمشقة والصعوبات بالكدح (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) الانشقاق ٦، وإذا كنت ملاقيه فيكيف تحب أن يكون ؟ بالتأكيد تريده أن يكون مسرراً ملؤه البشر (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)القيامة ٢٢-٣٢.

من أجل هذا كله لا تعني العطلة الصيفية تعطيلاً وكسلاً إنما تعني صورة جديدة من العمل والكدح بعد أن تمضي أشهراً طويلة في الدراسة الأكاديمية فيحتاج إلى أن ينوع عمله وكدحه لئلا يسري الملل إلى النفس والعقل فيكلان ويملان لذا طرحنا في تلك المحاضرة عدة خيارات لاستثمار العطلة الصيفية وكان منها الالتحاق بالدورات المكثفة التي تقيمها الحوزة الشريفة لمدة (٣) أشهر الصيف يعطى فيها الطالب دروساً يأخذها غيره في سنة كاملة لأننا نتوسم منهم القابلية الذهنية أولاً والهمة والإخلاص ثانياً وكفاءة القيمين على رعايتهم ثالثاً.

ونحن حينما ذكرنا هذه الأفكار هناك وبشكل عرضي من غير تركيز عليها لم نكن نتوقع هذه الاستجابة الواسعة المثيرة للشعور بالفخر والاعتزاز والشموخ والتي أدخلت السرور على قلب ولي الله الأعظم وهو يرى هذه البراعم الفتية المخلصة بين أحضان حوزته الشريفة فاستحققتم التهئة والتبريك من جهتي العلل والمعلولات

لهذه الاستجابة لدعوة الحق.

أما من حيث العلل فإن تلبيتكم هذا النداء يكشف عن مستوى ليس بالقليل من الإيمان والشعور بالمسؤولية والغيرة على الدين وأهله وحب الإصلاح والتكامل على صعيد النفس والمجتمع بحيث تنازلتم عن الكثير من مشتبهات النفس وميولها للراحة والدعة واللهو واللعب وتغربتم عن أهلكم وتحملتُم مشقة الذهاب والإياب وشظف العيش وصعوبة المقام.

وأما في جانب المعلولات فلما حصلتم عليه من عطايا ومنح إلهية باستجابتكم لهذه الدعوة وحضوركم في هذه الحلقات العلمية الشريفة.

وأول هذه العطايا مجاورتكم لأمر المؤمنين ومولى المتقين ووجودكم تحت قبته الشريفة ولو أن في الوقت سعة لسردت لكم الأحاديث في فضل أرض النجف وساكنيها ويكفي أن احدها قوله (عليه السلام) (الصلاة عند علي بمئتي ألف صلاة) هذه البقعة التي استجاب الله في صاحبها دعوة إبراهيم (عليه السلام) (فَاجْعَلْ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) إبراهيم ٣٧، وها هي قلوب المؤمنين من شتى بقاع العالم تبذل الغالي والنفيس لكي تصل هذه الأرض المقدسة وتلثم تربتها المباركة واروي لكم قصة صغيرة فقد جاء أحد الملوك لزيارة النجف وما ان رأى القبة الشريفة من بعيد حتى ترجل احتراماً لصاحبها وكان وزيره ناصبياً فتأذى من احترام أمير المؤمنين فقال للملك بجنب إن علياً كان خليفة في الأرض وأنت خليفة الله أيضاً فلا فرق بينكم فلماذا تترجل وكان الشك دخل نفس الملك فاحتكما إلى القرآن وإذا به يتلقى الآية الشريفة (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى) طه ١٢ فأمر بقتل الوزير ومشى حافياً إلى المرقد الشريف الذي قال الشاعر فيه :

يا صاحب القبة البيضاء على النجف

من زار قبرك واستشفى لديه شفي

وثاني العطايا، وجودكم في حلقات العلم التي هي روض من رياض الجنة كما في الحديث وان الملائكة لتفرش أجنحتها لطالب العلم ويستغفر له من في السموات والأرض حتى حيوانات البر والبحر إلى غيرها من الأحاديث الشريفة.

وثالثها، الاتصال المباشر بعلماء وفضلاء الحوزة الشريفة والاستفادة منهم علماً وعملاً فتفعل ما يفعلون وتترك ما يتركون مما لا تحصل عليه لو قرأت الكثير من الكتب إذ يبقى الدور الأهم للأسوة والقذوة الحسنة التي وجدتموها متمثلة في الكثير من أبناء الحوزة العلمية فتعلمتم منهم الكثير.

لقد عشتهم الأجواء الروحية والقدسية هنا في النجف وانتم تنتقلون من مسجد إلى مسجد ومن روضة إلى روضة فهنا كان الشيخ الطوسي مؤسس الحوزة وهنا كان السيد بحر العلوم يلتقي بصاحب العصر وهنا وقف السيد محمد سعيد الحبوبى ليعلن الجهاد ضد الانكليز ويعبىء المؤمنين للقتال وهنا كانت تدور رحى المناقشات العلمية والأدبية التي حفظت لنا الدين والمذهب طيلة أربعة عشر قرناً ونظل نستعيد ذكريات الفخر والاعتزاز والبطولة مما لا اعتقد إنكم ستسونها وان طال الزمن وستشكل لكم زاداً يكفيكم مدة طويلة ويحصنكم من الفساد والانحراف الذي حاول أولياء الشيطان إشاعته في كل مكان خصوصاً في أروقة الجامعات لكنكم بمجيئكم إلى هنا انتصرتم عليهم وأفسدتم عليهم أحلامهم فاعز الله بكم الدين وقوى شوكة المؤمنين.

ونحن إذا أردنا أن نقيّم مدى نجاح هذه التجربة المباركة فعلينا أن نلتفت إلى الأهداف وقد ذكرتها في المحاضرة التي أشرت إليها انفاً وأعيدها ملخصاً :

أ - انه يسلح نفسه بالعلم والمعرفة التي تعينه على تكميل نفسه وقربه من الله تعالى وتحصنه من الوقوع في شباك الفساد والانحراف والعقائد الفاسدة والأفكار الضالة.

ب - انه سيكون عنصراً فعالاً في هداية الآخرين على صعيد المجتمع أو الجامعة أو المدرسة أو الأسرة وقد قلنا في مناسبة سابقة أن الإسلام محتاج إلى جميع أبنائه

وهؤلاء الطلبة من خيرة أبنائه فلماذا يحرمون الإسلام من بركات جهودهم ويعود النفع بالنهاية لهم.

ج - انه سيجتاز عدة مراحل دراسية في الحوزة الشريفة خلال السنين من دون أن يفرط بدراسته الأكاديمية.

د - ستصبح له القابلية على الكتابة والتأليف والخوض بمختلف القضايا والمشكلات التي تواجه المجتمع مما يؤهله بشكل واسع لممارسة دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح الاجتماعي فيكون من الثلة المؤمنة المخلصة التي عناها الله تعالى في قوله (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (ال عمران ١٠٤)، ولا شك أن المناهج الحوزوية تساعد على تنظيم الفكر وتقويمه وتعميقه وتجهيزه بأدوات العلم والمعرفة.

وأرجو أن تكون دراستكم ووجودكم في النجف قد حققت كل هذه الأهداف لكم ووفرت عندكم القابلية لتفعيلها.

ولابد أن اشكر أيضاً الأساتذة والفضلاء الذين تحمسوا للفكرة وساهموا في إنجاحها بالتدريس وتوفير مستلزمات الإقامة والمساهمة في تذليل الصعوبات فأضافوا عناءً إلى عنائهم وجهداً إلى جهدهم علماً منهم بأن هذا كله بعين الله (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) التوبة ١٢٠ (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التوبة ١١١.

وأسجل شكري لعدد من المراجع العظام والأساتذة والفضلاء والمفكرين الذين استحسنوا هذه الخطوة وباركوا للعاملين عليها ودعوا الله لنجاحها.

وإنني لأشعر بالضآلة أمام عواطف ومشاعر المؤمنين الذين عبروا عن دعم هذه التجربة بأشكال مختلفة خصوصاً تلك الأخت المؤمنة التي أرسلت مبلغاً بسيطاً من الناحية المادية لكنه كبير من الناحية المعنوية حيث لم تجد ما تشارك به إلا هذا المبلغ الذي ادخرته من عمل منزلي مضمّن تقوم به فبعثته مع رسالة تعبر فيها عن مشاعرها فأثرت في قلبي كثيراً وألقت الحجة عليّ وعلى كل المخلصين في أن لا نألوا جهداً في إعلاء كلمة الله فأمرت بتوزيع الأوراق النقدية التي بعثتها بنفسها على المتفوقين الأوائل للتبرك بها لأنها صدرت بإخلاص وذكرني بنساء الإسلام الخالدات حيث لم تكن إحداهن تستطيع أن تشارك في الجهاد فتقطع ظفيرتها لتكون رباطاً لخيول المجاهدين.

أكرر شكري لله تبارك وتعالى ولي النعم ومفيضها وأسأله أن يقع كل هذا منه موقع الرضا والقبول وان يحسن العطاء ويتجاوز عن الأخطاء انه ارحم الراحمين.

محمد اليعقوبي

١٨/٢/١٤٢٣ الموافق ٢٧/٨/٢٠٠٢

المواجهة الرابعة

من القضايا التي تصدى لها الشيخ يعقوبي بقوة هي تلفزيون الشباب الذي كان يشرف عليه عدي بن صدام حسين بشكل مباشر. ولا يخفى على الجميع أن الشعب العراقي كان ممنوعاً عليه اقتناء الأطباق اللاقطة (الستلايت) فهي حكر على الدوائر الأمنية و الشخصيات الرئيسة في الحكومة. فلا يوجد غير ثلاث قنوات يمكن أن يشاهدها المواطن العراقي، أهمها قناة تلفزيون الشباب. وقد ركز العاملون فيه على أن يبيعوا الشباب ويشغلوهم عن كثير من القضايا المهمة والحساسة، وقد عدوه من أهم البدائل التي تغير من الوضع الاجتماعي والثقافي للعراقيين. فكان هذا التلفزيون يركز على الأغاني والمسلسلات والأفلام.

وقد حاول البعض أن ينصحه بعدم التصدي لهذا التلفزيون بالخصوص لان المشرف عليه هو عدي بنفسه، وهذا يعني تحديا واضحا للعائلة الحاكمة وهو الخطر بعينه. إلا أن الشيخ لم يتهاون في التصدي له وكشف كل ما يحاولون التخطيط له من مكائد لإبعاد الشباب عن قيادتهم الحقيقية.

فركز في محاضراته وبياناته على حرمة الغناء وما هو مصير الأمة التي تستمع للغناء، وكلنا يعلم حجم المفاسد التي تترتب على مهرجان بابل الذي كان يصرف عليه الأموال الطائلة لجلب المغنين من مختلف البلدان العربية للمشاركة في هذا المهرجان. ولم يتهاون في توجيه النقد للحكام الذين يرعون هكذا مهرجانات ماجنة وهو نقد واضح لحاكم العراق ورجال الدين الذين يرضون بهذا العمل الفاحش، وضرورة عدم سكوت الفقهاء للحد من هذه الظاهرة المنحرفة. فكتب عن حرمة الغناء وما هي آثاره على المجتمع بصورة عامة وعلى الشباب بصورة خاصة، وكيف أن هذه الظاهرة المنحرفة تؤدي إلى تخلي المجتمع الإسلامي عن قيمه السامية. فيقول :

(إذا تتبعنا المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع الإسلامي نجد أن ظاهرة الغناء تبرز بشدة في واقعه إذا تخلّى عن قيم الإسلام وانغمس في ملذات الحس وانساق الناس وراء الخلفاء الذين حرصوا على جعل الدين مسيراً حسب أهواءهم ورغباتهم، يسانداهم في ذلك (فقهاء القصور) الذين دأبوا على تحوير النص الشرعي ليتماشى مع الذوق الملكي وحتى لا يثير احتجاجهم ضد الظواهر الشاذة غضب الخليفة وما يتبعه ذلك من الحرمان المادي الأكبر، فلا تتوقع من الفقيه في ظل هذه الأجواء التي تجعله موظفاً في البلاط أن يقف بشجاعة للحد من انتشار الغناء في قلب المجتمع الإسلامي).^(١)

ولم يتوقف الشيخ على مواجهة ظاهرة انتشار الغناء ودعمه من الحكومة، بل انه وجه النقد للشعراء الذين يعيشون على فتات الموائد، الذين يمدحون ويطرون على الحاكم الظالم وبطريقة ذكية، فقال :

(وطبقة المغنين ليست الطبقة الوحيدة المنحرفة المقربة بل هنالك الشعراء الذين يعيشون على موائد وفتات الخلفاء مقابل قصائد المديح والإطراء وقد بلغ هؤلاء الشعراء في انحرافهم وشدوذهم ما طفحت به كتب التاريخ وعلى رأسهم يقف أبو نؤاس وغيره).^(٢)

وقد رصد اليعقوبي كل الظواهر الاجتماعية المنحرفة التي كانت تسهم الحكومة العراقية بدعمها وتغذيتها لتهمين على المجتمع وتسيطر عليه فكراً وبالتالى تسيره حيث تشاء { قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } غافر ٢٩.

(١) الغناء ، ص ١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩.

فالتلفزيون الذي استخدمته الحكومة سلاحاً فتاكاً لمقارعة تنامي الحركة الإسلامية، ولإشغال الناس عن واقعهم المأساوي بتسلط الظالمين عليه، وهم يعرضون من خلاله الأفلام والمسلسلات غير اللائقة بمجتمعنا ولا تنسجم مع شريعتنا. وقد صرح الشيخ اليعقوبي وبكل شجاعة عن عداوة التلفزيون للإمام المهدي (عليه السلام) إذ نقل عمن تشرف بلقائه (عليه السلام) أنه قال: (إن التلفزيون سيف مشهور في وجهي) ولا اعتقد أن هناك مواجهة أكثر خطراً من هذا القول. بالإضافة إلى أنه لم يترك صغيرة وكبيرة من السلبات التي يفرزها التلفزيون وما يث فيه من سموم تقتل الناس إلا وسلط الضوء عليها.

المواجهة الخامسة

من المواجهات الأخرى امتناعه من الرضوخ للحكومة والإدلاء بأي رأي في تنامي الحركة السلفية في العراق.

بدأت الحكومة العراقية باعتقال العديد من الذين ينتمون للحركة السلفية في العراق في عام ٢٠٠١ بعد أن كانت هي الراعية لحركتهم وتعاضم شأنهم وجعل كثير من المساجد في بغداد وغيرها تحت تصرفهم. إلا أن أحداث ١١ أيلول التي ضربت القاعدة فيه مركز التجارة العالمي في الولايات المتحدة الأمريكية جعلت الحكومة العراقية تبدأ باعتقالهم. كانت طريقة التحقيق معهم مختلفة تماماً عن الطريقة التي كانوا يحققون بها مع الشيعة. كان يؤتى بالسلفي إلى غرفة التحقيق ويجلسونه على كرسي ولم يعصبوا عينيه ولم يوثقوا يديه إلى الخلف كما هو الحال مع الشيعة، ويُسأل خمسة أسئلة لا غير دون أن تمتد أيديهم أو هراواتهم أو أسلاكهم الكهربائية إلى جسد أي منهم. كنا في حينها نعيش معهم في المحاجر نفسها، إلا أن الفرق كان شاسعاً بين قدرات الشباب الشيعة وبينهم من حيث القدرة على التحمل والصبر

على البلاء.^(١) واستغربنا في وقتها من سبب اعتقالهم إذا كانوا يعاملونهم بهذه الطريقة الودودة والحميمة. واعتقدنا في حينها أن الحكومة اعتقلتهم بسبب الهجوم الذي طال الأمريكان، بعد أن نقلونا إلى فوج طوارئ الشعلة لتوقعهم أن أمريكا سترد بضرب العراق. إلا أن الحقيقة التي اتضحت لنا بعد أن أرجعونا إلى امن الرصافة انهم عقدوا معهم صفقة للمستقبل. وقد تأكدت هذه الحقيقة عندما دخل (المجاهدون) العرب لقتال أمريكا في العراق والدفاع عن حكومة صدام، وقد تجلت الحقيقة أكثر بُعيد سقوط النظام الحاكم.

في فترة اعتقال الدولة لهم حاولت الدولة أن تُظهر عداها لهذه الجهة (الوهابية) طلبت من المرجعيات الإفتاء ضد التكفيريين والسلفيين وحاولوا أن يستنطقوا المرجعيات في النجف لكي تكون المسرحية مكتملة الأطراف. وفعلا وبدون النظر إلى المستقبل ومن دون تحليل للمواقف والنظر للمسألة على طريقة الفقه الاجتماعي، راحت الفتاوى الشفهية والتحريرية تترى وانتشرت بين الأوساط الحوزوية.

إلا أن الشيخ اليعقوبي لم يصدر منه أي كلام حول هذه المسألة؛ بسبب تبنيه للرأي الثالث، واعني به الذي لا يكون بصالح جهة من الجهات، فهو يرى أن الحكومة العراقية تريد أن تلعب بالفتاوى كورقة رابحة تستخدمها متى شاءت. فإذا كانت هناك مشكلة وقعت بها الحكومة مع الوهابية فهي المسؤولة عن حلها لا المرجعية التي يجب أن تحفظ كرامتها وقديسياتها ولا تكون ألعوبة بيد الحكومة.

(١) في حينها كنا معتقلين في امن بغداد الرصافة، وقد رأينا كيف كان وضع الوهابية الذين اعتقلوا وقد أوشك الرعب أن يقتلهم مع العلم انهم لم يتعرضوا لأي ضرب أو تعذيب بل كان الطعام (المواجهات) تأتيهم كل وقت في وقته، وهذه المسألة مستحيلة عند اعتقال الشيعة، بل لا احد يستطيع من ذوي المعتقلين أن يعلم أين أخذوه وبأي مكان يسجن. عبد الهادي الزيدي.

فكان الشيخ اليعقوبي يقول : نحن ضد التكفيريين لكننا لسنا مع الحكومة، ونحن ضد الحكومة لكننا لسنا مع التكفيريين. والذي يتابع كل مواقف الشيخ اليعقوبي سواء كان في زمن النظام البائد أو بعده يجده سائرا على هذا المنهج الذي كان يتبناه أهل البيت (عليهم السلام).

لعل البعض يقول وما الفرق إن هو أفتى ضد الوهابية أو لم يفت؟ فما الموقف الذي ترتب على من أفتى ولم يترتب على من لم يفت؟.

إن تبني هذا الرأي كاشف عن وعي أو عدم وعي القيادة، واعتقد إذا كانت مسألة وعي أو عدم وعي القيادة فإنها تكون من أهم المسائل التي يترتب عليها الكثير من الآثار وإن لم تظهر الثمرة في هذا الموقف بشكل واضح وجلي.

مما تقدم يمكن أن اضرب مثلاً عن الوعي وعدم الوعي في قضية يتبين من خلالها الأثر على المجتمع بالعموم وعلى الحوزة العلمية بالخصوص.

في إحدى السنين أراد أتباع النظام السابق من حزب وقوى أمنية أن يقيموا احتفالية بمناسبة ميلاد الملقب بـ صدام في النجف الأشرف وخططوا لأن يحضروا طلبة الحوزة. فنصبوا السيطرات على مداخل المدارس ليجبروا الطلبة على الحضور. وفعلاً ملئت الحافلات بطلبة العلوم الدينية وسيقوا لمكان الاحتفال. إلا الذين كانوا مرتبطين بالشيخ اليعقوبي فإنهم لم يذهبوا، والسبب يعود لوعيه وفطنته، فقد جعل ذلك اليوم تعطيلاً لهم من كل الدروس حتى لا يخرجوا من سكنهم. أما الذين ذهبوا فقد تعرضوا للإهانة والاستهزاء وسوء موقفهم أمام الناس لأنهم كانوا يتقدمون للاحتفال بميلاد صدام. وهذا الموقف يوضح مدى أهمية الوعي بعدم تعريض الحوزة العلمية للإحراجات الاجتماعية والأخلاقية.

المواجهة السادسة

ومن المواجهات التي واجه بها الشيخ اليعقوبي الدول الغربية وليس الحكومة العراقية فقط، ما أفتى به عام ٢٠٠٢ بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) فقد أعلن عدد من قادة الدول الغربية بصراحة وبوضوح الحرب الصليبية على الإسلام فحرم التعامل بالسكاير الأمريكية والبريطانية والفرنسية؛ لأنها من موارد التمويل الضخمة للشركات التي تدعم الجهد المعادي للإسلام وقد استجاب للفتوى عدد كبير من تجار السكاير بالجملة والمفرد مما أضرّ بهذه الشركات بشكل كبير مما دفعهم لمحاولة التأثير على مصدر هذه الفتوى، فأرسلوا له من يحاول ذلك. ونسمع الحديث من الشيخ اليعقوبي: (وأنتقل لكم هذه الفقرة من مذكراتي : (في يوم ١٠ / ٦ / ٢٠٠٢) جاءني إلى مسجد الرأس الشريف المجاور لحرم أمير المؤمنين (ع) الذي كنت ألقى فيه محاضراتي العلمية وأدير منه نشاطاتي الفكرية والاجتماعية جاءني ممثل شركة الخير لإنتاج السكاير ومنها (ميركوري) وأنواع أخرى في الأردن بعد أن طلبت منه شركته باعتباره الجعفري الوحيد في وكلائها حسبما قال للاستفسار من الحوزة العلمية حول صحة صدور فتوى بتحريم السكاير وقال أن الشركة أبلغته بتكدس آلاف الكارتونات من السكاير وتكلف كل كارتون (٨) دولارات من الرسوم الكمركية وفهمت منه إمكان تقديم جزء من هذا المبلغ الكبير مقابل سحب الفتوى ولما لم يفلح تحول إلى التهديد فقال أن مقر فرع الشركة في العراق في تكريت وأن الرسوم تدفع إلى عدي صدام حسين وأصررت على الفتوى وقلت له: أن هذا الموقف متفق عليه لدى العلماء بجرمة تقوية أعداء الإسلام وأثبتت أمامه على طاعة الأمة لفتاوى (الحوزة العلمية الشريفة)).^(١)

(١) نشر هذا الكلام لاحقاً في نشرة الصادقين العدد ٢٤ بتاريخ ٢ / ٦ / ٢٠٠٥.

وقد أصبحت هذه المسألة من المشهورات التي تميز بها الناس الذين يلتزمون بالأوامر الصادرة من الحوزة العلمية الشريفة. ومن الشواهد على مدى تأثير هذه الفتوى أن كثير من الماركات التي تحمل اسم أحد البلدان التي وردت في الفتوى غيرت اسم البلد المصنع، مثل (اسبين) و(كنت) وغيرها، وبدأوا يكتبون البلد المنشأ لها (ألمانيا) وقد استمرت هذه الحالة إلى يومنا هذا. والذي يريد أن يميز مدى تأثير المرجعيات على القوى العالمية وكيف أنها توجه لها الضربات الموجعة يمكنه من خلال هذه المواجهة وحدها يعرف ما هو الأثر الذي سببته فتوى الشيخ العنقوبي على هذه القوى؛ ولذا فان التعقيم الإعلامي بل والإعلام المفرض الموجه ضد الشيخ العنقوبي ناتج من تشخيصهم لمدى تأثير هذه الشخصية على إفشال كل مخططاتهم التي يرسمونها لإيقاع الشعب العراقي في حبال الشيطان. ومن المتيقن أن هذا المساوم قد قام بنقل ما جرى بينه وبين الشيخ الى عدي صدام وان الضربة التي وجهت له هي من ذاك الرجل المتواجد في النجف الأشرف.

المواجهة السابعة

ومن أعظم ما يمكن أن يسلط عليه الضوء في مواقف الشيخ العنقوبي إصدار توجيهاته للمجتمع قبل سقوط النظام في بغداد، وكأنه عالم بما سيقع في المستقبل القريب، فقد أشار لكل ما سيحدث، وقد صاغ المسألة بطريقة لم يؤاخذ عليها أحد ممن يترصد به الدوائر - وان كان الشيخ العنقوبي في هذه المدة قد تحصن بوجوده الاجتماعي والحزوي ولم يعد يكثر لوجود الحكومة، فكلما زادت حصانته زاد من مستوى قوة خطابه للمجتمع - لكن المجتمع الواعي الذي تربى على يديه يعلم ما يتكلم به الشيخ. فقد صدر عنه منشور بعنوان (الإستماع إلى الأخبار في وقت الأزمات) وتاريخه ٢٦ ذي القعدة ١٤٢٣ هـ . وقد جاء من ضمن التوجيهات في هذا

(ولكي يكون استماعنا للأخبار هادفاً وواعياً علينا أن نتصيد الدروس والعبر منها لنندعم بها عقائدنا ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فإن الله تبارك وتعالى يوالي الحجاج على البشر لكن غفلتهم وانشغالهم بالماديات وإتباع الهوى يصدّهم عن الاتعاظ بها، فعلى الواعين إلفات نظرهم إلى ذلك، واذكر لكم مثلاً واحداً ذكرته في إحدى محاضراتي، ففي صيف ٢٠٠٢م اجتاحت أوروبا موجة من الفيضانات أتلّفت الكثير من الأنفس والممتلكات وشرّدت الآلاف وكلفت الملايين من الأضرار خصوصاً في ألمانيا والنمسا وجيكوسلوفاكيا وعجزت تكنولوجيتهم التي صوروها وكأنها الذراع التي لا تعجز عن شيء من مواجهة هذه الكارثة. وهذا درس مهم لمعرفة ضآلتهم أمام الطبيعة التي هي إحدى مخلوقات الله فكيف ينصبون أنفسهم أرباباً على البشر من دون الله تعالى يريدون من الناس جميعاً أن يطيعوهم ويأتمروا بأمرهم؟ فهذا درس استفدناه، والدرس الآخر الأهم أن التعليقات على الأخبار قالت أن أوروبا تحمّل الولايات المتحدة مسؤولية حصول هذه الكارثة لأنها امتنعت عن التوقيع على معاهدة (كيوتو) للمحافظة على البيئة والتي من بنودها عدم تشغيل المعامل في وقت واحد فأدى عدم الالتزام بها إلى الاحتباس الحراري وارتفاع درجة الحرارة فزيادة الأمطار فحصول الفيضانات، فهذا شاهد معترف به من قبلهم على أن معاصي البشر وسوء تصرفاتهم وفسادهم وانحرافهم يؤدي إلى حصول الكوارث الطبيعية لأن السنن الإلهية المتحكمة في الكون والمخلوقات واحدة. فقبل هذا الشاهد وأمثاله لا نستطيع إقناعهم بهذه الملازمة بين (فساد الإنسان وحصول الكوارث الطبيعية) لأنهم لا يؤمنون بالغيب وتأثيراته فأرجو - ولا أريد أن أكثر من كلمة ألزم - من كل فرد من المجتمع أن يسجل يومياً في دفتر خاص ما يمكن استفادته من الأخبار من دروس وعبر وسأكون أنا والأخوة من فضلاء الحوزة الشريفة بخدمتهم في مراجعة هذه الدفاتر وتقييمها والاستفادة منها ونشر ما هو نافع

منها).^(١)

وهذا النص يوحى لقارئه أن نهاية من عاش متجبراً ظالماً يهلك الحرث والنسل سيكون مصيره الحتمي الهلاك. فالحكومة التي هيمنت سنين طويلة ظن الكثير من الناس بأن نهايتها من المستحيلات، إلا أن اليعقوبي يحاول بهذا الحديث أن يجعل الناس تعيش واقع هذه السنة الإلهية التي لا يمكن لأحد تبديلها أو تحويلها.

ويتأكد هذا الكلام حينما نسمع التوصيات التي يوجهها بعد ذلك :

(إن عدم الالتفات إلى كل أو بعض النقاط المتقدمة يجعل هذه الأخبار تسبب آثاراً تدميرية في المجتمع، منها :

١ - إضعاف القوة المعنوية وتخطيط النفسية وتحقيق العجز عن التفكير فيما هو نافع.

٢ - بث الشك وفقدان الثقة بالنفس أولاً وبأولي الأمر ثانياً وبالدين والعقيدة والمبادئ ثالثاً.

٣ - أحداث التفرقة والاتجاهات المتباينة وتمزيق وحدة الصف ونشر الخلافات و(إن من المؤسف حقاً أن تصبح العواطف الدينية لعبة بيد صانعي الحروب النفسية يستخدمونها في المواقف الحرجة ليجنواهم ثمارها بنخب ودهاء وما فتنة رفع المصاحف في صفين عنك ببعيد).

٤ - خلق أزمات اجتماعية وإرباك اقتصادي يؤدي إلى إهدار الطاقات وتبديد القدرات في أمور قد تكون وهمية أو مبالغاً فيها.

(١) الاستماع إلى الأخبار ، للشيخ اليعقوبي .

٥ - تغيير أخلاق المجتمع وسلوكياته وأنماط حياته وأفكاره وفق الرؤية التي يريدون وهو ما يسمونه (بالعولمة) و(النظام العالمي الجديد) الذي هو ليس بجديد وإنما قالها فرعون من قبل ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ وهذا ما يسمونه بـ(غسيل الدماغ) حيث يمارسون تضليلاً إعلامياً وتشويهاً وتزييفاً للحقائق حتى يجعلوا الآخرين يقتنعون برؤيتهم التافهة المنحطة).

وما أن مرّت مدة من الزمن حتى وقعت أحداث احتلال العراق حتى رأينا كل ما تحدث به الشيخ اليعقوبي قد وقع ولعل بعضه استغرق بعض سنين. فما نراه اليوم ونعيشه بعد سبع سنين من الاحتلال يجعلنا ننظر لكل ما تحدث به الشيخ بعين تختلف عما كنا ننظر إليها سابقاً.

إن كل ما تقدم من تصدي الشيخ اليعقوبي للحركة الإسلامية وقيادتها بشكل واع و شامل لكل مفاصل الحياة - ولعل ما سيأتي في المواضيع اللاحقة سيوضح أكثر ما هو مدى تأثيره في الشارع العراقي وخصوصاً بين الشباب - يدل على شخصية متفردة في مواصفاتها، مما جعل الذين يعيشون خارج العراق في مدة تسلط الحكم ألبعثي يستغربون لكل أفعاله وأساليبه التي حير فيها الحكومة العراقية مما دفعهم لعدم تصديقها لأنهم لم يكونوا يتوقعون وجود هكذا قيادة داخل العراق. من الشخصيات التي ظلت متحيرة ومتعجبة بكل هذا العطاء الذي قدمه الشيخ اليعقوبي، هو الكاتب (رشيد الخيون)، وقد ذكر تعجبه في كتابه (لاهورت السياسة) حيث قال : (ورد في سيرة الشيخ اليعقوبي انه تولى قيادة الحركة الإسلامية في العراق بعد محمد الصدر، وانه صحح الكثير من الانحرافات والأعراف عبر إلقاء الخطب والمحاضرات والدروس. وورد أيضاً انه صنف تسعين كتاباً خلال أربع سنوات، مع مئة منشور فقهي تفصيلي، " وقد أربع هذا النشاط السلطات القمعية". وبطبيعة الحال، من حق الباحث في سيرة الشيخ وحزبه، أن يتوقف أمام تلك الانجازات والمواهب غير العادية، بل وفي ظرف دقيق جداً، كان يُسجن بل ويعدم على الهمة

والنكته، فكيف بقيادة الحركة الإسلامية!).^(١)

وها نحن هنا نعرض هذه المرحلة التاريخية التي مضت ولم يكن يعرف تفاصيلها من كان يعيش خارج العراق، مع كل الوثائق التي تبين حجم المخاطر التي كان يعيشها قائد الحركة الإسلامية في العراق. في الوقت الذي كان فيه المراجع الذين جعلهم السياسيون معترفاً بهم دون غيرهم.

وفي الحقيقة إن الذين كانوا يعيشون في الخارج ليسوا كلهم جاهلين في الوضع الداخلي العراقي، ومن هو المؤثر في الساحة العراقية. لكن المصلحة عندهم تقتضي أن يسيروا بمنهج محدد ومرسوم لا يحيدون عنه قيد شعرة.

قبل أن تندلع الحرب التي أسقطت النظام الجائر في العراق بشهرين، اتصل القائد الأمريكي (جون أبو زيد) عن طريق (عبد الكريم المحمداوي)^(٢) بالشيخ يعقوبي يطلب منه العون والمساعدة وترتيب بعض الأوراق. إلا أن الشيخ يعقوبي أغلق الباب عليهم ولم يبد أي مساعدة. والذي يهمننا من هذه المعلومة أن الذين يرتبطون بأمريكا أو هم مرتبطون بإيران كلهم يعلمون علم اليقين أن الشيخ له التأثير الكبير في الساحة العراقية، ولولا ذلك لما اتصلوا به.

(١) رشيد الخيون، لاهوت السياسة، ص ٢٣٣.

(٢) نتحفظ على ذكر إسمي هاذين الشخصين حالياً. وقد أشار الشيخ يعقوبي الى هذه الحادثة في إحدى لقاءاته الصحفية المنشورة.

ظروف نشأة حزب الفضيلة الإسلامي

في الشهور الأخيرة من حياة الحكومة الطاغية التي تحكم العراق، انشغلت الحكومة بمحاولة ترميم وضعها المشؤوم والسيطرة على الداخل. خصوصاً بعد أن أصبحت التهديدات الأمريكية على وشك التحقق على أرض الواقع. فإطلاق سراح السجناء الذين يقبعون في أبي غريب وإصدار العفو عنهم حتى السجناء السياسيين في ٢٠ / ١٠ / ٢٠٠٢، ما هي إلا محاولة منها للملمة أوراقها ومحاولة لتحسين صورتها أمام المجتمع الذي عانى منها سنين طويلة من القتل والتشريد والتهجير.

بينما الحكومة مشغولة في محاولة الخلاص من المأزق الذي وقعت فيه والبحث عن حلول لتخرج من المعضلة التي ألت بها. ومن الجهة الأخرى كانت القيادات الدينية والاجتماعية متحيرة هل الأمريكيان جادون في سعيهم لإسقاط النظام، أو إنها محاولة للضغط على صدام كما كانت عملية "ثعلب الصحراء عام ١٩٩٨" ومن قبلها الانتفاضة الشعبانية. والناس بين من يجمع المواد الغذائية وبين من يقول أن نظام صدام باق ولا يمكن أن يزول إلى غير ذلك من التجاذبات، ولم يفكر احد بالمرحلة القادمة وما هي متطلباتها وماذا ينبغي ان يكون حال المجتمع لتلافي كل الأخطار المحتملة.

لكن الشيخ اليعقوبي كان يفكر بأسلوب يختلف وهو الأسلوب العملي المبني على أسس منطقية، ولم تشتت أفكاره خطورة المرحلة المقبلة على العراقيين. ولأنه ينتمي إلى خط المرجعية الحركية فانه قادر على اتخاذ الخطوات التي يضمن بها سلامة موقف المرجعية وضمان حقوق المجتمع في ظل وضع غير طبيعي.

وقد كان تفكير الشيخ يعقوبي بضرورة إنشاء حزب إسلامي ينبثق من رحم المعاناة التي عاناها الشعب العراقي، يمثلون الذين عاشوا طول هذه المدة في الداخل ولم يخرجوا إلى خارجه، ويكون ذراعاً للمرجعية في العملية السياسية المقبلة. ولا يفوتنا انه قد فكر في احتمالين من خلال ما كان مطروحاً من سيناريو وما كانت تتناقله المحطات الإخبارية:

الأول : أن تضغط أمريكا والدول المتحالفة معها على النظام الحاكم بضرورة فسخ المجال لنشوء أحزاب أخرى ومغادرة سياسة الحزب الواحد. وعليه لا بد من وجود النظرية الكاملة والخطوات الرئيسة لإنشاء حزب معين.

الثاني: أن يقع ما كان متوقعاً وهو إسقاط النظام الحاكم وتغيير النظام السياسي في العراق، وعليه لا بد من إيجاد حزب يكون خاضعاً لضوابط معينة ويؤمن بقضايا محددة، ويكون ولاؤه بالدرجة الأساس إلى تربة هذا البلد وأهله، ويعلم كل صغيرة وكبيرة عن ما مر به هذا البلد من محن.^(١) ولم يكن احد من دول الجوار أو غيرها قد أسهم في دعمه؛ لأنه سيتهم بشتى الاتهامات.

وبدأ الخطوات العملية الجادة لولادة حزب الفضيلة الإسلامي، فاتفق مع بعض طلابه الذين كان يعتمد عليهم في هذا الجانب، وهما السيد باسم الحسني والشيخ صلاح العبيدي. وقد سميا له الأستاذ الدكتور نديم عيسى الجابري، وهو أستاذ في جامعة بغداد في العلوم السياسية، وهو من الإسلاميين القلائل الحاصلين على هذه الدرجة العلمية بهذا الاختصاص. وقد تمت مفاتحته بهذا الموضوع ووافق على العمل والتقى بالشيخ يعقوبي واطلع على أهم الخطوط التي كانت في ذهنه وما يجب أن يكون عليه هذا الحزب. وقد أعجب الجابري بالأفكار التي سمعها من المرجع

(١) ذكر الشيخ يعقوبي هذين الاحتمالين في احدى اللقاءات اليومية التي تجري في مكتبه. عبد الهادي الزيدي.

اليعقوبي. وفعلا بدأت التحضيرات ومفاتيح بعضهم للانتماء، وبما إن المرتبطين بالشيخ اليعقوبي معظمهم من الشباب الجامعي الرسالي وهم صفوة المجتمع، فقد لاقت هذه الفكرة رواجاً بينهم، إلا أن هذه الحركة الدؤوبة كانت بشكل سري. ولذلك ما إن سقط النظام حتى بدأ هذا الحزب بداية قوية واتصف بكوادره المثقفة، ووجوده الاجتماعي وبعدها وجوده السياسي. ولعدم معرفة هذه التفاصيل وكيفية ولادة هذا الحزب راح بعضهم يتهمه بأن بريطانيا هي من دعم تأسيس هذا الحزب! فيقول رشيد الخيون وهو الكاتب الذي خرج من العراق منذ ١٩٨٠ إلى اليمن فقد كان مدرساً في الثانوية إلى سنة ١٩٩٢ ثم انتقل إلى لندن، يقول: (ومع محاولات فرض تلك السطوة الروحية لشيخ جماعة الفضلاء، وبروزها بهذه السرعة والإمكانية، على الرغم من عدم شيوع مرجعية اليعقوبي من قبل، يجعل رواية تأسيسها، وبالتالي الحزب، بتأييد خارجي، حاضرة في الأذهان. وإن صحت، لا أجد في هذا الأمر ما يعيب، أو يؤخذ على الحزب، فأى الأحزاب الدينية، وسواها من غير الدينية، تتأسس وتستمر من دون دعم دولي؟، فالمجلس الأعلى نشأ واستمر في الوجود بدعم إيراني لم تنتكر له قيادته، والذي أوصل قيادة حزب الدعوة، مثلاً بإبراهيم الجعفري، أول مرة إلى رئاسة الوزراء هي الدولة الإيرانية.

ومن قبل كانت ألمانيا وراء نشوء المد القومي في العراق، ثم القاهرة وسوريا، وكان الاتحاد السوفيتي وراء دعم الأحزاب الشيوعية، ومنها الحزب الشيوعي العراقي، وهكذا دواليك. كانت الفائدة، التي تجنيها السياسة البريطانية من دعم تأسيس حزب ديني، هو تحقيق الموازنة السياسية مع المجلس الأعلى للثورة الإسلامية — جماعة الحكيم، وأحزاب ومنظمات شيعية أخرى لها ارتباطات في إيران سابقاً. وبالتالي التوازن مع النفوذ الإيراني المتعاضم في البصرة على وجه الخصوص. وبالفعل تحقق ذلك، فحزب الفضيلة من الأحزاب الدينية، ربما القليلة، في البصرة الخارجة عن

لا اعلم كيف أجاز الخيون لنفسه أن يطلق هذه الأحكام ويبني عليها وكأنها من المسلمات، والمفترض أن كاتباً معروفاً لا يبني مواقفه على استنتاجات مبنية على روايات وأقاويل لبعض أنصاف الجهلة جمعهم مع خيون لقاء في مطعم هنا ومقهى هناك، أو بنى ذلك على ما يعرفه من مواقف مرجعيات وأحزاب أخرى، في حين نحن نعلم أن لا وجود للتشابه بالمواقف مع أي من الذين ذكرهم الخيون. وهل هذه الاتهامات تقل عن الإساءة التي توجه لمرجعيات الشيعة من قبل النواصب؟، وهل احتج المثقفون الذين اطلعوا على كتاب الخيون ورفضوا ما صدر منه؟، كما يقومون الدنيا على ناصبي تعرض لمرجع من المراجع، وهو ناصبي متوقع منه الإساءة!، فالإساءة الأكثر تأثيراً هي التي تصدر من شخص يعد من المثقفين والمحسوبين على الشيعة مهما كان انتماءهم السياسي.

فلو علم التاريخ الحركي للشيخ اليعقوبي وما هو حجم ارتباط المجتمع العراقي به لما تجرئ أن يكتب بهذه الطريقة. هذا إذا أحسنا الظن به، أما إذا دققنا النظر في محاولته هذه لإظهار هذا الخط بهذا الشكل، لكان المنطلق سوء الظن به.

(١) لاهوت السياسة، ص ٢٢٨-٢٢٩. واستنتاج خيون بأسره مثار للسخرية على أقل تقدير، فكل الاتجاهات أو الأحزاب التي ذكرها كانت تصرح أنها مدعومة رسمياً من تلك البلدان، فهلا أسعفنا خيون بتصريح لحزب الفضيلة أو إشارة منه الى تعامله مع بريطانيا وغيرها، وهل واجه حزب الفضيلة غير النكبات بسبب مؤامرات بريطانيا وغيرها في البصرة. كما أن اتهامه الصريح هنا لمرجعية الشيخ اليعقوبي بتلقيها دعماً خارجياً محاولة منه لتبرير الدعم الدولي الصريح للمرجعيات التي يدافع عنها رشيد الخيون في كتاباته. ونكرر هنا تحدينا له ولأمثاله من ذكر إشارة أو تلميح لأية صلة تربط مرجعية الشيخ اليعقوبي أو حزب الفضيلة ببريطانيا أو أية دولة أخرى.

المواقف من الغزو الأمريكي

نعود إلى المدة التي سبقت سقوط النظام وكيف كان المشهد العراقي. عندما بدأ العد التنازلي لبدء الحرب على العراق، لجأت الحكومة إلى النجف الأشرف لمحاولة انتزاع فتاوى من مراجعها لتساعد في استثارة الناس والرأي العام العالمي واستدراار العطف من الشعوب الإسلامية، كما فعلت ذلك في الكثير من الدول عندما خرجت لمطالبة الحكومة الأمريكية بعدم شن الهجوم على العراق، وقد نقل التلفزيون العراقي في وقتها عشرات المظاهرات التي خرجت إلى الشوارع في مظاهرات كان الدور الرئيسي فيها للمخابرات العراقية للتأثير على رأي الحكومة الأمريكية واستدراار العطف العالمي مع الحكومة العراقية في بغداد.

وقد حصلت بالفعل على بيانات وفتاوى من كبار المراجع في النجف، فقد صدر بيان يحمل أختامهم جميعا، وقد قام الشيخ محمد الخاقاني بقراءته. وقد ظهر على الفضائيات، كالجزيرة، أبو ظبي، العراقية، المنار. جاء فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} البقرة ٢٠٤

ندعو الأمة الإسلامية في كل مكان التكاتف و التآزر؛ والوقوف مع العراق المسلم المجاهد بكل ما يستطيعون من قوة. وندعو شعب العراق أن يدافعوا عن وطنهم وعرضهم و دينهم و مقدساتهم لطرد الغزاة الكافرين من أرض الإسلام، ونسأل الله عز وجل ؛ أن يرد كيد الخائنين ؛ ويدفع شر الظالمين ؛ انه أرحم الراحمين ؛ وولي المؤمنين ؛ وهو حسبنا و نعم الوكيل.

بشير النجفي / ختم، محمد سعيد الطباطبائي / ختم، علي الحسيني السيستاني / ختم،
محمد الفياض / ختم، السيد حسين إسماعيل الصدر / ختم.

وقد حاول بعضهم أن يُبرر هذه الفتوى بدواعي الضغوطات التي مارستها حكومة
صدام حسين عليهم. كما إن الذين حاولوا أن يبرروا هذه الفتوى كونهم داعمين
للخيار الأمريكي لإسقاط النظام الحاكم في العراق، فهم من المؤيدين لهذا الخيار.
فقد ذكرت صحيفة الوطن الكويتية بيانا للمهدي جاء فيه :

وقال المهدي في بيان له : لقد كنت أتوقع قبل أشهر أن النظام العراقي الكافر في لحظة
ضعفه وانهيار نظامه وقرب زواله يجبر المرجعية العليا في النجف الأشرف لإصدار
فتاوى يستغلها لصالحه وقد شاهدنا على شاشة تلفزيون الجزيرة الشيخ محمد الخاقاني
الذي كان بعثياً سابقاً وابن أخ البعثي الكبير شاعر الحزب العفلي في العراق ضياء
الخرقاني الذي كان يسكن في البصرة وهو يقرأ بيانا مكتوباً وموقعاً بختم المراجع في
النجف الأشرف وهم: آية الله العظمى السيد السيستاني، وآية الله العظمى السيد
محمد سعيد الحكيم، وآية الله العظمى الشيخ إسحاق الفياض وآية الله العظمى
الشيخ حسين بشير النجفي الباكستاني، الذي حاول النظام اغتياله في شهر رمضان
قبل ثلاثة أعوام.

وحجة الإسلام السيد حسين السيد إسماعيل الصدر الذي هو من طلبة الحوزة
وليس من المراجع وليس أهلاً للفتيا وقال إن هناك ملاحظات حول هذه الفتوى
المكتوبة المنسوبة إلى مراجعنا العظام.

الأولى: لم يعهد في الحوزة العلمية النجفية إصدار فتوى موحدة على شكل بيان
ويذيل بتوقيع المراجع.

الثانية: إنها جاءت متزامنة مع انتفاضة الشيعة في الجنوب وفي النجف الأشرف لأجل قمعها تحت ذريعة هذه الفتوى وبالفعل ميليشيات صدام في البصرة قمعوا وقتلوا المنتفضين فيها يوم أمس كما قال لي آية الله السيد محمد باقر الحكيم هذا اليوم عبر الهاتف.

الثالثة: إن عبارات هذه الفتوى كانت عامة وتنطبق على صدام الفاسد نفسه كعبارة طرد الطغاة ومن المعروف أن رمز الطغاة وإمامهم هو طاغية بغداد وكذلك عبارة يجب الدفاع عن الوطن ليست عبارة يستعملها المرجع بل يستعملون عبارة الدفاع عن الإسلام وكذلك عبارة يرد كيد الخائنين غير مرجعية بل يستعملها عوام الناس والنظام وكذلك عبارة الوقوف مع العراق المسلم المجاهد يقصدون بها الوقوف بجانب الشعب العراقي المسلم المعارض لنظام صدام الكافر وتتضمن أيضاً بأن من يقاتل البعثيين في أرض العراق يعتبر مجاهداً وشهيداً في سبيل الله كما أكد ذلك الإمام الشهيد محمد باقر الصدر والإمام الخميني والإمام السيد محسن الحكيم.^(١)

ومن الملاحظ أن الخاقاني كان يوزع الحقوق الشرعية في النجف الأشرف ويستلمها أيضاً، وكل من في النجف يعرف انه وكيل عن السيستاني. ولا نعلم كيف جوز المهري لنفسه أن يؤول ويرفع وينصب وحده!

ولم يكن هذا البيان هو الوحيد الذي أصدره السيستاني والحكيم والآخرين، بل كان هناك بيان سبقه بخمسة أشهر تقريباً، يمنعون فيه الجميع من التعامل مع الأمريكان والوقوف إلى جنب الحكومة العراقية. وكذلك تصدى المهري وغيره لتأويل الفتوى محاولين بذلك تزييف الحقائق وتملقا للذين كانوا يقفون إلى جانب من يرى إعانة الأمريكان على احتلال العراق. فقد جاء في الصحيفة نفسها :

(١) صحيفة الوطن الكويتية الصادرة يوم الاحد ٢٠٠٣/٣/٣٠.

نفى السيد محمد باقر الموسوي المهري أن يكون للفتوى التي أصدرها آية الله علي الحسيني السيستاني القاضية بتحريم مساندة أمريكا لإسقاط النظام العراقي وتحرير العراق نفى أن يكون لها أية حجية من الناحية الفقهية الشرعية ومن الناحية الواقعية.

جاء ذلك في بيان للسيد المهري أمس قال فيه :

نشرت وسائل الإعلام المختلفة يوم أمس ٢٣ سبتمبر فتوى للإمام السيستاني دام ظله وآية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم - ابن شقيقة آية الله محمد باقر الحكيم - ومقرهما النجف الأشرف تتضمن الدعوة للدفاع عن العراق العزيز وحمايته من مخططات الأعداء لأنه إذا تحقق لا سمح الله سوف يؤدي إلى نكبة تهدد العالم الإسلامي بصورة عامة وحرما تقديم أي نوع من أنواع المساعدة - لتحرير العراق ويقصد المرجعان المعارضين للإسلامية العراقية الشيعية - وقال الإمام السيستاني المحاصر في منزله منذ أكثر من ثلاث سنوات بأن مساعدة المعتدين حسب تعبير الفتوى - يعتبر من كبائر الذنوب وعظائم المحرمات وله عذاب الدنيا والآخرة. وفي بيان المرجع السيد محمد سعيد الحكيم الذي اعتقل من قبل صدام المجرم وحكم عليه بالسجن عشر سنوات وقضى كل هذه المدة في سجن أبي غريب في بغداد حتى تدهورت حالته الصحية وأصيب بنوع من الشلل وعلى أثره سافر العام الماضي إلى لندن للعلاج. جاء فيه يحرم التعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية وإن من يهادنها يستحق اللعن لأنها تريد السيطرة على بلاد الإسلام ونهب ثرواتهم - النفط وغيره - وانتهاك مقدساتهم - ضرب كربلاء والنجف الأشرف والكاظمين وسامراء .

وأنا بصفتي وكيلًا عن الإمام السيستاني^(١) وآية الله السيد محمد سعيد الحكيم أقول بأن هذه الفتاوى الصادرة تحت الضغط والإكراه والتهديد بالقتل والسجن والتشريد

(١) توجد استفتاءات صدرت من مكتب السيد السيستاني بعد مدة تؤكد على عدم جعل كلام المهري يمثل A

من قبل النظام ألبعثي الكافر قطعاً لا حجية لها من الناحية الواقعية وإلا هل من المعقول أن سماحة الإمام يعبر عن العراق بالعزيم ويحرم عمل المعارضة الشيعية للإطاحة بنظام بغداد، وهل من المعقول أن يكون جزاء من يريد تحرير العراق من جلاوزة صدام الخزي والعار في الدنيا والآخرة وهل من المعقول أن الدكتور عدنان البكاء عميد كلية الفقه والمحسوب على البعثيين الذي ليس له أي ارتباط بسماحة الإمام السيستاني أتي فجأة إلى منزل السيستاني ويقرأ بيان السيد السيستاني بعنوان انه يمثل بث مرجعية السيستاني وهل من المعقول أن آية الله السيد محمد سعيد الحكيم الذي قتل النظام أكثر من عشرين عالماً من آل الحكيم واعتقل أكثر من ٤٠ عالماً منهم والذين هم إلى الآن في سجون الطاغية أن يلعن من يتعاون لإسقاط النظام وضرب بغداد.

ونحن إذ نشجب هذه التصرفات اللاانسانية والوحشية بحق مراجع المسلمين في العراق نطالب دول العالم ومنظمات العفو الدولية وهيئة الأمم المتحدة والدول الإسلامية بالحفاظ على حياة مراجعنا في النجف الأشرف ونحمل جميع الشرفاء وأصحاب الضمائر الحية مسؤولية حياة هؤلاء الفقهاء العظام وختاماً نقول لجميع مسلمي العالم، عليكم عدم الانخداع بظواهر الأمور وعدم الانصياع لضغوطات صدام وعدم التشكيك في مراجعنا العظام الذين يعيشون تحت التهديد بالقتل والإرهاب

=وجهة نظر السيد في المسائل السياسية، وهو تبرئ من كل ما يصرح به. فقد جاء في استفتاء هذا نصه: نشرت وسائل الاعلام تصريحاً على لسان السيد محمد باقر المهري في الكويت حمل فيه عناصر جيش المهدي مسؤولية الاعتداء الذي تعرض له الحرم الحيدري الشريف في هذا اليوم فهل مذكوره يمثل وجهة نظركم؟. جمع من المؤمنين ١٤٢٥ / ٤ / ٥

بسمه تعالى: ما ذكره لا يمثل وجهة نظرنا وليس لدينا أي معلومة عن الجهة التي استهدفت الحرم المقدس العلوي وانتهكت حرمة، وقد تكرر منا انه لا يمثل وجهة نظر سماحة السيد دام ظله في القضايا السياسية ونحوها الا ما يصدر منه مباشرة او من مكتبه في النجف الاشرف. ملحق رقم (١) وثيقة رقم (٢١).

والقمع والبطش والفتك.

وهذه الفتاوى صدرت لحفظ الدماء والأنفس وحفظ مقام المرجعية وهم معذورون في ذلك ويجب علينا أن نكن الاحترام والتقدير لهؤلاء المراجع العظام وهم احرص على الإسلام وتعاليمه ويعرفون واجباتهم ومسؤولياتهم أكثر منا جميعاً وعلينا فهم الموقف الحالي والوعي التام وضرورة إسقاط صدام الكافر وحزبه الملحد والمراجع العظام لو كانوا أحراراً لقالوا كلمتهم الأخيرة والحقة ولكن هؤلاء الفقهاء في أفواههم ماء ولا يستطيعون أن يتكلموا بصراحة، فإننا لله وإنا إليه راجعون.^(١)

لاحظ قول المهري وكيف انه يتعجب ولم يستطع تعقل بعض الجمل بأنها تصدر من هذين المرجعين، (هل من المعقول أن سماحة الإمام يعبر عن العراق بالعزير ويحرم عمل المعارضة الشيعية للإطاحة بنظام بغداد) ونحن بدورنا نتعجب من عجب المهري واستنكاره لهذه الجملة، هل يستبعد كون العراق عزيزاً على السيستاني؟ وهل العراق هو النظام الحاكم في بغداد؟.

وتعجبه الثاني عندما يقول : (وهل من المعقول أن يكون جزاء من يريد تحرير العراق من جلاوزة صدام الخزي والعار في الدنيا والآخرة). وقد تناسى المهري الكيفية التي يريد هؤلاء المجاهدون أن يحرروا العراق بها. فهل أمريكا ومن والاها أصبحت ملاكا بعد أن كانت الشيطان الأكبر؟.

ويستغرب من لعن الحكيم لكل من تعاون لإسقاط النظام وضرب بغداد! وكأن ضرب بغداد واجب مقدس، متناسياً حجم الضحايا والخسائر التي ستكلف الشعب العراقي والإمام المهدي الكثير من الأموال، فضلاً عن كل التبعات التي ستلحق بالعراق جراء السياسات الأمريكية المتبعة للهيمنة والسيطرة على الشرق الأوسط.

(١) صحيفة الوطن الكويتية يوم الثلاثاء ٢٤/٩/٢٠٠٢.

وأين أصبح المهري بعد ان سقط العراق بأيدي من لا رحمة في قلبه؟ وهل قدم للعراق والعراقيين أي مساعدة تذكر وهؤلاء أبناءه يأنون من البؤس والعوز والفقر؟ وهل جاء المهري للعيش في العراق بعد أن زال من كان يهدده سابقا، وعاش يوماً واحداً يشرب من مائه ويأكل من أكله ويتلظى في حر النجف أو البصرة أو العمارة، نتيجةً لغياب الكهرباء شبه الكلي؟.

وبالنتيجة فانه يطالب المجتمع المسلم بعدم الانخداع بهذه الفتاوى؛ لأنها صدرت تحت التهديد. ولا أعلم كيف يميز المهري بين الفتوى الحقيقية والفتوى المزورة!، مع أن هذه المرجعية نفسها تعيش تحت ظل الحاكم الجائر منذ سنين. فهل كل ما يصدر منها هو خاضع للتأويل؟، وإذا كان الحال كذلك فكيف لمقلديه أن يفهموا ويستوعبوا فتاواه وبالنتيجة العمل وفقها؟. ولو تنزلنا عن كل هذا فلماذا يتهمون غيرهم بالعمالة لحكومة صدام على ما هو أقل من هذه الفتاوى أو المواقف؟.

وقال محمد بحر العلوم إن جلاوزة النظام العراقي معروف عنهم عدم التورع عن القتل والاضطهاد، وفي مثل هذه الحالات التي تتطلب فتاوى سياسية وليست شرعية يكون الإنسان أمام خيارين لا ثالث لهما، إما القتل أو إصدار الفتوى. وأضاف إن الفتاوى السياسية لا ثقل لها في المجتمع الإسلامي الذي يدرك مغزاها الحقيقي وهدفها، والمؤمنون يعرفون ما مر على مراجع التقليد من ظلم واستبداد من قبل النظام العراقي الذي لم يتورع أبداً عن الضغط لإصدار الفتاوى السياسية. لكن السيد بحر العلوم استدرك موضحاً إن صاحب الفتوى بهذه الحالة لا يمكن اعتباره قد انصاع للنظام العراقي لكنه حافظ على مكانته مرجعاً ينتظر منه الكثيرون الكثير في مجالات الفقه والفتاوى الشرعية، والجندي العراقي ملم بالظروف المحيطة ويعرف المؤامرات التي تحاك ضده من قبل هذا النظام.^(١)

(١) الوطن الكويتية الاثنين ٢٣/٩/٢٠٠٢.

إذا كان بحر العلوم في هذا المورد لا يعد المرجع الذي أفتى لصالح النظام قد انصاع لهم فلماذا كل الأصوات انطلقت ضد الشهيد الصدر الثاني بأنه عميل للنظام مع انه لم يفت بهذا الشكل وبخطورة هذه الفتوى؟.

وبعد أن سقط النظام لم يكذب هؤلاء المراجع هذا البيان ولم يصدر بيان يوضح الظروف التي دعتهم لإصداره.

وبالنتيجة فإن هذه الفتوى تعد من القسم الأول الذي حصلت عليه الحكومة العراقية في وقتها.

وكان هناك موقف آخر يتبنى ضرورة الوقوف إلى جانب قوات الاحتلال ومساعدتها للخلاص من النظام الحاكم. ولا أعلم هل نسوا التاريخ وما سيسجله عليهم من وقوف إلى جنب قوى الكفر والإلحاد مهما كان مبرره وحجمه!.

من الذين دعموا الموقف الأمريكي وساندوهم للدخول واحتلال العراق، كل القوى السياسية التي تصطبغ بالصبغة الدينية، وهذا يعني أن كل من يقف وراءهم كان يدفع بهذا الاتجاه.

وهناك من أفتى بصراحة بوجوب الوقوف مع المحتل الأمريكي ومساندته. منهم الشيرازي. حيث نقلت صحيفة الوطن الكويتية عنه قائلة :

طهران - الوطن : دعا مرجع شيعي كبير مقيم في مدينة قم الدينية الإيرانية المعارضة العراقية إلى العمل الدؤوب والجاد وطبقاً للموازن الشرعية لأجل إنقاذ الشعب العراقي مما أسماه (المظالم الفادحة) التي يعانيها منذ عقود. وأكد آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في بيان له (الوطن) بطهران على توحيد الكلمة ورص الصفوف وصولاً إلى عراق مستقل وموحد على أسس التعددية والشورى والحرية المشروعة.

ويتعارض البيان الذي يتيح التعاون مع أمريكا لإسقاط النظام في العراق، مع فتوى السيد علي السيستاني المقيم في النجف الأشرف بالعراق التي حرم فيها أي تعاون مع الأمريكيين معتبرا أن أي عدوان على العراق عدوان على المسلمين كافة، وقد قلل عدد من العلماء الشيعة من بيان السيستاني باعتباره سياسيا ويحمل شبهة الإكراه في إصداره.^(١)

الطرفان سواء من أفتى بضرورة الدفاع والتصدي للاحتلال، أو الذي أجاز مساندة القوات الأمريكية. لم يكونا ناظرين إلى رؤيا مختلفة فيها شيء من الدقة. فكانت النظرتان اما للخلاص من كابوس اصغر والوقوع في كابوس اكبر. والنظرة الأخرى قبلت بان تعيش الكابوس الأصغر. ولم يكونا ناظرين إلى الخلاص من الكابوس بكلا شكله.

ولذا فإن الطرفين لم يتمكنوا من الحصول على أي كلمة من الشيخ اليعقوبي، لأنه كان يتبنى تغيير الظلم لا الظالم، ورفع الكابوس بكلا شكله؛ لان البديل عن صدام هو الفوضى وظالم جديد، فلا يمكن الوقوف إلى جانب الغزو الأمريكي للتخلص من نظام صدام. كما لا يمكن الوقوف إلى جانب صدام وإعلان الجهاد ضد الغزو الأمريكي؛ لان هذا النظام ملأ أرض العراق مقابر جماعية وأودع شبابه في السجون سنين طويلة.

فلم يكن من الشيخ اليعقوبي إلا الوقوف على الحياد وعدم الانجرار وراء جهة من الجهات. ولعل التجربة ليس بعيدة، ففي الانتفاضة الشعبانية في ١٩٩١ عندما وقف الشعب العراقي إلى جهة مقارعة القوات المتبقية من النظام الصدامي، تغير الموقف الأمريكي وتم انسحابهم عن الأراضي العراقية وتخلوا عن الشعب المنتفض وتركوه

(١) الوطن الكويتية الجمعة ٢٧/٩/٢٠٠٢.

يواجه الجيش المنظم والأسلحة الفتاكة، فكان مصير المنتفضين القتل والتشريد، كما ذكرنا تفصيل ذلك سابقاً.

ولذلك فإن الشعب العراقي لم يقتنع بمن أفتى بفتوى الدفاع بمعنى الوقوف إلى جانب الحكومة العراقية آنذاك، ولم يساند القوات المحتلة ويقف إلى جانبها، وإنما بقي الناس كما أراد لهم شيخهم اليعقوبي ذلك.

فعندما دخلت القوات الأمريكية إلى النجف الأشرف محتلة، سألوا بعض طلاب العلم في جامعة الصدر الدينية (مدرسة البغدادية) عن سبب اتخاذ الشعب موقف الحياد وعدم التدخل في هذه الحرب. فكان الجواب: السبب في ذلك يعود إلى الموقف الذي اتخذته الشيخ اليعقوبي.

قد يقال إن الوقوف على الحياد أو التل ليس موقفاً بل هو لا موقف، وبالتالي فما هي الثمار التي تترتب على هذا (اللا موقف)؟ وإذا لم يكن متخذاً لأحد الموقفين إما الداعم للحكومة وأما المساند للأمريكان، فما هو التغيير الذي يمكن أن يحدثه موقف (اللا موقف)؟.

من الخطأ جعل الموقف الذي اتخذته اليعقوبي إزاء الحرب على العراق لا موقفاً؛ لأن المواقف لم تنحصر في موقفين إما كذا وإما كذا. ربما حاول بعضهم أن يحصر الخيارات بهذين الخيارين فقط، نتيجة الطريقة التي يفكرون بها، فهم عاجزون عن الإتيان بخيار ثالث. فهناك دوماً خيار ثالث وهو ليس من شأن الذين يفكرون بهذه الطريقة البسيطة والخالية من حنكة القيادة. ولو تتبعنا مواقف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فإنها من سنخ الموقف الثالث والذي لا يتوصل إليه غيرهم. فمثلاً عندما ثار الناس على عثمان وقتلوه لما فعله هو وأقاربه الأمويون من استأثر بالسلطة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (استأثر فأساء الأثرة وجزعتهم فأسأتم الجزع والله حكم واقع في المستأثر والجازع).^(١)

(١) نهج البلاغة، ج ١، ص ٧٥.

فالموقف الذي تبناه الشيخ اليعقوبي هو موقف المصلح الذي يريد التغيير في النفوس البشرية لا تغيير الظواهر المؤقتة التي سرعان ما يظهر زيفها. ولنا شواهد تاريخية على ذلك.

منها : عندما سقطت الدولة الأموية على يد أبي (مسلم الخراساني وأبي سلمة الخلال) وأرادا أن يجدا لهم غطاءً شرعياً يحتمون به، عرضا قيادة الدولة على ثلاثة من الأشراف، وهم : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي، وعمر بن علي بن الحسن، ووجهًا بكتبهما مع رجل من مواليهم من ساكني الكوفة. فبدأ بجعفر بن محمد فلقيه ليلاً فأعلمه أني رسول أبي سلمة وإن معه كتاباً إليه قال : ما أنا وأبو سلمة؟، هو شيعة لغيري. فقال له الرسول : تقرأ الكتاب وتجيّب عنه بما رأيت. فقال جعفر لخادمه : قرب مني السراج. فقربه فوضع عليه كتاب أبي سلمة فأحرقه. فقال : ألا تجيب عنه؟، فقال : قد رأيت الجواب. ثم أتى عبد الله بن الحسن فقبل كتابه، وركب إلى جعفر. فقال جعفر : أمر جاء بك يا أبا محمد، لو أعلمتني لجئتك. فقال : وأي أمر هو، مما يجلب عن الوصف. فقال : وما هو؟، قال : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى الأمر، ويراني أحق الناس به، وقد جاء به شيعتنا من خراسان. فقال له جعفر رضي الله عنه : ومتى صاروا شيعتك؟، أنت وجهت أبا مسلم إلى خراسان ، وأمرته بلبس السواد؟، أتعرف أحداً منهم باسمه ونسبه؟، قال : لا. قال : كيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرف واحداً منهم ولا يعرفونك؟، فقال عبد الله : هذا الكلام كان منك لشيء. فقال جعفر : قد علم الله تعالى أني أوجب النصح على نفسي لكل مسلم فكيف أدخره عليك؟، فلا تمنين نفسك الأباطيل فان هذه الدولة ستتم لهؤلاء القوم ، وما هي لأحد من ولد أبي طالب، وقد جاءني مثل ما جاءك. فانصرف غير راض بما قال له ، وأما عمر بن علي بن الحسن فردّ عليه الكتاب وقال : لا أعرف من كتبه .^(١)

(١) الفرج بعد الشدة، القاضي التنوخي، ج ٢، ص ٣٤٩.

فانظر كيف يحكم الإمام على هذه المسائل ويجعل العامل الرئيسي الذي يبنى عليه موقفه هو : هل حصل بناء لهذا المجتمع وتغيير لواقعه عن قناعة وإدراك كاملين؟ هل هذا المجتمع يعرف قيادته الحقيقية لكي يتعامل معها على وفق ما تستحق؟ وهل نوايا أبي سلمة خالصة في ما يراه من أحقية قيادة أهل البيت (عليهم السلام) أو أنه يبحث عما يكون في الواجهة ويفعل هو ما يريد؟.

هذه الأسئلة وغيرها دفعت الإمام الصادق (عليه السلام) لاتخاذ موقف آخر غير المواقف التي يمكن أن تتخذ في هكذا ظرف. في حين إن بعضهم يرى أن هذا العرض فرصة لا يمكن التفريط بها، لأسباب :

أولها : إن الأمويين يمثلون أساس الفساد وترسيخ الحقد على أهل البيت (عليهم السلام)، فإسقاطها وتسليم أحد الأئمة للأمور فرصة لإصلاح ما أفسده الأمويون.

ثانيها : إمكانية محاسبة كل المفسدين الذين شاركوا بني أمية في ظلمهم واسترداد حقوق الناس المسلوبة. إلى غير ذلك من الأسباب.

لكن السؤال المهم الذي يوجه لمن يرى أن هذا العرض فرصة مناسبة، هل توجد شريحة من المجتمع قادرة على فهم الإمام بالشكل المطلوب لإنجاح الحكومة التي سيقودها؟ وبعدم وجود هذه الشريحة من المؤمنين فان الذي سيقود الدولة أشخاص انتهازيون يبحثون عن الدنيا. والنتيجة إفشال أي قائد لهذه الحكومة مهما علا شأنه. والاهم من ذلك كله أن أبا سلمة الخلال وأبا مسلم الخراساني هم الذين اسقطوا دولة بني أمية، وهم لم يسقطوها إلا لأنهم يبحثون عن مصالحهم وليس حباً بأحد. فلم يكتف الإمام الصادق (عليه السلام) بالتفرج، بل راح ينشر علوم آل محمد (صلوات الله عليهم) في بقاع الأرض. وهذا هو الموقف الثالث الذي لا يمكن أن يصدر إلا منه (عليه السلام). وهذا الموقف نفسه الذي اختاره الشيخ يعقوبي ليكون الطريق الثالث الذي لم يتمكن الباقون من التوصل إليه.

المحور الثالث

بناء المجتمع الإسلامي النظيف، والاهتمام بكل شرائحه، لخلق حركة اجتماعية منظمة سليمة من آفات المتطفلين

من أساسيات وظائف المرجعية الدينية المناطة بها هي بناء مجتمع إسلامي خالٍ من الظواهر الاجتماعية المنحرفة والآفات التي تمزقه وتفتك به وتجعله مجتمعا متحللا متقطعا الأوصال يكون لقمة سائغة وصيدا سهلا للوحوش التي تعيش على نهش لحوم المجتمعات الضائعة والتائهة في غابة أو صحراء مليئة بالوحوش والذئاب المنهومة. ويكون حال هذه المجتمعات حال الشاة التي تضيع قطيعها التي تنتمي إليه. وقد وصف الأئمة (عليهم السلام) المرجعية والعلماء العاملين بالحصن يحمي به المجتمع من كل العواصف العاتية وهجمات الأعداء، فقالوا : (إن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها).^(١)

ووصفوه بأنهم أمناء الرسل على ما جاءوا به من الباري عز وجل لإنقاذ هذه البشرية من كل الشرور في الدنيا والآخرة.

فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا قيل يا رسول الله : وما دخولهم في الدنيا؟ قال : إتباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم.^(٢)

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٨.

(٢) المصدر ص ٤٦.

وقد وصفوهم بأنهم المنقذون للبشرية والذابون عنهم ومخلصوهم من شباك إبليس وفخاخ الأشرار.

قال علي بن محمد عليهما السلام : لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ، ولكنهم الذين يمسون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسون صاحب السفينة سكانها ، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل.^(١)

فوظائف المرجعية قد زادت في الوقت الحالي وتشعبت بتشعب الحياة، وبرزت مشاكل جديدة وتلبست بلبوس إسلامي، إلا أنها اشد وطأة من المشاكل التي تصدر من الأعداء المعروفين للإسلام.

١. الشيخ اليعقوبي مع سبيط النيلي

ففي أواخر التسعينات من القرن الماضي ظهرت بعض الأفكار التي قال تبناها عالم سبيط النيلي. وهي عبارة عن مجموعة من المؤلفات، ركز فيها على نظريته التي ادعى أنها من بنات أفكاره (اللغة الموحدة والنظام القرآني). وقد ملئ الجهلة الذين اقتنعوا بنظريته هذه الأجواء بالضجيج والصخب. من الأساسيات التي تبناها عالم سبيط، التهجم على العلماء الماضين منهم والمعاصرين، حيث قال: (أشهد شهادة حق : إن المؤسسة الدينية منغلقة وإن أصولها هي أصول الكفر بعينه).^(٢)

وعلى هذا الأساس فإن مناصريه ابتعدوا عن التقليد وإتباع المرجعيات وراحوا يتهمونهم بشتى الاتهامات ويتلفظون عليهم أبشع الألفاظ.

(١) الاحتجاج، الطبرسي، ج ١، ص ٩.

(٢) بين الانغلاق الديني والنشاز الثقافي ص ٨.

وقد دخل المجتمع في دوامة مع شرذمة لا يفقهون إلا تسقيط العلماء والخوض في أمور لا ثمرة منها، ولعل هذا هو المطلوب من وجود شخصية كعالم سبيط. فلم يستطع احد من خارج المذهب أن يحقق ما حققه النيلي هذا في جمع بعض المريدين والأنصار، والانتقاص من قيمة العلماء وجعل البعض يتجراؤون على هذا الفعل، وجعل الحرب بين أبناء المذهب الواحد.

وعندما وصل أمره إلى حد لا يمكن السكوت عنه ولا بد من الوقوف بحزم لكل محاولة من شأنها أن تربك عقائد بعض الضعاف من المؤمنين، تصدى الشيخ اليعقوبي لوضع الحد لهذه الترهات، ولم يقف ساكتا وهو يرى هذا النيلي يتعرض للعلماء بالتسقيط والتشويه ويضلل الناس بكلمات طنانة يستهويها البعض. فصدر له كتاب تحت عنوان (النظرية الموحدة في الميزان) طبع في ذي القعدة ١٤٢١ هـ.

وقد ركز الشيخ اليعقوبي في هذا الكتيب الصغير على أهم المفاصل التي يمكن بها أن يظهر مدى كذب هذا الرجل وان النظرية المزعومة هي ليست جديدة وتحتوي على نقاط ضعف كثيرة جدا.

ركز في البدء على شخصية عالم سبيط، ومما ذكره:

١ - جهله بما يقوله الآخرون بأفكارهم وذلك ناشئ من إقحام نفسه في ما لا يعلم خصوصا في كتابه الذي يرد به - كما زعم - على الأصوليين وعلمهم الذي هو عنوان فخر الحوزة الشريفة.

٢ - تناقض كلامه حيث يضرب بعضه بعضا.

٣ - عدم الأمانة العلمية فينسب أفكار غيره لنفسه أو ينسب لهم ما لم يقولوه ومن مصاديق ذلك عدم الدقة في النقل والتحريف فيه والتبديل عن علم وعمد ليمرر أفكاره مستفيدا من عدم الدقة في المصادر المذكورة أو عدم الدقة في المصادر المذكورة أو عدم وجودها أصلا والظن بعدم مراجعة اغلب القراء وراءه.

٤ - توسله بالعبارات المبهمة والغامضة التي لا محصل وراءها ولا يعرف هو معناها.
٥ - الغرور المتمثل بادعائه دعاوى كبيرة كنسبة جميع الخلافات والنزاعات بين البشر إلى الجهل بنظريته لا الشهوات والمطامع والأهواء وغيرها، وإن نظريته أرقى ما توصل إليه العقل البشري إلى اليوم ناسيا أو متناسيا أنها قديمة منذ أزيد من ألف عام وتوجد أطروحات أكمل وانضج من أطروحته للغة الموحدة.
٦ - الشعور بالنقص أو ما يسمونه (عقدة الحقارة) تجاه الحوزة الشريفة والمرجعية مما دفعه إلى توجيه معاول الهدم إلى (المؤسسة الدينية) كما يعبر رغم أن المفروض بنظريته أنها تقتحم كل العلوم.^(١)
و ركز على محتوى هذه النظرية ليعمد إلى بيان بطلانها :

إن نظريته مبنية على كون العلاقة بين اللفظ والمعنى ذاتية أي إن صدور اللفظ علة لحضور المعنى في الذهن وإن لم يكن السامع يعلم بمعنى هذا اللفظ أو يسمع به من قبل وهذه النظرية مطروحة سابقا وقد ردها الأصوليون بكلمتين لوضوح بطلانها فقالوا أنها لو كانت ذاتية لفهم الأعجمي اللغة العربية والعربي اللغات الأعجمية كما يفهم الجميع من رؤية الدخان وجود نار ولما احتجنا لمعاجم وقواميس لمعرفة معاني الكلمات ما دام أن أصواتها تدل على المعاني ذاتيا ويكذبها نفس صاحب النظرية لأنه يرجع إلى القواميس لمعرفة معاني الكلمات التي يعرفها ويكذبها الوجدان إذ لو طرحت كلمات غريبة على عينات عشوائية من الناس وطلبت منهم أن يشرحوا ما يفهمون منها لما توصلوا إلى شيء إلا إذا كان منشأ اعتبارها لدى الواضع هو الطبع كما تقدم ذكره.^(٢)

(١) نظرية اللغة الموحدة في الميزان ، اليعقوبي، ص ١٧-١٨.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٩-٣٠.

ولا يخفى أن النيلي ذهب بعيدا بغروره فقد اعتقد أن عقله تفتق عن أعظم نظرية على مستوى البشرية بما فيهم الأنبياء والأئمة المعصومين (عليهم السلام) ومن نزل القرآن على صدره، حيث قال : (فيأتي الحل القصدي ليجيب على هذا التساؤل لأول مرة في التاريخ الإنساني حينما يكشف عن قيمة الأصوات وبالتالي دلالة المفردة وأخيرا عن النص المفروغ منه صحته صحة مطلقة من خلال التطبيق).^(١)

وقد تحدى الشيخ يعقوبي هذا النيلي ومن يؤمن بنظريته في أكثر من مرة أن يعطوه معنى لكلمة قد أهملها الأولون مثل كلمة (ديز) وفق نظريته اللغة الموحدة.^(٢)

وتحداهم أيضاً في موضع آخر عندما أرادهم أن يفسروا اختلاف كلمات (بر، بر، بر، بالمعنى وهل أن الإجابة باختلاف قيمتها الصوتية كاف لفهم اختلاف معانيها من دون معرفة أوضاعها اللغوية).^(٣)

إلا أنهم لم يتمكنوا من الرد على هذا التحدي. وعلى هذا الأساس فإن الشيخ يعقوبي قد وضع حدا لهذا التماذي، وأنقذ الكثير من المؤمنين الضعفاء الذين كانوا يعتقدون بصحة مدعياته.

والنتيجة الحفاظ على المجتمع المسلم وإنقاذه من أيدي شياطين الإنس وحبائل إبليس وكيد الأعداء. وهذا هو معنى الرواية الآتفة الذكر من أن الفقهاء هم الذين يمسون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسون صاحب السفينة سكانها.

٢. الشيخ يعقوبي ينتصر لأهل البيت بالتركيز على التشويه التاريخي.

(١) الحل القصدي ، عالم سبيط، ص ١٣.

(٢) نظرية اللغة الموحدة في الميزان ، ص ٢٢.

(٣) المصدر، ص ٢٦.

يوجد في التاريخ تحريف كبير وتشويه لحقائق كثيرة من شأنها أن تؤثر في الواقع المعاش، فترفع من كان واطئاً، وتخفض من هو مرتفع، عند البعض بطبيعة الحال. والذي يفعل هذه الأفعال دوماً هم الحكام الظلمة ومن يدور في فلكهم حبا للمال والجاء والتقرب من كرسي السلطة.

من الشخصيات التاريخية التي وقع عليها ظلم وسلب تاريخها وأسند إلى شخصيات أخرى، هي المرأة الصابرة المضحية أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية زوجة علي بن أبي طالب (عليه السلام). وحاول أعداء أهل البيت أن يخفوا أي ذكر لها وتم التركيز على شخصية اسمها الخنساء. وهذه الطريقة كثيراً ما استخدمها هؤلاء المنتفعون ليضللوا الناس عن الحقيقة، وهي خلق شخصية أما وهمية ولا وجود لها وتضاف لها صفات وأفعال الشخص الذي يراد تشويه حقيقته، وأما شخصية لها وجود تاريخي إلا أنها مهملة ومغمورة يصفونها بصفات الشخص الحقيقي صاحب المواقف الحقيقية.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، عندما حاول بعضهم أن يلغي وجود صحابي من صحابة رسول الله الإجلاء في معركة الجمل، وهو خزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين) فقيل: إن الذي قتل مع علي (عليه السلام) في صفين ليس خزيمة الأنصاري وإنما هو غيره، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين مات بزمان عثمان! وقد رد ابن أبي الحديد المعتزلي على هذا القول بقوله:

(ومن غريب ما وقعت عليه من العصبية القبيحة ، أن أبا حيان التوحيدي قال في كتاب البصائر : إن خزيمة بن ثابت المقتول مع علي عليه السلام بصفين ، ليس هو خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، بل آخر من الأنصار صحابي اسمه خزيمة بن ثابت ، وهذا خطأ ، لأن كتب الحديث والنسب تنطق بأنه لم يكن في الصحابة من الأنصار ، ولا من غير الأنصار خزيمة بن ثابت إلا ذو الشهادتين ، وإنما الهوى لا دواء له ، على أن الطبري صاحب التاريخ قد سبق أبا حيان بهذا القول ، ومن كتابه نقل أبو حيان،

والكتب الموضوعة لأسماء الصحابة تشهد بخلاف ما ذكرناه ، ثم أي حاجة لناصري أمير المؤمنين أن يتكثروا بجزية ، وأبى الهيثم ، وعمار وغيرهم ! لو أنصف هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة ، لعلموا أنه لو كان وحده ، وحاربه الناس كلهم أجمعون ، لكان على الحق ، وكانوا على الباطل^(١).

والغرض من كلام أبو حيان أو الطبري أو غيرهم هو أن يجردوا عليا (عليه السلام) من كل من كان يعتقد بأحقية قيادته للأمة الإسلامية بعد النبي (صلى الله عليه واله) والذين كانوا يحظون باحترام وتقدير النبي (صلى الله عليه واله). ووقوف الشخصيات المحترمة إلى جنب علي (عليه السلام) في قضيته يجعل كفته راجحة على الآخرين – وان كان بقاء علي وحده لا يسلبه حقه بالقيادة – لكن وجود الخيرين بصفه يقطع كل حجج المبطلين والمشككين. والنتيجة فان طريقة إنكار وجود الشخصية سلاح قوي استخدمه المتملقون للظلمة ليضفوا على ظلمهم الشرعية والحكمة.

ومثال آخر لكن هذه المرة ليس إنكار شخصية ما بل سلب حق من حقوق شخص أو مصادرة لتاريخه الذي يعطي للإنسان شيئا من الكرامة أو المكانة بين الناس ليعطى لشخص آخر.

لاحظ معي والتفت كيف حاول بعضهم أن يزيّف الحقائق ويسجلها لأشخاص آخرين في ضح النهار، يقول ابن الأثير: (سليمان بن هاشم بن عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس القرشي الأموي أتى به النبي (ص) فوضعه في حجره ، روى محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن محمد قال : أتى النبي (ص) بسليمان بن هاشم بن عتبة فوضعه في حجره فبال عليه ، فأتى النبي (ص) بقدرح فيه ماء فصبه على مباله حيث

(١) شرح نهج البلاغة ، ج ١٠ ، ص ١٠٩.

بال ما زاد عليه).^(١)

قد ير هذا الأمر على الكثير وتسجل كدلالة على إن أبناء بني أمية كانوا يجلسون في حجر الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا يكتفون في الجلوس بل يصل الأمر إلى أبعد من ذلك. ولعل هذه المحاولة التي سجلت وانطلت على الكثير ما هي إلا محاولة فاشلة وبائية لاقتزان بني أمية ببني علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، لان الروايات المتواترة التي وردت بحق الحسن والحسين عليهما السلام بأنهم كانوا يجلسون بحجر الرسول (صلى الله عليه وآله) ويركبهم على ظهره الشريف.

لكن ابن حجر كشف النقاب عن هذه الكذبة التي يراد منها التزلف والتقرب لبني أمية، فنقرأ ما قاله :

(سليمان بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، لأبيه صحبة ، وروى بن مندة عن طريق إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال : أتى رسول الله (ص) بسليمان بن هاشم بن عتبة فوضعه في حجره فبال عليه فأتى النبي (ص) بقدرح من ماء فصبه على مباله حيث بال ما زاد على ذلك. وزعم ابن الأثير إن اسم والد عتبة المذكور ربيعة بن عبد شمس وفيه نظر ، لان البخاري ذكر في ترجمة محمد بن إسماعيل بن سعد بن أبي وقاص قال فضيل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إسماعيل بن أبي وقاص قال : أتى النبي (ص) بسليمان بن هاشم بن أبي وقاص فصب على مباله. انتهى.

فهذا وان كان فيه بعض مخالفة لكنه شاهد لان القصة إنما وقعت لشخص من آل أبي وقاص لا من آل ربيعة بن عبد شمس وأيضا فان أهل النسب لم يذكروا في آل عتبة بن ربيعة أحدا اسمه سليمان بن هاشم وذكروه في آل أبي وقاص فثبت ما قلته، والله

(١) اسد الغابة ، ج ٢ ، ص ٣٥٢.

ولم يقتصر استخدام هذا الأسلوب على الحكام السابقين بل اللاحقين أيضا. فقد قامت حكومة البعث باستخدام هذا الأسلوب وكانت أدبيات حزب البعث قائمة على تعظيم بعض الشخصيات وإهمال شخصيات أخرى. وقد أراد الشيخ يعقوبي بنشر هذا الكتيب تسليط الضوء على ما يحاك ضد المسلمين والشيعية بالخصوص، والبحث عن الحقائق مهما كان المشهور. ولا يقتصر الأمر على الحكومة الظالمة ودورها في تشويه الحقائق، بل هناك الكثير من الأعمال التي قام بها أشخاص معينون نسبت لآخرين ليعلو نجمهم ويذيع صيتهم بين الناس. وقد ظهرت هذه الحالة بعد سقوط النظام في العراق، فقد وصل الأمر إلى أن بعض المرجعيات تأخذ مشاريع لمرجعيات أخرى وتشر على أساس أنها لها. ولا يخفى أن نشر هذا الكتيب تحت أنظار الحكومة البعثية لهو تحد صارخ لها؛ لأنها كانت تركز على هذه المفاهيم وترسخها في أذهان المجتمع بشكل واضح. وقد نشر هذا الكتاب عام ١٤٢٠ هـ.

وقد اثبت الشيخ يعقوبي في هذا الكتيب أن الصفات التي نسبت للخساء إنما هي لام البنين هذه المرأة المضحية التي أعطت أربعة من الشهداء في الطف في نصرة الحسين (عليه السلام) على رأسهم العباس بن علي (عليه السلام) وهي صابرة محتسبة.

(١) الإصابة ، لابن حجر ، ج ٣ ، ص ٢٠١. وينقله البخاري في التاريخ الكبير ، ج ١ ، ص ٣٧.

الشيخ اليعقوبي يتصدي لدعي المهدوية والمشعوذين.

إن المجتمع العراقي خصوصاً دون غيره من المجتمعات له مقومات ومؤهلات تاريخية وجغرافية ونفسية تجعله من المجتمعات المهيئة للتأثير على المجتمعات الأخرى سواء كانت مجاورة له أو بعيدة عنه جغرافياً. وهذه المؤهلات يحرزها منذ قديم الزمان، فالحضارة السومرية والبابلية كانت تؤثر بحضارات ومجتمعات بعيدة كل البعد عنه في المكان وفي الصفات، فقد أثرت الحضارات العراقية بالحضارة المصرية وأثرت على الحضارة في الهند وكذلك على الحضارات الغربية. وعندما جاء الإسلام أيضاً أصبح العراق من الشعوب المؤثرة في الشعوب الأخرى ولعب دوراً رئيساً في بنية المجتمعات الأخرى، وكان لزمان طويلة قبلة للمفكرين والشعراء والأدباء والكتاب والمثقفين.

وما زال العراق وخصوصاً النجف الأشرف هو قبلة لكل من تهفو نفسه للعلم والأدب والفقه وغيرها، وقد احتضنت أرضها أشرف جسد في الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه واله) مما أعطاها ميزة خاصة لا يدانيها فيها أي بلد في العالم.

في الوقت نفسه شخص أعداء الإنسانية هذه الحقيقة التي يمتاز بها العراق عن غيره من البلدان، فجاءت محاولات تغيير هذه الحقيقة تترى دون انقطاع، ولإقناع المجتمعات الأخرى بأن العراق ليس هو المجتمع الرائد لكل المجتمعات، واختلفت أساليب الإقناع ومحاولات تشويه الشعب العراقي. نحن لا نريد أن نصور للآخرين بدواعي الانتماء لهذا الشعب ولأرضه أنه شعب ملائكة، كلا، بل كما فيه الخيرون والصلحاء كذلك فيه من المنحطين والأرذال. لكن كل الدلائل والوقائع التاريخية تشير إلى أن هذا الشعب له أثر في تغيير العالم نحو الصلاح في المستقبل. ولذلك فإن من لا يريد للعراق أن يكون بهذه الهيئة حاول أن يستثير الفاسدين من هذا الشعب ليطغوا على الخيرين ويمنعونه من الوصول إلى ما رُسم وخطط له أن يكون عليه.

ومنع وصول هؤلاء إلى غاياتهم المريضة والشريرة وظيفه الخط الإلهي وعلى رأسه قيادته الجامعة للشرائط برفقة الخيرين من أبناء هذا الشعب المجاهد الصابر.

من أقوى الأسلحة التي يستخدمها أعداء الإسلام والإنسانية هي محاربة الدين بالدين، ومجابهة المصلحين برجال دين مزورين لا يفقهون من الدين شيئاً سوى محاولة خداع البسطاء ببعض الحيل والشعوذة التي امتازوا باستخدامها.

ولذلك كله انتشر بين أوساط المجتمع العراقي أصناف من هؤلاء الدجالين يختلف بعضهم عن البعض الآخر في طريقة خداع الناس.

وقد تصدى الشيخ يعقوبي لهؤلاء المرتزقة، في وقت سكتت الحوزة عن ما يفعله هؤلاء العملاء الذين يتلاعبون بمقدرات الناس وأرواحهم. وفي الوقت نفسه كان الخطر محدقاً به لارتباط هؤلاء ببعض رموز الحكومة الجائرة. من هذه الفئات التي تصدى لها الشيخ يعقوبي هي :

أولاً : مدعو المهدوية ومدعو السفارة عن المهدي.

من ضمن سلسلة (نحو مجتمع نظيف) التي انتشرت بين أوساط المجتمع العراقي، وهي سلسلة كتب تعالج أهم الأمراض التي تصيب المجتمع المؤمن، يوجد كتاب خاص لعلاج هذه الآفة التي أصابت المجتمع تحت عنوان (المجتمع الإسلامي ومشكلة السحر وأصحاب النور والمقامات العالية)، وهو على شكل حوارية.

أجاب به على أهم المفاسل التي يعتمد عليها هؤلاء الدجالون ويوضح للمجتمع بطلان مدعياتهم التي لم تستند إلى أي دليل سوى اختلاقات أنفسهم المريضة وما يمليه عليهم شياطينهم.

ولم يكن الشيخ يعقوبي يتعامل مع هذا المرض على أساس نقل البعض له صورة ما يحدث وحسب، بل كان من الذين تعاملوا مع الحالة بالمباشر.

فقد جاءه أحد الذين كانوا يدعون السفارة عن المهدي في يوم ما وقال له : إني رسول الإمام إليك لأنك الاتجاه الإسلامي العامل في الساحة، فقال له : إذا كنت صادقاً فسأختبرك بثلاثة أمور أضمرها في قلبي : أولها : سؤال، ما هو وما جوابه، وثانيها : حاجة، ما هي وأريد قضاءها، وثالثها : شخص، من هو وأريد أن أراه. وقال له غدا سأتيك بالأجوبة، وجاء في اليوم التالي بورقة مكتوبة قال ها هي فقرأها الشيخ اليعقوبي ووجدها مخالفة لجميع الأمور، فأعلمه بكذبه وزيف دعواه. فوعظه وحذره من مغبة الأمور وكان معه شابان اثنان كان الشيخ اليعقوبي يعرف احدهما وكانا مقتنعين به تماماً. فأعلم الذي يعرفه بالأمر، وقال له الشيخ اليعقوبي: ليس عجبي من دعواه السفارة عن الإمام فقد كثر مدعوها إلا أن تعجبي من دعواه من وقاحته حيث يأتيني بالأجوبة مدعياً صدورها عن الإمام وهي مخالفة للواقع تماماً.

هذا المدعي هو الشيخ احمد البصري الذي أصبح بعد ذلك سيداً يرتدي العمة السوداء، وأصبح اسمه احمد بن الحسن وأطلق على نفسه اليماني الشخصية التي تظهر قبيل الإمام المهدي. الذي قاد بعض السذج بعد سنين إلى كارثة ومقتلة راح ضحيتها الكثير من الأبرياء، في أحداث البصرة والناصرية، في ١٨ - ١٩/١/٢٠٠٨ قدرت بأكثر من ٣٠٠ بين قتيل وجريح، ما عدا الذين هربوا إلى الخارج والذين بقي القبض عليهم. أما هو فلم يُعرف مصيره أين ذهب؟.

وأحد هاذين الشخصين اللذين جاءا الى الشيخ اليعقوبي هو الشيخ حيدر المنشداوي، الذي إدعى بأنه أبو عبد الله القحطاني. وبعد أن سقط نظام بغداد أصدر صحيفة اسمها القائم شن الهجمات على الشيخ اليعقوبي محاولاً بذلك جرّه إلى نقاشات عقيمة يكون الهدف من ورائها صرف أذهان المجتمع عن قضيته الحقيقية. واستمرت مدة من الزمن إلى أن كانت نهايته أن قتل رمياً بالرصاص.....

ولم يكتف الشيخ يعقوبي بفضح هؤلاء فقط وإنما هناك فئة أخرى تختلف عن الفئة الأولى، لكن جميعهم يشتركون في الموجه الرئيسي، وان كان السذج الذين ارتبطت مصائرهم بهم لا يعرفون ارتباطات من فوقهم، ويدعون بالمهدوية.

فواجه الشيخ يعقوبي هذه الفئة ووجه الناس والشباب الرسالي إلى أسلوب مواجهتهم، وبين أهم الأسباب التي جعلت البعض يقع في شراكمهم.

فنسمعه يقول: (إن مثل هذه الفتن الضالة المضلة وأمثالها كثير لم ولن تنقطع إلى أن يأذن الله سبحانه بالفرج لعباده الصالحين وان أهم سبب لنشوء مثل هذه الانحرافات عوامل: الأول الجهل: الثاني النفس الأمارة بالسوء فلو لم يكن الناس جهلة وان سماهم السائل مثقفين إلا انه ما قيمة ثقافتهم وهم يقعون في مثل هذه الشبهات الواضحة البطلان - لما انطلت عليهم اقل شبهة يتعرضون لها والنفس الأمارة بالسوء تزين الخوض في هذه الفتن لما تحصل عليه خلالها من مطامع وشهوات كالجاء والمال وغيرها فالعلاج الحقيقي إنما يكون باجتثاث هذين السببين فإذا ارتقى الفكر في المجتمع وأصبح الناس يفكرون بعقول نيرة وربوا نفوسهم على الطاعة الحقيقية لله سبحانه وعملوا بإخلاص لنيل رضاه تبارك وتعالى فان هذه الفتن والضلالات سوف لا تجد لها مكاناً أما الالتفات إلى معالجة النتائج من دون التفكير في إزالة الأسباب فهذه مضيعة للجهد فان الطبيب لا يعالج الأعراض المرضية فقط من دون أن يشخص الحالة المرضية التي تسببت في ذلك فيعالجها من أصلها واعتذر للإختصار).

وكذلك فان الشيخ يعقوبي قد واجه أحد المدّعين بأنه على علم بالأمر الباطنية وانه يلتقي بالإمام المهدي بشكل اعتيادي، وكان هذا الشخص موجوداً في بيت احد أصدقاء الشيخ يعقوبي، فابتدره الشيخ يعقوبي بسؤال أوقع هذا المدعي بالفخ! والسؤال هو: إن الذي يدعي معرفة باطن القرآن لا شك انه يحيط بظاهره؟، فقال بسرعة: أكيد وهناك سأله الشيخ يعقوبي: سأسألك في ظاهر القرآن الذي أنت

مستوعب مفرداته. فقال سل ما شئت. فقال له : ما معنى قوله تعالى (ثم ليقضوا تفثهم) أريد منك فقط معنى الآية الظاهر. وقد تلعثم واحترار بالجواب ولكنه التجأ إلى الرخيص في ادعاء إن ما ينطقون به فوق تحميل الآخرين. وقال : لا أجيبك. وبصورة متتالية ليظن أن عنده علوماً يخفيها ولكن كل الموجودين شاهدوا بوضوح ارتبأكه واصفرار وجهه. فقال له الشيخ اليعقوبي ناصحاً كما وجه هذه النصيحة لكل من يدعي هذه الادعاءات : إتق الله يا أخي ولا تدع ما ليس لك.

والملاحظ أن الشيخ اليعقوبي كان يوجه السؤال وهو يعلم علم اليقين بأن المدعي لا يمكنه الإجابة عليه. وهذه الطريقة خلصت الكثير ممن حاول بعض هؤلاء المدعين أن يسحبوهم إلى الباطل معهم.

بالإضافة طبعاً لسوق الكثير من الأدلة التي تمتاز بأنها مفهومة حتى من أبسط العقول في المجتمع.

ثانياً : الكسنزانية.

من التيارات المنحرفة التي برزت في التسعينات من القرن الماضي في العراق هي الكسنزانية. وهم أصحاب طريقة انبثقت من شمال العراق من إحدى العوائل الكردية. وقد هاجمها الشيخ اليعقوبي بشكل واضح لما لها من آثار سلبية على المجتمع. فهم ظاهراً يستخدمون بعض الأذكار ومدح لأهل البيت (عليهم السلام)، إلا أن الحقيقة غير ذلك تماماً، فهم ابعد الناس عن هذه الأذكار وعن أهل البيت. إنما هم سحرة (مشعوذون) وعملاء لأعداء الإسلام ليضربوا الإسلام ببدعة ظاهرها الإسلام.

وكان الذي يترأس هذه الشرذمة شخص من عائلة أصولها كردية يدعى (محمد الكسنزاني).

وقد قال عنه الشيخ اليعقوبي : تفيد المعلومات انه من كبار العملاء حيث تمتد اتصالاته إلى ما وراء الحدود لغرض التنسيق واستلام الأوامر من أسياده في أمريكا وإسرائيل.

والتعرض لهذه الفئة وزعيمها هو بالحقيقة تعرض لأحد رموز النظام الحاكم. ففي المدة الأخيرة أصبح نائب رئيس الجمهورية عزت الدوري هو الراعي الأول لهؤلاء المشعوذين، ولا أحد يتجرأ على المساس بهم وبطقوسهم التي باتوا يمارسونها في الشوارع.

وفعلاً هم لم يسكتوا على هذه الأسطر التي سطرتها أنامل الشيخ اليعقوبي لكبح جماحهم والوقوف بوجه المخطط الذي كانت تقوده الحكومة لضرب الإسلام.

فجاءت مجموعة منهم متكونة من خمسة أشخاص وهم يستقلون سيارة (باترول) حديث إلى منزل الشيخ اليعقوبي في النجف الأشرف وتحديدأ في حي الزهراء، وطرقوا الباب، فخرج لهم الشيخ، فعندما وقع نظره عليهم توجس منهم خيفة؛ لان أشكالهم تدل على ظلمهم وحقدهم وهذه صفات رجالات النظام. فلم يدخلهم الدار؛ لان بقاءهم معهم في الشارع أأمن من إدخالهم إلى البيت. فتحدثوا معه بانزعاج وتوتر وقالوا له : لماذا تتكلم علينا وتتهمنا؟^(١)

الشيخ اليعقوبي كان يعمل بشكل حذر جداً، فسبق أن قلنا إن القائد الذي يعمل في بلد يحكمه حاكم جائر لا بد أن يكون عمله متقناً بشكل دقيق، كي يستمر في عمله لهداية الناس ومجابهة الأعداء دون أن يتعرض للإبادة. ومن ضمن الأساليب التي كان يتبعها الشيخ ان الكتاب الذي يوزع في الأسواق ويعلم بأنه يحتمل منه الخطر لاحتوائه على كلام يمس به الحكومة أو بعض رموزها فلا يشار انه من تأليفه وإنما

(١) حدثني الشيخ اليعقوبي بهذه الحادثة. عبد الهادي الزيدي.

يذكر أنه كُتب بإشرافه أو بمراجعته أو غير ذلك. فقال لهم الشيخ : هل مكتوب على الكتاب انه من تألّفي؟ قالوا : لا لكن بإشرافك. قال تعلمون أن الكتب لا تباع في الأسواق إلا إذا حملت اسمي سواء كان تأليفا أو إشرافا أو غير ذلك المهم أن الاسم موجود على الغلاف. وأنا لا أتحمل تبعة كل كتاب كتب عليه البعض اسمي. فعادوا من حيث جاءوا خائبين ورجع الشيخ اليعقوبي لبيته منتصرا؛ لأنه حقق ما يريده وهو إيصال المعلومة للناس.

ومن الملاحظ أن المخالفين فضلا عن المؤيدين يتابعون ما يصدر عن الشيخ اليعقوبي يأخذونه بعين الجد ويرتبون عليه آثاراً.

الشيخ اليعقوبي يواجه أهم الحالات السلبية في المجتمع

تظهر في المجتمع بين الحين والآخر عادات ومظاهر سلبية في المجتمع الإسلامي وبشرائحه المختلف أو طبقاته المختلفة، توجب على المرجع الحركي الناطق أن يتصدى لها وبمختلف الوسائل المتاحة لديه. ولم يقتصر الأمر على الحالات السلبية بل تشجيع الحالات الايجابية. والقضية الأخرى هي الخروج من المسائلة عن ممارسة دوره في إصلاح المجتمع، لان الظاهر أن المجتمع هو الذي يسأل ومن منطلق وظيفته الشرعية الإجابة عن أي سؤال يوجه له. كما سمعناه يقول ذلك لأزلام النظام في الرسالة التي أرسلها إلى مدير الشعبة السياسية عندما ألقوا القبض على مجموعة من طلبة الحوزة.

وهي لا تُعدّ إستفتاءات بقدر ما هي منشورات، والمنشور يضم الإجابة الفقهية مع نصائح وحلول مما يجعله أعم فائدة من الاستفتاء المختصر الذي يبين الحكم الفقهي فقط. وسنتحدث عن (نماذج) ما وراء المنشور والأبعاد التي ضمها المنشور.

عادات رمضانية منحرفة

وتناول فيه الشيخ يعقوبي الجانب العقائدي لخلق الإنسان من مبدأ ومعاد وحساب.. ثم بعده عرض سريع لبعض المخالفات التي تحصل في شهر رمضان المبارك ابتداءً من لعبة (المحيس) إلى الجهل بالأحكام الشرعية، وكذلك ظاهرة (مطعم المقاطر) الذي سماه الشيخ المرجع (بمطعم الصائمين) انطلاقاً من فهم الأمور بأضدادها وكذا ظاهرة مشاهدة التلفاز بكثرة في هذا الشهر الكريم مما يصد عن كثير من الطاعات، ويقصد بهذا البرامج والمسلسلات التي يكثُر فيها المجون والخلاعة والفسق والفجور، ونقل كلمة عن الإمام المهدي (عليه السلام) (إن التلفزيون سيف مشهور في وجهي).

ومن منطق التفكير العقلاني في البديل فقد رشح سماحته عدة أمور بديلة عن تلك الممارسات الخاطئة منها تبادل الزيارات مع المؤمنين وعقد مسابقات دينية وفكرية ومطالعة الكتب وسماع المحاضرات والمواظبة على صلاة الجماعة (الفجر والظهر والمغرب).

تنبيهات شرعية إلى العاملين في حقل الصيدلة

يأتي هذا الاستفتاء ضمن سلسلة التنبيهات التي كان الشيخ يعقوبي يطلقها ابتداءً منه إلى الأمة إن عجز الناس عن التفكير في شؤون حياتهم الدينية والدينية في سبيل هدايتهم إلى طريق الإسلام العظيم ولأهمية حقل الصيدلة خصوصاً والحقل الطبي عموماً ونتيجة للممارسات التي يمارسها بعض الصيادلة، وذلك للتماس المباشر في حياة الناس، حيث تضمن الاستفتاء (١٦) فقرة رئيسة و (١٧) فقرة فرعية ويصبح

المجموع (٣٣) فقرة بين تنبيه وحكم شرعي ونصيحة وموعظة قد شملت كل التفاصيل المتعلقة بحقل الصيدلة بل إن بعضها لا يخطر في ذهن الصيدلاني نفسه ، وختم الشيخ يعقوبي ورقة عمل الصيدلاني الشرعية هذه بجوهرة أخلاقية من النفائس التي تتضمنها كتاباته كما هو أهله .

تجارة الألبسة المستعملة (البالات)

تضمن الاستفتاء مجموعة من الأسئلة قدمها احد المؤمنين إلى الشيخ يعقوبي يسأل فيها عن حكم التعامل بهذه الألبسة بيعاً وشراءً واستعمالاً وتصريف ، خصوصاً إن بعضها مستورد من دول غير إسلامية . وابتدأ سماحة المرجع الجواب بأصل المشكلة من الناحية الاقتصادية : (تجارة الألبسة المستعملة ظاهرة طبيعية في البلدان التي تضعف قدرتها الشرائية عن توفير احتياجاتها من الألبسة الجديدة أو المصنعة) ، وحذر الشيخ (من هذه الألبسة فقد تتخذ واسطة لنقل بعض الأمراض المعدية كـ(الايذز) وغيرها من الدسائس كما دأب إلى التنبيه على مكائد الغرب ودسائسه ووسائله الشيطانية في إدخال الأذى والضرر مادياً ومعنوياً على المسلمين). وألزم سماحته (الأطراف المشاركة في هذه التجارة ووزارتي الصحة والتجارة ومختبرات الفحص والسيطرة النوعية بوضع تعليمات للمستهلكين وشروط التعامل وإجراءات الوقاية التي ينبغي اتخاذها)، وبعد المقدمة أجب سماحة المرجع على الأسئلة ، وأشار إلى نقاط مهمة جداً لم ينبه عليها السائل.

وذيل ورقة الإجابة بقوله (اشكر الله سبحانه على انتشار الوعي الديني لدى أبناء المجتمع والتفاتهم إلى تحكيم الشريعة في كل تفاصيل حياتهم وإنها لعمري نعمة كبيرة تسر قلب الإمام المهدي وتعجل بظهوره فالحمد لله أولاً واهراً) .

١ / ذو الحجة / ١٤٢٢ هـ الموافق ١٢ / ٢ / ٢٠٠٢ م .

تعليق على (توجيهات في السلوك)

جاءت هذه التعليقة بعد نزول برنامج عملي على شكل عدة نقاط وخطوات للسير والسلوك وكانت غير مجهولة المصدر ، والسؤال ما هو رأي الشارع المقدس في مثل هذا البرنامج وهل هي مفيدة ونافعة أو لا ؟ وبعد عرض البرنامج بشكله المنتشر بين الناس علق الشيخ اليعقوبي بعدة نقاط منها :

١. إن طرح هذه الأفكار بهذا الشكل و(في الأسواق) لكل من هب ودب غير صحيح وقد يؤدي إلى أضرار جسيمة يتحملها من عرفها وفي الحديث (من كسر مؤمناً فعليه جبره) .
٢. إن هذه الخطوات لا تعطي للفرد دفعة واحدة ... والتدريج هي طريقة القرآن حيث بلغ عقائده وأحكامه طيلة ٢٣ سنة وتصور كيف يكون الحال لو أعطيت دفعة واحدة .
٣. كما هي عادة الأخلاقيين العارفين حيث ينشرون الجواهر بين الحصى لكي لا تؤخذ ببسر وبساطة ولكي لا يلتقطها إلا أهلها العارفون بقيمتها .

أسباب امتناع الناس عن دفع الخمس وعلاجها

الخمس من الفرائض الواجبة التي ذكرها الفقهاء استناداً إلى تعاليم رسول الله (صلى الله عليه واله) كوجوب الصلاة والصوم في رمضان والحج عند الاستطاعة ولارتباطه المباشر باستقلالية المذهب الجعفري طيلة أربعة عشر قرناً الماضية من جهة ولأنه وصية إمامنا المهدي (عليه السلام) من جهة أخرى لهذه الأسباب وغيرها كان للشيخ اليعقوبي أكثر من توجيه ومحاضرة وخطبة واستفتاء ، منها هذا الاستفتاء الذي

تناول أسباب امتناع الناس عن الامتثال لهذه الفريضة وعده (من الذنوب الكبيرة) ومن تلك الأسباب ، الجهل بوجوب الخمس ، ومنها حملات التشكيك لتقويض احد أهم الركائز المهمة للدين والمذهب ، ومنها سوء تصرف بعض الوسطاء والوكلاء ، ومنها قلة الثقة بما عند الله فيشح الإنسان بما عنده وبعد تشخيص الأسباب وكما تعودنا منه أن لا يكتفي بهذا القدر فقد طرح مجموعة من نقاط العلاج.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان لإحياء الفرائض عند الشيخ اليعقوبي القدر الأكبر في مسيرته خصوصاً الفرائض المعطلة كفريضة الخمس وفريضة الجمعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى آخره وهذه الفريضة هي التي تحمي كيان المجتمع الإسلامي من الداخل التي عليها يترتب الكثير من الأحكام ف(بها يحفظ الدين و تقام السنة وتحيا الأمة وتتواتر النعم ويدفع البلاء...)

من فقه السيارات

إن لتنوع المواضيع التي تناولها الشيخ اليعقوبي خلال المدة السابقة الأثر الواضح في تحديد عمل كل جهة ، وهو تقسيم فني للمجتمع تارة حسب العمل والوظيفة وأخرى حسب الموقع وأخرى حسب الجنس وذلك ليعرف كل إنسان عمله وتكليفه الشرعي وليرتبط الجميع أخيراً بخيمة الإسلام العظيم في ظل محمد وال محمد حتى أن بعض فئات المجتمع العراقي قد طلبوا من الشيخ أن يحدد لهم عملهم وتكليفهم الشرعي فيه (كما حصل مع فئة مربّي الطيور (المطيرجية)) ، مما يعني بوضوح أن صوت الحق المتمثل به وصل إلى فئات يعتبرهم الكثير ممن لا يستحقون

العيش! وهذه يد رحمة تصل مرة أخرى إلى سواق السيارات بعد أن وصلهم استفتاء المرجعية ونشر بينهم في وقت سابق ، لكنهم كما يعبرون قد واجهتهم العديد من التساؤلات ومشاكل في تطبيق الحكم الشرعي حتى جاء من يهتم بهم وبمشاكلهم الشرعية.

توجيهات ثقافية وأخلاقية

طلبة الجامعات شريحة كبيرة من الشباب المثقف الواعي ، وتعرف إدارة العقول بأنها من أصعب أنواع القيادة والإدارة، ولم تعرف الجامعات التأثير بقيادة ما - إلا في حدود ضيقة ولتجارب محدودة - ماعدا التجربة التي عاشها طلبة وشباب العراق مع الشيخ اليعقوبي ، وقد التفت إلى هذه الشريحة من أبناء المجتمع في وقت مبكر وبعد استشهاد الصدر (قدس سره) مباشرة تنامي الوعي والحس الديني بينهم بشكل ملحوظ بفضل ما يصل إليهم من منشورات (كالاستفتاءات) وخطابات (كمحاضرة الحوزة وقضايا الشباب) والكتب ككتاب (فقه الجامعات) ، وفي هذا الاستفتاء يوجه احد الطلبة أسئلة فكرية وعقادية واجتماعية في آن واحد يسأل فيها عن نوعية الكتب التي يثقف بها الشاب نفسه ويعالج واقعه الاجتماعي ، ويسأل ايضاً عن الاستماع الى المحاضرات التي تتناول المسائل الفلسفية والعرفانية ؟ وكيف يستطيع الشخص أن ينمي جميع القيم بداخله ؟ .

وكان للشيخ اليعقوبي مقدمة يؤكد فيها (أن يكون الفكر والمسلم عموماً واعياً لظرفه مستوعباً لمشاكله بشكل دقيق منشغلاً في تحضير العلاج المناسب لها ولا يجتر معلومات السابقين بل حتى أفكار المعاصرين ممن يعيشون في ظروف اجتماعية وتحديات فكرية لا نعيشها نحن وإلا سنكون كمن يغرد خارج السرب كما يقول المثل) . ولكي لا يغرد السائل خارج السرب ، أرشده الشيخ إلى قراءة كتبه (كفقه

العائلة ، وفقه الجامعات ، وشكوى القرآن ...) لأنها تمثل صميم ما يواجه المجتمع من تحديات ، وان لا ينشغل المستمع لمثل هذه المحاضرات إلى ما هو أهم .

وأفتى الشيخ اليعقوبي بأنه (لا يجوز قراءة الكتب التي تشكك المسلم في عقائده الحققة ، سواء كان بسبب احتوائها على شبهات مضلة أو معلومات معمقة لا يحتملها القارئ ، ولا يجوز لمؤلف طرح مثل هذه الكتب للعامة وفي الحديث (من كسر مؤمناً فعليه جبره)) .

تأجير الدراجات الهوائية

يسأل الشيخ في هذا الاستفتاء عدة أسئلة عن حكم تأجير الدراجات الهوائية مدة محددة من الزمن مقابل مبلغ معين من المال ، وما له صلة بالموضوع ، وفي الجواب عدة أمور مهمة للمتأمل معها ألف وقفة ووقفة ، منها :

❖ إن ركوب الدراجات من الرياضات العقلانية ولها منافع صحية جلية ، لكن من دون ارتكاب المخالفات الشرعية ، (وهنا نصيحة طيبة) . إلا أن الخلل في أماكن تأجير هذه الدراجات :

أصبحت عملاً لهوياً لتضييع الوقت (عامل الوقت رأس مال الإنسان) .
وان هذه الأماكن والمحال أصبحت محلاً لتجمع المراهقين والصبيان ومرتعاً للشيطان (وهنا حماية الشباب من الانزلاق في مهاوي الشيطان).

يشير الشيخ إلى حكم شرعي وهو (عدم جواز التعامل مع الطفل ، إلا بإذن ولي أمره) . لكن الكثير من هؤلاء الأطفال يرتاد هذه المحال دون علم أهله اصلاً . وقد يسرق الأطفال هذه الأموال لتلبية رغباته خصوصاً إذا أدمن عليها!! (وهنا حماية الطفل والعائلة من التفكك).

❖ تتضمن هذه الرياضة - خصوصاً عند التجمع بفرق والسير بالشوارع - : الإضرار بالآخرين وإزعاجهم ، وإصدار الأصوات الموسيقية المحرمة ، والخدش بالحياء والآداب العامة ، (وهذا كله في إطار الحفاظ على كيان المجتمع الإسلامي).

❖ ومن مناشئ ابتكار المحرمات : النفس الأمارة بالسوء ، الشيطان الذي كرس نفسه لغواية الإنسان ، والجهل بالهدف الذي نعيش من أجله والغرض الذي خلقنا له وواجباتنا في هذه الحياة تجاه الله وأنفسنا ومجتمعنا وحقيقة وجودنا ومستقبلنا ... والعلاج : تقوية الإرادة والعزم والتوكل على الله تبارك وتعالى في مواجهة الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والشهوات ولا بد من التثقيف بالمطالعة وطلب العلم والوعي وان يكون الإنسان هادفاً في حياته.

وهنا ربما يظن القارئ أن الموضوع لا يستحق أكثر من بضع كلمات وانتهى الحال ، إلا أن في المسألة عدة أبعاد لا بد من الالتفات إليها وإلا ضاع الخيط والعصفور كما في المثل ؛ ومن هذه الأمور :

١. إن مرجعية الشيخ يعقوبي قد تكيّفت مع وضع المجتمع - من غير ضياع لقدسية هذا الموقع المهم طبعاً - فلم يكتف في أجوبته على المسائل : بنعم ، أو لا ، وأترك وافعل أو الأحوط كما هو معتاد في أجوبة المسائل المقدمة للفقهاء ، بل يضمن الإجابة مسائل أخلاقية وأخرى اجتماعية وسياسة وان لم تظهر للعيان أحياناً وذلك بعد أن ازداد وعي المجتمع وبدأ يحتاج إلى مزيد من المفاهيم والتبيان ومع كثرة المشاكل وتعقيدها وفي ظل التكنولوجيا الحديثة ، ولكي يثبت الإسلام انه قادر على حل كل مشاكل المجتمع وان تنوعت وتعقدت كان تطور الإجابة عند الشيخ يعقوبي حتى انه يضيف أسئلة لا يمكن أن تخطر بذهن السائل نفسه وان كان من صميم اختصاصه وميدان عمله .

٢. ولان الشيخ يؤسس لمرحلة قادمة قد كشف عنها سقوط النظام فيما بعد فقد أعطى كل فئة من المجتمع تكليفها ودورها ومبادئ عملها وكل متعلقاتها ... إذ نرى في هذا الاستفتاء السابق حماية للبنية المجتمع الأساس وهي العائلة من داخلها وذلك من خلال حماية الطفل أولاً من أن يسير في طريق المنحرفين كأن يسرق ليلبي رغباته أو أن يخرج من دون علم ولي أمره والحذر من التعامل المالي معه في هذه الحال . وكذا حماية المجتمع من أماكن تجمع المراهقين والصبيان لينطلقوا بأفكارهم الشيطانية في إيذاء المجتمع وإزعاج الناس .

وفي ذلك حماية لكيان المجتمع الإسلامي بشكل كامل .

٣. لم يكتف الشيخ اليعقوبي بتشخيص المشاكل فقط ، بل يضع العلاج لكل حالة ويوفر البديل ويرشد إليه ، ولم يكتف بهذا القدر ايضاً بل يتابع الأمر حتى نهايته وان احتاج إلى تجديد وصفة العلاج كان قد فعل . ولم يكن نهاية المطاف عند هذا ، فيذكر بالنتائج المهمة والجيدة التي تحصل في المجتمع ويركز على مكامن القوة في المجتمع الإسلامي ليعيد الثقة إلى النفوس بعد أن عصفت بالمجتمع أنواع المحن وشتى البلاءات ، حتى يعلم الناس أن المرجعية هي الأب الرحيم والأم الرؤوف الذي ينظر لأولاده بعين الإنصاف والحب ، ومن دون طبقة أو تعصب لفئة .

٤. تتضمن أجوبة الشيخ اليعقوبي شتى المجالات اجتماعية وسياسية وفكرية وعقائدية والجميع مطعم بنفس أخلاقي عرفاني ليحرك الخطاب كل جوانب الإنسان العقلية والعاطفية والنفسية ... ليلبي احتياجات الروح والبدن في آن واحد . وغيرها من النقاط التي يمكن أن تُستشف من كلماته.

إقامة علاقة مع الطالبات لهدايتهن

إن للعارف بالله نظرة في الأمور تختلف عن كل ما يفكر به الآخر ، مهما كانت نية ذلك الآخر ، والسؤال هنا ينطوي على حسن النية إذ يسأل شاب متحمس لإصلاح الآخرين عن شرعية إقامة علاقة مع الطالبات لغرض هدايتهن إذ إن النساء أقل ارتباطاً بالحوزة، لذا فهن يجهلن أحكام الدين . وبعضهم رحب بهذه الفكرة والبعض الآخر يحدد المنع بمن لا يراعي الآداب والأحكام الشرعية ؟!

وهنا يجيب الشيخ العقوبي جواباً يلاحظ فيه السلبيات بدقة :

إن مزالق النفس الإنسانية مما يخفى حتى على صاحبها. وربما ينكشف لك أمر تعمله رياءً منذ عشرات السنين ولا تعلم . والأمثلة كثيرة ، ومع عدم التشكيك بإخلاص صاحب الفكرة وغيرته على الدين وحبه لهداية الناس ... لكن النفس الأمارة بالسوء ... وهل فكر بإصلاح أخته وأمه وعمته وابنة أخيه وو.... وهل فرغ من إصلاح الطلاب الذكور قبل الطالبات.

(وما عسى أن ينفع كون فرصتهم للاتصال بالحوزة أكثر إذا كانوا منقطعين عملياً عن الحوزة وبعيدين عن سماع كلمة الحق). وهو بالتالي أدب أهل البيت (ع) في الحفاظ على كيان المرأة المسلمة، فالاتصال لا ينفع إذا لم يتبعه الموقف العملي.

والغاية لا يمكن أن تبرر الوسيلة فإقامة العلاقة لغرض الهداية ،درجة يتساوى عندها المؤمن والفاسق حينئذ؟! .

ويقول سماحته (لكي لا أسد المنافذ كلها على الطالبات اللواتي يراد هدايتهن فأقدم هنا بعض الوسائل). ولنقف عند هذه الكلمة فبعد أن فرغ الأمر من الشخص الذي يقوم بفعل الهداية وتحديد أولويات عمله ضمن الحدود التي لا تؤدي إلى إصلاح

الآخرين بهلاك النفس انتقل ملاك القضية إلى من يُراد هدايته، فغلق المنافذ كلها يؤدي بالنتيجة إلى زيادة عصيان المذنب وتمادي الباغي، ومع وجود شرط (الإرادة) والنتيجة (الهداية)، فاحتمال عدم التأثير بالمقابل مشروط بهذين، وهما قوام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما وجد هذا الفرض إلا للعاصين من المسلمين، حفاظاً على جوهر وروح الإسلام بين من ينتسب إليه.

ومن الوسائل : إن الأمر موكول إلى المؤمنات منهن ، واتخاذ طريق الكتابة بين الطرفين ، عقد الندوات العامة ..

تحية الإسلام السلام

ويُسأل الشيخ في هذا الاستفتاء عن التحية في الإسلام ما هو الواجب منها ؟ وما هو الرد المجزي عن ذلك ؟ وان كان الرد بغير لفظ (السلام) هل يكون كافياً ؟

وقد يحصل السائل على استفهامه هذا من أي كتاب فقهي، أو من روايات لأهل البيت (ع)، ألا أن رصد الظواهر المنحرفة في المجتمع مما شجع عليه الشيخ اليعقوبي وان كانت بأبسط مظاهرها، ومن جهة أخرى فان استئناس المؤمنين بآراء ونصائح وأجوبة الشيخ اليعقوبي، وكذا تحليله الظواهر إلى : سبب ونتيجة وعلاج ومتابعة ومراقبة وإشادة...وقد تكون الأسباب اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو غيرها، مما دفع الكثير من المؤمنين إلى سؤاله والاستفسار منه، حتى عن أمورهم المعاشية، بل تعدى ذلك إلى السؤال عن حل مشكلة حصلت مع شخص تقدم لأحد المؤمنات وهو يقلد مرجعاً آخر فهل توافق على الزواج منه أو لا ؟ وآخر تحصل مشكلة مع أهل زوجته ويطلب من اليعقوبي الحل ؟ وغيرها الكثير من الأمثلة ؟ التي لا يمكن حصرها في هذا المحل .

ومن أهم الأسباب التي تدفع الكثير من الشباب إلى سؤال الشيخ اليعقوبي عن الكثير مما يرد إلى الذهن هو الثقة العالية من الجماهير به ومعرفته التفصيلية بكل شؤون المجتمع

وفي معرض الجواب :إن الأصل (لكل شعب أو تجمع بشري شكل من أشكال التحية ، سواء كانت بالألفاظ أو بالحركات كطأأة الرأس أو وضع اليد على الصدر أو رفعها)، (وقد اختار الله تبارك وتعالى للمسلمين تحية اشتقها من أسمائه الحسنى وهو (السلام) الذي يشعر لفظه بالطمأنينة والسكون والسعادة والأمان وانه لا يضر للمقابل أي شر وسوء بل يحمل له الود والسلام لذا ورد في الحديث النبوي الشريف (السلام تحية لملتنا وأمان لدمتنا) . وقد أشار اليعقوبي إلى عدة أمور اجتماعية أخرى تؤدي إلى ضياع معالم الشخصية الإسلامية لدى المسلمين منها :

(١) من الغريب أن نختار غير ما اختاره الله تبارك وتعالى ونحن نعلم أن الله خير لنا من أنفسنا ، (وهنا التسليم لله في كل الأمور).

(٢) لماذا نأخذ من الغرب عاداته وتقاليده الخاوية من المعاني السامية ، ونتخلى عن قيمنا العالية التي هي مصدر قوتنا. (وهنا إعادة الثقة بالشخصية الإسلامية ، فالقيم الإلهية هي مصدر القوة).

(٣) انبهارنا بالظاهر المزخرف لحضارة الغرب . (إن ما يعيشه الغرب من حضارة ما هو إلا زخرف الحياة الدنيا ويجب أن يتطلع الباحث عن الحقيقة إلى باطن الأشياء ولا يندهش بالظاهر الزائل).

(٤) ضياع شخصيتنا وقيمنا في خضم التقليد الأعمى لهذا الغرب النكد القلق المنهزم نفسياً ، فكيف يهبطنا الاستقرار والسلام والسعادة وفاقد الشيء لا يعطيه ... (التقليد الأعمى في مقابل التقليد الواعي فالأول ينتج ضياع الشخصية وضمحلل المبادئ والقيم ، والثاني هو إتباع علماء الإسلام وقادته المخلصين ويشخص الشيخ اليعقوبي أن الغرب يعيش حالة من

النكد : والتي تعني كل ما جر على صاحبه شراً؟! وهل جر الغرب على من سار في ركبهم إلا الشر ، والقلق هو الذي انقطعت عنه الطمأنينة وذلك بهجرهم قيم الإسلام ومبادئه العظيمة ، وبعد كل هذا فالهزيمة النفسية أساس كل هزيمة وخسارة، بعد كل هذا هل تأتي السعادة والسلام ممن فقدتهما أصلاً .

٥) مما اهتمت به الشريعة الإلهية تنظيم العلاقات الاجتماعية فوضعت لذلك أدباً وأحكاماً . ومنها التحية بين الأشخاص عندما يلتقون وأنت حينما تقرأ هذه الآداب تجعلك تدعن إنها ليست من وضع البشر (ويشكو الشيخ من ابتعاد المسلمين عن الأدب القرآني الذي يأمر بعدم دخول البيت إلا بعد أداء السلام والاستئذان ، بل قد يكون رب البيت نفسه من لا يؤدي السلام ، وان عدم انتشار السلام بين أفراد المجتمع أدى إلى القطيعة بينهم، فهل هذا مما يرضاه قادة الإسلام العظيم محمد واله الكرام بعد أن ضحوا بأرواحهم من اجل بث هذه القيم بين المسلمين؟!) .

الحوزة والمجتمع

وهو حوار أجرته (مجلة الكوثر) مع الشيخ يعقوبي لاستكشاف رأي الحوزة الشريفة حول عدة قضايا:

السؤال الأول : شعارات الوحدة الإسلامية (نعم للوحدة الإسلامية لا للتناحر الإسلامي)، وما هي السبل الكفيلة للترابط والوحدة؟ .

وينطلق الشيخ يعقوبي في الإجابة من عدة أمور تعتبر من ركائز الوحدة الإسلامية :

١. إن هذا الشعار قد رفعه القرآن الكريم بقوله : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا تَفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) .

٢. وحرص الرسول الكريم (ص) على إرساء الوحدة في المجتمع الإسلامي ...
كالوإخاء ، وإطفاء نار الفتنة التي يؤججها أعداء الإسلام من يهود
ومنافقين ، والقضاء على الضغائن والعصبيات القبلية والقومية
والعنصرية ...

٣. كان للعلماء المخلصين مواقف مشهورة ومسامح مشكورة لجمع الصف
وتوحيد الكلمة . وتمثل بكلمة (نبي الإسلام على كلمة التوحيد وتوحيد
الكلمة) .

٤. ويعطي الشيخ ركيزتين مهمتين لجمع الكلمة ، وهما باختصار:
الأولى : الالتفات إلى أن القواسم المشتركة بيننا كثيرة ، فربنا واحد ونبينا
واحد وكتابنا واحد وقبلتنا واحدة وعدونا واحد وهمومنا واحدة ...

الثانية : احترام كل طرف قناعة الآخر ورأيه ما دام قد توصل إليه بطريق
صحيح أو ما نعتبر عنه (بحجة شرعية) ، وإن نعلم أن الاختلاف في الرأي
سنة طبيعية ، حتى داخل الأسرة الواحدة ... والمجتمع هو الأسرة الكبيرة .

وكان للشيخ يعقوبي الدور الرئيسي في إطفاء الكثير من غوائل المجتمع ، وإرساء
دعائم الوحدة ومن خلال النقاط الآتية :

أولاً : كان لفقدان الصدر الأثر البالغ في النفوس مما أوجب عاطفة أتباعه إلى حدود
انتقامية إلى كل من يعتقدون أنه أساء إلى الصدر أو قصر في حقه أو تكلم بأي كلمة
تسيء له ولأتباعه وقد تفلت عندها الأمور ويصار إلى ما لا تحمد عقباه فسارع
الشيخ يعقوبي إلى تحويل هذا المد إلى الاهتمام بمواصلة طريق الإصلاح الذي خطه
الصدر بدمه الشريف ، ليبدأ الإصلاح أولاً من داخل النفس ثم إلى العائلة ثم إلى
المجتمع ويرافق كل ذلك تصعيد في المسؤوليات ليشعر من خلالها الفرد العراقي
(بعراقته الإسلامية) وبشخصيته التي صقلت في تحدي أنواع الصعوبات والبلاءات

انه مسؤول ليس عن نفسه فقط ولا عن مجتمعه بل أن يكون همه إنقاذ البشرية المعذبة عموماً في كل بقاع العالم وأصقاع الأرض، وهذا الشعور وجد عند الصدر واليعقوبي بشكل واضح يفارق كل الحركات الإصلاحية المعروفة، وفاق كل المحاولات . حتى أصبح لأتباع الشيخ اليعقوبي الأثر البين أينما حلوا وذلك يرجع إلى المنظومة المعرفية التي اتبعها الشيخ في بث الوعي بين المجتمع ليحيا من أراد الحياة عن بينة ويهلك من اعرض عن البينة وهو بالتالي منهج منظم ومتقن للوصول إلى الهدف المنشود للبشرية متمثلاً بالمهدي من آل محمد (ع) .

ثانياً : لم يقابل الشيخ اليعقوبي أي فتوى تحريضية أو كان القصد منها تسقيطه في أعين الناس والمجتمع إن كانت من داخل العراق أو من خارجه بالمثل على الإطلاق، بل لم يكن هناك للشيخ أي رأي أو فتوى تسيء إلى الطرف الآخر (أو يفهم منها إساءة للآخر) مهما كان ذلك الآخر لا بعد استشهاد الصدر ولا حتى بعد سقوط نظام صدام . ولا يفهم من ذلك انه لم يوضح خطر المقابل أو يدفع عن الإسلام والمجتمع العراقي الخطر المحدق به ، بل لأهمية الإسلام أولاً وللحفاظ على المؤمنين الذين عبر عنهم بأنهم حصيلة تعب السنين وتعب وجهاد وجهود الأنبياء والأوصياء والمصلحين والشهداء ... ويضن بهم عن أي خطر أو أي منزلق رأفة بهم تارة، ولكي لا يساء للإسلام أخرى .

ثالثاً : أدرك الشيخ اليعقوبي منذ البداية التنوع المرجعي لدى المجتمع العراقي الناتج عن قنوات مختلفة وتعامل معها على أنها واقع كواقع لاختلاف القنوات (ولم يناقش إن كان بحجة شرعية أو لا)، أو بمعنى آخر تقليد واع أم تقليد أعمى، بل راعى هذا الاختلاف عبر الإجابة بحسب ما يريد الشخص أحياناً أو الابتعاد عن الأسئلة التي لها فهم آخر ...

رابعاً : حث المجتمع بشكل متكرر على أن تكون أهدافهم اكبر، وان لا يكون التناحر على الشخص والمرجع . بل تقديم المبدأ والعقيدة والحكمة وهذا سيؤول إلى عدم التقاطع والتناحر بشكل أكيد وذلك من خلال جعل أهل البيت عليهم السلام هم القدوة والأسوة ، نعم لم يبطل الشيخ اليعقوبي نظرية التقليد إلا أن أهل بيت العصمة من اكبر القواسم المشتركة للمجتمع العراقي ، خصوصاً الإمام الحسين (ع)، وقضيته التي كانت من أروع ملاحم تاريخ البشرية على الإطلاق، لذا يؤكد بشكل مستمر على قضية الإمام (ع) محاضراته التي ألقاها بمناسبة مولد الإمام الحسين (ع).

خامساً: المحافظة على وحدة الحوزة الشريفة.

وغير ذلك من النقاط .

السؤال الثاني : كيف تنظرون للدراسة في الحوزة ؟ وما هي اقتراحاتكم لتطويرها؟.

يجيب سماحة اليعقوبي بخطوط عريضة وبشكل مختصر، علها تجد من ذوي الهممة والبصيرة من يمتطي ظهر الطود الشامخ لكي يزيل عنه غبار الزمن وترهل السنين

وقال : تحتاج إلى الكثير من الإصلاحات وفي عدة اتجاهات :

مناهجها الدراسية، أساليب الدراسة، شؤونها الإدارية، نظام التقييم والشهادات فيها، توظيف العلوم الحديثة في خدمة الاستنباط الفقهي، أداء مسؤولياتها، علاقتها بالمجتمع.

وليس في هذا الكلام قدح فيها لان التطوير والتغيير شيء طبيعي تبعاً للمتغيرات والمستجدات التي تحصل في المجتمع ...

هذه الاستشارات من الشيخ اليعقوبي تفتح الباب واسعاً للتفكير في أمر الحوزة وشؤونها وشجونها فمن غير المعقول أن تؤسس في النجف الأشرف أقدم جامعة للعلم واشرف مدرسة لطلابها، وتبقي بعد أربعة عشر قرناً من الزمن على ما هي عليه، وتؤسس بعدها بألف سنة تقريباً الجامعات والمعاهد العلمية وتتفوق عليها في كل الميادين. صحيح أن الدول قد طورت واهتمت بشؤون الجامعات العلمية، والحكومات المتوالية على العراق قد حاربت الحوزة العلمية في النجف الأشرف وشردت العديد من الطلبة، وعاملت العلماء قتلاً وتنكيلاً وحرباً بكل المستويات، إلا أن الحوزة العلمية قد سنحت لها الفرصة في العديد من أيام الهدنة بين الطرفين للأخذ بزمام المبادرة، لتطوير شؤونها أو للاهتمام بأمورها تطويراً وتغييراً إلى الأفضل وما النكبات التي مرت بهذا الصرح العظيم عنك ببعيد إلا أنها خرجت شامخة الهامة مبيضة الجبين .

وقد يكون التطوير لا يتعارض مع أفكار الحكومات أصلاً ، فهل تُعارض الحكومات تدريس اللغات والحاسوب مثلاً، أو تعارض الحكومات استخدام مناهج جديدة ومتطورة لتدريس الفقه والأصول والتفسير والمنطق... وغيرها؟! وهل استطاع المعارضون للحوزة والمعادون لها إيقاف المحاولات المخلصة لتطوير الحوزة العلمية الشريفة كمبادرة الصدر واليعقوبي.

وفي مجال أداء المسؤوليات والعلاقة بالمجتمع : فان النجف الأشرف تحوي اكبر حوزة علمية وينتمي لها في إحصائيات متفاوتة ما بين سبعة آلاف إلى عشرة آلاف طالب وهذا العدد قليل جداً إذا ما قورنت بمسؤولية الحوزة عن الإصلاح والدور المنوط بها للانتقال إلى قيادة العالم، ولا يعرف الكثير ممن هم خارج العراق من النجف إلا أنها اكبر مقبرة للشيعة في العالم، ولكي لا تتحول النجف إلى مدينة للأموات بشكليه الأفقي والعمودي وهي تحوي اشرف جسد طاهر بعد الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، ومنه يشع ضياء العلم وبه يهتدي العلماء.

أما علاقة الحوزة بالمجتمع فهذه من المفردات التي تحتاج إلى المزيد من الكلام، فلم يقل اليعقوبي علاقة المجتمع بالحوزة بل قال علاقة الحوزة بالمجتمع، فكل فرد مجبول على تقدير واحترام من يمد له يد المساعدة بأي شكل كان. فكيف بمن يمد يده لتخليص الناس من الضلالة والعذاب الدنيوي والأخروي، ومن أولى بالحوزة العلمية الشريفة بذلك، ولكي ينقطع الطريق على الضالين الذين يحتزنون السوء في داخلهم في جر المجتمع إلى ما لا تحمد عقباه يجب على الحوزة أن تكون أول المبادرين بطلبها ووكلائها المخلصين ومراجعها الطيبين، وقد كان للشيخ اليعقوبي قصب السبق في التقرب من المجتمع والعيش وسط معاناة الناس وقضاء حاجة المحتاج ومساعدة الفقير وإغاثة الملهوف والانتصاف للمظلوم والتكلم على قدر العقول وإعطاء كل ذي حق حقه والاهم من ذلك كله هو الرفق في التكليف بالمستطاع عبر التكلم بلغة سلسلة يفهمها كل حسب مستواه الفكري مستنطقاً القرآن الكريم في التعامل التدريجي في بث التعاليم حتى لا يكون الإنسان المكلف في مرحلة (أين ومن أنا؟) .

وبالتالي لكي لا يُحمَل المجتمع ما لا يطاق فيترك حتى ما يطاق ... كما احدث بعضهم عند بثه لمفاهيم عرفانية وفلسفية لكل من هب ودب وفي الأسواق حسب تعبير الشيخ اليعقوبي، فحملت الناس بعضاً من أوزار القوم وكانت النتيجة مؤلمة لكل مخلص غيور على دينه ومجتمعه، حتى أسيئ لأعظم الرموز الدينية شأناً وهم قادة الإسلام العظيم .

فكان للشيخ باع طويل في إرساء دعائم المجتمع الصالح عبر منظومة متكاملة عقائدياً وفكرياً وسياسياً وأخلاقياً، التي وسمت بـ(الفقه الاجتماعي) .

والسؤال الثالث: كان نصائح مفيدة يقدمها الشيخ اليعقوبي لطلاب الحوزة

وأشار الشيخ في جوابه إلى كتاب (وصايا ونصائح لطلبة الحوزة الشريفة) وأشار

باختصار إلى أن مقومات شخصية الحوزوي ثلاثة : البعد العلمي والبعد الأخلاقي والبعد الاجتماعي ... ويضيف : لابد أن يجد ويجتهد في المسارات الثلاثة بتوازن فإن أي تقدم في أحدها على حساب الآخر يلزم منه خلل في شخصيته .

وفي الحقيقة فإن هذه الميزات التي ذكرها الشيخ لم تعد خاصة بطلبة الحوزة العلمية الشريفة بقدر ارتباطها بكل من يريد الخير لامته واستلامه ومذهب آل محمد عليهم السلام خصوصاً بعد تطور المواجهة إلى كل الجبهات وكثرة الأعداء على الدين الحنيف ومحاولة الإساءة إلى قاداته ورموزه لإسقاطهم في أعين الناس لكي يكون البديل جاهزاً وهو الانحراف عن كل القيم العليا ، فحري بكل صنوف المجتمع أن تكون لها صفات طلبة العلوم الدينية فالموظف في دائرته والعامل في عمله والبقال في محله والأستاذ مع طلبته وهكذا فبعدها لا يمكن أن نحتاج إلى مزيد من الخسائر للوصول إلى المجتمع الصالح بقيادة المهدي من آل محمد عليهم السلام .

إلا أن اختصاص طلبة الحوزة بهذه الأبعاد من جهة تحملهم المسؤولية أمام الله تبارك وتعالى في هداية الناس ولأن ضلالهم يؤدي إلى هلاك الكثير ممن يسرون خلفهم ، ولا أقل من هذا فإن انحرافهم عن جادة الصواب يؤدي إلى التذمر من الدين بشكل عام ويكونوا مثلاً سيئاً لكل حديث . والعاصم هو الله تبارك وتعالى ويضع الشيخ اليعقوبي أهمية الأمر بدرجة قصوى ليحدد ثلاث أمور من شأنها أن تعصم طالب الحوزة من مزالق المهالك حيث يكون التوازن بينها وقوداً للحركة .

ومن دونه يصبح الإنسان ثرثاراً من حيث لا يشعر وقد يتردى إلى الاقتداء بمثل سيء وهو نتاج اهتمامه بأمر واحد دون الأمور الأخرى ... والنتيجة أنه ابتعد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام ولم يهتد بهداهم ولم يأخذ بطريقتهم .

وفي السؤال الرابع سئل الشيخ عن نصائحه للشباب المؤمن المسلم .

وأحال الجواب إلى كتبه القيمة ومنها كتاب (فقه الجامعات) الذي يخاطب الشباب

الجامعي وهم نخبة شريحة الشباب ولم يخل الجواب من عدة نصائح تصلح كل منها منهاجا متكاملًا لحياة المسلم الواعي ، منها :

١ - العودة إلى الله تبارك وتعالى وتعاليم الإسلام فإنها سر قوتنا والتاريخ يشهد على ذلك

٢- أن يكون الشاب هادفًا في حياته غير لاهٍ ولا عابث ... وان تكون الأهداف التي نسعى من أجلها حقيقية لا وهمية .

٣- الاعتزاز بشخصيتنا الأصيلة التي تحمل الكثير من القيم والأخلاق والمثل التي تثير حسد الغرب وتدفعه إلى أن يكرس كل خبثه ومكره لينزعها منا فنصير أذنباً

٤- التحذير من مكائد الغرب وخططه الخبيثة التي يريد من خلالها استعبادنا وتكريس تبعيتنا له .

٥- أن يفكر بمجتمعه وأمته في الحاضر والمستقبل ويعمل على إعمار الحياة وإنجاحها في جميع نواحيها وهنا يلزم اليعقوبي قائلاً (فلا يقصر أحد في أداء وظيفته ومسؤوليته في أي موقع مفيد كان) .

٦ - تعميق الارتباط بالحوزة الشريفة لأن العلماء حصون الإسلام ومنار الهدى وقد قال عنهم الإمام (عليه السلام) : (فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله ، والراد عليهم كالراد علينا) .

هذه النقاط باختصار مقتضبة من الجواب حول نصائح للشباب المسلم المؤمن ، وفي الحقيقة فقد أولى الإسلام شريحة الشباب اهتماماً بالغاً واعتبرهم هم وقود الحياة الحرة الكريمة ، ابتداءً من رسول الله (ص) الذي ابتدأ بالشباب كعلي (ع) وجعفر (ع) وزيد بن حارثة وغيرهم منشباب مكة .. وهكذا كان الأئمة عليهم السلام يهتمون بالشباب بمقدار ما يسمح لهم الوضع الموجود وقد سار الشيخ اليعقوبي

بسيرة آل محمد (ع) في هذا الأمر ، ولم تكن النقاط أعلاه مجرد أمور نظرية ، بل أوليت اهتماماً بالغاً من قبله وبشكل عملي وابرز الأمثلة على ذلك الدورات السريعة في العطلة الصيفية لطلبة الجامعات - الذي مر ذكره - وهو المشروع الذي ستبقى الحوزة تقطف ثماره كل حين لأنها كانت ناجحة بكل المقاييس وهو ما أدى إلى انتشار الوعي لدى الشباب والتفافهم حوله لأنه القيادة الوحيدة التي كانت في الساحة العراقية قد مدت يد العون للشباب واحتضنهم وكان المتنفس الوحيد بعد الصدر حيث حاصر صدام الناس وأغلق على الشباب كل الخيارات إلا الركوب في سلطته المتعنتة .

ويمتلك الشباب من طاقات كامنة في داخلهم وقد تشل وقتياً أو تضعف حركة الشباب إلا أنها لا يمكن أن يُقضى عليها بشكل تام ، ولا يختلف اثنان على أن كل الثورات المسلحة بغض النظر عن مشروعيتها أو نتائج تلك الثورات قد قامت على عاتق الشباب لا سيما طلبة الجامعات في الثورات المتأخرة كالثورة الفرنسية وفي مصر والعراق وإيران وغيرها .. وفي العديد منها أصبح الشباب عبارة عن محرقة للسياسيين الطامعين في السلطة، لذلك ترى في الفقرة رقم (٥) أن الشيخ اليعقوبي يوجه طاقات الشباب إلى التفكير بأمور المجتمع والأمة في الحاضر والمستقبل وان تعمل شريحة الشباب على إعمار الحياة وإنجاحها بكل النواحي ، وإلزام بعدم التقصير في أداء المسؤولية لان ذلك من التكاليف الإلهية.

والنقاط بمجموعها عبارة عن حصن يحمي الشباب من التيه والتخبط والوقوع في فخ المغريات، لا سيما مكائد الغرب وخططه الخبيثة التي يريد بها أن يسير الشباب والمجتمع عموماً تحت إدارته وتصرفه .

والسؤال الخامس عن كيفية السلوك إلى الله تبارك وتعالى ؟.

يجعل الشيخ اليعقوبي القرآن الكريم وأحاديث المعصومين هما المربيان الرئيسيان

اللذان يغني السطر منهما عن صفحات من كلمات غيرهم ، ويشير اجمالاً إلى البعد الأخلاقي وانه مطلوب من كل مسلم مخلص يريد الوصول إلى الله تبارك وتعالى، ويشير أيضاً إلى مجموعة كتب متدرجة في المستوى أولها : (القلب السليم) ثم (جامع السعادات) و(المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء)

وأمر التدرج في الجانب الأخلاقي يؤكد عليه دائماً ويوليه أهمية كبرى ويؤكد عدم إعطاء هذه الأمور بشكل دفعي من دون مراعاة المستوى الفكري والعلمي للإنسان .

وهنا نلاحظ رشحة فكرية وأخلاقية كان لها الأثر الواضح على حياة الشيخ اليعقوبي وسيرته، وذلك بجعله (القرآن وأحاديث المعصومين) المريان الرئيسيان كما يعبر، وفي هذا الطرح المتميز عدة جوانب ينبغي الالتفات إليها منها :

١ - إن القليل من هذين المصدرين يغني عن الكثير من الذي عند غيرهما ، فعلى الإنسان أن لا يذهب بعيداً بأن يجعل سيرة الأئمة المعصومين ماثلة أمامه ليجسدها في كل شؤون حياته وان تقرر إلى القرآن الكريم .

٢ - يشير الشيخ كثيراً إلى القرآن الكريم وسيرة المعصومين ويعدهما ركيزتين أساسيتين في عملية بناء الذات والمجتمع، والقرآن هو الدستور الإلهي الخالد الذي لا يمكن لأي ثورة إصلاح أن تستغني عنه ، وسيلاحقها الفشل ولو عمت العالم بأسره وملأت العيون بمنجزاتها وصمّت الأذان بضجيجها ولا يكتمل فهم القرآن إلا بصنوه وهم العلماء الراسخون في العلم الذين يمثلون الامتداد الحق لمحمد وآله الكرام .

٣ - يجعل الشيخ القرآن وسيرة المعصومين ميزاناً لكل حركة دينية أو اجتماعية أو سياسية ... فلا نحتاج إلى مزيد من الجهد والعناء في البحث عن القيادة الصالحة فان من أهم ميزاتها هو التآسي بالقرآن والمعصومين والدفاع عنهم والحث على الارتباط

بهم وعدم الفصل بينهما... فالعلاقة الوثيقة بين القرآن والمعصومين من جهة وبين الشخص والحركة من جهة أخرى هي التي تبين الفارق بين خطي (الصالح والإفساد) .

وهنا إشارة مهمة وهي نقصد بالارتباط ليس الكلام فقط بل الارتباط الواعي الذي يقوم على أسس وضوابط لا يمكن أن تزعمها ترهات المتشدين أو تشكيكات المضلين . فربما تستخدم بعض القيادات المتقمصة ألفاظ القرآن وأحاديث المعصومين لتحقيق المآرب التي تصبوا إليها ، ويبقى الحكم الفصل بيد العلماء العارفين بالقرآن والأئمة .

والسؤال السادس جاء فيه : كيف تنظرون لمخططات أعداء الإسلام والمسلمين وترويح كل ما هو مضر للمسلمين، مع توضيحهما والطرق اللازمة للرد عليها ؟

وقبل البدء في استقراء جواب الشيخ ينبغي أن نقر بوعي السائل في نوعية الأسئلة من جهة، وتوجيه السؤال إلى الخبير بشؤون المسلمين ليجد حلاً شافياً وجواباً وافياً، وبعد كل هذا لا يمكن للفرد البسيط أن يحدد التصرف المناسب مع العدو المقابل، فلعل الكثير من تصرفات المسلمين غير المدروسة والعشوائية أمام الغرب وغير المسلمين عموماً قد أنتجت ردة فعل عكسية وخيمة لدى الآخر مما جعل الغرب ينظر إلى المسلمين نظرة ريبة وتوجس، وكل ذلك نتيجة لعدم معرفة التصرف الصحيح الذي يحفظ هبة الإسلام من جهة ويؤثر بالمقابل من جهة أخرى ، ونذكر هنا مثلاً ذكره الشيخ وهو أن الخطيب الحسيني من غير المناسب أن يذكر أن الإمام الحسين (عليه السلام) قد قاتل يزيد لأنه شارب خمر ويلعب القردة لأنهم لا يرون ضيراً في شرب الخمر ولا تخلوا موائداهم منه ويهتمون بالكلاب والقردة ويزينونها أكثر من يزيد نفسه... والمناسب أن يذكر أن يزيد قد صادر الحريات وأصبح دكتاتوراً في حكمه مستبداً في رأيه فهم يستهجنون مثل هذه الأمور ويرونها غير مقبولة في ظل

الأنظمة الديمقراطية .

وقد ألف الشيخ يعقوبي كتاباً سماه (نحن والغرب) ناقش فيه أسس النظام الاجتماعي في ظل الإسلام المستند إلى القرآن والسنة الشريفة مقارنة بالنظام الغربي الذي ابتكره الإنسان الذي لا يعرف أين مصلحة نفسه فكيف يحدد نظاماً للآخرين لتعيش الأمم والشعوب في ظله !.

ونوه الشيخ في استفتاءات عديدة بهذه الأساليب منها (احذروا الصناعات المستوردة) و(الحجاب الفرنسي) و (عصير الشعير المسمى بالبيرة الإسلامية) .

و(الخلاصة إنهم يريدون أن يعطونا أسوأ ما عندهم ويأخذوا منا أحسن ما عندنا فهل صفقة أخسر من هذه ؟! والمسلم الواعي يكون في حذر منهم في كل شيء ويتسلح بالقرآن وتعاليم الإسلام في مواجهة ما يفعلون) .

والسؤال الأخير هو عن التجريح برجال الدين ومن يحاول شق عصا المسلمين بهذا الكلام غير اللائق . ويطلب السائل النصيحة لهم ؟.

بعد التذكير بمنزلة العلماء الرفيعة في القرآن والسنة الشريفة وذم الجهلة ، يدق الشيخ يعقوبي جرس الانتباه على عدة نقاط مهمة :

النقطة الأولى : إن أية أمة بلا علماء تكون كالغنم بلا راع فهم يرشدونها ويهدونها إلى الطريق الصحيح وتحملون التضحيات من أجلهم من دون أن يتوقعوا من الأمة جزاء ولا شكورا (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) .

النقطة الثانية : إن هذا التسقيط للعلماء واحدة من خطط الكفار لفصل الأمة عن علمائها حتى تضل وتتيه ...

النقطة الثالثة : إن هذا التشويه والتسقيط للعلماء والافتراء عليهم ونسج الأكاذيب

عنهم لا يمكن أن ينظلي إلا على الجهلة والسذج من أبناء المجتمع والشاهد القرآن :
(وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ).

النقطة الرابعة : إن هذه الخطة ليست جديدة فقد حاولوا تشويه صورة رسول الله (ص) لينفض المسلمون من حوله حتى اتهموه بشرفه فنزلت سورة النور لتخبر عن حديث الأفك والدفاع عن شرف رسول الله (ص) ، واتهموا أمير المؤمنين (ع) انه لا يصلي فشاء الله أن يستشهد علي (ع) في المسجد وهو ينادي للصلاة لتتوجه صفعة إلى أولئك المنافقين.

النقطة الخامسة : لكن لماذا لا نعرف عظمة علمائنا إلا بعد موتهم؟ وماذا ينفع الندم؟ فنصر على تكرار الخطأ والمفروض أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ...

وبهذا الفصل (الأمة وعلمائها) يبدأ المشهد الآخر وهو البديل المعد في كواليس الخيانة ليعمل بتوجيه الأمة إلى حيث يريد أسياده ، إلا أن كشف مثل هذه الألاعيب من قبل القيادة المخلصة مما له الأثر الكبير في التقليل من حجم الهجمة ضد العلماء. إلا أن المشكلة في أبناء المجتمع الإسلامي نفسه فكيف يصدون الإشاعات ضد العلماء؟ ، ودأب الشيخ اليعقوبي في خطاباته أن يضمونها بعض الأمثلة من حياة الرسول محمد (ص) والأئمة المعصومين فقد أورد مثالين لأبرز شخصيات الإسلام وهما محمد وعلي (صلى الله عليهما وسلم) وما تعرضا له ليتأسى بهما العاملون إن تعرضوا للتجريح والتسقيط ولكي لا ييأس الناس وذلك بالنظر إلى أسوة الإنسانية العظيم محمد (ص): (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب ٢١.

وربما لم تستوف هذه الأجوبة حقها من الكلام وذلك بالنظر إلى زمن صدورها (١٤ شوال ١٤٢٢ هـ) أو بالنسبة إلى عنوانها (الحوزة والمجتمع) الذي يحتاج ما هو أكثر من هذا بكثير، وهذه دعوة للتاريخ لإنصاف أهل العلم والفضيلة وإعطاء كل ذي حق

حقه، وحق العالم على المتعلم (المجتمع) من أعظم الحقوق والرد إلى العلماء سنة العقلاء ، وكفى الله العلماء باليعقوبي

بعض المخالفات في عمل وكلاء الحصة التموينية

شكلت الحصة التموينية الذراع الاقتصادي الأهم للعائلة العراقية، ولا يخفى على من عاش أيام المحنة والحصار في العراق كيف أن الحصة التموينية أثرت تأثيراً أساسياً في اقتصاد العائلة العراقية. وقد وصل الأمر ببعض العوائل إلى أن تباع بعض مفرداتها، بل وصل الأمر إلى بيع الصفائح المعدنية التي يوضع بها زيت الطعام، أو الكيس الذي يوضع به الدقيق لتشتري بثلثها أشياء أخرى، كملايس لأولادهم المنتظمين في المدارس أو أشياء أخرى. وهذه المرة تُعرض المسألة من جهة المواطن الذي يتضرر من بعض الممارسات الخاطئة لوكلاء الحصة التموينية، إذ يقوم بعض منهم باستبدال المواد الجيدة بالمواد الرديئة بالاتفاق مع بعض التجار، أو يقوم الوكيل بالبخس بالميزان، أو فرض أسعار مقابل بعض حقوق المواطن

وينبه الشيخ اليعقوبي على أكثر من تصرف منحرف ومخالف للشريعة :

الأول : لا يحق للوكيل تبديل المواد ، لأنه لا يمثل سوى واسطة لإيصال استحقاق المواطن .

الثاني : واضح من القرآن الكريم إن التطفيف والبخس في الميزان من المعاصي التي تستوجب نار جهنم (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَيَلْ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

الثالث : إعطاء الناس حقوقهم ، من دون أي تلاعب .

وتبعتها موعظة صادرة من قلب رحيم بالمؤمنين رؤوف بهم ، تذكر أن ما بعد الإسلام وتعاليمه إلا النكد والضياع والخزي والعذاب في الآخرة .

وكان تاريخ هذا الاستفتاء ١٦/جماد الأولى /١٤٢٢ هـ...والظاهر بعد وصول هذا الاستفتاء إلى المجتمع لاسيما الوكلاء قد تحركت الضمائر الخيرة واثبه الكثير منهم فرفعوا استفتاء آخر إلى اليعقوبي بتاريخ ٢/ذي القعدة /١٤٢٢ هـ تناولوا فيه الكثير من القضايا التي تمس عملهم .وسيتم عرض هذا الاستفتاء بشكل تفصيلي في الموضوع الذي يليه ، وهذا يدل على أمور :

الأول : وصول صوت الحوزة العلمية الشريفة إلى اغلب الناس بسرعة عالية ، وواضح إن الاستجابة حاصلة في الانتهاء عن المخالفات التي يقوم بها الوكلاء وان دل على شيء فانه يدل على وعي المجتمع وكل فئة للتكليف الشرعي الواجب عليها. وسماع اغلب فئات المجتمع العراقي إلى نصائح وأحكام اليعقوبي .

الثاني : هنا يظهر الأثر الواضح للتقسيم الفني للمجتمع العراقي عند اليعقوبي وحسب الفئات (كسائقي سيارات الأجرة ، وهواة الطيور ، وطلبة الجامعات ، ووكلاء الحصة التموينية ،.....) ، فقد تحصل الاستجابة الفعلية من بعضهم ويقوم هؤلاء بدورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة وطمعاً بالأجر والثواب من جهة أخرى ، في هداية الآخرين وبقيناً أن ابن المجتمع اعرف بدائه ودوائه ، وبهذا تعم الأحكام الشرعية إلى اغلب الناس ، وبالتالي فان كل فئة تمثل لبنة في بناء الإسلام العظيم . وهذه هي تطبيق نظرية (الفقه الاجتماعي) وثمار تطبيقها التي أرسى قواعدها الشيخ اليعقوبي.

الثالث : يلاحظ جلياً من الأسئلة المقدمة للشيخ اليعقوبي على تنوعها وكثرتها انه الوحيد الذي كان يجب على الاستفتاءات ويستمع إلى هموم المجتمع ويقضي حوائجهم ، ولم يكن أي متصدٍ لزعامة الناس وإدارة شؤونهم ، بعد الصدر غيره

وكلاء الحصة التموينية

لقد حاصر نظام صدام المشؤوم المجتمع العراقي بشتى أنواع المحن، وكان من أقساها الجوع والحرمان ومن ابسط حقوق العيش، وكبل الناس في رغيف خبزهم، وذلك لإذلال الناس وجعلهم تابعين له ولنظامه المتغطرس، فكان نظام الحصة التموينية لمعالجة الحصار الاقتصادي على العراق أبان تسعينيات القرن الماضي الذي فرضته دول الاستكبار متحججين بأنه حصار على النظام ، إلا أن الذي حصل أن النظام كان من اكبر المستفيدين منه إذ كرس سياسة الجوع على المجتمع لتثبيت أركان نظامه بالقهر والقوة وبالمقابل كان يتمتع هو وحاشيته بما لذ وطاب ، وقد يهدد من يعارض النظام أو من لا يطيع أزام النظام خصوصاً الالتحاق الإجباري بالخدمة العسكرية يُهدد بقطع الحصة التموينية بالكامل عنه وعن عائلته وقد مورست هذه المسألة مع العديد من الناس ، مما يجبرهم بوجه أو آخر على تنفيذ الأوامر الصادرة من عصابة الحزب والسلطة، ولم يكن أمام الناس إلا العيش بأمل أن يخلصهم الله تعالى، حتى بعث الصدر لتدب الحياة في جسدٍ قد نخرته الحروب والجوع والفقر والمرض ... لتفهم الناس أن العيش الحقيقي مع الله تعالى والمعصومين (ع) وليس على فتات الظلمة ، الذين هم أولاً واخراً إلى زوال ، بل إلى مزبلة التاريخ رغم أنوفهم ، وكان الشيخ اليعقوبي رفيق الصدر الأوحده مواكباً لكل الأحداث التي مرت على الشعب العراقي مكملاً مسيرة الوعي بعد أستاذه الصدر ليستعيد الشعب مجده بالإمام

المهدي (عج) .

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة الخطبة الثالثة : (وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم) ، فقد كان الشيخ يعقوبي من أكمل من تنطبق عليه هذه الصفة ، ودعا إلى إنصاف الناس في كل شيء وعدم التماذي في الغي فانه لا يرجع إلا بالوبال على صاحبه

وهنا يستعرض وكلاء الحصة التموينية أسئلة إبتلائية يلتمسون الجواب عليها :

س١ : حكم الظروف التي توضع فيها المواد ، كالصفحة المعدنية (التنكة) والأكياس والكارتون ؟

س٢ : يستلم الوكيل (عادة) كمية من الطحين جيدة وأخرى رديئة بنسب متفاوتة، والسؤال ماهي كيفية توزيع الطحين على الناس ؟

س٣ : (يجبر) الوكيل احياناً على استلام بعض المواد التالفة، هل يجوز توزيع المواد على المستهلكين مع عدم إعلامهم؟.

س٤ : يرد نقص في بعض المواد من الموزع الرئيسي ويقع الضرر على الوكيل، هل يجوز للوكيل أن يستقطع النقص من الفرد دون علمه؟ ، وهل يجوز له تعويض النقص بشراء مواد رديئة اقل ثمناً وتوزيعه على المستهلك ؟.

س٦ : يعلم الوكيل اجمالاً أن وزن كيس الطحين (٥٠) كغم ، فإذا كانت حصة عائلة ما (٤٥) كغم هل يجوز له أن يرفع ٥ كغم ويعطي الباقي للعائلة ؟.

يجيب الشيخ على هذه الأسئلة تفصيلاً ، وتعمل قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) عملها هنا فالشريعة الإسلامية لا يمكن أن تقبل باستفادة شخص على حساب ضرر الآخرين ..

ونذكر هنا أن بعض هذه الأسئلة يفهم منه اعتراض على النظام ، خصوصاً أن تناول مثل هذه المواضيع مما تعده الحكومة مساساً بشأنها الداخلي ، أو يعدوه إخلالاً بالنظام . ويذكر السائل بعض الأمور منها أن مخازن الحكومة الرئيسة تقوم بتوزيع مواد رديئة على الناس ، أو إجبار الوكيل على استلام مواد تالفة ، أو إعطائهم نقص أحياناً

إلا أن الشيخ يجيب بكل رحابة صدر لعلمه اليقين بنقطتين أساسيتين :

النقطة الأولى : إن هذا الأمر مما له الأثر الواضح على حياة الناس ، فلا يمكن ترك الأمور على عواهنها أو مثل هذه الأسئلة بلا جواب.

النقطة الثانية : يدخل الجواب ضمن وظيفة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، والنبي (صلى الله عليه وآله) يقول : (من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الأرض وخليفة رسوله) . وإن أمير المؤمنين عليه السلام يقول : (من أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين ، من نهى عن المنكر أرغم أنوف الفاسقين) ، ويقول : (أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

والجواب يتلخص في عدة نواحي :

أولاً : أن يستوفي الناس حصصهم بالكامل ، وتسلم لهم الظروف (كالأكياس ، والصفائح - التنكة) عند استحقاقهم لها .

ثانياً : لا يتصرف الوكيل فيما جهز به من المخازن ، ويوزع من النوعية نفسها التي استلمها على وفق قاعدة معينة .

ثالثاً : لا بد من إعلام الناس بالمواد التالفة ، عند توزيعها عليهم .

رابعاً : لابد من عدالة التوزيع وإنصاف الناس من نفسك فحب لهم ما تحب لنفسك

واكره لهم ما تكره لها .

ومجدداً تُثبت الشريعة أن فيها كل ما يحتاجه الإنسان من أحكام حتى حكم (صفحة معدنية) (تنكة) ، لا تسمن ولا تغني من جوع .

ورد عن الصادق (عليه السلام) يقول : (ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حد كحد الدار ، فما كان من الطريق فهو من الطريق ، وما كان من الدار فهو من الدار حتى أرش الخدش فما سواه).

ويقول عليه السلام : (ما من شئ إلا وفيه كتاب أو سنة) (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأُرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) لقمان ١١.

أحكام التعامل مع الغجري

يتمتحن الناس شتى أنواع المهن والأعمال ، وكلٌ حسب معرفته وما قدر له من أسباب الرزق ، التي بها يحفظ ماء الوجه من ذل السؤال والاستجداء وقد أمرنا الله تعالى بالعمل والكدح وطلب الرزق الحلال ، إلا أن تسويلات الشيطان والنفس الأمارة بالسوء تحرف الإنسان عن طريق الحق في طلب الرزق ، فيمتحن البعض مهناً وضيعة كالسرقة وبيع المحرمات أو التعامل بالربا أو العمل مع الغجر ... وغيرها ، وتشجع الناس على مثل هذه التصرفات عندما لا تجد رادعاً من المجتمع الإسلامي أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، خصوصاً إن كانت الحكومات كحكومة صدام تميل وتشجع على هذه الأعمال والمهم عندهم أن تبقى حكوماتهم متسلطة على رقاب الناس ... والمشكلة تتعقد عندما يمتحن فئة كاملة من الناس مثل هذه المهن ، فيوجد التنافس والابتكارات وتنوع الأساليب ، مقابل ثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة.

ومن هذه الفئات الغجر وقد كلمهم الصدر في خطب الجمعة ودعاهم إلى الهداية وترك المنكرات ، ولفت أنظار المجتمع إلى أعمالهم وما يقومون به من غواية للناس وإلى الخطر القادم من الفئات الضالة ...

ويستفسر السائل في هذا الاستفتاء من الشيخ العقوبي عن أحكام التعامل مع الغجري :

- عن صحة البيع والشراء أو الدخول بعقد (شركة) مع الغجر .
 - حكم من يتعامل مع الغجر ، أو ما يسمون (السماسة).
 - حكم سائق سيارة الأجرة ، إذا كان يجهل بهم ؟ وإذا كان يعلم بهم . هل يجوز التشهير به ؟ .
 - ما قول الشريعة بمن يجلب الغجر ليلة زفافه للرقص والغناء ؟.
 - ما حكم الزواج من الغجرية إن تابت ؟ بدون إذن ولي أمرها.
 - يلجأ البعض إلى رفع أسعار المواد إلى أضعاف عندما يريد أن يشتري منه الغجري ، حتى لا يشتري الغجري منه ؟.
- ينقسم جواب الشيخ في التعامل مع الغجر على حكمين شرعيين :
- أولهما : التعامل مع الغجر نفسه .
 - والثاني : حكم المال المأخوذ منهم .
- وينضبط حكم التعامل مع الغجري - أي تعامل - في ضمن إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويراعى فيه مراتب الأمر بالإرشاد والتوجيه ثم المقاطعة.

أما حكم الأموال المأخوذة منه فإن كان كسبه منحصرأً بالحرام فالأموال المأخوذة منه سحت ، يجب دفعها بعنوان (رد مظالم) .

ومن هذه القواعد العامة التي أجلاها الشيخ اليعقوبي تبين أحكام التعامل معهم، وهناك عدة نقاشات ترد في الجواب تستحق الالتفات منها :

يوجه الشيخ العتب واللوم على من يستطيع أن يوصل إليهم صوت الهداية والصلاح فيقصر في ذلك . لاعتقاده أنهم قرييون من التوبة لو دعوا إليها لأنهم سلكوا الطريق جهلاً ، ولعدم وضوح الحق أمامهم إذ فتحوا أعينهم على هذا الجو المحيط بهم ولم يمتلكوا الأدوات المناسبة لتصحيح مسلكهم في الحياة ... فكم فئة اليوم في العالم على هذا النحو؟ فضلاً عن وجودها في المجتمع الإسلامي ! ، ولا تمد لهم يد العون في الهداية والتوبة والعودة إلى الله تبارك وتعالى وإلى تعاليم الإسلام العظيم ، وهنا يحمل الشيخ اليعقوبي المسؤولية على كل قادر عليها ليؤديها ويخرج من دائرة لوم وعتاب الدنيا قبل الآخرة ... وهذه هي نظرة الرحمة الإلهية إلى كل مخلوقات الله تعالى تمد حتى إلى من يعصي الله سرأً وإعلاناً وهم العجر في سبيل الهداية والصلاح وثواب الآخرة ..

يقول الشيخ : (إذا وصل منهم مال محرم فيجب دفعه بعنوان (رد مظالم) إلى الحاكم الشرعي أو توزيعه على الفقراء المؤمنين) ، ويؤكد على أمر رد المظالم في هذا الاستفتاء . يأمر الفقهاء بوجوب رد المظالم إلى الحاكم الشرعي عند اختلاط المال الحلال بالحرام ويأذن الحاكم الشرعي بصرف منه للفقراء المؤمنين لأنها أموال متعلقة بالذمة ، ورد المظالم مخالفة للظالم وإنصاف المظلوم من الظالم . ولأن العجري والمتعامل معه قد ظلم نفسه وأمتة بهذا العمل وجب عليه الحكم السابق . يقول الشيخ المنتظري في كتاب (نظام الحكم في الإسلام) ص ٢١٧:

(وأنت إذا تتبعت كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) تجد عنايته واهتمامه كثيرا إلى رد المظالم وإحقاق الحقوق ، فهو (عليه السلام) بعد تصديه للخلافة رد على المسلمين ما أقطعه عثمان من أموالهم ، وقال : " والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإمام لرددته ، فإن في العدل سعة " . وأنت تعلم أن أكثر المظالم الكبيرة تقع من خاصة السلاطين وعمالهم بالاستناد إليه والقرب منه) .

عزوف أولياء الأمور عن إرسال أبنائهم إلى المدارس

كان لتفاقم المشاكل على المجتمع العراقي كالفقر وكبت الحريات في تفاقم الجهل ، واليأس من التعليم بعد أن فقد أصحاب الخبرات والشهادات هيبته ، فلا مكان لهم حيث يجب أن يكونوا ، ولو وصلوا الى الوظائف التي تتناسب مع شهاداتهم لما وجدوا في رواتبهم الشهرية ما يكفيهم وعوائلهم لأيام قليلة ، وحاصر الطغاة كل من يريد الإصلاح ، ودخل الناس في نفق مظلم لامظنة للخروج منه ، ومن الانعكاسات السلبية التي خلفتها هذه الأمور اليأس من التعليم وان لا فائدة من الذهاب إلى المدارس ... علماً أن نظام التعليم في العراق هو النظام الإلزامي إلا أن سياسة الجهل عند صدام وجلاوزته قد أهملت هذا الجانب بعد أن استفرغته لصالحها . وبعد ذلك خصوصاً بعد الحرب الإيرانية العراقية وغزو الكويت ظهرت حالات التسيب لدى طلبة المدارس وأهمل التعليم بشكل واضح . والمحصلة من تعمد الإهمال نشوء أجيال من الجهلة الذين لم يستطيعوا إكمال دراستهم . فكانت الخدمة العسكرية الإلزامية بالمرصاد ، فأصبح هناك جيش كبير لدى النظام المقبور . وهذا ما يعنون به عسكرة المجتمع . فالإهمال المقصود ومخالفة ما كانوا يعلنون من أن التعليم إلزامي كان قصدهم منه الأساسي إنشاء جيش شاب تتراوح أعمارهم بين ١٨ - ٢١ ولعله يزيد قليلا . فالذي يتخلف عن الخدمة العسكرية يلاحق وقد فرضوا

عليه قوانين مجحفة ومذلة كقطع الإذن أو الأحكام بالسجن لمدة طويلة وقطع الحصة التموينية ومداومة البيوت في أي وقت شاؤوا، لكن الذي يتخلف عن الدراسة لا يُسأل ولا يحاسب في حين أن يكون كلاهما إلزاميين.

هذه القضايا وغيرها الكثير كانت ماثلة أمام أنظار الشيخ يعقوبي ، وكان للواعين من أبناء المجتمع الجد والاجتهاد في اقتناص الأخطار المحدقة بالمجتمع وعرضها أمامه لأنه (حجة الإسلام وثقة المسلمين) كما يعبر السائل عادة، وذلك ليجد الحلول الناجعة التي تنفع المجتمع ...

ومن المشاكل امتناع العوائل عن تسجيل أبنائهم في المدارس (بمجة أن المدرسة والشهادة لا تفيد)، والمشكلة الأخرى أن أولياء الأمور يجبرون أولادهم على ترك المدرسة لأجل العمل والتكسب... ومن الظواهر الأخرى عدم إرسال البنات إلى المدرسة.

وهذه مقتطفات من أجوبة الشيخ :

- على المثقف الواعي أن يؤدي الأمانة الملقاة على عاتقه وان لا يقصر فيها من أجل عناوين وأعدار تافهة لا تنفعه يوم يقوم بين يدي الله تعالى فيعاتبه النبي (ص) على تقصيره وخيائته لهذا المجتمع المسكين الذي يحبه رسول الله (ص) وأفنى حياته من أجله ويتألم لأي أذى يصيبه (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) ، وإن هذا المجتمع يستحق كل خير وسيكون بعين الله تعالى كل ما يفعله المخلصون وسيجزئهم الله خير جزاء المحسنين.

- هل بالجهل والتخلف والتردي نستعد لظهور الإمام المهدي (أرواحنا له الفداء)؟ ماذا يستفيد منا ونحن بهذا الحال فيستبدل بنا غيرنا وهذه نتيجة مؤلمة إن لم تكن النتيجة أكثر إيلاماً بأن نقف في وجهه وضده بسبب جهلنا وقصورنا وتقصيرنا ...

- إن المجتمع يحتاج إلى الطبيب والمهندس والمعلم ومختلف الاختصاصات الأخرى، ولا يمكن أن تحصل إلا عن طريق المدارس .

- إن هذه العلوم والشهادات لا تطلب لنفسها وإنما تطلب لأنها وسيلة لتقويم الحياة وتصحيح الرؤية واستقامة السلوك فسواء عمل بشهادته أو لم يعمل فإن هذه النتيجة تتحقق له .

- إن المتعلم والمثقف وحامل الشهادة يكون قريباً إلى الإيمان والطاعة والالتزام الديني أكثر من غيره .

الحوزة والعشائر

مقدمة كتبها الشيخ اليعقوبي سنة ١٤١٧ هـ لكتاب (فقه العشائر) وهو مجموعة مسائل تخص العشائر أجاب عنها الشهيد الصدر :

التجمعات العشائرية من ميزات المجتمعات العربية في شبه الجزيرة العربية إذ يجتمع الأفراد الذين ينتمون لجد واحد في تجمع قبلي وذلك لظروف كثيرة دفعتهم إلى هذا التصرف ، منها درء الأخطار والأعداء ومواجهة الغارات والغزوات التي تحصل بينهم ويتأسس هذه التجمعات رئيس وهو (شيخ القبيلة) وذلك لإدارة شؤون قبيلته الذي تكون سلطته فوق الجميع وتنفذ أوامره من دون تردد ، وكان لهذا النظام إيجابيات كثيرة وأخرى سلبية وهو بحد ذاته تفكير منطقي للتعامل الاجتماعي. وقد بقيت هذه التجمعات محافظة على هيبتها في العراق، وكان لعشائر العراق دور مشرف في مواجهة الغزوات على العراق والدفاع عن عزته وكرامته ووحدته كما حصل في طرد الاحتلال الفارسي من العراق بقيادة المشن بن حارث الشيباني وتوالت المفاخر حتى الوقوف المشرف بوجه الاحتلال البريطاني فقاموا بالمؤازرة

وبأمر من الحوزة العلمية في النجف الأشرف بثورة العشرين ... إلا أن المطلوب من هذه العشائر الكثير على الرغم مما قدموه ، وأهمها هو تهذيب العرف العشائري لينسجم مع الشريعة الإسلامية، ويغني كلام الشيخ :

- الهدف من تصنيف البشر إلى شعوب مختلفة وقبائل متنوعة بالملامح واللغات والتقاليد هو التعرف بينهم، أي ليعرف كل إنسان بسماته وخصائصه المميزة له ... وان أساس التفاضل هو القرب من الله تبارك وتعالى وتقواه وبهذا المعيار ينظر الإسلام فتراه يرفع سلمان الفارسي ويجعله من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وبالمقابل تنزل سورة كاملة في القرآن الكريم بدم (أبي لهب) عم الرسول (ص) .. ولنا عبرة في قصة النبي نوح وولده .

- يجب على كل من يسلم قيادته لأحد أو يدخل في طاعة أحد ومتابعته أن يراقبه فإن كان في طاعة الله سبحانه سار معه وإلا نبذه وتحلف عنه ، فانه كفرعون يقدم قومه فأوردهم النار.

- العجيب أن نرى قوة في تطبيق الأنظمة العشائرية اشد من قوة الشريعة ، فيرضخ لها الإنسان وينصاع لها وإن كان في معصية الله سبحانه.

- (لا يجوز أن يكون ضغط العرف العشائري أكثر من الوازع الديني بل يجب تهذيب وتعديل هذا العرف بما ينسجم مع الشريعة وان الشيطان ليوحي إلى أوليائه بأنه النار ولا العار والإمام الحسين (ع) يقول "العار أولى من دخول النار" على انه ليس في تطبيق الشريعة أي عار بل العار في مخالفتها والشرف في الالتزام بها)

- نصيحة لرؤساء العشائر أن لا تغرهم هذه الرئاسة فقد حذرنا الأئمة من تولي رئاسة مجموعة من الناس مهما كانت قليلة لأنه يطول موقفه يوم القيامة ويسئل عن كل صغيرة وكبيرة.... وليقم بواجبها وليضاعف الحذر أمام الله سبحانه وتعالى

وليكن على معرفة تامة بأحكام الشريعة لكي لا يقع في مخالفتها ويجب أن يكون واسع الصدر رحيماً، رؤوفاً بالناس يقبل العذر . ليكون جامعاً لشتى الخصال النفسية الحميدة.

تصرفات منحرفة في معاملات السوق (المقدمة) :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ {الصف ١٠.

ولتحديد ديانة بلد ما تُتخذ مجموعة من الدلائل كالمقابر ودور العبادة أو غيرها، وان السوق من أهم الدلائل التي تحدد ديانة البلد والتزام أهله بمعتقداتهم ومدى ثقافتهم ووعيهم، وأصبحت اليوم السوق قياساً لتطور البلدان في جميع نواحي الحياة ، بالأخص التي توفر أسباب الراحة وكل ما يحتاج المرء في حياته اليومية .

ولسوق المسلمين مجموعة من الأحكام تناولها الفقهاء في كتبهم من أهمها (قاعدة سوق المسلمين) التي يتفرع عنها مجموعة من الأحكام ، منها : (ما يباع في سوق المسلمين فهو ذكي حلال إذا لم يعلم حاله) ، ففي الحديث الشريف : (كل إذا كان ذلك في سوق المسلمين ولا تسأل عنه) ، وعن أبي عبد الله (عليه السلام) ، قال : قال : أمير المؤمنين (عليه السلام) : (سوق المسلمين كمسجدهم فمن سبق إلى مكان فهو أحق به إلى الليل وكان لا يأخذ على بيوت السوق كراء).

وبهذا فان سوق البلاد غير الإسلامية لا يمكن أن تنطبق عليه أحكام سوق المسلمين ، والسوق محل لتجمع أهل البلد بين بائع ومشترى ومرتقب لعمل وطالب لرزق وبمختلف أعمارهم وأجناسهم، ويبقى السوق هو المحل الوحيد لتجمع مختلف الناس والفئات بخلاف الدوائر مثلاً التي لا يدخلها إلا مراجع لعمل .. أو المستشفى الذي لا يدخله إلا المريض ..

والمسؤولية اليوم اكبر على الفقه الإسلامي في حل معضلات التعاملات التجارية العملاقة ، من بيع الأسهم والأرصدة إلى مختلف أنواع المضاربات التجارية ، فان السوق اليوم لم يقتصر على بيع الخضر والفواكه .وتعتبر أحكام البيع من أعقد الأحكام الشرعية لتشعبها وكثرة تفاصيلها وان تناول الشيخ يعقوبي لها، إنما يدل على تضلعه في الفقه الإسلامي وتلاحظ دقته جلية في كتاباته وكثرة تفرعاتها وندرة قدحها في ذهن غيره عاملاً بمنهج أمير المؤمنين (ع) الذي كان يطوف في أسواق الكوفة يعظ التجار وأصحاب الحرف ويعلمهم الأحكام ويهدد المخالفين ... فنعم المتأسي وأنعم وأكرم بالمتأسي به.

ومحل الكلام أن العمل في السوق قد يكون مدعاة لكثير من التعاملات المحرمة كالربا والغش والتدليس ونقص الميزان وغيرها الكثير من تسويلات الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، ينبه عليها يعقوبي في كتاب (فقه السوق) وهذه الورقة مستلة من ذلك الكتاب ، ليكون حقاً (سوق المسلمين كمسجدهم) عامراً بالأحكام الشرعية، ودالاً على إتباع الإسلام ومرضاة الله تعالى ، وتحويل التجارة الى تجارة مع الله تعالى التي لن تبور (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرِجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ {فاطر ٢٩}) :

١. (بيع الآجل ليس ربا) : اشتهر بين الناس أن البيع بسعرين باطل فان عين سعراً نقداً وآخر أزيد منه مؤجلاً أو بالأقساط فالبيع باطل ، والصحيح أن البطلان للجهالة الحاصلة في التردد ، لذلك لو حسم المتبايعان المعاملة على احد الشككين أما النقدي أو المؤجل فان المعاملة صحيحة .
وليس من الربا لان الربا يؤخذ على المال وهنا أخذت الزيادة على المبيع ، والبيع المؤجل مشروع (للاجل قسط من الثمن).

٢. (يكره الربح على المؤمنين) : كثر بين أهل السوق محاولة حلب أموال الطرف الآخر بأقصى ما يمكن ، فالحاجة التي تستحق مئة يسومونها بخمسمائة ليستغفل المشتري ، ويعدونه شطارة وذكاء ، وهذا غبن ، وغبن المسلم حرام ، فلا يقعون في الحرام ولا يسمحوا للعرف الشيطاني أن يضغط عليهم ويدفعهم إلى مخالفة الشرع...

٣. (شركة الأبدان) وهي معاملة باطلة ، والمقصود بهذا العنوان أن يتفق شخصان على أن يدخلوا عملاً سوية وحين ينجزانه يتقاسمان أجور العمل ، وهذا اتفاق غير ملزم ، والصحيح احتساب العمل المنجز وذره ويأخذ كل منهما أجراً مساو لما أنجز ..

٤. (البائع المباشر وكيل عن المشتري) : يأتي شخص ليشتري حاجة معينة وهي غير موجودة عند صاحب المحل فيأتي بها من محل آخر ، هنا حالتان : الأولى : البائع المباشر بمثابة وكيل عن المشتري فلا يحق له أن يفرض سعراً جديداً بل يبلغه بذلك السعر نفسه. وللبائع المباشر أن يأخذ من المشتري عمولة على التوسط بعملية البيع بحسب ما يحدده عرف أهل السوق .

الثانية : إن يشتريها البائع المباشر لنفسه ثم يبيعها على المشتري بما يشاء.

والفرق بين العمليتين في الأولى لا يحق للمشتري أن يعرض عن الشراء بعدما جلب البائع هذه الحاجة . أما الثانية فللمشتري حق الإعراض ، ولا يحق لصاحب المحل إلزام المشتري بالشراء لأنه لم يشتريها له بل لنفسه.

(من غشنا فليس منا) وجود الغش بكثرة في السوق وهذا واقع مؤسف في بلاد المسلمين ، وهذا العمل بالإضافة إلى حرمة فان له مردوات سلبية في المجتمع من حيث فقدان الثقة بالباعة وحصول المشاكل والخصومات بعد ظهور الغش مما يقلل من الرغبة في إجراء المعاملات التجارية ويضر بالتالي بالوضع الاقتصادي للسوق .

٥. (الخمس فريضة واجبة) : كوجوب الصلاة والصوم وتاركها يكون ممن حبس حقوق الله وهو من الكبائر ، وهذا الحكم له جهتان : الأولى : الوجوب الملقى على كل احد بأن يراجع العلماء أو وكلائهم لحساب ما بذمهم من خمس وإجراء المصالحة معهم.

الثانية : كيفية التعامل مع غير الخمسين - وهم كثيرون في السوق - فان هذا التعامل ممنوع ما لم يأذن الحاكم الشرعي به لتعلق حق الله تعالى به ، فيكون المتصرف بأموال غير خمسة متصرفاً بحق غيره وهم مستحقو الخمس ويكون غصباً محرماً .

ونحن نقول هنا يؤذن بالتعامل مع غير الخمسين لان اجتنابهم يوجب الحرج وتعطيل الحالة الاقتصادية ، ولكن بالشروط الآتية :

١ - أن يكون الشخص المتعامل معهم أي الذي نأذن له ممن له رأس سنة خمسية.

٢ - أن يكون كسب الطرف الآخر (غير الخمس) حلالاً بغض النظر عن عدم دفعه الخمس .

٣ - إن كانت المعاملة على نحو المعاوضة كالبيع والشراء والاقتراض والإقراض والإجارة فليس عليه خمس فوري وان كانت المعاملة على نحو المحاباة كالهديّة والمساعدة فيخمس المال الواصل إليه فوراً .

يُقدر الشيخ اليعقوبي في هذه النقطة حالتين ناتجة من المنع في التعامل مع غير الخمس هذا الأولى : (الحرج) ويعتبر الحرج من موارد التشكيك وتقدير الحالة ينبغي أن يرجع إلى ذوي الاختصاص إلا أن المرجعية لها كامل الحق في تحديده ، وأحياناً تسول النفس لصاحبها ارتكاب الخطأ تحت عناوين متعددة منها عنوان الحرج ... لذا ينبغي عدم التغافل وإرجاع الأمر إلى ذوي الاختصاص .

أما الثانية : تعطيل الحياة الاقتصادية هكذا ينظر الشيخ إلى الأمور التي تحيط بالحكم الشرعي فعندما يصبح في تطبيق الحكم الشرعي تعطيل من جهة أخرى، عندها تظهر الكفاءة في إيجاد المخرج الشرعي الذي يؤمن الخلاص فلا إفراط ولا تفريط لكن امر بين أمرين .. ويبقى حكم الله تعالى قائماً والترخيص لا يكون إلا بتطبيق النقاط الثلاثة أعلاه.

٦. (السحت) : وهو الكسب المحرم والعياذ بالله كتجارة الخمر أو من فسق الزانيات أو السرقة ، مثل هذا لا يمكن اخذ المال منهم لأنه (سحت يكون في بطون أكله ناراً وماءاً حميماً ...) ، في جميع المعاملات بيع أو شراء أو إقراض أو اخذ الأجرة منهم مقابل عمل ينجز لهم .
حتى لو أقرضهم شخصاً فلا يمكن استرجاع القرض من هذه الأموال أو استأجروه فلا يجوز أخذ المال من هذا الكسب ، فان كان لهم كسب محلل يشترط أن يدفع له المال من ذلك الكسب المحلل . فان عرف انه اخذ مالا محرماً فيجب إرجاعه إليهم إن عرفهم وإلا يجب دفعه إلى الفقراء المؤمنين بعنوان (رد مظالم) أو إلى الحاكم الشرعي .

ويمكن للشخص المتعامل معهم أن يتصالح مع الحاكم الشرعي على بعض المال بحسب الحاجة .

وهذه من الرحمة التي انزلها الله تعالى في أحكامه الشرعية ، فلو كان الشخص المتعامل مع أهل السحت دون علمه محتاجاً للأموال فللحاكم الشرعي المصالحاة على بعض الأموال وتبقى بحسب الحاجة ، وها هي منظومة الإسلام العظيم تحمي أتباعها من أكل الأموال الحرام وبصياغة أحكام بمنتهى الدقة والإتقان ..

وهذا كله من ناحية الحكم الوضعي أي حكم الأموال أما من ناحية الحكم التكليفي فيجب وعظ وإرشاد وتوجيه أهل المعاصي فان لم ينفع فالزجر

والتوبيخ ومن ثم المقاطعة بحسب المراتب المقررة لوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٧. (الحلف واليمين) : حالة سيئة في السوق وهي كثرة الحلف واليمين وغالباً ما يكون كاذباً والعياذ بالله ، وقد ورد كراهة الحلف بالله صادقاً لأنه خلاف توقير وتعظيم لفظ الجلالة ، أما الحلف بالله كاذباً فهو من الكبائر وتسمى (اليمين الغموس) لأنها تغمس صاحبها في النار .

وهنا يعطي الشيخ بعض الآثار المترتبة على مخالفة الأحكام الشرعي :

- كراهة الحلف بالله صادقاً لأنه خلاف توقير وتعظيم لفظ الجلالة .

- الحلف بالله كاذباً من الكبائر (اليمين الغموس) لأنها تغمس صاحبها في النار .

- إن الذين يلجأون إلى الحلف هم أناس غالباً ليسوا صادقين مع أنفسهم فيعكسون هذا الباطن على الخارج في تعاملاتهم مع الناس ، أما الإنسان المؤمن الصادق فلا يحتاج إلى الحلف فيقول كلامه بثقة وحزم ..

- الحلف في السوق يمحق البركة وهذا ما نلمسه عملياً وجربناه في حياتنا المعاصرة فلكي تعود البركة لأبد من إلغاء هذه الصفة المذمومة.

٨. (إخفاء سعر الشراء الحقيقي البيع باطل) : اعتاد بعض الباعة أن يذكر سعر الشراء ، عند البيع ويقول ربحي كذا مقداره ، لكنه لا يعلم إن كان إخباره صحيحاً عن سعر الشراء فإن البيع باطل ولا يحق له اخذ الفرق الذي أخفاه ... ، فأما أن لا يذكر السعر أو أن يذكر السعر الحقيقي ويخبر المشتري عن السعر الذي يطلبه ..

٩. (المعميلات) يرى بعض الباعة ضرورة العمل لكسب الزبائن وتوسيع الرزق وملاطفة النساء والضحك معهن وهذا كله حرام... وان بعض النساء تصبح معميلات لهذا البائع فيرى الطرفان أن بينهما نوعاً من التقارب تسوغ لهما مالا يسوغ لغيرهما ... وهذا كله حرام .

١٠. (التعامل مع المتبرجات) يمنع التعامل مع المتبرجات بشكل زائد عن المتعارف، ويتأكد المنع في بيع الأمور التي تدخل في فسقهن كأدوات التجميل والملابس المثيرة ..

حوار حول موضوع السرقة

من الملاحظ أن الصراع بين الإيمان ومعتقديه والكفر وحامله مر بصولات وجولات ابتداءً من آدم عليه السلام إلى يومنا هذا وفي المستقبل وكلما زخرفت دولة الباطل لأهلها وظنوا أنها لا تنتهي تكبروا في الأرض وعلوا على الناس واستعبدوهم .. ويدعو حينها أهل الباطل إلى كل ما هو ضد الدين وضد المتدينين بل أحياناً يصل الأمر أن ينظر المنحرفون إلى تعاليم أهل الإيمان وذلك لكي يخالفوها والأدهى عندما يكون رأس السلطة ضالاً مضلاً وتمحى آثار الإسلام من خارطة الوجود ، ألا أن القرآن يصف الأمر بأنه قد تزين لهم وحلت السلطة في عيونهم ، وهم لا يعلمون (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يونس ٢٤.

ويأتي دور الإسلام بعد ضعف وزوال الطواغيت وما أن تملو شوكة الإسلام حتى يبدأ أتباعه بالحلم الضائع وهو دولة الإسلام فتراهم يطالبون بتطبيق شرايع الإسلام في كل تفاصيل الحياة وتفعيل دور القوانين المعطلة في الإسلام كالحدود والعزيرات،

حيث يفتقد أبناء الإسلام إلى الرؤية الواضحة بشأن الكثير من الأحكام التي لم تر النور كحالة عملية ، وبغض النظر عن الظروف التي بسببها هجرت هذه الحدود ، فان مطالبة رواد الحركة الإسلامية بها وذلك باعتبارها اموراً تعبدية جاءت من تعاليم الرسول (ص) وأهل بيته عليهم السلام ، والبحث في سند وصحة الروايات التي تذكر الأحكام من مختصات العلماء الفقهاء الذين لهم القدرة على التشخيص ودراسة كل الظروف التي بسببها شرع هذا الحكم ، فمن غير المعقول إقحام الناس في المفاهيم المنطقية أو البحوث الكلامية التي إلى الآن تحوي الكثير من التجاذبات ، وفعلًا هذا مادأب عليه الشيخ اليعقوبي منذ البداية فرغم كثير من خطابه والاستفتاءات والتسجيلات الصادرة عنه وغيرها من وسائل الاتصال بالمجتمع إلا أننا لم نسمعه يتكلم بلغة الفلسفة أو مصطلحات المنطق أو مطالب الأصول المعقدة ... بل كان همه هو توظيف تلك المفاهيم لإيصال المعلومة النافعة إلى الناس عبر تضمين الكلام لأحاديث أهل البيت والقران والتعزيز بأمثلة من الواقع المعاش .

والاستفتاء الذي بين أيدينا هو حوار حول موضوع السرقة أجرتة مجلة الكوثر النجفية مع الشيخ اليعقوبي في ربيع الآخر / ١٤٢٢ هـ ، وقبل الدخول في تفاصيل الموضوع ، يدل السؤال عن السرقة إلى أمرين مزدوجين يجب الوقوف على أحدهما:

الأول : إن السؤال مقدم بسبب انتشار السرقة وتفشي هذه الظاهرة ، ولعل التذكير بحكم السرقة يردع من تسوّل له نفسه الاستمرار بهذا المسلك المتدني ، أو من يفكر بهذا الطريق على الأقل ، هذا ونحن لا نريد أن نبرر للسراق عملهم إلا أن كل سرقة محاطة بظروف أقلها الجوع والحرمان والمرض ... إلا ما ندر من السرقات فإنها تأتي بسبب مرض نقص الإيمان !.

الثاني : زوال هذه الظاهرة وذلك بانتشار الوعي الإسلامي بين أفراد المجتمع ، وارتفع معها سقف المطالب من الصلاة فرادى إلى الصلاة الجامعة ومن أحكام العبيد

إلى أحكام العباد ومن صوم رمضان إلى تقديم رجب وشعبان ومن التفكير في لعن المجرم بحق الناس والتفرج عليه إلى المطالبة بالاقتصاص ... وهكذا.

وترجيح الأمر الثاني أولى خصوصاً بعد النهضة التي قادها الصدر وأكمل مسيرتها اليعقوبي حتى انخفضت نسبة المنكرات بين الناس بشكل ملفت وعاد الناس إلى الإسلام والتشوق لتطبيق أحكامه ، وتقارير الدوائر الحكومية المختصة كانت تشير إلى انخفاض مستوى الجريمة بشكل كبير.

ولا يمكن تطبيق عنوان السرقة بمعنى إقامة الحد (وهو قطع اليد) إلا بتوفر أمور في السارق وهي باختصار: (البلوغ، والعقل، ارتفاع الشبهة والاحتمال، عدم الاضطرار "أي لو كان مضطراً لما جاز إقامة الحد عليه وكان لزاماً على الحاكم الاسلامي أن ينظر في أمره ويوفر له سبل العيش الكريم كالمعاش أو العمل إن كان قادراً غير عاجز"، أن يبلغ المال المسروق النصاب الشرعي (١٨٠٠٠) دينار عراقي، أن لا يكون المال مشتركاً بينه وبين غيره، ان يكون المال مصنوعاً ومحفوظاً في مكان غير مأذون في دخوله، ومنها أن يأخذ المال سراً).

وهنا يفرق الشيخ بين السرقة والغصب فيقول (أن كثيراً من الحالات التي تسمى سرقة لدى الناس هي ليست سرقة بالمفهوم الإسلامي وان كانت اعتداء على مال الغير وبذلك نفرق بين السرقة والغصب الذي ليس فيه هتك حرز ولا اخذ المال سراً).

ولو دققنا النظر إلى الشروط أعلاه فإننا نرى عظمة هذه الأحكام فإنها لا تجتمع إلا في حالات نادرة جداً، هذا بالإضافة إلى أن السرقة لا تثبت إلا بالبينّة الشرعية وهي (شهادة رجلين عادلين ولا تثبت بشهادة رجل وامرأتين أو نساء منفردات، وتثبت أيضاً بإقرار الشخص على نفسه بالسرقة مرتين لأجل إقامة الحد لكن الإقرار مرة يكفي لأجل تضمينه المال ولا بد في البينة والإقرار من التأكد من اجتماع الشروط)

أعلاه، فحتى الإقرار على نفسه مرة واحدة لا تكفي إلا ضمانات المال المسروق وإعادته إلى مستحقه مع ذلك لا بد من تحقق الشروط أعلاه.

لا تدخل في السرقة موضوعات أخرى كالتطفيف (سرقة الوزن) و(هذه الحالة اخذ للمال بغير حق مشمولة للنهي القرآني (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) إلا أنها ليست سرقة بالمصطلح الشرعي الذي يوجب الحد المذكور آنفاً لعدم تحقق الشروط كالأخذ سراً وهتك الحرز).

وقد تُسمى بعض التجاوزات الأخرى سرقةً مثل سرقة المعلومات (التجسس) وسرقة الأفكار العلمية والأدبية ، هنا هل تعتبر سرقة؟، يجيب الشيخ بأنها (ليست سرقة بالمعنى الذي يوجب الحد وليست سرقة شرعية لعدم تعلقها بأموال الآخرين ، لكنها سرقة أخلاقية) فهنا تكمن قوة الإسلام في تناول شتى المواضيع والتفريق في حكم كل واحدة من الحالات، فإن هذه السرقة لا توجب الحد الشرعي إلا أنها سرقة بالمعنى الأخلاقي الذي فيه تكامل شخصية المسلم ... فالسرقة هنا تعني نقصاً أخلاقياً وهذا الجانب هو الذي ميز الإسلام عن غيره من الديانات وبه تمام الانتماء إلى حضارة الإسلام ...

يعد بعضهم أن عقوبة قطع اليد عملية وحشية وإرهابية ، ويجيب الشيخ على هذا الإشكال بمستويين :

الأول : منع توجيه الإشكال أصلاً لأن الذي شرع هذه الأحكام هو الله تبارك وتعالى العليم الحكيم خالق البشر والعالم بما يصلحهم فهو تبارك وتعالى (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) ... ومن مفارقات هذه البشرية الضالة أنها عندما يعطل جهاز فإنها تأخذه إلى صانعه والخبير به والمتخصص بعمله ليصلحه وهذا صحيح ولكن عندما تقع النفس الإنسانية في أمراض روحية ومعنوية أو يتيه المجتمع ولا يعرف ما يصلحه يرجعون إلى البشر الناقص نفسه ليضع لهم العلاج والقوانين التي

تنظم حياته ولا يرجعون هذا الجهاز العظيم (أي النفس الإنسانية) الذي لا يضاهايه جهاز ولا مصنع ولا معمل لا يرجعونه إلى صانعه وخالقه ليضع لهم الوصفة المناسبة لشفائه، لكن الله الرحيم بعباده لم ينتظر منهم الطلب بل ابتدأ هو تبارك وتعالى .. ووضع لهم الشرائع السماوية وأرسل إليهم أطهر الخلق وأكملهم وهم الأنبياء والرسل ليرشداهم إلى ما فيه سعادتهم .. لكنه لم يأخذوا بها واعترضوا وتمردوا عليها فضاغوا بين ركام القوانين والأيدولوجيات التي ضيقوا بها على أنفسهم ونكدوا بها على حياتهم وها هم يلغون اليوم ما قرروه بالمس وينسون اليوم ما يعدلون غدا ويحذفون فقرة ويذيلون بأخرى وهذا دليل نقصهم وضعفهم وعجزهم وقصورهم ولو طبقوا شريعة الله تعالى لما وقعوا في هذا التيه والضلال ولنعموا بالسعادة والطمأنينة والسلامة ...

الثاني : تفنيد هذا الزعم : فان البشر لا يمكنهم إلا أن يعيشوا في مجتمعات ولا بد لهذه المجتمعات من قوانين تنظم حياتها وتكفل حقوقها، ولا يكفي سن هذه القوانين لأن النفس الإنسانية مجبولة على التمرد وعدم الانصياع فلا بد من قوة تنفذ هذه القوانين وعقوبات تردع المتمرد عليها والخارج عنها ولا بد لهذه العقوبات أن تكون مناسبة للجريمة فكلما كانت أفظع وكان فسادها أشد فتكون العقوبة أقسى لردع من تسول له نفسه ارتكاب هذه الجريمة

وكل واحد من هذين الطريقين للاستدلال على أصالة قوانين الإسلام يصلح لفئة من الناس فبالأول يمكن مخاطبة المسلم الذي يتأثر بهذه الدعوات وبالثاني يمكن مخاطبة من هم على غير ملة الإسلام وهي تصلح للدفاع عن كل تعاليم السماء وليس في موضوع السرقة وحسب .. فتأمل .

وعلى طريقة الشيخ اليعقوبي المثلى في التعامل مع الحكم الشرعي من كل الجوانب ليحرك المخاطب بها على الالتزام بالآداب الشرعية، إذ يخاطب العقل تارة، والروح في جانب آخر إذ يقول : (وليفهم الناس أن هذه اليد عندما تكون نظيفة وطاهرة فان

غرامة قطعها هو (٥٠٠) دينار من الذهب أي (٣٧٥) مثقال بينما عندما تنحرف وتجنّي فإنها تقطع في سرقة ربع دينار فكيف ذل الجاني نفسه وهدر كرامته).

وفي إطار المواجهة التي أعلنها الغرب ضد الإسلام والهجمة على تعاليمه وخصوصاً بعد هجمات ١١ أيلول ، حيث ينسب الإسلام إلى الإرهاب بسبب تعاليمه السامية ومنها هذه العقوبة ، ويرد عليهم الشيخ يعقوبي بقوله: (هؤلاء المتشدقون بوصف هذه العقوبة بأنها غير حضارية من غرب كافر وصهاينة أشقياء فهم أنفسهم الذين يسحقون شعوباً كاملة ويهلكون الحرث والنسل ويدمرون بيوت الأمنين على ساكنيها من أجل (مصالحهم) التي هي سرقة أموال الشعوب المستضعفة وهذا كله عندهم ظاهرة حضارية!) أي مفارقة صارخة هذه التي تعيشها حضارة الجاهلية اليوم والى الله المشتكى).

وبحكم المنطق العقلاني فلا بد من علاج لكل ظاهرة منحرفة، والحل تقع مسؤوليته على أطراف عديدة :

الأول : العلماء والخطباء والكتاب والمثقفون الذين يجب عليهم بث الأخلاق الحميدة والخصال الفاضلة في المجتمع وتحفيز إثارة روح التقوى في القلوب وشدهم إلى الله تبارك وتعالى.

الثاني : أولياء الأمور من آباء ومدرسين ورؤساء عشائر وأرباب أسر وغيرهم الذين من مسؤوليتهم متابعة من يقع تحت رعايتهم.

الثالث : التجار وأصحاب رؤوس الأموال فمن واجبهم دفع ما بذمهم من حقوق شرعية كالخمس والزكاة وفي الحديث (ما جاع فقير إلا بما متّع به غني)، وما شرعت هذه الفرائض المالية إلا لسد حاجة المعوزين وأغناءهم عن الوقوع في الجريمة ...

الرابع : الجهات المسؤولة التي تستطيع بما لديها من إمكانيات أن تنشط حركة

الاقتصاد والعمل وتوفير الدعم المادي والمعنوي وتحفز الهمم للعمل والإنتاج حتى تستقطب طاقات المجتمع وتسد أبواب الجريمة فانك لا تجد السرقة في المجتمعات الواعية المرفهة اقتصادياً الا عند ذوي النفوس المريضة الذين يستحقون العقوبة من غير أسف عليهم (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ).

كان هذا اللقاء قبل تسع سنوات تقريباً من الآن فما أحرانا اليوم أن نتأمل هذه الكلمات التي صدرت من قلب رحيم ، ويرجو (أن تنتفع بهذه الكلمات جميع الجهات المعنية) والكل معني بها وكل بحسبه (حتى تسود السعادة والاستقرار في مجتمعا وربوع وطننا الحبيب والأمر بأيدينا ان شئنا امثلنا وان شئنا عصينا وليس الله بظلام للعبيد....).

شراب البيرة الإسلامية^(١)

مرة بعد أخرى يتقمص أهل الباطل زي الحق ، وتلبس الشاة فرو الذئب موهماً ضعاف النفوس والمغرر بهم، إلا أن الإسلام يبحث في قيمه عن المؤمن الكيس الفطن الذي يحذر ويراقب أملاً في غد يقف فيه سليماً معافى مما أصيب به غيره ، من ويلات الثبور وصيحات رب ارجعون، ويبدل النصيح لأخيه كي لا يقع في مهاوي الغرور وقلنا سابقا أن المشكلة ليس في معرفة الحلال والحرام وإنما في الوقوف عند الشبهات وعدم اقتحام الهلكات ...

(١) يرفض الشيخ يعقوبي بشكل مطلق هذه التسمية الجاهلة المغرضة أعني (البيرة الإسلامية) ولكننا ذكرناها هنا بهذا التسمية كونها تعارفت بين الناس، ولنبه هنا على مساوئها، لذلك علينا الاحتراز وأن لا نكون ممن ينعق مع كل ناعق.

يعرض شراب في الأسواق يسمى (البيرة الإسلامية) ، ويبيدي الشيخ يعقوبي رأيه مسنداً وموثقاً على مستويين :

الأول : المستوي الفردي ، الذي يأخذ بنظر الاعتبار تكليف الفرد المسلم وبراءة ذمته أمام الله تعالى ولا يهم بعد ذلك أن يكون المجتمع مسلماً أم لا ، ومقتضى هذا التفكير حلية هذا الشراب وطهارته إذا حصل الاطمئنان بصدق ما مكتوب عليها كونها خالية من الكحول ، أو بفحصها مخبرياً ... هذا باختصار المستوى الأول .

الثاني : المستوى الاجتماعي ، والفقيه في هذا التفكير يضع نصب عينيه مجتمعةً مسلماً تسوده تعاليم الإسلام وشعائره ويشخص الداء الاجتماعي قبل وقوعه فيعمل على وقاية المجتمع منه .. (الوقاية خير من العلاج) وعندئذ ستكون كثير من الأحكام على وفق المستوى الأول (أو ما يسمونه القواعد) غيرها على المستوى الثاني وليس هذا تغييراً في التشريع فان (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة) ولكن هذا من تغير الأحكام بتغير موضوعاتها وطروء العناوين الثانوية عليها ومن أهم هذه العناوين حفظ النظام الاجتماعي العام ، فقد يحرم بسببه ما هو حلال على القواعد التي مدارها تكليف الفرد ، ومن الأمثلة مورد السؤال الذي علمت حكمه على المستوى الأول أما إذا نظرنا في حكمه على المستوى الثاني فسيختلف الأمر .

وبيان ذلك، أن الصناعات المستوردة من بلاد غير المسلمين على شكلين :

١ - ما لا يكون مظنة للتهمة بأنهم صنعوه لإضلالنا وإفساد ديننا كالسيارات والطائرات والأجهزة المنزلية وغيرها .

٢ - ما يكون مظنة للتهمة فضلاً عما يحرز انه صنع لأجل هذا الغرض كالحجاب الفرنسي وهذا الشراب الذي ورد ذكره في السؤال ومثل هذه يجب الاجتناب عنها لأن الأصل في تصرفاتهم هو الفساد والإفساد إلا ما خرج بدليل وهذا الأصل ثبته

القران (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ) ، (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) البقرة ١٢٠....

فكيف نطمئن بعد هذا إلى صناعة (بيرة إسلامية) وهل نثق بقولهم (أنها خالية من الكحول) والقرآن يصرح (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) أي تثبتوا قبل ان تتورطوا بمعصية الله سبحانه ولا يجوز للمسلم أن يسير وراءهم بسذاجة وعن غير بصيرة ...

١. هنا يدعم الشيخ اليعقوبي نظرية (الفقه الاجتماعي) التي تبناها منذ وقت مبكر من تصديه لقيادة المجتمع التي يمكن من خلالها بناء الركائز المهمة للمجتمع الإسلامي بالاعتماد على الفرائض التي يمكن أن يمارسها الإنسان بشكل جماعي كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكي يؤثر في أكبر دائرة ممكنة في محيطه لنشر الفضيلة ونبد الرذيلة كما سبق وقلنا.
٢. يفرق الشيخ هنا بين (الفرد المسلم) و(المجتمع المسلم) فالأول من سلم الناس من يده ولسانه والثاني أي المجتمع المسلم الذي ينتج بالتالي (الفرد المؤمن) حيث تسود تعاليم الإسلام في المجتمع وتنطبق كل الأحكام الفردية على المجتمع بشخصيته الاعتبارية ويسير خلف قيادته الدينية الشرعية التي بدورها توصله إلى ما تصبو إليه كل البشرية وهو دولة العدل الإلهي ... من هنا اختلفت نظرة الفقيه إلى الأحكام الشرعية قيد النظر فعند النظر إلى أحكامها مجردة عن هذا الفهم يحكم بجواز تناولها ، لكن عندما يرى الفقيه أن إمامه مجتمعا مسلما يجب عليه أن يتحمل الأحكام الفردية بصيغتها الجماعية الاجتماعية انطلاقاً من الشخصية الاعتبارية للمجتمع بما هو مجتمع مسلم ..)) (والإيمان هو الإقرار باللسان ، وعقد

بالقلب ، وعمل بالجوارح ، وإنه يزيد بالأعمال ، وينقص بتركها ، وكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمنا ، ومثل ذلك مثل الكعبة والمسجد ، فمن دخل الكعبة فقد دخل المسجد ، وليس كل من دخل المسجد دخل الكعبة .

وقد فرق الله عز وجل في كتابه بين الإسلام والإيمان ، فقال : {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} الحجرات ١٤ ، وقد بين الله عز وجل أن الإيمان قول وعمل بقوله : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} الأنفال ٢-٤ .

وأما قوله عز وجل : {فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ} الذاريات ٣٥ - ٣٦ ، فليس ذلك بخلاف ما ذكرنا ، لأن المؤمن يسمى مسلما ، والمسلم لا يسمى مؤمنا حتى يأتي مع إقراره بعمل . وأما قوله عز وجل : {وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} آل عمران ٨٥ ، فقد سئل الصادق (عليه السلام) عن ذلك ، فقال : هو الإسلام الذي فيه الإيمان)) . فالشيخ اليعقوبي يبحث عن (مجتمع مسلم وفرد مؤمن) ... ومن لطيف القول أن الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم كلما وصف من يحب عليا (عليه السلام) وصفه (بالمؤمن)، قال (ص) لعلي (ع) : أنت مولى كل مؤمن ومؤمنة، ووصي كل مؤمن ومؤمنة بعدي المحب له مؤمن والمبغض له منافق.

٣. من هنا نفرق بين قيادتين للمجتمع أو مدرستين : الأولى التي تشابه إلى حد ما التفكير المسيحي (ما لله لله وما لقيصر لقيصر) فهي تتعامل مع (فرد مسلم) أينما كان وفي أي وقت وبأي حال .. على فرد معزول ليس له علاقة بالآخر ولا يوجد حوله محيط خارجي !! والقيادة الأخرى التي تستهدف بناء الإنسان من الداخل ثم الانطلاق إلى بناء وإصلاح العائلة ثم

بناء المجتمع ثم تكوين الأمة الصالحة القادرة على قيادة العالم تحت راية إمامها المهدي عليه السلام ... فأين هذا من ذاك ؟ ويمكن مراجعة المواجهة الثالثة للشيخ اليعقوبي مع الحكومة عندما أرادت من الطالبات في المراحل المنتهية خلع الحجاب في صورة بطاقة الدخول إلى الامتحان، وكيف يكون الفرق بين القادة التي تتعامل مع فقه الفرد والقيادة التي تتعامل مع فقه المجتمع.

ويعجب الشيخ ((من هؤلاء المسلمين ؟! الذين ما أن صدر إليهم الغرب بضاعة حتى تنافسوا على اقتنائها ولهثوا من أجل تحصيلها وداسوا بأرجلهم كل قيم دينية أو أخلاقية أو اجتماعية أو تراثية من أجل المحافظة على (الأتكيت) والانصياع لعرف أهل الدنيا وهذا الكلام شامل لكل الصناعات المستوردة كالملابس والمشروبات وغيرها، وكان الأحرى بهم التريث والتأكد أو التبين على تعبير القرآن لثلا توجد فيها مخالفات شرعية فإذا لم يتحقق فيها شيء من ذلك جاز اقتناؤها واستعمالها عندئذ ، فلماذا هذا الانتشار السريع لهذا الشراب وحتى لو كان خالياً من الكحول إلا يوجد احتمال انه استدراج لخطوة لاحقة يكون فيها الكحول من مركباتها أن مجرد الاحتمال كاف في وجوب اجتنابها لما ورد عن الأئمة عليهم السلام (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) أي اترك ما فيه ريبة واحتمال المخالفة الشرعية وخذ بما تتيقن سلامته من ذلك ...)) ثم يدعو الشيخ المؤمنين الى الوعي والبصيرة والثبات على دينهم وان يكونوا بمستوى المسؤولية وان لا يكونوا لقمة سائغة ومطية طيعة بيد الكفار وينفذون فيهم مآربهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون ...

عرض الملابس النسائية بالصور الخليعة وعرض الصور الفلاشية في محلات التصوير ، وتزيين سيارات الأعراس .

عُرض الاستفتاء الأول على الشيخ بتاريخ ١٨ / شوال / ١٤٢١ هـ، وبينه على ظاهرة الألبسة النسائية التي تحمل الصور الفاحشة أو بعض أنواع الملابس التي تحوي بداخلها صوراً مثيرة للفتنة والشهوة أو نوع ألبسة (البدي) أما الثاني فقد كان بتاريخ ٢٢ / ذي القعدة / ١٤٢١ هـ، ويعرض حالة اجتماعية منحرفة وهي عرض محلات التصوير لصور نسائية خليعة ويرتاد هذا المحل سيارات الأعراس للتزيين والتصوير ...

وفي جواب الشيخ العديد من الأمور التي لا ينبغي إغفالها لما لها من أهمية أولاً والتحليل لهذه الظواهر من حيث أسباب بروزها في المجتمع المسلم ، وكذلك سبل العلاج ثانياً ، ويمكن تلخيص ما جاء في الجوابين بما يأتي :

أولاً : تقديم الشكر للسائل (الأول) الغيور الذي انتفضت همته لشعوره بالمسؤولية أمام الله تبارك وتعالى، وأمام رسوله الكريم (ص)، وبقية الله الأعظم أرواحنا له الفداء، ونحن نشد على يده ونهنته بهذا التوفيق الإلهي العظيم ..

يلفت اليعقوبي النظر إلى علو همة السائل وحرقة من أجل دينه، وهذا ناتج من شعوره بالمسؤولية أمام الله تعالى، والرسول (ص)، وإمامه عليه السلام، إذا يعد هذا الأمر من (التوفيق الإلهي العظيم) وهو وصف غاية في الدقة، فليس كل شخص يلتفت إلى ما يدور حوله من مشاكل ويتغنى العلاج لها من أهله الصادقين..

وهذا الثناء لا يختص بهذا السائل فقط، وإنما هو حاضر لكل من سار على خطى الصلاح وأراد الخير لامته .

ثانياً : توجيه العتاب واللوم إلى الأخوة (المؤمنين ؟!) الذين يتورطون في نشر الفاحشة، وإشاعة الفساد، وينخرون كيان المجتمع، ويهدمون أسسه من حيث يشعرون أو لا يشعرون !! .

ثالثاً : يقول الشيخ : (إن أساس مشاكلنا هو الجهل، والسذاجة، وقلة الوعي، حتى صرنا نقتل أنفسنا ونقدم لأعدائنا الكفار على طبق من ذهب - كما يقولون - ما يقضون به علينا ونعينهم على فئائنا، فهل يعقل أن تتداول أسواقنا جهاراً هذه الصور الخليعة المفسدة للدين والمذهبة للغيرة، والحياء، والمشجعة على إشاعة الفحشاء، والمنكر، التي هي من افتك أسلحة الشيطان ؟!...) واليوم قد مر على كتابة هذه الكلمات قرابة العشر سنوات ولا زالت غضة طرية تبحث عمن يخرجها من غياهب الورق ليجعلها نبراساً إلى عزة وكرامة الدين وأهله، بعد أن انفتحت كل السبل والمنكرات على مصاريعها، وبما أوتيت من قوة ومنعة، مستخدمة كل ما لديها من وسائل التي أن لم يكن أهونها (الستلايت) فهو أوضح مصاديق التخريب من حيث الاستعمال طبعاً، وما خفي كان أعظم، والله المستعان وحفظ الله العقبين ليُدفع شياطين الجن والأنس عن مجتمعنا ووطننا ...

رابعاً : تذكير وإنذار ، يقول الشيخ : (انه يؤتى يوم القيامة بعد له من أعمال كثيرة كالجبلى، يزفه الملائكة لعظم رصيده من الأعمال، فيؤمر به إلى النار، فتسأل الملائكة متعجبة لماذا يا ربنا ؟ فيجيبهم تبارك وتعالى : لأنه كان لا يغضب لي إذا عصيت أي ليس له غيرة على الدين، ولا يغضب إذا عصي الله تبارك وتعالى، ولا تتحرك مشاعره، ولا يندفع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا شخص يمقتة الله تبارك وتعالى، وعلى العكس منه، شخص لا تأخذه في الله لومة لائم فيباهي به الملائكة) ... و(إن عرض صور الفاسقات وهن في هيئات منافية للعفة، والحياء، ومثيرة للشهوة، وهو من إشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم، وقد نهى عنه الله تعالى مشدداً، فقال عز من قائل {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {النور ١٩}} .

خامساً : يقول الشيخ : أن من يمارس هذه الأعمال يجني على نفسه ومجتمعه في آن واحد : (إما على نفسه، فلما ينتظره من عذاب وأهوال عند الموت، وفي القبر وعندما يقوم للقاء الله سبحانه فلا يعلم هذا المسكين ماذا يواجه عندما يوضع في حفرة وحيداً ويغادره أهله ومحبيه، فتقعه الملائكة للحساب، ويعرضون عليه صحائف أعماله التي تسودها القبائح ولا ينفعه عندئذ شيء مما اغتربه من أموال، أو شهوات، أو أصحاب، وسيقضي زمانه عندئذ بالآلام والعذاب والشقاء، وما ينتظره يوم القيامة، وليتدبروا فيها فإنها تقزز النفوس وتقشع منها الأبدان وتنخلع منها القلوب ... وإما جنايته على المجتمع، فمن خلال ما تؤدي هذه الأفعال المنكرة (عرض الصور الخليعة، إبراز النساء المتبرجات أمام الملأ، والاختلاط غير الشريف، والعلاقات غير المشروعة، ولبس الملابس المثيرة للشهوات والحاكية عن البدن التي تبرز مفاتن الجسد وتلفت النظر وتحرك المشاعر الجنسية ...)).

سادساً : من النتائج التي تتركها هذه المنكرات على الواقع الاجتماعي يقول الشيخ :

- هدم الأسس ومقومات المجتمع الشريف الذي يبتني على الأخلاق، والمبادئ النظيفة فتحمل بدلا عنها الرذيلة .
- ضياع الأنساب، وتشتت الأمر، وتردي العلاقات الاجتماعية .
- الانحراف والشذوذ، وهذا ما يريد الغرب الكافر تصديره إلينا حسداً منه لنا على ما يسودنا من روابط أسرية متينة، ومن تآزر، وتآخي، وعلاقات نظيفة، فلماذا ينقاد لهم كالحیوانات (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) .
- الجناية على النفس والمجتمع، بإشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم المنهي عنها بنص القرآن الكريم ..

• نأخذ من الكفار أسوء ما عندهم - الانحراف والفساد والابتعاد عن الله سبحانه ، ونترك أسباب قوتنا وأولها الإيمان بالله سبحانه والالتزام بشريعته ...

سابعاً : العلاج ، الخطوة الأولى تبدأ بفهم هذه النصيحة المخلصة الصادقة التي تصدر من قلب مشفق رحيم لا يريد لأحد أن يدخل النار ويعذب فيها .

والخطوة الثانية، هي شعور الجميع بالمسؤولية تجاه المنع من هذه الأفعال المنكرة، فصاحب المحل يخلق محله، والمجتمع يقاطعه، وان يعين بعضهم بعضاً على طاعة الله سبحانه .

الخطوة الثالثة :مقاطعة البضائع التي تنافي عقائدنا، وأحكام ديننا، وان يشترط التجار على الشركات المصنعة مراعاة تعاليم ديننا وأخلاقنا.

الخطوة الرابعة : إيجاد البدائل ، وذلك بسد احتياجات مجتمعنا بتشجيع صناعتنا الوطنية حتى لا نحتاج إليهم، وقيام أصحاب الأموال بإنشاء المعامل التي تفي بالغرض ، وان تتصدى النساء لسد احتياجات النساء من هذه المواد وبكل حشمة ووقار من دون تعريض نساء المسلمين وشبابهم إلى هذه المزالق ، ووعي أولياء الأمور وكل أبناء المجتمع لمسؤولياتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحزم في تطبيقها .

ويطلق الشيخ زفراته ألماً وحزناً ... (السؤال أثار في نفسي ألماً وأسفاً ودفعني إلى هذه النصيحة حرصي على مجتمعي وأنا ابنه ومنه فمن أولى بي من النصيح له ومن أهم صفات العلماء - جعلنا الله منهم بفضله وكرمه - النصيح للعباد)، لقد نقلنا هذه الكلمة أخيراً لننقل جزءاً من معاناة القادة المخلصين الطيبين وهم يعتصرون ألماً من أجل أهلهم ومجتمعهم، فكيف لا وينقل لنا تاريخ الحسين (ع) انه تأسف لجيش الشام لأنهم بمحاربتهم يدخلون النار فكيف لا يتألم الشيخ ويتأسف أن تقع هذه

المنكرات وسط المجتمع الذي يحتضن الحسين (ع) منذ أكثر من (١٣٧٠ سنة) وأهل البيت الكرام وقيادة رشيدة مثله ناصحاً عباد الله مؤتمناً على ما استرعاه الله تعالى من أمر العباد ، فيهم ومنهم فمن أولى بهذا المجتمع بان يتبع قيادة مسددة من الله تعالى!؟.

الحجاب الفرنسي

ظهر هذا النوع من الحجاب في عام ٢٠٠٠ وتميز في طريقة ارتداء الحجاب وليس في الصناعة أو نوعية القماش بحيث تلفه الفتاة على رأسها وتجعله صغيراً جداً يكاد يغطي الرأس علماً أنه في الأغلب يخرج جزء من شعر الفتاة من المقدمة ، وكذلك جزء من صدرها ، أي جزء من رقبتها أو تحتها بقليل ، مع العلم أن الفتاة غالباً تكون ملتفتة وعلى علم بهذا الشيء... وقد انتشر في الجامعات والمعاهد بشكل ملحوظ .

وعلى ما يبدو فإنه تقليد للآخرين ، ومحاكاة للموضة ، ولم يقتصر الأمر على الحجاب الفرنسي وليس آخر اختراعات التصدير والاستيراد فقد تبعه الكثير من الاكتشافات خصوصاً بعد انفتاح الدول على بعضها . فمنها (العباءة الإيرانية "الجاودر" ، الجبة الخليجية ، البنطلون السوري ...) والقائمة تطول بلا نهاية ، ونقطة التلاقي في هذه الموضات هو التخفيف من تقييد المرأة بالحجاب الإسلامي الصحيح حسب نظرهم طبعاً ، والعمل على تحرر المرأة في الملبس ... ولم يكن من المجتمعات الإسلامية إلا تقليدهم والانجرار ورائهم ومن الملاحظ أن ما يكون موضة في بعض البلدان إنما هو من اللباس العادي في البلد الأصل بلا ضجة ولا هرج حول الموضوع ، والضجيج يكون في البلد المضيف بعد أن يتطفل أبناءه على فتات حضارة خاوية تدعي التحضر زوراً وبهتاناً .

يجيب الشيخ عن الأسئلة المقدمة إليه بأحسن ما يُجاب :

(١) ما هو رأي سماحتكم بهذا النوع من الحجاب (الحجاب الفرنسي) ؟ .
إن تسميته بالفرنسي يوحي أن المنشأ الأصلي لصناعته فرنسا وإن ورد في السؤال أنه يصنع في العراق أو بلاد عربية لذا أقدم هذه الملاحظة :-

الأول : ما يكون استعماله مشتركاً بيننا وبينهم كالسيارات والآلات الالكترونية فهذه لا بأس بالاستفادة منها .

الثاني : ما يصنعونه خصيصاً لنا فيجب أن نتهمهم فيه ولا نتعاون معهم فيه إلا بعد أن نجده مطابقاً لشريعتنا والحجاب من القسم الثاني فالأصل فيه التهمة حتى يثبت العكس ، والحجاب الموصوف في السؤال مخالف للشريعة الإسلامية ولا يجوز لنا أن ننبهر بالإنتاج الغربي حتى نضيع معالم ديننا .

إن هذا المؤسف حقا أن يصنع الكافر حجاباً لنساء المسلمين ونحن نعلم ما يريد منا (وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ) (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْغَ مِلَّتَهُمْ) .

(٢) السؤال الآن عن دور المكلفين وكـ(طلبة) لاعتبارهم الوسط الأكثر ابتلاءً به .
يجب عليكم عدة أمور :

مقاطعة مثل هذه الصناعات التي تريد أن تسلب ديننا بالتدريج ، توعية المجتمع وإلفات نظره إلى جسامة هذا الخطر وغلق الباب من أوله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراتبه المذكورة للناس الذين اتبعوا جهلاً ووقعوا في حبال هذه الخطط الشيطانية .

(٣) بماذا تنصحون الفتيات اللاتي يرتدين هذا الحجاب ؟ .

انصحهن بتطبيق الشريعة والاهتداء برأيها في كل شؤونهن وان يحافظن على دينهن فانه عنوان عزتهن وشرفهن وكرامتهن وان الكفار ليحسدونهن على هذا المنهج القويم الذي يوفر للإنسانية سعادتها في الدنيا والآخرة لذلك فإنهم - أي الكفار - يسعون بكل جهدهم لسلب هذه النعمة الكبيرة من أهلها (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) وأي فضل أعظم من نعمة الأيمان بالله والسير على هدى رسوله العظيم (ص) فلا تعطوا الكفار مرادهم فتكونوا عبيدا لهم تابعين وفي ذلك خزي الدنيا وعذاب الآخرة وقد رأيتكم كيف ذلت الأمة وهان أمرها عندما تركت دينها وخضعت للكافر ، فالله الله في دينكم لا يغلبنكم عليه احد ، والله ناصركم وهو يتولى أمر المؤمنين .

(٤) ما هو دور أولياء الأمور في منع مثل هذا الحجاب ؟
إن مسؤولية ولي الأمر اكبر (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) كما إن سلطته أوسع فإذا كان غيره لا يستطيع النهي عن المنكر إلا بالموعظة والزجر فانه يستطيع تنفيذه بالضرب والحبس والإيلاء فنهيب بهم أن يتحملوا مسؤولياتهم كاملة .

وهنا يضع الشيخ النقاط على الحروف فان بعض مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد لا تكون كافية لمكلف ما في ردع ضعاف النفوس ونهيبهم عن إشاعة الفاحشة والمنكر إلا باستخدام المراتب التي ينطبق عليها القول (آخر الداء الكي) ، وهذه لا تتوفر إلا لأولياء الأمور الذين من حقهم (الضرب والحبس والإيلاء) وذلك بعد ممارسة الأمر والنهي حسب المراتب . وهذا الفرق جوهرى بين من له الولاية المطلقة في ممارسة صلاحياته لإصلاح الآخرين وبين من ليس كذلك ، وهذا المناط - أي استخدام مراتب الضرب والحبس والإيلاء - لا يتوفر إلا لشخصين في المجتمع هما (الولي الفقيه وولي الأمر) ، وهنا تصبح المسؤولية مضاعفة بعد تحميل ولي أمر الأمة ولي الأمر بتحمل المسؤولية كاملة . فان وجود أب ملتزم دينياً رحيم

بأسرته عارف بالأمور التي تصلح حالهم متبع لسنة العترة الطاهرة (ع) في التربية الصحيحة يحفظ كيان الأمة من أن ينتج اولاداً غير صالحين والله تعالى أكرم من أن يضيع جهده ..

وانه من المؤسف حقاً أن يعيش المجتمع بين ظهراي الإسلام وتعاليمه ثم يتنكر لفضل قادة الإسلام محمد وآله الطاهرين (ع) خصوصاً النساء اللواتي يتركن الحجاب الشرعي ليتبعن ما لا يعرفن عواقبه، فلماذا يسمى حجاب وهو يظهر بعض الشعر أو بعض أجزاء الجسد؟! ، هذا وقد ذكر الفقهاء كيفيته بأن يستر البدن كله عدا الوجه والكفين - على خلاف - ولا يجوز إن يكون حاكياً عن البدن ملتصقاً به بحيث تظهر معالم الجسم من خلاله وان لا يسبب فتنة وإلفات نظر وان تكون مشية المرأة طبيعية لا تثير شهوة ولا تسبب فتنة....).

فقه التعامل بالدولار

الحلقة الأولى

يشجع الإسلام العمل الحلال المنتج (هُوَ أَنْشَاكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَغْنَىٰكُمْ فِيهَا) الذي ليس فيه إهانة لكرامة الإنسان ، وجعله من شرف الإنسان، ومن لا يعمل لا ضمان له عند الناس، ومع تطور البشرية وتقدمها يستكشف الناس المزيد من طرق الكسب التي قد تكون غير موجودة سابقاً، وهنا تختلف أحكامها وتعتبر من المستجدات التي لا بد من رأي المجتهد الجامع لشرائط الفتيا ليتسنى للإنسان مطابقة عمله مع حكم الشريعة باختياره طبعاً .

وقد تستجد أعمال ليس فيها نفع للناس ولا إعمار للأرض وبمرور الوقت تصبح وبالا على العاملين فيها لذا كان للشيخ اليعقوبي وقفات عديدة في تبيان أحكام مثل

هذه التعاملات وقد يحرم بعضاً منها (كما في التعامل مع شركات التسوق الشبكي)^(١)، وقد يصحح بعض التعاملات عندما تكون ضرورية ويرجى منها النفع وتكون هناك مصالح اجتماعية أو اقتصادية متحققة فعلاً (كبيع الدولار بالنقد المحلي أو بالعكس)، وهو الموضوع الذي بين يدي القارئ الكريم .

وأن حماية (إقتصاد المسلمين) من الوقوع في التعاملات المحرمة من مسؤولية القيادة الدينية العليا في المجتمع الإسلامي ولم يتوان قادة الإسلام عن إبداء المشورة والنصح عندما تحيق الأخطار الاستعمارية ببلاد المسلمين ، والتجربة الرائدة للشهيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه) في هذا المجال مما يشار لها بالبنان ، واليوم ومن قبل يقف اليعقوبي موقف أسلافه الطاهرين الموقف الشرعي نفسه من خلال سلسلة من (الاستفتاءات الاقتصادية) إن جاز لنا التعبير في هذا التقسيم الفني فقط ، وإلا هي تمثل رأي الشريعة المقدسة في الأخير ، وربما يخطر في الذهن بأنه ما دور هذه الاستفتاءات في حماية الإقتصاد الإسلامي ؟! وربما لا يكون الجواب وافياً في هذا المختصر، إلا إننا نعلم يقيناً، أن الأحكام الشرعية حلالها وحرامها وغيرها من الأحكام لم تُشرع من الخالق الحكيم إلا لمصلحة البشر، وهي ما يصلح حالهم، وينظم شؤونهم، ولا يجني من يخالف تلك الأحكام إلا النكد والبؤس والشقاء، وأماننا مئات الشواهد على ذلك في كل أرجاء العالم ، هذا من جانب .

ومن جانب آخر فقد أثبتت التجربة خلال التاريخ أن علماء الاقتصاد والاجتماع وحتى السياسيين وغيرهم قد يتحIRON أمام بعض المشاكل التي تعترض مسيرة الحياة رغم آلاف القوانين والتفريعات عليها وتعديلاتها ويقفون متحيرين ، (وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ

(١) ملحق رقم (١) وثيقة رقم (٢٢ و ٢٣). ونلاحظ في الوثيقة الأخيرة تورط بعض المراجع الناتج من النظرة الضيقة. وهو ما حاول تداركه ولكن بعد أن تم توريط جموع غفيرة يمثل هذه الشركات الوهمية أنظر وثيقة رقم (٢٤). ونلاحظ الضبابية وعدم وضوح الرؤية بل عدم معوغة الرأي في المسألة كما في الوثيقتين (٢٥ و ٢٦).

ضَعْفًا) ولا يكون أمامهم إلا التوجه نحو الحكم الشرعي ليجدوا المنجى على العلماء العاملين الأعلم بشؤون الأمة وما يصلح أمرها بعد أن استرعاهم الخالق تعالى أمر خلقه متخذين من القرآن الكريم والسنة الشريفة عضداً ...

وقبل البدء في استعراض الأسئلة والأجوبة عليها ؛ نتعرض إلى نفحة من النفحات الأخلاقية التي يضمنها الشيخ في كلماته الشريفة ، وقد عرضها في نهاية الاستفتاء ، إذ يقول :

(لابد للأخوة المؤمنين من التفقه فيما يتعلق بمسائل عملهم ، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك سقطوا في المخالفة الشرعية من دون أن يشعروا وتورطوا في ظلم الناس واخذ أموالهم من غير استحقاق ، وظلم الناس ذنب لا يتركه الله تبارك وتعالى ولا ينفع الندم ولا الأرصدّة الكبيرة (يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) وهم أصدقاء السوء الذين يزينون فعل المعصية وتزيين الدنيا في عين الشخص حين يقع في حبال الشيطان ، فاتقوا الله وعودوا إليه (يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) .

السؤال الأول : هل يجوز بيع الدولار بآجل ؟

((يجوز بيع الدولار بآجل سواء كان المعجل هو النقد الوطني والمؤجل هو الدولار أو بالعكس بشرط أن لا يزيد الفرق عن (٥ ٪) لكل شهر من القيمة الفعلية لهما حين العقد فلو كان ثمن الورقة من فئة (١٠٠ دولار) مائتي ألف دينار بالسعر الحالي وأراد أن يبيعها بثمان مؤجل بعد شهر فيجوز له ذلك بشرط أن لا يزيد الثمن المؤجل عن (٢١٠) ألف ، لان الفرق المسموح أخذه هو (٥ ٪) أي : ١٠ بالمائتين ، والعكس ممكن)) .

ويضيف الشيخ :

ولا يجوز اخذ الزائد لمصالح اقتصادية واجتماعية وأخلاقية ملزمة لا يجوز التفريط بها :

فآثاره السيئة من الناحية الاقتصادية : إن عدم جعل حد للربح يؤدي إلى تكديس الثروة عند أصحاب رؤوس الأموال وسلبها من العاملين فينتفع واحد على حساب شريحة كاملة ، ومن الناحية الأخلاقية : يوشك أن يوقع في الربا وتؤدي إلى الجشع والحرص ويقطع سبيل المعروف ولا يبقى احد يقرض قرضاً حسناً رغم ما فيه من الأجر حيث إن الصدقة بحسنة والقرض بشمانية عشر حسنة .

ومن الناحية الاجتماعية : فانه يؤدي إلى ضياع التكافل الاجتماعي والتعاون.

وهذه كلها ملاكات ضرورية للمجتمع يجب التصدي لدفعها انطلاقاً من قاعدة : (لا ضرر) ، وهي أولى بالمراعاة من قاعدة : (الناس مسلطون على أموالهم) و(حلية التجارة عن تراض) بل هي عناوين حاكمة على هذه الأحكام الأولية.

السؤال الثاني : في دقيقتين تنتقل من جهنم إلى الجنة !

لو حل الأجل ولم يقدر المدين على تسديد المبلغ ، فهل يجوز له تأجيله شهراً ثانياً ويدفع الفرق فقط وهو (١٠) آلاف؟.

لا يصح ذلك بنفس المعاملة الأولى بل لابد من إنشاء معاملة جديدة بأن يقترض المدين مبلغ (٢١٠) ألف ويسلمه إلى البائع الأول لينهي العقد الأول ، ثم يشتري منه ورقة جديدة بالآجل فيبيعها نقداً بـ (٢٠٠) ألف ويعيدها بعد إضافة (١٠) آلاف دينار من جيبه الخاص ويعيدها إلى المقرض فتكون النتيجة انه دفع الفرق وهو (١٠) آلاف إلى البائع الأصلي وبقيت ذمته مشغولة بورقة له ، ولا تستغرق العملية أكثر دقيقتين ينتقل الإنسان بها من جهنم إلى الجنة ، لأنه يحول الحرام إلى حلال.

يعلمنا الشيخ هنا درساً : وهو إن كل المحرمات التي يرتكبها الإنسان فإنه يستطيع تحويلها إلى لحظة طاعة بمجرد الالتفات إلى حاله والاستعاذة بالله تعالى فإن حالة سيتغير فلا يوجد إنسان عاقل وبوعي تام يختار غير الجنة بدلاً .

السؤال الثالث : هل تصح معاملة تأجير ورقة فئة (١٠٠) دولار بكذا مبلغ شهرياً؟؟.

لا يصح مثل هذا العقد ، لأن من شروط الإجارة بقاء العين المستأجرة والاستفادة من منافعها : كالدار يستفاد من سكنه مع بقاء الدار ، أما الموارد التي لا يستفاد منها إلا بذهاب العين وإتلافها : كالطعام فلا يمكن استئجاره ، ومن ذلك ورقة الدولار فإنه لا ينتفع بالعين إلا بذهابها بالبيع والشراء والإقراض ونحوه ، فالمال المأخوذ بهذا العقد لا مشروعية له .

السؤال الرابع : لو أخذ شخص مقداراً يزيد من ٥ ٪ فما هو حكم هذه الزيادة ؟

إذا كان أخذ الزيادة يعرف أصحابها الذين أخذها منهم فليستقرضهم أو يعيدها إليهم ، وإن لم يعرفهم فليدفعها بعنوان (رد مظالم) إلى الحاكم الشرعي أو يوزعها على فقراء المؤمنين .

الخامس : هل يمكن تشغيل ورقة أو أكثر من عملة الدولار مقابل مبلغ مقطوع يدفعه العامل بهذه الأوراق في السوق ويشترط صاحب المال عدم دخول الخسارة على ماله؟.

هذه المعاملة ليست مضاربة بالصيغة الشرعية الكاملة التي تفترض على العامل أن يتاجر بالمال ، ويتفقان على تقاسم الربح بنسب معينة بين العامل وصاحب رأس المال كالنصف والثلث والربع ، وهي الصيغة الأمثل للعمل التجاري ، لكن أصحاب السوق لا يفضلونها لتداخل رؤوس الأموال وصعوبة فرزها وحساب أرباحها ،

فيلجئون إلى إعطاء الربح المقطوع وهي عملية صحيحة وفق الشروط التالية :

(١) أن يبقى المال على ملك مالكه الأصلي ولا ينتقل إلى العامل كما لو اقترضه إياه فان اخذ المال يملكه بالاقتراض فلا يحق للمقرض أن يأخذ شيئاً زائداً ، أما في الحالة الصحيحة فان المال يبقى على ملك مالكه بحيث أن العامل لو سئل عنه يجيب : هذا مال فلان وأنا اعمل به .

(٢) لا بد أن يتجر العامل به ويشغله فلا يجوز مثلاً أن يشتري بهذا المال حاجة للاقتناء كإطارات لسيارته أو معدات ويدفع مبلغاً شهرياً لصاحب المال .

(٣) أن يكون المبلغ المتفق على إعطائه شهرياً مضمون الحصول عليه كربح شهري لهذا المبلغ غالباً ، أي أن المبلغ يربح بحسب المعتاد أزيد من المقدار المتفق على إعطائه شهرياً .

(٤) أن يتم دفع المبلغ بعد ظهور الربح ، فلو لم يظهر لا يحق لصاحب المال أن يطالب بشيء ، ويمكن توجيه صحة هذه المعاملة بعدة أشكال احدها : أن يتفق صاحب رأس المال والعامل على توزيع الربح بينهما بالمناصفة ونحوها ثم بعد ظهور الربح في رأس كل شهر يتصالحان بأن يدفع العامل على صاحب المال مبلغاً مقطوعاً إزاء حصته من الربح .

وتدور باقي الأسئلة حول عدة أمور منها : بيع مادة معينة بسعرين لوجود نوعين منها أو موديل يختلف عن الآخر ؟ يجيب الشيخ : بأنه لا بأس به بشرط حسم المعاملة على احد الشكليين ، لان التريديد يبطل المعاملة .

ومنها : بيع الدولار بآجل وقبض الزيادة فوراً حين العقد وتأجيل دفع الباقي عند حلول الأجل ؟ وهذا أيضاً لا بأس به ، ويمكن لصاحب رأس المال أن يشترط على العامل تحمل الخسارة فيما لو حصلت إذا كانت المعاملة صحيحة ، فان رضي العامل بها وجب عليه تدارك الخسارة من جيبه الخاص .

والسؤال الأخير: (بيع الهواء) بان يشتري شخص مقدارا من الدولارات بمقدار من الدينارين من دون أن يسلم احدهما الآخر حقه وإنما يملك المبلغ على ذمة الآخر ثم يبيع أو يشتري كل منهما حقه في ذمة الآخر إلى طرف ثالث فمن اشترى بمئة دولار من شخص بـ(١٨٠) ألف دينار وهو لم يسلم الدينارين ولا تسلم الدولارات ثم يبيع ما استحق من دولارات إلى ثالث فإذا صعد قيمة الورقة إلى (١٨٥) ألف فانه يقبض الفرق وهو خمسة آلاف دينار من المشتري الجديد ويحيل الطرف الأول وهو مستحق إلى الـ(١٨٠) ألف دينار على المشتري الجديد ليقبضها منه ، وإذا نزلت قيمة الورقة إلى (١٧٥) ألف مثلاً فانه يدفع الفرق (٥) آلاف إلى المشتري الجديد ليكمل المبلغ (١٨٠) دينار ليدفعها إلى الأول ؟

- البيع ليس صحيحاً لان الفقهاء يشترطون في صحة البيع المعاطاتي (وهي البيوع الحاصلة في السوق) أن يقبض احد العوضين على الأقل كالدينارين أو الدولارات ليلزم البيع ، أما من دون ذلك فالبيع غير ملزم ويستطيع أي منهما التراجع عنه وعدم الالتزام بدفع ما تحقق بذمته إلى الآخر .

ومثل هذا البيع قد توجد طريقة أو أكثر لتصحيحه إلا أنني لا أجد مبرراً لذلك، فيجب ترك مثل هذا التعامل .

لاحظ أن الشيخ اليعقوبي يفرق بين السؤالين الخامس والأخير فقد صحح المعاملة في السؤال الخامس ، وفق خمسة شروط تضعها الشريعة لتخلق جوا للعمل وأرضية للكسب الحلال ، إلا انه في السؤال الأخير والذي (توجد طريقة أو أكثر لتصحيحه) لكن لم يعمل بها لعدم وجود المبرر لذلك - المبرر الشرعي أو الاجتماعي أو اقتصادي وغيره - فيفتي وجوباً بترك مثل هذا التعامل ، وبذلك يشمل الترك هذا المورد وما شابهه من التعاملات.

فكرة خاطئة

عدم تزويج العلويات لغير السادة

لقد كان للشيخ اليعقوبي أثراً واضحاً في إحياء السنن الإسلامية التي تقوم العلاقات الاجتماعية والتي من شأنها الحفاظ على كيان المجتمع الإسلامي ومن تلك السنن هي سنة (التزويج) فحث المجتمع عموماً وفضلاء الحوزة خصوصاً على إيقاظ الناس وإلفات نظرهم إلى استحباب الزواج مبكراً وبناء الأسرة .. لأنها تمثل اللبنة الأهم في البناء الاجتماعي وأصدر المئات من الاستفتاءات والعديد من الكتب التي تعالج هذا الموضوع وتقلل من الصعوبات التي تقف حائلاً دون الزواج كـ(فقه العائلة ، المشاكل الزوجية أسباب وعلاج ، الحوزة وقضايا الشباب ، وفقه الجامعات ، وسلسلة نحو مجتمع نظيف ، وسلسلة ظواهر اجتماعية منحرفة).

ولم يكتف بالجنب النظري فقط ، بل أسس العديد من المؤسسات التي تتحمل جزءاً كبيراً من هذه المهمة ، ومنها (صندوق : الزواج رحمة) ... ودأب على محاربة كل الظواهر المنحرفة والأفكار الخاطئة ، والفكرة التي بين أيدينا هي مما نشئ في ظل الابتعاد عن روح الإسلام المحمدي الأصيل إذ أن بعض العشائر من السادة المنتسبين إلى رسول الله (ص) يمتنعون من تزويج بناتهم لغير السادة ، بل أن بعضهم استرد ابنته كرهاً من زوجها الذي هو من سادة غير عشيرتهم.

وقد أولى الشيخ اليعقوبي السادة العلويين من ذرية رسول الله (ص) اهتماماً خاصاً وقد شرح الأسباب الموجبة لذلك في خطاباً خاص وذلك عندما شرع في تأسيس (نقابة السادة العلويين) لذا يتبدأ جوابه عن هذه (الفكرة الخاطئة) بقوله :

إذا أردنا أن نحسن الظن بهم فإن هؤلاء يستندون إلى قول منسوب للإمام أمير المؤمنين (ع) حاصله (بنونا لبناتنا وبناتنا لبنينا) وهو إن صحت نسبته إليه (ع) فلا يصلح أن يكون دليلاً على هذه الظاهرة السيئة لعدة أمور :

١- إنها كلمة خاصة في واقعة معينة ولا يستفاد منها التعميم فقد خطب الأشعث بن قيس إلى أمير المؤمنين ابنته العقيلة زينب وهو يومئذ زعيم كبير لقبيلة عظيمة وهي كنده ومن وجوه المجتمع الإسلامي لكن أمير المؤمنين يعلم خبث معدنه فأراد أن يردّه بلطف فقال هذه الكلمة .

٢ - ويحتمل إنها خاصة ببناتهم وأبنائهم (عليهم السلام) المباشرين لا مطلق ذريتهم وان ابتعدت عنهم .

٣ - ويمكن فهم الكلمة معنوياً ففي الحديث الشريف : (يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة) ويكون معنى كلمته عليه السلام أن أبنائنا المؤمنين يتزوجون بناتنا المؤمنات وبالعكس ، ويؤيده القرآن الكريم حكاية عن إبراهيم (ع) (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي) وبالمقابل يقول عن ابن نوح (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) فالبنوة الحقيقية هي الانتساب بالعقيدة والولاية . لذا روي عن الإمام الصادق (ع) : (ولائي لعلي خير من ولادتي منه) فيكون معنى الكلمة هو لزوم تزويج المؤمنين بالمؤمنات ولا يجوز التزويج بغيرهم وهو معنى صحيح أكدته آيات عديدة .

ونقاش الشيخ أعلاه في حال صحة صدور هذه الرواية منه عليه السلام ولم يناقش (انه إذا جاءكم الحديث عنا فاعرضوه على كتاب الله وسنة النبي (ص) فما خالفهما فانه زخرف باطل لم نقله وارموا به عرض الجدار) .

ويضيف الشيخ بأنه توجد عدة أدلة على بطلان هذه الفكرة من الأساس ، ونشير إلى تلك الأدلة باختصار :

أولاً: إن الميزان الحقيقي للتفضيل بين البشر هي التقوى قال تعالى : (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) ... وقد وردت الأحاديث الشريفة في النكاح تشترط الدين والعقل في كفاءة الزوج (إذا رضيتم من رجل عقله ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير).

ثانياً : إن رسول الله (ص) وأهل بيته كذبوا هذه الفكرة عملياً ففي الحديث عن الإمام الصادق (ع) قال :

إن رسول الله (ص) زوج المقداد بن الأسود ضباعة ابنة الزبير بن عبد المطلب وإنما زوجه لتتضع (أي تتسهل وتتسامح) المناكح وليتأسوا برسول الله (ص) وليعلموا (إن أكرمكم عند الله اتقاكم).

ثالثاً: قد جرت سيرة العلماء وهم ورثة الأنبياء والأئمة على تزويج العلويات من غير السادة وقد دونت كتب التراجم والسير الكثير من هذه الحالات حتى اشتهر عندهم لقب (الميرزا) لمن كانت أمه علوية وأبوه ليس كذلك فظهر من كل ما تقدم عدم وجود دليل على صحة هذه الفكرة بل الدليل على خلافها من القرآن والسنة وسيرة العلماء فما هو منشأ هذه الفكرة المخالفة للقران ولسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟.

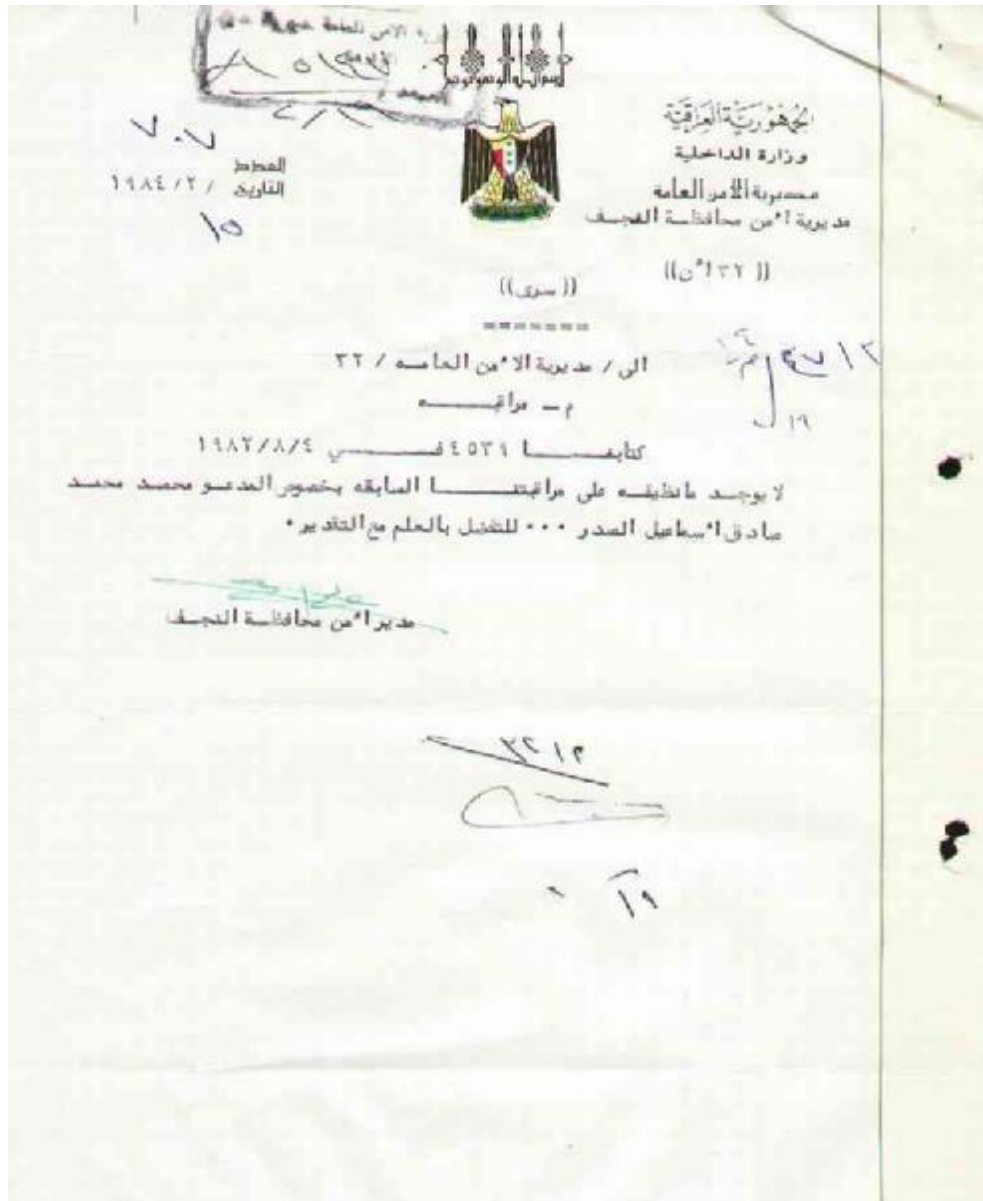
يعتقد الشيخ أن منشأ هذه الظاهرة العنصرية الجاهلية، ونظرة الاستعلاء، فيقول: (الذي اعتقده أن منشأ ذلك شعورا بالعصية الجاهلية وروح الاستعلاء وان الآخرين هم أدنى مرتبة فلا يستحقون التزويج منهم وإنما سميتها بالجاهلية لان القرآن يسمي كل عقيدة أو سلوك بعيد عن المنهج الإلهي (جاهلية) وقد كان قوم في الجاهلية لايزوجون نساءهم إلى غيرهم ويعتقدون بأفضليتهم على الناس ويسمون أنفسهم (الحمس) وقد تسربت هذه الروح إلى المسلمين فكان العرب الفاتحون يرون أنفسهم أفضل من غير العرب فلا يزوجونه ويسمونهم (الموالي) وقد شكى الموالي ذلك إلى

أمير المؤمنين (عليه السلام) فخرج إليهم وهو مغضب ووبخهم لكنهم عصوا أمره وأصروا على استكبارهم).

ودعاهم إلى التوبة من هذا العمل والعودة إلى جادة الصواب، ونبذ كل الظواهر الاجتماعية التي من شأنها إرجاع المجتمع إلى عصر الجاهلية الأولى.

نكتفي بهذا المقدار من الظواهر التي عالجها الشيخ العقوبي، وإن كان هناك الكثير من الاستفتاءات والمنشورات التي ركز فيها على ظواهر اجتماعية أخرى يمكن مراجعتها في مؤلفات الشيخ العقوبي أو التي صدرت بإشرافه وتوجيهه.

ملحق رقم (١)



الوثيقة رقم (١)

(٦٤٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جمهورية العراق

رئاسة الجمهورية - البكر

مكتبية الأمن العامة

مديرية أمن محافظة صان
التاريخ ٨/١٠/١٩٦٩
١١٩٩٦/٨/٥٥



"سوي و تحفي"

السيد ٣٠٣ في الشؤون السياسية
١٣ معلومات

١٥٦٥٠
١٧

١٥٦٥٠
١٧

أخيه وتفتي

لدينا تسبق مع الصديق هاشم محمد من خلف الموصلي - وكيل السيد
محمد محمد صادق الصدر في محافظة صان وخلال اللقاء ابلغنا كما يلي :

١. خلال زيارته الى محافظة النجف لاحظ ان السيد محمد محمد صادق الصدر
تمام بقطعة المدعو جعفر ابن منصور محمد باقر الصدر وهو شاب بائع
العمر بمقابلة وطلاء السيد الصدر في المحافظات لمناقشة نشاطاتهم
ومشاكلهم وأخطائهم

٢. استفسر المدعو جعفر من السيد هاشم حول مكان وجوده عام ١٩٧٩
أثناء الحقة على (محمد باقر الصدر) وماهو موقفه آنذاك من هذا
الخلعة وقد ضم السيد هاشم ان الموقف من عملية اعتقال الصدر
سكون أحيان منع وكالة السيد محمد صادق الصدر حالاً ولا يعرف
ان كان السيد محمد الصدر على علم بهذه الاستفسارة أم لا ، مع
العرض ان هذه الاستفسارات تمارس من قبل جعفر مع كل الذين
يتقدمون للمصالح على لوكالات

٣. حضر المدعو (مفتي) ابن السيد محمد محمد صادق الصدر اللقاء بين
جعفر والسيد هاشم وأقصر اللقاء عليهم الثلاثة فقط

٤. ذكر السيد هاشم ان هناك أحداثاً جديدة بينه وبين الصدر

الوثيقة رقم (٢) أ

(٦٤١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِ

رئاسة الجمهورية - البكركية

مذكرة الامن العامة
مديرية الامن العام
العدد ١٢٠٨١
التاريخ ١١ / ١١ / ١٩٩٧ م



سري وشخصي //

٢٢٥٦١
١١ / ١٢
١٢٤٤٤
١٥

الى المديرية السياسية الخامسة

م/معلومات

١- توافق مع كتابنا هذا منشور بعنوان (مؤامرات المرجعية)
تم توزيعه في محافظة النجف بتاريخ ١٩٩٧/١٢/٩ في قتل المرجع
الدين محمد صادق الصدر وتشير المعلومات ان الاشخاص الذين قاموا
بمؤامرة هم كل من:-

٢- سيد محمد هادي محمد باقر الصدر - سيد محمد طاهر محمد الصدر
٣- سيد محمد علي محمد الصدر

٤- كما تشير المعلومات بان الشيخ عبد الحميد الذي امام جامع علم باقر
شيعية صدام هو الذي يطبع المنشورات وانه قد استلم
المنشور لوارده ذكره من محرر صادق الصدر في النجف
٥- يقوم بعض المواطنين بالسؤال عن مشروعيه اقامة صلاة
الجمعة في مجمع عتبات بيوتهمون بالاسئلة الى المرجعيات
الدينية عن مشروعيتها وحسب ما علمه محمد صادق الصدر
مستم :-

١- سيد علي المستناني

٢- سيد محمد الحكيم

٣- سيد حسين بحر العلوم

(١ - ٢ - ٣)

الوثيقة رقم (٢ ب)

(٦٤٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جُمْهُورِيَّةُ الْخُرَّاك

رئاسة الجمهورية - السكرتير
مديرة الامن العامة



العدد :
التاريخ :
١٤ / / ١٩٩٧

١ - السيد علي القروي

٢ - السيد الحرامي

٣ - ذكر موضوعي حيث (نقطة ١٣) بأنه يرصد الى مكتب
الي القوا - اما موضوعي حيث (نقطة ١٤) فقال
أن آفاقه سلامة الجميع حرام وقد جاء في آفاقه
حيث (نقطة ١٥) فقد قال (١٥) آفاقه
غير واجبه .

حيث (نقطة ١٦) بالاطلاع ... مع التقدير

المرافقان

منشور

محمد ابي

حيدر بن قنادر

١٩٩٧/١١/

١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩٩٧/١١/١٩
١٩٩٧/١١/١٩
١٩٩٧/١١/١٩
١٩٩٧/١١/١٩

الوثيقة رقم (٢ ج)

(٦٤٣)

حوار حول المرجعية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه المحاضرة لم تُجر حرقاً في الخارج، إلا أنها كما هو واضح تحدث في كل يوم، وليست أهداف من هذه المحاضرة أن أمارس الضغط المعاند في على أحد ما، وإنما هي محاولة لإيقاظ الوجدان وإرجاع العقل إلى جانبته المستقيمة، إحياء القواعد الشرعية في منهجنا كحياة بصورة عامة وهي أمور اعتقادية بناتنا نتقدم بها نتيجة تشبيهاً بتقليد وميديهيات لا وجود لها إلا في عقلية التقليد الجامعية.

وهي محاولة لكي لا نبقي داخل أنفسنا متقوقعين بل لابد من الشغل لكي لا نشيع الفرضية وهي تمر كمر السحاب كما قال أمير المؤمنين (رح).

إن الآفة السخنة هي التي ترى القلب يعقل إليها وهذا الميل ليس نتائج الظاهر فنعلم أن كان في حد ذاته ليس عاملاً أساسياً في التعقيم وإنما هو ما نشتغل ونخطو الخطوة الأولى تجاه موضة الرب فلنجعل الحق رائدنا والكتاب والسنة والعقل مرشدنا وسوف نتجلى العلم وتنكشف الحقيقة وأقول كلمتي الأخيرة إن كنت تبحث عن الحقيقة فأقرأ هذه المقالة والا فإن كنت غير ذلك فلا تكلف نفسك مشقة قراءتها.

تبدأ المحاضرة بأن أذكر أحد الأصدقاء الربيع صديقه الشيخ وهو مثير لما ألت إليه مسألة المرجعية وتحديد العلم وهو إلى الآن لا يعلم من قلده، وسوف أرمي إلى الصديق بحرف (ص).

(ص): من هو العلم؟

(الشيخ): هو الأقدار على استنباط الحكم الشرعي.

(ص): جوابك هذا دور فالعلم هو الأقدار والعكس صحيح.

(الشيخ): أعلم ذلك ولكني أريد أن تسألني على قدر الجواب.

(ص): هذا حسن فمن هو الأقدار على الاستنباط؟

(الشيخ): أعلمهم بالفقه.

(ص): من هو العلم بالفقه؟

(الشيخ): أعلمهم بالاصول.

(ص): وكيف ذلك؟

(الشيخ): إن كل بناء يعتمد على الأساس فإذا كان الأساس متيناً وقوياً كان البناء كذلك أما إذا كان الأساس هشاً فالبناء كذلك.

(ص): وهل إن الاصول هي أساس الفقه؟

(الشيخ): نعم فإن استنباط الحكم الشرعي في الفقه يحتاج إلى مقدمات فلا يجوز لكل واحد أن يستنبط ما لم يحوز تلك المقدمات، وعلم الاصول هو العلم بالقواعد التي يتم الاعتماد عليها في استنباط الحكم الشرعي ويجب أن يكون الإنسان ممتلكاً لقدرات عقلية وفلسفة عميقة فإن هذه الأمور عقلية بحثة ومن هنا كان العلم بالاصول وهي المقدمات اعلم بالفقه الذي هو نتيجته.

(ص): سلمنا بأن العلم بالاصول هو العلم بالفقه فمن هو العلم بالاصول.

(الشيخ): إن هذا الأمر يحتاج إلى مزيد من الإيضاح: فقد وجدت

عبر القرون العشرات من المدارس الاصولية عند الشيعة واللاحقة أربع

من السابقة ولكن برزت إلى الوجود مدرسية إصولية صياغة للامامية وهي

مدرسة السيد أبي جعفر وكما تعلم فإن هذا المصطلح كان صاحب أكبر

عقلية عرفت في الحقبة العلمية في العصر المتأخر ولا اعتقد أن هناك

منازع في هذا الأمر إلا جاهل أو معاند ومن هنا فإن تلامذة هذه

المدرسة قد تميزوا عن سواهم بمستواهم العقلي والفقه، ولا حاجة إلى

ذكر أسماء فهي معروفة للجميع وفي كل العالم الاسلامي وعلى هذا

الاساس كان هؤلاء التلامذة يعد استاذهم هم الاعلم في الاصول بلا

منازع وذلك بسبب عدم ظهور مدرسة تنافس مدرستهم بل إن هذه

المدرسة هي المعتمدة الآن في كافة الحوزات، وتشهد الحوزات بقوة

هؤلاء التلامذة ومادام الأمر كذلك فإن هؤلاء المتبحرين يجب الرجوع

اليهم في التقليد مالم يثبت العكس فالقاعدة هي اعلميتهم الا اذا جاء

الدليل بغير ذلك، والموجود على الساحة من ورثة تلك المدرسة السيد

محمد الصدر وأن رجحنا إلى القاعدة فإنه لا يتم حتى يأتي الآخرون

بالدليل على خلاف ذلك.

(ص): ولكن هذا خلاف الشيعاء وخلاف وسائل الاعلام وهناك أهل

الفيرة ومئات من كبار علماء من العلماء وكثرة البحوث التي تلتقوا

وتعلم الحديث.

(الشيخ): عليك أن تتأمل في طرح الاشكالات حتى يتسم الحوار

بالموضوعية والدقة وعلينا مناقشتها الواحدة بعد الاخرى ولكن عليك

قبل الخوض فيها أن تدع الميل والعاطفة جانباً وهناك مسألة أساسية

لا وهي أن تجعل النقاش هو الحق لا غير، فمعنا علم خطي الشخصنة

وبمعنا كان اسمها يحمل بريقاً يشبهه فهذا تزمة له بعد الحق، عليه

فلنذكر الاسماء جانباً ولنناشر البحث بثمانيه وبعد أن نتوصل إلى قاعدة

وننتيجة نهائية تطبقها على الاسماء لنرى من هو الذي يستحق أن

يتصف بها.

(ص): هذا الكلام حق وأعدك أنني سوف أنبذ كل الميل السابقة

ولنترك الحق يأخذ مكانه.

(الشيخ): هذا جيد، أما مسألة الشيعاء فالمعروف أن الشيعاء المفيد

للأئمة يجب أن يكون بين الاوساط العلمية وهذا ابتدأ موجود

حالياً، إلا إن السيد الصدر طرح عليه اشكالا وهو أنه كان معزولاً أو

معزولاً عن المباحثة العلمية لفترة طويلة ولظروف خاصة يعرفها الجميع

وكذلك ذكر لي احدهم ان السيد الصدر كان صامتاً أثناء بحث استاذ

السيد الخوئي فلم تكن تعلم انه يحمل هذه الامكانية التي يدعيها، ومن

هنا قال السيد الصدر ان الذين يمكن ان نسميهم أهل الفيرة هم الذين

يحضرون البحوث عند من يحتل فيهم الاعلمية جميعاً وبعد ذلك يكون

التدبير علم اساساً المقارنة بين المستويات وهذا الكلام لاغير عليه فهو

كما ترى سليماً منطقياً فإن العالم اذا كان مجهول الحال (علمياً)

وتصدى الامر وجب الفحص عن صحة دعواه او عن امكانيته العلمية

حتى يتم انصافه وحتى لا تعرض القواعد الشرعية للشيعاء والسيد

الصدر حينما عرض هذا الامر لم يلبه الا القليل من هؤلاء والذي حضر

بحث وانصف القول حسم القول بمرجعيتهم وعلميتهم وأما الآخرون فهم

يرمون بسهامهم من بعيد واللطف في الامر أنهم لا يتناولون مسألة

الاعلمية الا نادراً لأن قضية الاعلمية عندهم سلبية بانتقاء الموضوع

فما داموا لم يطلعوا أساساً على إمكانياته العلمية فلا مجال لانتقائهم من أهل الخبرة على الأقل من الذين لهم ميول وأحياناً إلى أحد العلماء. ومن الطريف في القول أيضاً قولهم أن مقدي السيد الصدر يقلعون من دون بينة وحينما تسألهم هل يتبنون فلا يجيبون بل يصنون حينئذٍ الرسائل ومن منهم يمتلك هذه العلوم فمن هم هؤلاء الذي يدبرون هذه العملية بل إنك لو راجعت هذه الوسائل والمصادر التي تناولها لما شككت لحظة بقدرة أهدافها (فالشراخ والوسط) وبغيرهما تقول من قبل جهات مدعومة الاغراض ولا شأن لها بالإسلام فإنك لو طالعت هذه المجلات أو الصحف لوجدت الكلام عن الحق في صحته وباقى الصفحات إعطالت بتخدير المطربين والمثليين ... الخ من القضايا الدينية الرخيصة التي لا قيمة لها. ثانياً وعلى افتراض وجود مجلة إسلامية مثل النور والذين يكتبون هم إسلاميون الاتجاه قبل من العقل أن يصدر من بعده عن التجنب مسافة معتد بها ومعتوياً حكمه من دون تدبر أو تفحص. إن هذا وللأسف حالهم.

وانتدك أن تراجع نخدم بهذا الكلام فإن الاتهامات سوف تتكاثرتك من كل حذب وصوب. ولكن قل للمستخفين مقدم عمل قرأتهم استدلالات السيد الصدر؟ هل ناقشتموه؟ هل حضرتهم بيت؟ وكفى.

وأما مسألة كبير السن فمضى كان التليفات الأولى الحق من الامام علي(ع) بالخلافة ليجرد كبر سنه هذا أولاً وثانياً إن كل من تصدى للمرجعية من علمائنا سابقاً كانوا في من السيد الصدر أو يقلون عنه وإيضاً فإن العمر لا يعتبر مرجحاً في عامة شخص ما فتحت نرى حوالينا الكثير من أمثال ذلك ونرى أن الكثير من كبار السن لا يمتلكون قدرات الكثير من الشباب وهذه المسألة الأثرة فاشطاً هو العلم فحسب.

(ص): هل تريد أن نقول بأن هذا النعم انفسهم من مثل الضمير الذين يعتبرون عماد الحقو يعملون عاطفياً إلى فلان وقلان بدون مرجح شرعي؟

(الشيخ): إن المسألة يجب أن تكون موضوعية كما قلت ولا أقول انهم متحيزون بدون مرجح أو أنهم والعباد بالله فائقون للعدالة. بل إن علينا أن نخرج بقولنا الذين لا تتوفر فيهم الشرائط ونعرض على الباقين المسألة وأما أن نقول فيهم قولاً ما فهذا لا داعي له بل نترك امرهم إلى الله فهو حسيبنا ونعم الوكيل.

(ص): لا بأس بذلك ولكن هناك اشكالات ترد على السيد الصدر وسوف أذكرها تباعاً وعليك أن تجيبني بما هو حق. المسألة الأولى الادعاء السريع بالألمية بلسان المقال وهذا مما لم يسبق له مثيل إلا باعتبار هذا خلاف المتعارف بين العلماء الذين من شأنهم التواضع؟

(الشيخ): إن قولك صحيح ابتداءً ولكننا نعلم أن السيد الصدر لم يكن له أصحاب يدعون إلى مرجعيته لذلك تكفل هو بنفسه هذه المسألة ولندع هذا الأمر جانباً فأنك لو سألت أي مرجح من المراجع عن العلم لقال لك بشكل واضح أنه لا علم فمثلاً يقول لك أسأل أهل الخبرة ولو سألت من هم أهل الخبرة لقال لك فلان وقلان مثلاً وهو يعلم مسبقاً انهما يقولان بأعلميته هذا جانب والجانب الآخر فإن هؤلاء المراجع ينكروني في رسائلهم العملية انه يجب تقليد العلم وتراهم يتصدون للتقليد وينشرون رسائلهم وهذا تصريح منهم بالادعاء وعليه فلا فرق واقعاً بين ادعاء السيد الصدر وادعاءهم بل الأمر كما ذكرت يحتاج إلى إقامة الدليل على العلمية.

(ص): قهنت الأمر كما هي أدلة السيد الصدر مقابل هؤلاء المراجع؟

(الشيخ): أن السيد الصدر عرض في الرسالة الاستثنائية الثالثة الأدلة على علميته وأجل فيها ولكن الباقين ظلوا على صمتهم وإلى أن يقدموا دليلاً على علميتهم فالترجيح يكون لصالح السيد الصدر وأيضاً فإن إعطاء الأدلة بصورة مختصرة لا يكفي فيجب التناظر والمناقشة لكي تصمم المقالة.

(ص): هل تريد أن تقول أنه ممكن أن يجتمع المراجع فيما بينهم ليقنعوا؟

(الشيخ): بل لا يكون ذلك وقد حدثت الكثير من المناظرات في كل العصور لكي يتبين الحق.

(ص): ومتى حدث ذلك؟

(الشيخ): في كل تاريخ أئمة أهل البيت (ع) كانوا يناقشون باستمرار وهذا خلاف ما ذكره أحد العلماء من أن المناظرة خلاف المتعارف فهل أن أنتمنا يعلون مامو غير متبارف؟

(ص): لا أعني ذلك وإنما قصدت بين العلماء؟

(الشيخ): نعم قد حدثت العشرات من هذه المناظرات وحتى وقت قريب وفي عهد السيد الخوئي كان طلبته يناقشونه وقد رجع إلى قولهم في بعض الآراء كما في مسألة اللحوم المستورة وتجزئته لشر ما عا وحمة اللحوم وقد ناقشه تلامذته في المسألة فعدل عن رأي فحرم ما عا أيضاً فالمسألة لا تحتاج إلى هذا التهويل وإنما هي لنصرة المذهب لكي يتبين الحق وهو المطلوب.

(ص): وهل حدثت في هذه الأونة مناقشات بين السيد الصدر وبين أحد الماليتين؟

(الشيخ): كما ذكرت لك فإن الجميع يحرم عن الدخول في أي مناقشة وفي هذا دلالة واضحة على قوة السيد الصدر العلمية ولكن قد حدثت إتفاقات مناقشات من هذا القبيل وقد انتصر السيد الصدر فيها جميعاً وما عليك إلا أن تسأل طلبة الحق عن تلك المناقشات فيخبروك وبالأخص ما حدثت في شهر رمضان ١٤١٧ في برآني السيد الصدر وغيرها.

(ص): لندع الآن هذا الأمر وعليك أن تجيبني على أشكال آخر وهو أن السيد الصدر عصبي المزاج يغضب بسرعة وهذا غير لائق؟

(الشيخ): أما الغضب فهو أحياناً يذهب بالعدالة وأحياناً يكون إنتصاراً للحق ومن ممّا لم يقرأ عن غضب الرسول(ص) أو الامام علي(ع) أو أحد أولاده إنتصاراً للحق. وغضب السيد الصدر من هذا القبيل. وقد صحبته مدة طويلة فلم أره يغضب من دون أن يكون غضب إنتصاراً للحق والدليل إنك لو سألت «باشرة بعد ذلك لوجدته هادئاً جداً ويجيبك بكل براعة على سؤالك وهذا خلاف الغضب المتعارف فالإنسان حينما يغضب لا يرى ما بين يديه وعن الغضب أن يعود إلى هدوءه في وقت قصير وهذه المسألة أيضاً محاولة ممن لا أذكرهم لترجيح المجتمع ضد السيد الصدر وقد قشلت كاشواتها وأقول لو أن أحداً تجرأ وسب أحد العلماء أمامك أو ارتكب إثم أو تناول على الشريعة قبل تغضب لا أ على أن الغضب إنما يكون مستحقاً للعدالة إذا استعمله الفرد في الحرام فهل تستطيع أن تقول أنه استعمله في الحرام ولو مرة واحدة؟

الوثيقة رقم (٣ ب)

(ص): أرجو المذكرة على أشكالي هذا إذ يجب علينا أن نضع علمائنا في موضع الاحترام والتقدير وحمل أقوالهم وأفعالهم على الصحة.

(الشيخ): وهذا ما نريد نحن ويطلب به قبلنا السيد الصدر فلماذا لا تحمل أقواله على الصحة وهو سيد المؤمنين في هذا الوقت ونائب الإمام في نظري ونظر مقلديه على الأقل وهو مجتهد عالم في نظر غيرنا وعليه يجب أن نثق الله في حكمتنا.

(ص): حسناً وأخبرك الآن بأمر أخيرني به أحد الأخوة وهو أن السيد الصدر يشير دائماً إلى مؤلفه القيم (ماوراء الفقه) ويقول أن فيه أكثر من دليل على علميته والأشكال التي يطرحه هؤلاء أن ماوراء الفقه ليس من تأليف السيد الصدر بل هو لأحد أساتذته الماضين (قدس سره) بل أن هناك من يقول أن السيد قد استأجر بعض المؤلفين لهذا الغرض فما هو رأيكم؟

(الشيخ): سبحان الله ولكن كما يقولون (شر الليلة ما يمشك) فربما أن عجز القوم عن مجاراته أخذوا في الاتيان بهذه الاعييب الصيبانية والتي تشير نقاعة المدعي لهذه الأمور ولكن مع ذلك لن تبقى بدون جواب كما يفعلون حينما تطلبهم بأجوبة ما عن أي سؤال يختص بالمرجعية أو غيرها فنقول أن ماوراء الفقه بلا شك تأليف السيد الصدر والدلائل على ذلك عدة أمور ١- دعواه وهو مصدق فيما يقول ٢- أنه أتى بأدلة جديدة لم يسبق إليها ٣- طرح أموراً لم تكن مشاركة في عصر ذلك الأستاذ المشار إليه ٤- مناقشته لأراء نفس ذلك الأستاذ ورد عليه في أكثر من محوذة بعنوان بعض أساتذتنا ولا اعتقد أن ذلك المرجع (قدس سره) كان يرد على نفسه فهذا تناقض.

أما استأجار مؤلفين لهذا الغرض فهل أن هؤلاء المؤلفين من خارج الحوزة أو من داخلها فإن كانوا من خارج الحوزة فيأصل لعدم قدرة غير الحوزيين على الاستدلالات الفقهية والاصولية. وإن كانوا من داخل الحوزة فمن الأجدر بهم التصدي بالمرجعية ما داموا يمتلكون هذه الامكانيات. وبخلاصة الجواب أن هذه دعوى بلا دليل بل هو الحقد والجهل وكفى.

(ص): أحسنت كثيراً وهناك أيضاً مسألة أخرى وهي أن بحثه في الاصول ضعيف وتلامذته ضعفاء في علم الاصول وهذا مايتداوله البعض فما قولكم؟

(الشيخ): كون السيد الصدر ضعيف في الاصول فهذا إدعاء متحرج فيبحث من أفضل البحوث كما ذكرت من قبل وأليك دليل: ففي فترة مقتت وفي عهد استاذنا اناط إليه مهمة القضاء البعث الخارج وقد باحث وأعجب استاذهم كثيراً لبحثه ولا اعتقد أن استاذهم كان يجامله وكذلك المقالة المشهورة لاستاذهم هذا أنه يستدل الله أن يرى فيه علماً من اعلام هذه الأمة وهذه شهادة لم يحض بها أحد من تلامذة ذلك المرجع سوى السيد الصدر دام تله.

وأما تلامذة السيد الصدر فهم من أذكى طلبة الحوزة في النجف بالرغم من حداثة حضورهم في البحوث الخارجية للعلماء وتشهد لهم الحوزة العلمية بالمستوى العالي سواء على مستوى تفرس السطوح أو على مستوى المناقشة وإيمانكم المدعي عليهم أن يناقش ما يشاء منهم فهم على أهية الاستعداد لذلك.

(ص): سمعنا من بعض الأواسط العلمية بأن السيد الصدر لا يملك إجازة خطية بالاجتهاد فكيف يدعي المرجعية؟

(الشيخ): هذا السؤال أجاب عنه سماحة السيد الصدر بنفسه جواباً على أسد الاستفتاءات فقال: إجازة الاجتهاد ليست سوية لوجوب الاجتهاد وإنما هي مسبب للتعرف عليه. وهي في هذه الأيام قابلة للتلاعب والتزوير والفسط مضاعفاً إلى دخول الزعم والعناوين الثانوية لمن اصطاعها. وإذا تراها بيد من ليس أهلاً لها قطعاً. غفر الله لنا ولهم فمن هنا كان يدين بعض أساتذتي على الاستفتاء عن هذه الشهادة وإثبات الامر بكه اليمين وعرق الجبين كما يقولون. وأنا قد رجحت هذا المسلك وسرت عليه فلم اطلب من أحد شهادة اجتهاد مضاعفاً إلى ظروف الثقة الصعبة طيلة حوالي عشرين سنة تمتعت من طلبها والحصول عليها.

(ص): ولكن لماذا لا يتم تعيين مرجع ديني بالاتفاق مع باقي المراجع لصحة الشيعة؟

(الشيخ): هذا السؤال عرض على السيد الصدر فأجاب عليه قائلاً: حساً بمنزلة المستحيل علمياً، قل ذلك للمراجع الآخرين وانظر بماذا يجيبون!!

واليك هذه الحادثة فقد جاء إلى السيد الصدر إثنان من الشخصيات العلمية المشهورة في النجف وعرضا عليه فكره توحيد المرجعية فوافق السيد دام ظله قائلاً: أنا أول الداخلين معكم وآخر الخارجين فقالا ونريد أن تكون أنت زعيم الحوزة والمراجع الأعلى فقال كلا اختاروا من تشاؤون وأنا معكم سواء كان الاختيار لغيري أم لي. فذهبا وعرضا المسألة على المرجعين فكان الرد هو السب والتجريح من قبل البعض وت الحاجة إلى تكرار المزيد والتنازل الآن الأمور التي في ذهنكم.

(ص): والان أخبرني كيف يتعامل السيد الصدر مع الطلبة أو تنوعم؟

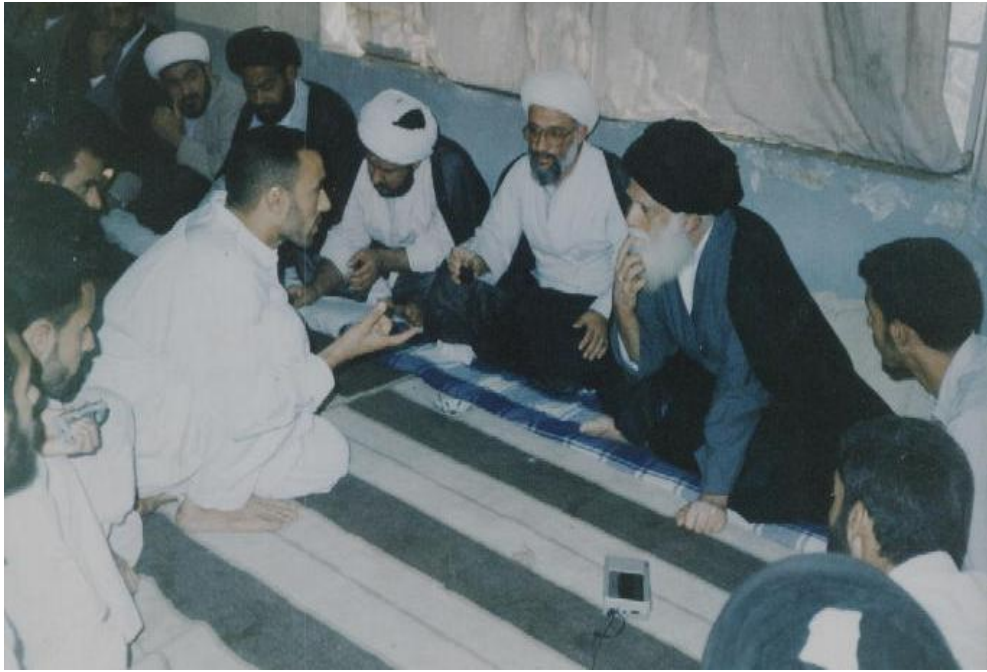
(الشيخ): أن سماحته لا يرى فرقاً بين الطلبة والعوام في التعامل وأما العوام فلو سلم عليه أحدهم فلا يرى فرقاً في رد السيد الصدر بين العوام والطلبة وهو لو خلق سمح وتواضع وبذر العجب حقيقة. فلا ترى انفة ولا تكبراً ولا تصنعاً والذي أثار انتباهي البساطة التي يتحلى بها فهو نفسه، عند النقاش وعند السلام وعند الصلاة وحتى في البيت على ما ظن مع ذلك هو لا يعرف الهزل فحياته جد في جد. صحيح قد تصدر منه الكثير من الطرف التي تجعل الذو أبواً حنوناً وتراء لا يتكبر في جواب أحد رجل أو امرأة كبيراً كان أو صغيراً وحتى أن بعض العوام وهذه يحدث يوماً يستوقفونه في الطريق لغرض السؤال ولا يرى سماحته في ذلك أي حرج إلا اللهم إذا كان يؤخره عن درس أو واجب أو مهمة حوزوية.

(ص): سمعت إن السيد الصدر يجيب على كثير من الاستفتاءات يومياً.

(الشيخ): لا اعتقد أنه في تاريخ المرجعية قد وجهت أسئلة بالمقدار الذي وجه إلى السيد الصدر واعتقد جازماً أنه قد حطم الرقم القياسي في عدد الاستفتاءات التي أجابها فهي تقدر بالآلاف وقد خصص لها وقتاً خاصاً يومياً وفي هذا تلبية كبيرة لمتطلبات المجتمع وحاجياته الضرورية فبينما تنتظر عند الغير الاستفتاء لمدة أسبوع على الأقل يجيب السيد الصدر إذا كان الامر هاماً فوراً والا فالجواب يأتي بعد يوم أو يومين في ابعاد الاحتمالات ومن تواضعه في هذا الصدد أنه

الوثيقة رقم (٣ ج)

(٦٤٦)



الوثيقة رقم (٤)

(٦٤٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتِّينَ يَوْمًا وَهُوَ عَلَىٰ جَنَّةٍ عَافِيَاءٍ
قَدِيرٌ» (٢٩) «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا تُسَبِّحُونَهَا كُنتُمْ فِيهَا تُغْمِغِمُونَ كَثِيرٌ (٣٠) وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» (٣١).

إن من الأمور المهمة التي ينبغي التوقف عندها وتسلط الضوء عليها لإمطحة ما
يكتنفها من الغموض أو التشويش هو ما يشاع ضد الصدرين من أنهم لم يلغوا حول
مرجع من المراجع الأحياء وإنما اكتفوا بالبقاء على تقليد زعيمهم وقائدهم الكبير السيد
الشهيد محمد الصدر (قدس سره) واكتفوا بأخذ الفتاوى عنه، بل إنهم يرجعون إلى
تقليده ابتداءً مع أن تقليد الميت لا يجوز. ولم يقلوا بأي غموض آخر من التماذج
المطروحة على الساحة العلمية في الحوزة الشريفة. وهذا المسلك في نظرهم هو مسلك غير
علمي وإنما هو غموض من التفرقة وعدم قبول الآخر، بل قد يصل البعض بأن يدعي في أن
هذا المسلك ينتهي إلى تمجيد الجانب العلمي وعدم الاعتراف بأي مجتهد آخر.

وهذا الكلام مجانب عن الحقيقة بكل تأكيد، وهو كلام من يجهل الوقائع التي حصلت
بعد استشهاد مرجعنا المقدس، حتى انتهى الأمر بالبحض إلى أن يعتبرنا كأبي حزب آخر
يدور حوله التساؤل عن علاقته بالمرجعية. والحال أننا خط حوزوي منشئ من رحم
الحوزة الشريفة، بل نحن الحوزة الناطقة المجاهدة من دون إثنية في البين.

وقد ربانا السيد الشهيد (قدس سره) على الاندكالك بالحوزة الشريفة وأن لا نقول قولاً
ولا نفعل فعلاً بل لا تفكر إلا بالرجوع إلى الحوزة الشريفة. وقد سرنا على هذا النهج في
حياته الشريفة، وتم التواصل والاستمرار على هذا المسلك بعد شهادته (قدس سره).
فمنذ اليوم الأول بعد شهادته (قدس سره) قد توجه مكتبه الشريف إلى أحد المراجع
الأحياء في النجف الأشرف حفاظاً على وصيته (قدس سره) بأن يكون الانضاف حوله
لقيادة الحوزة الشريفة. وقد قلنا له نحن بمقدمك وبرأي السيد الشهيد موجود بكل
تفاصيله وإجازاته، ولا نحتاج إلا لوجودك ونصديك لتقيادة لكي لا تذهب تلك
الإنجازات، ولكي لا يضيع المجتمع، ولا تنتشر الحوزة. فكان جوابه بالرفض وأنه لا
يتصدى ولا علاقة له إلا بالدرس، ولا يستطيع أن يتصدى إلى أكثر من ذلك. حتى وصل
الأمر إلى الإلحاح عليه، ولكنه أصر على رفضه.

لهذا، ندفعنا إلى ذلك غير حرصنا على تطبيق وصية شهيدنا المقدس، وأن نخدم

الوثيقة رقم (هـ أ) خطبة الجمعة الموحدة لمكتب السيد الشهيد

بتاريخ ٢٦ / جمادى الأولى / ١٤٣٠ هـ

الحوزة والجمعية.

ولنا أنذاك وبالرغم من أننا لم نكن نحتاج إلى الإذن بقبض الحقوق الشرعية منه، إلا أننا كنا نحتاج إلى إبراز اسمه أمام النظام البائد حفاظاً على التقية ولا نريد أن نبرز اسمه غيره. فقد أخذنا منه إذناً بذلك لكي تستمر على صرف تلك الحقوق على نفس الموارد التي كانت تُصرف عليه في حياة شهيدنا المقدس من توزيع رواتب الطلبة في الحوزة الشريفة وكذلك احتياجات المدارس الدينية في النجف الأشرف وكذلك مساعدات المحتاجين والفقراء. وقد أعطانا إذناً بذلك، إلا أنه سحب هذا الإذن في نفس اليوم ليلاً، وقال إذا مضى أربعون يوماً فأغلقوا المكتب.

وبعد أسبوع من ذلك ذهبنا إلى أحد المتصدين في النجف الأشرف وعرضنا عليه الأمر أيضاً وأن كادراً كاملاً من أعضاء البراني ومتولي المدارس وأئمة جمعية كلهم بتقديمه وليس عليه إلا أن يتصدى لقيادة الأمور. إلا أنه رفض أيضاً وتمذر بالمرض. ولم نكتب بذلك وقلمنا خدماتنا إلى غيرهما وخصوصاً من أوصى شهيدنا المقدس بالرجوع إليه من ناحية التقليد باعتبار أنه الأعلم. إلا أننا لم نجد من بقي بمتطلبات دوام واستمرار منجزات السيد الشهيد (عليه السلام) حتى بالحد الأدنى.

فلما من أهل الدور القيادي للجمعية، ولما من يريده أن يستمر الجمعية على مزاجه الشخصي والعاطفي، إلا أننا قد سرنا على ما رسم لنا زعيمنا الصدر المقدس بقوله: (والمرجع الجديد لو صح التعبير وإن لم يكن متفقاً مع السيد محمد الصدر بكل التفاصيل، إلا أن المهم فيه، هو الاتجاه نحو العدالة الاجتماعية، وإنصاف الناس من نفسه، كما قيل في الحكمة: (قل الحق ولو على نفسك) وإدراك المصالح العامة. فإن وجدتموه شخصاً من هذا القبيل فتمسكوا به، وإلا فدعوه إلى غيره. فإن الأمانة في المرجعية، هي العنصر الغالب مع الأسف جيلاً بعد جيل، وهذا هو المصير حقيقة في الحوزة خاصة، وفي المجتمع عامة. فاتبعوا شخصاً من المجتهدين ليس له مثل هذا الطبع، بل له اتجاه التضحية في سبيل الآخرين، يذل النفس والنفس في سبيل دينه ومذهبه). وهو كلام وكأنه يحكي ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يُعرف الحق بالرجال إعرف الحق تعرف أهله). فإن لدينا موازيناً للمرجعية الحق، وكل من يتصف بها فإننا تبعه، وإلا فإننا نرفضه كأننا من كان. وأما ما يخص تقليد الميت ابتداءً فإننا لم نتحدث عنه من فراغ وإنما غاية ما يستدل به لعدم جواز تقليد الميت هو عدة أمور:

الوثيقة رقم (٥ ب)

(٦٤٩)

الأول: الإجماع، وهو مطعون كبير وصغير، وذلك لأن هذا الإجماع المدعى مدركي وهو ليس بحجة، وكذلك فإن هناك عدداً من الفقهاء من خالف ذلك فلا يكون إجماعاً أصلاً.

الثاني: أصالة عدم الحجية، وقد نوقش في ذلك بأن الأدلة التي تثبت بها حجية فتوى الحمي بنفسها وينبغي ما ثبتت حجية فتوى الميت من الكتاب والسنة والعقل والسيره العقلية.

الثالث: أصالة التعيين. وقد نوقش بأن هذا الأصل على فرض التسليم به فإن هناك أصلاً حاكماً عليه وهو الاستصحاب، الذي اعتمد الجوزون لجواز تقليد الميت ابتداءً. الرابع: السيرة. وقد نوقش بأن السيرة قامت على جواز تقليد الحمي، لا على حرمة تقليد الميت، ويجرد الفعل لا يدل على نفي الطرف الآخر.

وهذه الأدلة هي أبرز ما يستدل بها على عدم الجواز إلى غير ذلك من الأدلة التي هي أوهن منها، وكلها قابلة للمناقشة. وهذه المناقشات التي قلناها لكم إنما هي بتلخيص واختصار مما قاله بعض الفقهاء. فلا دليل يخلو من المناقشة على حرمة تقليد الميت ابتداءً. حتى قال بعض الفقهاء المعاصرين ما نصه: إن مقتضى الصناعة جواز الرجوع إلى المجتهد الميت حتى ابتداءً، ولكن الإجماع المقدس، والشهرة العظيمة القطعية على عدم جوازه، وتوفر الفقهاء الأحياء والله الحليم في مثل هذه الأزمنة في كل مكان، يلزم منها الركون إلى الإحتياط وعدم الإقدام على تقليد الميت ابتداءً، إلا إذا أدت الضرورة إلى ذلك، نظير ما أفتى به بعض كبار مراجع العصر.

ونهاية كلامه قابل للمناقشة، إذ أن كل ما يساقه من أسباب الإحتياط لا تعد دليلاً صحيحاً في ذلك.

وعلى أي حال فإذا رجعنا إلى رأي من أشار له شهيدنا المقدس بالأعلمية فإنه يقول بحسب تعليقاته على كتاب (الفتاوى الواضحة) للسيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) حينما يذكر الماتن شروط من يرجع إليه في التقليد ويذكر منها الحياة. فإنه يعلق بقوله: (ليست الحياة بعنوانها شرطاً، ولكن الأعلمية التي هي مرجحة ترجيحاً لزومياً في التقليد تكون عادة على الخط الطويل في الأحياء، ولا ندوم في الأمور عادة بأكثر من عمر الجيل الذي قلده). راجعوا كتاب الفتاوى الواضحة الجزء الأول صفحة ١١٥ مع التعليق عليها.

ويستفاد من ذلك عدة أمور:

الوثيقة رقم (٥ ج)

(٦٥٠)

منها: عدم جعل الحياة شرطاً في التقليد.
ومنها: عدم دوام الأعلمية في الأموات عادة وليس دائماً.
ومنها: أن هذه العادة لا تدوم من زاوية نظره بأكثر من عمر الجيل الذي قلده.
ومن ذلك كله نستج أن لا إشكال في جواز السيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره) ابتداءً.

مضافاً إلى أن نفس هذا المرجع يقول في رسالته العملية (الفتاوى المنتخبة) الجزء الثاني صفحة ١٥: أما تشخيص الأعلمية فصعب بل مستحيل لغير أهل الخبرة، فلو استطاع أحد تشخيصه عن طريق شهادة أهل الخبرة وجب تقليده، ولو لم يستطع ذلك لعدم تحصيل شهادة أهل الخبرة أو لتضارب الآراء في تشخيص الأعلم بين أهل الخبرة فهو غير في التقليد يختار من يشاء من الفقهاء الجامعين للشرائط من دائرة الذين يحوم حولهم شبهة الأعلمية، فإن لم يحصل على هذه الدائرة كان اختياراً في التقاليد يختار أي فقيه شاء من الجامعين للشرائط. انتهى

وأقول أهل الخبرة الآن متضاربة، وما أشار له شهيدنا المقدس من الأعلمية كان ذلك قبل عشر سنوات، مضافاً إلى أنه معارض بأقوال أخرى لأهل الخبرة.

فإذا أخذنا برأي بعض الفقهاء الذين انقسموا بين من أجاز التقليد لمن أجازوا الأحياء فإنه يقول:

قد تسأل هل يجوز تقليد الميت ابتداءً؟

والجواب: لا بعد جواز شريطة إحراز أنه يفوق الأحياء والأموات في العلم بأن يكون أعلم من الجميع بأحكام الشريعة، والأعرف والأقدر على تكوين القواعد العامة، والأدق في مجال التطبيق والاستنباط. انتهى

وما يقال بأن شهيدنا المقدس نفسه لا يميز تقليد الميت ابتداءً، فإن جوابه بأن هذه المسألة يؤخذ بها رأيي الحلي وليس الميت.

والنتيجة التي توصلنا لها من كل ذلك هو جواز تقليد السيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره) ابتداءً ولا إشكال في ذلك إطلاقاً وهو مبرر للذمة بكل تأكيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ كَانَ عَاكِفًا (٣)

شياً :-

خلدك لقاء وصدرنا السيد محمد مهدي بحر العلوم بمكان موجود
السيد فاضل الموسوي مسؤول جامع الحلة أستاذنا الأخير
من السيد بحر العلوم النوري :-

١- هلك جمع الحقوق جاز من قبله البراني السيد الصدر ورد عليه
بأنه مستهزاء وبالجرف الواحد (هذه من خارج الحدود) ويعتقد
وصدرنا بأنه يقصد المحرم الحائز :-

٢- تحدث مع وصدرنا بأنه محمد أستاذ الفاضل قد أصدر فتوى
بجواز تسليم الحقوق إلى البراني الصدر :-

تفليق

نعتقد أنه ذلك عند مرجعية السيد بحر العلوم باعتبار أنه لدرلة
مستقيم بتعيينه :-

المقترحات :-

١- اللقاء مع السيد محمد مهدي بحر العلوم وحسم القوابض التي يجب
أنه تتم معه التي وضعت من قبلنا مثل (مادة الجمعية - البراني -
الصدرة في الشارع - المدارس ١٠٠ الخ) وهذا ضروري أنه يتم قبله
تسريح المحرم :-

٢- أنه لقاء ناهج رياض النوري قد انقطع منذ فترة مما دفعه بالعودة
إلى البراني وهذا يجب اللقاء به من قبل السيد مدير م. م. من
بغية معرفة نواياه وتواجهه الأخير في البراني وما يطرح إليه :-

٣- دعم السيد محمد مهدي بحر العلوم مادياً لكي يستطيع سبب البساط
من تحت أقدام العناصر المخترعة الهندسة بين صفوفه المحرزة
العلوية :-

٤- إعطاء السيد بحر العلوم صلاحية تعيينه أئمة الجمعية في جوامع
وحسينات العراق لكي نفلق الطريق أمام البراني الصدر ولينفذ
يقوم بهذه المسؤولية :-

الوثيقة رقم (٦) بتاريخ ١٣ / نيسان / ١٩٩٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم
 سماع آية الله العظمى السيد الحسين آل بحر العلوم دام ظل الشريفة
 مولانا:

ظن في الآونة الأخيرة بعض الطلاب من المدرسة الدينية المحمدية ومنهم
 من اتهم بعض الحقوق الشرعية بما وصفه ويطلق بعض الزعماء المفسدين
 وبأنه من بعض وكلاء المأمرين لبعض الحقوق الشرعية وإجراء الصالحات الشرعية
 وأما فيهم الحيل الشرعية على أنه اليوم يدعى له البرهان من حيث أنه قد أصدر
 بعض الكراميس الفتوائية التي في بعضها بفتاوى في الفقه الضرورية وقد نشرت في الجلب
 من ذلك وانما العراقة وبعض الزعماء الدينية من طوائف بعض الزعماء الفسقة
 وبعد هذا الظاهر أن ما رأيت مما فيكم في هذه الأعمال التي تنخر في جبهه الشريعة
 علما أنه قد أجاز بعض المراجع الزعماء (دام الله) بحدايد كصحة محله «أفتوا الله»
 ولعل الكلام إذا صدر من غيركم الشريف بحاشي الصق بالفتن وأدعى لمكالمه الرضوان
 هذا وما ضل حركاتكم بالصرح وروايت العافية

بسم الله
 آية الله محمد بن الفضل المصطفى
 السيد طاهر الرضوي فاسأل الله لهم
 الهداية والبركة في العلم
 والبركة
 الخ الخ الخ
 الطباطبائي الخ


الوثيقة رقم (٧ - أ)

(٦٥٣)

بسم الله الرحمن الرحيم
ساعة اية الله العظمى الشيخ بشير الخفجي دام قلة

بعد سلام تليق بمرحمة الله عز وجل وبعد

ظهر في الآونة الاخيرة طلاب من الكوفة العلية الجدد (شيوخ
الشيخين) ومنهم اخذ يقبض الحقوق الشرعية باسمه ويطعن بعض
الاشخاص المفقودين ويأذن لبعضهم وكذا انه الجدد المستعصرين
لقبض الحقوق الشرعية واجرار الصالحات الشرعية
واستلزام الحيل الشرعية علما ببعض اليوم الاحتمال فغلبه قد
اصر بعض الكبار من الفتاوى التي اقترأ في كثير من الفتاوى
مخالفة لظهور الفقه عوقد نشرت هذه الفتاوى في جميع
انحاء المدن والقرى العراقية بواسطة جماعة من الطلاب الجدد
الظنقة ما راكم هذه الاحتمال اقترنا صاحب راس

احمد الخفجي
٩/٩ ربيع الاول ١٣٤٤ هـ

بسمه بوانه

اتقوا الله وهو مع الابرار

اتقوا الله والذين هم صنفون

والله الجاد

بسمه



الوثيقة رقم (٧ - ب)

(٦٥٤)

ساحة الشيخ اليعقوبي اعزه الله

بأي عنوان يجيب فضيلتكم على الاستفتاءات المقدمة إليكم من بعض المؤمنين؟

بسمه تعالى

ما يصدر عني غالباً هي توجيهات ونصائح اجتماعية تدخل في وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي راجية على جميع المكلفين وهي تقع ضمن الإطار العام للإسلام كما يكتب أحد حقوق العامل في الإسلام والنظام الاقتصادي في الإسلام وأحكام المرأة في الإسلام وهكذا... وأحرص على أن يكون الجواب ميراثاً للزمة لجميع المكلفين مهما كان تقليدهم من المراجع الميراثين للزمة وذلك بأن أنقل فتوى السيد الصدر (قده) ما لم يعلم بالخلاف مع المراجع الأحياء الذين قامت حجة شرعية على وقوعهم في دائرة تخملي ألا علمية إذا علم الخلاف فأنقل للمؤمنين الفتوى الأحوط وهدني من ذلك أن تعم التوعية الدينية للجميع وإن لا يكون الاختلاف في التقليد عائقاً عن متابعة هذه الإصدارات الاجتماعية والاستفادة منها لذا لم أكتب عليها إن شاء مطابقة لفتوى أحد ولو إن هذا الفعل قد أسيء فهمه لكنني أقول لأنني أريد أن يكون عملي خالصاً لله تبارك وتعالى.

أما الاستفتاءات الفقهية الصرفة فإنني أجيب كل أحد بحسب فتوى مرجع تقليده مادام ميراثاً للزمة.

محمد اليعقوبي

الوثيقة رقم (٨)

(٦٥٥)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سماعة المرجع الديني الاعلى آية الله العظمى

السيد علي الحسيني البغدادي . دام ظله الوارف .

الملاء عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ...

نقرنقل عن استاذكم المرجع الديني الشهيد الشيخ الفروي

(قده) بانه قد صرح بأعلميتكم من السيد السيستاني

(دام ظله) ومن السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره العزير)

فهل صرح بهذا القول ؟ - جماعة من أهالي بغداد

« ربيع الثاني / ١٤٤٤ هـ »

باسمه تعالى

نعم قد صرح بذلك والله يعلم والملائكة تشهد

والله سبحانه أعلم بالسرائر

علي الحسيني البغدادي



« ربيع الثاني / ١٤٤٤ هـ »

الوثيقة رقم (٩)

(٦٥٦)



سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد علي الحسيني البغدادي « دام ظله »

سيدنا المقدس:

هل يجوز للمرجع الديني منح وكالة مالية شفوية او خطية من اجل جلب الحقوق الشرعية لمن يدعي الاجتهاد من الطلاب الجدد كذبا وبهتان، بدعوى ان الجاني للحق الشرعي لا يشترط فيه العدالة، بل يكفي احراز الوثيقة فيه حتى ولو كان من الجماعة الكافرة، مع العلم ان هذه الوكالة قد استغلت من قبل هؤلاء المتطغين في دعم مسيرتهم الضالة؟

هذا وحفظكم الله ذخرا للمؤمنين وذخيرة للإسلام والمسلمين آمين رب العالمين

مجموعة من المؤمنين

بأسمه تعالى

في مفروض السؤال يحرم ذلك بالعنوان الثانوي، فان الاجازة المالية لها عنوان اعتباري من لدن السلج البسطاء في صلاح الجاني وعدله وهم لا يفهمون مصطلحات الفقهاء من ان النسبة بين الوثيقة والعدالة عموم وخصوص من وجه، وفي الواقع ان الدعوى المتقدمة ما هي الا غشادعة وتقوية على الحقيقة من اجل اقتناص الغنائم والمكاسب والمصالح.

فألى الله المشتكى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وانا لله وانا اليه راجعون والعاقبة للمتقين.

علي الحسيني البغدادي

علي الحسيني البغدادي



٢٥ / شعبان / ١٤٢٣ هـ

الوثيقة رقم (١٠)

(٦٥٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد علي الحسيني البغدادي « دام ظله »

سيدنا المقدس:

شاع في عصرنا المولم بين أصاغر الطلاب المطفلين الجلوس على الكراسي والمتابر لإلقاء بعض الدروس من أجل أهداف شيطانية معروفة، ما رأيكم بذلك؟
هذا وحفظكم الله ذخرا للمؤمنين وذخيرة للإسلام والمسلمين آمين رب العالمين
مجموعة من طلبة الخوزة العلمية الشريفة

باسمه تعالى

كانت السيرة العملية بين الأوساط العلمية في العصور السالفة هو التورخ عن الجلوس على الكراسي والمتابر لإلقاء المباحث العلمية، وكان سلطان المسلمين هو الذي يمنح ذلك الوسام العلمي لمن حاز الزعامة العلمية المطلقة، كما حصل ذلك بالنسبة إلى شيخ الطائفة الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، حيث أن سلطان عصره (القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله أحمد الخليفة العباسي)، نصب له كرسي الكلام والافتاء، بل كان فقهاؤنا الفطاحل في ما مر من الزمن يجيرون على التصدي لمثل هذه الأمور الحساسة.
صرح الإمام المجاهد السيد البغدادي رحمه الله بهذا الصدد: (لما تكاثرت تلاميذ استاذنا الثاني اضطربوا إلى نصب المنبر لسماع درسه وتقريره، أجبروه على أن يرقى المنبر، فلما رقاء قال: كان العلامة الكاظمي تلميذا لصاحب الجواهر فاعترض عليه ذات يوم فاجابه فلم يزل معترضا عليه ولم يزل يجيبا له فلما وجده لم يهتد لما قرره ويثله.

قال له: اذهب لأمك تعلق على رقبتيك الخداء لئلا تصاب بالعين، قال بعد نقل هذه الحكاية فحلي هذا فالواجب علي تعليق الخداء على رقبتي كيف لا وقد صرت في مقام العلماء.

قال هذا بمجاهدة نفسه وتهديا وتقديرا للعلماء وترويجا وترية للطلاب وتعلما نسالة تعالى التوفيق)

علي الحسيني البغدادي ١٤٠٥/٣/١٢ هـ



الوثيقة رقم (١١)

(٦٥٨)



بسم الله الرحمن الرحيم في اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني سنة ١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم:

شاع في عصرنا من لدن بعض المعتمدين المتطفلين الجند التصدي للافتاء والقضاء من غير علم ولا هدى، فيرجى من سماحتكم بيان رأيكم الشريف تجاه هؤلاء الأبالسة.

أعوذكم الله أنه نعم المولى ونعم النصير
جماعة من المؤمنين

بسمه تعالى

قال رسول الله ﷺ: (من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (يا شريح قد جلست مجلساً لا مجلسه إلا نبي أو وصي أو شقي)، وقال الصادق عليه السلام: (القضاء أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة: رجل قضى بغير علم فهو في النار، ورجل قضى بغير علم فهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة)، وغير ذلك من النصوص.

والهدف الاساس من هذه النصوص التشريعية هو التحذير من الوقوع في مخاطر القضاء الدنيوية والاخرية، إذ القاضي على شفير جهنم ولا ينجو من هلكائه وهفواته الا من ادركته اللطافة الالهية وكان مسدداً في كل تصرفاته وممارساته وحاز مراتب عالية ومقامات شامخة من الكمال.

ولكن ظهر في عصرنا الحاضر بعض الطلاب المتطفلين الذين تقمصوا منصب القضاء والافتاء بغير علم ولا هدى، واستخفوا بقوانين الشريعة المقدسة وحتكوا حرمة اعلام الدين ودعائه واصبحوا طامعين في هدم الحوزة العلمية المقدسة وتفريق الكلمة وايضا الفقه والشقاق بين صفوف المؤمنين، واصبروا على الجحود والعناد ولم تنفعهم النذر والنبائح، عصم الله الاسلام والمسلمين من هؤلاء الزائغين والكافرين وهداهم الى الصراط المستقيم.

علي الحسيني البزازي



١١ - ١٤٣٢ هـ

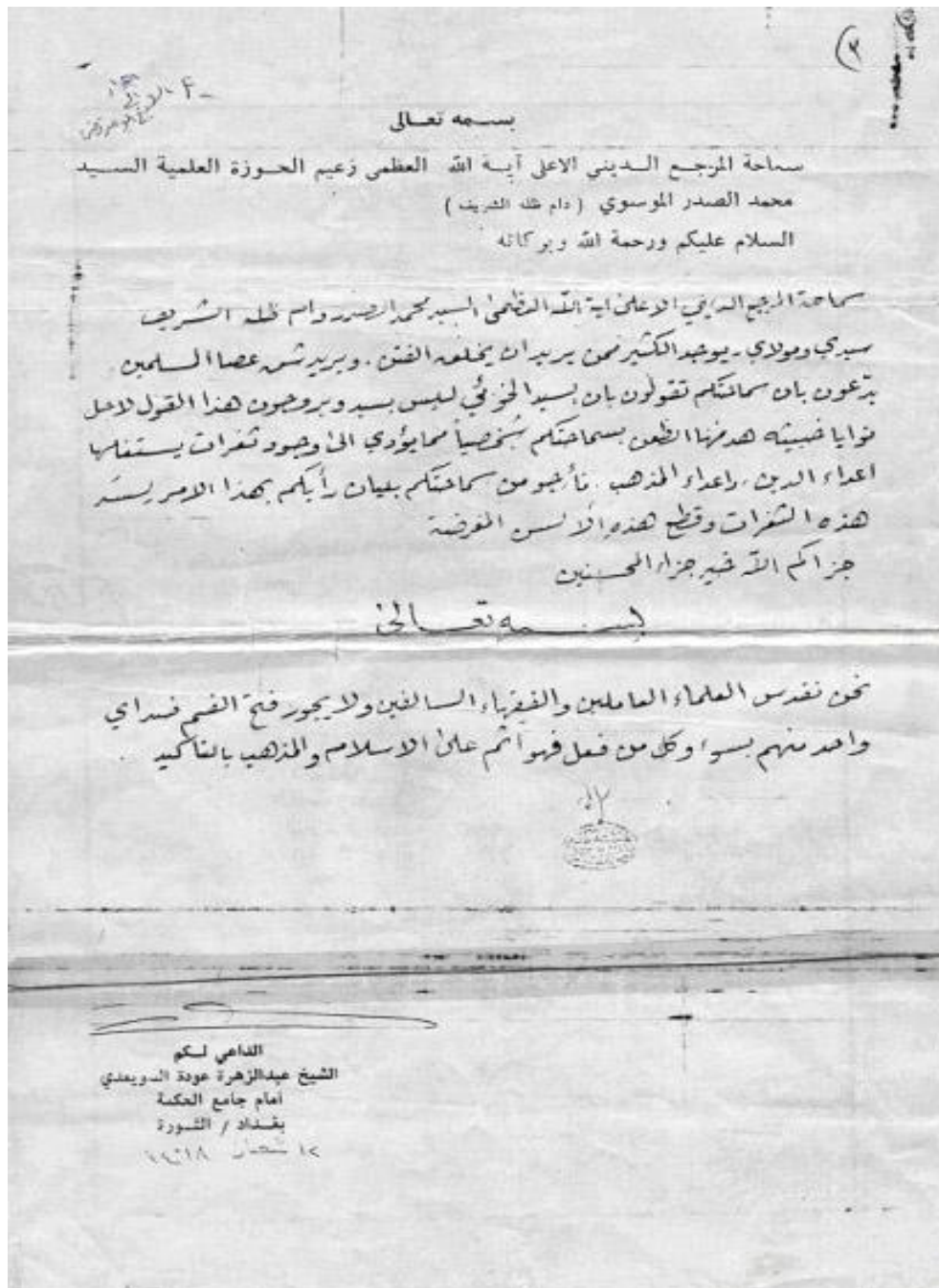
الوثيقة رقم (١٢)

(٦٥٩)



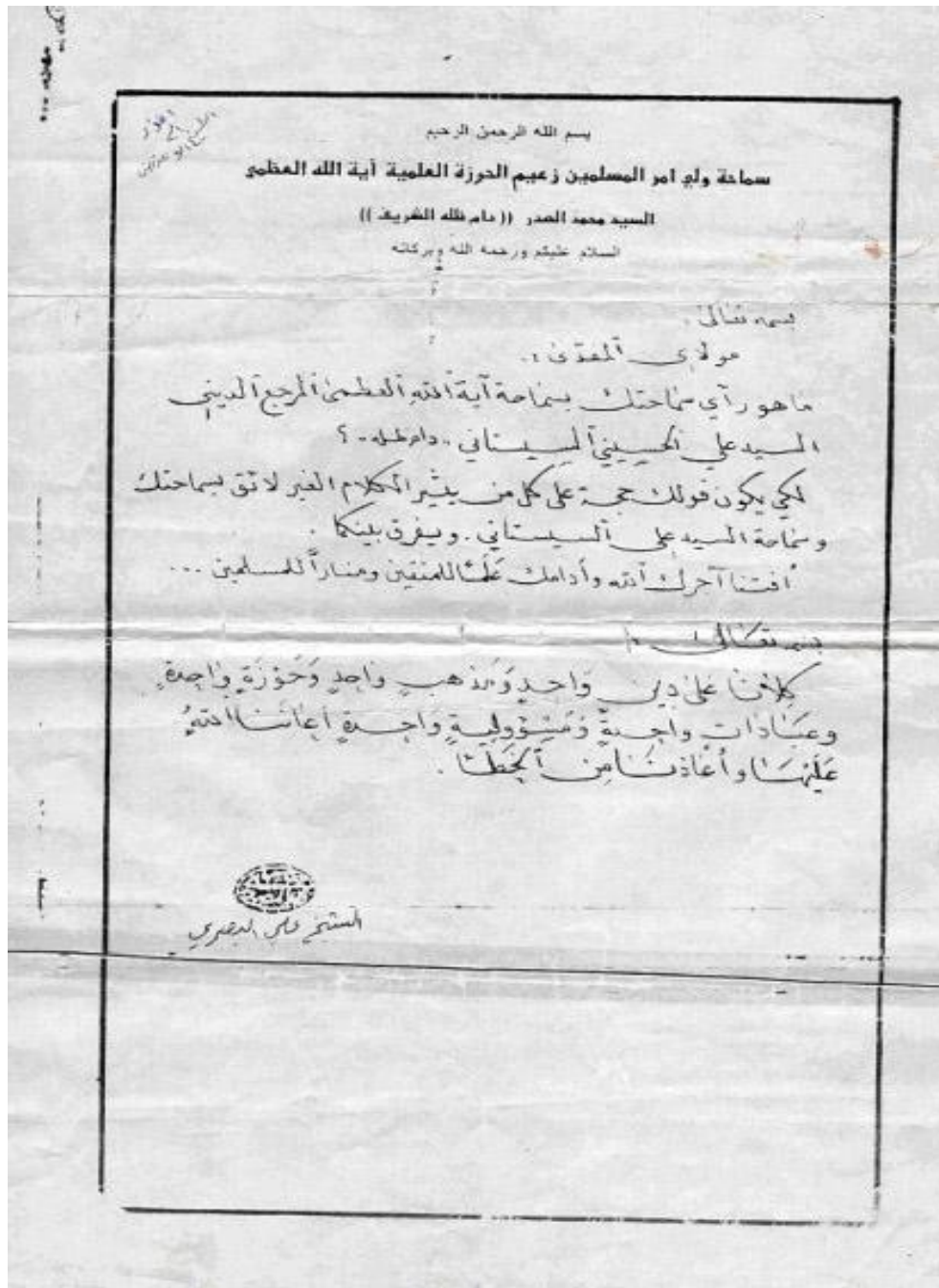
الوثيقة رقم (١٣)

(٦٦٠)



الوثيقة رقم (١٤)

(٦٦١)



الوثيقة رقم (٤١ ب)

(٦٦٢)

قائمة بأسماء القضاة الذين أمروا بالخدمة في سنة ١٢٨٠ هـ الموافق ١٨٦٩ م			
الترتيب	الاسم الكامل	الكنية	الملاحظات
١	أحمد محمد علي الموسوي	١٩٧٧	قاضي المحكمة
٢	أحمد اسماعيل طهوان فاضل القضاة	١٩٧٩	قاضي المحكمة
٣	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
٤	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
٥	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
٦	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
٧	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
٨	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
٩	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
١٠	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
١١	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
١٢	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
١٣	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
١٤	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
١٥	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
١٦	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
١٧	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
١٨	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
١٩	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة
٢٠	أحمد طهوان فاضل القضاة	١٩٧٧	قاضي المحكمة

الوثيقة رقم (١٥ ج)

رقم	الوصف	الرقم	المواضع المتكففة	العدد
١	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٢	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٣	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٤	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٦	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٧	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٨	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٩	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
١٠	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
١١	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
١٢	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
١٣	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
١٤	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
١٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
١٦	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
١٧	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
١٨	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
١٩	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٢٠	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٢١	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٢٢	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٢٣	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٢٤	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٢٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٢٦	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٢٧	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٢٨	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٢٩	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٣٠	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٣١	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٣٢	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٣٣	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٣٤	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٣٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٣٦	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٣٧	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٣٨	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٣٩	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٤٠	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٤١	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٤٢	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٤٣	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٤٤	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٤٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٤٦	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٤٧	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٤٨	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٤٩	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥
٥٠	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥	١٩٧٥

الوثيقة رقم (١٥ د)

(٦٦٦)

(صورة كتاب)

تنسب قبول صور الطلاب المؤهلين للاشتراك في الامتحانات العامة وكالاتي:

٠١ صورة حديثة

٠٢ الصورة

٠٣ واضحة المعالم

٠٤ عدم اجبار الطالبات على تنبير الزى الخاص بالحصة .

سلمم عبد العباس ياسين
وكيل الوزارة للشؤون الفنية

بسم الله الرحمن الرحيم

جسيرة العواقي

الديريه العامه لشربه سان

لاتقرب اليك من يظنك تحذره .

من ومايا القائد (حفظه الله وعا)

الامتحانات

العدد / ٨٨٩٠

التاريخ / ٢٠٠٢/٤/٢٠

(مستعجل جدا)

الى / ادارات المدارس المتوسطة والثانوية والاعداديه والمهنيه كافة .

م / صورة طالب

اعلام نس بركة وزارة التربية / الديريه العامه للتعليم / مديرية الامتحانات الرقم ٢٢٢٢

١٩٠٥٠ في ٢٢/٤/٢٠٠٢ . والخاص بمرور الطلاب المؤهلين لامتحانات الوزارة . للاطلاع
والعمل بموجب ٠٠٠ مع التقدير .

علي بركول لمحيي
المدير العام
٢٠٠٢/٤/٢٠

حسين
مدير

نسخه منه الى /

مكتب المدير العام . للتفضل بالاطلاع . مع التقدير .

معاون المدير . للتفضل بالاطلاع . مع التقدير .

مديرية الاختصاص التربوي . للتفضل بالاطلاع . مع التقدير .

التعليم المهني / شؤون الطلبة . للاطلاع لطفا .

الامتحانات مع المرفق

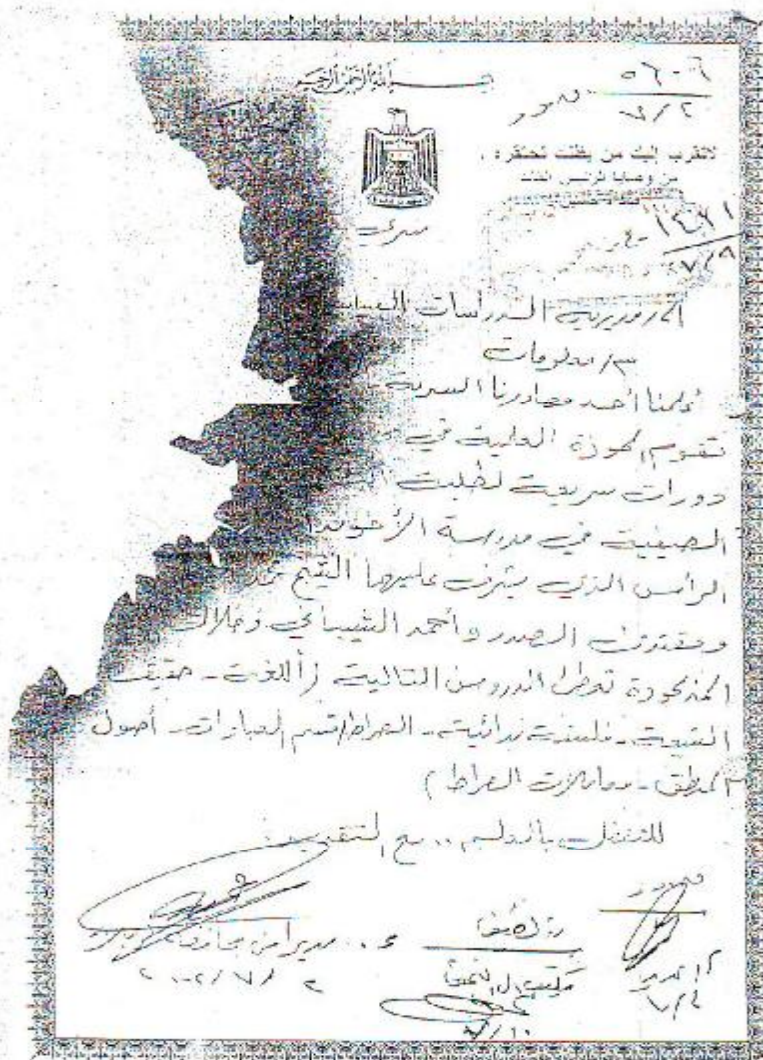
الوثيقة رقم (١٧)

(٦٧٠)



الوثيقة رقم (١٨)

(٦٧١)



الوثيقة رقم (١٩ أ)

(٦٧٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جُمْهُورِيَّةُ سِينِيَّةَ الْعَرَفَةِ

رَأْسُةُ الْجُمْهُورِيَّةِ - السَّكِينَةُ

مَدْرَسَةُ الْأَمْنِ الْعَسَاءِ



الطريق المجرب ليس هو الأفضل دائماً،
والحكمة ليست في أعماله دائماً.

من إلهام الإمام محمد باقر

وضمن هذه الكلمات حلقة التفتيش
الفردي من مواليد ١٩٧٩
رقم الدار ٦٩ / ١٩١٢
من مدينة صدام لمدة سنة
بـ لفرض التفتيش على الحضور والالتزام
كل طالب يبلغ ثمانية آلاف دينار حيث
(٦١) واحد وستون طالب، تراعى طيات
وقد تقرر علينا معرفة عناوين سكنهم لعدم
سجلات المدرسين، ومضول وجودهم في محافظتنا
في عدد من الصادق والرد والاقارب
جـ. لم يوتر لدينا سياس الطائي والقرديني بفتح دوران
سرية الطلبة التكتيات والمعاهد والمدرسين.

تعليق

نبين بأن هذه الحالة جاءت نتيجة لمناظرات
محمد الميخوي من ضمناً مناظرته (المهزبة) (البيان)

الوثيقة رقم (١٩ ب)

(٦٧٣)



الوثيقة رقم (١٩ د)

(٦٧٥)

الناحية المادية :

تم تخصيص (٨٠.٠٠٠) ألف دينار لكل طالب * أشارت معلومات أحد مصادر
أن هذا المبلغ يسلم أسبوعياً لهؤلاء الطلبة .
أقام الطلاب المذكورين في الفنادق والدور بالإضافة إلى دور أقاربهم .

التعليق :

١. مديرية أمن النجف : إن هذه الحالة جاءت نتيجة لمحاضرات اليعقوبي
ضمنها محاضرة بعنوان (الحوزة ومشاكل الشباب) وتم تسجيل هذه المحاضرة
وتوزيعها عن طريق طلاب الحوزة العلمية المعتمدين لديه ليكون معروفاً
عموم المقلين .

٢. مديرية الدراسات السياسية : أشارت قاعدة معلومات
يسعى للنشر اسمه وزيادة رصيده من الحقوق الشرعية
التعامل المرن مع رجال الدين ضمن هذا الوسط إلى
مدروسة عن كيفية إستغلال ذلك وأن ادعاء هؤلاء
هو استثمار وقت العطلة لأموال مفيدة للشباب وعدد
الدين .

الاستنتاج :

سكنون هناك حلقات أكثر وطلاب أكثر ومشاكل
حالات مشابهة لهذه الدورات في مساجد وجوامع المحلة
والسيطرة .

المقترح :

تبلغ رجال الدين المشخصين لدينا بأن إقامة مثل هذه الدورات
نظام محدد وليس ضمن خصوصيات شخصية ومن خلال السجلات الرسمية
بعيناً عنياً ويتقنرنا إن هذه الإجراءات إذا نفذ بشكل هادئ منذ الآن سيكون كفيل بحل
هذه الظاهرة .

الوثيقة رقم (٢٠)

(٦٧٦)



موقع
مكتب سماحة
آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله

التاريخ : ١٤٢٥ / ٤ / ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

و بعد : نشرت وسائل الاعلام تصريحاً على لسان السيد محمد باقر المهدي في الكويت حمل
فيه عناصر جيش المهدي مسؤولية الاعتداء الذي تعرض له الحرم الحيدري الشريف في هذا
اليوم فهل ما ذكره يمثل وجهة نظركم ؟
جمع من المؤمنين
١٤٢٥ / ٤ / ٥

بسمه تعالى

ما ذكره لا يمثل وجهة نظرنا وليس لنا اي معلومة عن الجهة التي
استعملت الحرم المقدس العلوي وانتقلت حرمته ، وقد نكرنا
انه لا يمثل وجهة نظر سماحة السيد دام ظله في القضايا السياسية
ومخوها الا ما يصدر من مباحثه او من مكتبه في الجناح الشريف .

٥/٤
مكتب
السيد السيستاني دام ظله
١٤٢٥

البريد الالكتروني :
sistani@sistani.org
maktab110@hotmail.com
0098 251 7747073

الاتصال مع مدير الموقع :
الهاتف / الفاكس :

الوثيقة رقم (٢١)

(٦٧٧)

حكم التعامل مع شركات التسويق الشبكي

المرجع الديني سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ظهرت في الشارع بعد سقوط النظام عدة شركات تعمل وفق مفهوم (التنظيم الهرمي pyramid scheme) ويسمى أحياناً التسويق الشبكي (network marketing) أو التسويق متعدد الطبقات "multi-layer (marketing) ومن هذه الشركات

- ١- كولد كويست goldquest _ أو كويست نت quest.net
- ٢- شركة بيزنس
- ٣- شركة في ماكس v-max
- ٤- شركة موناكو monacofunds
- ٥- شركة أكوام كوم

فما حكم التعامل مع هذه الشركات؟ وإذا كان الحكم هو الحرمة فكيف يتصرف من تعامل مع هذه الشركات قبل علمه بالحكم؟

بسمه تعالى:

نحن نحرم التعامل مع كل الشركات التي تتعامل بطريقة التسويق الشبكي أو التنظيم الهرمي مهما تنوعت ادعاءاتها وعروضها فإنها جميعاً تشترك بفكرة واحدة وهي جمع الأموال تحت عنوان الاستثمار وإعطاء الربح لمن يجلب الزبائن وفي الحقيقة فإنه لا يوجد استثمار للأموال وإنما جمع لها بدون مقابل ولا يوجد ربح وإنما يُعطى المشترك السابق جزءاً من المال الذي جلبه من المشترك اللاحق، فعمل هذه الشركات لا يعدو أن يكون قرصنة ينكشف زيفها بعد فترة وحينئذ سيجد المشتركون أنهم كانوا في أوهام وأن الشركة لم تقدم لهم شيئاً وغاية ما تفعل هو جمع الأموال منهم وإعطاء بعضهم جزءاً من أموال البعض الآخر وتسحب العملة إلى خارج العراق وينتقل بذلك الضرر على الأفراد وعلى الدولة كلها، وهذا الحكم بالحرمة شامل لأمثال شركات (كولد كويست وموناكو وبيزنس و في ماكس وأكوام كوم) وأمثالها إن كل الشركات التي عملت في هذا النوع من التسويق الهارت بعد أن أكلت أموال الناس بالباطل وجعلت بعضهم يأكل مال أخيه ثم انهارت وخلفت وراءها آلاف الناس المتحسرين على أموالهم التي ذهبت ادراج الرياح. إن خبراء الاقتصاد من المسلمين ومن غير المسلمين أفتوا بخطورة هذه المعاملات على الاقتصاد القومي، لأنها تبني الوهم مهما كانت هناك سلعة أو جهاز أو برنامج أو غير ما فكل ذلك للتخايل فقط، وقد صدرت القوانين في أمريكا وأوروبا بتجريم هذه المعاملات بعد أن عرفوا مخاطرها وأضرارها ففعلتها القرصنة إلى بلادنا مستغلين حداثة التجربة عندنا وتوقف فرص الاستثمار الطبيعي الإيجابي ووجود فائض نقدي لدى الناس لا يتسنى لأصحابه الاستفادة منه إن الوضع المريب لمن يذعنون أنهم معتلون هذه الشركات وتصرفاتهم السرية والمشبوهة تغني عن شرح المخاطر في طبيعة عملهم، وإن عجبني لا ينقضي من تقاعس الحكومات المحلية والمركزية عن اتخاذ الإجراءات الصارمة لقطع دابر هؤلاء القرصنة مصاصي ثروات البلاد، وأما الحلول فتبدأ من قيام الحكومة بتوفير فرص الاستثمار لأصحاب رؤوس الأموال البسيطة بنسب ربحية معقولة لحمايتهم من الوقوع بأيدي الشركات الوهمية. كما أن الواجب الأخلاقي والإنساني يحتم على القطاع الخاص ممن يستطيع توفير مثل هذه الفرصة لتشغيل رؤوس الأموال أن يؤسس شركات استثمارية مساهمة للمواطنين، وليس عسيراً على خبراء المال والاقتصاد أن يضعوا الحلول الصحيحة لاستيعاب الأموال الفائضة لدى الناس وقطع الطريق أمام المتحايين وحفظ الثروة الوطنية وحماية الاقتصاد، وأما من تورط بالتعامل مع هذه الشركات فعليه أن يتوقف عن كسب أي أحد وليحاول استنقاذ ماله بشئ الوسائل، وليتذكر قول الإمام الحسين (عليه السلام) (من حاول أمراً بمعصية الله كان أقوت لما يرجو وأقرب لما يحذر).

محمد اليعقوبي النجف الأشرف
يوم المبعث النبوي الشريف/ ١٤٢٩

ومن الجدير بالذكر أن البنك المركزي العراقي قد عمم عبر وسائل الإعلام والفضائيات فور صدور هذه الفتوى تحذيراً إلى المواطنين بالامتناع عن التعامل مع هذه الشركات الوهمية غير المجازة قانونياً.

الوثيقة رقم (٢٢)

(٦٧٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق القياض دام ظله الشريف
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
إما بعد

هناك شركة تدعى كولد كويست تقوم ببيع منتجاتها عبر الانترنت
علما إن هذه المنتجات لا تحتوي على شي يعارض الدين أو المذهب
(قطع تذكاريه \ أجهزة اتصالات) وبعد ذلك تعطي زبائنهم فرصة
تسويق هذا المنتج إلى أشخاص آخرين مقابل عمولة يحصل عليها
الزبون عند اكتمال عدد محدد من المبيعات علما إن هذا الشخص
يبدل مجهودا في إقناع الناس لشراء هذا المنتج ويصرف من ماله
الخاص في التحركات والاتصالات ، كما إن الشركة تعطي هذه
الفرصة لزبائنهم الجدد بعد إن يتم تدريبهم ومتابعتهم بواسطة الزبون
الذي باع لهم حيث انه يستفيد أيضا من مبيعاتهم نظير جهوده معهم
وتقديم المشورة والمساعدة لهم ويختصار فإن الزبون عند عملية
التسويق يربح من الجهتين
الجهة الأولى المبيعات المباشرة ، وهي المبيعات التي يسوقها إلى
الزبون مباشرة
الجهة الثانية المبيعات غير المباشرة \ وهي المبيعات التي يسوقها
الزبائن المباشرين للزبون الأصل وهكذا دواليه

السؤال هل يجوز للشخص اخذ هذه الأموال على أساس أنها كعمولة
مقابل الجهد الذي يبذله في عملية التسويق والمتابعة والتدريب
للزبائن الجدد

بسمه تعالى ، في معرض السؤال لمانع من أخذ هذه الأموال



١٤٠٦/١٢/١٠

الوثيقة رقم (٢٣)

(٦٧٩)

بسمه تعالى

سماحة أية الله العظمى المرجع الديني الكبير الشيخ محمد إسحاق الفياض أدام الله ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هناك مواقع شبكية على الانترنت تدعي أنها شركات استثمارية . لا يعرف أصحابها ولا جنسياتها ولا هوياتها.

تدعو الناس للاشتراك فيها من خلال جمع الأموال منهم بأساليب مختلفة ، وبدون مكتبة ، ثم تقوم بتحويل تلك الأموال الى الخارج الى حيث المجهول ، كما وتوعد المشتركين فيها بأرباح من دون أية ضمانات والحقيقة أنها :

- تعطي المشتركين السابقين فيها مما يدفعه المشتركين اللاحقين وتسمي ذلك أرباحاً.
- فهي ليست استثمارية إذن.
- ولا وجود فعلي لها كشركات حيث أنه ليس لديها ما يثبت ذلك.

ما رأي سماحتكم بالتعامل أو الاشتراك بهذا النوع من المواقع الشبكية على الانترنت .

جمع من المؤمنين ...

الاثنين ١٦ تموز ٢٠٠٨ م .
١٢ من رجب الأصعب ١٤٢٩ هـ

بسمه تعالى

إن الشركات المتداولة في الساحة في الوقت الحاضر لو كانت شركات واقعية ولها مصادر موثوقة وضمانات، فلا بأس بالتعامل معها وإلا فلا يجوز وعلى هذا ..

فعلى المؤمنين التثبت وعدم التسرع في التعامل معها ، لأنه مجازفة تؤدي إلى الأضرار بثرواتهم وثروات البلد وإقتصاده.



١٣ رجب الأصعب / ١٤٢٩ هـ

www.alfayadh.com

الوثيقة رقم (٢٤)

(٦٨٠)

From:
Sent:
To:
Subject:

nadhim22@yahoo.com
الجمعة ١٦ شعبان ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
info@sistani.org
التسويق الشبكي



الاسم : نديم الاسدي
الموضوع : للتسويق الشبكي
البريد الالكتروني : nadhim22@yahoo.com
الموئل :
السلام عليكم.

انا من مقلدي سعادته السيد السستاني حفظه الله من خلال السؤال عن شركته كونه كويست التي تعمل بالتسويق الشبكي والتي معلوم لديكم طريقة عملها فكان جواب السيدانه لايرخص الاشرافه بمثل هذه الشركات. وقد علمنا من خلال مكتب السيد مباشره باله يرخص الرجوع الى غيره في هذه المساله سؤالا هو هل يكون الرجوع الى الاعظم من بعد السيد ام اي مجتهد اخر اكونا ماجورين وجزاكم الله خير الجزاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

باسمہ تعالیٰ

حمت انہ اضیاط جوی فیوز رجوع فیہ کی محمد افر
مع عیایہ لا علم فالاعلم



الوثيقة رقم (٢٥)

(٦٨١)

إقتوى السيد علي السيستاني دام ظله حول ما يسمى التسويق الشبكي

الموضوع : شركة كويست نت

السؤال : السلام عليكم

شاع خلال هذه الايام في مدينة الكوت نوع جديد التسويق اسمه التسويق الشبكي ولصالح شركة اسمها كويست نت ... هذه الشركة تعطي مع منتجاتها وكالة للشخص المشتري بضمن بموجبها الحصول على عمولة قدرها ٢٥٠ دولار امريكي عن كل اثنين يدعولهم لشراء من الشركة وهؤلاء الاثنين يدعون اربعة ليكون العدد ستة عندها تتكون عند الوكيل شجرة متكونة من جهتين يسار ويمين اذا حقق ان جمع ٣ وكلاء على اليمين وثلاثة وكلاء على اليسار فيحصل على تلك العمولة والباقية ٢٥٠ دولار امريكي ... وطبعاً المبلغ يتضاعف بمضاعفة الوكلاء فسنة وكلاء على يمين الشجرة وسنة على يسارها تكون العمولة ٥٠٠ دولار وهكذا ... والربح يمكن ان يكون عن طريق عمل الوكلاء الموجودون في الشجرة حيث يمكن ان يحققوا للوكيل الاول شرط ثلاثة يمين وثلاثة يسار ويأخذ العمولة وهي ٢٥٠ دولار امريكي ... فما هو رأي سماحة السيد علي السيستاني دام ظله بهذا الامر ... علماً أن أقل منتج لهذه الشركة هو ٦٠٠ دولار ... دمتم لخدمة الاسلام والمسلمين



باسمہ تعالیٰ

سماحة السيد لا يرخص الدخول في اعمال مثل هذه الشركات



الوثيقة رقم (٢٦)

(٦٨٢)

ان الله يدفع عن الذين آمنوا

الناس بحمل أولئك الفرج وصل على اجداده (طاهرين) محمد وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم اجمعين)

لسماعة آية الله العظمى المرجع الديني الجليل، الفقيه الشيخ محمد علي الكاظمي - دامت بركاته -
بعد الدعاء لسماعكم - ادامكم الله - بالخير الكثير والتوفيق الدائم لارادة مشيئة الله عز وجل المولى (عليه السلام)
نرجو الاجابة على هذه الاستشارة الدينية وكثير من الاستشارات التي لا يحصى والى الله الرجوع.

اولاً: قدما لسماعكم مجموعة من مؤلفات - الدلائل - الشيخ محمد العنقري - دام ظلهم - أحد اعلام
حوزة الفقه الاشراف (جواد الله بين ذكره) مؤلفاً: بحوث الاستدلالية في الفقه المقارن
ومنها القول الفصل في احكام الخل، فهل ان ما اطلعتهم عليه من هذين الكتابين وبقيته مؤلفاً
كاشف عن اجتهاده أم لا؟

سبباً
من الرضا عن العلماء الذين السيف ودارهم دار النور والعدل ومن العلماء الشيخ الجليل العنقري
دام ظلهم فقد نزلت تسرياً وبها بالذمة يعني انهم في استمرارية كتب الشريعة فرائداً ومفيداً كما رأيت ان
دام ظلهم منتهى فله العمل بالاستنباط وفقه الله تعالى في اجابته.



ثانياً: اذا ثبت لديكم اجتهاد الشيخ العنقري، فبموجب مذكور السؤال الاول، فما هو رأيكم التزيف
في قوة استدلالكم لفتاياه؟
وآتم دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وجزاكم الله خيراً والجنتين.

سبباً
لأننا نلجس بنبوته واستدلاله واطمنه من فوق فاستقبل كذبات عاتية للوكرام والمعين
وفقاً والله تعالى ويا له من فضله.

الشيخ محمد
١٤٢٢ هـ



والكم عن العراق
محمد الهادي

١٤٢٢ هـ

الوثيقة رقم (٢٧ أ)

(٦٨٣)



الوثيقة رقم (٢٧ ب)

(٦٨٤)

بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم عجل لوليك الفرج وصل على محمد وآله الطاهرين المعصومين .

مساحة فقهية مدرسة آل البيت (عليهم السلام) آية الله العظمى المرجع الديني
الكبير الشيخ المنتظري (دام ظله) .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
بعد الطاء لسماحتك بالصحة والعافية ، أرجو النظر في هذه المسألة الشريفة
والله المستد للصواب .
من المعروف ان مساحة المرجع الديني الشيخ محمد علي الكراني القمي (دام ظله) هو احدى عظمى
المحور العلمية الشريفة في مدينة قم المقدسة ، وقد عرضنا على سماحتك جملة من
البحوث الاستدلالية لاشد افاض المحور العلمية الشريفة في مدينة النجف الاشرف
وهو مساحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) وبعد النظر العميق والحقيق والذيق
في (بحانه) ، أجاز مساحة باجتهاده ورجى له باخير طلباً لرضا الله (مجاهد ونفا) .
وقد شكك البعض بأصل اجتهاد الشيخ الكراني (دام ظله) فها هو رأيكم الشريف
في اجتهاده بعد ان سمعنا من ان سماحتكم (دامت بركاتكم الشريفة) قد أجازتم
له ذلك ، وفقكم الله تعالى لحمة الاسلام والمسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

باسم الله تعالى

بعد السلام والرحمة لا يخفى ان ساحة العالم المحترم آية الله الحاج الشيخ محمد علي
الكراني القمي (دامت بركاته) من المجتهدين البارزين المتصلين في اصول الفقه
والفقه والفلسفة فينبغي ان يعينهم وجوده وسبقه من دروس ومحاضراته
العلمية في المحور العلمية عظم الله تعالى ذكره المسالم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٥ ذي القعدة ١٤٢٣ - ١٨ / ١٠ / ١٣٨٢



محمد الموسوي / العربي
١٥ ذي القعدة ١٤٢٣

الوثيقة رقم (٢٧ ج)

(٦٨٥)

(٦٨٦)

ملحق رقم (٢)

نماذج من توجيهات وإصدارات

قيادة الحركة الإسلامية في العراق ما بين ١٩٩٩ - ٢٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

انطلاقاً من الحديث الوارد " من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم " توجه اليكم هذه الشكوى الفكرية التي تعصف ببعض اخواننا المؤمنين حيث نجد بعضهم في الفترة الأخيرة اتجه الى او نحو الترف الفكري بعد ان قضوا فترة مهمة من حياتهم تحت ظل مرجعية السيد الشهيد (قدس سره) وحيث انه كان الموجه اليهم من منبره المقدس ولكن بعد ان غييه الثرى اتخدعوا هؤلاء ببعض من لهم باع في الاصطلاحات المنطقية والفلسفية واخذوا هؤلاء على عاتقهم يقرؤون لهم الكتب ويسمعون لهم المحاضرات التي لا تمت الى واقعا المعاشي بصله صحيح نحن لا ننكر ان هذه الكتب والمحاضرات حق ولكن لكل مقام مقال ولكل عصر حديثه فنحن الان لا نعيش فترة الملايين الملحدون ونظريتهم الباطلة و لا توجد هناك ضراعات فلسفية جدلية ولا يوجد هناك من يشكك بوجود الله نظرياً حتى نرد عليه لا بل ان الاعداء انفسهم لكن الاسلوب اختلف فكل هؤلاء الان يحاربوننا لكن بسلح جديد من كرة قدم وسينمات وفساد اخلاقي ومهرجانات وقصصات شعر ومودة ولباس الشهرة الملعون والكثير الكثير وبحسب قول احد مفكرينا العظام " اتنا يجب ان نتعامل مع الاحياء لا مع الاموات " فنرجو منكم الاجابة على هذه الاسئلة :-

- ١- ماهي الكتب التي يستطيع الفرد المؤمن ان يعالج واقعه نفسياً واجتماعياً ؟
- ٢- اذا وجد هناك اشخاص يلقون مثل هذه المحاضرات هل يجوز الاستماع اليهم ؟
- ٣- ان العديد من هذه الكتب صعبة مما يولد للناس بعض الشبهات فهل يجوز قراءة مثل هذه الكتب بدون وجود ثقافة كافية ؟
- ٤- هل يجوز قراءة الكتب العرفانية المعقدة جداً ايضاً لمثل هذه الطبقات من الناس ؟
- ٥- ما هي نوعية الكتب الاخلاقية التي يستطيع الفرد المؤمن في وقتنا الحاضر الاستفادة منها ؟
- ٦- هناك طبقة من الطلبة الجامعيين او الشباب من يفسر القرآن برأيه طبقاً لما يسمعه او يفهمه من محاضرات التفسير او الكتب ويشرحون تلك المحاضرات لهؤلاء الأشخاص مع انهم يطوون مرحلة مرحلة في التفسير (أي حتى تفسير شبير) . فما هي النصيحة لهؤلاء الطلبة ؟
- ٧- من باب عدم وجود تيارات المد والجزر للمجتمع على حد تعبير احد المفكرين كيف يستطيع الشخص ان ينمي جميع القيم داخلية لكي لاتنمو قيمة واحدة فتعصف بالمجتمع ويتركون باقي القيم .

نرجو من الله ان يوفقكم لما فيه من خدمة الاسلام والمسلمين

ابنك

عبدالله الخزاعي

بسمه تعالى

من الضروري ان يعيش المسلم واقعه و يتفاعل معه و لا يستنسخ تجارب وافكار
الآخرين بل يهضمها ويتمثلها ويستفيد منها في مواجهة تحدياته الفعلية مثلاً كانت في
الخمسينات والستينات مشكلة الاتحاد والكار وجود الله تبارك وتعالى فانبرت الاقلام
وملئت الصفائف للرد على هذه الموجة واثبات وجود الله تبارك وتعالى اما الان
فحتى الماديون الفارقون في الجاهلية يؤمنون بوجود الله فهل نستمر بنفس الجهاد
والجهد السابقين ؟ كلا طبعاً وانما مسؤوليتنا اليوم ان نعمق الاحساس بوجود الله وان
نعلم انفسنا والناس كيف نتعامل مع الله تبارك وتعالى كموجود فعلاً وليس موجوداً
نظرياً لكنه غائب عن ساحة التطبيق وهذا ما يعكسه واقع المسلمين والمؤمنين بالله
عموماً فانه ليس لله في حياتهم مكان سواء بعض الطقوس الشكلية الخالية من
حتوى فالصحيح اذن ان يكون المفكر والمسلم عموماً واعياً لظرفه مستوعباً
مشاكله بشكل دقيق منشغلاً في تحضير العلاج المناسب لها ولا يجتر معلومات
السابقين بل حتى ولا افكار المعاصرين ممن يعيشون في ظروف اجتماعية وتحديات
فكرية لا نعيشها نحن والا ستكون كمن يغرد خارج السرب - كما يقول المثل - ولا
زلت اركز في كتبي الاجتماعية على ما نواجه من تحديات تستحق ان نكرس
جهودنا في مواجهتها بكل ما اوتينا من قوة .

بعد هذه المقدمة احاول الاجابة باختصار عن الاسئلة التفصيلية :

١- ارشدت في كتيبي المختلفة الى هذه الكتب (راجع فقه العائلة - فقه الجامعات -
شكوى القرآن - شكوى المسجد وغيرها) .

٢- اذا شئت المستمع عما هو اهم فتركها اولى ومع عدم التراجع كما هو الطالب فلا
مانع من الاستماع اليها لانها بالآخرة علم نافع في نفسه لكن التركيز عليها من دون
تلبية الاحتياجات الاخرى نقص .

٢- لا يجوز قراءة الكتب التي تشكك المسلم في عقائده الحقه سواء كان بسبب احتوائها على شبهات مضلة او معلومات معمقة لا يحتملها القارئ ولا يجوز للمؤلف طرح مثل هذه الكتب للعامه وفي الحديث (من كسر مؤمناً فعليه جبره)
٤- لا تخرج الكتب العرفانية عما ذكرناه آنفاً والمخلصون منهم يشون الحقائق العالیه بين ركام من المعلومات العادية ليلتقطها اهلها المستحقون لها فقط كما تنثر الجواهر بين الحصى على انه يوجد خلط في الفهم بين (العرفان) و (الاخلاق) لا مجال لبيانه الان .

٥- الكتب التي أراها مناسبة ولا أخشى منها على القراء وصادرة من قلوب مخلصه وصادقة ولها أثر في التربية منها (القلب السليم) (مرآة الرشاد) (جامع السعادات) .
٦- جوابهم الحديث الشريف (من فسر القرآن برأيه هلك) فالابد من الاستدلال على التفسير والاهتداء بآية شريفة او سنة محكمة او حجة قاطعة .
٧- جوابه بحث طويل في مقومات الشخصية المتوازنة التي تنمو وتتكامل بجميع الاتجاهات وقد شرحت باختصار في اول فصل من كتاب (وصايا ونصائح الى الخطباء وطلبة الحوزة الشريفة) وتوجد لفتات متفرقة في (فقه الجامعات) يمكن اقتناصها .

سدد الله خطاكم وكثر امثالكم من الواعين المخلصين في المجتمع خصوصاً في اوساط الجامعات .

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد العقوبي
(دام ظله)

سيخنا المأذون:

يوجد في مدينة بغداد تحت جسر مدينة الطب مقام يطلق
عليه مقام الخضر (ع) وحيث انه أصبح مكاناً للمحرفين من
جادة الدين ولواعيد الغرام ومتنزه للأطفال ونحن نسال ما
رايكم بهؤلاء وهل يوجد خبر يدل على استحباب الذهاب إلى
ذلك المكان وما هي نصيحتكم جراكم الله خير الجزاء.

بسم الله تعالى: لا اعرف أصلاً لهذا المقام وشروط زيارته مقامات
الأولياء أم لا.

الاستجابة إلى استفسار المقام.

١- علو درجة صاحب المقام وسمو مرتبته. وقد ذكرتم في

مضافاً إلى ما ذكر في السؤال من أن المقام هو مقام الخضر (ع)
وبناءً على الأدب والأخلاق والأشعر كمالاً شاملاً بسبب الجليلين
والنفائات غير المبرومة وهذا مكرم أكيداً وعقوبته كريمة في
الدنيا والآخرة وإن غفل عنها أصحابها ولكن مما يجب أن يكون
عندهم التقوى ولا ينشغلهم النعم. ولكن يجب أن يكون
يضع ماء أو زيتاً على يده يشرقه البرقعة ليري في
يتحمله فكيف يتحمل عقوبة جوار السموات والأرض (فقط)
ماء أو زيتاً فقط أمعاءهم) كالماء يغطي في الجحشون) وعلى
الجميع أن يتعاونوا على النصيحة والموعظة والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر (ولكن منكم أمة يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر) ويتعاونوا على البر والتقوى ولا يخالفوا
على الأثم والعدوان.

بمناهضة حجة الاسلام والمسلمين الشيعة من حيث التوقيفي

(دام ظلّه الثوارف)

توجد مناسبة سنوية بين عامة الناس وهي ما تسمى بـ (ولادة زكريا) حيث يقوم المختلفين بهذه المناسبة بمظاهر الابتهاج الجيدة كتوزيع الحلويات والنذور والأتيان بالمستندات وغيرها لكن توجد حالة في ذلك اليوم حيث تباع آلة تسمى بـ (الايقاع او الدنبيك) يشتريها الناس أو الآباء الى ابناءهم وعندها يقوم الأولاد بالدق عليها في الشوارع والأزقة حتى ان الحالة تصل الى ازعاج الناس ولا يخفى عليكم ان هذه الحالة قد تسببت الى صحن المعصومين (ع).

أ- ما هي مدى صحة مناسبة (ولادة زكريا او يوم زكريا)؟

ب- هل هذه الآلات تدخل ضمن آلات اللهو؟

ج- ما هو حكم بيع وشراء تلك الآلات في ذلك اليوم؟

بسم الله تعالى:

أ- ان (يوم زكريا) كان من الكلام وهو من الانقضاء الى الله سبحانه وتعالى فاستجاب الله تعالى دعائهم وولدهم يحيى كما فصلت في سورة مريم وقد راجعت أكثر من مصدر وما هو موجود اصاحي فتم اجابته بما يلي: ان في شعبان فلو كان في شعبان ان كان في يوم ولدت ولديته فشيئا من يومه اول يوم احد من الشهر.

ب- علمت من السؤال السابق ان دعاء زكريا ما لم ينجبه الله الا بعد انقضاء الى الله سبحانه وتعالى واعتزاله ونحو ما سجدوا وهو من سورة استجابته الدعاء فابن هذا وما يفعله هؤلاء البهيوون من مناجاة الله سبحانه وتعالى في الموسيقى والتمسك بالآلات الخشبية من الخمر ومات التواضعة ولا يستأذي في حرمتها احد.

ج- يهرم بيع وشراء آلات اللهو في ذلك اليوم وفي غيرها والمنع عنها مستند والضرب بها حرام وازعاج الناس حرام وتضاعف الجريمة عند ما يكون في ذلك اليوم انتهاك احرمة المعصومين (ع).

(ممارسات منحرفة في المقاهي)

ساحة مكة للإعلام والتسويق الشيخ محمد المحمدي (دار طه القرواني)

بسم الله الرحمن الرحيم هذه الأساطير التي تروى في المقاهي وتنتشر في الأوساط وتترسّخ في الأذهان وتكون لها حركتها الخاصة

في

على

من: ١- ما هو منشأ المقاهي في الدين الإسلامي؟ وهل لها منشأ إسلامي؟

بسم الله تعالى: بالتأكيد أن منشأ المقاهي ومشار ما يصدر عن فكر الله سبحانه هذه شياطين الحسن والأحسن لسان حكيم جسيمهما في الاعتناء بالمرء لئلا يتركها في أيديهم في أيديهم وقد أجاز تاريخها أن أول من فعل فكرة المقاهي ومنعها في ذلك المسلمين هو الاستعمار الفرنسي في مصر ففعله بدلاً عن الخمر في المساجد والحدائق الخفية.

من: ٢- ما حكم كتب أصحاب المقاهي التي يشعرون أنها قديمة (القائمة والطاوي وغيرها) أثناء الفريضة؟

بسم الله تعالى: كتب هذه الآيات حرام وقبائح الفكرة منها من سمحت لاني وبلا يعنون الله نكراً ويسمكون سموا.

من: ٣- هناك مقاهي لا توجد فيها آلات الخمر فما حكمها؟

بسم الله تعالى: هي لقون من سقتها إلا أنها تلي فيها مشكلة: أن الخمر فيها عقاباً أو دقماً يكون فيه ليو طلق يصدر عن كبر الله ولا يبق بالمؤمن أن يتواجد فيها لعدم أو الخمر القذرة منقار فيها أو طما رككت مقل الخمر الهادي للنعيم وكانت خلفه من الصعوبات فلا ينس.

من: ٤- الخمر في الدين موجودة لها ثلاث أقسام: الحرة والحرمة والأركان القارية فيها بلا ملعة طلبة؟ أما هي الصيغة لهم بسم الله تعالى: ١- أنها من لائب الشيطان بعدد من يتقيد في الدنيا والآخرة وقد تروا أن أول من مال كل إنسان حرمه الشرب لئلا ضربه وصرفه بلا فائدة فليكن حرمه عليه ليقبله بما روي في المؤمن تلك ساعات (سعي في معاش في طاعة مقترحة في لذة محلة) أما تشجيع الوقت وقتل الفراغ فهي ملعبة لا وجدة لها في القوس الإسلام القسط الذي يسمي ليدخل كل لحظة من

عشر: ٥- ما حكم من يشرب الخمر في المقاهي؟

بسم الله تعالى: لا يبق بالمؤمن من خصوصاً كبر السن وقبحه انضماماً لأنه قوة تشجع وإن أي تصرف منه يتبع على كثير من قال كان حسناً شريك في الزنا في سبأ والعلا منه فوشركهم في الخلق ثم إن كبر السن ينبغي أن يتم بالقرنة قريباً من الموت إلى متى يستمر في تشجيع حرمه ومن ثم يعتن أصعب ففكرة حينما تشرب سبائك الأهل.

من: ٦- هل يجوز بيع الخمر ولزني وغيرها لأصحاب هذه المقاهي التي تتعامل بالآيات الخمر؟

بسم الله تعالى: لا كل في التشجيع على الإثم والعدوان والتمعية فيحرم كما أن تشجيع لاني من مقلدة بدلاً خطوا بالتمسك في لبيهم عن فكر الشعب من هذه الجهة.

من: ٧- بعض يدرى القول بأنه لا يباع بالآيات الخمر في المقاهي ولكن بعض معهم فقط لشدة وفاء الوقت وتسهيل عاتكات لهم.

بسم الله تعالى: جاء في الحديث ما منسوبة من رضى فعل أوله شركهم فيه وحشر معهم وهذا تشجيع شركهم فعلاً معهم أحدهم في العنصر الأخرى التي ينسبها الخمر في المقاهي وفي الآية فتوبة (ولتقوا الله) تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (أي أن العذاب لا يخص مناعلي الناس وإنما يشمل من أذره ورضي بظنه ووافق ولم يستقر له).

من: ٨- هل يجوز الاتساع على الخمر أن يقوم بشراء خلويات في مشروبات خمرية وإعطائها في القمار في المقاهي معهم؟ وهل يجوز تناول هذه الأطعمة والمشروبات؟

بسم الله تعالى: هذا العمل يكره وجرأ من أصله فضلاً عن أن يصحبه مثل هذه المواقف لأنه ينفذ فيها حرمة جندة.

من: ٩- ما حكم بعض الذي يذهب في مقاهي لشراء أشياء خمرية بما يمكن أن يشتري شيئا في بيته في مكان آخر غير المقاهي؟

بسم الله تعالى: أن الخمر في شقها هو لا يصح له أن يعامل بمثلها (أي أن يعامل بها) بخصوص لبي الأحداث القارعة والخدمة لما أتت من جهة رطب وغلق وروايات وأن أول من مال كل إنسان حرمه الشرب لئلا ضربه وصرفه بلا فائدة فليكن حرمه عليه ليقبله بما روي في المؤمن تلك ساعات (سعي في معاش في طاعة مقترحة في لذة محلة) أما تشجيع الوقت وقتل الفراغ فهي ملعبة لا وجدة لها في القوس الإسلام القسط الذي يسمي ليدخل كل لحظة من

(١٥) ان مجاورة المعصية دين اقتضاها كذا في البيت فان لم يخرق بها فلا قال من تسلم الجدران بالحقان والمعصية نذر كذا
نظم واقرها طليعة من اسلوة القلب وظلمته يواثر على ليلته مع فاطما وان لم يملأها كما جاء في قوله تعالى لا يؤمن قلبك حتى
في الكتاب ان ادا سحره لكان الله يكثر بها ويحذر بها فلا تكثر بها شعير حتى يفرط في سلبت غيره كذا في قوله تعالى
الله جامع للأيمان والكافرين في جهنم جميعاً في قوله تعالى ١٤٠.

من ١٠: ما حكم من يرتك المعاصي التي يقوم أسسها بفتح الأغملي او عوض الفروع الطليعة على الزمان ؟
سنة تعالى : قد ثبت حرمة ذلك وشاعته شرعا من عدة جهات او لها حرمة في نفسه وتلقاها به تباعه الطليعة وقد قال تعالى
١١: اير الذين ينجون ان يبيعوا أنفسهم في كذابين لئلا يهلكوا عقاب البر في الدنيا والاخرة والله يعلم من يخلصون ١١٠
من ١١: ما حكم المسكر الذي ياتي الى هذه المعاصي بفتح قوله او شرب الخمر مع وجود المعصيات المذكورة ؟
سنة : توجد أماكن للزنا غير هذه وليس فيها معصيات وعلى أي حال فلا احتياج الى ذلك فلا يفسد بها مع كل واحد من
- او مع قرائته على تخرير المسكر وتلقاها به.

من ١٢: ما حكم من شرب يقر في سبب الخمر في القلي هو لأحد أحواله القتل في الدنيا وإصلاح المجتمع فساداً أو الفساد
تسخر في إجراء من هذه القتل في مثل هذه الأماكن وهل فيه إثم على الإثم ؟
سنة تعالى : ان كانت هذه القتل مخصصة لهذه الممرات فلا يفسد بها بل قد يجب إذا شرب عليه مصلحة دينية فما إذا كان
تسخر يفسد بالمعصيات فمن خلال القول وتحويل الشيطان ان يقاتل فيها لم يفسد (لا يطاع الله من حيث يفسد).

من ١٣: ما حكم من يرد ان يبيع مشروع فله معنى للتشريع بفتح علم وجود مشروع تجاري آخر لو ان التشريع الأخرى
بعداً وفيها قد يتغير من الجبارة ما تسخر لفتح العلم لاختاره ٢

سنة تعالى : قرب الذي لم يبرأ ارتكب المعصيات ولو جاز ذلك لأمكن فتح المعاصي وحقائق المعصيات ومع عدم التخيير لاخير في
سنة وراه القدر والشر في شر من وراء العلم والأمر في يد الله تعالى فلهذا يمتثلها في معاصيه وكيف تمسك بها على غيرها .

من ١٤: هل ان مقاطعة أصحاب المعاصي المستغلة بالمعصيات ومن ثمة لم يبرأ راجع شرعا لغير الدين والذهب من سبب عدم
الإعانة على الإثم وذلك بعد السلام عليهم او عدم التبع لهم وما شاكل ذلك مما يصدق عليه مقاطعة ؟
سنة تعالى : يظهر قناع من قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على القريب لأمرها الواسطة لعدة ثم تفرج وتكون المقاطعة.

من ١٥: ما يوجب الفرق القليلة الواقعة في بعض الأسماء المتعارفين من يرتك هذه المعاصي كيف يمكن التعامل معهم ؟ وليس
مقالة لتعامهم هل يجب مقاطعة ؟
سنة تعالى : الأول فيما ذكرناه من الآخرة وغيره لم يبر حكمه .

من ١٦: هل يجوز لشخص ان يملك كمال أو مبالغ من ماله على من يبيع يوزع أدوات اللعب القمارية على القمارين
العدة لعب في يومه بتوزيع القماريات التي تقع على المعصية في علمه المرافعة ؟ وما حكم الأجرة التي يتقاضها القمار ؟ وهل
يجوز مولاها في موارد القمارية كالمزاول ودفع العطف شرعية ؟

سنة تعالى : هذا عمل محرر والأجرة المستوردة عليه محبت ويجب دفعها له مطالب ان لم يعرف أصحابها وليست ملكا له حتى
تسريها كما يشاء .

من ١٧: شخص يملك محل هل يجوز له ان يجره او يبيعه الى شخص آخر مع علمه بان الثاني سوف يبعده متى ارتكب فيها
ان المذكور ؟

سنة تعالى : هذه الأجرة معرفة والأجرة لماؤونة محبت ويكون المالك شرعا مع المعصيات في الإثم والعدوان .

من ١٨: ما حكم من الإيجار الذي يتقاضاه من المعصية المستأجر الذي جعل ذلك العمل مقبولا وعندما فيه آلات القمار والقمار ؟
وما حكم المبلغ إذا كان المستأجر لا يبيع آلات القمار وليس اسمه تعالى : إذا غلب المقبول من المعصيات فلا يفسد بها والمصلحة
الأجرة غيبا وإذا حصلت معصيات وكان يجب معصية القمار فلا يفسد بها القماريات فلا يفسد بها من شر الإيجار إذا دفعه من
من الزمان وعلى ذلك ان ياتي الممر لم يفسد بها من ذلك القمارية شيء في ذلك من مطلق.

٢٩٩ من: هل يجوز إسلاح بعض أدوات القلوب المستعملة في القلوب كالقنبر والقفاز واللاتري والقلالي وغيرها؟ وما حكم الأجرة المأخوذة على تصليحها؟

بسمه تعالى: لا يجوز إسلاح آلات الحسية والقشيرية كما لا يجوز بيعها وشراؤها والأجرة المأخوذة على إسلاحها حرام نعم ليس مثل القنبر والقفازين كما يجوز في القشير عند استعماله في الحرام كإصلاحه له.
من: ٢٠٠ هل يجب على مالك لقط لافراج المستأجر الذي جعل مثله مذهب شركته أم لا؟
بسمه تعالى: يجب عليه ذلك ما دام ملكا.

من: ٢٠١ هل يجوز بناء محلات لغرض جعلها مقامات شتم فيها آلات القلوب والقشير؟
بسمه تعالى: يجوز بناء هذه المقامات بشرط أن لا يكون فيها آلات القلوب والقشير ولا غيرها من آلات الشتم.
من: ٢٠٢ هل يجوز تأسيس الحرف كالكهنة والحداد والنجار والخباز وغيرهم في شتى المدن والمناطق؟
بسمه تعالى: لا بأس بذلك ما دام لا يضر الناس ولا يفسد الأخلاق.

بسمه تعالى: إذا علم الإنسان بأن هذا المقام يستعمل لأمر معروف فلا يجوز الشراكة فيه ولذا الأجرة عليه حرام.
من: ٢٠٣ مع قبول وقت الصلاة هل يجوز للشخص أن يمشي في غير مكان؟
بسمه تعالى: إذا كان المكان مباحا وإن صحبه بالصلاة فيه ولم يضر ذلك ما ذكر من مكرهات الصلاة ومذاهبها فلا بأس بالصلاة فيه.

من: ٢٠٤ بعض المساجد توجد محلات تابعة لها اسم عليها مؤخر كمقامي تركب فيها المحرمات المذكورة لما حكم هذه المحلات؟ وما هي مسؤولية مكنتي المسجد؟
بسمه تعالى: ينظر هذه المقامات ويأمر بفتحها لعمل فتنل آخر.

من: ٢٠٥ هل يجوز لأصحاب الحرف تصليح أو ترميم القنبر التي تركب فيها المحرمات؟
بسمه تعالى: لا بأس بذلك ما دام لا يضر الناس ولا يفسد الأخلاق.

من: ٢٠٦ هل من قولها تعرض الناس على عدم فوائدها مقامات؟
بسمه تعالى: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم ومسلمة وكذا تعليم الجاهل وتوعيته.
من: ٢٠٧ بعض المعصن يرتدون المقامات ويحرقون بالآلات الحديد والقشير يتناولون اللب ونصلي وإن لم يكن لا يتلقى مع قبول الصلاة فماذا يقول لهم الشارح المقامات؟

بسمه تعالى: هذا سوء فهم منهم للتسمية وهم يقرؤوا قوله تعالى ﴿لَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مِنْ أَلْفٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ ﴿لَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مِنْ أَلْفٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ وهو الذي يمشي من المحرمات من المتقين حتى يتقار عمله ٢٢ ما دام كيف يمشون ٢٢.
من: ٢٠٨ ما حكم من يذهب إلى المقامات التي لا تسمع آلات القشير؟ وماذا تصحونهم؟ علما أن هذه المقامات يحصل فيها خيرة ويشتد وكثرت والآراء على رجال الدين؟

بسمه تعالى: على الناس أن لا يذهبوا إلى هذه المقامات التي لا تسمع آلات القشير إلا إذا شيعوا آلات الله بكتفها فلا تفسدوا أنفسهم بخروجهم إلى شرب غيرهم بكتفها بكتفهم إلى الله جامع شاربين وشاربين في حشر شيعا ٢٢ من لب المعصن على هذه الشبهة قبله ذلك.
من: ٢٠٩ ما حكم بيع آلات القشير كالمقصود والقشوي في الأسواق؟
بسمه تعالى: لا بأس ببيع آلات القشير كالمقصود والقشوي في الأسواق.

من: ٢١٠ ما حكم ما يسمى بآلة (المقصود)؟ ولماذا لم يها إلى شهر رمضان بعد الإفطار من قبل من كانوا صائمين ليلها؟ وما حكم من يحضر للتشجيع أو المشاهدة؟

بسمه تعالى: (المقصود) بذرة منقولة ويؤخذ من ليلها أو ليلها شهر رمضان التي يلقى فيها كثرة تكريمها لشاعة ليل سيدها ونعالي ولبيل رمضان خصوصا وأن هذه الذرة تأخذ وقتا طويلا بعد الفجر في القصر قبل تطلب هذه الشاعة المبركة ليل هذه الأصيل.

«الحيرة والمجتمع»

س/١/ نعم للوحدة الإسلامية للتأخر الإسلامي، كيف تنظرون لهذا الشعار؟ وما هي السبل الكلية التي نندمجها للربط والوحدة والتأزر فيما بيننا؟

س ٦/ كيف ننظرون للدراسة في الحوزة؟ وما هي التراجعات لنظرة؟

س ٣ / تفضل معطدة بتقديمنا سباحكم لطلاب الحوزة الشريفة

س: / نهائیکم للشیاب المسلم المؤمن؟

س ٥/ السالك إلى الله تعالى هو المطلوب من كل مسلم، نرجو منكم بيان وتوضيح كيفية السالك إلى الله تعالى.

س٦/ كيف تنظرون لخطوات أعداء الإسلام والمسلمين ولزواج كل ما هو مضر للمسلمين، مع توجيهها وانسحق
الإلزامه للمد عليا؟

٧/ هاتك من بريدك ان مشق عسا المسلمين بالكلم والتجريح برجال الدين الأجداد وعلى عموم المسلمين بالكلام غير
الائق، نصيحة لا يجرأها أحد؟

محکم / علیہ السلام علیہ

سے تعالیٰ

ج ١: هذا شعار ولله القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ فاعلموا أن هذا شعاركم،
عرض الرسول الكريم ﷺ على إرساء الوحدة في المجتمع الإسلامي، فأخى بين المهاجرين، ثم بين المهاجرين والأنصار،
لم يبق ذلك لأعداء الإسلام من يهود ومناذرين كانوا يبرون الضلالت والعصبيات القبلية والثومة والعصبيات حتى
فلحوا في إيجاد التفرق بينهم فوعدوا القتل عارح المدينة ليعيدوا أيام الجاهلية، فخرج رسول الله ﷺ إليهم مدعياً
ببريادته - حسبما تقول الرواية - للإسراع في إحقاقه، فلو القصة حتى ينجح في ذلك ﷺ، وكان لعلمائنا المخلصين (قدم)
والف مشهورة ومسامي مشكورة لجمع الصف وتوحيد الكلمة، حتى انتهت كلمة أحدكم (بني الإسلام) على كلمة
أحد وتوحيد الكلمة، وبكس تحريق لأن جمع الكلمة وكثيرين، الأول: الانطلاق إلى أن القواسم المشتركة بيننا
كثيرة، فربنا واحد وديننا واحد وكتابتنا واحد وقلتنا واحدة وعدولنا واحد وهويتنا واحدة ومساكننا واحدة ومعتقدنا
أحد وأسس ديننا واحدة، وهي التي أشارت إليه الآية المباركة السابقة وأمرت بالاعتصام به وجعلته محور الذي يتنصع
عليه المسلمون، فلماذا تعرض علينا جميعاً ولم نذكر على الشاطئ القرعة جداً التي تختلف عليها

الغاية: احترام كل طرف قاعدة الآخر وراية مادام لم يوصل اليه بطريق صحيح أو ما يعبر عنه بحجة شرعية تقرر له عند

الحساب الاعتماد عليها، وأن العلم أن الاعتماد في الرأي من طبيعة، فحتى داخل الأسرة الواحدة تجد التباينات مختلفة ولم يعكر ذلك صفو العائلة ولم يفسد في الرد لتتبع كما يقول الشاعر، فلماذا لا تتصرف بنفس الأسلوب داخل أسرنا الكبيرة وهو المجتمع فإنه أجمل من أسرنا الصغيرة وأعظم شأنًا.

وأنت ترى أعداء الله ورسوله اجتمعوا على باطلهم وأخذت كلمتهم ضد الإسلام والمسلمين، لماذا تتفرق عن حقتنا؟ إنما المقارنة لا يمكن التصديق بها (فكبريت حائلة يخرج من الواحد) لغزوة الإسلام في وحدة أمته التي يحسبها الله تبارك وتعالى فإن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفة كلهم بأنهم صنف فلماذا لا تفعلون ما يحبكم إلى الله تبارك وتعالى، ولا بد أن لا يقتصر ليمنا للقتال في سبيله على المواجهة المسلحة مع الكفار، بل مطلق المواجهة على مستوى النفس ومع الشيطان وفي ساحة التحديات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية، وبين يديك تعاليم الإسلام ومصادره تشريعه تحمدا حافلة بكل ما يدعم الألفة والتقارب بين القلوب، فأمر بالخس والركاكة لمساعدة الفقراء، وفتح على قضاء حوائج المزمين وإدخال السرور عليهم وتفرج كربهم وإخراجهم والبراد والتواصل بينهم والتخفيف عن ألامهم، حتى جاء في حديث [من أصبح ولم يسلم بأمر المسلمين ليس منهم]، فيخرج من رفق الإسلام وحسن الرعاية الإخية من لا يحمل هذا الشعور تجاه أمته، ويتقبل الكلام في هذا المجال لما يتطلب فرصة أوسع، لكن الإشارة تفسر القلب وتفتح المخلصين الصادقين، وقد سجلت بعض هذه التفاصيل في مقدمتي لكتاب وأصل الشيعة وأصولهم وبعض نكبي الأخلاقية والاجتماعية.

ج ٢: تحتاج الحوزة الشريفة إلى الكثير من الإصلاحات في عدة اتجاهات: منهاجيتها الدراسية، أساليب التدريس، شؤنها الإدارية، نظام التعليم والمنهجيات فيها، غرس العلم الحديث في خدمة الاستدلال الفقهي، أداء مسؤولياتها علائقية بالمجتمع، وليس في هذا الكلام لدخ فيها لأن التطوير والتغيير شيء طبيعي تبعاً للتغيرات والمستجدات التي تحصل في المجتمع، فلا يعقل أن نبقى نكرر بوتيرة واحدة بالرغم من تغير الحاجات وتكثر التحديات، وقد أفسد بعض السياسات لطرح هذه الأفكار على الطلبة، كما أني بدأت فعلاً بتنفيذ بعضها مما يتيسر لي وما زال الطريق طويلاً، وقد وضعت الخطوط العريضة هذه الأفكار في كتاب لم أطلع بعدوان (العالم المستقلة للحوزة الشريفة) وأشرت إليه في مقدمة كتاب (القرن الفاضل) المطبوع.

ج ٣: وضعت هذه التصانيع في كتاب (وصايا ونصائح إلى طلبة الحوزة الشريفة) وهو مطبوع، ولكي لا تخلص هذه الإجابات عن شيء منها أقرل باختصار: إن مقومات شخصية الحوزوي لثلاثة: البعد العلمي والبعد الأخلاقي والبعد الاجتماعي، ولكي تكامل شخصيته ويكون لاجعاً في مهنته ويحل المخطوطة عند الله تبارك وتعالى ورسوله الكريم ﷺ لا بد أن يجد ويجتهد في المسارات الثلاثة بتوازن، فإن أي تقدم في أحدها على حساب الآخر يلزم منه خلل في شخصيته وهو معنى الحديث الشريف [قسم ظهري وجلان: عالم فيفك وجاهل منك] فالأول حاز العلم ولم يسيذب نفسه ويظهر باطنه والثاني يفرغ للعبادة والنسك إلا أنه فارغ من العلم وفي كليهما نقص فني الإنجاز الأول وهو العلمي لا بد أن يسعى لتحصيل كل العلوم الحوزوية المتعارفة من مقدمات ومطروح ويضم إليها غير المتعارفة كالساريخ والحكمة والتفسير والأولى أن يلم بمعنا بالثقافة العامة، وفي البعد الأخلاقي يعمل على مراقبة نفسه ووعظها باستمرار وعامتها وعرضها على الميزان الصحيح وأن يكون الله حاضرًا علة في كل عمل وكل فكرة بل وفي كل خاطرة، ويجاهد في طريق

٧
فذهب النفس وتغير الباطن من الرذائل الخلقية وتحلته بالصفات لما هو مملون في كتب الأخلاق المخلصة، وفي الانجاء الاجتماعي يعمل على إصلاح مجتمعه وهدايته وتقريبه إلى الطاعة وتجنبه المعصية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الناس أحكام دينهم في العادات والمعاملات وأن يسعى لتقاء حوائجهم ورغبتهم اجتماعيا وبشاركتهم في حقوقهم وأمانهم وطمأنينهم ويعمل على تحقيقها بقدر المستطاع.

ومن المهم لطلاب الحوزة أن يتقنوا سيرة الأئمة والعلماء الصالحين ويتبنوا قيمهم ويأخذوا بنهجهم وطريقتهم حتى في أبسط التفاصيل الحياتية، وأنا أعلم أنها مسؤولية ضخمة وجسيمة لكن الأجر عظيم والنتائج كثيرة، وعلى حسب تعبير الشاعر:

علي قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

ج ٤: حكومت نظامية نافذة في كتاب الله الجامعة التي يطالب الشباب الجامعي وهم نخبة هذه الشريعة وحملها، وأنا أعترف عن هذه الحالات على الكتب وعذري في ذلك أن كل سؤال من هذه الأسئلة الراهنة التي تسم عن معنق لدى السائل للواقع المعاش تحتاج إلى كتاب ليأمن تفاصيل الجواب، وعادة في كتاباتي أسمى لبعض هذه مفاهيم لدى الشباب وعموم أبناء المجتمع لكن مطروبتنا من الشباب أكثر.

١- العودة إلى الله تبارك وتعالى وتعاليم الإسلام فإننا سر قوتنا والتاريخ يشهد على ذلك وسر فلاحنا ونجاحنا في الآخرة وسعادتنا وطمأننتنا في الدنيا، وهذه كلها نتائج مهمة تستحق بذل الجهد في التمسك بها.

٢- أن يكون الشاب خادما في حياته غير لاه ولا عابث كما وصفنا القرآن الكريم في بابها الإنسان بذلك كتابا إلى ربك حكرها ضابطا والكدرج هو العناء والعب وأن تكون الأهداف التي تسعى من أجلها حقيقية لا وهمية.

٣- الاستعانة بشخصيات الأئمة التي تحمل الكثير من القيم والأخلاق والمثل التي تميز حركتهم وتؤديهم إلى كبريى كل حينه ومكره لينزعها من قسور أذهانهم ويؤسفي أن أرى الشباب وهم مقلدون للغرب في ملابسهم ومأكلاتهم وتصرفاتهم وحرركاتهم وكأنهم لا يملكون ذلك التاريخ العريق حتى يستخرجوا شخصية الغير في حياتهم.

٤- التحذير من مكانة الغرب الكافر وخططة الخيطة التي يريد من خلالها استعبادنا وتكريس تبعيتنا له.

٥- أن يفكر مجتمعه وأمة في الحاضر والمستقبل ويعمل على إعداد الحياة وإمساكها في جميع نواحيها كما قال القرآن (واستمسكوا بها) أي في الأرض بمعنى أنه تعالى خلقكم فيها وطلب منكم اعتمادها فلا يقصر أحد في أداء وظيفته ومسؤوليته في أي موقع مقيد كان.

٦- تعميل الإرساء بالحوزة الشريفة لأن العلماء حصون الإسلام وحصار الهدى ولد لئلا عنهم الإمام (عليه السلام) عليكم وأنا حجة الله، والراد عليهم كالأراد علينا.

ج ٥: نشرت إجابا في جواب السؤال الثالث إلى العهد الأخلاقي وكيفية تعميده وهو مكرام شامل لكل مسلم مخلص يريد الوصول إلى الله تبارك وتعالى، وتوجد كتب نافعة في هذا المجال متوفرة في مستوى عطائنا فأرسلنا والقلب السليم) ثم (جامع السعادات) و (الحجة البيضاء في ملقب الأحياء) وغيرها مما هو معروف ولكن الرمي الرهيب هو القرآن وأحاديث المعصومين (عليه السلام) الذي يعني السطر منها عن صفحات من كلمات غيرهم (عليه السلام) وقد توجد كلمة واحدة تغير مجرى حياة الإنسان، وأقول لك حديثا واحدا وهو قول الإمام الحسين (عليه السلام) [من حاول أمرا بمعصية الله كان أقرت لا يرجو وأقرب لا يخلص] بل هو أصل الناس إلى هذه الشهادة لا تكادوا على تحصيل مثلها فيم يثنى الوهاب سقى

الأخوة واليائفة.

ج: أشرت في استفتائات عديدة إلى هذه الأساليب خصوصاً استفهام (احذروا العناصر المسيحية) و (الحجاب الفرنسي) و (عصر الشعر المسمى بالوجه الإسلامي) وغيرها، وهو المتعلق مع فائق لا يتركون فرصة للإبعاد عن إسلامنا وقرآننا إلا استغلوا بوسائلهم الخبيثة الفعالة يساعدهم على ذلك جيلنا وهايلنا بمضارهم المادة الزائفة، ولا تأخذ العبرة من أمم سابقة سادت العالم وكنك الشئ تلب عن المالكيم ثم غطوا واعتبرا لعدم استنادهم إلى ركن وبق، والذي يقرأ القرآن ويؤمن فيه يجد تحديراً كعادتهم وقد أشرت إلى بعضها في كتابي (شكوى القرآن) و (ظلم الجامعات) والخلاصة أقم يربطون أن يعطوا أسوأ ما عندهم وياخذوا أحسن ما عندنا قليل عطفة أخسر من هذه؟^{١٩} والسلام الداعي يكون في حذر منهم في كل شيء، ويصلح بالقرآن وتعاليم الإسلام في مواجهة ما يقابلون.

٧: لا يجوز التذبح بالسلم مطلقاً فكيف بالعلماء الذين عصمهم الله بتارك وتعالى بالقرلة الرقيقة حتى قيل أن أكثر من (٥٠٠) آية في القرآن وردت في مدح العلماء ولم الجبهة والقضية حققة العلم ومن جملة على جمع المميزات الأخرى: **وَمِنْ مِمَّا يَتَّبِعُ السُّنَّةَ الْوَحِيدَةَ** أعز ذلك تعداد العلماء نحو من مائة الشريعة، وقد تحت قبل قليل من الإنعام العادلي **يُحِبُّهُ** [فهم حجب عليهم] رأنا حجة الله، وأفراد عليهم كالإدنا علينا] والواقع ينبغي بذلك فإن أية أمة بلا علماء تكون كالعمى بلا إمامي فهم يضلون ويضلون إلى الطريق الصحيح ويحولون التضحيات من أجلهم من دون أن يتفهموا من الأمة جزاءً ولا شكوراً بل أقروا حاقم زاحل من مدح من حطام الدنيا قبل ذلك فاسمهم والقصد ليسهم والافتراء عليهم وصح عدمهم؟! الفاعل عارضة غير مصفة والغلاء بقولهم والقرآن يؤكد **فَمِنْ جِزَاءِ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** لها واحدة من حطام الكفار ففضل الأمة عن علمائها حتى تضل وتبه يصطط العلماء وتضرب صورهم والإفراء عليهم ونسج الأكاذيب عنهم وكثر من أبناء المجتمع طيهم وسادتهم يضلون، كما قال القرآن: **وَيُضِلُّكُمْ سُبُلَكُمْ** فلهي وهي عطة ليست جديدة لقد حاولوا تشويه صورة رسول الله ﷺ ليفضح المسلمون من حوله حتى أقصوه بنسبه فنزلت سورة التور لتخبر عن حديث الإفك والدفاع عن شرف رسول الله ﷺ وأقروا أمير المؤمنين عليه السلام أنه لا يصلي قضاء الله أن يستشهد علي عليه السلام في عراب الصلاة لتوجه فتنة إلى أولئك المنافقين، ولكن لماذا لا تعرف عظمة علمائها إلا بعد موتهم؟ ومائة بقعة الدم؟ ثم لا تكفي المرة والمرار من الحطام قصر على تكراره والتسرع من أن الراس لا يبلغ من حجب مرتين؟! إنما فتنة زرع أعداء الإسلام فلا ينبغي للمسلمين الوقوع فيها وعليهم احترام علمائهم فهم حصون الإسلام محافظون شهود والمرشون في لغوة شياطين المسلمين وكيان الإسلام من مكشدة وخط الكفار وأغواء إبليس أكره اختاري عن الإحصاء وأسال الله تعالى أن يأخذ بأيدينا جميعاً قبل رخاء وإصلاح حالنا إنه ولي التعم.

محمد البعقري

١٤٧٢ هـ - ١٤٧٣ هـ

(مسائل في خياطة الألبسة النسائية)

سماعة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه)

مسألة (١) بعض العاملات في مجال الخياطة وغيره لا تراعي الحجاب بحجة أن رئيس العمل وعدمه موجود أو غير موجود كما أناسا
تعي نصيحتكم لهم؟

بسمه تعالى: هذا من التساهل في أمر الدين و يجب على العاملات الأخريات ممارسة الوظيفة الشرعية
من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع اللواتي لا تراعين الحجاب الشرعي، وأما ما يذكر من أن
رئيس العمل كاخ فهذا من تسويلات الشيطان فيحرم التكشف للأجنبي مهما كانت وظيفة فعنوا رئيس
العمل لا يبرر النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من النساء الأجانب ولا يجوز لهن إيداء غير ما ورد
الترخيص بإظهاره في الشريعة وهذا التصرف الخاطئ له نظائر في المجتمع كتساهل النساء في
الحجاب أمام يافع الغاز والنظ وقراري المقاييس وقد نبهت إلى ذلك في عدة كتب وتصحيح الأخوات
المؤمنات بقراءة كتب (فقه العائلة) و (أختي انتبهي) و (رفقا بالتزجال يا قوارير)

مسألة (٢) امرأة مبتدئة الخياطة تأتي لها نساء ماركات أو منتجات لها مكرم الأموال المخونة من تلك النساء جزاكم الله خيرا
بسمه تعالى: ١- إذا كانت أموال تلك النساء السفارات حراما كما لو كان عطين القاحشة والعباد بالله
فيحرم لتلك الخياطة أخذ المال وهو سحت، وأما إذا لم يكن كذلك فهو ليس بمال حرام ولا يعد لكلا للعمال
بالباطل لأنه عوض مقابل منفعة محالة ولكن ينبغي على هذه المرأة الخياطة أن تلتفت إلى أمور:-
١- ممارسة وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معهن بالطريقة المناسبة.
٢- أن لا يكون في تعاملها معهن إقرارا لسلوكهن ورضا بأفعالهن.
٣- أن لا يكون مقورهن زائد عن المتعارف أي أن تبرجين وخلاصتهن واضحة.
٤- أن لا تخيط لهن ما يدخل في فسق كالملابس المثيرة والكثيفة لمفاتن الجسد.
٥- أن لا يكون دخولهن عليها فيه إساءة لسمعة هذه الخياطة بحيث تلوكها الأسن.
٦- أن لا يوجد في بيتها من يخشى عليه من الاقتتان بهن وإشارة شبهوته الجنسية كإبنتها وأخيها
وزوجها.

مسألة (٣) قبل يجوز للمرأة العمل في مجالات خياطة النساء؟

بسمه تعالى: لا يجوز ذلك إذا استلزم أحد المحرمات كمنس الأجنبية أو الاختلاء بها كما أن عليه
ملاحظة ما ذكرناه في جواب السؤال ٢ ولا يجوز للمرأة أن تخيط عند رجل لاستلزام ذلك عدة
محرمات حين يفصل عليها القماش أو يأخذ مقاسات جسمها ولا توجد ضرورة لذلك إلا اتباع الشيطان
وتلبية شهوات النفس الأمارة بالسوء الذي لا يقف عند حد.

مسألة (٤) ما هو رأيكم في خياطة الألبسة النسائية بالهاتف؟

بسمه تعالى: ليس ذلك محرما شرعا إلا أن فيه منقصة أخلاقية أي أنه يعوق عن الكمال فإن اللباس وأن
أريد منه التجميل إلا أنه ينبغي ألا يكون مبالغاً فيه خصوصاً في زماننا الحاضر حيث أن أغلب مجتمعاتنا
في حالة حرام وحاجة وعوز شديد فكيف يتلذذ أحد بالفرف والمباهاة وهو يشاهد ويسمع آيات الجياح
ولوعات المحتاجين! إننا نسوة في القلب وكاشفة عن دنس في الأخلاق ويعد عن الله تعالى كما أن هذه
الألبسة المترفة لا تكلو عن واحدة على الأقل من المحرمات الأتي ذكرها في جواب السؤال السادس.

مسألة (٥) هل يجوز للخياطة النسائية أن تشاهد الأفلام والمسلسلات الأجنبية التي تتضمن مشاهد وألبسة مشددة
من أجل المطالع على الورديات الحديثة؟

بسمه تعالى: إن هذا الكلام يفرح القلوب فهل وصلت بنا الشعبية للغرب إلى هذا الحد حتى صرنا نريد لنساء المسلمين أن يكنّ كنّاك الساقطات جنّد الشيطان وهل تعلم كم سرّق الشيطان من دين المشاهدة لهذه الأفلام قبل أن تتعلم موديل الملابس؟ ولنا أخبرك أنّها ستقع فريسة الشهوة والانحراف وتسمى حتى الهدف الذي تدعي أنها من أجله شاهدت الأفلام!

إلى متى نفع في تمويلات الشيطان وإلى متى تنطلي علينا مؤامراتهم الخبيثة ألّهم ليسوا أفكياك لكن الذين يتبعونهم أغبياء فإنّ أفعالهم واضحة لكل ذي عينين مبصرتين ومن وسائلهم الشيطانية ألّهم ملّفوا أسواقنا بالصور الخليعة في مجالات متخصصة بالدعارة على أنّها تعلم الموديلات الجديدة و (صرخة الموضة) على تعبيرهم ولعلّت بيوت المسلمين بصور الدعارة والإثارة تحت هذا العنوان الذي يوهمون أولياءهم أنّه مشروع، إلا يعلموا أنّ شهوات النفس لا تقف عند حد وإلّا حدّها الفتاعة والأطمئنان فإلى متى هذا اللهاث ورائهم والذي كلّفنا الأموال والأوقات وأهم من ذلك العزة والكرامة والشرف فالنظر إلى هذه الأفلام والمجلات حرام قطعاً وهذه المبررات وأهية وليست كافية وتوجب مقاطعة والإقلاع عن هذه التّبعية للغرب فمن خطوات الاستعداد للقاء الإمام الموعود أن نعيش استقلالية في الإسلام في الأفكار والمعتقدات والسلوك والتصرفات ونمط الحياة في كل شيء.

مسألة (٦) لو قالت الحياطة إن النسبة تدعي أنّها ليس لهذه الملابس (الشيف) أمام النساء فقط في مناسبات الزواج

ونحوها:

بسمه تعالى: نقل أحد العلماء كلمة وأجدها صحيحة وهي أن المرأة تنظر إلى المرأة بعيني الرجل لذا منعت النساء من خلع الملابس وإذاء مفاتن الجسد في مجالس العزاء الحسيني لحصول عدة مشاكل (١) الإثارة الجنسية التي تحصل لدى النساء بالنظر إلى مفاتن أجساد بعضهن كما ورد في

الكلمة أعلاه.

(٢) إن أغلب النساء غير مقورعات فينظرن لأوصاف أجساد النساء إلى رجالهن مما يدعو إلى الفاحشة والاعتداء ولا أقلّ من الإثارة والدعوة إلى الانحراف.

(٣) أن ظهور المرأة بهذه الملابس مما يسقط حياءها وغفيتها بدرجة من الدرجات ويقلل من هذه الخصال الكريمة في نفس المرأة ويمكن إذا تكررت هذه المعاول على كسر هذه الصفات الكريمة تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه.

(٤) إن الظهور بهذه الملابس التي تحتوي الكثير من الخرف والمباهاة تجعل غير القادر على تحصيلها يشعر بالضيق والأعراض والسخط على قضاء الله تبارك وتعالى لذا لما سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن عدم تمتعه بالطيبات قال (كَيْلا يَتَّبِعَ^(١) بالفقر فقره) وأمرنا أن لا نتطلع إلى أهل الدنيا ومظاهرها ويروى أن رسول الله ﷺ جاء لزيارة أخته الزهراء عليها السلام فوجد على باب دارها إزاراً ملوناً فنزل للزهراء رجوع أبيها عن زيارتها فلما علمت السبب تصدقت بالإزار فبعده رسول الله ﷺ إلى زيارتها وضمّها بين يديه وقال (ذرية طيبة بعضها من بعض).

فالرجاء من أخواني خياطات الألبسة واليدلات النسائية أخذ هذه الأمور بنظر الاعتبار والسعي إلى توعية المجتمع النسوي بهذه النقاط وليعلمن أن هدفنا إنسان واحد خير مما طلعت عليه الشمس ومما غربت على تعبير رسول الله ﷺ وليكن تفكيرهن دائماً مرتبطاً بالله تبارك وتعالى فإنّ الانغماس في دنيا من المهلكات.

مستل من كتاب فقه العمال

محمد السعقوي

(١) يتبع أي يهيج ومعنى الحديث لئلا يتسبب ذلك في إثارة الفقر وهيجانه وتورده على الله تبارك وتعالى.

يكون الأسلوب مغرباً وحينما يعرف للمعالج كيف يشخص داءه من ويصح في وصف العلاج الصحيح.

٥- وهناك حلول أخرى كاختيار الصديق المؤمن والخبرة العالمة لميش معهم أو على الأقل قضاء الوقت معهم في غرضهم للراحة والدرس وتبادل الاحسانات النافعة والاكثار من تلاوة القرآن وذكر الله تبارك وتعالى وتوحيده فكسار زلفه وتطهير كاسورة على بعض الثمرات الواردة في السؤال ذكرناها في كتاب (فقه الجامعات) فراجع.

٦- لا يمكن ان يكون حل للمشاكل بالحرب منها وادارة الروح عنها لان هذا لا يحلها الا كما وقع مغربهم وقد نوداه بذلك نفعياً وروحياً والمال لم يجزئها بشهادة وجزء واحد لها ومعالجتها بالشكل المناسب قلب من الصحيح اي لو ان السائل انه يترك الدراسة هو والزمه للمؤمنين ويكونون بذلك كمن لان هذه النهج الانسانية تحب بالرحمة والكفاي على افراد المجتمع فاعرضهم عنها يعني التحلي عن الله هذه السبورية.

٧- اما هذه الثمار التي تشعرون بها ويحورون بها فالمسلم كالحمداء زما شانهه فهم يعلمون انما حاله من الخيرة ولا تصلح موقراً ما يفعلون فهل لاختارة والتطور والتفقه تنال الاخلاق والهدى والنهاية؟ ليس الذين هو الذي أمر سلتهم والعمل الصالح وفضيل العلماء على جميع شرايع الخلق؟ ان يكن الاسلام سر السبب في قضاء عظم حقدارة شهداء البشرية في سعتها وعصيتها ورحمتها واخلاقيتها وموقرها ولا ان الحرب مدتها لما في طوره؟ في اناس هؤلاء المتحمسون بالعلماء القسرب المتفقه من العدل وحشية ينفق لها الجبين وزوايا الفلك الوجوه بالقبية من الاقبال عنلها (ماكنكم تكسون) (واي توكون) (كوت كفة تخرج من الواسعهم ان يتولوا الا كفتها)

٨- ذو اخوة ٤٢١١هـ

١- رسالة الشيخ الاجل محمد العقوي (دام ظله).

لدا من اعتاق الواقع الاجتماعي يستمد بعظمتكم الاسوي وحيثكم على الرسالة العظيمة وليرتكم على ابناء حضعتكم الذي ات منه وفيه... شسبها الاصل هناك بعقير سخلات التي تحصل (في انية الملموم للطلا والطارات والمعلمين حاله طابات حازمت في صب الاسلاك والتي تسر نحو الاقدام بدييات الشريعة للموصي ل ال مرضات ان سحاده وتعال... هذا فاقن بعظمتكم الصحة والعدم المغوي عصفوما قدق وملمت مرحمة من التفكير بترك الكلية والعلم وذلك لا كما نقاب على نفسها وذهبتها من الطعيف بوما من والشمور الطام بالاحباط والاثر القسري) نتيجة ما نراه من المعاصي والظلم وجزء من كلك امام عصيها... وانتم تعلمون ان هذا يؤدي الى خراب عتير لدا في السك نعي ما سب مرج وصعوبة اللوميات في العلاج... والله معني ذلك للشكليات.

١- احياه الله... دةسنية والقي في فيها الخوف من الله سبحانه وتعال... حينئذ تحسن في على الداعي الناية.

٢- اسما الاعاني ويشكي متواصل برغم حرمة الله يادوي الى خطايح الزمن الذي حتم تحافه في ان القروا القصة.

٣- عده تخرج في الداعي والقروا مثل القية والاحاديث الااخلاقية: عني ان الطبا والخطبات والاعاني...

٤- القروا نفسية في (ماكنكم تكسون) في حتمسك بتعليم دينها (امثال هذا نقلاصة من الامريات).

٥- اما في كية هي اند معانات وعصاة في طب الانسان والعيلة وما اقرب حشاك ضرورا في ندم من الطبة والخطابات علما من قبل اقتصاصات والامتناع في وخيرها... وايضا الاسلوب في القاروة هي القاروة النفسية وذلك يعان الطالبة القلوما وعده متعاون معها وان حاولت هي بطلب حاجتها منهم حالوما بالاشغاف

والتي وما عني كان اعظم... اية نداء
 ٣- من لديهم السحر وتطيقهم القوي كالبقرة القوية راب: ربة في كلية الطب وجعلوا له
 معانق بالخطاطهم الاحلالي.... وهذا المير القوي المسمى بالجليل والشفاعة
 والشفاعة في ال احباط الطلبة والطالبات الذين مما يجعل عند الطلبة زهر على
 زور عوا الى الزراء....
 فيصيحوا للجليل لقد سحر الطرق واصبحا بحاجة ماسة الى نصيحتكم ودعمكم القوي
 ((لادامكم الله لنا ذخرا وعظمتكم من كل مكره))

بعض اولادكم في الكلية
 ٦ فو الحجة ١٤٢١ هـ

بسم تعال
 الحمد لله كما هو اعلم وحلى الله على سيد علقه محمد وآله الطيبين الطاهرين
 الذين ان جعلوا الاحياء في نظام:

١- ان هذا القسط القوي الذي يسهل العمل المعاصي للزومين للزومين بالشي من
 حدهم لم يشعروهم بالشغل وعقبة المشقة امامهم لانهم يعلمون ان هؤلاء عيسى
 من والهم حازلون لاعداء الدنيا والآخرة وليس عديم الشجاعة لان يكونوا انفسهم
 ويرتلون ان در حاتم فيحاربون انفسهم الى انفسهم الذي يعتبره ليشعروا انفسهم
 ويهربوا من در حاتم فيحاربون انفسهم الى انفسهم الذي يعتبره ليشعروا انفسهم
 فوجود هؤلاء المؤمنين يكشف تقصير وعجزهم وضعفهم امام شيطانهم ونفسهم بلات
 الشيطان وذلكما يوما يكون وجود المنصر الشيطان سببا للكشف عن قصاد المنصر
 المنصر فـ
 ٢- ان الذين قوي بايمانهم ومطهرت انفسهم ولا يسلطوا بارحاصات المنصرين
 المنصرين، قال تعال (يا ايها الذين آمنوا لا يفرغكم من عمل اذا اعتدستم) وفي

المحبت (ان المؤمن القوي من اجل لان اهل يستقل منه بالماول ولا يستقل من
 اهلان المؤمن قوي)، وكيف لا يكون قوي: يا وهو يعيش في رعاية الله مستبعدة
 وتأييده وروحه اما القصة فيروا من الشجاعة الضعيف الضليل (من اولادكم في الحياة
 الدنيا وفي الآخرة ولكن منها ما تشبه انفسكم ولكن فيها ما تشبهون) (مسورة
 فصلت/ ٣١) (ذلك بان الله مول المؤمنين آمنوا وفي الكافرين لا مول لهم) (مسورة
 صافات/ ١١) ولكن ام المؤمنين عديدة الكثرى مثلا امي وامسورة حسنة النساء
 المؤمنات فقد تاضعن لساء قريش وعزلتها حتى عادت وحيدة في دارها ومع ذلك
 بقيت قوية الايمان وابطة لخالق نشأ اثر زوجها رسول الله (ص)، وتلق عنه اعماء

٣- ان احكام الشريعة يمكن ان تختلف في حالات العسر والحرج وحول الضرر فكل
 اليه حرام (كثيما تحمل عند الاضطراب نال تعال وما جعل عليكم في الدين من حرج)
 (يؤيد الله بكم البسر ولا يريد بكم العسر) (لا ما اضطرهم اليه) فلا تم بفتح نفسي
 هؤلاء من المحرمات فيسقط وجوب الاكر بالمفروض والهي عن المنكر.

٤- بان هؤلاء المنصرين على المعصية هم حيلة من عدة حيلاتهم فيهم فيسجلون اعداء
 وحلوا في هذه الحياة وكيف ستكون لحايتهم وما هو حق الذي ملحق لهم عليهم
 وما هو حواء المعاصين فالحل الصحيح هؤلاء ليس قلل ان تقول هم ان هذا حرام
 وذلك مشروع بل لابد منه من بان لشككة من التبريع وتقوية الدلائل بين الاستسنان
 وحالته وانذكر بالآخرة واستشارة الفطرة وامهات النور بالمعطة وذكر السموت
 كما فعل رسول الله (ص) مع مشركي قريش وكان ذلك يجب ان يكون بالمعصية
 والرفة المعصية والمطور الماعن قلب وعقل متوجين وصبر واسع من دون تعنت
 ولا عصية فيلواء المهدون عن الله يستحقون العيش والرحمة لانهم مرضى لكسر
 مرضهم ليس في انفسهم بل في القلب (الروح وهو اول دال عاية من مرضى الجسد
 الذين يبرزون المعطف ويستحقون المساعدة فلا تقصروا في مساعدتهم على اصلاح
 نلوسهم ويستحقون اكثرهم بخير الطاعة ويعتبرون ان الله تبارك واعمال عبادما

عدم تزويج العلويات لغير السادة

بسمه تعالى

صاحبة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ الاجل محمد اليعقوبي (دام ظلّه الشريف)
توجد فكرة خاطئة لدى بعض المشائير من السادة المتصين الى رسول الله ﷺ وهي عدم تزويج بناتهم الى غير السادة حتى
لو ادى ذلك الى تعطيل البت وحرماتها من الزواج وقد بالغ بعض السادة فمتعوا من تزويج بناتهم من سادة آخرين لا يروهم
بمستواهم كما حصل لبعض السادة المباشرين حيث استره أبنته كرهاً من زوجها الذي هو من سادة غيرهم واعتبر ذلك الزواج غير
شرعي (زنا) بنظره. وقد سرت هذه الفكرة الى بعض المشائير من غير السادة أيضاً. فما اصل هذه الفكرة وهل يوجد دليل يستند
اليه هؤلاء وما وجهة نظر الشريعة فيها ونحن نرى انما تؤدي الى ظلم المرأة وحرماتها من حق منهم من حقوقها.

بسمه تعالى

اذا اردنا ان نحسن الظن بهم فان هؤلاء يستدلون الى قول منسوب للامام أمير المؤمنين عليه السلام حاصله (بنونا لبناتنا
وبناتنا لبناتنا) وهو ان صحت نسبته اليه عليه السلام فلا يصلح ان يكون دليلاً على هذه الظاهرة السيئة لعدة امور:

١- انما كلمة خاصة في واقعة معينة ولا يستفاد منها التعميم فقد عطف الاشعث بن لبيس الى أمير المؤمنين عليه السلام
العقيلة زينب وهو يومئذ زعيم كبير لقبيلة عظيمة وهي كلبه ومن وجوه اجتماع الاسلامي لكن أمير المؤمنين يعلم
بحث معدنه فأراد ان يرده بلفظ فقال هذه الكلمة.

٢- و يتحمل انما خاصة بناتهم وبناتهم لغيرهم لا مطلق ذريتهم وان ابتعدت عنهم.

٣- ويمكن فهم الكلمة معنوياً ففي الحديث الشريف: ربا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة ويكون معنى كلمته
عليه السلام ان ابنا المؤمن يتزوجون بنات المؤمنات وبالعكس ويؤيده في القرآن الكريم قوله تعالى حكاية عن ابراهيم (فمن
يعني فانه مني) وبالمقابل يقول عن ابن توح (انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح) فالبنوة الحقيقية هي الانساب
بالبنوة والولاء. لذا روي عن الامام الصادق عليه السلام (ولاني لعلي غير من ولادتي منه) فيكون معنى الكلمة هو لزوم
تزوج المؤمنين بالمؤمنات ولا يجوز التزويج لغيرهم وهو معنى صحيح اكده آيات عديدة.

هذا اذا قلنا بصحة صدور هذه الكلمة منه عليه السلام ولم تناقش فيه باعتبار انه قد ورد عنهم عليه السلام انه اذا حياءكم
الحديث عنا فاعرضوه على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فما خالفهما فانه زعراف باطل لم نقله وارموا به عرض الجدار
وتوجد عدة ادلة على بطلان هذه الفكرة من الاساس هي:

اولاً- ان الميزان الحقيقي للفضل بين البشر هي التقوى. قال تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقد راجع
الاسلام سلمان الفارسي فجعله من اهل البيت وبالمقابل انزل سورة في القرآن تنبئ الى يوم القيامة في دم ولعن ابي سب
عم رسول الله ﷺ.

ونفس رسول الله ﷺ يحاطه القرآن ولكن اشركت ليحيطن عملك وتكون من الخاسرين فيشرقه بطاعته الله
تبارك وتعالى. وفي آية اخرى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين) وهو ﷺ يقول
عن نفسه (ولو عصيت لموت) أي في نار جهنم. فالانساب الى رسول الله ﷺ وان كان شرفاً في نفسه لا يبدل
شرف الا انه لا يكسب صاحبه مرتبة اعلى من غيره الا بالتقوى.

وقد وجدت الاحاديث الشريفة في النكاح تشترط الدين والعقل في كفاءة الزوج (اذا رضيت من الرجل عقله
ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنه في الارض وفساد كبير) فهل يرضى رسول الله ﷺ لاولاده ان يخالفوا سنة
ويتسوا في الفتن والفساد الكبير.

ثانياً- ان رسول الله ﷺ وأهل بيته كانوا هذه الفكرة عملياً ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام
رسول الله ﷺ زوج المقداد بن الأسود ضباعة ابنة الزبير بن عبد المطلب وأما زوجه لتضع (أي يسهل) رثـ
الناكح ولتأسوا برسول الله ﷺ ولتعلموا (أن أكرمكم عبد الله التاكم) [الوسائل (ج ١) كتاب النكاح باب ١٠
وابنه باب ٢٦ ج ١] وكان الزبير أبا عبد الله وأبي طالب لابيها وامها.
ثالثاً- لقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام استنكار هذه الفكرة بقوله (استنكافوا دعاءكم ولا تنكافوا فروجكم)
العلوي، إذا قل غيرك اقتص به منه فإذا كانت دعاءهم متكافئة فلماذا لا يتكافؤوا بالتزويج.
رابعاً- قد جرت سيرة العلماء وهم ورثة الانبياء والأئمة على تزويج العلويات من غير السادة وقد دولت
التراجم والسير الكثير من هذه الحالات حتى اشتهر عندهم لقب (الموزان) لمن كانت امه علوية وأبوه ليس كذلك
فظهر من كل ما تقدم عدم وجود دليل على صحة هذه الفكرة بل الدليل على خلافها من القرآن والسنة
والعلماء. فما هو منشأ هذه الفكرة المخالفة للقرآن ولسنة رسول الله ﷺ ؟
الذي اعتقده ان منشأ ذلك شعور بالمصيبة الجاهلية وروح الاستعلاء وان الآخرين هم ادنى مرتبة فلا يسـ
التزويج منهم، وأما مجيئها بالجاهلية لأن القرآن يسمى كل عقيدة أو سلوك بعيد عن المنهج الإلهي (جاهلية) وقد
رم في الجاهلية لا يزوجون نساءهم الى غيرهم ويعتقدون بأفضليتهم على الناس ويسمون أنفسهم (الحمس)
تسربت هذه الروح الى المسلمين فكان العرب الفاتحون يرون أنفسهم الفضل من غير العرب فلا يزوجونهم وبـ
(الموالي) وقد شكى الموالي ذلك الى أمير المؤمنين عليه السلام فخرج اليهم وهو غضب ووجههم لكتيهم عصوا أمره وأصرو
استنكارهم.
ان روح الاستعلاء هذه من نزغات الشيطان وتسويلات النفس الامارة بالسوء فعلى الاخوة المؤمنين
وتزكيا والاستئذان بسنة رسول الله ﷺ. واني أقول قولي هذا مراعاة للبيعة الزهراء عليه السلام فقد بلغني ان الكثير
العلويات تحس ويفوقها الزواج بسبب هذه الفكرة الطائفة، حيث ينهي عنها اولاد عمها ولا يتزوجونها فيحرمونها
ممارسة حقها في الحياة كزوجة وكأم لاولاد يرعوها في الكفر فلماذا هذا الظلم ١٢ الم يعلموا ان الله يحسن الظن
مراذق من نار خاصة بهم.
وأرى ان تزويج العلوية من غير العلوي سيضيف لها قرصاً أكبر لتجتاح حياتها الزوجية لان الزوج سيحيط
هذه القرى من رسول الله ﷺ وسيكرم مقامها ويرعاها احسن رعاية لأنها وفرت له فرصة مضاهرة رسول الله
والزهراء عليه السلام وتسبب في انتساب ذريته الى رسول الله ﷺ من جهة الام ولا يظلمها احتراماً لجدتها الزهراء عليه السلام
فعلى الجميع ان يتعاونوا في القضاء على هذه الفكرة الجائرة التي استشرت في اوساط الكثير من عشائر السـ
بل بلغني ان بعض الساة (الياسوين) جرموا احدي بناتهم من زوجها لانه من سادة غيرهم ويعتبرون بقائنها معه
والعياذ بالله ١٢ وهذه جناية كبيرة ان يتكبر أحدهم حتى على اولاد عمه من ذرية رسول الله ﷺ، أما (الجاهلية)
من جديد بشعارات دينية... فتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون وعودوا الى كتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ واسـ
الله من ظلمكم للنساء فان رسول الله ﷺ أوصى من وقال: اتقوا الله في الضعيفين - المرأة واليتيم - وفي حديث
أكرمهن الا كرم وما اهانن الا لئيم.

نسأل الله تبارك وتعالى ان يوفقنا لطاعته ويدلنا على سبيل رضاه انه ولي نعم.

محمد البعوت

٢٢ / صفر / ١٤٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مساجدة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه الوارف) :

رف عند أهالي مدينة كربلاء المقدسة في الإحتفالات بمناسبة ولادة الإمام المهدي (أرواحنا لتراب مقدم

نساء) في ليلة النصف من شعبان عادات وتقاليد ، فيرجى الإجابة مأجورين على هذه الأسئلة :

١ - ما منشأ وضع الشموع في نهر (الحسينية) قرب مقام الإمام (ع) وطلب الدعاء في هذه الحالة فيقال إنه مستجاب وماذا تنصّحون من يضع هذه الشموع .

بسمه تعالى : لا أعلم منشأ هذا الفعل ومع عدم الدليل عليه يكون إلقاء هذه الشموع بلا غرض عقلائي
عسلاً منهيّاً ، أما الدعاء فهو عمل كبير وخصوصاً في مثل تلك الليلة الشريفة . لكن الدعاء له شروط
وأداب ولا يمكن أن يكون مجاباً في أجواء اللعب واللهو والمرح والغفلة عن الله سبحانه ، مع إن أهم شروط
الاستجابة إقبال القلب على الله سبحانه وحضوره فإذا أراد الأخوة المؤمنون قضاء حوائجهم واستجاب
دعوائهم فلا بد أن يقوموا بالأعمال والسنن والمستحبات التي ذكرها الكعب المتحصنة كـ (مفاتيح
الجنة) .

٢ - تجمع العوائل قرب النهر المذكور بصورة كبيرة بحيث يسبب التجمع المذكور اجتماع عوائل
غير متعلقة بأخلاق الإسلام فنرى النساء المتبرجات واللواتي لا يرتدين الحجاب بالشكل
الصحيح والمراهقين المتطفلين ويستجيب بالله مما يحدث هناك نتيجة هذا الاختلاط . فماذا
تنصّحون تلك العوائل .

بسمه تعالى : لا أدري من أي متعلق أحدث مع هؤلاء ، هل أنكلم بلسان الدين أم الأخلاق والعقيدة
والرف أم بلسان الأعراف الاجتماعية الأصلية ، وكل هذه الألسن تنادي بصوت واحد ، بقمع هذا الفعل
وشناعته ، فكيف يرضى المؤمن الغيور المحافظ على ثروث آياله وأحداؤه أن يعرض نسائه وهن كاشحات
الوجه ومتبرجات أمام الدقاب المتوحشة التي تود لو أنها تفتقر كل امرأة أمامها ، وإن هذه النتائج تسرود
سوءاً عندما تُرَكَّب في مثل هذه الليلة الشريفة التي يحضها الله سبحانه بعناية إضافية وجعلها فرصة لمصادة
آبائنا من الخير حيث تتضاعف فيها الأعمال حسنة أو سيئة .

والذي لأدعوا إخوان المؤمنين أن لا يحرموا من الأجر والمغفرة في هذه الليلة ، فإن الشقي من حرم عمران الله
سبحانه في مثلها وبها ، يعقّب من الله .

٣ - فإذا تنصحنون عوائل التي تذهب إلى ذلك المقام وتترك مرقدة الإمام الحسين (ع) . وكذلك ذهب بعض المؤمنين بعد أداء مراسيم الزيارة إلى ذلك المكان .

بسمه تعالى : إن هؤلاء الذين يتركون الأماكن الشريفة ويقصدون أماكن اللغو وفي مثل هذه الليلة المباركة هم من فصلهم الآية الشريفة ((أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقله وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون)) ولو كشف الغطاء عن بضائهم لرأوا أنفسهم راكعين ساحطين أمام عزير (الذي هو الواقع الحقيقي للشهوة الجنسية) يسارعون إلى تنفيذ أوامره (وهي إجماعات وخواطر الشهوة) طامعين خاضعين ولا أظن إن أحدا يقبل أن يكون هذا المستوى المنحط وما حقي عليكم أعظم .

ما حكم من يبيع آلة الفحش المحرومة (بالذنب) المتزامن مع تلك الاختلالات . علما إن من يشتري هذه الآلة هم غالبا من الأطفال . وما حكم من يشتريها . وبماذا تنصحون عوائل هؤلاء الأطفال .

بسمه تعالى : يحرم بيع آلات الفناء واللغو الباطل ، والتمن المأخوذة عليها شحت ، وعلى من صممها ونقلها وبيعها واشترها يتم كل من استعملها ، تبأ لها من صفقة خاسرة .

٥ - ما هي نصيحتكم التي توجهونها لبعض الجماعات ممن يدخل الصحن الحسيني الشريف وهو يصفق بحجة الاحتفال بالمولد الشريف .

بسمه تعالى : يجب المحافظة على قدسية العتبات المشرفة وعمل كل ما يرفع شأنها فهي من مصدايق قوله تعالى ((في يومئذ أن الله أن يرفع ويذكر فيها اسمه يسبح لها فيها الذود والآصال)) ولا بد من مراعاة الآداب المذكورة في بارة الأئمة المعصومين (ع) .

وفق الله تعالى الجميع لمراضيه ، وعصمهم من مكدع الشيطان وغروره ، وأعانهم على أداء الوظيفة الإلهية العظيمة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الليلة الأولى من شعبان / ١٤٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

((وقل أعملوا فليسبغ الله بكم ورسوله والمؤمنون))

سماعة حجة الإسلام والمعلمين الشيخ الأجل ((محمد اليعقوبي)) أمدكم الله وبركاته

منقولاً عن مؤيد المعلمين

سماعة لشيخ

قام بعض (طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف) بمرافقة المريضة المدعوة (ل) إلى أحد مستشفيات الولادة بعد أن أصيبت بنزف شديد وحاد كاد يؤدي بحياتها ، وكانت في ليلتها تلك منقطعة عن الأهل والأقارب ، فقام هؤلاء الطلبة بدفع كافة المصروفات الخاصة بدخول المستشفى والتبرع لها بالدم عن طريق أحد المتبرعين ومتابعة حالتها الصحية إلى ساعة متأخرة من الليل ، الأمر الذي عكس الوجه المشرق (للحوزة العلمية الشريفة) واستحق الثناء من قبل كل الموجودين في المستشفى وذلك كما تعلمون أن له الأثر الكبير في قلب صاحب العصر والزمان (عج) وهو يرى جنوده دائبين في العمل ليل نهار لخدمة الفقراء والمساكين ، بهذه المناسبة نرجو من مساحتكم ترحيه كلمة إلى مثل جهود هؤلاء المخلصين لتكون حافزاً للعمل الديني الخالص وطريقاً يسلك بنا إلى بناء دولة الإمام المهدي (ارواحنا لمقدمه الفداء) مع جزيل الشكر لمساحتكم والاعتذار لما سيضيع من وقتكم الثمين

والسلام

الشيخ الطائفة

٢٧/محرم الحرام/١٤٢٢

بسمه تعالی

لا أستطيع أن أصف مشاعري وأنا أقرأ هذه الكلمات المعظمة بكل معاني الخير والذيل والشهادة ، وتذكرت هنا الحديث الشريف (قيمة كل امرئ ما يحسنه) ويمكن تفسيره بعدة معاني ولكنني في يوم ما ألهمت له معنى لطيفاً وكنت حينها في الحضرة العلوية الشريفة وكان المعنى هو أن درجة كل انسان عند الله تعالى أو قل قيمته يوم القيامة هي بمقدار ما يحقق في ذاته وحياته من الأسماء الحسنى وبمقدار ما يتصف هو من هذه الصفات فالله كريم فقيمته بمقدار ما يحمل من كرم ، والله رحيم فقيمته بمقدار ما يحمل من رحمة وهكذا ، تذكرت هذا المعنى وأنا أطلع على هذا الموقف وأقول إن هؤلاء الصوفية كم حملوا من الصفات الحسنى كاللطف والكرم والشكر وأسمها الرحمة فقد اعتنى الله تبارك وتعالى بهذه الصفات حتى اشتق منها اسمين (الرحمن والرحيم) وافتتح بهما كلامه المبارك وهو اسم محبوب إليه تبارك وتعالى ويحب من عباده أن يكونوا كذلك ، وفي بعض الأحاديث إن جزءاً من أمانة جزء من رحمة الله تبارك وتعالى وزعت على البشر والحيوانات وبها ترحم الأم وأبها وغيرهما من موارد الرحمة وهو مثال لتقريب سعة رحمة الله

تترك وتعالى فكم كان موقف هؤلاء الاخوة كريماً ونبيلاً وشريفاً ورحيماً ؟ ومن
اجدر منهم بان يقوموا بهذا الموقف وهم ابناء رسول الله (ص) الذي يخاطبه القرآن
الكريم (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وهم ابناء امير المؤمنين (ع) الذي يمر
على دار يسمع فيها صوت صبيان يبكون فلم تسمح له رحمته ورقة قلبه ان يمر
دون ان يطرق الباب فتخرج له امراه فيسالها عن سبب بكاء هؤلاء الاطفال ، اجابت
المرأه وهي لا تعرفه ان زوجها استشهد مع علي في صفين وبقيت وحيدة واقوم
بجميع المسؤوليات وحدي فربما قصرت في بعضها ولما الان مشغولة بخير المعين
لهم ، فيكي (ع) حتى اخضلت لحيقته وذهب واتى ببعض الحلوى لهم وقال لها اما
ان اخبز لك وتسكتين الاطفال ان العكس فطلبت منه اسكات الاطفال فأخذ يلقمهم
الحلوى ويلاعبهم حتى انتهت عملها ، فكان بعض اصحابه يقول يا ليتنا كنا مع
هؤلاء الاطفال ليطعمنا امير المؤمنين وتشدد بيتين :

ما ان تاهت من شي رزنت به كفا تاهت لانيام في الصغر
قد مات والدهم من كان كالهم في اللذات وفي الاسفار والحضر
وهم ابناء الحسين (ع) الذي يبكي ليوم عاشوراء وهو يرى هذه الالاف التي
خرجت لقتاله فيقول (ع) انكي لهؤلاء يدخلون النار بسببي .
وهم ابناء الامام المهدي صاحب العصر (اروا حنا لله الفداء) الذي يقول في
رسالته الى الشيخ المفيد (قد) (نحن وان كنا ندين بماننا الثاني عن ساكن الظالمين
حبيب الذي ارانا الله تعالى لنا من الصلاح وشيعتنا المؤمنين في ذلك مادامت دولة الدنيا
لنفاستين فاننا نحيط علماً باننا نكم ونعزب عنا شي من اخباركم ومعرفتنا بالذل الذي
اسابكم الى ان قال {انا غير مهملين لراعاتكم ولا ناسين لذكركم} .

فحيا الله هؤلاء الصفوة الابطال الذين جسدوا عملياً الصورة النقية المثمرة لطلبة
الحوزة الشريفة وكل مؤمن قد ملأ الايمان قلبه فراح يعيش هموم الناس والامهم
ولامكان عندنا للمناقسين والمتخاذلين الذين قست قلوبهم ولا تتحرك مشاعرهم
لمساعدة الآخرين بحجة انه سيؤم بهذا العمل غيري فهؤلاء سيطردهم الله تبارك
وتعالى من رحمته لانهم لم يرحموا غيرهم حتى يشملهم الله برحمته تطلقاً عن
الحديث الشريف (ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) اقول قولي
هذا لعل الله يشاركني في عمل هؤلاء الاخوة فان من احب عمل قوم حضر معهم
واشهد الله اني احببت عمل هؤلاء الاخلاء ومشاركتي معهم اني تشيد بموقفهم
الا ان ، ودعوا كل ابناء المجتمع ليكونوا بمستواهم عسى الله ان يرحمنا في الدنيا
والآخرة ، انه ولي النعم وهو حسبنا ونعم الوكيل

الشيخ

محمد المصطفى

٢٧ محرم الحرام / ١٤٢٢

النجف الاشرف

فقه الشباب

سعدنا هذه الأحكام من مجموعة من أجوبة سماحة خجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد اليعقوبي " دام ظله الشريف "

١٤

مقدمة

إننا بهذه المحاولات نحاول رد اعتبار الأمة الإسلامية والطليعة الحرة من الشباب لنمد لهم يد الأمانة والأمان. أعلموا يا أحبائي إنكم في ضميري وعقلي وقلبي وسأكرس نفسي لخدمتكم بأذن الله ، وأن الأمل في رجوعكم إلى دينكم عزتكم وكرامتكم موجود إن شاء الله تعالى . فيها هي أبواب الجنة قد فتحت لمستقبل الثقلين منكم يا ابتائي فيجب إستغلال الفرصة لأن إصاعة الفرصة غصة وإلّا الفرس تمر مر السحاب فاعثمونها : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الله

أهـ ١١٩١

١/ لا يجوز استخدام المبالغ للأغراض إلا للأخلاقية والمواعيد المحرمة ولازعاج الآخرين فإنا أذكركم إلى هذه القاعدة التي هي : ذلك الفراغ مما يتفكك في الدنيا والآخرة ، فإن فعلك هذا مما يحزن ولا يفرح وإنه لن يسويل الشيطان . من علمك هذه القصة التي مسرودك أسوء المسالك .. فلا تقبل لنفسك أن تكون شيطاناً من شياطين الإنس . لأن الله لم يخلق الله والنسب بل لأجل أن تحيا حياة شريفة .

٢/ لا يجوز إرتياد النوادي والسينمات ومقرات الفسوق والفجور الأخرى وإن الذهاب إليها لم أتبع الحرمات ، حيث فيها كل ما ينجي الدين والأخلاق ، فلا يراد منها إلا إبعادكم عن السماء . لتجدوا أنفسكم في أسفل ذوات الخبيث والله

٣/ ما يحدث في الحمامات العامة الرجالية المتخلطة من كشف العورات هو محرم شرعاً ومبني للأخلاق . ولا يحسن استمراره على من يملك الحياء والدين والدوق الانتاع عن الحياء لكل هذه الحمامات .. ومن التوب ذلك حقاً ، كأنه ليس إسلاماً لإسلام بني أخصا يعز بهم المجتمع وليس المراد لا بأن منهم إلا ما يسر العدو ويحزن الصديق أو لا ياتينا بينهم إلا الله ٤/ يحرم الحضور إلى الأعراس التي فيها طرب وغناء وكذلك يحرم المجيء إلى القاعات التي يقام بها التمنيات فسواء يدعو غير دعوى هذه الأماكن لم تعد للمشرفاء بل عدت للطبقات الدنيا وحتى الطبقات المحتلة تدعوهم إلى التوبة والإيمان بالتم عيب الله ويعودون لله كذلك فيرجى منهم التوبة كما يرجى من غيرهم ... أليس لهم ميزون ويوم القيامة يعنون

٥/ ما يحدث من انتظار الشباب قرب مدارس النساء لأجل الرسائل أو لأجل التحرش وما يحمل هذا التلذذ من قباحة ونزلة واستهانة بالأعراس فلا يمكن التهاون بهذه القضية فيجب على أولياء أمور النساء توفير الحماية لأعراسهم حتى لو بالحد الدوام من المدارس .

٦/ لقد ظهرت أخيراً ظاهرة مخزية من بعض طلاب الجامعات والمعاهد هي ظاهرة التقليل من التمس وخاصة بين الطلبة المتدينين قد نجر إلى الشهوة فأما أولاً : لا تضامني مع خط الدين الإسلامي بل أنا من أفعال أعداء الإسلام ... ثانياً : ترفند الغير العربية والشهامة فلماذا تكونوا لعبة متحركة لكل ما يظهر بالأفلام المحسنة لتطغره عملياً .. أقلنا تطبقوا ما يوفّر لكم الله والوفاء والشخصية فإن هذا أضمر لأخلاقكم وأعز لعروشكم وأقنع لصحيح من أذكركم فلذلك هو الباقي مع الدوام بسبل ويتحول ويندرج بين آونة وأخرى .

٧/ لا يجوز للشباب حلف حواشيهم وتطويل أظفارهم فإن من صبح التعبر بحماية على رجولتهم وأنه لم يكن لهم ذلك أبداً قالون بذلك رضا أنتمهم الذين أوتوا لهم اللطافة والحشونة أو على أقل تقدير الوضع الطبيعي لا أكثر ؟

١٧/ يحرم تقليد الشباب للنساء في المشي والكلام والحركات الأخرى لما للحرن ما الذي جرى بكم أين هؤلاء الأبناء عن الحال
لتي وصلت إلى أعلى مراتب الجن والعار ، فهل أنت أبها الأب مكلف فقط بالإحجاب دون المتابعة والتربية والصحيح
من الله وأنت ترى ولذلك أصبح كاليت (فقوهم أنهم مسؤولون) .

١٨/ ينبغي الالتفات إلى مسألة إشغال الشباب بغير ما لكي يكون خالي من جميع الفحاشم الدينية .. فلماذا فإن بعض الشباب أه
ستعد أن يعدد جملة من الطربين ولكنه غير مستعد أن يعدد الأئمة المعصومين ، مستعد أن يعدد جملة من لاعبي كرة القدم
لكنه غير مستعد لعدد مراجع الدين .

١٩/ يحرم خروج الشباب إلى الشوارع في ما يسمى بالشعور فقط فإن خروج أفعاذ الرجل يبيح عند النساء الحجاب الجسد
كذلك يحرم على النساء النظر إلى مثل هذا المشهد وكذلك عند لاعبي الرياضة فهم أيضا لا يحرف عندهم الست الكافي
تمام البدن وإنما الله وأنا إليه راجعون .

٢٠/ وتوف بعض الشباب ليلة الزفاف يعرف أصدقائه على زوجته فيصافحونها واحدا واحدا .. هذه تجربة والله وبتجاربهم
التي جرى ، إن هذا النموذج الذي لا يملك الخبرة على شرفه لا ينبغي للمجتمع الإسلامي أن يتف له موقف الإحترام .. إن
أحد من الناس بذلك الفعل يجرعه إلى سجن سبب الشهادة المحسنة (ع) الذي قال لأعدائهم : والله لن تصادوا إلى حرمي
لأنت حيا))

٢١/ من المحرمات التي تصل إلى حد الرنا خو نكاح اليد أي (العادة السرية) التي حطمت شباب كثير من الشباب .. حتى
صغرت وجوههم وذهبت لوقم وضعف بصرهم وتولد عندهم الخمول في الجسم .. هذا لما هو في الدنيا أما الذي هو في الآخر
فقد ورد في الروايات بأن الجنة محرمة على نكاح يده : فتوبوا إلى الله فما الذي يحدث بكم أكثر من ذلك عيسى الله أن ينزل
إيكم .. (وعلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظنون) .

٢٢/ رم على الرجل ليس الحرير والذهب اللتان كلاهما من لباس النساء خاصة ولا يخفى للرجل لبيهما .. فإن الله حرمهما
عليك أنبل أنت تمتع فإن لم تمتع للنساء حظك لا أكثر فلو كنت ذو حظ عظيم لأعطيت الله ورسوله .. اللهم آمين إن قد
لغت .

٢٣/ يحرم ذهاب الشباب إلى الأماكن التي تسبب لهم ضعف الإيمان والإحسان لكثرت الأثر لآلات والفسخ الخلفي فيجب
اجتنابها ومقاطعتها

{ مبدل }

من الباقيل الجيدة للسفرات التي يعقدها جملة من الشباب على الصعيد الدراسي أو ، على الصعيد العام فيدل الذهاب إلى
المعقرات والمعكانات المخلة يمكنك أن تذهب إلى العتبات المقدسة أو التمتع والتتزه في جبال خلق الله للطبيعة أو زيارة
المؤمنين والأقرباء أو قراءة كتاب نافع أو كسب محلل أو ذهاب إلى المسجد لأداء شهاد الله المقدسة أو مزاولة هواية
محللة كممارسة بعض الرياضات البدنية لتقوية الجسم والترويح عن النفس أو الدخول في حوارات نافعة وغيرها .. على لما
تقدير المعكانات التي ليس فيها محرم وفيها الترويح عن النفس كذلك .
لكن الخطأ جدا تعويد النفس على الحرام «خاصة وأن المعكانات التي فيها رضا الله تعالى تكون فيها راحة عظيمة ولعلمنا
فرحة للترويد بالفضاء الروحي (لا يذكر الله تظمن القلوب) .

الشيخ صادق الأحمد

١٤٢٩-١٤٣٠

المحرمات

الجنس

سماعة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد العقوبي دام غزه وتوفيقه

شيخنا المقدى:

كثير في الاسواق في هذه الايام شراب خاص معبأ بعنات معدنية، مكتوب عليها (شراب شعير - ميلر - خال من الكحول - عالي الجودة - صنع خصيصاً من اجود انواع المكونات الطبيعية)، وفي جهة اخرى (تت صناعتها وتعبئتها بواسطة ميلر براندز ميدل ايست بروري - الاردن ترخيص من شركة ميلر بروغ الامريكية - حضر شراب الشعير ميلر الخالي من الكحول بنوعية عالية من اجود المكونات: ماء، شعير، ذرة، بأعشاب).
شيخنا، ما حكم هذا الشراب من ناحية الطهارة وجواز الشرب، افئونا جزاكم الله خيراً، وأدامكم علماً لاننا في سماء الحوزة الشريفة.

ولكم: ابو ذر البغدادي

بسمه تعالى:

يمكن الجواب عن هذا السؤال على مستويين:

الأول: المستوى الفردي، وهو الذي جرى عليه ذوق المشهور ونبتت الرسائل العملية عليه والذي يؤخذ بنظر الاعتبار تكليف الفرد المسلم واحراز براءة ذمته امام الله تعالى ولا يهم بعد ذلك ان يكون المجتمع مسلماً ام لا. ومقتضى هذا التفكير حلية هذا الشراب وطهارته إذا حصل الاطمئنان بصدق المعلومات المكتوبة عليه وكونها خالية من الكحول ويحصل الاطمئنان اما من جهة النية بما يكتبونه على صناديقهم أو بصدق مكونات هذا الشراب مختبرياً ونحوه.

الثاني: المستوى الاجتماعي، والفقيه وفق هذا التفكير يجعل نصب عينيه مجتمعاً مسلماً تسوده معالم الاسلام وشعائره وشخص الداء الاجتماعي قبل وقوعه فيعمل على وقاية المجتمع منه وقد قالوا ((الوقاية خير من العلاج)) وعندئذ ستكون كثير من الاحكام وفق المستوى الأول (أو ما يسمونه على القواعد) غيرها على المستوى الثاني وليس هذا تنبيهاً في التشريع فإن ((حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة)) ولكن هذا من تغير الاحكام بتغير موضوعاتها وطروء العناوين الثانوية عليها ومن أهم هذه العناوين حفظ النظام الاجتماعي العام فقد يجرم بسببه ما هو حلال على القواعد التي مدارها تكليف الفرد وله أمثلة عديدة لا حاجة إلى الاطالة فيها إذ يكفي مورد السؤال الذي علمت حكمه على المستوى الأول أما إذا نظرنا في حكمه على المستوى الثاني فسيختلف الأمر.

وبيان ذلك إن الصناعات المستوردة من الكفار على شكلين:

١. ما لا يكون مظنة للتهمة بأنهم صنعوه لإضلالنا وفساد ديننا كالسيارات والطائرات والحاسبات الالكترونية والاجهزة المنزلية وغيرها.

٢. ما يكون مظنة لذلك فضلاً عما يجرز انه صنع لاجل هذا الغرض كالحجاب الفرنسي وهذا الشراب الذي ورد ذكره في السؤال ومثل هذه يجب الاحتياط عنها لأن الأهل في تصرفاتهم هو الفساد والافساد إلا

ما خرج بدليل وهذا الأصل فيه القرآن الكريم ﴿وَرَبُّكَ الْكَافُرُ﴾ كما كفروا فكيف سوا فلا تشذّبوا بهم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْآيَاتِ﴾ (النساء ٨٩) ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْخِلْكُمْ فِيهِمْ لِيُبَلِّغُكُمْ أَيْمَانَهُمْ وَيُؤْثِقَ وُقُوفَ الْكَافِرِينَ﴾ (الممتحنة ٢) ﴿وَلَنْ يَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ بَحْثُكُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَلَمُ الْيَهُودِ الَّذِي كَفَرُوا﴾ (البقرة ١٧٠) فكيف نطمئن بعد هذا إلى صناعة ((بصرة اسلامية)) ومن ثنى يقولهم ((إنها خالية من الكحول)) والقرآن بصرح ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءَكُمْ قَابِضًا فَتًى سَكِينًا﴾ (الحجرات ٦) أي تبتوا وتأكدوا قبل أن تنورطوا بمعضية الله سبحانه ولا يجوز للمسلم أن يسير وراءهم بسذاجة وعن غير بصيرة وبعد هذا ألا تعجب من هؤلاء المسلمين ١٢ الذين ما إن صدر اليهم الشرع من بضاعة حتى تافسوا على اقتنائها ولهبوا من أجل تحصيلها وداسوا بأرجلهم كل قيم دينية أو أخلاقية أو اجتماعية أو تراثية من أجل المحافظة على ((الأنكى)) والانصباع لعرف أهل الدنيا وهذا الكلام شامل لكل الصناعات المستوردة كالملابس والمشروبات وغيرها، وكان الأخرى بهم الثرى والتأكد أو التنبه على تمييز القرآن لئلا توجد فيها مخالفة شرعية فإذا لم يتحقق فيها شيء من ذلك جاز اقتناؤها واستعمالها عندئذ فلماذا هذا الانتشار السريع لهذا الشراب وحتى لو كان خاليا من الكحول ألا يوجد احتمال أنه استدرج خطوة لاحقة يكون فيها الكحول من مركباته، إن مجرد الاحتمال كاف في وجوب اجتنابها لما ورد عن الأئمة (عليه السلام): ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)) أي اتوك ما فيه ريبة واحتمال المخالفة الشرعية وخذ بما يتيقن سلامته من ذلك، وبعضهم حديث آخر أن من حطم حوله الشبهات يوشك أن يقع في المحرمات وفي حديث آخر ((الاحتياط عند الشبهات خير من اقتحام الهلكات)) فإين نحن من هذا الأدب الاسلامي والتبعية الالهية التي تريد لنا الخير والسعادة بينما يريد الشيطان وأولياؤه الشقاء والكبد وجشك الحياة وأن اغتروا بزغرتها الظاهرة. ﴿وَلَا تَكُنِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الحجرات ٧-٨) ﴿وَرَبُّكَ الْكَافِرُ﴾ (النساء ٦٠).

١٧) ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ وَمِنْهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحجرات ٧-٨) ﴿وَرَبُّكَ الْكَافِرُ﴾ (النساء ٦٠).

ادعوا الله تبارك وتعالى لإخواننا المؤمنين بالوعي والبصيرة والثبات على دينهم وأن يكونوا بمنسرى المسولية وأن لا يكونوا لقمة سائغة ومطية طيعة بيد الكفار يفتنون فيهم فأربهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

محمد البعقري

٣٠ - ذي القعدة - ١٤٢١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نطرح عليكم واحدة من المشاكل التي تعاني منها الأسواق التجارية وهي التعامل بالمنتجات ذات الصلاحية المنتهية ، ومع انه ليس موضوعا جديدا لكنه من موارد الابتلاء اليومي الذي يعيشه المجتمع ، وتترتب عليه كثير من النتائج السلبية والمضاعفات الضارة دينيا ودنيويا ، كالخس في التعامل التجاري والأضرار الصحية الناتجة عن ذلك ، بالإضافة الى الإرباك الاقتصادي الناتج من بيع هذه المنتجات التالفة والتي تباع بأسعار زهيدة قياسا للمنتجات الصالحة ، مما يجعل الذين يبيعون المنتجات الصالحة في حالة من التردد بسبب تفاوت الأسعار .

شيخنا الجليل : بعض التجار يستقون بعض المدن الفقيرة لتسويق مثل هذه المنتجات الفاسدة بحثا عن الربح دون النظر الى مشروعيتها .

ومن هذه المنتجات (معجون الطماطة) الذي لا يكاد يخلو منه بيت لكثرة استعماله وربما يوميا ولدينا نموذجان :

الأول : معجون الطماطة علامة (كربلاء) الذي التفت مدة صلاحيته منذ أكثر من سنة ، وقد علمنا من بعض أهل الخبرة ثقة أن الشركة - والتي تمتاز بمنتوجها الجيد - قد حذرت من انتهاء مدة صلاحية هذا الإنتاج المضروح في الأسواق ولكن نسبة كبيرة منه مخزون لدى التجار .

الثاني : عبوة صغيرة من إنتاج مافيزي (paradise)

ونحن لا نلتجئ الى الله عن طريقكم نرجو من سماحتكم الاجابة على هذه الاسئلة :

1. ما رأي ائمة الفقه يفتي هذه الممارسات التي يقوم بها بعض التجار ذوي النفوس الضعيفة ؟

2. ما حكم من يساعد على التثاقل وتسهيل هكذا تجارة ؟

3. ما حكم بيع وبراء وتداول هكذا منتجات ؟

4. ما هي نصيحتكم لأئمتكم من التجار والمستهلكين تجاه التعامل مع هذه المنتجات الفاسدة ؟

نسأل الله سبحانه أن يمد في عمركم خدمة للإسلام والمسلمين .

حيدر بك

المستشار غير الرسمي

سنة ثمان

١. في هذا التصرف أكثر من جهة محرقة :

الأولى : الغش لأن المشتري لا يعلم بالتهاء الصلاحية وهو غالبا من الجهلة لحدّة التفاهيل .

الثانية : الإضرار بالناس لأن المواد الغذائية بعد انتهاء مدّة صلاحيتها تصبح غالبا ذات ضرر على البدن ولذا
تعتبر من جنابة ميتة .

٢. غش المسلم حرام وكذا الإضرار به ولا يجوز السب لوقوع الخيول والمعاصي ومن يفعل ذلك ليجب وعظه
وإرشاده فإن لم ينفع ذلك يجب زجره وتوبيخه ومقاطعته .

٣. لا يجوز بيعه وشراؤه بقصد غش المسلم ومع العلم بالإضرار به إما إذا وجد لها عرض عقلائي مشروع فيجوز
بيعها وشراؤها بقصد ذلك العرض العقلائي المشروع .

٤. إن الله تعالى يحب من عمل إحسانا ويكره من كفر به وإن جعل رزقه لعباده في طرق غير مشروعة وإنه يحب
الإنسان الذي يسير اختاره مسلكا في الخراف لا يشبه شيوته ولا عاقلة نفسه الأمارة بالسوء . ولا يعلم حيل ولا
سحر ولا كد ولا حيلة . بسب الاموال المحرمة التي اكتسبها يوم يحصى عليه في رجب
فكرت في جيب وجنوبه . وإن الإنسان يرفق للسلطان من ماله مما اكتسبه ويتم انفعه لفسادها يجب حمله .
وكم يظن موقفهم يوم القيامة .^{١٤} وماي ربه يقابلون رسول الله (ﷺ) والائمة الطاهرين (عليهم السلام) حيث تعرض
عنهم على رؤوس الاشهاد .^{١٥} وماذا جنى غير هذه آية مؤقنة لبعثها لتمام دقمة .^{١٦} واي عاقل يرمى بسوء
الشفقة .^{١٧}

٥. إن الله بالنفسكم فلا تلهكوها فانما ضعيفة لا تتحمل عذاب الدنيا وصعوباتها فكيف تطيق عذاب الآخرة .

من انظر باخواني المؤمنين ان يستيقظوا من غفوتهم بمجرد سماع هذه الكلمات ويعقدوا العزم بصدق عنسى
عده يعود لا يشاهد ومن تاب فإن الله يتوب عليه . إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين .

محمد انعموني

١٧ ربيع الثاني ١٤٢٢

بسمه تعالی: لا تتبع التوكيد والتلحق على لجز مغفل واجب الزلاية وإذا لم يتفقا فإن السائق مستحق لجزء المال أي الأجرة المتعارفة على فعل هذا العمل لأنجز إذا أصلى الركاب كل من له فهو مشغول فتمه بالبالى وإذا لاء فإن كلام السائق يلتحق فتمه لفر لا لفر له.

- من 9- بعض النساء تزكك وحدها في سيار الأجرة فهل يجوز لها ذلك ؟

بسمه تعالی: هذا فعل مضىة للحرمان ولحق من فخره فليس في الحادث (ما أجمع رجل وامرأة في مكان إلا وكان فليس ثلثهما) وقد تقول بالحرمه فعلا باعتبار أنه من الخلوة بالأجنبية وهو حرام قطعی النساء أن يلتزمین بالهفة والحياء فتصحب معها من يحشم وجوده أي يؤخذ حضوره بنظر الاعتبار .

- من 10- ما حكم دهن بعض الحيوانات في الطريق ؟

بسمه تعالی: إذا كانت الحيوانات مسلوكة كالضیاح والقطر فهذه شمان القيمة لمساكنها وإذا عجز عن الوصول إليه فیدفع قيمة في الحاكم الشرعی أو یوزعها على قراء المؤمنین ولا أن تكون مسلوكة كالكلاب فلا یس علیها من 11- بعض السائق لمیقا علی لثیاء بتساعدا الركب فما هو حكمها ؟

بسمه تعالی: إذا تمكن الوصول في صاحبها بالتمسك والقبول ینب لیصلها إليه وإذا لم یمكن فعله ات بضعه في مكان بارز من سيارته لیرفعها صاحبها إذا صعد مرة أخرى معه وخیر علیها في الأمكنة الملائمة كمثل تجمع السيارات حتى تنقضي مدة فیرفع الحاكم الشرعی لیبیها له أو یصدق بها علی قراء المؤمنین من 12- ما هي لصیحتكم لسلکی السيارات حول بعض التصرفات المشیة التي تصدر منهم ؟

بسمه تعالی: ورد في الحديث أن فین المعتملة أي أن التلزم المؤمن وتكینه فما یكتف عند التعامل معه وطیما فإن التعامل مع أي شخص بحسبه أي بحسب مهله وبوقفه الاجتماعي وخلال تعاملهم مع سائی السيارات وجدت عدة تصرفات غیر صحیحة وبعضها مشیة ومثيرة للشتیز لسلوك بعضا منها :

 - أ- كثرة المزاح والقلو بكلمات یثیة یثی لها الجبین والیافا بمعشر النساء .
 - ب- قيادة السيارات بحركات غیر عذائیة .
 - ت- مزاحمة السيارات والخاص ومضایقهم یرش الماء الأمن علیهم مثلا لو انقلبوا أو المرور بسرعة في مناطق أو حمام الناس .
 - ث- التعملي علیه الصوتی بشكل مزحج وبعضها یبه الحان موسیقیة محرمة .
 - ج- عرقلة السیر بتعطیل سياره جلبت أخرى أو إهمال تحديث أو الاحتفال بالزواج أو للسائق وحجز السيارات عقیب .
 - ح- زیادة الأجور بشكل كبير في مواسم الزیارات والمناشدات الخیة .
 - خ- وضع عدد من المرایا لمساعدة النساء خلفه .
 - د- كتابة كلمات غیر بیثیة في مؤخرة السيارات وفي بعضها اعتداء علی من یرید خلفه .
 - ذ- تمییز صور للنس لایستعملون التمجید والتعظیم كالعلمین والریاضیین .
 - و- حتم الاهتمام بقاء السلوک في الوقتیاء رغم أن لاء هم فرصة التوقف عند أي مسند لتحصیل فضیلة الصلاة في الوقتیاء ولی ینب من بیوت الله سبحانه . وخیر هذه الامور معا لأخفی .

والحمد لله رب العالمین

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد العقباني دامت بركاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كثرت في الآونة الأخيرة وسائل الفساد والاحلال الملقى الى دوحه استطاعت الحضارة الغربية ان تجذب الشباب غير الوافدين الى الملذات القانية ليشعرون دقيلة اللذات بسنوات القدامة وبالنتيجة يكونوا اليد اليمنى للشيطان لتعطيم مبادئ الاسلام السامية واليوم فنحن بصدد وسيلة جديدة مستخدمة في الغرب ولقد لها بعض مريدي هذه الحضارة المفسدة الا وهي اصدار مجلة عبارة بمجموعة صور عذبة للممثلات والمطربات العربيات والمطربين والشباب الملقى للنظر هو كون الصور المرفوعة في هذه المجلة تكاد ان تكون على كل اجزاء اقمعة فتوضع الصورة لتفادى القنطرة وتجنباً لتصف سطر او اقل وكان هذه المجلة تشرى باسم لغرض عرض هذه الصور وقد انتشر تداولها في اواسط الجامعات. لافها تاخ باسماء شخصية وبعضهم يعبرها بمن احسن فترجوا منكم الاجابة عن بعض التساؤلات.

١- ما هو رأي الشارع القدسي تجاه هذه الوسيلة الاعلامية ؟

٢- ما هو حكم من يقوم بشراء هكذا مجلات ؟ بعض النظر الى احصاء هذه المنشقات فقط ؟

٣- هل يجب على من تقع في يده تغييرها او حرقها ؟

٤- ما هو الجدل الذي يفسح ان يخل هذه المجلات والمطربون ؟

٥- ما هي نصيحتكم للشباب الوافدين ؟

ولدكم

قطران كامل

٢١ محرم الحرام ١٤٢٢ هـ

بسمه تعالى

لا نظن ان الجواب الصحيح لكل هذه التساؤلات هو القول بحرمة هذا العمل ومشاعة نشره في المجتمع لأن المتأملين به يعلمون جلال حرمة الله من اشارة الفاحشة التي هي عنها القرآن الكريم (والذين يحلون ان تنزع الناحية في الذين آمنوا فهم عذاب الله في الدنيا والآخرة والله يعلم وانهم لا يعلمون) ويعرفون جلال آثار هذا الذنوب في تدمير الاخلاق والرجوع الناس الى الممحنة اخيراً بعد ان اقدم الله تعالى عليها وسيؤدي ذلك الى تحميم كيان المجتمع ونسف وروابطه الاجتماعية والشخصية على العلاقات العائلية المشروعة وغيرها الكثير مما يعرفونه هم جيداً فامانة عليهم بما لا فائدة فيه.

ولكن العلاج المتأيناً بدراسة الاسباب التي تسبق هؤلاء الى القيام هذا الفعل الشرير وكيفية علاجها واعانتهم على تجاوز هذا المرض الاجتماعي الوعيم. ويمكن احصاء عدة اسباب هنا:

١- ضعف اوازع الدين وتقصير التربية الاخلاقية والعقلية وهم وان كانوا يستنون انفسهم مسلمون الا انهم ليسوا كذلك لأنهم لا يعكس ذلك على سلوكهم وتصرفاتهم في الحياة وهم يمدون شتى من هوى النفس ويظهرون انهم من دون الله تعالى (انهم من اتخذوا هوى الله على هوى الله ونظم على حمة وتلقه وحمل على بصره غشوة فمن يهتد به من بعد الله ان تذكره) فيقبل بعد مسلماً من يجر بين طاعة الله وطاعة الشيطان فيختار طاعة الشيطان.

٢- الكساد الاقتصادي وقلة فرص العمل مما حدا بالعديد ان ينكسر باي طريقة للكسب وتحويل المال ولو كان غير مشروع وهذه المجلات وامثالها تدر عليهم ارباح كثيرة.

٣- ارتفاع تكاليف الزواج وكثرة الملقاة الاقتصادية والاضطهاد بالنسبة مما أدى الى تعطيل هذه المسألة الشرعية فراح الشباب يحاولون عن طريق الجنس والاحتياج الجنسي ليعملوا على كسب المال ولو كانت محرمة فشاعت العلاقات الغير الشرعية والجنس واستعمال المادة السرية في هذه المجلات والروايات المثيرة للشهوة الجنسية والصور الخفية للفتيات.

١- فالتقصير في أداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أصبح المجتمع كما وصفه الإمام الحسين (ع) لا يملك ولا يعمل به والمطل لا يتأخر عنه) فاصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً وفي مقابل انسحاب صوت الحق والفضيلة تحصد أدوات منشرة وعلى مختلف الأصعدة مما جعل الأعمال الشيعية مستغلة ولا بأس فيها ولا يستكرها أحد من (المؤمنين) فضلاً

٢- عن الذي يعيشه الشباب نتيجة فقدان ما يمكن أن يملأ قلبه حياة ويأمن بممارسته كالممارسات النافذة للشرية وغيرها. هذه بعض الأسباب وراء شيع الناحية؟ لماذا علينا أن نفعل أن نسب ونشتم ونلعن من يقوم بها وكلما الله المؤمنين القسائل ١٢ وتلوم الزمان والذي على الحال الذي أنت فيه لم تقف بحزم وشجاعة وتجرد من الانانية وبكل حب وعطف ورحمة لتعبد بعد العون إلى هذه الجائس المسكين للفقير الشيعي منعت انصافه ونكادت عيشه وسليت واحة وطمأنينه وتركته عرضة للإدراج الروحية والنسبية والاجتماعية.

٣- وان الخوف يبدو قربة منا مادام قد شعنا ما شئنا العنة والقاء ومن تلك الحلول:

١- اهتمام الخطباء وأئمة المساجد وطلاب الدعوة الشريفة وكل المثقفين الراغبين المخلصين بتربية اخلاق المجتمع اخلاقاً حسن يعيشوا مع الله تبارك وتعالى في كل غاصيل حياتهم ومحاولة مد كل نقص في هذا المجال وتوفير الكتب والشرائح التي تربي ذات المؤمن وتغرسه وتغير الناس بأخطاء هذه المنكرات وقبح آثارها الصحية والنفسية والاجتماعية والدينية وتشجيع سبل المعروف والترغيب فيه ونشر الاحاديث الشريفة التي تحتل عليه زواجرها هي الولايات المتحدة منبع الشر والردة بعد ان محبت عن مكثمة الامراض الناشئة من ممارسات الخبيثة الغير مشروعة وعلى رأسها الأكلز اعنت ان الفصل علاج له هو سبب تعاليم الاحكامية والروحية وهو احياء الشعور الديني في مواطنها.

٢- تعاون جميع على تشجيع الزواج وتبليغ موعودته بشارك اولياء الامور بتخفيف الشؤر وتكثيف الزواج والاكتفاء بشرط الزواج التي جعلها رسول الله (ص) (اذا رضى من الرجل عقله ودينه فروجه) ألا تعلموا انكم فتنة في الارض بفساد كثير) وهذه الاكثارات بالنقل والاعراف والصفوة الاجتماعية التي زرعتها اولياء الشيطان لتعطيل هذه السنة الشريفة وتضييق الحرة الشريفة ان تسلم مما تستطع بدعم مشاريع الزواج وعلى جميع اهل المعروف السعي بالجمع بين المؤمنين والمؤمنات في كتاب الله وسنة رسوله (ص) فلي الحديث (ما بين بناء في الاسلام مثل التزويج).

٣- على النجار واصحاب الاموال والشعبيين مادياً توفير فرص العمل بأي صيغة مناسبة كالتجارة وانشاء المشاريع والتعاون وورش الخرف وان يفكروا بتحويل عجلة الاقتصاد للمجتمع وتشغيل الايدي العاملة حتى يندوا لكما العيش ويكتسبون اقتصاداً أكثر من تفكيرهم بزيادة ارباح بحيث لو عرض عليهما مشروعان احدهما كغير الربح ولا يحتاج ايدي عاملة والآخر اقل منه يقرأ إلا انه يشغل ايدي أكثر فعليه اختيار الثاني ولا تجعل روح الانانية تشوهد فزاد ثرائه على حساب عسلة من البهاج فكيف يتأ بالعيش وحوله (من لا عهد له بالشيع ولا طمع له في القرص) كما يصفهم امير المؤمنين (ع) بينما اذا وفر فرصة عمل واحدة يطبق عليه حديث (من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كرتة يوم القيامة).

٤- تكثير البدائل التي تشغل حياة الانسان وتخلق فرائه كقائمة الشعائر الدينية والحث على الحضور في المساجد والشاركات في المناسبات الدينية وقائمة التهاديات وسباقات والمسابقات الطاقية والعلمية وتبادل التهاديات والزيارات مع المؤمنين وتشجيع التفرات الاجتماعية لزيارة العيالات المتفردة او التبرع والتبرعة بمازومة الرياضات الشريفة والشريعة التي تسلي النفس وتزلي اثم وتقوي العلاقات، وتبادل الكتب والاطلاعات الشافعة واذا تعمير شراعتها فيمكن اشراك مجموعة بشراء الكتب قدرتها حتى تتكون مكتبة ملكاً للجميع وفي الختام للتذكير ما ورد في الحديث الشريف انه يؤتى يوم القيامة بناس هم اعمال مثل الجبال فيؤمر الله بهم الى جهنم فيقال لهم لم ذاء فيقولون تبارك وتعالى لأنهم لم يكونوا يفتشون لي عندما اعطى ففضيوا في ايها المؤمنون واعملوا ما يوسعكم لاصلاح مجتمعكم وطلابت من الانحراف فلي الحديث (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

عننا الله واباكم من الرال واننا من شروط الحق اننا ولي نعم

بسم الله الرحمن الرحيم
جماعة خيرة الاسلام الشيخ محمد العقري (دام عزه)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذه الظاهرة

لا يخفى على محاسنكم الدولة العظيمة التي جعلها الله تعالى لأمير المؤمنين عليه السلام والتي يكشف عنها رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: (يا علي ما عرفك إلا الله وأما).

وعليه ينبغي لمن يتجاوز أمير المؤمنين وسيد المثلين عليه السلام أن يكون بمستوى معرفة قدره وتقديره، وقد كثر أمالي التحف وما يزالون يثرونها للشعبة الخيرة الذين حرصت طائفة منهم على طاعة الأمير عليه السلام والالتفاف حوله واحتضان طلابه وزواره.

وهذا هو المرجو منهم إمام الله ورسوله وإمام شيعته على الذين يأتون من كل فج عميق لزيارة إمامهم وحبيبهم وخاتمة أمالي التحف الطيبة على نعمة خدمة الأمير والالتفاف حوله، ولكن ما يؤسف له هو قيام بعض الأشخاص من التتبعين (الحرثيين) البهيمة، والتي أخذت بالانتشار في شوارع هذه المدينة المقدسة، بل وصل الأمر ببعض الأوباش أن سبوا قسم عظيم من تكتبة ملاحقة الأعراس أو ضرب لمواعيد داخل الصحن الشريف 11 دون أن يدرك هؤلاء ماذا يفعلون، والتي حصرم ونحن نرجوا من محاسنكم أن توضحوا لنا بالتفصيل ما بالي:

١- ما هو العقاب الأخروي والعذاب الآلي الذي ينتظر هؤلاء الخمير، الذين يجهلون أن تشيع المباحشة في مدينة وشوارع وصحن أمير المؤمنين عليه السلام ؟

٢- لماذا تخاضعون أولياء أمور هؤلاء الشباب الضالين، وهم يعلمون أن أولادهم يسيرون لسعة هذه المدينة المقدسة ويتشبهون بحرم الأمير دون أن يتركوا ساكناً ؟

٣- هل من دور لأصدقاء هؤلاء الشباب وجوانهم وكل من يتصل بهم من قريب أو بعيد ؟

٤- ما وظيفة أخطاء رجال الدين وسنة مرقاة الأمير عليه السلام في تقريب هذه الظاهرة وعمازيتها واستغلالها ؟

كيف ينبغي أن يكون عليه الشاب الضال الأصيل وهو يعيش في هذه المدينة المباركة، ويجمع ثروا مرقاة الأمير عليه السلام وأخيرة الشريعة ومجلس العلم والعلماء، وهي أماكن يعلم بها ملايين الشباب المسلمين في بقاع الدنيا ؟

ولدكم البار
مصطفى عبد الكريم

اعتقد ان المقدمة التي تفصلت بها معكم حید ومتاسب للإجابة على جميع هذه الاسئلة وتحتوي -لو كان هناك من (له قلب أو الفی الجمع) وجه شهید) ومن وصفهم الله سبحانه بأنه (وتعینها أذن وأمية) - على رد شایب هؤلاء. ومع ذلك فإنه يمكن إضافة بعض الكلمات للذكری فان الذكری تنفع للمؤمنین:

١- ان ما یقال هؤلاء ان یقرؤوا من رحمة الله سبحانه لقوله تعالی: (ان رحمة الله قريب من المحسنين) وليس هؤلاء من المحسنين أكیداً، كما علم لا تتلم شفاعاة أهل البیت (علیهم السلام) لانتیابهم حرمة کبرهم وسیدهم وعنوان شرفهم وهو أسمی مومنین (علیهم السلام) القدری هو نفس رسول الله (صلی الله علیه وآله) وقد قال تعالی: (ولا یشفعون الا لمن ارتضى) وهؤلاء ليسوا من ارتضى بالتأکید، فهم همومون من الشفاعاة التي هي أخرج ما تكون إليها في جميع اللحظات هنا في الدنيا لبحاج لطلبهم وبرکاتهم ورعايتهم وعند الموت وشفاعة لبحاج لخصومتهم لیهونوا علينا مكرات الموت وفي السورخ لیسزلوا عنها الرحمة والبرقة ورضی الروح وفي التیامة لتخفيف الحساب والعذاب والشمول بالرحمة والدخول إلى الجنة.

هذا أول شيء تنسرونه وما عقی أعظم وادعی الا ان يتدارکوا أنفسهم بالندم والتوبة.

٢- ان اولیاء أمورهم علیهم واجبان: واجب عام وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر الشامل ضم وانفسهم، وحاسی لکونهم مسؤولین مباشرین بحاطبتهم الآية الشریفة: (يا ايها الذين آمنوا قرا أنفسكم وأطيعواكم نأمرها بالماضي والمحاربة عنها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم) وهم محاسبون على التقصير في رعاية وترية اولادهم، فأی شیء يرتكب الا لاد بسب تقصير اولیائهم في التربية يرجع علیهم.

٣- لا تقل مسؤولین -معنی وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر- عما ذكرناه آنفاً وان كانت صلاحيتهم أقل فعليهم اداء هذا الواجب بالموعظة الحسنة والمكرمة ثم الفرع والتوبيخ وبيان سوء العاقبة، فيقال هؤلاء مثلاً انك لو ادرکك الموت -وهو لا يعرف صغيراً ولا كبيراً- وانت على هذا الحال عملاً مستكين خائفة عملك وعملاً تراجمه وانت توجه الطاعات القاتلة إلى قلبه فان كل واحدة من هذه التصرفات هي ختحر تفقد في قلبه الشريف، وقد رأى بعض السليحاء أحد الائمة (علیهم السلام) على الحال وأخبره انه لما يرتكب الزلزل من قبائح الاعمال.

٤- يشترك الجميع في تحمل المسؤولية وكل واحد بحسب موقعه ووظيفته ووفق الأساليب التي ذكرناها، وأقترح هنا ان يعقد مجلس وعظ ولم شاد في الصحن الشريف لجميع العتبات المقدسة في كل ليلة من ليالي شهر رمضان ومفتنان ليعظ الناس ولو شادهم وتوجيههم وتعليمهم الاحكام ويتصدى له أحد الخطباء الواعين المحصلين فيكون له أثر كبير في نفس الیال.

کون واحده امام الله سبحانه ورسوله اکبریم (صلی الله علیه وآله) واولیایه العظام خصوصاً صاحب العصر (عجل الله تعالی فرجه الشریف) مضاعفاً فإنه (علیهم السلام) يسمع ويرى ويتألم هذا الواقع كما ذكر في رسالته الشریفة إلى الشيخ المفید (رحمه الله) الموحدة في كتاب الاحتجاج.

وانا لسأل هؤلاء انك وانت ابن الحنف لو كنت في مكان ومعك ابن بغداد والبصرة والموصل وحصلت مسألة شرعية قال من يرجعون؟ الجواب إلى ابن الحنف لانهم يعدونه عملاً أو متعلماً على الأقل شاورته للحوزة الشریفة، فلا بد ان يكون قد استفاد الكثير وهذا بضاعف الحجة علیه وينفعه إلى ان يكون اهلاً للمسؤولية بنفس الوقت تشريف عظیم لسه اذا اداء كما ينبغي فإنه من الفائزين فهي فرصة لثمة لريادة القرب من الله سبحانه فلا تضيعوها.

محمد اليعقوبي

١٨/رمضان/١٤٢١

مساعدة حجة الإسلام والمسلمين الشريخ محمد المقتوي دام ظله

مسألة ٦ : ما هي الأجزاء المخرجة من الذبيحة ؟

بسمه تعالی : یحرم اكل عدة اشياء من الطبيعة وان ذكيت وهي الطيب والاشنان والطحال والقرن وثلم وثلاثة واثارة والخبث والندى واكلها من الخبثات التي لا تسببها الطباع الخبيثة.

مسألة ٧ : ما معنى حرمة اكل لحم الحلال وكيف يحل أكله ؟

بسمه تعالی : الحلال هو الحيوان الذي يقتات على عذرة الإنسان . بحيث تكون غذاءه الرئيسي فحرم اكل لحمه حتى يشتريه بمدة يعطى فيها عذرة . والعمر ولكل صنف مدة خاصة تلي الدساج ثلاثة ايام وفي غيرها يزيد من ذلك .

مسألة ٨ : هل يجوز شراء الدساج الذي يربح في المصارف والأكل ؟

بسمه تعالی : إذا علم مراعاة هذه المصارف للشروط الشرعية حازر الشراء منها والا فلا فرق بين كونه حلالاً أو أجنبياً وهذا الحكم شامل لبيع الفرد والجملة ولا يجوز للشخص ان يربح في مصارف لا تراعى الشروط الشرعية . وتأكد الحرمة فيها إذا كان وجوده فيها سبباً لهدل الآخرين منها للثقة به ولو هو .

مسألة ٩ : هل يجوز اكل اللحم في بيوت الأسفداء ؟

بسمه تعالی : إذا امتنع إلى التنازع إلى الحكم الشرعي حازر الأكل عندكم .

مسألة ١٠ : بعض الصبية ينقطع ولبي الطير عذرة بلا ذبيح فهل أكله ؟

بسمه تعالی : هذه نية يحرّم أكلها وهي نية أيضاً .

مسألة ١١ : يقوم بعض أهل المزارع ومخلات اللحوم بوضع كميات من لآلء وأصل اللحم ذوال هذا عمل صحيح .

بسمه تعالی : هذا من الفلح الحرام ويضمن القاتع قيمة الفروقات في الأوزان ويدفعها إلى أربابها ان كان يربحهم وإلا فالأربابها إلى قراء المؤمنين بمران رد المطالب .

مسألة ١٢ : هل يجوز تناول اللحوم المستوردة وقد يكتب على بعضها و ذبح على الطريقة الإسلامية ؟

بسمه تعالی : لا بد من حصول الوثوق بمطابقة معلومهم للشرعية الإسلامية وهذا قد حصل ولا يتكفى كتابة هذه العبارة على التغليف .

مسألة ١٣ : ما حكم الأموال المستحصلة من بيع اللحوم غير المذكاة ؟

بسمه تعالی : يعلم من الأموال الحرة فيجب إرجاعها إلى أصحابها ان عرفهم وإلا فليدفعها بمنوف ورد مطالب إلى قراء المؤمنين .

مسألة ١٤ : هل يجوز اكل المسك المستورد ؟

بسمه تعالی : لا بأس به إذا توفرت شروطه ومنها كون جلده مكسواً بالفلح .

مسألة ١٥ : تمت زيارة إلى عدة مزارع لأبيع الدساج فلم يجد إلا مخزرة واحدة تليح موافقا للشرعية الإسلامية وهي مخزرة (الرطبان) التي تدرج في سوال إنباسها التجاري السي (دساج الناح) بالإضافة إلى إنباسها اللحوم من قبل وزارة الزراعة السي (دساج الرطبان) فما هو رأيكم ؟

٢٠١١

بسمه تعالی : لا يصح المزارع بالمخزرة المذكورة و إنما يجوز شراء الدساج من أية مخزرة يشت بشهادة المدول من المؤمنين إلى تليح وفق الشروط الشرعية - وان استغل هذه الفرصة ليعط أصحاب المزارع بان لا يورطوا أنفسهم في نذر جهنم وينسحبون لوزارهم ولوزار كل المشتري منهم للثقة بالثبوت شرعية الله تعالى وحمل في إنباسها عبر وشقة ثم ان لم يلزم تصحيح كاسد ١٣٦ بل العكس هو الصحيح فان المخزرة التي ترفض الشروط الشرعية بنشط عملها وتردد بركتها ويكثر رزقها لمباركة الله لهم وإقبال المؤمنين عليهم والتحصين معهم بما يزيد الإقبال عليها فليست تترك حيو الدنيا والآخرة ونحو إلى الخساسة تارة وتقرعها الناس والمخزرة أعدت للعاصين ، قال تعالى والجارح الذين يتناقلون عن آثره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم الطور ٦٣ . كذلك ليعط أصحاب المطاعم ان يفكروا بطاعة الله تعالى فيقدموا إربابهم الدساج القنوح بالطريقة الشرعية ولا يفسدوا فيها من أجل ان يفسد عذاب اليم وكذا وكلاء اللحوم و أصحاب الأسواق والربا الفضائية . أسأل الله تعالى ان يرد بمنعمنا بصورة في أمره .

١٢٢٢ / صفر

الشيخ محمد العقوي

٥

بسم الله الرحمن الرحيم
 سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دامت بركاته)
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٤٨

- توجد في مدنتنا بعض الحالات الاجتماعية الجهرية:
- ١- عمل التصوير الفوتوغرافي ويوجد في هذا المجال صور لنساء عازية الثياب لكافة الحركات ويستقبل سيارات الزفاف أي بمعنى أن أروجة عازية جزئياً مع العلم أن هذا المجال مشهور في منطقتنا.
 - ٢- ارتداء الثياب التي تسمى في مجتمعنا الحائس (الثياب الكلاسيكية) وكذا حائس جانبي الرأس وجعل مقدمة الرأس بشكل متساوٍ ويبدل على جانبي الجبهة أي بمعنى أنهم يقتلون الغرب بهذا.
 - ٣- مجمع للاطعمة والأشربة والأكلات الشعبية ويشمل المالحات يردد على هذا المجمع كثير من الشباب الذين خرجوا عن طاعة الله وخصوصاً يوجد في هذا المجمع جهاز التلفاز بحيث يراه حتى المار فتحضر كثير من المواقف باستصحاب النساء معهم وهذه النساء كن تلبس ملابس تثير الفتنة النوعية.

خادمكم
 الشيخ محمد اليعقوبي

بسمه تعالى

إن عرض صور الفاسقات ومن في جنات منافية للجنة والحياه وشجرة للشهوة هو من إشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم وقد علم وأنتم لا تعلمون (الزور : ١٩) وإن هذا الشخص يفتي على نفسه وعلى مجتمعه لما على نفسه فلما ينتظرون من عذاب وأهوال عند الموت وفي القبر وعندما يقوم للقاء الله سبحانه فلا يعلم هذا المسكين لماذا يواجه عندما يوضع في حفرة وحيدا ويناديه أحده بحموه فتعده الملائكة للحساب ويعرضون عليه صحائف أعماله التي سودها بالقبائح ولا يرفع عنه شيء مما افتر به من أموال أو شهوات أو أصحاب وسقيضي زمانه يعتد بالآلام والعذاب والشقاء وما ينتظره يوم القيامة أشد وأعزى وإن اتقل جسم حسوة احده من الصور التي متواحه هؤلاء الفساق يوم القيامة ليتبدوا فيها فلما تفرز النفوس وتشتد منها الإبدان وتتلخع منها قلوب قال تعالى (هذان خصمان اختصموا لي وهم فالتين كفروا فطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الجسيم يصبهم في بطونهم والجلود وهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أصبلوا فيها وذكروا عذاب الحريق) الحج : ١٩ -

وأما حاجته على المجتمع فمن خلال ما تزدى هذه الأفعال المنكرة (عرض الصور الجليعة، يحرث النساء للتوجعات أما المسألة متلاط غير الشرف، العلاقات غير الشرعية، ليس الملابس التي للشهوة والمحاكية عن البدن التي تعزى مقائن الجسد أو تانقت ثم وتحرك للشاعر الجنسية) إلى عدم لاسي ومقومات المجتمع الشريف الذي يفتي على الاخلاق والمبادئ للتطبيق فتجمل بدلاً الرذيلة وضاع الانساب وتشتت الامر وفي العلاقات الاجتماعية والأخلاق والشذوذ مما يرد الغرب الكافر تصديره اليشا

حسناً منه لنا على ما يسودنا من وُد وروابط اسرية متينة ومن قارور وتأخي وعلاقات تظلمة للمأذا ينفذ لهم كالمحليات (ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلاً) وقد ذكرت تفصيل هذه الجوانب في الاستفتاء الموجه إلى بائعي الكماليات النسائية.

واني انصح هؤلاء الذي يتعون الشيطان الذي يلزمهم المعاصي ويحملهم على اقتراف المنكرات ان يعودوا لربهم ويتداركوا امرهم بالتوبة قبل ان ياتيهم الموت الذي يأتي فجأة ولا يعرف صغيراً ولا كبيراً وما هو قاطعاً يختلف الناس كانوا يقيمون معاً من دون أي انكار وان باب التوبة مفتوح لمن يقصده بصدق وإخلاص اما من هصر على المعصية فيوشك ان يمتلأ قلبه وبتاً وصداً وسواداً فلا يتصلح بعد هذا ابداءً وهذا الكلام الذي قوله مستفاد من مجموعة من الاخبار الواردة عن اهل بيت العصمة (عليهم السلام).

ان الخطوة الاولى في العلاج: تبدأ بنهم هذه التصبحة المخلصة الصادقة التي تصدر من قلب مشفق وحجم لا يريد الا سداً ان يدخل النار ويملأ فيها.

والخطوة الثانية: هي شعور الجميع بالمسؤولية تجاه المجتمع من هذه الافعال المنكرة فصاحب المثل يملأه والمجتمع يقاطعه وانهم بعضهم بعضاً على طاعة الله سبحانه ويساعده في تجنب المعصية قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وعندنا يكون افعلاً لشمول رحمة الله تبارك وتعالى، وهو القائل (ان رحمة الله قريب من المحسنين) لا من المعاصين للمعصية قال تعالى (انما التوبة للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فانزلت بتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً).

التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حظروا انفسهم الموت قالوا اني تبت الآن ولا الذين موتون وهم كفار، اولئك هم الفاسقون.

فأما اليوم للنساء : ١٧ - ١٨.

محمد المصطفى

١٤٢٦ ذى الحجة



سماحة الشيخ العميد محمد البعقولي (دام عزه)

يذكر بعض إخواننا من أهل السنة بعض الروايات المذكورة في كتب الحديث لدى المذهب الإمامي والتي تخالف ما يفتي به فقهاء المذهب. مثال على ذلك ما ورد في غسل الرجلين في التهذيب ج ١/ ص ٩٩ وفي مسائل الشيعة ج ١/ ص ٣١٢ وغيرها وما ورد أيضاً في زواج المتعة في الاستبصار ج ٣/ ص ١٤٢ والتهذيب ج ٢/ ص ٢٥١. فكيف يمكننا دفع تلك الشبهة؟

بسمه تعالى

توجد روايات معارضة لما عليه سيرة أهل البيت، والتي إما ضعيفة أي غير مطلقة بصدر رفا عن العصوم بعد عرضها على قواعد علمي الحديث والرجال، أو أنها صدرت دقيقة، لذلك وضع الأنسبة قواعد لتمييز مثل هذه الروايات المتعارضة فقالوا إذا تعارض الخبران فخذ بما أشتهر بين أصحابك وبما خالف العامة لأنهم أميل إلى أقوالهم وأقوال ملوكهم.

أما إثبات لقولاء الاعلام لها في كتبهم فللأمانة العلمية ولتعزيز النزاهة إلى الأجيال وتبني مسؤولية الفقيه في تمحيصها وتمييز الصحيح من السقيم.

محمد البعقولي

١٢ ربيع الثاني ١٤٢٢ هـ

يكثر في هذه الآونة توجه الناس إلى زيارة مرقد السيد (الحمد بن هاشم) ويأتونه بغيرة وهذا يتسبب عنده
أسئلة:

١. هل ثبت في كتب النسب نسب هذا السيد وعونه إلى الإمام موسى الكاظم (ع).
٢. ما رأيكم في توجه الناس إلى القبر المذكور في كل عام في الأعم الأغلب.
٣. هل إن ذهب بعض المؤمنين إلى هناك في أوقات الزيارة يعتبر معونة على إثم حيث يؤدي ذلك إلى تكثير
السوء هناك والمعروف انتشار انتهاك الحرمات هناك واستباحة المحرمات من شرب الخمر والزنا والرقص
والغناء لشعبه...
٤. ما حكم منظر الذهاب إلى ذلك المرقد في موسم الزيارات بالذات.

بسمه تعالى:

١. السيد شرف الدين أحمد بن هاشم بن أبي فائز يرجع نسبه إلى السيد إبراهيم المجاب بن السيد محمد العابد
بن الإمام موسى بن جعفر وأبيه ترجع عدة أسر شريفة من السادة العلويين كآل طحمة والفايزي وآل نصر الله
وأروعههم وهو جد العلم الشهير الفقير السيد نصر الله الفايزي.
٢. زيارة الأئمة والعلماء والسادات والصلحين مستحبة شرعاً ووردت الحث عليها.
٣. المشكلة ليست في نفس الزيارة فقد علمت مشروعيها واستحبابها ولكن الداهية لبعضها فيما نسمعه من
فقران الزيارة بتمكرات والمحرمات الموقوفة كغناء والرقص والاختلاط المنافي للثقة والحياء وكذا شرب
الخمر ولا أحد يلقه من الزيارة شيئاً فإن زيارة العلماء والصلحين تتضمن الإشادة بأثارهم ونعماتهم منطبقاً
لنفسهم بهم والصلوة والدعاء لهم هذه هي مراسيم الزيارة فاي منها ما يلقه هؤلاء القساق الذين يسكنون
خصمهم رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وفاطمة الزهراء (ع) لانتهاكهم حرمة زيارتهم بفعل هذه القبائح
إلى جنب مرقده.
- وإلى لأعجب من هذه الأسر الشريفة: آل طحمة وآل الفايزي وآل نصر الله كيداً يرضى لها شرفها
وعزها أن تنتهك حرمة جددهم وهم يفضون الطرف عن ذلك ظلم هذا من البير بأجدادهم الكرام الذين هم
عنوان شرفهم وأصل عزهم وإلى اعلم انهم يستطيعون أن يفعلوا شيئاً لتنزيه ساحة جددهم الشريف من هذه
تمويقات ويكونون بذلك بارين أوفياء لسلفهم الجليل ولا يحتاجون إلى شيء سوى شجاعة والهمة وإن لا
تأخذهم في الله لومة لائم.
٤. إذا كان الوقوف يقتدر يستلزم الوقوع في المحرمات فالتدبر باطل ولا يجوز الوقوف به.

بسم الله الرحمن الرحيم

٧٢

مسألة الشيخ محمد الطيوس (علت بركانه)
اعلمنا إدارة المدارس المتوسطة والاعدادية اللغات بان الطالب يجب ان تكون مسافة عن شعره في الصورة التي ترسها في
دوبة الفحول الى الاحتفالات الوزارية والا فلهذا يتحرم من الفحول الى الاحتفالات وفي ذلك نصيب مسألتنا الذي لا بد من
طويلة للوصول اليه اول يجوز للمحجبات الكشف عن شعرهن بقدر لا يخلط الصورة لانه عامسا بالذات والآخر الرجوع الى
الشريف ((واجاب بالجواز بشرط

١. ان يكون الملتصق للصورة بمن يحمل له النظر اليها كالاخ او الزوج.
٢. ان لا يتطلع الرجال على الصورة ولما تحفظ عند مدبرة المدرسة فانه قد لا يرى ذلك.

لقد التفتين

بسمه تعالى

ايح الجواب عن كل المسألة فرد ان الشيد يباين اثنين حديثين على الأقل وثبت في كتاب الام السائل

١. الفقرة على الذين التي فقط الى السؤال والا فلا يمكن ان يفتت ويقتطع وان على حساب فقه كذا كانت كذا في قوله
عنه بل تدل على وفقهه ان يحصى فقهه الى اربعة المسألة وهذه الفصالة بما يحجب الله سبحانه وتعالى في حبه وبكره من
الضيق الذي لا ينضب فلهذا خصي كذا في بعض الاطباء الشرقية وفي رواية انه يفتن يوم القربة باليد وله احدى حاجة
مثل الجبل ترقه هاتفة فرح به فياليوم انشاء من السائل تدل على انما في وجوه فليس لانه يا لينا فيقول تبارك وتعالى
لانه كان لا ينضب لي إذا عصيت.

٢. فقرة السليمة وتظهره قلب التي ثبت ان قبل الحكم بالجواز الذي اجاب به احد السراجه واما طالع فاصد تدل على لدا
الانبة عليهم السلام كما قال الله تعالى فيهم - اي الفهم - وكذا وقد يتم صدقه والله به يقول له انك
التي وان التفتك والترك وان القلب السليم الذي لم تتركه الذنوب والقطر بالذات يدرك بوضوح في هذا الحكم من الشريعة
وهذا من اني له.

بعد هذه المعلقة نقول ان الجواب الذي ذكره احد السراجه يمكن ان يكون صحيحا وفق القواعد التي ذكرها في علم
الاصول ولكنها لاجابه ليست واضحة وتفتت الى اربعة الفقرة والقصيدة التي قد قبلنا في المحاضرة التي قبلنا
بنسبة ميلاد الامام الحسين (عليه السلام) في الثالث من شعبان من العام الماضي ١٤٢٧ هـ الى ما سيأتي في
الاجتماعي الذي يشرنا رؤية جديدة في الفقه الحنفي المتعارف والمتداول في الرسالة امنية ثلث اثناء ما في هذه الاجابة
الى الفقرة متنازع الاجاب واما السليم الى المعصية لانهم سوف لا يقولون ان الحكم في هذه المسألة هو الجواز بشرط
ولما سيقولون لك اجاب الضماء ذلك ببيان ان نفس السائل حينما اجابه بالفتح قال ان بعض السراجه ان الزود والفتى والاب
ان تكون واهين ولوي رؤية مسنة وبصورة ثالثة في عاقل الاور ولا تكون كالمسألة التي اذا دأبنا على فقتت راسيا
في الترف لكي لا ترقى الخطر وهي واقعة فيه لا محالة بان لا بد ان فصل على العذر وفيه وتجنبه حينما تواجبه على ذلك
السائل لا نحاول ان نجد لها المبررات بما يسوغها والعقل الشرعي بل لفت بوجودها وحزم وذكر كذا لبعض السراجه
في اجابا ولفظها قال لا ينبغي لنا ان نازل الشريعة الى مستوى الواقع بل علونا ان فرقنا بالواقع الى مستوى الشريعة
فذا كانت الحالة منحرفة وفاسدة في انها يقول الى ذلك فلا نعمل على تغييرها بل تصحيحها وعالمنا وترفع الواقع المعاني
من مستوى البعيد عن الشريعة الى قمة السائل الذي نعمل الشريعة على تحقيقه

ويزيد الله ان يحوب عليكم ويريد الذين يجمعون الشوائب ان يهاوا ميلا بخلها

قول سائلنا انك من لمانا تتخذ هذه الخطوة الخطرة وما لا بد من انك قد قرأتون - وقد قلنا - اني ونسوز وجه الدلالة ولا
تختلط بغيرها ويحصل تزوير ولكن هل الانسان يعرف بشره ام يوجهه فسا هذا الحكم خير الامور وانما يتصورون في حين
المؤمنات من مواصلة التعليم لانهم يطمعون جيدا ان المؤمنة العادلة لا تفتقر هذه الخطوة فان الشرف والاحكام والحيطة لا بد من
التخلي عنه ولو لحظة ومن هاهن عليه هذا الامر مرة فان عليه مرات عديدة وانما قللهم بالله تعالى ان يشاروا ويقيموا
المسئلة فطمة الزهراء او السيدة ام المؤمنين عائشة (ان كل من هذا موجه الى جميع المسلمين من السنة والشيعة) عرض على
هذا الامر اعلنت قبل به ٢ كلا طبعنا لانها لم يمان جيدا قوله تعالى وما ايا الله ان لا يوجعكم وبذلك ولما الله ما كان ان يفتن

عليون من جلايوت ذلك الذي ان يفرق فلا يفرق وكانت الله غشوا في حرام

فذا كان لا تقتدي بالاسوة الحسنة فيمن تقتدي ٢ ولما هذه الجراة على كذا حرم الله تبارك وتعالى قد قرأتون وقد كان في ذلك
بشرود الحكم رجوز المذكورة أعلاه لكن قل لي بريك كم نسبة الذين اتفقوا ومن يهذه الشروط - او نصرت قرارات المدارس
المطالبة بهذا الشيء لا اعتك ان واحد بالاسوة سيلايون وهل يضمن المتزويجون ان لا تعرض دور الدارات على الخدم
بانتع الضماء والفضلاء وفوي الشرف والجاه في المجتمع حتى نصيب من عرضة الشكر بان هذه - ورة بنت الحكم الامام
وهذه صورة بنت الوجه الثاني

والذي اعتك ان هذا القرار الذي علمت بكل انما نصيبه على جميع قرارات المدارس في جميع محافظات العراق لكون مسائرا
الذين العليا لاكثر من امر

١. ان القيمة التي في الخلية الواحدة من النسخة الواحدة من الجين في كل خلية هي واحدة من النسخة الواحدة من الجين في كل خلية. ٢. ان القيمة التي في الخلية الواحدة من النسخة الواحدة من الجين في كل خلية هي واحدة من النسخة الواحدة من الجين في كل خلية.

بسم الله الرحمن الرحيم

حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

توجه بعض الأسئلة إلى شيخنا الكريم حفظه الله راجعين منه الأجابة الشافية عليه كما عودتنا وفقك الله لكل خير....

- من ١: ما هي أسباب احتياج أغلب الأشخاص عن دفع الحقوق الشرعية؟ وهل هي مسؤولات كافيّة لعدم الالتزام بذلك؟
من ٢: ما هي العقوبة الدنيوية والأخروية المترتبة على عدم دفع الحقوق الشرعية؟
من ٣: ما حكم الصلاة والحج في أموال غير خمسة؟

ج: بسمه تعالى ...

جاء في الرسالة التي وجهها الإمام المتظّر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) إلى الشيخ المفيد (قدس سره) ونحن نعهد إليك أيها الولي المختص الجاهد بينا الظالمين أيديك الله بنصره الذي أيد به السلف من أولائك الصالحين أنه من اتقى ربه من إخوانك في الدين وأخرج مما عليه إلى مستحقه كان أمناً من الفتنة البظلة وعندها المطالبة الفضة ومن يخل منهم بما أعاده الله من نعمته على من أمره بصلته فإنه يكون خاسراً بذلك لأولاده وأخوته، ولو أن أضياعاً رفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالمعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن للقائنا، ولما جلت لهم المساعدة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصلتها منهم بنا، فما يحمينا عنهم إلا ما يصل بنا بما نكرهه ولا نؤثره منهم والله المستعان وهو حسينا ونفس الزكيّل). (الاستبصار ٣٢٥/٢)، فلإمام يمين في هذا المنطرح من الرسالة أسباب حرمان البشرية وخصوصاً شيعته من طلعة الشريفة وبركاته العمية وجعل من أهم تلك الأسباب امتناعهم عن أداء الحقوق الشرعية وإيصالها إلى مستحقها وهو يشير ضمناً إلى أن كل ما بأيديهم من أموال هو شيء، وزقهم الله تعالى إيها ولو شاء منهم فكيف يخلون بطاعته وتنفيذ أمره تعالى في اتفاق البعض اليسير مما وزقهم لفناء حوائج المحتاجين الذين ابتلاههم الله بالحق والفقر كما ابتلى هؤلاء بالعطاء والغنى (يلولكم أيكم أحسن عملاً).

وفريضة الخمس واجبة في الموارد التي ذكرها الفقهاء (قدس) استناداً إلى تعاليم رسول الله (ص) وأهل بيته الطاهرين كوجوب الصلاة وصوم رمضان والحج عند توفر الاستطاعة، فمن أجل شيء منها فقد ارتكب كبيرة يستحق عليها ناراً وقودها الناس والحجارة يوم تخرج كل مرضعة عنها أرثعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

وأنت لو أطلعت على أحاديث أهل البيت في أهمية هذه الفريضة وما توعدده الله من عظيم العقوبة على التقصير في أدائها لولف شعر رأسك. كما يقولون: (راجع الجزء السادس من كتاب وسائل الشيعية)، وتكون المشكلة أعظم عندما نعلم أن لعدم دفع الخمس أثراً وضعياً فإن القيمة غير الخمسة تكون حراماً فتترك نتائج سيئة في الدرية التي تكون منها والمليين غير الخمس لا يكون مباحاً فلا تصح الصلاة فيه والماء إذا لم يكن مباحاً فالصوم به باطل وبذلك تتراكم هذه الذنوب والمشاكل على مانع الحقوق الشرعية لهذا عدّ الفقهاء من الذنوب الكبائر (حسب الحقوق وعدم إيصالها إلى مستحقها)، ولما كان العلم في الشيء والأفتتاح به هو الركيزة الأساسية للاندفاع نحو العمل والتطبيق وطالما قلنا إن علاج أي مشكلة يجب أن يكون منسجماً مع أسسها وأسبابها ومناسبتها لا معولاتها وأثرها وفائدتها فإنه عمل غير حكيم، لذا لا بد لنا من عرض بعض الأسباب التي تؤدي إلى امتناع الناس عن دفع الخمس وتشير إليها باختصار ونترك التفصيل إلى منالها أخرى.

١. الجهول بوجوب الخمس: فبعضهم لا يعلم بوجوبه أصلاً، وبعضهم يظن وجوبه على خصوص البتة، وقد رخصت هذا الجهل الأجيال المتعاقبة من المسلمين باعتراضهم عن امتثال هذه الوظيفة.
٢. حملات التشكيك التي يمارسها أعداء الدين والمذهب من أنه لا دليل عليه وهم بذلك يريدون تقويض إحدى الركائز المهمة للدين والمذهب.

٣. سوء تصرف بعض الوسطاء والوكلاء في نقل الحقوق الشرعية مما يقلل من الثقة بالدفع إليه.
٤. النفوس الأماورة بالسوء التي تشح بالنفاق المال ومطلق عمل الخير، فالكثير من الناس يؤدي الفرائض التي لا تكلفه مالاً أما التي تحتاج إلى بذل المال فيسترد فيها.
٥. النغلة عن موارد صرف هذا الحق الشرعي وأو علم أنها تصرف في قضاء حوائج المؤمنين وتزويج شبابهم ومعالجة مرضاهم وشؤون الخوذة العلمية الشريفة ومدارسها الدينية التي حفظت لنا الإسلام ألف وأربعمائة عام ونشر الوعي الديني في المجتمع فلو علم ذلك لأدى هذه الفريضة بكل سرور إن كان غيراً على دينه ومجتمعه وخلصاً في التزامه.

٦. قلة الثقة بما عند الله مما يجعله متمسكاً بما عنده من متاع زائل.
هذا بعض ما خطر بذهني في هذه المعالجة وإذا عرفت هذه الأسباب أمكن التفكير في علاجها:
١. قيام الخوذة الشريفة ببيان الأدلة الكافية على وجوب هذه الفريضة العظيمة وشمولها لكل من ملك شيئاً في هذه الدنيا فيجمل له يوم في السنة بحاسب نفسه فإن وجد عنده شيئاً يتعلق به الخمس دفعه وألا فلا.
٢. الرد على الشبهات والشكوك التي يلقىها المضلون في أذهان البسطاء والبلذخ.
٣. أن يتجلى الوكلاء والوسطاء بالورع والتقوى ومواساة المجتمع في ملبسه ومأكله وأثاثه.
٤. أن يتصور المسلم على نفسه، فإن اتباع الهوى من المرديات وقد سمى رسول الله (ص) جهاد النفس بالجهاد الأكبر، وإن أعدي أعدائك نفسك التي بين خفيك لأنها مبالاة لأتباع الشهوات وتصرّد على الطاعة لخالقها الشجاع من ملك زمان نفسه ليقودها إلى ما فيه النجاة.

٥. الالتفات إلى موارد صرف الخمس وتسليمها إلى الثقة الذين يضعونها في مواضعها الصحيحة وإطلاع المكلف بنفسه على ذلك وسيرى نفسه مسروراً بمساهمته في هذه المصارف الجليلة التي وعد الله تعالى من يتق ماله بها الأجر الجزيل والله يضاعف لمن يشاء.

٦. أن يعلم المكلف أن كل ما عنده هو ما رزقه الله فيأرك وتعالى والله غني عن العالمين وإنما يريد بفرض هذه الواجبات المالية ليحصل التكافل بين البشر ولكي لا يضيع القسور وليلي المؤمنين منه بلاء حسناً.
وقد تجرب الكثير من المؤمنين أنه بمجرد شروعهم في الخمس بآرك الله في أموالهم (وما عند الله خير وأبقى) والله تعالى يختار ما هو الخير لعباده (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم) (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)، هكذا هم المؤمنون حقاً لا يتأقشون في حكم شرعي ثابت، وإنما يذعنون له ويسلم به ويطبقونه بطواعية وسرور.
جعلنا الله وإياكم من المخلصين لطاعة السابقين إلى الخيرات بلطفته ووعظته أنه ولي التعم.

محمد البقوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مساحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفاضل محمد اليعقوبي (دامت بركاته)

قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا نَبَّأَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَمُنِجِنًا عَنْ الْمَكْرِ وَكَرِهِنًا بَاءً﴾

من أهم التعاليم الإسلامية التي حثت عليها الرسالة المحمدية وأوجبت على المسلمين العمل على طمأنينة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا خالفت الأمة الإسلامية هذا الأمر العظيم سوف تبتلى بابتلاءات عظيمة جداً مصداقاً لقول الرسول ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإن لم يفعلوا ذلك نزعنا منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء» وعلى هذا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات التي تترتب على الإنسان وخصوصاً في هذا العصر الذي استولت على قلوب البشر أهوائهم وشهواتهم كاسترسال اليماثل.

وقد عمت الفتن وفشت الضلالة وكثرت الجعالة، نسأل الله أن نحول القول أو نستعنه وتتبع أحسنه، ولنا على هذا بعض الإيضاح إلى سماحتكم، فإفتونا مأجورين.

خادكم

الشيخ علاء العبيدي

١- هناك نظرية خاطئة من قبل عوام الناس تقول بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص بعلماء الدين فقط، ما هو جوابكم على هذا؟

بسمه تعالى: قيل البدء بالأجوبة أنصح باستماع النخاضة التي أنقبتها بمناسبة ميلاد الحسين عليه السلام في ٢ شعبان ١٤٢٢ هـ، فإن فيها أفكار مهمة من هذه الفريضة الاجتماعية العظيمة التي يتحفظ الدين وتقام السنة وتحيى الأمة وتتواتر النعم ويدفع البلاء بشهادة عدة آيات كريمة وأحاديث شريفة، وقلت فيها أن هذه الفريضة واجبة على الجميع ولا تختص بعلماء الدين، والفرق أن كل فرد وشريحة اجتماعية لها شكلها المناسب لأداء هذه الفريضة الإلهية العظيمة، وما دام يوجد منكر وانصراف في المجتمع فلا بد كلها مسؤولية وأئمة خصوصاً من هو قادر على دفع المنكر بلسانه أو يند.

٢- أن الذي يرى أو يسمع المنكر ولا ينكر المنكر، وهو يستطيع ذلك فما هو حكمه الشرعي أمام الله؟
بسمه تعالى: يكون تاركاً لفريضة مهمة في الشريعة ومستحقاً لعدة آثار في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا: تسلط الأشرار، حبس الرزق، عدم استجابة الدعاء... وإن الله تعالى يطرد من رحمته يوم القيامة من لا يحسن مشاعره غضاً لله عندما يعصى، ولو كانت له أعمال مثل الجبال كما تقول الرواية فيرمي بها في وجهه، بل تفرج بعض الأحاديث من ربة الإسلام لمن أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

٣- هل أن الواجب على الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يبدأ بنفسه ثم الاكبر، فما هو قولكم؟

بسمه تعالى: في حديث شريف أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفات أجدبها أن يكون قد أدب نفسه ووعظها فبلغ دويجه إلى قلوب الآخرين وتأثر فيهم، ففي كلام لأبي المؤمنين عليه السلام مضمونه [إني ما أمرتكم بطاعة إلا كنت أول من يفعلها، ولا نهيتكم عن معصية إلا كنت أول من ينتهي عنها] وكذا يبدأ بأهله بقوله تعالى: (وَأَنْتُمْ كَرِهْتُمُوهُنَّ لَوْلَا فَتْنُكَ أَلَسْنَ طَافِئَاتٍ فِيكُمْ) واختصار هو مسؤول في جميع الاتجاهات: النفس، الأهل، المجتمع، ولكل اتجاه أسلوبه المناسب كما أن سلطته على التطبيق تختلف بحسب هذه الاتجاهات.

٤- كيف يتم استخدام مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما هو الضابط في ذلك؟
 بسمه تعالى: أول مرتبة هي الإرشاد والتوجيه بالحكمة والموعظة الحسنة ثم الزجر والتوبيخ
 والتهديد ثم الضرب غير الجارح أما فوق ذلك فلا يجوز إلا بإذن الحاكم الشرعي وهو غير متوفر وهناك
 أساليب أخرى للردع كالمقاطعة مثلاً ونحوها والشخص الحاذق المخلص يتعرف بلفظ الله تبارك وتعالى
 وتوقيفه على الأسلوب المناسب لكل حالة بصبها.

٥- كيف توجه حديث المعصوم عليه الذي يقول فيه [كونوا دعاة لنا صامتين وفي رواية بأفعالكم لا
 بأقوالكم]؟
 بسمه تعالى: النص الثاني شارح للأول فإن الأقوال لا تفي لها إلا بالتطبيق لذا ورد الحديث
 [لعلهم يمتثلوا بأفعالكم] فإن أجباه [والا ارتحل] وقد وبخ الله تعالى الذين لا يعطون بما يعلمون عذاباً الذين آمنوا
 ليس يقولوا ما لا يفعلون. كبر متاعاً عند الله أن يقولوا ما لا يفعلون؟ فالإمام يعطي القيمة للعمل وإن كان بلا حديث
 فإن السلوك النظيف والعمل الصالح والآثار الطيبة تعكس الفكرة الصحيحة التي يخطبها الشخص وتدعو
 الآخرين للاقتداء به والتأثر بأسخاره وعقيدته وإن لم يتكلم بلسانه وهذا مع الأسلوب الأنجح.

٦- في بعض مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هل يجب فيها الآن من الحاكم الشرعي، وإذا
 خالف بعض هذه المراتب بشئ فإن لما هو حكمه أمام الله.
 بسمه تعالى: يظهر جواباً مما ذكرناه في جواب السؤال الرابع حيث بينا المراتب التي تتوقف على
 إذن الحاكم الشرعي والتي لا تتوقف عليه.

٧- هل من يقول إن الكافر بعض المنكرات هو شق في الوحدة الإسلامية ويتقاضي أننا نسكت عن تلك
 المنكرات والآخر يقاتل صيتها وحفاظاً على وحدة المسلمين.
 بسمه تعالى: إن هؤلاء كالمشركين الذي وصفوا دنسهم به من الله تعالى إلى نداء عبادة الأصنام
 والتوجه إلى الله وحده بأنه عز وجل (فرق جمعاً) فالفرق بين الحق والباطل أمر ضروري وقد وصف الله
 تبارك وتعالى القرآن بأنه فرقان ويوم معركة بدر بأنه يوم الفرقان لأنه جعل بها التمييز الواضح بين
 الحق والباطل أما ما ذكر في السؤال فهي الدخالة المبنية من قبل الله تعالى ورسوله عليه وآله عكس
 المؤمنين المخلصين الذي وصفهم بأنهم (لا تأخذهم في الله لومة لائم).

٨- إذا أمر الزوج زوجته أو أفرد عائته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يستلوا فما هو حكمه
 وحكمهم أمام الله؟
 بسمه تعالى: يتبع معهم المراتب المتدرجة لأداء هذه الوظيفة وقد ذكرنا فيما سبق، وتختلف
 صلاحيات الشخص ودائرة مسؤوليته فهي مع الزوجة والذين أريدت قوامي مع الأخ وهكذا وفي الحقيقة فإن
 هذه الفريضة الإلهية العظيمة تحتاج إلى كتاب كامل لتوعية المجتمع بها وحثهم عليها ولا يكفي فيها
 هذا المختصر، لكنني سأقتل بعض الأحاديث من كتاب وسائل الشيعة/ الجزء (١)، لأجل التبيه وألفاظ
 النظر إلى بعض ما قلناه، فمن الباقر عليه السلام [إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج
 الملوك، فريضة عظيمة بما تقام الفرائض وتأمين المذاهب وتحل المكاسب وترد الخصال وتعمر الأرض
 وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر] ومن خطبة أمير المؤمنين عليه السلام [واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي
 عن المنكر لن يقرباً أجلاً ولن يقطعاً رزقاً] وعن الإمام الصادق عليه السلام [ما فُتت أمة لم يؤخذ لضعيفها من
 قويمها غير متعنت] أعانتنا الله وإياكم على أدائها ونيل بركاتها في الدنيا والآخرة.

محمد اليعقوبي

٢٧ شوال ١٤٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انتشرت في الأونة الأخيرة ظاهرة لبس النساء (البنطلون) تحت العباءة، بحيث تخرج المرأة إلى الأماكن العامة، مثل العنابت المقدسة، والشارع، وإلى دائرة عملها وغير ذلك في خضم التغيرات الامرفيلية المعادية للإسلام وتعاليمه الأخلاقية، ولكي لا يصاب أخواننا المؤمنون بتأثر بهذه الظاهرة وإن سمحوا لزوجاتهم وأخواتهم بمثل هذا الزي.

والبنطلون الذي تلبسه النساء على أشكال:

(أ) [الكلاميك] وهو عبارة عن بنطلون ضيق من الخصر إلى الركبتين ثم يتسع إلى القدمين.

(ب) [الكيلوت] وهو عبارة عن تنورة نسائية عريضة مقسومة إلى نصفين (بنطلون عريض السابق).

(ج) [الكايوي] بنطلون نسائي بحيث يكون أضيق من بنطلون الرجال.

أفتونا جزاكم الله خيراً

غفور من شيعه

أمير المؤمنين (عليه السلام)

بسمه تعالى:

يحرم على النساء لبس الملابس المختصة بالرجال ومنها البنطلون المتعارف، نعم يستحب للمرأة أن تلبس سروالا تحت ثيابها المتعارفة، وليس بأن تلبسه كمظهر خارجي، كما روي في الخواطر ج ٢ ص ١٨ عن علي (ع) «كنت قاعدا في البقيع عند رسول الله عند رسول الله في يوم دجى ومطر، إذ مرّت امرأة على حمار فبهوت بد الحمار في وهدة مسقطه المرأة، فأعرض النبي (ص) بوجهه، قالوا يا رسول الله إنها مشرولة، فقال: اللهم اغفر للمشرولات ثلاثاً: أيها الناس اتخذوا المراويلات فإتتها من أستر ثيابكم، وحسنوا بها نسائكم إذا خرجن». أما البنطلون فإنه وإن كان تحت العباءة فيؤ لا يزيل الحرمة.

الشيخ

محمد بن المصطفى

بسمه تعالى
الى سماحة الشيخ حجة الإسلام والمسلمين (محمد اليعقوبي)
(ادامكم الله)

شاع في الآونة الأخيرة بين الناس وخصوصا ما يسمون أنفسهم بالمتقنين كلام حول الحوزة العلمية الشريفة وطلابها بطر أو أي مقتضى بان الحوزة تفتقر إلى الثقافة الغربية والطلاب غير متمكنين على رد الشبهات والنظريات الغربية وكذا يقولون للناس بدفع الحق الشرعي إلى الناس بدون إذن العلماء ومراجعتهم فما هو ردكم على ذلك جزاكم الله خيرا .

بسمه تعالى

الذي يقول هذا الكلام خارج عن تعاليم الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الذي وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالشيخ الأكبر وأما حجة الله والراد عليهم كالراد علينا وأوصى الإمام المنتظر (عجل الله فرجه) بالرجوع اليهم في زمن الغيبة ، أما الثقافة المعاصرة فهم ملمون بالضروري منها إلا ان الظرف قد لا يسمح بالتحدث بكل ما يعرفون ثم ان هذه المهمة وهي مسؤولية التصدي للشبهات وغيرها يقوم بها من هو دونهم من الفضلاء والأساتذة ولا نتوقع بل من غير المعقول ان تقوم المرجعية بنفسها بكل شيء . فليتق الله من يذكر الحوزة الشريفة بسوء وليعظم ان الحوزة آسان للمجتمع من الضلال والانحراف وهي التي عملت بلطف الله تبارك وتعالى على الحفاظ على الشريعة طيلة اربعة عشر قرنا فجزاهم الله خير جزاء المحسنين .

محمد اليعقوبي

٨ - صفر - ١٤٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلوة والسلام على خير الأنام محمد وآله الكرام...

سماعة حجة الإسلام والمسلمين فضيلة الشيخ محمد البقوي، دامت بركاته...

منذ سنين ونحن نرى بُعد بعض شرائع المجتمع. ومنهم العشائر. عن أحكام الدين الخفيف وعن نابع إرشادات الجوزة الشريفة وتعليماتها، وأخلت تطبيق أحكامها ومنعت لاعتد إلى الإسلام بصلته، ومن هذه التقاليد أننا نرى العشائر اليوم لم تكف بالقتل وإراقة الدماء فيما بينها بالباطل وتشريع الأحكام المخالفة لتعاليم الإسلام واتباع سنن عشائرية لم ينزل الله بها من سلطان، والتخطيط بدعاء الأبرياء لغير قربانهم للقتال واتهم من عشيرته وغير ذلك الكثير من المظالم والمفاسد. فلم تكف بكل ذلك بل تجاوزته لتشمل أحكامها الجائرة المرأة فتكون ضحية لتلك الأحكام. فأصبحت كالشاة تقدم إلى جزائها، ولربما كان الجزاء أرحم من أخ المقتول أو من غمه الذي تقدم له هذه المرأة المسكينة تحت غطاء عشائري يدعى (الفصلية) وما بالك ماذا سيفعل السبع بفريسته، وماذا سيفعل العدو ببدوه وقد وقع بين يديه، والأدهى من ذلك أن لا يمشك شيئاً من الرجولة والغيرة وأخلاق العرب فضلاً عن أخلاق الإسلام إن ما أردت طرحه على سماحتكم وإبلاغكم به، وقد سمعته عن أحد رجال العشائر وأنه لأمر تهتر له غيرة الغيور...

يقول هذا الرجل بعد جلسة عشائرية عند أهل المقتول اتهم طلبوا من أهل القاتل أربعة نساء، فرضي أهل القاتل حقاً للدماء فدفع الضحية الأولى وهي (أخت القاتل) كزوجة (لأخ المقتول) وتم الزواج بدون مراسيمه فقام بعزلها في غرفة ولم يقرب منها وحرّمها من أبسط مقومات الزواج وحقوقه، وزيادة بالتكليف بها تزوج عليها فأصبحت كسلعة ملقاة بالثراب على أحد رفوف الخزانة لا تسمع باكياً فاختارت الموت لتنتهي حياة الذل والهوان ورأت إن الحرق بالنار لجسدها أرحم من ثار هؤلاء الوحوش، نعم مانت حرقاً وصعدت روحها تشكو إلى بارئها ما ألمّ بها والآن افتتح الطريق أمام الضحية الثانية إذ تطلب بها عشيرة المقتول لأن الأولى لم تملك فطالبوا بالثانية كما هو نظامهم وإنّا له وإنّا إليه راجعون...

بسمه تعالی

إن هذه المأساة توجع قلب كل مؤمن بل كل إنسان يحمل معاني الإنسانية وأول من يتألم قلبه هو الإمام المهدي (عليه السلام) الراعي الأول لهذه البشرية ويعبر (عليه السلام) عن آلام هذه في رسالته التي وجهها إلى الشيخ المفيد (عليه السلام) الموجودة في نهاية كتاب الاحتجاج فإن ما يمله هؤلاء غير موجود حتى في شرمة الحيوانات ولا في الجاهليات القديمة التي ألقنا منها الإسلام وهم يدعون الإسلام زوراً وإن كان هؤلاء القاعلون منجدين عن الإنسانية فأين عنه الآخرون؟ لماذا لا يتفضون على هذا الوحش الكاسر ويرغمونه على التعامل بالمعروف وأولهم رئيس العشيرة الذي له كلغة مسبوحة على أفرادها؟ وهم يدعون أنهم شيعة أمير المؤمنين فأين هم من تعاليمه وآدابه حيث تراه (عليه السلام) يوصي أولاده بالرفق بأسيرهم عبد الرحمن بن ملجم وهو قاتله فيعلمه

احسن الطعام ويشبه احسن الشراب، اللهم اشهد اني بريء مما يفعل هؤلاء ولو كان لي سلطان عليهم
لادبتهم بالوسيلة التي يفهمونها ويستحقون التعامل بها .

واتي الزم كل أبناء العشائر خصوصاً الثقفين منهم ورؤساء العشائر أن يقرأوا كتاب (رؤى إسلامية في تقليد
العشائر) ويسمعون إلى تطبيقه وإذا استعصى عليهم شيء فقلوبنا مفتوحة لهم وما نريد إلا إسماعهم وتقريبهم
إلى طاعة الله ورضوانه فمن غير المعقول أن يزداد الغرب الكافر علماً وتقدماً وتطوراً ويزداد جهلاً وفساداً
وانحرافاً وهل بهذه التصرفات المشينة نستقبل ظهور الإمام (عليه السلام) وتدعوا بتسجيل الفرج له .

وليسأل نفسه مثل هذا الشخص كم جريمة ارتكب وكم كبيرة موقفة حتى إن ظلم العباد لبعضهم من الذنوب
التي لا يغفرها الله تبارك وتعالى فما ذنب هذه المرأة المسكينة حتى تؤخذ غصباً وتعامل هذه المعاملة المهيبة
حتى ضاقت نفسها فاختارت أشد أشكال الموت وهو الحرق بالنار ولا يكفي هؤلاء الظلمة حتى يطالبوا

سباً وما الفرق بينهم وبين أهل الجاهلية الذين كانوا يأدون النيات ويقتلونهم حتى نزل القرآن نذيراً لهم بين
يدي عذاب شديد فقال (وإن المجرمين لشئت بأن يذنب فطئت) وفي الحديث إن الله يمشي الظالمين في مرادق
من نار!! هل يعلم هذا الظالم ما هي العقوبات المدمرة له في النار التي وقودها الناس والحجارة وفي مثل

ذلك اليوم تأتي اللائكة لهذا الجاني فتؤمر من قبل الله تبارك وتعالى (خذلوه فخلوا وفسدوا) فخلوا فخلوا فخلوا
سلسلة ذرعيهم سيمون ذراعاً فأسكروا سورة الحاقة (٣٠-٣٢) هل جرب هذا المسكين كيف لو وقع على
جلده الرقيق ماء أو زيت ساخن جداً فكيف يتحمل النار التي أعدها الله تبارك وتعالى لنفسه؟ بل أنه يسقى

مثل هذا الماء (وإن سئراً ما إذا جماً فنتطع أعضائهم) ألا يفكر بالموت الذي يأتي فجأة ولا يدرك صغيراً ولا كبيراً
فيمس في تلك الحفرة وحيداً فريداً ليس معه إلا عمله وعنده فتتجلى الأعمال بصورها الحقيقية فيظهر الظلم
بصورة كلب متوحش أو أنقى عظيمة شرسة تنهش بلحمه ولا يستطيع دفعها وهو في تلك الحفرة وحيداً

فريداً ويضي في هذه الآلام إلى يوم القيامة حيث يقوم للحساب ويجد ما هو أسوأ هناك . وهذا كله هو جنه
على نفسه ولو حاسب نفسه من أجل ماذا كل هذه النتائج السيئة؟ اسوف لا يجد جواباً مقنعاً سوى الاستجابة
لشهوات النفس الأمارة بالسوء أو التقاليد العرفية البالية أو أنه يريد أن يرضي أمه الجاهلة الشقية أو غيرها و

إني اعتبر هذه الكلمات رسالة إلى هؤلاء الجناة وامثالهم أطلبهم بالتوبة والحضور إلى الحوزة الشريفة ليعرفوا
أن يجب عليهم حتى يتوبوا توبة صادقة ويعتقوا الله عنهم ويدفع عنهم هذه العاقبة الآليمة وأول خطوة هي
تذات المظالمية بهذه الأخت المسكينة والتي تنتظر لهم لأنهم أمل منهم كل خير يأتى الله تبارك وتعالى وأما لهم
صالح أمين ومشتق عليهم من عذاب اليم يتقرهم والله ولي التوفيق.

محمد البعيريني

١٤٢٢ ق. ٧٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سماحة ثقة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد اليعقوبي (أدام الله ظله)

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

شيخنا الجليل (بعض المشاكل الشرعية في حق الطب)

في خضم التحديات التي يواجهها المجتمع المسلم والمتغلب بالتغريب الثقافي نلاحظ صورة خطيرة من صور التغريب وهي عملية منظمة هدفها تفرغ المهن ذات الأهداف الإنسانية والأخلاقية والثقافية من محتواها لتصبح هيكل هش غير فعال في خدمة المجتمع.. وقد كان لتوجيهاتك التي تفضلت بها في عدة مناسبات أثر فاعل لدى بعض من أصحاب هذه المهن ولكي يتم التواصل معهم سمحت لنفسني بأن أقدم ببعض الأسئلة تتعلق خاصة بالمجال الطبي وبالتحديد الأطقم الأطباء وذلك لأنهم يمثلون الجانب القيادي لدى مهنتهم الإسلامية وكذلك دورهم في نصيح مراجعهم.. أذكر الأسئلة شيخنا الجليل واضعاً في حسبي استفساراتهم وشغفهم للمزيد من النصائح والتوجيهات.. فلا تبخل عليهم وعلينا شيخنا الجليل وأنت من حوزة النجف المعروفة بالكرم والتضحية جزاك الله خير جزاء المحسنين.

١- كيف يمكن للطبيب الملتزم بالشريعة السمحاء أن يعالج المرضى من جنس النساء دون أن يقع في محذور شرعي أو أخلاقي.

أ- نساء مثيرات. ب- نساء محجبات.

٢- هل تترتب على الطبيب- كونه مدير مستشفى أو رئيس قسم أو مسؤول عن كادر ما- مسؤولية أخلاقية واجتماعية تجاه:

أ- الكادر الذي يعمل معه. ب- المراجعين.

٣- اعتادت كل شرائح المجتمع بما فيها شريحة المهن الطبية والأطباء خاصة على توجيهاتك ونصائحك المنصبة لخدمة هذا البلد المسلم، وما أوج هذه المهنة الإنسانية لعمال هذه النصائح فيا شيخنا الجليل: كيف يستطيع الأطباء- وهم الشريحة الواعية والمنقذة في المجتمع لطبي المساعدة لعودة الحياة إلى هذا الوسط الذي فقد الكثير من مقومات حياته الإنسانية؟ وما هو دورهم التريوي تجاه مراجعهم أو زملائهم أو كادرهم.

بسمه تعالى...

١- إذا لم تتطلب المعالجة أمراً محرماً كاللمس والكشف عن موضع لا يحل النظر إليه وإشارة للمشاعر الجنسية فيمكن معالجة الجنس الآخر كما لو كان مجرد الاستماع إلى أعراض المرض وسؤاله عن بعض المعلومات كافيًا كما نشاهده في العيادات الشعبية لكن هذا الغرض بعيد في العيادات الخاصة فإن الفحص يتضمن عدداً من التفاعلات المحرمة لذا لا يجوز للمرأة أن تراجع الرجل ولا يجوز للرجل الطبيب أن يفحص المرأة إلا عند توفر حالتين:

١- الضرورة: بمعنى إن المرض بلغ عند المرأة درجة تحتاج فيه إلى علاج الطبيب.

٢- الانحصار: أي أن المرأة منحصرة بهذا الجنس المخالف أما لعدم وجود الجنس المعامل أو لقلة كفاءة المعامل أو وجود أختال معتد به المنزلة عند مراجعة المعامل وهكذا.

وأمع اجتماع هذين الشرطين يجوز للطبيب معالجة المرأة والاختصار في ما لا يحل على أهل

مقدار ممكن، فإذا أمكن لمسها من وراء الثياب أو بلبس قفاز فلا يجوز الكشف عن موضع
 حص، وإذا أمكن المعالجة بالنظر في المرأة فلا ينظر بشكل مباشر وعدم جواز الكشف عن
 أي من محل الحاجة من الجسد وهكذا وإن لا يختلي معها في غرفة الفحص بل يكون معها
 ثوب ولو صبي مميز وإذا تساهلت هي بهذه الأحكام فلا يتساهل هو وبلغت نظرها إلى ذلك فأنما
 أعلم أن أغلب النساء غير متحرجات من كل شيء أمام الطبيب لما ظننا منهن أن كل شيء جائز،
 أو استجابة لشهوات أنفسهن فيعرضن أنفسهن أمام الطبيب الذي يمتلك موقعا مهما في قلوب
 الناس. من هنا نعلم أن معالجة المتحرجات قد يتطلب (احتياطات) إضافية لوجود مشاكل إضافية
 وكان الله في عون الطبيب فإنه في تحدي كبير وأعداء حقيقيين وأقوياء ومؤثرين وهم الشيطان
 الذي يزين المعصية، ويحاول أن يغيب العقل، ونداء الدين، والنفس الأمارة بالسوء المائلة إلى
 الشهوات والغرف الاجتماعية المضاعف الذي أصبح يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا لكن
 الأعداء على قوتهم فإنهم يراجهون بشيء ذو أحد هو الإرادة والحزم والعزم فإنهم يتهارون لأن
 الحق قوي ولا يستطيع أن يردّه أحد وإن قوة هؤلاء الأعداء ليست واقعية وإنما هي ناشئة من
 ضعف إرادة الإنسان (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) فابدأوا الخطوة الأولى في طريق الله (والله
 معكم ولن يترك أعمالكم) وهو نعم المولى ونعم النصير .

ج ٢: نعم عليه مسؤولية الإصلاح من جهتين: الأولى عامة كونه مسلما مأمورا بوظيفة الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر وهي من أهم الوظائف الإلهية بحسب التشديد الموجود في القرآن
 والسنة الشريفة الثانية خاصة كونه على رأس وحدة إدارية فتكون أمانة ومطاعة وبمقتضى
 صلاحيات في التوجيه والردع واتخاذ العقوبة مما يجعل فرصته لإداء هذه الوظيفة أوسع من
 غيره كالإبلاغ مع أسرته ولكن ينبغي الالتزام بمراتب هذه الوظيفة وأولها التوجيه والنصح
 والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة ثم بالتوبيخ والزجر. فإن لم ينفع فالتعقوبات الإدارية والمالية
 بالمقدار الذي يناسب المخالفة وينفع في ردع العاصي عنها هذا بالنسبة للكادر الذي يعمل معه أما
 بالنسبة للمراجعين فيمكن أن يجري نفس الكلام في الجملة وليس في كل التفاصيل .

ج ٢: الأطباء من العناوين المهمة في المجتمع كعلماء الدين وإساقدة الجامعات والمسؤولين
 المحكمين الكبار وهذا الشيء يلقى عليهم مسؤولية مضاعفة كما خاطب القرآن الكريم نساء النبي
 باعتبارهن عنواتنا متميزات فمن أطاعت منهن فأتاه الله كلن من الرحمة ومن خالفت - واليهاد بالله-
 استحققت ضعفين من العذاب والطبيب له موقع خاص في القلوب كونه أحد رموز الرحمة الإلهية
 في الأرض يجري الله على يديه الخير للناس ويهيم الشفاء والعافية ويخفف عنهم الآلام ويخرج
 عنهم الكرب ويوفر لهم حياة سعيدة كما أن وجود الأطباء في مجتمع ما دليل رقي ذلك المجتمع
 وروعيه وثقافته والحاجة إلى الطبيب كبيرة بحيث لا يمكن الاستغناء عنه لذا ورد في الحديث ثلاثة
 لا يخلو منها أهل بلد وإلا كانوا همجا: طبيب حاذق ثقة، وأمير ورع مطاع، وعالم ناصح
 فليشكر الأطباء ربهم على عظيم نعمته إذ جعلهم في هذا الموقع وعليهم أن يؤدوا حق هذه النعمة
 بأن يوظفوها في طاعة الله ويلتزموا بأحكامها وأدائها الشرعية ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة من
 دون أن يخسروا شيئا فإن الطبيب المؤمن الملتزم المحافظ يكون محبوبا أكثر وإقبال الناس عليه
 أشد، وقد نهيت الأخوة الأطباء إلى بعض المخالفات الشرعية التي تقع في مجال عملهم في
 استفتاء مستقل أرجو أن يكون قد وصل إليهم وإلى مقاتل بهذا الجيل من الأطباء وأعد شريحتهم
 من أفضل الشرائع المهنية التزاما ووعيا وهذا ما يبشر بالخير ويتلج صدر الإمام المنتظر (ع)
 لأن الأطباء إذا كانوا ملتزمين فإنهم سيؤثرون في المجتمع الذي يتقبل منهم بشكل مطلق ويحترم
 كلمتهم وما عليهم إلا المواظبة والنطق بكلمة الهداية والإصلاح. أسأل الله تعالى أن يرحمنا جميعا
 بنعمة الإيمان والعمل الصالح والفوز برضاه إنه ولي نعم

محمد البعقوبي

بسمه تعالی
فقہ التعامل بالدينار
اخلاقه الأولى

سأجابه الشيخ الأجل محمد العربي (دام ظله)
السلام عليكم

أدناه مجموعة من الأسئلة نضعها بين يديكم الكريمين تخص التعامل بالدينار المستضيء بها أثناء معاملتنا وأحسن من الجاري
وجعل الله بوقوفكم وهدىكم ذخراً للأسلام والمسلمين وليوفقنا للاستفادة منكم وهو من وراء القصد.

س ١ : هل يجوز بيع الدينار بالدينار ؟

بسمه تعالی : يجوز بيع الدينار بالدينار سواء كان المعطى من النقد الحرصى والمؤجل هو الدينار أو بالعكس بشرط أن لا يزيد على
عشر % لكل شهر من القيمة الفعلية لحما حين العقد المبرر كمال في الورقة من فئة (١٠٠ دينار) متى الدين دينار بالمسلم الجدي
وإلا أنه ينبغي لمن مؤجل بعد شهر فيجوز له ذلك بشرط أن لا يزيد ثمن المؤجل عن (٢١٠) ألف دينار الفرق المبرور
هو (٥%) أي (١٠) بالثمن ويمكن أن يشتري منه ورقة ويسمها بعد شهر نسبة على مثله (١٩٠) ألف دينار
بسمه تعالی باعتبار أن سعرها حال هو (١٠٠) ألف فيمكنه أخذ فرق لا يزيد عن (١٠) ألف دينار ولا يجوز أخيراً
تخصيص الخصم في الحصة والزيادة في القيمة لا يجوز في الفروقات كالتالي :
فالدينار السبعة من الناحية الاقتصادية أن عدم جعل حد للربح يؤدي إلى تكديس ثروة عند أصحاب رؤوس الأموال و
من الناحية الشرعية لا خلاف أن يوقع في الربا ولو أدى إلى بيع والحرص ويقع سبل التعريف ولا يقدر أحد على
قول حجة بحد منه من إلا أن حيث أن العسقة حسنة والفرق بعد عشرة حسنة
ومن الناحية الاجتماعية فإن يؤدي إلى سباحة لشكك في الإحصاء والتمويل
وحده كقوله ملاكوت فيرويه : سجميع أصله التخصيص ببيعوا الدينار من قاعدة لا تبيع بربي ثوب بامرأة من قاعدة وأن
استقر على موافقه (وحدة لعمارة من لوائح) بل هي قانون تنوية حاكمية في قعد الاحكام لأولية

س ٢ : لو كان الدينار بدينار على تسليم البيع فيلزم له أن يبيع بدينار ثوب ويوقع فرق فقط وهو (١٠) آلاف ؟
بسمه تعالی : لا يصح ذلك نفس العامة الأولى بل لا بد من إنشاء دعوى جديدة بأن يقرض الدين مبلغ (٢١٠) ألف دينار
الدين الأول يبيع عند الأول ثم يشتري منه ورقة جديدة بالدينار فيبيعها نقداً بـ (٢٠٠) ألف ويبيعها بعد أسبوع (١٩٠) ألف
فهو من حبه الخاص ويبيعها إلى القرض فتكون النتيجة أنه دفع الفرق وهو (١٠) ألف إلى الدينار الأسبوع وعلقت دمه من
بورقة له ولا تستعمل الدعوى أكثر من عشرين بتثقل الإنسان لها من حين إلى آخرة لأنه يؤول إلى الحرام إلى حلال
س ٣ : يعني يعطيه أنه يفرق ورقة فئة (١٠٠) دولار بكذا مبلغ شهرياً فهل تصح هذه العملة ؟
بسمه تعالی : لا يصح مثلاً فلما لمقتد لأن من شروط الإجارة بقاء العين المستأجرة والاستفادة من منافعتها كالتالي يستفاد من
مع بقاء المأجر أما المأجر الذي لا يستفاد منها الإيجار العين وإتلافها كالطعام فلا يمكن استعراؤه ومن ذلك ورقة الدينار فإن
يشتري بالعين إلا بدها بالبيع والشراء والإقراض ونحوه فإلّا المال المستأجر كالحق لا مشروع له

س ٤ : لو أخذ شخص مثلاً يزيد من ٥% فما هو حكم هذه الزيادة ؟

بسمه تعالی : إذا كان أصل الزيادة يعرف أصحابها الذين أخذوا منهم فليست عليهم أو يبتدعها إيمان وإن لم يعرفهم فليدفعها بعد
إيراد مقالهم إلى الشاكم الشرعي أو يوردها على الفقهاء الزميين
س ٥ : هل يمكن تشليل ورقة لو أكثر من عملة الدينار مقابل مبلغ مقرر يدفعه المعلن هذه الأوراق في السوق وبشرط أن
المال عدم دعوى لشكورة على ماله ؟

بسمه تعالی : هذه العملة ليست مضاربة بالمسيرة الشرعية فكاملة التي تشترط على العامل أن يتاجر بالمال ويتحقق على التام
بسمه معية بين العامل وصاحبه وأما المال كالتخلف والتكسب والربح وهي الصفة الأصلية لعمل التجاري لكن أصحاب المال
لا يشتغلوا لتداعيل رؤوس الأموال وضعية فروعها وحساب أرباحها فيلجأون إلى قضاء أرباح القترض وهي عملية
وفق الشريعة المالية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه الملتجئين
الى سماحة الشيخ الاجل محمد اليعقوبي - انكم الله -
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ظهر في الآونة الاخيرة و تقريبا في بداية عام (٢٠١٠ م) نوع من الحجاب الذي يرتديه اغلب الفتيات و هو >> ان الفتاة تلبس الحجاب و تلفة على راسها بحيث تجعله صغيرا جدا يكاد يعطي الزاين علما انه في الاغلب يخرج جزء من شعر الفتاة من المقدمة هذا اولاً ، وكذلك جزء من صدرها ، أي جزء من رقبتها او تحتها بقليل ، مع العلم ان الفتاة غالبا تل كسر الاحيل تكون ملتقطة و على علم بهذا الشيء و هذا غالبا ، وهو ما يسمى في هذه الايام بـ ((الحجاب الفرنسي)) مع العلم ان صناعته في العراق او من دولة عربية ، و هذه الحالة غالبا ما تكون منتشرة في الجامعات و المعاهد >> باعتبارنا نعيش في هذا المجتمع نترجو من سماحتكم اجابتنا و ارشادنا على ما يأتي :-

(١) ما هي رأي سماحتكم بهذا النوع من الحجاب ((الحجاب الفرنسي)) ؟
بسمه تعالى :

ان سمعته بالفرنسي يوجب ان المنشى الاصلي لصناعته فرنسا و ان ورد في السؤال انه يصنع في العراق او بلاد عربية لذا نتم هذه الملاحظة :
ان ما يستتور من الكفار على شكلين :
الاول - ما يكون استعماله مشتركا بيننا و بينهم كالسيارات و الآلات الالكترونية فهذه لا بأس بالاستفادة منها

الثاني - ما يصنعونه خصيصا لنا فيجب ان نتهمهم فيه و لا نتعاون معهم فيه الا بعد ان نجده مطابقا لشريعتنا و الحجاب من القسم الثاني لما اوضح فيه التهمة حتى يشد العكس ، و الحجاب الموصوف في السؤال مخالف للشريعة الاسلامية و لا يجوز لنا ان ننهر بالانتاج الغربي حتى تضيق معالم ديننا ، ان هذا المؤسف حقا ان يصنع الكافر حجابا لنساء المسلمين و نحن نعلم ما يريد منا ((ودوا لو تكفرون كما كفروا)) ((وان ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم))

(٢) ما هو دورنا كمكثلين و كطلبة بصورة خاصة ؟

بسمه تعالى :-

يجب عليكم عدة امور :

- ١- مقاطعة مثل هذه الصناعات التي نريد ان تسلب ديننا بالتدريج .
- ٢- توعية المجتمع و الفئات نظرة الى جسامه هذا الخطر و غلق الباب من اوله .
- ٣- الامر بالمعروف و النهي عن المنكر بمراتبه المذكورة للناس الذين اتبعوا جيلا و وقعوا في حبال هذه الخطط الشيطانية .

(٣) لماذا تتصحبون الفتيات اللاتي يرتدين هذا الحجاب ؟

بسم تعالى :-

لتصحبن بتطبيق الشريعة و الاحشاء بولايها في كل شؤونهن و ان يحافظن على دينهن فانه عنوان عزتهن و شرفهن و كرامتهن و ان الكفار ليحسدوهن على هذا المنهج القويم الذي يوفر للانسانية سعادتها في الدنيا و الآخرة لذلك فانهم - أي الكفار - يسعون بكل جهدهم لسلب هذه النعمة الكبيرة من اهلها ((لم يحسدون الناس على ما اؤثروا الله من فضله)) و أي فضل اعظم من نعمة الايمان بالله و السير على هدي رسوله العظيم < صلى الله عليه و آله > فلا تعطوا الكفار مرادهم فتكونوا عبيدا لهم تابعين و في ذلك خزي الدنيا و عذاب الآخرة و قد رايتكم كيف دلت الامة و خان امرها عندما تركت دينها و خضعت للكافر ، قال الله في دينكم لا يعظيكم عليه احد ، و الله ناصركم و هو يتولى امر المؤمنين .

(٤) ما هو دور اولياء الامور في منع مثل هذا الحجاب ؟

بسم تعالى :

"نسح جوابه مما تقدم لكن يضاف اليه ان مسؤولية ولي الامر اكبر <> قوا انفسكم و اهليكم نارا رفودها الناس و الحجارة <> كما ان سلطته اوسع فاذا كان غيره لا يستطيع النهي عن المنكر الا بالموعظة او الزجر فانه يستطيع تنفيذه بالضرب و الحبس و الايلاء فتنبه بجم ان يتحملوا مسؤوليتهم كاملة

(٥) ما هو الحجاب الشرعي الاسلامي الذي يجب ان ترتديه الفتاة ؟

بسمه تعالى :

قد ذكر الفقهاء كنيته بان يسر البدن كله عدا الوجه و الكفين على خلاف - و لا يجوز ان يكون حاكيا عن البدن ملتصقا به بحيث تظهر معالم الجسم من خلاله و ان لا يسبب فتنة و الفات نظر و ان تكون مشية المرأة طبيعية لا تتبر شهوة و لا تسبب فتنة ... الي غيرها من التفاصيل المذكورة في كتب الفقه و كتب <> اخي ... انتهي <> لاحد الاخوة الفضلاء جزاء الله خيرا .
اسأل الله تعالى التوفيق لدينه و الهداية لطاعته و نيل رضاه لي و لكم و لجميع المؤمنين انه ولي نعم .

الشيخ

محمد البعوي

مجموعة من طلبة
الجامعات و المعاهد
عندهم محمد البعاج
١٥ محرم ١٤٢١ هـ

((ممارسات خاطئة لدى العاملين في المهن الطبية))

بسم الله الرحمن الرحيم

" قل اعملوا فسمي الله عملكم ويخوفه المؤمنون "

بسم الله الرحمن الرحيم (المستطمين الشيخ الأجل " محمد البعقوبي " - دامت بركاته -

ان الذي عودقونا عليه هو تشخيص الظواهر الشذوية في جميع مجالات المجتمع وبالحصر من تلك التي لها المصا
الواقعي والمباشر بالحياة اليومية . وبعد ان لمسنا تأثيرها بالواقع الخارجي واستجابة الكثير من طبقات المجتمع له
وتطبيقها واخذها بعين الاعتبار ، رأينا من الضروري اننا النظر الى الممارسات الخاطئة التي يمارسها العاملون
سلك الطب لما لهذه المهنة من الأثر الكبير في ديمومة حياة أفراد المجتمع ، فإدراكنا ان لا تشخيص تلك الظواهر
والانحرافات الكبيرة الموجودة في المستشفيات وعيادات الأطباء ، وانما نلتصق من معاتكم تشخيصها ووضع الحلول
لها من خلال مناقشتكم في أوساط المجتمع ومن خلال الأسئلة الموجهة إليكم ونرجوا ان تكون هذه الحلقة هي الأولى
وتتبعها حلقات أخرى في المستقبل انشاء الله

هذا ونسال الله ان يحفظكم من كل مكروه ويمننا بطول بقائكم انه سميع مجيب الدعاء

" أحمد طلبة الخطة الثانية "

بسمه تعالى

الدبيب سببا من أسباب فرحة الرعية ومظهر من مظاهرها يساعد الناس على الحياة السليمة الحقيقية من الآلام وقد فيها تميز
وتعالى عن الفناء ليتألف البشرية والنظر ويعمل عايشا واحدا من تراث البشر فيه كما خلق شريك وتعالى في الظهور ما يتصور
سببا لمعالجة الأمراض التي تحمل فيه وسط كل ذلك الى العنكبوت وجعل شرف هذه المهنة أميرة بينية وإلهام لبيته وبرامه ليس أعظم
حين ان الناس يسمونه وخدم الناس يحب وتقدي وقد وردت الأحاديث الثمينة الكثيرة في فضل وثوب مساعدة الناس والتفكير عسا
وإدخال السرور عليهم وتزويج اليهم والكربات عنهم مما لا يسهل للناس تذكر شيء منها ، ووجود الأطباء علامة مهمة لمرقعة وقسم
المجتمع وحل مشاكله العلمي والتقني فحيا الله لطبايئنا وزادهم بصيرة في العلم والعمل السالطين ، فالتقتم هذه الفرصة لبيان بعض
الممارسات الخاطئة في عملهم لتفني بالمشاكل التي تظن الآخرة اليها ليجتنبوها حتى يكون عملهم مخلصا به تشارك وتسلم
وما يجرى عليه :

1- من المعلوم انه عند الضرورات تحتاج المستشفيات لكن ذلك يجب ان يكون بمقدار دفع الضرورة لا تريد لكن العرفه شائع ليس
ذلك ورفع شعار كل شيء جائز في الطب والعلاج وهو غير صحيح فإذا لم يكن للمريض ان يطلع عند الجلس الفمالي فلا يجوز
له ان يراجع غير الممالي إذا استلزم الفحص الطبي حصول اللبس او النظر الى ما يجب متروا ونحوها وإذا مسوخت الضرورة
مراجعة الجلس الآخر كما لو كان امير في صنفته وفاق فيجب ان يقتصر عليها أي بمقدار الضرورة فإذا أمكن العلاج بلا استمر
او بالنس من وراء (نقل) فلا يجوز للنس المباشر وإذا لم يكن الاكتفاء بالروية من خلال المرأة او ناشئة (نقل) فلا يجوز للنس
المباشر وهكذا وإذا تطلب الفحص لكشف عن منطقة معينة فلا يجوز التحدي الى غيرها وهكذا .

2- وما يفرح عن النقطة أعلاه انه إذا أراد إجراء عملية جراحية لأمرأة وكان الجراح وكذا المساهم له رجالا فلا يجوز الاكتفاء
عن اريد عن المنطقة ذات العلاقة لأن من الوصف ما يلتقي ان بعض الجراحين غير المتورعين يوزن المرأة فتما عند اجراء
العامة وهذه خيانة عظيمة له ولرسوله ولدين والأخلاق ولهذا المهنة الشريفة كما لا يجوز تناول أحد الى صلاة السليبات في منزل
هذه الحالات إلا بالمقدار الضروري وإذا لم يكن قيام الشئ في العملية فلا يجوز دخول ثالث ومكثا ينص الشيء يحدث في غرفة العمليات
حيث يطلع الرجال على النساء ومن في حالة اكتفاء فلا ضرر .

3- إضداد الأطباء على الاختلاف والتزييف وتلقين باب الفتنة عند كل فحص وهو عمل صحيح وله ما يبرره ولكن في الآونة
من الجلس الآخر يكون هذا التصرف مشكلا شرا ما لا يجوز ان يكون ذلك محملا لأنه من الخيانة والأخفنة وهو عندنا في الآونة الأخيرة

وحرام شرعا إذا لم يأمن من الوقوع في الحرام ولما كان هذا العنوان مطالبا ويمكن أن يفسره كل أحد بحسب هواه فلا بد من
 الاحتياط فيه فتجنب الموت معها أبدا ولو حلقا مميتا أو اعتدل معها مواجعة أخرى ولو لم يكن طرفها أو أي شكل من أشكال
 الاحتياط المدبر للقلب والسرور للشفقة.

١- بعض الجراحين يتفق مع المريض على إجراء عملية لاستخدام الآلات وصلة عمليات المستشفى التي هي من الأموال العامة
 ويأخذ لنفسه حسابا خاصا غير ما تقرر لإجراء المستشفى من أجر لتسوية وهذا عمل غير مألوف به شرعا لأنه وإن كان من حق
 أن يأخذ الأجر المعينة له لكون ذلك عندما يجري في حياته الخاصة لما التصرف بالمال وأجهزة المستشفى فليسروا
 بالأجرة المعينة من قبل الإدارة فلا يجوز له مخالفتها ومن الداعي للإيمان أن يستفيد أحد على حساب جماعة كبيرة.

٢- يرى بعض الأطباء أن من المناسب لنفسه الاجتماعي الاحتفاء بظهوره الخارجي وهذا حق ولكنهم يخطئون حينما يعتقدون أن
 كمال الفائدة خلق الحياة وكذا الطبيات باليهون متبرجات متزيات وهذه كلها مخالقات شرعية لا يجوز لها ولقد اقتضت بأمر
 الله تعالى فطريته وجوعهم نوراً وبعاداً مما لعن عليهما من جمال باطنهم فلا مسوغ لأحد لهذه المخالقات الشرعية وما لجل الطبيب
 بطبيعة وما ياترئف بالشر والتورع والدين كما وصف الله تعالى في القرآن الكريم (ولباس القنوت ذلك خير)

٣- الموصى يتسامحون في كسبة تشريح بدن المتوفي بلا مسوغ شرعي لتجرد أن العقق العملي أمر بذلك رغم أن التشريح
 غير كما مرع في بعض الأحكام - لا يضيف مجموعة جديدة عما هو ظاهر من سبب الوفاة ومع ذلك ولقد السحق بتسوية
 جثة الميت والطبيب ينظر وعده مخالفة شرعية قيمة ويحصل المشرح النية وهي تساوي جسد دية الحي الذي الجانية وحكمها أن
 تشوب في وجوده غير والقرابات للميت المشرح ولا تنقل إلى الورثة فكم دية لشخص بها فمة هؤلاء المشرحين ١٢ فليسوا
 حرمة الميت المسلم مثلثة خلت في حين أن الغرب الكافر ١٢ يحترمها ولا يشرعون بدن الميت إلا للضرورة القصوى ويكتفون
 بالحسن الجسد أو أخذ عرفت من مخالطة الجسد أو أخذ صورة له بالسؤال ونحوها من فكشفت عن سبب الوفاة
 استغل هذه الفرصة لو غفل ولو شك وتعاذر جميع ذوي العلاقة في هذه القضية أن يحترموا جسد الميت ويكتفون بشهادة الطبيب الذي
 يعرف غالبا سبب الوفاة من الدلائل الخارجية بلا تشريح ولا يشرعون إلا للضرورة القصوى كما لو تركت جثة مقتول مبريء على
 الشوارع ونحوه.

٤- ونحن نسأله يجب مراعاتها في درس التشريح لدى أساتذة وطلبة كليات الطب فلا يجوز تشريح بدن المسلم ويجب العلم على بدن
 المسلم وإن لا يتم إلا بدوام ضرورة العلم ولا يجوز هذا في
 ٥- ومن الظواهر المسببة لدى العاملين في الحق الطبي وهو الجشع وحب الثراء المورع ولو على حساب آلام الناس وأرواحهم والقرع
 ويجلي ذلك من خلال عدة نقاط.

٦- الأجور المالية التي يتقاضونها للتحسس وإجراء العمليات الجراحية والمريض عندما لما يتجرع الآلام حتى الموت أو يبيع جسده
 ضرورات لمصلحة يكمل علاجه وكذا للتصرفين وصحة عار أي جبن هذه الهيئة الإنسانية للثوبلة.

٧- يعتمد الطبيب أحيانا أن لا يصف دواء كاملا للمريض حتى يعود للمراجعة مرة أخرى فيفتقر منه أموالا جديدة.

٨- الانتفاع من معالجة من لا يملك أجره للتحسس أو أجزاء العملية أو الدواء رغم أن حفظ حياة المسلم واجبة على الجميع
 كانه يجري لا لمعالجة لدى الطبيب إلى قبال ما عليهم أربابا ومتوسمون في معيشتهم ولما أحب المال قتل والسياسة. ترى يا سيدي

٩- عدم قنوتهم هؤلاء ١٢ وكيف ينتظرون من الله الرحمة وهم يتعاملون مع حياة المضمنا بهذه الصورة ١٢ إلا يطعمون أن هذا
 ١٠- بعض الأطباء يلزم المريض بإجراء تحاليل وأشعة وصنور لأجابه إليها وهو يفتنى بذلك أن يحصل على نسبة متفق عليها من
 أصحاب المنشورات وفي هذا خيانة للمريض والشفقة وهذا عمل محرم.

فإسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لمرضه وطاعته ويهديهم إلى الصراط المستقيم
 محمد البيةوي

بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم محمد الطهري (دام عزه)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يعلمه كثير من الناس بما فيه من ثبات تأليفه للفتاوى ان من قبله الذي بالي شهر الصيام من المرح والفتور والافراح الا سبلانية
البيعة عن الدين والاسلام وتعليم أهل البيت (عليه السلام)
لرجي من محاسنكم توضيح معنى التقييد كما اوردته في امالي، وماذا يعني على المسلم الواحد ان يتصرف فيه، وما هي مسؤوليته
الاداء والامنيات تجاه اولادهم وشيوخهم الذين هم في سر الراددة والذين فرغم يستعملون كثيرا في ايام العيد واليابه على سرائر ومسبح
من في الدين.

الخلاص والذكر
تسلم عند الله

• بسم الله

ان يوم العيد يمثل يوم توزيع والاداء لتعليق الامارات الذي مر به الناس في شهر رمضان، فقد تمثل الانسان في ايام الله سبحانه
والذي يتكلم بالصوره التي ترعى الله سبحانه فيمن من تلاميذ الدين وان لم يقبل ذلك فهو من انحراف عافته - من الانحراف كما
يعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وان الشئ من حرم الله في هذا الشهر العظيم.

في الضمت هذه التكرار وهي اربعة فاسأل عنها الجواب على شكل نقاط:

١- ان من حق النصح والارشاد في هذه الامور الاكثر ولكن هؤلاء القوم حين دخلوا على الشارع لم يعرفوا الله
عن الله تعالى انه في لامة التكرار؟ كل هذه لم تفعل، فكيف صار لهم التفرج وهم لا يعلمون بالنتائج فلا بد ان الراس يكون في
شهر ونحوه عند انتهاء شهر رمضان لانه لا ينبغي ان يتركوا على كسبه الله في ديوان المحسنين فيقولوا في هذه السنين - والربا باق -
فيروي ويسلط.

٢- ان الله سبحانه قد حدد شرط قبول الاعمال وهو التقوى فقال تعالى: (انما يقبل الله من الخلق) اي في هذه الامور التي تصبر
من هؤلاء الناس في من صفات الله؟ كان بالامر فيهم انهم لم يقبلوا اعمالهم وصفتهم بطلب عليهم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي تكرار الله وهم حاشا الى عياله والاستعداد والقيام والفرقة بذلك من القروح والسرور وهم من تقديم الآية الشريفة: (فلا
تدرككم الايام الا انتم تعلمون) الذين مثل صعبين في طاعة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) ويقولون تمسكوا في حرائصهم
واعتصموا (فدعيت اعمالهم فلا تليهم لهم يوم القيمة بوزن) ولو تأملوا في كتابات الائمة (عليه السلام) لكانوا حذرا من هذه الامور
ان يترجوا فمن هذا الإمام الحسين (عليه السلام) يوم حرة يقول: (انني كنت من طاعة بيتها وحالة شينها عدم اعتدائي عليها وذلك على
الذي منها فظلمت) وهكذا حالنا نظر الله وصيته من الاعمال كبر القسوس من اوعى الراس انما يكون غشلا لا يحصى من القسوس
وعلمنا تعرضوا لعداها على الله الذي لا شيء عليه عادية في السموات ولا في الارض وفي قلوب الناس من سائر القسوس
وقد لا كلها معية ولا تفسح لاحياء القلوب (فانما اعتدائي عليها وذلك على الامر اسوأ من ذلك فان هذه الامور كما قد تقع
حارة القلوب اذا ما قوب لا يحيط بها من القسوس امرنا انما نحتاج طلب الادانة والاستغفار منها فبذلك الله سبحانه والى عالمي سيد
تعالى.

مسألة: حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأجل (رحمته الله تعالى) (صلى الله عليه وسلم) عليكم بوجوه الله وبركاته.

بسم الله تعالى:

مسألة: إذا أدى الشخص المكلف فريضة الحج الواجبة (أي مرة واحدة) فأبىما يستحب الذهاب مرة أخرى ليست الله الحرام أم تزويج المؤمن الذي لا يريد الوقوع في الحرام أو مساعدة الفقراء؟ نرجو توضيح الأمر.

بسمه تعالى: ورد في الأخبار إن تزويج المؤمنين ومساعدة فقرائهم الفضل من الحج المستحب وقصة ابن المبارك معروفة الذي كان عازماً على الحج فرأى عائلة فقيرة فاعدهم بفققة الحج ولم يذهب فأناى الله تعالى ملكاً بصورة ابن المبارك حج عنه لقا عندما عاد الحاج من سفرهم كانوا يشتهون بالسلامة وكلهم يقين أنه كان معهم.

التعدينية

مسألة: تبدل ورقة الدولار المساني (٩) ذات ١٠٠ دولار بأخرى حديثة تسمى (الشيخ) مقابل ٢٥٠ قبل هذه المعاملة جائزة؟

بسمه تعالى: لا بأس بها إذا كانت على نحو البيع وإن كان الاحوط استحباباً اجتنابها.

مسألة: عند خروج الحجيج من مكة إلى أطرافها الأهل الفارقة لمؤبدين فيها الذي يسمونه غيبه الشيام؟ هل من نصيحة لهم أو إنداء طريفة لإعلان الفرح والسرور بالسلامة حزامكم الله بحجر الجراء؟

بسمه تعالى: هذا عمل محرم ولا يناسب الموقف فإن الحاج يرجع مفتقراً له كيوم ولله أنه قلصادا يلبطخ صحتائف أعماله بالسواد.

مسألة: عند التعامل بالسوق وخاصة في سوق البورصة تختري المبالغ المستطمة على عملة مزورة فهل يجوز لنا وضعها مرة أخرى بين الأوراق الصحيحة وإرسالها إلى أشخاص آخرين سواء كان المال المرسل إلى الشخصين يتبدل بالتسامل بما أو لا؟ مع العلم أننا نضعها على الأوراق الصحيحة لأنه لو شاهدها ما قايانا؟

بسمه تعالى: غش المسلم حرام.

مسألة: توجد شركة ألمانية تسمى (play boy) هذه الشركة مختصة بإنتاج أفلام الجنس والمجلات وعرض الأفلام حسن طريق الدش والأفترت أو الأفلام أو المجلات الخالصة أو عرض نساء في الإفترت مع الألمان لكل واحد منهن عرض والعباءة والله الآن توجد عطور تسمى (play boy) أو ملابس تحمل علامات هذه الشركة لترويج الاسم فهل يجوز لنا شراء هذه البضائع التي تروج أسماء هذه الشركة الشيطانية؟

بسمه تعالى: تجب مقاطعة الشركات التي تلتحق بالفساد المذموم وتشتد الحاجة في أوساطهم ومن يروج لهم فهو بمن أعان على الإثم والعدوان.

مسألة: ظهرت في المجتمع ظاهرة جديدة وهي موديل من اللباس الغربي يسمى ((كلاسيك)) بحيث إن من يلبس هذا اللباس يكون محطاً للأبصار بالإضافة إلى إن تصنيف الشعر بشكل لشعر علماً أن اللباس يكون حاكياً عن البدن وكثير من المؤمنين يلبسون هذا اللباس فما هو رأي الشرع في هذه المسألة حزامكم الله حمراً ؟
 بسمه تعالى: لا ينبغي للمسلم أن يشبه بالكافر في ملبسه ومنظره، ولا يخرج ما ذكر في السؤال من كونه لباساً للشهرة، وهو محرم خصوصاً إذا كان حاكياً للجسم بشكل مثل الشهوة أو التلذذ فشدد حرمة وكل ذلك من أساليب الاستعمار الخبيث لسلب الناس دينهم ((وودوا لو تكفروا)).

مسألة: يتعارف لدى عامة الناس إن الشخص المنسوب إلى الرسول الأكرم محمد (ص) يدخل الجنة حتماً حتى وإن كان فاسقاً مستحقاً لحرام الله وتبرير هذا العرف أن الله سبحانه وتعالى سوف يوفق هذا السيد قبل موته حتماً إلى التوبة والرجوع إلى الطريق الحق فما هو رأي الشرع الإسلامي ؟

بسمه تعالى: هذه الفكرة يكلها القرآن والسنة الشريفة فالقرآن صريح بأن قيمة الإنسان عمله (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) ويؤدب رسول الله (ص) الفضل (خلق) لمن أشركت ليجتن عملك وتكون من الخاسرين واتزل سورة كاملة في لمن أي حب عم الرسول (ص) فليس بين الله واحد قرابة ومن السنة الشريفة قوله (ص) (ولو عصيت لموت) أي في جهنم وقول الإمام السجاد (ع) (خلق الله الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً) وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً) فليعلم الإنسان بعمله ولا يتكل على مثل هذه الأمور فإن رسول الله (ص) لم يكتب شرفه لأنه محمد بن عبد الله بل لأنه أطاع الله تعالى وأتقاه حتى تقاته.

مسألة: هناك بعض المتدينين إلى الرسول الأكرم محمد (ص) (السيد) غير ملتزم بأحكام الشريعة الإسلامية (كحلقن بيه) والاستماع إلى الغناء والغيبة وعدم دفع الحقوق الشرعية على اعتبار أنه سيد فهو لا يدفع الحق الشرعي...
 مشاكل هذه المعاصي ومع ذلك نرى البعض يكثر مولم ويقسمونهم ويدفعون لهم بعض الأهل بعد مطالبة السيد المذكور في مطروحات السؤال بمن السيد فهل بمن لهم دفع هذه الحقوق إلى هذا الإنسان (سيد) غير ملتزم بالإسلام والأمر لكم؟

بسمه تعالى: ذكرنا في جواب السؤال السابق إن (السيد) وغيره سواء أمام القوانين الإلهية ومشمول به كغيره ومنها الخمس وغيرها مادام موضوع الحكم الشرعي متحققاً وأما دفع الخمس إليهم فلا بد أن يكون بشروط. وهو أن يكون السيد محتاجاً ملتزماً بالشرعية ولا يعطى للمعاصي وقد ذكر ذلك الفقهاء في رسائلهم العملية.

مسألة: شخص بلغ من التكليف الشرعي في هذه الأيام ويريد أن يرجع في عبادته ومعاملته، إلى أحد المختصين أي يريد أن يقلد أحد المختصين المرحومين أو يقلد الميت إذا كان أعلم من الأحياء وعند الفحص لم يتوصل إلى نتيجة فهو لا يعرف من طلبة البحث الخارج وذوي الخبرة أي شخص إلا أنه يعتبر بتماحة الشيخ يعقوبي المختص الذي تتوفر فيه هذه الصفات فتولد ثقة وحمية بالنسبة له. ما هو تكليفه الشرعي الآن بخصوص التقليد أنتونا مأجورين علماً بأن فترة التخص عن المجهت الأعلام بالنسبة له تجاوزت الحد المطلوب للفحص.
 بسمه تعالى: يقلد السيد الصدر (قده) ابتداء بشرط أنه إذا علم بوجود مسألة خلافية بين السيد الصدر وقده والشخص المختص الاعلمية من الأحياء فيعمل بأحوط القولين بينهما



إلى سماحة الشيخ الحليل حفظه الإسلام والمسلمين محمد البقوي (دام
 ظله) مولانا الأجل :

هناك كثير من الناس والعلماء والمؤلفين لا تسعج بترويج بدلتهم إلى غير
 العلويين حتى وإن كان المتقدم لخطبتهم من المؤمنين والأقفاء شرعا وقد أدى ذلك إلى إلقاء
 كثير من العلويات عوائق ومعا سبب لهم الكثير من المغااة وحرمانهم من الأمومة وغيرها
 من ضروريات الحياة... فنرجو من سماحتكم التوجه لهذه الظاهرة المعروفة وبين أن ليكم في
 ذلك.

بسمه تعالى :-

هذه الأفكار الضالة من الصد عن مهبل الله تعالى فمن منع منه لعل هذه الأسباب التي ما
 أنزل الله بها من سلطان فهو عاصي أمروا الله (ص) الذي يقول ((إذا رضيتم الرجل عن الله
 ودينه فزوجوه)) ينقض النفل عما ذكر والقرآن يقول (لن نكرمكم بعد الله فأناك) وغيرها
 من الأدلة.

سماحة الشيخ : ما حكم من ينقل عبارات على الزواج بك (ورملة) أو (نور) أو (نور)
 بما يؤدي إلى تعطيل الزواج بحجة أنه صغير أو أنه طالب في الجامعة ومما يفسد له صدره
 هذا الأمر من بعض العوائل التي تدعي أنها متدينة ونحن نعرف القرويات الكثيرة من أمة
 أهل البيت (ع) تحت اللاب على الزواج.

وهل يحق للوالدين منع زواج ولدهما سواء كان ذكر أم أنثى بحجة إكمال الدراسة أو
 أعمال الخدمة العسكرية بالنسبة للرجل علما أن الشاب والشابة بحاجة إلى الزواج ؟

بسمه تعالى :-

الزواج من السنن المستحبة الأكيدة بحيث لا تحتاج إلى ذكر الأدلة على ذلك وفيه ألفة
 للسنن الألفية في هذا الكون والتي منها التماسك والتكاتف ومن يخرج عن سنن الله يكون عقابه
 وخيما (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادة كبيرة) وقد نهى النبي (ص) للمحلبين عيش
 بين مضغون (رض) عندما قرر الأعراض عن النساء. وقد يضع أولياء الشيطان بعض
 العرقيل لتعطيل هذه السنة الألفية ونشر الفاضلة في المجتمع بدلا عنها وأهم هذه الأوامر
 خوف الأعباء الاقتصادية لذا ملأهم الله سبحانه وتعالى في القرآن (أن يكونوا افتراء يقتهم
 الله من فضله والله واسع عليم) نعم فقد توجد مواقع خاصة مؤمنة يمكن مناقشتها بين
 الأطراف المعنية وتكثيل هذه الصعوبات. وإذا كان البقاء بدون زواج حرجيا لم يوقعه في
 المعصية فيجب عليه الزواج ولا يجدر لأحد أن يمنعه عن ذلك بل على الجميع أن يتعاونوا
 لتجاوز هذا الأمر له.

شيخنا المقدسي: هناك بعض قراء المواليد (الروايد) يستعملون في فصلهم أباؤا
 مشابهة جدا لبعض الأغاني المشهورة بالنسق، فبماذا تنصحون هؤلاء الأشخاص؟ وإذا لم
 ينتهوا فما سيقفنا تجاههم وما حكم الأمر الذي يعني لهم؟

بسمه تعالى: الفناء المحرم هو الكيفية الصوتية بغض النظر عن كون كلماتهم من القرآن أو مدقح
 أهل البيت أو من كلام أهل الفسق، فإذا كان فعل قراءة المواليد بهذه الكيفية فإنه محرم ويجب
 تصحيحهم وأرشادهم. وإن امتنعوا فمقاطعتهم بالأجرة المدفوعة إليهم حرام وعليهم تجنب
 معصية الله وخصوصا في هذا المورد الممنوع، لكسب رضوانه، وهو منح أهل البيت فتكون
 خسارتهم مضاعفة.

شيخنا الجليل: كثرت في الآونة الأخيرة ظاهرة مرصنة الله وإرساله وهي (الأعراس
 الإسلامية) فبماذا تنصحوننا في مثل هذه المناسبات لتدقيق سنة أهل البيت (عليهم السلام)؟

بسمه تعالى: قلنا في أكثر من مناسبة إذا حينما تنفذ ظاهرة مرصنة لا بد لكي يكون
 النحل كاملا أن ندم البديل الصالح فحينما نقول أن

زفات الأعراس التي تتضمن محرمات كالإختلاط والغناء وتدرجها جوام روايد ابن نسل
 فراغها بالاحمال ومن الأبطال المسالحة فإسما ما سبقت الدينية وشكر من قبل أهل البيت (ع)
 ومدقحهم وفناء خطب الذرية المتعلقة بهذا المورد كصناعات تزويج المصالح والروحة السالفة
 ومقومات الحياة الزوجية المسببة وحدث الأعلام على الزواج والمبكر منه خصوصا ومطلبة
 معوقات الزواج وتعداد الآثار النفسية والروحية والاعتصالية والاجتماعية والدينية للزواج
 مقابل المناسبات التي تحصل بسبب العزوبة عن الزواج ومرد صلاح الزوجات مسببة غير
 التاريخ ودراستها وتحليلها هكذا



لما رقت عينك قدسرا غراب
 ودور عتيق خراب أراب
 تدمر قام تقدر ارد الجواب
 يهوى بكية عتيق القواب

يا عاشر الدنيا إلى كم وثم
 تهر يمسكين دار الفنا
 أفق كائي بك مستصرخا
 خديك الخالص من بينهم

العلم والأعلام

قال الإمام علي (ع) في وصية النساء: على النساء أن يرضعن أولادهن من لبنين اثنين
 ثم قال: أثبت العلم هذه الخريقة بوضوح فأمر المرأة التي ترضع الطفل من ثدي واحد
 من لبنين إلى اللبن الثاني شيئا شيئا حتى يفتش ثلثا ثم لا يثر «أمر جارية المرأة أما
 من حيد أصغر خلال الرضاعة من ثدي واحد للثلاث أمية أو ثلثة برفع مرتين اليوم ما كان في
 هذه المرأة حيا»

ملحق رقم (٣)

هذا نموذج من المواقف الإيرانية من الشهيد الصدر، والملفت في هذا الموقف هو استمراريته الى هذه الساعة، إذ أن هذا المقال نشر بعد سقوط نظام صدام، وهذا يعني أن المستهدف ليس الشهيد الصدر بشخصه فحسب وإنما خطه ومنهجه حتى يتم القضاء عليه حسب أمنياتهم وسعيهم، والكاتب رسول جعفریان هو رجل دين ولكنه يحمل ضغينة استثنائية للشهيد الصدر بل ولكل العراق، فهو صاحب كتابي (إيران والتشيع) و (شيعة العراق وصلاتهم بالمرجعية في إيران)، وفي كلا الكتابين كان يركز على أمر أساسي وهو كون شيعة العراق عبارة عن هجين تم تكوينه في القرنين الأخيرين، وأن الفرس هم الأول والآخر، فقد قام بسلب كل تاريخ العراق وجعله عبارة عن ولاية من ولايات إيران، وقد أجبناه بما فيه الكفاية في كتاب (التاريخ المستباح) وفي هذا الكتاب، وربما تكون لنا معه وقفات أخرى ومع غيره من الحاقدين والمهجنين، والظاهر أن البعض يعاني من عقد النقص والتهميش تاريخياً فيحاول أن يسطو على أمم أخرى فيسلب منها ما يستطيع ما دام يمتلك القوة والمال، ومثل هذه المحاولات اليائسة لن يحل بها الفشل فحسب ولكنها ستكون وبالاً على صاحبها، لأن إثارتها تستدعي الرد والنقاش وهذا يستلزم نبش التاريخ بل والحاضر، وهذا بحد ذاته نافع لنا كما رأينا في نتائج كتاب (التاريخ المستباح) وكلما خطا هؤلاء خطوة بهذا الإتجاه سيدفعوننا للتنقيب أكثر فأكثر، وربما سنكتشف ونكشف ما حرصوا على إخفائه طوال عقود وربما قرون.

بالرغم من التطورات والأحداث التي شهدتها الحوزة العلمية في النجف خلال الـ ١٥ عاماً الأخيرة، لكن مع الأسف عاش المجتمع الإيراني في معزل عما يحدث داخل النجف. وما تم نشره مؤخراً عن الجرح الغائر الذي شهدته النجف على مدى الـ ١٥ عاماً الأخيرة يوضح أن مرجعية النجف عانت خلال هذه السنوات من قتل العلماء والوجهاء العراقيين وتدخل هذه الإجراءات التي اتخذها الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين ضمن أهداف النظام البعثي من أجل إيجاد مرجعية عربية في مواجهة نظيرتها الإيرانية.

لقد بدأت المغامرة عندما لجأ نظام صدام الى آية الله الخوئي من أجل تحويل مسئولية الطلاب الأجانب الى المراجع^(١) في البداية توجه الخوئي الى آية الله محمد علي الحكيم صهر آية الله العظمى الحكيم لكنه لم يكن مستعداً لقبول هذه المسئولية^(٢) وبما أن الآخرين في الحوزة العلمية لا يتبعون نظام صدام، فإنهم لم يقبلوا بتلك المسئولية ومنهم حسين بحر العلوم الذي اشترط الإفراج عن المعتقلين سياسياً من المسلمين في حالة توليه هذا المنصب، وحيث لم يتم قبول هذا الشرط، رفض هذا المنصب. في

(١) من الواضح أن جعفریان على جهل بالتاريخ، فإن مسئولية طلبة الحوزة مناطة بالمرجعية منذ عهد يسبق على عهد صدام.

(٢) هل أن السيد الخوئي عندما توجه الى محمد علي الحكيم كان لطلب من نظام صدام أم لضرورة أن يتولى أحد العلماء هذه المسئولية، والغريب أن تولي هذه المسئولية من قبل الحكيم أو غيره مباح وشرعي، ولكن عندما رفض الجميع وتولاها السيد الصدر أصبح عميلاً لصدام، سبق أن لاحظنا هذه الوقاحة من هؤلاء عند الكلام عن سعي محمد تقي الخوئي لإعادة إعمار المساجد وافتتاح المدارس.

النهاية وافق آية الله سيد محمد الصدر على تولي المنصب، وبالبحث في مرجعيته نجد أن بعض أنصاره سعوا من أجل استقرار الحوزة العلمية بالنجف، وجعلوا المرجعية بشكل كامل في سلطته.

كان هدف النظام البعثي العراقي من هذا الإجراء هو قطع الإتصال الشيعي بإيران الى أقصى درجة، ومن هنا تم إعلان قيام المرجعية العربية.

في هذه الأثناء أجازوا لمحمد الصدر إقامة شعائر صلاة الجمعة، بينما لم يسمحوا لآية الله السيستاني بإقامة الصلاة في مسجد الخضر^(١) وبرروا ذلك على أنه بقصد إعادة إعمار المسجد في حين أدرك الجميع الكذبة وأن الهدف هو عرقلة آية الله السيستاني، كما كان ضمن أهدافهم، الهيمنة على المدارس الشيعية وتعليم الطلاب الجدد طبقاً لنفس الفكرة.

وكان معظم الطلبة الذين تم قبولهم في هذه المدارس، طلبة مبتدئين ومن الشباب غير المؤهل للعمل والتحصيل^(٢).

ومع الإمكانيات التي وفّرها النظام البعثي لمحمد الصدر^(٣)، تزايدت أعداد مقلديه في العراق، خاصة وأن الصدر اتسم بالعطف ومساعدة الناس وتقديم خدمات عامة،

(١) سبق أن تحدثنا في موضوعي إقامة صلاة الجمعة وغلق مسجد الخضر.

(٢) من الطبيعي أن يكون الطلبة الجدد من المبتدئين، ولا أعتقد أن جعفران وغيره انتموا الى الحوزة في البداية وهم حائزون على مراتب عالية في العلم.

(٣) يا حبذا لو يذكر لنا جعفران وسادته عن مفردة من هذه الامكانات التي توفرت للسيد الصدر ولم تتوفر لغيره من علماء النجف.

وفي هذا الاتجاه نجح في اجتذاب أعداد كبيرة فبلغ مقلدوه ٧٠٪ من شيعة العراق^(١). من ناحية أخرى، سعى الصدر من أجل دعم نفوذه على المدارس ومنها ما كان تابعاً للمدرسة الباكستانية، فمنذ أربعة عقود أرسل عدد من الشيعة الباكستانيين أموالاً من أجل إنشاء مدرسة للطلاب الباكستانيين إلى آية الله الحكيم، وبعد أن تم بناؤها تولى حفيده رسمياً مهمة إدارتها وهو آية الله محمد سعيد الحكيم، وعندما سعى محمد الصدر من أجل بسط نفوذه على الحوزة أقدم بعض تابعيه على احتلال هذه المدرسة^(٢).

وقد تم نشر تقارير خلال سنوات ما بعد انتفاضة الشيعة في العراق عام ١٩٩١ تفيد بأن أي شخص يتحدث عن مرجعية غير السيد محمد الصدر يكون بذلك قد حفر قبره بيديه.

ولا زال بعض علماء النجف يحتفظون بهذا التقرير معتقدين أن محمد الصدر كان هو ناشره، وكان قد خيّر الشيعة أن يظلوا تابعين له أو يصبحوا أعداء له.^(٣)

وكان هذا سبباً كافياً لأن يبادر بإصدار حكم بالفسق على أي شخص يشكك في أعلميته داخل الأوساط العامة، وقد كان الشيخ حسن الكوفي أحد هؤلاء

(١) هذا الاعتراف دليل مناقض لكل مغامرة جعفران النافهة، فشيعة العراق الذين لا يمكن أن ينصاعوا في يوم لمخططات النظام يردون على جعفران وقياداته بنبذهم وإتباع قيادتهم التي رأوا فيها ما لم يروا في غيرها.

(٢) من الواضح أن المدرسة لم يتم بناؤها بأموال السيد محسن الحكيم أو أحد أفراد أسرته، وإنما هي مجرد تولية من قبل المرجعية، وباعتراف جميع العلماء أن التولية من قبل المرجع الميت تزول بموته.

(٣) هذا التقرير السحري من مخترعات هذا المريض، ولم يترك أعداء الصدر فرصة أو محاولة للنيل من مرجعيته ولكنه لم يجدوا غير الأكاذيب، ونحن هنا نتحدى جعفران وعلمائه هؤلاء أن يقوموا بنشر هذا التقرير إن كان له وجود.

الأشخاص وهو من مدرسي حوزة النجف، وبمجرد أن أيد أعلمية آية الله السيستاني وشكك في أعلمية السيد محمد الصدر حكم عليه محمد الصدر بالفسق مدّعياً أنه من مؤيدي الصهاينة.^(١)

من ناحية أخرى، أوصى الصدرىون آية الله سيد مرتضى بروجردى، بترك إمامته لصلاة الظهر والمغرب الى محمد الصدر، لكنه لم يوافق وبعد فترة استشهد.^(٢) في تلك الأثناء طالب آية الله محمد سعيد الحكيم، مسئول الأمن في النجف بالحد من تلك الحوادث، وهذا يشير الى أن الحكومة لا تتدخل مباشرة في هذه القضايا بينما تعطي الضوء الأخضر الى محمد الصدر أو أنصاره^(٣)، وبات من الواضح أنه إذا أقدمت حكومة البعث على التدخل المباشر في هذه الأحداث فإنها ستعمل على إثارة هذه الحوادث بدلاً من إخمادها.

في تلك الآونة اندلعت المظاهرات في كربلاء واضطر نظام البعث للتدخل من أجل

(١) قضية حسن الكوفي تناولناها بما فيه الكفاية في كتاب (السفير الخامس)، وللزيادة في العلم فقد كنت في نفس المدرسة التي كان يسكن فيها حسن الكوفي وعندي كل تفاصيل المشكلة التي حصلت، وكل ما يذكره جعفرىان فهو هراء وأكاذيب. عباس الزيدى.

(٢) لم يطلب الصدرىون من البروجردى ولا من غيره ترك الصلاة، وعلى العكس من ذلك فإن البروجردى كان على صلة طيبة بالشهيد الصدر، وإنما بدأت مشاكله عندما طرح مرجعيته علناً مما أثار حفيظة صهره محمد رضا السيستاني فحصلت مشاجرة بينهما، وفي هذا الوقت كانت إشارة السيد الصدر واضحة الى إجتهد كل من البروجردى والغروي والفياض، وقد أعلن بكل وضوح أنهم أعلم من السيستاني، وأن على مقلديه الرجوع الى أحدهم عند رحيله، ولم يبق منهم ذلك اليوم سوى الفياض. أما منع البروجردى فقد حصل بأمر من مدير أمن النجف، والغريب أن الضغوط عليه حصلت بعد محاولته طبع رسالته العملية.

(٣) يحاول جعفرىان أن يظهر نظام صدام كالحمل الوديع، بينما يلصق كل مصيبة بالصدر وأتباعه، وهذا واضح الدلالة في إتفاق بين صدام وبين آخرين للقضاء على الصدر مادياً ومعنوياً.

اعتقال مثيري الشغب وكان على رأسهم مؤيدو الصدر^(١)، وقد اتسم محمد الصدر بالسذاجة عندما حاول جمع أنصاره من أجل التصدي للنظام البعثي حيث لم يعد النظام البعثي في حاجة إليه ومن ثم تم قتل أنصاره وتم إعدام كل من تورط في أعمال الشغب خاصة بعد استشهاد مرتضى البروجردى وميرزا علي الغروي. في تلك الأثناء لم يخرج مراجع النجف من بيوتهم. ولم يكن هؤلاء خائفين من الحكومة البعثية بقدر يقينهم بأن هذه الحوادث تتم من جانب جماعة من داخل الحوزة العلمية وكانوا على اقتناع بأن حكومة البعث ليس لها يد في تلك الاغتيالات بالرغم من أنها أعطت الضوء^(٢). وثمة شواهد عديدة تثبت أن تلك الأعمال كانت ترتكب بواسطة مجموعة خاصة أعادت تنظيم صفوفها بإمكانات وقدرات كبيرة من أجل التصدي للحوزة، وقد قسّم هؤلاء الحوزة الى حوزة ناطقة وأخرى صامتة وعرفوا أنفسهم بأنهم يمثلون الحوزة الناطقة. وقد قال محمد الصدر بعد مقتل آية الله غروي، أن الحوزة الصامتة قضت نحبها بينما نجت الحوزة الناطقة. وبعد فترة تخلّى محمد الصدر عن أسلوبه وبدأ باتخاذ إجراءات تثير حفيظة النظام البعثي، ومنها إعلانه أن مقلديه سينظمون مسيرة من النجف الى كربلاء وعلى الفور منع النظام البعثي هذا الإجراء^(٣). وبعد فترة أعلن نظام صدام أن محمد الصدر أيضاً ليس موضع ثقة ولذا

(١) المظاهرات التي يتحدث عنها جعفران حصلت من قبل أتباع السيد الصدر احتجاجاً على مقتل الشيخ علي الغروي، الذين أقاموا مآتم العزاء له وللبروجردى من قبله في كل أنحاء العراق، بينما لم تتخذ المرجعيات الأخرى مثل هذه الخطوة. وتفاصيل الحادثة موثقة في كتاب (السفير الخامس).

(٢) فلسفة نظام صدام ليس له يد في هذه الأعمال ولكنه يعطي الضوء الأخضر لا يمكن تصنيفه إلا ضمن قائمة التهريج أو التواطئ غير المفهوم.

(٣) يبدو أن جعفران يكثر من الاستماع هنا وهناك ولا يكلف نفسه عناء التدقيق، لأنه حسب الظاهر قد

تم الإعداد لقتله، بينما يبدو في الظاهر أن معارضيه أقدموا على هذا الإجراء في النجف.

=أمن مكر الله وعقابه، وهذا الامر الذي يتحدث عنه هذا المهرج عبارة عن الأمر بالمسير الى كربلاء بمناسبة الزيارة الشعبانية من كافة محافظات العراق، وليس من النجف فقط.

(۷۶۰)

المصادر

١ - الشيخ محمد اليعقوبي :

شكوى الإمام، أنصار الله للطباعة والنشر والتوزيع، النجف، ١٤٢٤هـ.

دور الأئمة في الحياة الإسلامية. دار أنوار الهدى، إيران - قم، الطبعة الأولى - ١٤٢٦ هـ.

قناديل العارفين، مراسلات اخلاقية في تهذيب النفس وطهارة القلب، سلسلة ما لم ينشر من تراث الشهيد الصدر، اعداد عبد العظيم الاسدي، منشورات جامعة الصدر الدينية في النجف الاشرف، الطبعة الاولى ١٤٢٦ هـ.

الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه. ط ١ ، ١٤٢٩هـ، مطبعة نينوى، دار جامعة الصدر.

المعالم المستقبلية للحوزة العلمية. ط ١، ١٤٢٩هـ ، مطبعة نينوى، دار جامعة الصدر.

القول الفصل في أحكام الخل. د.ط.

من وحي المناسبات. د.ط.

نحن والغرب. د.ط.

الأسس العامة للفقہ الاجتماعي. د.ط.

نظرية اللغة الموحدة في الميزان. د.ط

٢ - السيد محمد الصدر :

موسوعة الإمام المهدي. ط١، ١٤٢٤هـ ، مطبعة كوثر، قم.

أضواء على ثورة الامام الحسين. الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، انتشارات الشريف الرضي - قم.

ما وراء الفقه. النجف - مطبعة الآداب، الطبعة الأولى ١٩٩٣.

نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان. مطبعة الآداب - النجف الأشرف، الطبعة الأولى ١٩٦٢.

٣ - هاشم معروف الحسني، سيرة الائمة الاثني عشر (ع). ط ٣، مطبعة شريعت، قم.

٤ - ابن بابويه القمي، الامامة و التبصرة. ط ١، ١٤٠٤هـ ، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج) قم.

٦ - محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات. ط ١، ١٣٨٤، مطبعة فاضل، قم.

٧ - عادل رؤوف :

أنبياء وأصنام. ط ٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م ، المركز العراقي للإعلام والدراسات.
مرجعية الميدان، محمد محمد صادق الصدر، مشروعه التغيير ووقائع
الاغتيال. المركز العراقي للإعلام والدراسات، سوريا - دمشق، الطبعة
السابعة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣.

٨ - محمد بن يعقوب الكليني، الكافي. ط ٥، ١٤٢٥، دار الاسوة، قم.

٩ - رشيد الخيون، لاهوت السياسة، الأحزاب والحركات الدينية في
العراق. الناشر : دراسات عراقية، التوزيع : منشورات الجمل. الطبعة الأولى
٢٠٠٩ بغداد - أربيل - بيروت.

١٠ - المجلسي، بحار الأنوار. ط ٣ مصححة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، دار احياء
التراث العربي، بيروت.

١١ - محمد بن علي الصدوق، التوحيد. صححه وعلق عليه السيد هاشم
الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم
المقدسة.

١٨ - الحر العاملي، وسائل الشيعة. ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م، مؤسسة الاعلمي
للمطبوعات، بيروت.

١٩ - محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية. ط ٣ المحققة في المؤتمر، مطبعة شريعت، قم، اعداد وتحقيق لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للامام الشهيد الصدر (قد).

٢٠ - محمد باقر الصدر، دور الائمة في الحياة الاسلامية. ط ١، ١٤٢٩هـ، مطبعة بهمن، قم.

٢١ - المفيد، الإرشاد. ط ١، ١٤٢٨هـ، مطبعة قلم، قم.

٢٢ - صحيفة الوطن الكويتية.

٢٤ - صلاح الخرسان، حزب الدعوة الاسلامية حقائق ووثائق، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، سورية - دمشق، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩.

٢٥ - محمد رضا النعماني، سنوات المحنة وأيام الحصار.

٢٦ - علي المؤمن، سنوات الجمر، مسيرة الحركة الاسلامية في العراق ١٩٥٧ - ١٩٨٦. المركز الاسلامي المعاصر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤.

٢٧ - السيد الشهيد محمد الصدر، بحوث في فكره ومنهجه وانجازاته العلمي، تأليف نخبة من الباحثين والمفكرين، منشورات المحبين، ايران، الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ.

٢٨ - أحمد عبد الله أبو زيد العاملي ، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق. مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٢٩ - الاجتهاد والتجديد، تصدر عن مركز الدراسات الفقهية المعاصرة في بيروت، العدد السادس ربيع ٢٠٠٧ م. ١٤٢٨ هـ.

٣٠ - أحمد مجيد، التيارات والأحزاب السياسية المؤثرة في نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد.

٣١ - الشهيد محمد تقي الخوئي. مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، إيران - قم، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ ق ٢٠٠٣ م.

٣٢ - كاظم الحائري، دليل المجاهد. مكتب السيد الحائري - قم المقدسة - ١٩٩٩ م.

٣٣ - ثقافة الدعوة الإسلامية، القسم السياسي. د. ط.

٣٤ - صحيفة الشرق الأوسط، يوم الخميس ١٠ رجب ١٤٢٥ هـ - ٢٦ أغسطس ٢٠٠٤، العدد ٩٤٠٣.

٣٨ - أميرة الياسري، المثلث الصدري والحراك الاسلامي، محمد باقر الصدر رائداً. مؤسسة البديل للدراسات والنشر، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ٢٠١٠.

٣٩ - عباس الزبيدي، السفير الخامس. تمثلية الشهيد الصدر في بيروت، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠١.

٤٠ - فالخ عبد الجبار، العمامة والأفندي، سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني. ترجمة أمجد حسين، منشورات الجمل، بيروت - بغداد، الطبعة الأولى ٢٠١٠.

٤٢ - علي عبد الأمير علاوي، احتلال العراق، ربح الحرب وخسارة السلام. ترجمة عطا عبد الوهاب. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٩.

٤٣ - ولي نصر، صحوة الشيعة.

٤٤ - الحرب على العراق، يوميات - وثائق - تقارير، ١٩٩٠ - ٢٠٠٥، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٧.

٤٥ - فائق الشيخ علي، إغتيال شعب. مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية - لندن. الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.

٤٦ - مؤسسة الغري للمعارف الاسلامية، علماء قياديون، السيد علي الحسيني السيستاني، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، مطبعة زيتون، العراق - النجف الأشرف.

٤٧ - محمد حسن الطالقاني، صفحة من حياة الإمام السبزواري، الناشر فجر الايمان، الطبعة الاولى ١٤٢٥ هـ، العراق - النجف.

٤٨ - مؤسسة الامام الخوئي الخيرية ١٩٨٩ - ٢٠٠١، إصدار مؤسسة الامام الخوئي - لندن.

٤٩ - نشرة (الصادقين) ، نشرة نصف شهرية تصدر عن المكتب الإعلامي، متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوى وأخبار سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف).

٥٠ - عزيز قادر الصمانجي، قطار المعارضة العراقية من بيروت ١٩٩١ الى بغداد ٢٠٠٣، دار الحكمة، لندن، الطبعة الاولى ٢٠٠٩.

٥١ - قاسم الكعبي، الثورة البيضاء، الناشر مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر - النجف، الطبعة الاولى ١٤٣٠ هـ.

٥٢ - رياض نجيب الريس، مصاحف وسيوف، إيران من الشاهنشاهية الى الخاتمية. رياض الريس للكتاب والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى - ٢٠٠٠ م.

المحتويات

الصفحة	العنوان
٥	مقدمة الناشر
٩	حروب و انتكاسات
١٢	الحروب والانتكاسات الداخلية
٤٧	الحروب الخارجية
٦١	من العزلة إلى الانفراج
٧٠	نشأته العلمية وأساتذته
٧٨	مدرسته الأخلاقية
٨٤	الصدر والسياسة
١٠٤	علاقاته الاجتماعية زمن العزلة
١٠٦	مؤلفاته قبل الظهور على الساحة
١٠٨	تداعي النظام وانتعاش الحوزة
١١٥	الانتفاضة في النجف
١٧٦	بداية التصدي
١٧٨	مقدمات المشروع وتوقيته
١٨١	رحيل الخوئي بداية التصدع وبروز مرجعية السبزواري
١٩٤	بداية حركة السيد الصدر و تطورها

الصفحة	العنوان
٢٣٥	المواجهة مع الوهابية
٢٤٣	صلاة الجمعة
٣٢٠	جامعة الصدر والتجديد
٣٣٠	النظام الأساسي للجامعة
٣٤٠	الصدر في قم
٣٥٦	قبل الشهادة
٣٦٧	استشهاد الصدر الثاني ودفنه برواية الشيخ يعقوبي
٣٧٨	الوصية والبديل
٣٩٤	مشهد الحركة الإسلامية بعد الاستشهاد
٣٩٥	موقف السيد حسين بحر العلوم
٤٠٢	الصعوبات التي واجهت القيادة البديلة
٤٢٠	مهام القيادة البديلة
٤٢١	محاوّر عمل القيادة البديلة
٤٣٧	الشيخ يعقوبي و الفقه الاجتماعي
٤٤٦	الشيخ يعقوبي والقرآن
٤٤٩	الشيخ يعقوبي والإمام المهدي (ع)
٤٥١	موروثات خاطئة
٤٥٦	الشيخ يعقوبي مترجماً لسيرة المعصومين (عليهم السلام)
٤٥٩	محنة (البراني)

الصفحة	العنوان
٤٦٥	الشيخ اليعقوبي في مهمة الإنقاذ
٤٧٣	الشيخ اليعقوبي ورعاية طلبة الحوزة
٤٧٦	الكلام في المحور الثاني: الوقوف ضد مشاريع الحكومة الظالمة لإفساد المجتمع، والعمل على إفراغها من محتواها.
٤٧٧	انتفاضة ١٧ / ٣ / ١٩٩٩
٤٨٣	السجناء في سجن (أبو غريب)
٤٨٦	القيادة وكيفية الحفاظ على الحركة الإسلامية بوجود الحاكم الظالم
٤٩١	هل الحل الخروج من العراق أو البقاء فيه ؟
٤٩٧	المواجهة الأولى
٥٠٥	المواجهة الثانية
٥١١	المواجهة الثالثة
٥٢٤	المواجهة الرابعة
٥٢٦	المواجهة الخامسة
٥٢٩	المواجهة السادسة
٥٣٠	المواجهة السابعة
٥٣٥	ظروف نشأة حزب الفضيلة الإسلامي
٥٣٩	المواقف من الغزو الأمريكي
٥٥١	المحور الثالث بناء المجتمع الإسلامي النظيف، والاهتمام بكل شرائحه، لخلق حركة اجتماعية منظمة سليمة من آفات المتطفلين

الصفحة	العنوان
٥٦٠	الشيخ اليعقوبي يتصدي لمدعي المهدوية والمشعوذين.
٥٦٧	عادات رمضان منحرقة
٥٦٧	تنبيهات شرعية إلى العاملين في حقل الصيدلة
٥٦٨	تجارة الألبسة المستعملة (البالات)
٥٦٩	تعليق على (توجيهات في السلوك)
٥٦٩	أسباب امتناع الناس عن دفع الخمس وعلاجها
٥٧٠	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٥٧٠	من فقه السيارات
٥٧١	توجيهات ثقافية وأخلاقية
٥٧٢	تأجير الدراجات الهوائية
٥٧٥	إقامة علاقة مع الطالبات لهدايتهن
٥٧٦	تحية الإسلام السلام
٥٧٨	الحوزة والمجتمع
٥٩١	بعض المخالفات في عمل وكلاء الحصة التموينية
٥٩٣	وكلاء الحصة التموينية
٥٩٦	أحكام التعامل مع الغجري
٥٩٩	عزوف أولياء الأمور عن إرسال أبنائهم إلى المدارس
٦٠١	الحوزة والعشائر
٦٠٣	تصرفات منحرقة في معاملات السوق (المقدمة)

الصفحة	العنوان
٦٠٩	حوار حول موضوع السرقة
٦١٥	شراب البيرة الإسلامية
٦٢٠	عرض الملابس النسائية بالصور الخليعة وعرض الصور الخلاعية في محلات التصوير ، وتزيين سيارات الأعراس
٦٢٤	الحجاب الفرنسي
٦٢٧	فقه التعامل بالدولار
٦٣٤	فكرة خاطئة: عدم تزويج العلويات لغير السادة
٦٣٩	الملحق الأول
٦٨٧	الملحق الثاني
٧٥٣	الملحق الثالث
٧٦١	المصادر
٧٦٩	المحتويات